صُنعَ في السّويد

MADE IN SWEDEN

رواية

مبنية على أحداث حقيقية

ترجمت إلى 34 لغة
في أنحاء العالم
وستتحول قريبا إلى فيلم سينمائي

1
الجزء الأول

أندرز روسلاند و ستيفان ثامبورغ

ANDERS ROSLUND STEPHAN THUNBERG

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

صنع في السويد

MADE IN SWEDEN

صنع في السويد

MADE IN SWEDEN

رواية

مبنية على أحداث حقيقية

الجزء الأول

أندرز روسلاند و ستيفان ثامبورغ

STEPHAN THUNBER ANDRES ROSLUND

ترجمة

Live Word Translation

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى
2016 م – 1437 هـ

ردمك 9786140228368

لو كان آنئذٍ هو الآن.

لو كان الآن هو آنئذٍ.

هو جالس داخلَ سيارة ڤان من طراز "ڤولكسڤاغن" صفراء اللون، تنبعث منها رائحة العرق والطلاء وروائح أشياء أُخرى لا يستطيع أن يُحدّدها تماماً. ربما كانت الرائحة منبعثة من فنجان القهوة الذي ابتاعه من محطّة الوقود، ووضعه على لوحة السيارة الأمامية، أو لعلّها صادرة عن بقايا التبغ المنتشرة على المقعد المجاور، أو قد يكون مصدرها كيس الجصّ وفراشي الدهان الموجودة على المقعد خلفه؛ الأغراض التي ابتاعها للتو من مخزن للخردوات في شارع فولكونغا، أو ربما كانت منبعثة من المعدات، التي جلبها من مخزن كانت قد استأجَرَتهُ.

كانت الرائحة كما لو أنها منبعثة من قبو للتخزين، أو مستودع. إنها رائحة تدل على مرور الزمن.

كانت الشمس تلسع نافذة السيارة، واستقرّت أشعّتها على طبقة رقيقة من الذباب الجاف والغبار. إنه نوع من الحرّ الغامض الذي ينبعث من المجهول. قام بإنزال زجاج النافذة للحصول على شيء من البرودة، فإذا به يُدخل المزيد من الحرّ.

"هذا أنا".

"أعلم".

"كيف حال فتاي؟ هل كل شيء على ما يرام؟ هل كل شيء بخير؟".

مضت ثلاث ساعات وهو في السيارة، في طريقه من ستوكهولم، إلى بلدة صغيرة تحيط بها المعامل وغابة البَيسيّة. كان يدور حولها منذ الظهيرة. إنه في طريقه إلى منطقة مجاورة حيث يوجد مخزن البقالة كونسِم، وكشك لبيع الهوت دوغ، وملعب لكرة القدم. إنه في طريقه إلى مبنى سكني يقع في وسط البلدة، ومؤلّف من

ثلاثة أدوار مصنوعة من الطوب الأحمر. لم يَذهَب إلى هناك من قبل قطّ.

"كلّ شيء على ما يرام".

"ماذا تنوي أن تفعل؟".

"ليس الكثير... نحن على وشك تناول الطعام، من طبخ والدتي".

عند مغادرته المدينة أصبحت الطرق أصغر، وحركة السير أبطأ. مَرَّ عبر جزء من السويد لم يره منذ مدّة طويلة، وتوقف في محطّة للوقود في ضواحي البلدة؛ محطّة "پي بي" أو ربما "يونو- إكس" أو ربما محطّة "شايل". قام بلفّ سيجارة ثم أقفل باب حُجَيرة الهاتف خَلفَهُ، وطلبَ رقماً يتذكّره. أجابتْ على الهاتف، ثم سادَ الصمت، وناولت الهاتف لولدهما البِكر.

"وأخواك يا ليو، كيف حالهما؟".

"ما زالا على ما هما عليه... كالعادة".

"وكل شخص في البيت؟".

قاد سيارته في الأميال الأخيرة ببطء، ومرّ بدار عبادة، ومدرسة قديمة، والساحة الرئيسة حيث يرتدي الناس السراويل القصيرة ويتمتّعون بأشعة الشمس التي سرعان ما ستختفي لتحل محلها الغيوم والرعد.

"هل تستطيع أن تُعطي فيليكس الهاتف؟".

"أنت تعلم أنه لا يريد أن يتكلّم معك".

كان يجلس خارج المبنى المؤلف من ثلاثة طوابق، ويحدّق إلى الباب الذي يحدق إليه بدوره. لم يكن ينوي البقاء هنا طويلاً.

"حسناً... ڤينسنت إذاً".

"إنه يلعب بشيء ما، أو أعتقد..."

"أيلعب بالليغو؟".

"كلا، إنها..."

"أهي لعبة الجنود؟ أخبرني بما يقوم به".

"إنه يقرأ شيئاً ما... بابا. لعبة الجنود كانت قديماً".

النافذة في الأعلى في الجهة اليُمنى، لا بدّ أنّ تلك هي الشقة التي وصفها ولده البكر عدّة مرات. شعر وكأنه يعلم كيف تبدو؛ المطبخ إلى يسارك عندما تدخل من الباب الرئيس، والطاولة هناك بنية اللون مع أربعة كراسٍ وليس خمسة، غرفة الجلوس أمامك مباشرةً، زجاج بابها مظَلَّل ولا تستطيع أن ترى من خلاله، إلى اليمين هناك غرفة النوم والجزء الآخر من السرير الذي احتَفَظَت به، ثم تليها غرفة الأولاد؛ ليو وفيليكس ڤينسنت، ما زالت على حالها تماماً.

"وأنتَ؟".

"لقد..."

"ما الذي تنوي فعله بابا؟".

"أنا في طريقي إلى منزلي".

كانت شقّته المكوّنة من أربع غرف نوم لها عالمها الخاص بالأصوات؛ أصوات الحشر والدفع في حيّز ضيق. عندما تُدير الوالدة صنبور المياه فوق حوض

الجلي في المطبخ، يصطدم الصنبور المتلوي بمعدن صينية السكاكين مسبّباً دويّاً مجلجلاً لقربه من خزانة الأطباق. يجتهدون معاً لرفع صوت التلفاز في غرفة الجلوس. وفيما هو جالسٌ في زاوية الكنبة، يقوم فيليكس بمشاهدة الرسوم المتحركة مستمعاً إلى أصوات شخصياتها الزاعقة على طبقة سوبرانو، وينبعث صوت الموسيقى من مكبرات الصوت العملاقة الخاصّة بليو، وما يتسلّل من سماعتَي الأذنين الخاصتين "بالووكمان" ينحرف إلى رأس ڤينسنت، صوت عميق يروي قصة؛ أصوات تنبعث معاً ثم تتشابك وتتجانس.

المعكرونة جاهزة، وصلصة اللّحم ساخنة.

تقوم الوالدة برفع السماعة هامسةً: حان وقت الطعام، فيركض ڤينسنت في الرواق صارخاً: "الطعام!"، ثم يقفز مرة أُخرى صارخاً: "الطعام!"، "الطعام!".

يُطفَأُ التلفاز، وتتوقف الموسيقى.

يسود الصمت أثناء توجّههم إلى طاولة المطبخ، ثم يصدر صوت آخر ويقاطعهم؛ إنه جرس الباب.

—

يتوجه ڤينسنت إلى الرواق قائلاً:

"أنا سأفتح الباب".

فيسرع فيليكس ماراً قرب التلفاز باتّجاه الباب الأمامي.

"أنا سأفتح الباب".

يندفعان بقوّة، ويتسابقان، ويصل ڤينسنت الأقرب إلى الباب أوّلاً فيُمسك بالمقبض، ولكنّه لا يتمكّن من فتحه. في تلك اللحظة، صار فيليكس وراءه تماماً،

فرفع يَدَ ڤينسنت عن المقبض، ومال إلى الأمام مُحدقاً من الثقب. يرى ليو ڤينسنت وهو يقترب من المقبض مجدداً من دون أن يتمكّن من فتحه، بينما يتراجع فيليكس إلى الوراء وقد بدا الخوف على وجهه، هذا الخوف الذي لم يعهده منذ زمن طويل.

"ما الأمر؟".

فيومئ فيليكس برأسه باتجاه الباب ويقول:

"هناك".

"ماذا هناك؟".

يَرِنُّ الجرس مجدداً مطوّلاً، فيكمل ليو طريقه باتّجاه الباب الأمامي. يقفز ڤينسنت ليفتح الباب، ولكن فيليكس يرفض أن يتركَ المقبض.

"فيليكس، ڤينسنت ابتعدا، أنا سأفتح الباب".

—

إنّ القدر الحديدية الملتويّة ثقيلة، ووجبة العشاء لثلاثة أبناء تزداد قليلاً كلّ يوم. وبسبب ذلك تشعر بوخزٍ في معصميها كلّما حملت القدر. أفرغت الماء المغلي في المصفاة، ثم وضعت في القدر قطعة من الزبدة وخلطتها مع المعكرونة، وبعد ذلك حملت القدر إلى طاولة المطبخ أيضاً.

ساد الصمت... بعد إطفاء التلفاز، ومكبّرات الصوت، وانتهاء رواية القصة. وبعد قيام أحدهم برنّ جرس الباب، وصراخ الأبناء الثلاثة وهم يسرعون لفتح الباب. لا يُعقل أن يسودَ المكان هذا النوع من الصمت!

لم تتمكّن لاحقاً حتى من تذكّر ما إذا كانت قد التفتت، وما إذا كان لديها الوقت لتندهش من توقّف الأولاد عن إحداث الضجيج، وما إذا كان

الصمت شيئاً تخيّلته. فالشيء الوحيد الذي تذكّرته هو الشَعرُ المجعّد الذي أصبح أطول الآن، والنَفَسُ الخالي من رائحة الشراب.

إنه الشخص نفسه الذي يوجّه لها اللّكمات عادة، لكنه ليس كسابق عهده.

لأنّه إذا لكمها بقسوة فستسقط أرضاً، وهو يريدها أن تنظر إليه وهو يقوم بتدميرها؛ بتدميرها لتَجاهُلِها إيّاه، ولإعطائها الهاتف لابنه البكر. يجب أن تنظر إلى عينيه مباشرة عندما يلتقيان لأوّل مرّة بعد أربع سنوات.

إذاً، لعلّها التفتت في نهاية المطاف.

منذ اللّكمة الأولى بيده اليمنى على خدّها الأيسر، ومنذ أن أكملت يده طريقها نحو رقبتها، للقبض عليها وإرجاعها إلى الخلف بعنف كي ينظرا إلى بعضهما بعضاً. كانت اللكمات الثانية والثالثة والرابعة على خلاف الأولى. كانت اليد اليسرى على الخدّ الأيمن، "انظري إليّ"، وجّه لها لكمات سريعة وعنيفة، فرفعت يديها إلى الأعلى، كانت المرافق كالمسامير الشائكة على خوذة من جلد وعظم.

كانت إحدى يديه على رقبتها والأخرى تمسك شعرها. أجبرها على الوقوف بالرغم من أنها أصبحت ثقيلة، كانت تبتغي البقاء أرضاً، والاستلقاء أرضاً، وحماية نفسها. دفع رأسها إلى الأسفل بينما كان يحاول إركاعها، قائلاً لها: "اشعري بي"، ثمّ دفعه مجدداً، "اشعري بي"، ثم مرة أخرى، "اشعري بي".

—

إنها ليست مسألة أربع سنوات خلَت، إنها ليست كذلك. إنها مسألة العينين اللتين لا تدلّ نظرتهما على أنّ شيئاً ما قد يحدث. هذا الشخص يعلم ما سيحصل؛ وكأنه شخص آخر يقوم بتوجيه اللكمات، قبضته اليُسرى تَلكُمُ وجه

الأم كالسَّوط، يأخذ وقته وهو يقوم بذلك بصمت. كنت قادراً على سماعها عندما كان بابا يقوم بتوجيه اللكمات.

ذلك الصمت الرهيب لا يفهمه ليو.

لهذا، استغرق ليو وقتاً طويلاً لإظهار ردّة فعله وأخذ المبادرة. والدي عبارة عن شخصين معاً؛ إنه والدي وشخص آخر. والدتي لا تصرخ. اختبأ ڤينسنت خلف ليو، فيما ظلّ فيليكس واقفاً عند الباب الأمامي.

هما لم يُصبِحا بطول القامة نفسه بعد. لو كانا كذلك، لَما كان على ليو أن يقفزَ على ظهر والده عندما يبدأ هذا الأخير باستخدام رُكبتيه، وعندما يُدركُ ليو أنّ الوالد لن يتوقّف عن ذلك إلى أن يقضي عليها. حينها، كان ليو يتمسّك بظهره ويُطبِقُ بإحكام على رقبته، إلى أن يُمسك به والده أخيراً ويدفعه بعنف.

لكن عندئذٍ على الأقل يُفلِتُ الوالد رأسها، وينزلق ليو ويقع على الأرض. تضطرب والدته وتبتعد لخطوات، وتحمي وجهها الدامي بذراعيها. على الأغلب، يسيل الدم من جروح خدّها البليغة من جرّاء لكمات الوالد الذي يَلحقُ بها، ويُمسك بها مجدداً. يضربها بالطريقة نفسها؛ فهو يريد منها أن تنظر إليه أثناء لَكمِهِ لها.

لكمةٌ أُخرى بقبضة يده على أنفها وفمها.

لكنه يريد فعل ذلك مراراً، فيقف ليو بينهما ويرفع يديه لحمايتها.

لا بابا.

يقف في الفراغ بين أمٍّ دامية وأبٍ يريد أن يلكمها مجدداً ولا يستطيع ذلك؛ لأن هناك وجهاً آخر يعترض سبيله.

ويقوم ليو بالإمساك به بإحكام.

ليس من رقبته؛ لأن الوالد طويل جداً، ولا حتى من ذراعيه. لا يستطيع ليو أن يتمكن منه، ولكنه يستطيع فقط أن يمسك بخصره وبعض صدره.

لا بابا.

يحاول أن يثبّت قدميه على الأرض، لكن جوربيه ينزلقان فيضطر إلى إسناد نفسه بقوائم الطاولة، محاولاً بذل أقصى جهده للإمساك بوالده وإبعاده. لا يستطيع أن يفعل هذا تماماً، ولكن على الأقل أفلت الوالد شعرها.

تهرول الأم إلى خارج المطبخ متجهة إلى البهو والباب الأمامي الذي كان لا يزال مفتوحاً. تتعرض للانزلاق على الأرض المصقولة في فسحة الدرج، فيتدفق دمها، وتتلطخ بالدم كلما حاولت النهوض. تئنّ وتنوحُ عند كل درجة تنزلها في طريقها إلى الأسفل محاولةً الهروب.

بقي اثنان منهم فقط.

لا يزال ليو ممسكاً بوالده، وذراعاه حول خصره أو ربما صدره، وهو يميل إلى الأمام باتجاه والده وكأنه يحضنه.

"إنه دورك الآن ليونارد".

تملأ المكان رائحة الطعام- المعكرونة وصلصة اللحم- ودماء الأم. ينظرون إلى بعضهم بعضاً.

"أنت تفهم ذلك الآن، أليس كذلك؟ لن أكون هنا بعد الآن، ليس هنا. أنت ستكون المسؤول من الآن فصاعداً".

والآن تغيّرت عينا والده، ولم تعودا ضائعتين. وبالرغم من أنّ والده لم يَعُد

يَقول شيئاً، إلا أن عينيه قالتا الكثير.

ليس لأن ذلك مهمّ.

لكنّ هذه الرواية مبنيّة على قصة حقيقية.

الآن

القسم الأول

حبس ليو أنفاسه. مَرَّ الضوءُ الأبيض القويّ المُنبعث من المصباح فوقه، فدفع وجهه نحو الطحالب الرطبة والتوت البرّي، وضغط بقوّة بكامل جسمه الممدّد على الأرض للاختباء، إلى أن أُشيحَ عنه شعاعُ الضوء باتّجاه مكعّب الإسمنت الرمادي للتفتيش هناك. قام المفتش بثلاث دورات، وكان ليو مستلقياً هناك قريباً جداً منه، على بعد عدّة خطوات فقط داخل الغابة؛ فكان من السهل تعقّب روتينه في التفتيش.

أوّلاً، قام بتوجيه الضوء إلى قفل الباب المحصّن، باحثاً عن أيّ أثر للدخول أو الاقتحام.

ثم تجوّل حول المكعب الإسمنتي وضوء المصباح موجّه إلى سطح الجدران الإسمنتية.

أخيراً، وقف وأسند ظهره على الحائط وقام بالتدخين. يبدو أنه يأخذ استراحة في الظلام كي يتأكد من أنّ كل شيء يبدو تماماً كما كان في الليلة السابقة، متأثراً فقط بالرياح التي بَدَت هنا أكثر عصفاً من ذي قبل.

بدأ ليو بالتنفس مجدداً. إنه يستلقي على هذا النحو منذ سبع ليالٍ متتالية، وفي البقعة ذاتها بين جذعي شجرتين، وذلك عند حلول الليل ابتداءً من الساعة الثامنة تماماً.

كان كل شيء ساكناً ومن دون حركة، ما عدا الرياح ونعيب البومة المتواصل وحشرة عرضية بين الحين والآخر، حتى وصل المفتّش. كان وصوله الأبكر عند الساعة الثامنة والدقيقة الثانية والعشرين يوم الاثنين، أمّا وصوله الأكثر تأخّراً

فكان عند الساعة التاسعة واثنتي عشرة دقيقة يوم الأربعاء. أما الليلة– ونظر ليو إلى العقربين الأحمرين في ساعة يده– فكان العقربان يشيران إلى الساعة الثامنة وخمس وخمسين دقيقة. كانت سيارة الفولفو القديمة والبالية قد توقفت أمام السلسلة الحديدية السفلى في هذه الأثناء.

إنه شعور مميّز.

كان مستلقياً على بُعد بضع أقدام، مراقباً كلّ حركة يقوم بها رجل مرتدٍ زياً رسمياً ومتيقن من أنه بمفرده تماماً، وهو يأخذ مجّات عميقة من سيجارته. إنه مسؤولٌ عن كل مرافق التخزين العسكرية في ما يُطلَق عليها اسم منطقة ستوكهولم الدفاعية، أو الرقم 44.

قام ليو بتعديل "الميكروفون" الذي كان على ياقته ثم مدّ عُنقه، ورفع رأسه فوق التوت البرّي وهمس.

"رجل السرطان يغادر الموقع".

لا يزال من الممكن سماع الجلبة التي يحدثها الحذاء المطاطي، ورؤية وميض المصباح بين أغصان الصنوبر والشجيرات المتناثرة. وحالما سار المفتّش المترنّح باتّجاه طريق الغابة ماراً بفيليكس وڤينسنت والسلسلة الحديدية السفلى ووصل إلى سيارته وقادها في طريق البلدة العام، نَهَضَ ليو وجاسبر والتقيا أمام الباب الفولاذي المحصّن.

—

كانت القناة بين الغابة وساحة الحصى مليئة بالماء، وراح نعلا حذائه الخشنان ينزلقان على العُشب عندما بدأ بالركض والقفز. كان يحمل حقيبةً ثقيلة في إحدى يديه وألواحاً خشبية في اليد الأُخرى. نظرَ حوله، فشاهدَ ساحة مربعة كبيرة

مُحاطة بغابة ومُكعّباً إسمنتيّاً رماديّاً في الوسط. ذاك هو المكان الذي توجّه إليه. صندوق الذخيرة.

كان جاسبر يقترب من الجهة الأخرى وقد علقت في شعره الطحالب وأوراق الصنوبر الإبرية، فيما كان يحمل حقيبة ثقيلة.

لم يتفوّها بكلمة. لم يحتاجا إلى ذلك.

وَضَعَ ليو اللوح الخشبي- بقياس قدمين بقدمين- على الأرض أمام صندوق الذخيرة.

كان يفكر مليّاً في كيفية احتراق هذه الجدران منذ مدّة طويلة، وكانت هذه الطريقة هي الأكثر سرعة. إن تفجير الجدران الإسمنتية سيدوّي بشكل كبير.

ثم قام بتحليل مسألة السطح. قد يكون من السهل إزالة اللوح المعدني الذي يَعزِلُ المطر، وخرق ستّ بوصات إسمنتيّة من الأعلى، ثم إعادة اللوح المعدني ثانيةً. وقد لا يظهر السطح المتفجّر تحت ضوء مصباح المفتش، ولكن قد يُسمع الصوت.

بقي شيء واحد؛ الأرض حيث الضغط المعاكس. فقد يكون التفجير محكماً مقابل الأرض ومرتدّاً إلى الأعلى، لذا يمكن استخدام متفجّرات أقلّ، ممّا يُصدر صوتاً أخفّ.

رفع ليو عدة باوندات من العجينة البلاستيكية الثقيلة من داخل الحقيبة. كانت المتفجرات البلاستيكية عيار م/46: 86 بالمئة من البنثرايت و14 بالمئة من الزيت المعدني.

ركع على رُكبتيه وعجنها على ضوء مِصباحَي الرأس، وشكّل 12 كرة بوزن 1 أونصة للكرة الواحدة. كان من الصعب تَطرِيتُها، وكانت أكثر جفافاً من عجينة

حلوى الزنجبيل المباعة في المتجر، والتي تخرج من أنبوب بلاستيكي، قام بتشكيلها. لم تكن عرضة للتأثر بالرطوبة والصدمات، وكانت مقاومة تماماً إذا تمّ دفعها داخل النار، فهي تفرقع من دون أن تنفجر.

كان بحاجة إلى ثلاث عشرة قطعة لتفي بالغرض بشكل مضمون، أو ست عشرة، أو عشرين. ولكنه أراد اثنتي عشرة قطعة.

"هذا لا يكفي".

وضعها كلّ على حدة على اللوح الخشبي، بشكل دائريّ يُشبه الساعة، كلّ 1.5 أونصة من المتفجرات البلاستيكية تمثّل رقماً جديداً من الأرقام الاثني عشر.

"هذا يكفي".

"لكن طبقاً للجدول..."

"يستخدم الجيش فائضاً منها دائماً. فهو يحاول القضاء على الكثير من الناس في معركة واحدة، لكنني أستعمل النصف؛ فنحن نريد الوصول إلى الداخل، وليس تدمير ما هو في الداخل".

شاهد جاسبر ليو بأمِّ عينيه وهو يقوم بحركة خاطفة بيده لجَلبِ رفشٍ مطويٍّ من حقيبته ليبدأ بالحفر. كان ثقب باب يشبه باب الخزنة يَتَّسِعُ من الأمام ومن الأسفل مع كلّ حركة.

كانت كلّ قطعة من العجينة تُعتبر علامة لكلّ ساعة، إنها كالدائرة الزمنية.

كان يعلم أن هذا شيء سخيف، لكنه تعايش مع الساعة؛ فقد كان

دائماً يعرف الوقت، حتى لو لم تكن لديه ساعة. كانت الساعة تتكتك بداخله، فقد عاشت هناك وحسب، ولطالما كانت موجودة.

كان هناك ما يشبه خيط النايلون البني القاسي في أحد أقسام حقيبته؛ ثماني أقدام من "البنثرايت".

كان الخيط أشبه بالثعبان الذي يسعى فوق اللوح الخشبي من كتلة إلى أخرى من عجينة المتفجرات، وقد ثُبّت في مكانه باستعمال مادة لاصقة؛ بدءاً من الساعة الثانية عشرة، ثم الساعة الواحدة، فالثانية... وهكذا تباعاً حتى نهاية الوقت. استغرق وصل المتفجرات ببعضها حتى منتصف الليل، وبقي طرف قصير بارز؛ إنه الفتيل.

"هل أنت جاهز؟".

كان يفترَض أن تكون الحفرة تحت باب صندوق الذخيرة كبيرة بما يكفي لإقحام اللوح الخشبي بكامله. وكان جاسبر يتعرق وهو ينحني ويركع ليغرز رفشه عميقاً داخل الحفرة. اقترب منه ليو، كانت أذرعهما المتلهفة تصطدم ببعضها بعضاً كلما التقطت أيديهما ما لم يتمكن الرفش من الوصول إليه.

"الآن".

تمسكا بكل جانب من اللوح الخشبي، ودفعاه إلى الداخل شيئاً فشيئاً بهدوء، ليضمنا عدم التصاق أي من كرات المتفجرات البلاستيكية بأي شيء، وللتأكد من بقاء الفتيل خارج شريط التفجير كما يجب. وعندما تأكدا من أن اللوح المربع قد وضع تحت الباب؛ في مكانه بالضبط تحت البناء الصغير المكون من غرفة واحدة، قاما بجرف الحصى إلى داخل الفجوة وحولها حتى طوقاها تماماً.

"هل أنت راضٍ؟".

"أجل".

مرّت ساعات من الحسابات، ومضت أيام ريثما تمكّنا من الحصول على المواد.

قضى أسابيع منتعلاً حذاءه المطاطي، وقاطعاً المسافات سيراً على الأقدام من غابة إلى أخرى، حاملاً تحت ذراعه سلة من الفطر، ومتفقداً مرافق المخازن العسكرية السويدية. وعندما وجد أحدها في منطقة تدعى جيتريغن على بعد عشرة أميال جنوب ستوكهولم، أدرك أنه يستطيع أن يتوقف عن البحث.

بقيت بضع دقائق وحسب.

التقط الفتيل القصير البارز من ثقب في الباب وثبته بأداة للتفجير، وقام بعدها بتوصيلها بالسالب والموجب على السلك الكهربائي، قبل أن يتحرك بعيداً بقدر الإمكان عائداً إلى الغابة، ثم قام بوصل سلك على الطرف الآخر من الحبل إلى الطرف النهائي الإيجابي على بطارية الدراجة.

"فيليكس، ڤينسنت".

لقد قام بتعديل "الميكروفون" من قبل، والآن قام بتعديل سمّاعتي الأُذنين.

"ماذا؟".

"هل حصلت على رؤية واضحة؟".

"رؤية واضحة".

لم يقم بأي حركة.

"عشر ثوانٍ".

كان بمفرده، رياح خفيفة وليس أكثر من ذلك.

"ثم سأدعه ينفجر".

—

"عشر ثوانٍ".

استلقيا قرب بعضهما تحت الكمين المغطّى بالأوراق والطحالب والحشائش قرب سلسلة حديدية باللونين الأحمر والأصفر تحمل لافتة معدنية تقول ممنوع الدخول لغير المرخّص لهم.

"ثم سأدعه ينفجر".

كان ڤينسنت يحمل بإحكام زوجاً من أدوات قطع الأقفال بطول خمس أقدام تقريباً.

رفع فيليكس الجزء الأعلى من جسمه وتفقد ساعته، ومسح بإصبعه زجاج القرص المدرج، والرطوبة التي تحولت إلى بخار.

"تسعة".

قام بمسحها حتى تمكن من رؤية العقرب الثاني للساعة، ثم أومأ لـڤينسنت الذي بدا قلقاً. كانت أنفاسه قصيرة وقوية وسريعة.

"ثمانية".

"هل أنت على ما يرام؟".

"سبعة".

لم يُجِب ڤينسنت، حتى إنه لم ينظر إلى أخيه.

"ستة".

حتى إن القماش اهتز على ظهريهما.

"خمسة".

"لم يأتِ أحد، ڤينسنت. نحن بمفردنا هنا".

"أربعة".

"هل تفهم هذا؟".

"ثلاثة".

حرّك ذراعيه من كتفين مرتجفتين إلى يدين تمسكان بإحكام بالأدوات المتفجرة.

"ڤينسنت".

"اثنان".

"أنت تتخيل الأشياء وحسب. ليو هناك، وهو من قام بالتخطيط للأمر برمّته. كل شيءٍ سيكون على ما يرام ڤينسنت. وهذا أفضل، أليس كذلك؟".

"واحد".

"ڤينسنت، من الأفضل أن تكون متورّطاً، و... أتعلم؟ هذا أفضل من الجلوس على الأريكة في المنزل من دون أن تعرف أي شيء".

—

دوّى الإنفجار بصوت أعلى مما كان يتوقع. زادت القنبلة من تضخيم صوت 17 أونصة من لدائن المتفجرات. وعندما انفجرت أرضية الغرفة الوحيدة في المبنى، ضخّم صندوق الصوت الصوت التالي أيضاً، وتطايرت قطع الإسمنت باتجاه السقف.

كانا قد اتّفقا على الانتظار في مكانيهما لفترة خمس دقائق، لكنّ هذا لم يحدث.

فقد زحف ليو، وتقدم ببطء، وانسل فوق الحصى الرطبة ممسكاً الرفش القابل للطي في يده. ثم ضحك بصوت مرتفع– من دون أن يدرك في البداية أنه يضحك بطريقة نادراً ما كان يضحك بها– عندما جثم على ركبتيه ومدّ ذراعه اليمنى تحت الباب المحصن وتلمّس المكان... لا شيء. كانت هناك حفرة فعلاً! قام بفتح الرفش، وغرف المزيد من الحصى، وأدخل مصباح الرأس في الحفرة وأضاءه.

"جاسبر".

اتجه نحو الغابة وصرخ عالياً بما يشبه الضحك، وكان ذلك التصرف غير إرادي.

"تعال إلى هنا! تعال وشاهد هذه!".

انتشر ضوء مصباح الرأس في غرفة من دون نوافذ. وهناك، عندما انسل إلى الداخل، تمكن من رؤيته بشكل واضح، أول حرف بالفعل.

الحرف "ك".

يا إلهي! يا إلهي!

أدخل رأسه في الحفرة أكثر فظهر الحرف الثاني ببطء.

الحرف "س".

يا إلهي. اللعنة.

استمر بالبحث فرأى حرفاً آخر، الحرف "ب". حشر نفسه، ثم لوى رقبته إلى الأعلى ليقترب من الصندوق في أسفل الكومة، الرقم 5، معظم الجانب كان واضحاً على حافة الأرضية المتفجرة، الرقم 8، حروف بيضاء على خلفية خضراء.

ك س ب 158

كان على حقّ.

السماكة، تحديد المكان المناسب، الحديد المسلح؛ كلها مرتبة بالضبط كما اعتقد. صرخ مجدداً.

"فيليكس، ڤينسنت".

"ماذا؟".

"القفل".

"نحن نقوم بالعمل عليه الآن".

"حسناً، عندما تنتهي ادفعه إلى الأعلى، إلى هنا".

أسقط ليو "الميكروفون"، وسحب سماعة الأذن إلى الخارج. وساد الصمت لمدة خمس دقائق. حتى الآن قاموا بتنفيذ كل خطوة بحسب الترتيب الذي خطط له. كان هناك رجلان مستلقيان على جانب تلة في الغابة قرب الطريق. وكان هناك رجلان آخران مستلقيان على قمة تلة الغابة قرب المبنى الإسمنتي ذي الأرضية المفقودة جزئياً.

الآن، آن أوان الخطوة التالية.

كانت كتف جاسبر مقابل كتفه عندما كانا يحفران الحفرة في الأرض، قاما بالحفر إلى أن تمكن من حشر رأسه وكتفيه وذراعيه في الداخل. وبالاستعانة بالكماشة، قام بقطع سلك الفولاذ المقوى الذي على شكل هيكل شبكة القضبان المتصالبة الإسمنتية. قام بقطع الشبكة وانتزاعها ثم فتحها، ثم أسند ظهره إلى الأرض عندما بدأ الإنفجار، وضغط بيديه على جانبي الحفرة إلى الأعلى ثم عبر الحفرة.

قام بتعديل مصباح الرأس الذي انزلق قليلاً على صدغه المتعرق، ثم نظر حوله.

إذا وقف في وسط الغرفة وبسط ذراعيه فسيتمكن من لمس الجدارين أو السقف. فقد كانت الغرفة صغيرة بما يكفي بالنسبة إليه ليتمكن من القيام بذلك.

ست أقدام بست.

إن شعاع الضوء على سلك الفولاذ المقوى بدا أشبه بشجيرة متنامية وسط الأرض المتفجرة، إذ بدا الأمر كما لو أن الأغصان ممتدة في كل ناحية، ثم على امتداد الجدران، وفوق كدسات الصناديق الخشبية الخضراء.

انبعث صوت جاسبر عبر النفق: "كم عددها؟".

"الكثير".

"كم عددها؟".

قام ليو بعدّها بصوت عالٍ.

"فصيلة. فصيلتان. ثلاث فصائل. أربع..."

مجموعة من أربعة وعشرين صندوقاً عسكرياً أخضر.

"... شركتان كاملتان ملعونتان!".

حان الآن دور جاسبر ليحشر جسده الطويل داخل النفق الوسخ، وكان يضحك كل الوقت. فعلى غرار ليو، لم يستطع التحكم بالأمر. كانا يقفان بالقرب من بعضهما في غرفة، وكان غبار الإسمنت يندفع كالسهام في الظلام بعد كل نفس، ويتموج برقة في الضوء المنبعث من المصابيح.

"هل أفتح الآن أو لاحقاً؟".

"حتماً الآن".

وضع يده بحذر على الصندوق الخشبي. كان سطحه خشناً وغليظاً. كان من السهل بالنسبة إليه أن يزيل المسامير ويرفع الغطاء.

وهناك وجدا الرشاش الأوتوماتيكي بوزن 6.25 باونداً. التقطه ليو، وسلّمه إلى جاسبر الذي أثنى ساقيه ببطء ومال بجسده إلى الأمام من أجل تثبيت نفسه خوفاً من الارتداد. لم يكن يفكّر، بل كان فقط يجرب الحركات التي تعلّماها خلال خدمتهما العسكرية. كان طول الرشاش 50.2 إنشاً. نظرا إلى بعضهما كشخصين في نهاية رحلة طويلة يحاولان فهم حقيقة وصولهما الأخير. كان معدل إطلاق النار: 600-850 دورة في الدقيقة. كانا قد أمضيا أمسيات في الغابات، وليالي أمام رسوم وهما يحاولان أن يحددا سماكة بلاط الأرضية، وما هي قوة 12 كرة من المادة المتفجرة؛ أي ذلك الصوت المدوي الذي سمعاه. والآن، كلاهما هنا، في هذه الغرفة التي خبّأت أنواعاً مختلفة من المعدات لنوع مختلف من العمل.

"كم عددها باعتقادك؟ هل يمكنك التخمين؟".

كان ليو على وشك فتح الصندوق التالي، لكنه توقف. كان الجواب على

ما كانت النفس تمني به معلقاً وراء كتف جاسبر، لكنه كان مغطى بالغبار الأبيض.

"لا أحتاج إلى التخمين".

كل ما كانوا بحاجة إليه هو قطعة من الورق في كيس من النايلون معلق بعقيفة على الحائط، على يسار الباب المقفل، ويليها قلم معلق بخيط.

"الصف الأول: 124 من البنادق الرشاشة الصغيرة، 45/م. الصف الثاني: 92 من البنادق الرشاشة الأوتوماتيكية الهجومية من طراز 4. الصف الثالث: 5 من البنادق المدفعيّة الرشّاشة من طراز 58.

التفت ليو حوله وقال: "قائمة مفصلة. إجراءات وأنظمة عسكرية". قاما بفتح كل صندوق وتفقده على حدة. قطع معدنية مرتبة جنباً إلى جنب مشحّمة جيداً، ووُضّبت بعناية.

"اللعنة، هل يمكنك أن تصدق هذا جاسبر".

قام ليو بانتزاع القائمة من العقيفة بعنف، وقرأ ما كتب عليها بعناية.

124 و92 و5.

ثم استمر بقراءتها حتى النهاية هذه المرة.

وهناك...

تحت النص المطبوع والمفصل عن الأنظمة والروتين، تماماً عند أسفل القائمة...

"هذا المكان..."

"... قد تمت معاينته..."

وانحنى إلى الأمام أكثر، ووجّه مصباح الرأس على الورقة البيضاء التي كتب عليها باليد بقلم حبر.

كان هناك توقيع لأحدهم غير مقروء.

وفوق ذلك التوقيع، كتبت السنة...

وفوق ذلك، كتب اليوم.

"... الجمعة، 4 أوكتوبر".

"نعم".

"منذ أقل من أسبوعين".

"و...؟".

قام ليو بالتلويح بالورقة عالياً حتى لامست السقف.

"يقوم الحراس بفتح الباب المحصن لتفقد المكان في الداخل مرة واحدة فقط كل ستة أشهر. هل أنت مركّز معي؟ هذا يعني... أنهم لن يكتشفوا ما حصل هنا قبل مرور خمسة أشهر وسبعة عشر يوماً!".

—

"من فيليكس إلى ليو!".

قام فيليكس بضغط الزر الأحمر في جهاز الإرسال، وحاول الصراخ عدة مرات، لكنه لم يتلقَّ أي جواب، وكانت كل صرخة أعلى من سابقتها.

"أكرر، من فيليكس إلى ليو! هل تسمعني؟".

كان فيليكس ينتظر بفارغ الصبر آملاً في أن يسمع صوت ليو الذي يبدو أخيراً أنه يطقطق الآن عبر "الميكروفون".

"ماذا؟".

دويٌّ مكتوم؛ هذا ما تقلص إليه صوت الانفجار بعد أن اجتاز مسافة 190 ياردة، وسبق أن تلاشى في الهواء.

"إنها مسألة... القفل".

بعد الدوي المكتوم، استلقيا جنباً إلى جنب تحت قماش القنب لمدة خمس دقائق من دون حراك- حسب أوامر ليو- وقام بحساب هذا الوقت مستخدماً أنفاس ڤينسنت، نَفَس في كل ثانية، حتى أصبحا على يقين تام بأن أحداً لم يأتِ.

"القفل!".

"نعم".

انتظرا خمس دقائق، ثم طبقاً للخطة، كان يتعين عليهما أن يهاجما أكبر قفل شاهداه على الإطلاق، بالإضافة إلى استعمال أطول قاطع للأقفال في السوق، والذي كان بطول خمس أقدام.

"نحن لم نعد نعمل بحسب الجدول بسبب..."

"بسبب ماذا؟".

"... لدينا مشكلة".

—

قام ليو بِحَشرِ جسده عبر الحفرة في أرض حجيرة الذخيرة، ثم خرج وسار على الحصى. لم يكن يتوقع ذلك، فإذا لم يتمكّنا من فتحه، فعندئذٍ كل هذا العناء سيذهب هباءً.

ركض إلى أسفل التلة على طريق الغابة الوعر باتجاه أخويه الأصغر سناً، واللذين كان كل منهما يجلس على أحد جانبي العارضة الحديدية.

"أنا آسف، اللعنة".

إلى حدّ ما خلال ذلك الصيف الدافئ والمشمس، أصبح هو وڤينسنت بطول القامة نفسه. لكن، ما زال ولداً في السابعة عشرة من عمره مختلفاً تماماً عن رجل في الرابعة والعشرين.

"ليو... إنها لا تعمل، لا أستطيع أن أقوم بذلك".

قام ڤينسنت بهزّ كتفيه النحيلتين استهجاناً، وفتح ذراعيه اللتين بدتا طويلتين جداً بالنسبة إلى جسده.

نظرا إلى بعضهما بعضاً إلى أن تحرك ڤينسنت جانباً.

"فيليكس، ثم أنا وأنت سنقوم بذلك".

جلس ليو حيث كان ڤينسنت يجلس، وفتح قاطعة القفل على اتساعها، ثم أمسك بيديه أحد طرفي قاطعة الأقفال في حين قام فيليكس على الجانب الآخر من العارضة بالإمساك بالطرف الآخر بكلتا يديه أيضاً.

"الآن أخي".

كلاهما حشرا جسديهما قبالة قاطعة الأقفال التي قضمت القفل، وكأنهما جذّافان يسحبان مجاذيفهما إلى صدريهما، يسحبان ويسحبان. وفي تلك اللحظة

تماماً– كانت أصابعهما وأيديهما وأذرعهما ترتجف، وتتشنج، وتصرخ– في تلك اللحظة، حدث أن قاطعة الأقفال قطعت الفولاذ السميك إلى قسمين.

—

كانت الشبكة الأولى ملاصقة لشجرتين وحيدتين، والثانية بين الأغصان الكثيفة للأشجار الراتينجية. كانا يتمرنان في مرأب في سكوغاس في الأمسيات، وكانت آخر مرة تمرنا فيها في الخارج قرب دريفكين، وذلك في المساء على غرار هذا المساء. أصبح من السهل الآن سحب شبكتي التمويه اللتين خبأتا الشاحنتين، والقيام بلفهما ورميهما على السطح الفارغ. إنهما شاحنتا "ميتسوبيشي" حمراوا اللون. إنهما من نوع المركبات التي يقودها أولئك الذين يملكون شركة مقاولات.

في حين ركض ليو باتجاه التلة، أدار الآخران محرّكَي الشاحنتين، وتوليا قيادتهما عبر الطحالب وشجيرات التوت البري. لم يكن ڤينسنت في السن المناسبة التي تسمح له بالحصول على رخصة قيادة بعد، غير أنه لم يحتج إلى الكثير من الوقت ليقود صعوداً إلى التلة بعد ذلك.

—

ثماني أذرع، وأربعة أجساد تفصلها عن بعضها بضع ياردات.

كان جاسبر راكعاً داخل غرفة الذخيرة، ويضع كل بندقية في النفق على حدة، وكان ليو يقف في الخارج لاستلامها منه، أمّا فيليكس فكان يقف وراءه تماماً، فيما يقف ڤينسنت على سطح الشاحنة.

استغرقت عمليّة نقل كلّ قطعة من السلاح بين مجموعتين من اليدين ثانية ونصف الثانية فقط.

"مئتان وواحد وعشرون سلاحاً أوتوماتيكياً".

كان كل غرض يغادر مكعب الإسمنت يوضع على المنصة في ست ثوانٍ.

"ثمانمئة وأربع وستون ذخيرة".

نظر إلى العقربين الأحمرين في ساعة معصمه. يتعين عليهم أن ينتهوا من مهمتهم في غضون ثلاثين دقيقة وثمانٍ وأربعين ثانية.

—

قاموا بإزالة بقايا المتفجرات، وملأوا الحفرة تحت الباب من الداخل والخارج بالحصى. قاموا برصِّها جيداً، وداسوا عليها بقوة، ثم رصّوها مجدداً. ارتدوا بذلات من قطعة واحدة، زرقاء اللون، من دون أكمام مع قمصان زرقاء يرتديها العمال عادةً، ووضعوا فوقها سترات سوداء عليها شعار شركة بناء في أعلى الكم. فتحوا البوابة وخرجوا منها، عندما قفز فيليكس وفي يده قفلاً مماثلاً للذي قطعه للتوّ؛ فقد قضى وقتاً طويلاً وهو يبحث عن قفل يحمل الرقم المتسلسل ذاته، إذ كان من الضروري أن ينزلق المفتاح بسلاسة، بالرغم من أنه قد يكون من المستحيل أن يدور. في الأمسية التالية، عند الساعة التاسعة، عندما سيصل المفتش في سيارته الڤولڤو الوسخة ليصغي إلى البومة السمراء، ويدخّن سيجارته، ويتجوّل حول مستودع الأسلحة العسكرية عند أعلى التلّة. قد يبدو له كل شيء على حاله تماماً، وكأنّ شيئاً لم يُمسّ قط. إن قائمة الجردة المحضّرة بدقة شديدة أكّدت أنه ستنقضي نصف سنة قبل أن يتمّ تفقّد مستودع الذخيرة مجدداً، والذي لن يبدو بعد الآن وكأنه لم يُعبَث به.

لم يدرك ليو أنه كان يغني بصوت عالٍ لوحده أثناء رحلته من هورنسغاتان إلى جسر ليلجيهولم على الطريق السريع رقم "إي 4". وكان قد صار في منتصف الطريق حين بدأ يسمع صوته وهو يغمره داخل الشاحنة الصغيرة.

توجّه جنوباً من داخل المدينة تحت المطر.

اشترى القهوة وشطيرة من كشك لبيع القهوة، ومن ثم عَبَرَ الشارع في طريقه إلى مركز الشعر المستعار في فوكوبران. كان الزبون الأول في ذلك اليوم، وقام بفضول بمراقبة الأصابع التي كانت تغزل بعض الشعر على مؤخر الرأس البلاستيكي، بينما كانت المرأة الشابة توضح له أنها تستخدم شعراً حقيقياً قامت بشرائه بكمية كبيرة من آسيا، وأنهم قاموا بتبييضه وصبغه. ثم ذهب إلى مركز العيون في جروتنينغاتان وأخذ العدستين اللاصقتين اللتين كان قد طلبهما.

أنا سأقرّر أيَّ انطباعٍ سأترك، بِتَضليل الـمُشاهِد.

نظر إلى المرآة الخلفية. عينان زرقاوان وشعرٌ أشقر. لطالما كان الأكثر شبهاً بوالدتهم. فقد كانت ملامحه شقراء؛ شعر أشقر ضارب إلى الحُمرة، وكان لديه أنفها، لكنه أصغر وأكثر نحولاً وذو غضروف قاسٍ كالغرانيت. تلك العينان والشعر والأنف تعني أنه لن يشك به أحد من الغرباء، ولا غرباء الجيل الثاني أيضاً. لطالما كان الأنف السويدي الصغير والمستدق يعني التعرض لأسئلة أقل وانتباه أقل، وإذا طُلِبَ من صانع الشعر المستعار وصانع العدستين اللذين زارهما في البلدة هذا الصباح أن يعطيا مواصفات أي زبون دفع نقداً في ذلك الصباح، فسيقومان بوصف أحد يشبه الآخرين تماماً.

سيصفان شخصاً يشبه الآخرين؛ إذاً لن يلاحظه أحد.

غادر الطريق السريع في آلباي، حيث انتهت الخطوط الثلاثة بخطين، ومرّ بمحطّة "شِلّ" ودار عبادة القرن الثاني عشر الجميلة، حيث المرتفعات العالية وطريق الأسفلت التي أدّت إلى المروج والغابات. بعد مرور دقائق قليلة على قيادته على طريقٍ سريعٍ باتّجاهين، تمطط لوقت قصير والتوى بشكل مشدود.

تَمَهَّل.

هناك.

إنّ العارضة الحديدية التي قام فيليكس بتغيير قفلها فقط منذ سبع ساعات خَلَت، هي نفسها العارضة التي سيقوم رجل في العقد السادس من عمره بعد عشر ساعات فقط، بعد إيقافه سيارته الڤولڤو، وإطفائه سيجارته، بالسير فوقها.

كان سيبدأ بالغناء مجدداً، لولا هطول المطر الذي بدأ في الليلة الماضية وأصبح أكثر سوءاً الآن. وكانت مسّاحتا سيارته تتشاحنان مع قطرات المطر الصغيرة التي تحوّلت إلى جداول. كان المطر يتساقط أيضاً فوق حفرةٍ حُفِرَت مؤخراً بحجمٍ يتلاءمُ مع حجمِ رجل، ألا وهي نفق تحت الإسمنت. كان رجل السرطان سيذهب إلى هناك، وسيدوس بحذائه المطاطي على الحصى التي تغطي الحفرة. كانوا قد وضّبوها ورصوها وصقلوها، ولكنهم لم يتمكنوا من جعل عملهم يحلّ محلّ العمل الذي صنعه الزمن. وإذا استمرّ هطول المطر، فستغرق ببطء، وستتآكل، وسيكشفها مصباح المفتّش.

أحتاج إلى الوقت.

لا يجب أن يُكتشفَ ذلك الآن لمجرّد أن عملَنا عملٌ قذرٌ، بل يجب أن يُكتشف في غضون خمسة أشهر عندما يُفتح الباب.

أحتاج إلى الوقت لأبتكر وسيلة جديدة في العمل، وسيلة تزيد أرباحي من

دون أن تزيد مخاطري في تشكيل فريق. لذا، لا يجب أن أبقى هنا. يجب أن أخرج، وأن أسير تحت المطر، وأتفقد المكان لأتأكد من عدم ظهور الحفرة. هذا ما يجب أن يكون عليه الحال بالتحديد.

الأحمق فقط هو الذي يستغرق أشهراً لوضع خططه، ويصون غنيمته، ومن ثم يعود إلى مسرح الجريمة في اليوم التالي.

وانطلق سالكاً الطريق نفسها كالليلة الماضية، وفي المركبة نفسها، ولكن قيادة شاحنة غير محمّلة بالأسلحة كانت أسهل بكثير.

—

كان الجيران والمارّة يطلقون على موقع البناء هذا اسم "البيت الأزرق". فهو عبارة عن مكعّب معدني كبير، كان يوماً مصنع "غاملا تومبا للأخشاب". أوقف ليو سيارته في المكان نفسه الذي أوقفها فيه في الليلة الماضية. كانت مقدمة سيارته مقابل شجيرات متناثرة، وبعيدة عن الطريق العام العريض، وبالقرب من صندوق مقفل طُلِي بالأسود.

إنها منطقة جيّدة الموقع. كانوا يفرغون حمولتهم من الأسلحة من دون أيّ مقاطعة من أحد، مختبئين عن أنظار المارة على الطريق العام وسكان البيوت القريبة.

قام بإنزال زجاج نافذته والإصغاء إلى الأصوات المألوفة المنبعثة من موقع البناء الكبير، موسيقى عالية تتصاعد من راديو تكسوه بُقَعُ الدهان، قام بتزرير آخر زر في قميصه الأزرق، ثم رفع حمّالتي بنطاله الأزرق، وتمطّط، وخرج.

البيت الأزرق.

إنه مصنع كبير لصناعة الأخشاب. لطالما كان هيكلاً فارغاً، وقد استغرقوا عدة أسابيع فقط لإزالة البضائع القديمة منه، ومن ثم قاموا بتدعيم الأرض بالعوارض

الخشبية، وبعد ذلك عزلوها وثبتوا الأرضية وقسموها بقواطع جدارية. وهكذا عملوا في كل مساحة على حدة، إلى أن تحول المبنى إلى مركز لأعمال مستقلة صغيرة، مما جعل أحد تجار المعارض يحاول أن يفتتحه "كمركز سولبو".

"هل اعتنيت بكل شيء؟".

لم يفكر يوماً كيف كان فيليكس يبدو وهو يمشي. إذ كان أخوه الذي يصغره بثلاث سنوات يمشي باتجاهه في باحة مرأب السيارات المؤقّت، وهو يبدو شبيهاً بوالده إلى حدّ كبير في كل خطوة يخطوها. كان يشغل حيّزاً كبيراً من المساحة. قدماه بعيدتان عن بعضهما، كتفاه عريضتان، ساعداه مكتنزان وقد أبعدهما عن جسمه كما لو أنه يتمطّى أثناء مشيه. كان يبدو كسولاً؛ على غرار الرجل الذي سار يوماً عبر الشقة التي كانت عالمهم منذ زمن طويل. هذا ما نفعله؛ نغش، ونرث، ونستدين.

أنا أبدو كماما، وأنت تبدو كبابا.

"هل فهمت يا فيليكس؟ تولَّ أمره".

"أعتقد أن كابي يحاول أن يطعننا في الظهر في الدفعة الأخيرة تلك".

هدأ ليو من روع فيليكس بطريقة لم يتمكن من شرحها. كان يجب أن يكون الأمر عكسياً، فبتلك الملامح والطريقة التي تحرك بها فيليكس، كان يتعين عليهم أن يجعلوا كابي قلقاً ومُستغلاً.

"هو في الداخل يعدّ الأغراض المسروقة".

"هل تولّيت أمر هذا؟".

بدأ أخوه الأصغر بنزع الغطاء الذي كان يغطي سطح شاحنة الشركة

الثانية.

"أنا منزعج من كابي وتذمره الغريب. وكأن له الحق في رفض دفع المال لمجرد أننا لم نعمل بحسب البرنامج المحدد! وكأن هذا كان منصوصاً عليه في مكانٍ ما من العقد!".

"أنا سأتولى أمر هذا. لكن، هل توليت أمر الجزء الخاص بك؟".

أزال فيليكس الغطاء الأبيض.

"المقطع الثالث والثمانون. تقويم الأعضاء، حسبما أعتقد. لقد قمت بفتحه، وتقليبه، وبدأ ڤينسنت يشعر بالألم المبرح في ساقيه فجأةً".

ما إن رفع الغطاء حتى ظهر صندوق خشبي عريض ذو مقبض معدني لامع في وسط الشاحنة، ويليه تحت زوج من البطانيات الصفراء التي عليها شعار المستشفى كرسيٌّ مدولبٌ مطويٌّ.

"ماذا عن مَسنَد الرِّجل؟".

"إنه يعمل".

قاموا بقيادة الشاحنتين لتكونا على مقربة من بعضهما، ثم فتحوا قفل الحاوية السوداء؛ تلك الحاوية التي تقوم كل شركة بناء بتثبيتها في موقع البناء لتخزين المعدات والأدوات. وعندما فُتحت الأبواب، لم تكن الرؤية واضحة في كل الجوانب. تمكّنوا من رفع الصندوق الفارغ وحمله إلى الداخل.

كان هناك ضوء ساطع صادر من منطقة سكنية على بعد عدة أقدام فقط من الطريق العام المزدحم. وقفوا هناك أمام أكوام من الأسلحة الأوتوماتيكية. في عتمة الليل، عملوا بالطريقة نفسها مثلما فعلوا خارج حجرة الأسلحة، ولكن بشكل

معكوس. فقد قام ڤينسنت بحمل الأسلحة التي كانت على سطح الشاحنة وناولها لفيليكس الذي ناولها بدوره لجاسبر ومن ثم وُضِعت داخل الحاوية.

"أين كنت يا ليو!؟".

دوّى صوت كابي عالياً.

"كيف ستنهي هذا كلّه اليوم!؟".

كان يسير في الخارج ويقترب من الحاوية.

كان في العقد السادس من عمره، ويرتدي سترته الزرقاء التي كانت تلائمه تماماً في ما مضى، ولكنها الآن أصبحت ضيقة على بطنه المنفوخ. وكان يحمل في يده فنجاناً من القهوة وكيساً من حلوى القرفة.

"وهل أتيتَ إلى هنا في الأسبوع الماضي؟".

تنفّس ليو بهدوء، ثم همس لفيليكس:

"أغلِق هذا مجدداً، وسأتولى أنا أمره".

ترك الحاوية، وذهب لمقابلة الرجل ذي الوجه الأحمر الذي يصرخ.

"ليو، أنتَ لم تكن هنا البارحة! لقد ناديتك عدّة مرات! لقد كنت تعمل على شيء آخر. لكن، مهما كان عملك ذاك، فهو لم يكن إكمال هذا البناء!".

ألقى نظرة سريعة من فوق كتفه، ورأى فيليكس وهو يغلق بابَي الحاوية الثقيلة، ثم سمع صوت إغلاق قفل ثقيل. كانت المحتويات قد حُجِبَت عن الأنظار، وصار المكان مجرد موقع بناء عادي.

"لكننا هنا الآن، صحيح؟ وسوف..."

"لن تقوم بهذا!".

"سنقوم به اليوم؛ تماماً كما اتفقنا".

كان كابي يلهث بشكل واضح أثناء سيرهما نحو البناء، فقد كانا يسيران بسرعة أكبر مما اعتاد عليه. هناك، في الطابق الثاني على طول الممر، سيكون هناك مطعم هندي بالقرب من محل لبيع الزهور، على مقربة من حجرة مخصّصة للتعرض لأشعة الشمس. وفي الطابق السفلي شركة للعجلات، ومحل للطباعة، وصالون للعناية بالأظفار. وهناك بالقرب من الجدران الداخلية التي أحاطت بإطار مطعم "روبان بيزيريا"، كان جاسبر وڤينسنت يثبّتان معاً لوحاً قاطعاً من الجص. فَبَعدَ شهر من الآن، سيجلس أحدهم على هذا الجانب لأكل البيتزا الشهية المغطاة بالجبن، وعلى الجانب الآخر سيقوم أحدهم بتثبيت الأظفار وطليها.

"أرأيت!؟ أنت لم تنهِ العمل، اللعنة!".

ذلك الصوت المشؤوم. إنه عالي النغمة وثقيل وعجوز وعجول مثل المشرف العمالي.

"سننهي العمل قريباً".

"حقّاً؟! لدي مستأجر لعين سينتقل إلى هنا غداً صباحاً!".

اختفى كابي في مكان ما في الظلام، غير أنه سرعان ما عاد من دون حلوى القرفة ومع فنجان القهوة، وتابع:

"ونحن لدينا عقد!".

"وإذا قلتُ إننا سننهي العمل قريباً، فهذا يعني أننا سننهيه".

"وإذا لم تفعل، فسأحتفظ بالدفعة الأخيرة. هل هذا واضح بالنسبة

إليك؟".

لكن ليو لم يكن يفكر في هذا، بل كان يفكر في رغبته بلكم كبير العمال ذاك على فكه.

"ليو، هل تصغي إليّ؟ لقد كنت هنا منذ... أن تقابلنا في المرة الأخيرة، أي منذ عدة أيام! وأنت، أين كنت؟".

أراد ليو أن يذهب إليه، وينظر إلى عينيه مباشرة.

" لم يكن أحد منكم موجوداً هنا كل الأسبوع!". ثم نفخ نفخة واحدة.

"أنت المشرف العام يا ليو، وأنا أدفع المال لمكتبك لقاء خدماتكم! لذا، الأمر منوط بك لتتأكد من وجود أحد هنا ليقوم بالعمل! بحق الله، ما الذي تنوون فعله يا شباب، ليو؟".

لكن، لا يجب أن تلكم أحدهم على أنفه عندما تطبّق طريقة جديدة في العمل وفي تكوين فريق.

لذا، بدلاً من ذلك، قام ليو بوضع ذراعه على كتف كابي كالعادة.

"عزيزي كابي، هل خذلتك يوماً؟ وهل سبق لي أن قمت بعملي بشكل سيئ؟ هل تأخرت يوماً عن عملي؟".

"كلّا، لكن..."

وقام كابي بإبعاد جسمه عن ذراع ليو التي تلف كتفيه بإحكام، وبدأ بالركض نحو الزاوية الأخرى من البناء المعدني.

"الجدار هنا! صالون الشعر! هناك طبقة من الجص مفقودة!".

وقام بالإشارة إلى عدة اتجاهات في وقت واحد.

"هل يتعيّن على السيدات العجائز أن يَقُمنَ بتمويج شعرهنّ؟".

واستمرّ بصعود الدّرج.

"هنا، حجرة التشمّس! انظر، وهنا، محلّ الزهور، لم ينتهِ الباب بعد! أربع بلاطات متشقّقة... هل ينبغي على الناس أن يسيروا على هذه بأحذيتهم الرطبة؟!".

ركض نزولاً على الدّرج، ومن ثم اتجه نحو الخارج إلى مرأب السيارات تحت المطر الذي بدأ يهطل برفق للتو.

"و... تلك الحاوية اللعينة! كان عليك أن تنقل هذه من هنا! من المفترض أن يصبح هذا المكان مرأباً لسيارات الزبائن بَعدَ أسابيع قليلة!".

وقام الرجل القصير والسمين بالضرب بكفيه على الحاوية التي كانت تشغلُ حيّزاً كبيراً في مرأب سيارات الزبائن عدة مرات!

كان الصوت الذي صدر منها خافتاً لأن مساحة التخزين ممتلئة.

"هدّئ من روعك قليلاً. لا نريدك أن تصاب بسكتة قلبية، اتفقنا".

كان وجه مراقب العمال شديد الاحمرار بعد الركض لفترة طويلة، وبسبب استشاطته غيظاً، وكان مبللاً بالعرق.

"سننتهي من العمل بعد منتصف الليل. أنا بحاجة إلى هذه الشركة، ولا أعتقد يا كابي أنّك تدرك حقاً كم أحتاج إليها. فشركة البناء الخاصة بي وتعاوننا معاً مهمّان بالنسبة إلي لأتمكّن من... التوسّع".

كان صاحب الوجه المتعرّق يراقبه.

"التوسّع!؟".

"زيادة الربح وتقليص المخاطرة".

" أنت خسرتني الآن".

"حسناً كابي، لا بأس، لكنك لا تبدو بحالة جيدة، فأنت تتنفس بصعوبة. إنني قلق عليك. يجب أن تذهب إلى منزلك وترتاح. سننهي العمل في منتصف الليل، ويمكنك الاعتماد عليّ".

تمطّى كابي قليلاً، وأبقى يده مرفوعة عالياً بينهما.

"حقاً؟".

كانت يد كابي صغيرة ورطبة وليّنة عندما لامست يده.

"رائع. إذاً، سيتم إنهاء العمل اليوم، أنا قلت ذلك. ثمّ سأقدّم لك بعض حلوى القرفة. هل اتفقنا؟".

وقف ليو بين الحاوية والسيارة إلى أن تأكّد تماماً من أن مراقب العمال كثير الكلام قد أصبح بعيداً، ثم أصغى إلى الذين يطنّون ويضجّون- فيليكس وڤينسنت وجاسبر- وهم يتأكدون من النساء، ومن إمكانية شراء الزبائن من محل الزهور بأحذية رطبة.

كان واقفاً هناك وهو يضرب بيديه الملوثتين بالشحم حاوية مليئة بالأسلحة الأوتوماتيكية، من دون أن تكون لديه أي فكرة.

ولكن، في المرة التالية قد يرغب بفتحها.

بدأ ليو بالسير، لكن ليس نحو الجدران والأرضيات التي تحتاج إلى إضفاء اللمسات الأخيرة عليها خلال اثنتي عشرة ساعة، بل اتّجه إلى الناحية الأخرى. عبَر الشارع ودخل المنطقة السكنيّة ليحاول حلّ مشكلة التخزين. تماماً بالقرب من الشارع العام الكبير، كان هناك منزل صغير من طابقين، ذو فناء مسيّج ومن دون عشب. كان قد سبق له أن رأى بعض الأشخاص وهم ينقلون المفروشات منه. والآن، توجد في الخارج لافتة كُتِبَ عليها "للبيع". سار بموازاة سياج مترابط بالسلاسل باتجاه البوابة، ودخل وسار فوق الإسمنت متجهاً إلى المنزل. نظر من الشباك الموجود إلى يسار المدخل فرأى المطبخ فارغاً، ثم أمعن النظر إلى يمين المدخل، فرأى قاعة فارغة، ثم سار حول الزاوية وحدق من النافذة التالية فرأى بهواً وغرفة فارغة.

دار حول زاوية المنزل مجدداً، ونظر من الشباك التالي؛ كان هناك درج يؤدي إلى الطابق الثاني.

كان المنزل مؤلفاً من طابقين وطابق سفلي. وقد شُيّدت أبنية الجوار كلها قرب بحيرة. وكان يمكن زيادة عدد طوابقه إلى الأعلى، ولكن ليس إلى الأسفل.

في الأسبوع الماضي، توقف عدة مرات عن طرق المسامير والحفر، ووقف برهة لينظر إلى المنزل الصخري البشع الصغير الموجود على مقربة من الشارع العام. وفي كلّ مرة كان يرى فيها "كهف جمجمة الشبح"- وكان يدرك أنها فكرة طفولية_ كان يفكر في أنه الحل ليتمكنوا من حماية بضائعهم وتخزينها للتهرب من التفتيش.

حدّق مجدداً من شباك المطبخ. كانت الأرضية من الفينيل الرديء، وكانت الجدران متشققة، وخزائن المطبخ والأدوات قديمة العهد. لم يكن المنزل لافتاً للنظر، وبالتالي من المتوقع أن يكون من يعيش فيه غير ميسور مادياً.

رأى على الباب الأمامي لافتة أخرى كتب عليها "للبيع". نظر إلى صورة السمسار الذي يبدو مبتسماً وشعرُ جبهته مقصوص فوق جبينه، وهو يرتدي سترة. بحث عن قلم في جيبه الداخلي، وكتب رقم هاتف المكتب العقاري خلف إيصال صانع الشعر المستعار.

كان البيت كما يريد تماماً، والمرأب المجاور يعتبر حلماً. كلاهما "كهف الشبح" ومركز التدريب جيدان. تسلق على كومة من إطارات السيارات المستعملة، ومسح الشباك الوسخ كي يتمكن من رؤية داخل المرأب ذي السقف العالي والمساحة الكافية لأربع أو ربما خمس مركبات. كان المرأب أيضاً خالياً تماماً، وملائماً تماماً لتشكيل جماعة ما وتدريبها. وكان هناك باب يفتح ويغلق.

اتجه إلى الحديقة المجاورة، حيث كان هناك بيت أكبر ذو عشب مغطى بالأوراق الرطبة، وتحتوي حديقته على أشجار التفاح. هناك، وقفت امرأة وأمامها طفل صغير يبعد عنها عدّة أقدام فقط على ممر الحصى، ونظرت إليه وهي تفكر ربما في أنه مشترٍ فضولي محتمل، فأومأ لها.

من الممكن ملاحظة قرع المطارق وصوت الأزيز المنبعثين من الشارع بشكل مستمر. كان هناك بيتٌ مع مرأب حيث وقف تماماً؛ مما يعني أنه موقع مناسب ليكون مركز قيادة رئيساً ومكاناً للتدريب. التفت إلى الجانب الآخر، حيث الغابة على بعد عدة أميال فقط... كانت بانتظاره أروع ليالي حياته.

سيكون ذلك سهلاً إن استطاع الإخوة الثلاثة وصديق الطفولة- وهم جميعاً في العقد الثاني من العمر، ومتشامخون بازدراءٍ وبدون أي ثقافة- أن يتخذوا القرار لإنجاز ضربة مسلحة موفقة وغير متوقعة في تاريخ السويد، اسكندِنافيا الغرب الأوروبي، وأن يقوموا بتنفيذها.

استطاعوا أن ينجزوا ذلك بمجرد امتلاكهم بعض المعرفة العامة بالبناء،

والقليل من المتفجرات البلاستيكية، وأخاً أكبر سنّاً يتمتع بثقة قوية.

ليلة مرصّعة بالنجوم

إنه ظلام يتخلله ضوء أقوى من الليلة السابقة، لكنّ طريق العودة إلى المنزل هو نفسه. تفرّقوا في شاحنتين، وقادوهما من منطقة أقسام سكنية إلى ضاحية تحتوي على الشقّق الفخمة، بعيداً عن "البيت الأزرق" كامل التجهيز، وعن كابي المسرور، وبعيداً عن الحاوية المغلقة التي كان البُلَداء المتجوّلون يمرّون قربها في طريقهم إلى موقف الحافلات.

خرج كلٌّ من ليو وفيليكس من السيارة، وأمسك كلٌّ منهما بأحد المقبضين النحاسيين للصندوق الموضوع على سطح الشاحنة. كان صندوق العدّة الخشبي- الذي كانوا يحملونه معهم لثلاث سنوات خلت- ثقيلاً بسبب احتوائه على المطارق، ومفكّات البراغي، ومفاتيح الربط، ومجزات الصفيح، والمناشير الحادّة، والمثاقب الآلية. كانت المعدات ملوثة بالطلاء الجاف من مختلف ظلال الألوان المتدرجة، ومسحوقة الأطراف؛ كما تُبلى المعدات عندما تُضغط، وتُدفع، وتُعطب بسبب تعرضها للضرب مراراً وتكراراً.

"إنها الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخمسون".

قاما برفعه وحمله. ما زال بالوزن نفسه بالرغم من محتوياته الجديدة. الحياة الجديدة، حياتهم الأخرى ستبدأ الآن.

"ما زالت أمامنا خمس عشرة ساعة".

مرّا بعدها ببعض الشجيرات المنخفضة وشتول الزهور المتفرّقة، في طريقهما إلى مبنى الشقّق والدرج. قام ليو بفتح الباب، واستطاعا أن يسمعا ضحك كل من

جاسبر وڤينسنت معاً في الطابق السفلي حيث غرف التخزين.

الطابق الرابع.

كان بابه بابهم. " دوڤنجاك / إريكسون". قاما بوضع صندوق العدة الخشبي على الأرض، بينما بحث ليو عن المفاتيح، ثم أخذا رزمة من النشرات الإعلانية المحشوّة في صندوق البريد عند الباب، ورمياها في أُنبوب المرأب المخصص لإنزال الماء أو الفحم.

كان المكان في الداخل مضاءً، وهي تجلس في المطبخ على كرسيّ خشبي بسيط، وصوت آلة الخياطة التي أهدتها إياها والدتها يتضارب مع صوت الموسيقى المنبعث من آلة التسجيل. "الموسيقى الإيقاعية"، كانت دوماً تستمع إلى موسيقى الثمانينيات.

"مرحباً".

كانت جميلة، وكان هو قد نسي تلك الأوقات. بادرها بقبلة وتربيتة على خدّها، ممّا أدّى إلى فتل القماش الأسود الذي كان موصولاً بإبرة آلة الخياطة التي تتحرك صعوداً ونزولاً. وطبع قبلة أُخرى على وجهها قبل أن يلتفتَ إلى حوض الجلي وخزائن المطبخ تحته. كانت لا تزال هناك، تماماً حيث خبأها، بعيداً وراء قوارير مسحوق تنظيف الصحون وقوارير منظّفات الأرض. كانت تلك ثلاثة صناديق بنيّة اللون، ليست كبيرة ولكنها مُحكمة الإغلاق.

"انتظر".

كان حينها قد هَمَّ بالخروج.

دخل الشقّة في الليلة الماضية بدون أن يتوقّف عند الحمام أو الثلاجة، وتوجه مباشرةً إلى غرفة النوم، واستلقى على سريرها ليشمّ رائحتها، ليس عطرها أو

شعرها المغسول، بل رائحتها هي وحسب. استلقى قريباً منها، وأمسك بجسدها النائم، وصدره يكاد ينفجر.

"وهذا الصباح..."

ومَضت الساعة الموجودة على المنضدة القريبة من سريره مشيرة إلى 4:42. تقلّب جسدها العاري قبالة جسده بينما كانت تتثاءب وتقترب منه أكثر.

"... عندما أستيقظ ولا تكون هنا، أشتاق إليك".

"ليس الآن أنيللي".

"ألا تريد أن ترى ما صنعته؟ الياقات الواقفة الضيقة، أنت الذي..."

"لاحقاً أنيللي".

كان يهمّ بالنزول عبر البهو إلى غرفة الجلوس حيث بدأ الآخرون بإفراغ أمتعتهم عندما شاهد زجاجة شراب فارغة على الحوض.

"هل كنت تشربين؟ ستقومين بقيادة السيارة!".

"القليل فقط. لكن ليلة البارحة... ليو، كنتَ في الغابة، ولم أعرف أي شيء. لم أعرف كيف سارت الأمور، وإذا كنت ستعود إلى البيت، أو إذا شاهدك أحد وسيقوم... أنا لم أستطع النوم! والآن... ماذا كنت تفعل؟".

"البناء. لم نكن قد أنهينا العمل به، أما الآن فقد فعلنا".

كان قد أصبح خارج الغرفة.

أوقفت آلة الخياطة، فتوقفت الإبرة التي كانت تعلو وتنخفض.

نظر إلى يديها.

لماذا ترتجف؟ هي التي أرادت أن تشارك. كانت السترات جاهزة، وكل ما بقي لتخيطه ياقة إضافية طويلة. كانت هي التي وضعت القناعين لليو وجاسبر وقادت السيارة إلى الموقع.

عندما ارتجفت يداها، صار من الصعب عليها أن تضع الخيط في الإبرة، وأن تُمسك الياقات الضيقة الواقفة بشكل محكم.

—

أسدل ليو ستائر النافذة المطلة على مركز سكوغاس التجاري، في حين أسدلها فيليكس أيضاً أمام الشرفة من الجانب الآخر. بدت غرفة الجلوس تماماً كأي غرفة جلوس أخرى. إذ احتوت على أريكة وكرسي مريح وتلفاز ومكتبة، لكن سرعان ما سيتغير ذلك.

عمل الجميع على فتح صندوق العدة، وحقيبة "الأديداس"، والأكياس التي جلبها جاسبر وڤينسنت من الطابق السفلي، والصناديق الثلاثة البنيّة التي كانت تحت الحوض، ومن ثم وُضعت كلّ الأغراض في صف طويل على الأرضية الخشبية للتمكن من التدقيق بها، كما لو أنهم يقومون بتفتيش عسكري قبل الهجوم.

كان لديهم كرسي مدولب مطوي ذو مقعد بلاستيكي أحمر ومسند للظهر، وقد كان موجوداً يوماً في ممرات مستشفى هادنغ، بالإضافة إلى بطانيتين صفراوين عليهما اسم المستشفى؛ كانوا قد عثروا عليهما في أحد أقسام المستشفى بين المرضى النائمين.

وكان هناك كيس فيه قطعتان من الشعر المستعار الطبيعي من محل "فوك أوبرا"، وزوجان من العدسات اللاصقة البنيّة من محل صانع النظارات في منطقة

دروتنينغاتان، بالإضافة إلى قطعتين من سلاح "أ.ك.س. 4" وقطعتين من البنادق الرشاشة التي سُلبت من حاوية سوداء في أحد مواقع البناء، فضلاً عن أحذية وسراويل وقمصان وسترات وقبعات وقفازات. أما المصابيح فسيقوم ڤينسنت بحمل أصغرها في جيبه، وسيقوم فيليكس بإعطاء الإشارة بالمصباح الأكبر عبر أضواء من مختلف الألوان. وهناك برميلان بسعة خمسة ليترات مليئان بالغازولين، وأربع حقائب رياضية إلى جانب أربع عصي "هوكي".

كان الكرسي المدولب من النوع الذي يمكن طيّه بحركتين فقط. جلس ليو عليه وترنّح به فوق الأرضية اللامعة متجهاً نحو جدار الحمام، ثم قام بالدوران، وترنح عائداً. قام بالدوران عدة مرات، وتمايل إلى اليسار واليمين محاولاً قلبه، لكنه كان ثابتاً تماماً.

قام بدحرجته إلى جهة باب المطبخ، لكن الدواليب عَلِقَت عند العتبة، فوقف ومشى باتجاه الإبرة التي كانت تتراقص مع الموسيقى الإيقاعية، وربَّتَ على خدّ أنيللي كالسابق.

"كيف تسير الأمور؟".

"إنها جاهزة".

وقف القماش الذي أُضيف إلى الياقات السوداء الضيقة. قامت بسحبها بشدة، فتماسكت الدرزات وظلت مخفية. كانت هي التي فكرت في صنعها، وكانت من تصميمها.

"لكلّ ياقة قناع للوجه، وجميعها جاهزة للاستخدام".

ثم أشارت إلى صُدرَتَين خضراوين وتابعت:

"وتانك تماماً كما أردتهما. لدى جاسبر أربعة جيوب أمامية لوضع ثماني

ذخائر. ولديك ثلاثة جيوب لوضع ستة مخازن رصاص لبنادق حربية".

قام بتجربة الصُدرة التي سيرتديها تحت سترته الجلدية، فبدت مُلائمة له بشكل تامّ. إنها تعرف مقاسه.

"سأتمكّن من التحرّك كيفما أريد".

"هل أنت متأكّد؟ أليست ضيقة؟ أعني بوجود الذخيرة في الجيوب، وعندما تنهض عن الكرسي المدولب".

"أنيللي، إنّها تناسبني تماماً، ولن يلاحظ أحدٌ أي شيء".

تقدّم نحوها وقبّلها.

"كل تلك الأغراض على أرض غرفة الجلوس، قد يتمكّن أي هاوٍ من الإمساك بها. ولكن ليس هذه، أو إحدى هذه".

وأَمسَكَ بالصُّدرة، والتقَطَ إحدى الكنزات ذات الياقات المطوّلة.

"التفاصيل... هذا هو الفرق. إنها ما يُمكِّننا من الاقتراب بشكل كافٍ والتحول بسرعة كافية".

قبّلها قُبلةً أُخرى ثم عاد إلى الكرسيّ المدولب مجدداً. تلوّى على الكرسي بحرية أمام الباب، ثم فتح مسند الساق ووضع ساقه اليمنى عليه، محاولاً الجلوس كما اعتقد أن الشخص الذي أصيبت ساقه سيجلس. كان جاسبر يجثم أمامه، مرتدياً قفازاً رقيقاً وشفافاً، وهو يقوم بفتح الصندوق الأوّل من بين الصناديق الثلاثة مُحكمة الإغلاق. كان الصندوق الأول بِقُطر 7.62 ويحتوي على الرصاص والفولاذ، أما الثاني فبِقُطر 9 ويحتوي على سُترات معدنية، ويحتوي الثالث على ذخيرة حيّة فوسفورية خطّاطة التَتبُّع، تبعث خطّاً أحمر مُضيئاً بطول عدّة مئات من الياردات.

ثم قام بحشو كل ذخيرة بلفائف خرطوش وألصقها ببعضها في أزواج. أربعة أزواج لجيوب صُدرته الخاصة المخاطة حديثاً، وثلاثة أزواج لصُدرة ليو، وزوج واحد لكلّ من فيليكس وڤينسنت اللذين قد يضعانهما في كيسين صغيرين يحملانهما عند بطنيهما.

"لا أحد ينظر مباشرةً إلى الناس المختلفين. وسنقوم بالاستفادة من ذلك؛ من تحاملهم وخوفهم".

قام ليو بالدوران بسرعة وهو جالس على الكرسي المدولب.

"وحتى إذا نظروا... فلن يدوم هذا طويلاً".

قام بتحريك كرسيه المدولب بالطريقة نفسها التي تذكّرها عن الـمُقعَدين الذين عملت معهم والدته عندما كانت تقوم بتحريك كرسيّ المرضى. والدته التي ارتدت رداء الممرّضة، وسمحت لهم هم الثلاثة بمرافقتها إلى بيت الممرضات في بعض الأحيان عندما لم يتمكنوا من البقاء في المنزل لوحدهم. في ذاك المكان، شاهدوا كيف يُشيح البالغون بأنظارهم بشيءٍ من الريبة.

"حقاً، الناس لا يحدّقون أبداً بمن يختلف عنهم".

قام جاسبر بتسليمه السلاح الرشاش من طراز "أ.ك. 4.

"أنت تبالغ كثيراً".

"كلا، أنا لا أفعل".

"بلى، أنت تبالغ، أليس كذلك؟".

ونظر جاسبر إلى فيليكس وڤينسنت اللذين أومآ له.

"أنت تبالغ بتصرّفك يا ليو، وهذا قد يفسد كلّ شيء".

"هكذا كانوا يحرّكون الكرسي المدولب. لكنك لا تعلم ذلك لأنك كنتَ صغيراً جداً حينها".

سلّم السلاح إلى جاسبر، فوضعه هذا الأخير على قطعة قماش، ثم مسحه بقطعة نسيجية بيضاء حتى زالت عنه كل بصمات الأصابع، وذلك ليتمكّن من وضعه في إحدى الحقائب الرياضية.

نهض ليو عن الكرسي ونظر حوله في أرجاء الغرفة.

إنها المرّة الأولى لهم؛ إذ لم يقم أحدٌ منهم بسرقة كبيرة من قبل. ولكن، كان لكلّ منهم دوره، وقد أدرك تماماً كيف يقوم به على أتم وجه. كان كلّ ما يحتاجون إليه موجوداً أمامهم على الأرض، وكل ملابسهم محدّدة وموضّبة.

في أقلّ من أربع وعشرين ساعة سيتحوّلون.

تشير الساعة إلى السادسة والدقيقة الخامسة والثلاثين من بعد الظهر. بَقِيَت خمس عشرة دقيقة.

إنها رحلة يسودُها الصمت، إذ كان تركيزهم متّجهاً إلى الداخل.

قامت أنيللي بتعديل مرآة الرؤية الخلفية. كانت طويلة القامة مُقارنة بصديقاتها الإناث، ولكنها بالرغم من ذلك أقصر من ليو الذي كان جالساً بالقرب منها على المقعد الأوسط، فيما جلس جاسبر على مقعد الركاب المجاور. أُضيئت إشارة المرور الحمراء، وكانت الأخيرة قبل فارستا. وهناك، باكراً عند المساء، بدت وكأنها مسحورة بالضوء. وكلما أمعنت النظر إليه، زاد استحواذ المنظر عليها وأَسره لها.

كانت مجرّد لحظة واحدة اتّخذت فيها قراراً.

لم تتذكّرها، لكنها أرادت ذلك.

إنها تلك اللحظة التي أقحم فيها أحدهم هذه الفكرة في حياتها، يا إلهي. لأنّ أحدهم اقترح منذ بضع سنوات أنها قادرة على القيام بهذا، وها هي اليوم في طريقها لسرقة شاحنة مدرّعة.

أو ربما لم يكن لديها الوقت، ولا حتى هنيهة قصيرة- كانت هناك مجرّد لحظات خاطفة تداخلت ببعضها بعضاً دون أن تلاحظ ذلك أبداً- قال لها أحدهم يوماً إن هناك مستودع أسلحة في الغابة، وقال شخص آخر إنه من الممكن فتحه وتفريغه، وشرح شخص آخر أنها إذا قامت بتفريغ مستودع مليء بالأسلحة، فعندها يمكن استخدام الأسلحة لسرقة أحدهم. لعلّك عندما تَجِدُ نفسك محاطاً بتلك

اللحظات، تُصبحُ شيئاً فشيئاً جزءاً منها. لم يسألها أحدٌ إطلاقاً عن رأيها من قبل لتقف وتقول نعم. الاستثناء يصبح قاعدة، وأفكار الآخرين تصبح أفكارك، وفجأة أصبحت هناك امرأة تدعى أنيللي تقود سيارة باتجاه شيء لم تكن تتوقعه. وربما لهذا السبب أقلعت بالسيارة بسرعة فائقة عندما أضيئت إشارة المرور الخضراء. كانت تقود بشكل متلاطم لم تعهده من قبل، مستعملة دوّاسة الوقود ودواسة المكابح ومقبض ناقل السرعة، والتي لم تبدُ أنها متلائمة مع بعضها بعضاً.

كانت ترتجف، ولكن ليس كثيراً، ليس بما يكفي ليلاحظها ليو. استغرقت وقتاً في تقهقرها داخل أعماقها. كانت ترتجف لأنها لم تشعر يوماً بهذا الخوف من قبل، أو ربما لم تشعر به منذ ولادتها ابنها، إذ كان شعورها مماثلاً لشعورها حينها تماماً؛ محاولة تجاوز الخطوط، واتخاذ القرار، وإدراك أن حياتك الماضية قد انتهت.

"هناك".

أشار ليو إلى رصيف مخطط بالأضواء، وكانت تظن أنه ما زالت أمامها مئتا ياردة للوصول إلى قلب مدينة فارستا التجاري.

"توقّفي بين الاثنتين تماماً، فالمكان هناك أكثر ظلمة".

—

أغمض ليو عينيه ليشعر بالسكينة التي وجدت فقط هناك؛ في داخله.

جلسوا على المقعد الأمامي العريض بانتظار الإشارة التي يوشك أن يقوم بها. كانت أنيللي تجلس إلى يساره وهي تكاد تلهث، وتأخذ نصف نَفَسها قبل الانتقال إلى النفس الآخر. وكان جاسبر يجلس إلى يمينه ويتنفس ببطء وتروٍّ وكأنه يحاول تهدئة نفسه.

انطفأ محرّك السيارة، وبدا واضحاً كم كان مساء أكتوبر هذا يسوده

الظلام الدامس. كان قد سبق له أن جلس هنا وحيداً لمدة أربعة أيام متتالية في مرأب السيارات مقابل الجانب الخلفي لمكتب "فوركس"، بالقرب من موقف الحافلات ومدخل النفق. قام بتسجيل كلّ حركة يقوم بها حارسان يرتديان زيّاً رسمياً ويجلسان في شاحنة عسكرية، والدرب التي يسلكانها، ونمط حركاتهما، وكيف يتواصلان مع بعضهما بعضاً.

"في غضون ستين ثانية".

بدأت يداها بالارتعاش مجدّداً، فأمسك بهما، ونظر إليها، وظلّ مُمسكاً بيديها إلى أن خفّت حدّة الارتعاش، ثم قامت هي بتدقيقٍ أخير وخاطف.

ثم دقّقت بمسحوق التجميل، والماسكرا المضادّة للماء على الرموش والحواجب، قامت بتمشيطها إلى الأعلى لتجعلها أكثر كثافة. كانت قد قامت بفرك جبهات الوجوه والخدود والأنوف والذقون والرقاب، وتنظيفها من الأوساخ والخلايا الميتة هناك في حمام الشقّة، ثم رطّبتها بسائل الترطيب، وبعد ذلك أضافت سائل الإسمرار الذاتي. والآن، أرادت التحقّق من أنه لا توجد أي بقع قاتمة أو فاتحة، حيث امتصّ الجلد الجاف الكثير من السائل.

"في غضون ثلاثين ثانية".

طلبت منهما أن يطرفا أعينهما كي ترى ثبات عدساتهما اللاصقة البنية في مكانها.

قامت بالتحقق من بنطاليهما، وسترتيهما، وحذاءيهما؛ سترة ليو الجلدية، ومعطف جاسبر الزيتي. كانوا قد قاموا معاً بإلقاء نظرة عامّة على موضة الرجال السائدة، وهذا ما جعلهم يتّفقون على انتقاء ملابس شابّين من العرب الذين هاجروا مؤخراً.

بَقِيَت مسألة الياقتين الضيقتين.

"انحَنِ إلى الأمام".

كانت مسألة الياقة فكرتها، ومن تصميمها.

"كلاكما".

قامت بِطَيِّ الياقتين، ثم سَحبتهما إلى الأعلى، ثم قامت بطَيِّهما مجدداً.

"أنت ترتديها بشكل لائق جداً. حتى إنه بإمكانك الإمساك بها وسحبها فوق وجهك من دون أن تنزلق إلى الأسفل".

"خمس عشرة ثانية".

قامت بتعديل صُدرته، فإذا بالذخيرة الزائدة قد لامست صدره قليلاً.

"عشر ثوان".

حان وقت القفازات الجلدية الرقيقة.

"خمس ثوان".

انحنى ليُقبِّلَها فجَفَلَت قليلاً بسبب شاربه الذي صُنِع من الشعر المستعار البشريّ. مَسَّ الشارب شفتها العليا وانحرف قليلاً، فابتسمت وهي تُعيده بإصبعيها كما كان، حتى أصبح مستقيماً.

"الآن".

فتحت أنيللي الباب وخطت نحو الرصيف. رفعت الغطاء عن سطح الشاحنة البيضاء، وأخرجت الكرسي المدولب والبطانيتين، ثم رفعت مسند القدم

اليمنى إلى الأعلى بقصد الوصول إلى الهدف الجديد، قد يكون رشاشاً أوتوماتيكياً من طراز أ.ك. 4 مخبأً تحت البطانية تماماً. قام جاسبر بوضع الرجل العاجز على المقعد المدولب، وأومأ برأسه نحو السيارة عند رحيلها.

بموازاة رصيف المشاة المظلم، وعند أسفل التلة المنحدرة التي ستبدو أكثر انحداراً بعد لحظة، وحوض التحميل2 لأحد أكبر مكاتب "فوركس" في ستوكهولم.

قام ليو بدراسة كل مقطع من وجهة سيرهما باهتمام بالغ.

قام بالتدريب على المقطع الثالث والأخير، أي الترجّل من مركب مطاطي في الظلام.

وقام بتجربة قيادة السيارة بسرعة ثلاثين ميلاً في الساعة. وسار نزولاً على التلة المنحدرة التي يتدحرج عليها الآن، وهو القسم الأول والأكثر حساسية، وعلم أن الوصول إلى الهدف سيكون بين الساعة 5:48 والساعة 5:53 من بعد الظهر.

"ليو؟".

أوقف جاسبر الكرسي المدولب، وانحنى إلى الأسفل لفكّ شريط حذائه وربطه من جديد، كي يتمكّن من الهمس من دون أن يراه أحد.

"أنت لا تزال تبالغ في تصرّفك. لقد رأيت والدتك وهي تعمل مع ناس... مختلفين. وهم لا يتحركون هكذا على الكراسي المدولبة، إنهم لا يقومون بهذا الهراء".

رُبط شريط الحذاء الأسود مجدداً، ثم وقف جاسبر واستمر بدفع الكرسي المدولب ببطءٍ عبر مركز الضاحية التجاري حيث يتوجّه كل شخص من الحشود إلى مكان ما. كانت تلك هي اللحظة التي شاهد فيها الوَلَدُ البالغ من العمر خمسة أعوام أو ستة ليو، على بعد عدّة ياردات، وبين جماعة من الناس الذين ينتظرون الحافلة.

لا ينظر أحد إلى الأشياء المختلفة.

قام الولد بالإشارة إليه، وبشدّ يد والدته.

لا يتذكّر أحد منهم كيف يبدو الرجل فعلاً عندما يحاولون أن يتخذوا القرار بإشاحة النظر عنه أم لا.

الولد يشير إليه، وإلى الكرسي المدولب.

لكنّ الطفل لا يرى العالم مثلما يراه الراشدون.

ذاك الولد الذي صار الآن يصرخ بصوت عالٍ.

كان الولد مفتوناً ومُنفتحاً على العالم،_ولم يكن لديه الوقت ليتملّكه الرعب.

لم يكن السلاح المخبأ تحت البطانية، أو الذخيرة المثبتة بالشريط في صُدرته ما أشار إليه الولد أو صرخ لرؤيته، لكنّ هذا ما شعرا به.

صرخ الولَدُ صرخةً أُخرى، صرخةً واحدة، ولكن الرجل الراشد الواقف قربه والذي لا يجرؤ على النظر، قد ينظر إليهما فجأة الآن، وربما يتذكرهما لاحقاً. قام جاسبر بدفع الكرسي المدولب والدوران به، ثم هرب بعيداً عن موقف الحافلة إلى منطقة أقل إضاءة.

تشير الساعة إلى 5:48.

انتظرا وهما يحدقان إلى المدخل. سيارات ودراجات هوائية ومشاة في الطريق إلى الداخل وإلى الخارج.

الساعة 5:49.

بَقِيَ من الوقت خمس دقائق.

الساعة 5:50.

وربما دقيقتان إضافيتان.

الساعة 5:51.

قريباً جداً.

الساعة 5:52.

"أين هو بحقّ الله؟".

"سيكون هنا".

"لقد سبق و____"

"سيكون هنا".

5:53.

بدآ بالدوران بالكرسي المدولب ببطء للاقتراب أكثر، كي لا تبقى سوى عشر خطوات للوصول إلى الجدار الذي يحجب مدخل مكتب الصيرفة. قد تحتاج الشاحنة البيضاء المدرّعة إلى وقت لتصل إلى المدخل من دون ملاحظة شخصين بين الحشود، الرجل العاجز والرجل الذي يرعاه.

الساعة 5:54.

قام جاسبر بالانحناء، إذ لم يتمكّن من الصمود أكثر. يتعيّن عليه أن يقوم بشيء ما، لكن يجب أن يبدو وكأنه ينتظر وحسب، ولم تكن أمامه أي طريقة

أخرى، لذا عاد ليفك شريط حذائه ويربطه مجدداً.

"مرحباً!".

لم يرياه.

" هاي! هاي! هاي!".

لم يسمعاه.

"ما اسمك؟ وما اسمك أنت؟".

إنه الولد الذي يبلغ من العمر خمس سنوات أو ستّاً، والذي صرخ وأشار إليهما.

"ولماذا تجلس على هذا؟ هل أنت مصاب؟".

أفلت الولد من يد والدته، وركض نحوهما فبدوَا مستفزَّين.

"أنتَ! عُد أدراجَك".

تكلم جاسبر بلكنة إنكليزية ثقيلة، وأجابه الولد باللغة السويدية.

"مرحباً، ما اسمك؟ وماذا حدث لساقيك؟".

فقام جاسبر بوضع يده في جيب معطفه، متشبثاً برشّاشه الأوتوماتيكي المثبت بحزام كتف مجوّف معلّق حول رقبته.

"عُد أدراجَك[3]".

"عُد أدراجَك!".

"عُد أدراجَك".

"هل هذا اسمه؟ عُد أدراجَك؟ إنه اسم لطيف".

قام بإقفال صمّام الأمان، ثم أداره، ثم أقفله. فسُمع صوت قرقعة مزعج؛ إلى أن قام ليو بنكزه في جنبه بذراعه.

وصلت الشاحنة التي سيقومون بسرقتها.

"اذهب إلى والدتك! عُد أدراجك".

لم يشعر الولد بالخوف، ولكنه ظنّ أنه من غير المُستَحَبّ أن يقترب منه جاسبر ويهمس في أذنه. حينها توقّف عن التحديق وتوجيه الأسئلة، وفَعَل ما طُلب منه تماماً، وانسلَّ عائداً إلى والدته التي كانت تقف عند موقف الحافلة.

الساعة 5:54:30.

بدآ بالتحرك مجدداً. ليس بسرعة كبيرة، ولكن بسرعة كافية.

الشاحنة المدرّعة ستعبر الآن مرأب السيارات، ومن ثم ستتجه إلى مدخل "فوركس" الخلفي بمهلة ثمانٍ إلى اثنتي عشرة ثانية.

نظر ليو إلى الأمام وإلى الخلف، نحو شاحنة بيضاء ونحو ولدٍ بعمر ست سنوات نَصَحَتهُ والدَتُه بألا يتكلّم مع الناس العاجزين بتلك الطريقة.

إنها بقعةٌ رائعة تَصلُحُ لكي تكون كَميناً. فهي مظلمة وخالية؛ بالرغم من أنهما على بعد خطوات من مستديرة الكروالفر. لا يلزمهما سوى بضع ياردات للقفز إلى المركبة واستخدامها للوصول إلى الباب الذي سرعان ما سيفتحه حارس الأمن الذي كانت مهمته أن يستردّ آخر حصيلة نقدية في نهاره. سيضعونها في خزنة الشاحنة مع باقي المحصّلات النقدية الأُخرى. قام ليو بتخمين وحساب إجمالي ما بين سبعة إلى عشرة ملايين كرونة.

—

إنه يوم الجمعة مساءً. بقيت ساعتان. نظر ساموبل إلى ليندن الذي كان يجلس إلى جواره منذ سبع سنوات تقريباً، لكنه لم يكن يعلم ذلك فعلاً. كان هناك حارسان يجلسان على المقعد الأمامي للشاحنة المدرّعة: ليندن الذي أحبّ القيادة، وهو نفسه الذي رغب بمغادرة الشاحنة لبرهة؛ ليمدد ساقيه ويثرثر مع حارس الأمن عن الطقس، عندما يتمّ تبادل حراسة حقيبة النقود التي كانا يحرسانها كلاهما. لم يحدث أن تناولا معاً فنجان قهوة خارج دوام العمل من قبل، في بعض الأحيان يبقى الأمر على حاله؛ الزميلان يستمران على هذا النحو فقط، زميلان في العمل. حتى إنهما لم يتكلّما عن أولادهما. علم ساموبل أن كليهما، هو وليندن، لديهما عدد الأولاد نفسه، ولكن في هذه الأيام يمضي أولاد ليندن في بيته أسبوعاً واحداً، كلّ أسبوعين بالتناوب. والحديث إلى الناس عمّا كان لديهم وما خسروه، لا ينتهي بشكل جيّد عادةً.

سارت الشاحنة بهدى مصابيح الشارع أثناء دورانها في مرأب السيارات. مرّا بمجموعة من الناس الذين ينتظرون الحافلة المتأخرة في خطوط لولبية، أو يستقلون المصاعد الكهربائية نزولاً إلى نفق المترو. وقام حارسا الأمن بجولتهما التفقّدية لتفحّص الجوار بدقة كالعادة؛ إذ كانت مهمتهما هي النقل والحماية.

كان كشك "الهوت دوغ" على مقربة من موقف الدراجات، وكان صاحبه يصنع بنفسه نقانق خاصة به، وكان يقف عند النافذة كل مساء مرتدياً مئزره، فيما تعلو وجهه ابتسامة، فرأى هناك ثلاث نساء جالسات على المقعد الطويل مع أكياس تفيض بالبقالة، وكن يرتدين ملابس متشابهة ولديهن تصفيفات شعر متماثلة، وهن يومئن بجدية وكأنهنّ يبحثن في أمر مهم. وكان الرجل الجالس على الكرسي المدولب ومساعده يتحدثان إلى الولد الصغير الذي يبدو في عمر وَلَدِهِ تقريباً، والذي أبعدته والدته الآن. وكانت هناك جماعة من المراهقين الذين يشقّون

طريقهم متدافعين بين الناس، وهم يحاولون اتخاذ قرار في ما يتعلق بالمكان الذي سيذهبون إليه. كان هذا الحشد مجرّد حشد كما في أي مساء آخر وليس أكثر.

كانوا قد قضوا سبع سنوات تقريباً، على مدار أيام الأسبوع، وهم يرتّبون جدولاً مُدرجاً بأعمالهم، وألقوا عليه اسم "ك 9"، ويحتوي هذا الجدول على شيء يدعى "سطو المصرف" كل يوم، و"سطو فوركس" في كلّ يوم خميس وجمعة بالتناوب؛ الشاحنات الصغيرة التي تنقل المحصّلة النقدية لمحطة المدينة، والمحطة المركزية، وستوربلان، والمدينة القديمة، وسكانستل، وناكا، وسكالا، وأخيراً هنا فارستا.

قام ليندن بإطفاء المحرّك، ثم نظرا إلى بعضهما بعضاً وتبادلا إيماءة سريعة: كلاهما درسا هذا المكان بالطريقة نفسها. كان آمناً بالرغم من أنّها ساعة الذروة للعاصمة. فتح ساموويل بابه وخطا خطوة واحدة نحو الباب الخلفي. كانت الشاحنة الصغيرة تقف دائماً في مكان على بعد ممرّين من مكتب الأمن الرئيس، حيث كانت شاشات بيضاء وسوداء تتلقى الصور من أربع كاميرات عند مكتب الصيرفة، وتلتقط صورة آخر زبون في كل يوم. كانت هناك حقيبتان من القماش على المكتب الخالي- عملات ورقية ومعدنية- وإيصال مكتوب باليد بالحبر الأحمر: 1.324.573 كرونة[4].

—

كان ليو لا يزال جالساً على الكرسي المدولب. توقع أن يستمر قلبه بالنبض بسرعة، ولكنه لم يفعل، بل كان هادئاً في قرارة نفسه وفي أفكاره. كان يعلم أنّ العيون التي تحدّق إلى مكان آخر لا قيمة لها كدليل، وكان يعلم أن الكرسي المدولب هو الطريق الأفضل للاقتراب من الناس الذين تدرّبوا على تمييز أي تهديد وخطر. كان قريباً بما يكفي ليدخل، ويسلب ما يريده، ويختفي. كان في

جيب سترته جهاز راديو بموجتين، يثبته في مكانه بشريط بلاستيكي. سرعان ما سيقوم ساموِيل بمغادرة غرفة مدير الأمن حاملاً معه حصيلة ذلك اليوم من العملة النقدية وسيضعها في صندوق آمن، ثم سيتوجه نحو الباب الخلفي المقفول ويغلق زرّ جهاز الراديو بموجتين.

كان ليندن ينظر حوله من مقعد سائق الشاحنة المصفحة، ويقوم بتفقد الجوار. دقّق النظر عبر مرآة الرؤية الخلفية فلم يرَ شيئاً. النافذتان الجانبيتان كانتا خاليتين. وحاجب الريح الزجاجي لم يعد يظهر شيئاً أيضاً، حتى الكرسي المدولب.

إذاً، هذه هي وظيفته في مقتبل العمر، حارس أمن. لم تكن سيئة فعلاً، بل إنها وظيفة جيدة وبسيطة ومستقيمة. رغب بها لأنه كان يحب الجداول، والروتين، والتقاط حقيبة من المال، والقيادة إلى الموقع التالي ليستلم المزيد من حقائب الأموال.

إنها آخر محصلة نقدية لهذا اليوم. وبعدها سيتجه مباشرةً إلى المخزن، ثم سيرتدي ملابسه المدنية، ومن ثم سيستقبل يوم السبت وبعده يوم الأحد.

صدرت رنّتان من جيب سترته، كان ساموِيل حاضراً في المكان المحدّد.

نظر ليندن حوله مرّة أُخرى وأخيرة، من المرآة إلى المرآة، ومن النافذة إلى النافذة، ثم أجاب بالضغط مرّتين على الزر الأحمر لجهاز الراديو.

صدر أمرٌ بالانطلاق.

يمكنك الخروج الآن.

—

كان يوم الجمعة هو الأكثر ربحاً في أيام الأسبوع لمكاتب الصيرفة

السويدية، وكانت فارستا آخر محطة لهذه الشاحنة المدرّعة الخاصة على هذا الطريق الخاص؛ إنها النقطة التي ستحصل فيها على معظم الأموال.

الساعة 5:56.

اختار ليو الهدف والوقت وموقع الهجوم، وكان على يقين تام من أن الكرسي المدولب سيبلغ الشاحنة عند إنزال صقالة الحمولة. كان على يقين من أنه قد لا يكون هناك مكان للاختباء، ويتعين عليهما أن يزيدا الحراسة خلال الخطوتين اللتين يستغرقهما الانتقال من باب المبنى الخلفي إلى باب الركاب في الشاحنة. وعليهما أن يقوما بهذا من دون تنبيه أحد.

الساعة 5:57.

انتظرا، ثم نظرا شزراً إلى الباب المعدني في الأسفل.

الآن.

سمعا طنة قصيرة صادرة عن فتح القفل.

الآن... الآن...

لم يقولا أي شيء، حتى إنهما لم ينظرا إلى بعضهما، وعلما تماماً ما سيقومان به.

أمسكا بياقتيهما الطويلتين والضيقتين، ورفعاهما فوق عنقيهما وذقنيهما وأنفيهما، لكنهما أبقياهما تحت عيونهما. أظهرا رشاش "أ. ك. 4" من تحت البطانية الصفراء والرشاش الأوتوماتيكي الذي كان معلقاً تحت المعطف طويل.

قاما بالدفع بقوة وفي وقت واحد، وقفزا إلى الشاحنة المتوقّفة في الموقف المخصص للشاحنات التي تنقل الحمولات أو محصلات الأموال.

—

كان ساموييل متّكئاً على الباب المعدني وفي يده حقيبة أمن خضراء، مليئة ومقفلة، وتحتوي الآن على كيسين من القماش بني اللون، لكلّ منهما رقم للتعريف، وكل منهما مختوم بسلك بلاستيكي.

ثم سمع ما ينتظره؛ طنتين من الراديو.

سمع أمراً بالانطلاق.

فتح الباب، وخرج نحو صقالة الحمولة، وسمع طقطقة صادرة من داخل الشاحنة؛ تماماً كما يحصل عادة كلما فتح ليندن الباب الخلفي لمنطقة الأمان.

—

كان ليندن جالساً على مقعد السائق عندما شاهد ساموييل يخرج مع الحقيبة، فضغط على الزر المرتبط بالقفل الداخلي، وكان على وشك أن يدور نحو زميله عندما رأى شيئاً آخر، شيئاً ليس واضحاً تماماً؛ كان شيئاً أكثر ما يشبه الشظية، شيئاً يمكن ملاحظته، تشير إليه وتحاول أن تستجمع أجزاءه من دون أن تفهمه تماماً، وقد يكون سبب ذلك الحاجز الزجاجي. كان شيئاً يشبه الكرسي المدولب الذي رآه سابقاً بين الحشود، ولكنه الآن مقلوب على الرصيف في الأعلى وخالٍ. ومن ثم رأى عبر إحدى المرايا الجانبية الخلفية حركة، وكأن أحدهم يسقط نحوه من كوة في الجدار، أحد يبدو وجهه أسود وهمجياً تماماً. وأخيراً، فتح ساموييل الباب الجانبي، اركض! ورمى بنفسه إلى الداخل، "اركض، اللعنة!". وتدحرج على أرضية الشاحنة باحثاً عن غطاء. والآن، بعد أن رأى ودوّن في ذهنه كل هذا، بدا له وكأن كل شيء حصل في الوقت نفسه كان مرتبطاً ببعضه بعضاً.

"افتح الباب!".

احتاج إلى لحظة واحدة ليفهم.

بدا ذلك منطقياً الآن؛ مما منحه ثانيتين كان يحتاج إليهما ليُدخِلَ الشيفرة الأولى؛ أربعة أرقام انزلق بعدها باب الخزنة الفولاذي مرة ثانية، وسد الطريق المؤدي إلى المال. وبعد أن قام بذلك، استخدم الثانيتين اللتين احتاج إليهما ليدخل الشيفرة الثانية؛ أربعة رموز رقمية على لوحة الجهاز لكي يدور مفتاح التشغيل.

"هيّا، هيّا، افتح الباب!".

كان الأوان قد فات، فقد استولى أحدهم على الشاحنة. رأى قناعاً أسود، وعينين محدقتين، وسلاحاً أوتوماتيكياً مصوّباً نحوه.

لم يرفع ليندن يديه، ولم يَستدِر نحو الباب.

لم يفعل شيئاً.

وتلك البندقية المعدنية الكبيرة كانت تصبح أكبر فأكبر كلما اقترب.ت.

كان يتخيّل هذا الأمر كلّ يوم خلال السنوات السبع الماضية، وكان كل يوم يتفحص الحشد، ويتحضر لهذا. غير أنه عندما حدث الأمر، لم يكن يشبه ما تخيّله. لم يكن يعرف أن الشعور بالخوف يبدأ في الصدر، تماماً في الوسط، ثم يندفع مباشرةً إلى حلقه، وأنه لم يتمكّن من التخلّص منه بالرغم من صراخه.

"افتح هذا الباب اللعين!".

ثم أدرك الأمر. لم يتمكن من التخلص منه لأنه لم يكن الشخص الذي يصرخ، بل كان هناك شخص آخر يفعل هذا بالقرب منه. كان هناك شخص آخر يقف خارج النافذة، وجه آخر يضع القناع نفسه المصنوع من قماش أسود فوق ذقنه وأنفه وخديه، وصولاً إلى عينيه. لكنه كان صوتاً مختلفاً؛ صوتاً يائساً. ليس دنيئاً،

وليس عالياً ولكنه أكثر يأساً.

أحدهم سيلاقي حتفه؛ هذا ما شعر به، أحدهم سيكون مصيره الموت.

تحطمت النافذة، وكان صوت التحطّم حادّاً، وكلّ ما فكّر فيه حينها هو كم يبدو الأمر قاسياً حين تتفاجأ بأحدهم يقف بالقرب منك إلى هذا الحدّ ويطلق عليك النار. سمع صوت طلقتين فرمى بنفسه إلى الوراء، اصطدم ظهره ورأسه بالمقعد، أما الرصاصة الثالثة فأصابت ذقنه وحلقه، بينما أصابت الرابعة اللوحة الأمامية، والخامسة أصابت باب المقعد الأمامي المجاور، وقام هو عفوياً بسحب جهاز التحذير لمركز التحكم.

—

"أنتَ! افتح الباب!".

يتطلب إفراغ ثلاثين رصاصة من ذخيرة الرشاش الآلي ثلاث ثوانٍ. والطلقات الخمس التي أطلقها جاسبر عبر نافذة الشاحنة استغرقت نصف ثانية فقط، ولكنها بدت أطول بكثير.

"افتح الباب وإلا فستموت!".

كان ليو لا يزال واقفاً ومصوباً رشاشه على حارس الأمن الجالس على مقعد السائق، بينما طرق جاسبر بفوهة الرشاش على الزجاج المحصّن والمحطم جزئياً، إلى أن قام الحارس الثاني المطروح أرضاً برفع يديه فوق رأسه.

—

نظر سامويل إلى رقبة ليندن التي يسيل الدم منها. لم يفكّر في هذا من قبل؛ أي كم يكون لون الدم أحمر ما إن يسيل. كان قد وقف، وذراعاه فوق رأسه،

وفتح الباب من جهة الراكب وسمح للرجل المقنّع بأن يدخل الشاحنة، حيث وقف الآن مصوّباً الرشاش نحو صدغه وهو يتكلم معه بلغة إنكليزية متقطعة، ويطلب منه أن يفتح الخزنة. حاول أن يشرح له، ولكنه لم يتمكّن من إيجاد الكلمات، ليس باللغة الإنكليزية. أراد أن يشرح له أنّه منذ الآن فصاعداً أصبح باب الخزنة مقفلاً، ويمكن فتحه فقط بإدخال شيفرة خاصّة من المركز الرئيس. بحث عن الكلمات التي لم تكن موجودة، في حين قام الرجل المقنع بالإصغاء والانتظار برباطة جأش وهدوء تام، على خلاف الآخر ذي الصوت اليائس، والذي أطلق النار على النافذة. هذا الوجه المقنع هو الذي يقرر، يبدو ذلك واضحاً؛ حتى عندما كانت فوهة الرشاش تضغط بقساوة أكبر على صدغه.

—

كان ليندن مسترخياً على مقعد السائق، والدم ينساب من رقبته.

وكان ساموئيل على الأرض يبكي في مكان ما خلفه.

وكانت اليد، يد صاحب الوجه المنضبط، تبحث في جيب بنطاله وسترته وقميصه عن المفاتيح إلى أن وجدها.

ثم صرخ الوجه المقنع اليائس، ودفعه بعيداً عن المقعد، ووجّه الرشاش إلى صدره عندما لم يتحرك بالسرعة الكافية.

"أَدِر المحرك".

انتقلت فوهة الرشاش من جبينه إلى فمه، إلى داخل فمه.

"أَدِر المحرك، أو سأُطلقُ النار عليك".

كان الرشاش بين شفتيه وقبالة لسانه عندما انحنى نحو لوحة المفاتيح، أربعة

رموز هي المطلوبة لإدارة المحرك.

"سأقتلك، سأقتلك، سأقتلك!".

فقدت يداه الشعور، وكان من الصعب على أصابعه أن تتحرك فيما كان يدخل الشيفرة ويدير المفتاح، ثم عمل محرّك الشاحنة مجدداً.

—

تولى جاسبر القيادة ببطء في المنحدر وقاد عبر الرصيف متجهاً نحو مخرج المنطقة الدائرية ومرأب السيارات. لم يلحظ أحد خارج الشاحنة المصفحة الطلقات الخمس المكتومة بفضل الجدران المحيطة بصقالة الحمولة، ومن ثم تلاشى مشهد المدينة الصوتي؛ كان أحدهم يضحك بصوت عالٍ ويغادر كشك "الهوت دوغ" ممسكاً بشطيرة نقانق بإحدى يديه، بينما وضع الآخر حقيبة الغيتار على الأسفلت وبدأ بالغناء، فيما الناس يقفون ويجلسون ويمشون تحت مظلاتهم تحت المطر الخفيف. على ارتفاع عدة ياردات من الحمولة، سارت الحياة وكأن شيئاً لم يكن.

—

إذا استمرا بالقيادة بسرعة عادية، وإذا لم يلفتا الانتباه إليهما، فسيكون لديهما الوقت الكافي لإفراغ الخزنة والاختفاء.

"افتح الباب الداخلي".

أمسك ليو سلسلة المفاتيح وناولها لأحد الحارسين، فقد كان المفتاح الذي يفتح الخزنة من بين المفاتيح.

"الباب، أرجوك، ثق بي، أرجوك..."

كانت الخزنة الأمنية الصغيرة التي خبّأت داخلها المفاتيح الأخرى لسبعة

صناديق تحمي سبع محصلات نقدية تحتوي كل منها على أكثر من مليون كرونة.

"... أرجوك، الباب مقفل، لديه شيفرة. لا يمكن فتحه إلا بشيفرة خاصة من المركز الرئيس... أرجوك... أرجوك..."

"افتح الباب وإلا فسأطلق النار".

ألقى نظرة سريعة عبر النافذة.

لاحظ ليو مباني الشقق التي مرّوا بها في شارع لاسبودا، ثم مروا بسرعة قرب ممر الدراجات تحت شارع فارستا، وبعدها على الجسر فوق شارع ناي‌ناس.

في الخارج، كانت ضاحية ستوكهولم تضج بالحركة. أما هنا، فكان أحد الحراس مستلقياً على الأرض ومتقوقعاً في عالمه الخاص لتجنب التورط في هذا الأمر، فيما الحارس الآخر بذقنه ورقبته داميين لا يزال يتكلم.

"هل تفهم؟ أرجوك! فقط... فقط يفتح من المركز الرئيس".

بقيت لحظات قليلة، ليس أكثر.

شارع ناي‌ناس، طريق أوروباي السريع، شارع سكوندال. المزيد من مباني الشقق، ملعب كرة قدم، مدرسة.

لو قام أحد ما باللحاق بهم، لقبض عليهما هنا، وليس أبعد من ذلك.

—

كان فيليكس يتنفس ببطء.

شهيق... زفير.

لأربع وعشرين ساعة خلت، كان مستلقياً على العشب الرطب على قمة التلة التي اعتادوا أن يركضوا عليها إلى الأعلى ثم يتدحرجوا إلى الأسفل كالأطفال؛ تماماً عند مدخل سكوندال، ليس بعيداً عن منزل أجدادهم الأبيض الصغير.

تحرّك الرشاش إلى الداخل والخارج بعد كل نفس يأخذه. كان قد فقد الإيقاع وعليه أن يبدأ من جديد. إلى الداخل والخارج، يد حول مقبض الرشاش، وإصبع سبابتها على الزناد، والأخرى على وسط ماسورة الرشاش، فيما عينه تحدق عبر منظار الرشاش.

ايناسفاغن يستلقي بالأسفل. يكاد فيليكس يشعر أنه يستطيع أن يلمس خطاً ضبابياً للأضواء العلوية الممزوجة بالرغم من كونه بعيداً. كانت السيارات في طريق العودة إلى البيوت على أحد شوارع ستوكهولم المكتظة. وخلف ذلك كانت فارستا. المباني تشع بأضواء النيون، وذلك هو الاتجاه الذي صوّب عليه بقلق، فمن ذلك الاتجاه كان ليو قادماً.

أوقف السيارة خلف حديقة البلدة، ومشى فيها وعلى كتفه حقيبة. أومأ لقلّة من الناس الذين كانوا يجرفون أوراق الشجر، ويشذبون الشجيرات في أراضيهم الخاصة الصغيرة، واستمر بالمشي عبر منطقة شجرية كثيفة إلى أن وصل إلى أعلى التلة، ومكث هناك عند تمام الساعة 5:40 كما اتفقوا قبل دقائق من انطلاقهم استعداداً للسرقة. اتبع تعليمات ليو بدقة، فقد كانت كلماته ترنّ في رأسه.

فيليكس، حوِّل الرشاش إلى وضعية إطلاق الطلقات النارية أوتوماتيكياً بالضغط على الزناد. صوِّب، تنفّس، خذ شهيقاً وزفيراً، استعدّ، ثمّ أطِلق النار. إن الأمر بتلك البساطة يا أخي. لو كانا ملاحقين، لو كانا كذلك، ما كان ليو ليسمح للذين يتعقبونه بأن يتخطوا المعبر الفوقي. حسناً، لا أستطيع إطلاق النار عليهم بهذه البساطة، أنت تعلم هذا، لا أستطيع... قتلهم. كان قد أمسك

بالرشاش سابقاً. بالطبع فعل هذا عدّة مرات خلال التدريب على إطلاق النار في زيّ حارس أمن المنازل المسروق، لكن تلك كانت مجرد لعبة. فيليكس أصغِ إليّ، أعددت هذا السلاح بنفسي، لا يمكنك أن تُخطئ، لن يتعرض أحدٌ للأذى. يتعين عليك أن تطلق رصاصة لإصابة محركهم وإيقاف السيارة. انتهت اللعبة. هذا حقيقي. إذا كان علي أن أطلق النار ليو، إن أصبتُ النافذة، إن أنا... شهيق، زفير. شعر بالمزيد من الارتعاش، مما زاد من تمايل ماسورة الرشاش. هل ترى تلك الشجرة؟ والجسر فوق الطريق؟ أمسك سلاحك هكذا، سترى الحاجز في مهداف التسديد التلسكوبي، وعندما تصل السيارة إلى... هناك، على مستوى شعرة التعامد، أطلق النار. خطاط الذخيرة الحربية. سيرون أنك هدّاف رائع. قام بالدوران، ثم فتل ساعته الكبيرة التي غطت يده. عادة لم يكن يضع ساعة، إذ كان ليو من يتولى مسألة الوقت. لا تفكر، فيليكس. الهداف الذي يصيب هدفه لا يفكر. ركّز... ركّز!

الساعة 6:04... 6:05. يتعين أن يكونا هنا الآن إذا خطفا الشاحنة. هل فهمتَ ذلك؟ إذا تدبرا أمر السيطرة على الحارسين. نعم، فهمت. إذا كانا في طريقهم إليه. هل أنت متأكد تماماً فيليكس؟ أنت تعلم أنني أثق بك؟

هناك... الشاحنة البيضاء.

كلّا.

لم تكن الشاحنة نفسها. كانت بيضاء وكبيرة، لكنها ليست شاحنة مدرّعة.

الساعة 6:06، تأخير دقيقتين... دقيقتين ونصف.

انزلق الرشاش اللعين واهتز.

ثلاث دقائق. ثلاث دقائق ونصف.

هناك... هناك!

لمح سقف شاحنة بيضاء تسير فوق الجسر، ورآها وهي تسلك المنعطف اليساري الحاد. دقق النظر عبر مهداف التسديد التلسكوبي، ورأى على مقعد السائق وجهاً مغطى بياقة طويلة سوداء مثل تلك التي يضعها، ورأى وراء مقعدي السيارة الأماميين ليو جاثماً أمام شخصين مُلقيين على الأرض، وأحدهما يضع يده على رأسه.

ثم رآها... فوراء الشاحنة المدرّعة، كانت هناك سيارة ركاب، وفيها شخصان يجلسان على المقعدين الأماميين.

سوف يتعقبوننا، إما بواسطة سيارة شرطة مطلية أو بواسطة سيارة مدنية، ولكنها دائماً باللون الأسود، دائماً سيارة من طراز "صعب 9-5" أو "ڤولڤو ڤ 70". هذه كانت سوداء. رأى ذلك عندما أزاح ماسورة رشاشه. لكنّه لم يرَ ما يبيّن طراز السيارة. انظر إلى الجانب الأيمن، لا بد أن هناك مرآة جانبية إضافية، وهكذا يمكنك أن تعرف إذا كانوا رجال شرطة بملابس عادية. ولا تضغط بقوة، فقط اكبس الزناد برفق.

نظر من خلال مهداف التسديد.

لم يكن واثقاً من وجود مرآة خلفية إضافية، فهو لم يستطع أن يتأكد من وجودها وحسب.

ثم زاد من قوّة الكبس على الزناد أكثر، بينما كانت فوهة البندقية موجهة إلى غطاء السيارة السوداء.

نظر ليو إلى الحارسين، ثم إلى جاسبر الذي كان يقود الشاحنة، ثم إلى خارج النافذة فيما كانوا يعبرون التلة. طلقة سليمة من الأعلى على طول المدى حتى الجسر. ورشاش "أك4" بمهداف تسديد تلسكوبي قام بطلبه لأنه كان ممتازاً. قد يتمكّن أيّ شخص من إصابة أي شيء على بعد ثلاثمئة ياردة إذا استخدمه.

إذا قام أحدهم بتعقبّهما، فإن طلقة واحدة ستكفي.

—

بدأ فيليكس يرتجف. كانت السيارة السوداء قريبة... قريبة جداً.

انتظر... لا تخفض رشاشك أو تتركه، إلى أن نمرّ وتتأكد أنّ لا أحد يلاحقنا.

انعطفت الشاحنة المصفحة البيضاء يساراً بعد تجاوز التقاطع كما تم الاتفاق. وظلت السيارة نفسها تتعقبهما على مسافة ثلاثين ياردة.

خلفهما.

قام بتصويب المهداف نحو الأمام، وضغط على الزناد.

عندها، انحرفت السيارة السوداء التي قد تكون لديها مرآة جانبية إضافية عن مسارها فجأة إلى اليمين، إلى الاتجاه المعاكس، وزادت من سرعتها، ثم اختفت.

لم يعد فيليكس يرتعش بعد الآن، بل أصبح يرتجف، ويتنفس بسرعة.

كان هناك شخصان يجلسان على المقعدين الأماميين في طريقهما إلى البيت، وكانا على وشك الموت لأنّهما كانا يقودان السيارة على الطريق الخطأ وفي الوقت الخطأ.

نهض عن العشب الرطب، ووضع الرشاش في حقيبته، ولفّ القماش الذي كان يغطي وجهه وحوّله إلى ياقة مجدداً، ثم ركض نزولاً على التلة، وعبر الغابة وحديقة البلدة. كان الظلام دامساً، ممّا أدّى إلى سقوطه على سياج مسنّن ومنخفض. أسقط الحقيبة ونهض، ثم ركض مجدداً إلى أن وصل إلى سيارة متوقفة عند أسفل التلة.

—

مرّا بالتلة. فيليكس لم يطلق النار. إذاً، ليسا مُلاحقين.

نظر ليو إلى الباب المقفل الذي توجد خلفه سبع محصّلات نقدية أخرى تحتوي على ثمانية، أو تسعة، وربما عشرة ملايين كرونة.

لديهما بضع ثوانٍ للتحرّك، احتاجا إلى المزيد من الوقت.

تمكّن حارس الأمن من إدخال الشيفرة، فانزلق الجدار الفولاذي الذي يحمي الخزنة. كان يتعين عليهما أن يفتحاها ويفرغاها كلها قبل أن يصلا إلى نقطة الالتقاء.

"إلى أين... أرجوك، أرجوك... إلى أين تأخذنا؟".

كان بإمكانهما أن يفتحا باب الخزنة بإطلاق النار عليه عند نقطة الالتقاء، لكن ذلك قد يحدث جَلَبة.

"ماذا... أرجوك، أتوسل إليك، أرجوك... ما الذي ستفعله بنا؟".

كان بإمكانهما أن يجبرا أحدهم في المركز الرئيس على فتح الباب عن بعد، ولكن ذلك سيتطلّب المزيد من الوقت.

"لديّ... أرجوك... أرجوك... أرجوك... لديّ طفلان!".

كان حارس الأمن مُلقىً على الأرض، وهو ينزف قليلاً، وقد وضع إحدى يديه داخل زِيِّه الرسمي، فقام ليو بضرب كتفه بالرشاش بشدّة.

"أبقِ يديك مرفوعتين!".

هذه الحركة قاطعته، لكن الحارس استمرّ بما كان يقوم به، ووضع يده مجدداً داخل سترته، ثم رفع شيئاً إلى أعلى.

"ولداي، انظر... إلى الصورة... أرجوك. أرجوك!".

أخرجَ صورتين من محفظته.

"ابني الأكبر، في الحادية عشرة من العمر. انظر!".

رأى صبياً في ملعب لكرة القدم. كان يبدو هزيلاً وشاحباً، ويمسك بكرة تحت ذراعه. كان شعره مبللاً بالعرق، ويبتسم بخجل، وجوربه الخاص بلعب الكرة باللونين الأزرق والأبيض ملفوف إلى الأسفل.

"وهذا... أرجوك انظر... هذا... إنه في السابعة من عمره... في السابعة!".

ظهرت في الصورة طاولة في غرفة الطعام أو غرفة الجلوس، ويبدو أن الصورة قد التقطت في حفلة ذكرى ميلاد. إذ كان هناك حشد كبير، وكانت كل المقاعد مشغولة، والكل في كامل أناقتهم، ويجلسون حول طاولة عليها غطاءٍ أبيض اللون، ويتوسطها قالب حلوى. كان الولد منحنياً فوقه، وعلى وشك أن يُطفئ صفّاً من الشموع، ولم تكن لديه سنّان أماميتان.

"إنهما ولداي. أرجوك، لديّ ولدان. انظر، انظر، إنهما أخوان..."

"استَدِر".

وانتزع الصورتين الباهتتين من يد الحارس وأوقعهما على الأرض.

"ولداي، ابناي... أرجوك!".

"انقلب على بطنك، ولا تتحرك!".

—

في المياه الهادئة في دريفيكن، كان هناك قارب مطاطي قابل للنفخ والطي ويتسع لأربعة أشخاص يتحرك بهدوء.

قام ڤينسنت بانعطاف آخر واسع، ويده على مقود. إلى يساره رأى ضوءاً خلف حافة الغابة؛ فارستا، وأمامها الظلام؛ شاطئ سكوندال.

أطفأ ڤينسنت المحرّك، فانزلق القارب نحو حوض السفن والشاطئ. إنه القدر. كان يعتقد أنه تأخر في الميل الأخير.

توقف عند حوض السفن، وخرج من القارب، وسحبه إلى المنصة لربطه.

حينها أدرك سبب اختيار ليو لهذا المكان. فقد كان الخليج مغموراً ببركة ماء، وقد أُقفل الشاطئ بسبب فصل الشتاء. إنه المكان حيث عملت والدتهم يوماً مع الأطفال المعوّقين الذين كانوا في مثل عمره، بعضهم كانوا على كراسٍ مدولبة والبعض الآخر لم يكونوا كذلك.

وقف على الرصيف الخشبي الطويل. كان هناك رصيف آخر ليس بعيداً، وكان أقصر وأقدم بكثير، مما ذكّره بذاك الصيف الذي تعلّم فيه السباحة.

علّمه ليو السباحة على البر وفي المياه في هذا المكان الذي أسماه ليو "الدوك" أو الرصيف البحري، ثم صنع له شارة جديدة خاصة بالسباحة. وقد

استحق ڤينسنت الشارة المخترعة التي لا توجد منها إلا نسخة واحدة عندما أصبح قادراً على أن يسبح مسافة الياردات العشر التي فصلت الرصيف الخشبي القديم عن الرصيف الجديد. قام بتحريك ذراعيه وساقيه كما علّمه ليو، واستطاع أن يفعل هذا من دون أن يضع قدميه على الأرض، فصفّق له ليو وقدّم له الشارة؛ وهي قطعة كبيرة من الخشب حُفرت عليها بعض الكلمات.

تمايل إلى الأعلى والأسفل بسبب لوح خشبي متدلٍ راح يتأرجح صعوداً ونزولاً. حتى الرصيف الجديد أصبح قديماً. كان هذا اللوح الخشبي هو اللوح عينه الذي تمسّك به بعد حركته الأخيرة، قبل أن يمسك بيد ليو ليحمي نفسه من الغرق في المياه الباردة. كان صوت ليو في أذنيه دائماً، وهو يطلب منه أن يركّز على الحركة التالية فقط، ليس كما يشعر أو يرى، بل مجرّد السباحة إلى الأمام ليقوم بالحركة التالية.

كان يحاول أن يستنشق الهواء الدافئ، ويأخذ نفساً عميقاً من المفترض أن يبقى في الداخل، لكن ذلك لم يتمّ بسبب ضغط رجفات قصيرة وعنيفة راحت تدفع الهواء إلى الخارج مجدداً.

كان يجب عليهما أن يكونا هنا الآن. كان عليه أن يكون برفقتهما، فهو ينزعج من شعوره بعدم المعرفة.

فاحت منه رائحة كريهة، فشمّ يده وذراعه وكتفه.

استطاع ڤينسنت أن يشعر بها تنضح من مسامه. فهي تأتي من الداخل، ولا تَجِد مكاناً آخر لتذهب إليه. كانت رائحة لم يشمّها من قبل؛ رائحة قوية ولاذعة وخانقة. كانت نوعاً من القلق والرعب اللذين لم يستطع أن يتحكّم بهما في داخله.

ركع على ركبتيه فوق السطح الزجاجي للمياه الجليدية، وغسل وجهه.

ضغط الرشاش على ظهره فقام بتعديله. إنه الرشاش الآلي الأكثر ثقلاً، وهو معلق على كتفه. كان ليو قد سلمه إياه في البهو قبل أن يفترقا وقال له: أبقِ الماسورة مصوبة إلى أسفل دائماً؛ إلى أن تصبح جاهزاً لاستخدامه. كان ليو يشدّد على ذلك وهو يبيّن له كيفيّة استخدام السلاح. صمّام الأمان مقفول، مفتوح، مقفول. أمسك بكتفيه بإحكام وتابع: فقط تذكر يا ڤينسنت أنك من يقرّر، وليس السلاح. وضع الرشاش في حقيبة ذات نسيج صوفي غليظ تستعمل في التخييم، ثم راقبهم وهم يغادرون بسيارتَي شركة البناء. بعد ذلك، تجول وحيداً عبر سكوغاس ماراً بالمدرسة، ثم نزولاً عند الممر بموازاة دريفن نحو غور ضحل بين منحدرين. وفي الظلام الدامس، قام برفع الأغصان اليابسة والغصينات النضرة لأشجار الصنوبر، إلى أن تمكّن من رؤية الطلاء الأصفر والأزرق، ثم سحب القارب المطاطي إلى الشاطئ، ودفعه إلى المياه، وسحب حبل المحرّك. علم عندها أن ليو وجاسبر سيستغرقان خمساً وأربعين دقيقة ليصلا إلى شاطئ سكوندال.

6:11... كان يجب أن يكونا قد وصلا الآن.

—

ركض فيليكس إلى أسفل التلة عبر الغابة والحديقة العامة متجهاً نحو السيارة، ثم إلى الطريق الحصوي الضيق، ومن ثم اتجه إلى طريق الأسفلت الأوسع، إلى أن وجد نفسه عند الممر الفوقي الذي كان ينشده. كان قلبه قد بدأ للتو بالنبض بشكل أكثر انتظاماً، وبدأ يتنفس بشكل متوازن عندما سمع صوت صفارة الإنذار، وعندما رأى الضوء الأزرق وهو يدور.

"ڤينسنت، أين أنت؟".

"ما زلت هنا، عند الرصيف... أنتظر".

كانا يتواصلان عبر الهاتف الخليوي الذي من المفترض أن يستخدمه فقط

في حالات الطوارئ.

"أنت ما زلت... تنتظر؟!".

كانت هذه حالة طارئة، وصوت ڤينسنت كان ضعيفاً.

"أجل، ما زلتُ وحدي. لم يصلا بعد".

"اللعنة... اللعنة".

"فيليكس؟".

"اللعنة!".

"فيليكس، ماذا..."

"الشرطة اللعينة مرّت من هنا الآن! سيصلون إلى هناك في غضون دقائق، أين أنت!؟".

—

كان ڤينسنت يُمسِكُ الهاتف الخليوي في يده ويستمع إلى صوت فيليكس الصادر عنه، وتمكن من شمّ رائحة الخوف تفيض من مسامه؛ أقوى من الأول.

كانت تلك هي اللحظة التي رآها فيها وسمعها.

ففجأة، وقفت السيارة، وأسدلت أشعة أضوائها العلوية على نوافذ غرف تبديل الملابس على الشاطئ.

ومن ثم سُمِعت الأصوات.

كانت تتكلم بنبرةٍ عالية، وتصرخ.

—

نظر ليو إلى ساعة يده.

الساعة 6:12.

لم يكن هناك أحدٌ خلفهم على نقطة التفتيش. ما زال لديهما الوقت ليضغطا ويفتحا الباب المقفل الذي حال بينهما وبين تسعة ملايين كرونة موضّبة في حقائب قماشية.

كان على وشك عبور منخفض فارغ بطول ثمانين قدماً عندما قاوم أحد الحارسين جاسبر.

"افتح الباب أو سأطلق النار!".

" لا... أستطيع. لا أستطيع!".

وقف جاسبر وأقحم سلاحه الأوتوماتيكي في فم الحارس.

"سأطلق النار".

ركع الرجل صاحب الساعة باكياً ومحاولاً الكلام.

"أرجوك! أرجوك! أرجوك! أرجوك! أرجوك!".

أشهر جاسبر سلاحه استعداداً لإطلاق النار، ورجع خطوتين إلى الوراء.

غارت جزمته السوداء في العشب عندما انحنى إلى الأمام، واضعاً كل وزنه على ساقه اليسرى، وضاغطاً على الزناد بثبات قبالة كتفه. كانت إصبعه على الزناد، وعيناه لا يمكن فهمهما.

—

توقفت سيارة وأطفأت مصابيحها الأمامية العلوية.

كان ڤينسنت قد سمع أصواتاً عالية، ثم سمع الآن صوت طلقات.

ليست طلقة واحدة، ولا خمساً، بل عشرين طلقة، وربما ثلاثين.

كان يعلم أنه يتعين عليه الاختباء. كان يجب أن يكون هناك سارقان فقط؛ فهما الوحيدان اللذان يجب على حارسَي الأمن أن يرياهما ويقدما تقريرهما عنهما لاحقاً.

لكن فيليكس نادى عبر الهاتف. كانت الشرطة قريبة. لم يكن لديه أي خيار.

—

آلمته كتفه اليمنى، غير أنه شعر بتحسّن. وصار يتنفس وهو مرهق.

أفرغ جاسبر ذخيرته وأسرع باتجاه الباب المقفل، لامسه.

لم يكن هناك أي خدش.

سحب ذخيرة جديدة من صدرته، ثم سمع صوت خطوات قريبة. هناك في الظلام، كان الصوت يقترب. دار باتجاه مصدر الصوت، وسلاحه أمامه وجاهز لإطلاق النار.

—

لم يكن لدى ڤينسنت أي خيار، فعليه تحذيرهما. ركض على الرمال الناعمة وفوق العشب الذي اعتادوا أن يلقوا مناشفهم عليه، ركض إلى أن رأى

الشاحنة، وقربها ليو وجاسبر.

—

قام جاسبر بتصويب سلاحه باتّجاه مصدر الخطوات القريبة.

كان يعرف الوجه الذي رآه في الظلام الدامس جيداً.

قام بإطلاق الطلقة الأولى.

—

سمع ليو تلك الخطوات أيضاً، ورأى جاسبر وهو يوجّه سلاحه في ذلك الاتجاه، ورآه وهو يضغط على الزناد، ثم لاحظ شيئاً مألوفاً؛ طريقة الشخص في وضع قدمه على الأرض، وحركة القسم الأعلى من جسده. وعرفه للتو، فرمى نفسه إلى الأمام، ووضع يده حول ماسورة الرشاش ورفعها عالياً.

—

"اتّصل فيليكس، وقال إنّ..."

لاحظ ليو وجود شخص ليس من المفترض أن يكون في هذا المكان؛ شخص كان من الممكن أن يكون ميتاً الآن، ولكنه يهمس بأذن ليو.

"... الشرطة في طريقها إلينا. لقد مرّوا بنقطة التفتيش!".

أمسك ليو بأخيه الأصغر بإحكام.

كان يجب أن تبقى هناك عند حوض السفن.

"عُد أدراجك".

كان من المحتمل أن أفقدك.

"وأَدِر محرك القارب".

نظر ليو إلى جاسبر وإلى الباب الفولاذي الذي ما زال على حاله ولم يُمس بأي سوء. كانوا على عجلة من أمرهم؛ إذ لم يكن ڤينسنت ليعصي أمره لو لم يكن الوضع طارئاً.

"ارحل الآن".

هدروا الدقائق التسع من "فارستا" إلى شواطئ بحيرة درثفكن. أضاف أربع دقائق أخرى. لم يعد هناك المزيد من الوقت.

"الآن!".

سمع جاسبر أصواتاً تنبعث من مكان ما في الماء. كان صوت ليو. لكنه استطاع فقط أن يرى النور الأزرق فوق الأشجار، إنها تقترب. تأهب لإطلاق النار. تكاد تكون لديه ذخيرة كاملة، خمس وثلاثون طلقة.

كان على ليو الانتظار؛ فقد رغب بالوقوف، ومواجهة أولئك الأوغاد.

"الآن!".

كانت هناك أنوار وأصوات إنذار. صرخ ليو.

بدأ جاسبر بالركض، لكن ليس نحو القارب، بل أوّلاً نحو حارسَي الأمن، كلّ على حدة.

"نحن نعرف اسميكما أيها السافلان".

نظر إليهما، ثم مزّق هويتيهما المعلقتين على جيبَي سترتَيهما، واللتين

تتضمّنان اسميهما ورقمَي الخدمة الخاصين بهما.

"لو تكلّمتما".

انزلق القارب المطاطي الذي كان بطول عشر أقدام عبر دغل من القصب. كان ليو في الأمام، وجاسبر في الوسط، وڤينسنت في الخلف ممسكاً بحبل المحرّك.

قام بشد الحبل فلم يحصل شيء، ثم شده مجدداً، ولكن لا نتيجة.

"هيا، بحق الله!".

كانت أصابعه زلقة، وكانت تنزلق عن موضعها فلم يستطع أن يُحكم قبضته على الحبل. وعندما تمكّن من ذلك، قام بسحب الحبل عدة مرات أخرى من دون أن يحدث شيئاً.

" اللعنة يا ڤينسنت، جرب الشرّاقة!".

ظل ڤينسنت ضاغطاً على الزر الأرزق، وقام بشد حبل المحرك بقوة، فبدأ المحرك بالدوران.

نظر ليو إلى أخيه الصغير مجدداً. لطالما كان صغيراً جداً، ولكنه الآن فقط اتّخذ قراره الخاص، وعصى أمراً، وغادر موقعه ليحذّرهما. قام بمراقبة الأنوار الزرقاء المشعة خلفهم، والتي بدت جميلة مقابل الظلمة التي تلاشت بعيداً في الجانب الآخر من المنحدر عند وصول قاربهم إلى المياه المفتوحة، وسرعان ما اختفوا داخل الظلمة.

أسند جون برونكس رأسه على نافذة كبيرة، وشعر بإحساس رائع، فقد كانت باردة على جبينه. كانت أوراق الأشجار المزروعة حديثاً، والتي نُصبت في خط واحد في فناء مركز الشرطة في كرونوبرغ، قد تحولت إلى اللونين الأصفر والأحمر، وأصبحت الآن بنية اللون، وراحت تتساقط على الأرض التي يدوس الجميع عليها.

إنها الساعة السابعة إلا عشر دقائق من مساء يوم الجمعة.

لا وجود للحياة هناك، ولا هنا.

عليه أن يذهب إلى منزله. ربما سيفعل ذلك.

ذهب إلى المطبخ الصغير الواقع وسط المكتب، لتحضير الشاي. ما زالت الأضواء منبعثة من مكتبين فقط. كان مكتب كارلستروم على بعد أربعة أبواب في آخر الرواق، وهو رئيس المفتّشين، ويوشك على التقاعد. كان يستمع إلى موسيقى الستينيات ويستلقي على أريكة مخملية بنية اللون. لا يرغب جون أبداً في أن ينتهي به الأمر على هذا النحو. لن ينتهي هكذا؛ وهو يمضي لياليه في المركز ليهرب من الوحدة، كما لو أنه يسقط على رأسه في حفرة سوداء. كان برونكس هنا لخلاف ذلك، فهو لم يكن بحاجة إلى الاختباء هنا. كان يرغب في الذهاب إلى البيت عندما يشعر أنه يستحق ذلك، ويستحق أن يعطي نفسه إذناً.

حمل الفنجان الساخن في يده، لم يكن الطعم مُرضياً، لكنّ شُربَهُ سَلِس.

كان مكتب برونكس على غرار غيره من المكاتب؛ ففيه أكوام من الملفات، وتحقيقات تجري بالتوازي يبدو الآخرون مغمورين فيها. ولكن بالنسبة إليه،

بدت وكأنها الخريف على مكتبه، إنها شيء جعله يتنفس بسهولة.

المحقق جون برونكس (ج ب): هل انطرحت أرضاً؟

أوولا إريكسون (أو إري): نعم.

ج ب: وبعد ذلك... هل قمت بضربها؟

أو إ: نعم.

ج ب: كيف؟

أو إ: جلست فوقها، على صدرها، وقد باعدت ساقيّ. ضربتها باليد اليمنى مجدداً.

ج ب: مجدداً؟! أتعني كما في المرات السابقة؟

أو إ: عادة تتظاهر.

ج ب: تتظاهر؟

أو إي: نعم، أحياناً... غالباً ما تتظاهر بالإغماء.

كل ليلة تقريباً، عند اقتراب وقت مغادرته مركز الشرطة للعودة إلى المنزل، كانوا يبدأون بالمزيد من الضغط، والمزيد من التحقيقات التي تمنعه من المغادرة، وتمنعه من أن يكون جزءاً ممّا يدور خارج نافذته.

توماس سورنسن (ت س): أخذته إلى غرفته وسألته إذا كان قد رأى شيئاً مختلفاً.

المحقق جون برونكس (ج ب): شيئاً مختلفاً!

ت س: كان المصباح اللعين مضاء. كان كذلك كل اليوم. لذا كان علي أن أُعلمه.

ج ب: ماذا تقصد بذلك؟

ت س: ضربته بالكتاب على قفا رأسه. يتعين عليه أن يفهم أن ذلك مكلف! هذه لم تكن المرة الأولى.

ج ب: ألهذا السبب ضربته؟

ت س: لأنه ترك المصباح مضاء.

ج ب: ابنك في الثامنة من عمره.

(سكوت – صمت)

ج ب: الثامنة.

(سكوت – صمت)

ج ب: هل استمررت بضربه بالكتاب... الكتاب ذي الغلاف القاسي والسميك؟

ت س: مممممم.

ج ب: وبعد ذلك... أريدك أن تنظر إلى الصور في الأسفل، الظهر، الجسم، الرقبة، العظام السفلى!!

ت س: لكن عليك أن تفهم أنه استحق ذلك.

خاض غمار هذه التحقيقات ليلة بعد ليلة، وكان معظمها على هذا

النحو. لكنه لم يقم بذلك من أجل المهاجِمين أو المهاجَمين؛ إذ لم يكن هذا من أجل أي منهم. فهو لم يلتقِ هؤلاء الأشخاص من قبل، ولم يعرفهم. لم يكن هذا ما جعله يبقى هنا طويلاً بعد أن خلا البهو من الناس، بل كان السبب هو الهجوم بحدّ ذاته؛ ملفاً بعد ملف، ووثيقة بعد وثيقة.

إريك لندر (إ ل): لم تفعل ما قُلتُه لها.

المحقق جون برونكس (ج ب): ماذا تقصد بالضبط؟

إ ل: أقصد هذا بالضبط.

(سكوت – صمت)

ج ب: إذاً... ماذا فعلت؟

(سكوت– صمت)

ج ب: بهذه الصورة، طبقاً لتقرير الطبيب، أوّلاً قمت بكسر فكّ مساعدة البيع في المتجر.

(سكوت – صمت)

ج ب: وهنا، كسرت إحدى عظام الخد.

(سكوت – صمت)

ج ب: وهذه صورة لصدرها الذي قمت برفسه مراراً.

(سكوت – صمت)

ج ب: وليس لديك ما تدلي به بهذا الشأن؟

إ ل: أنت...

ج ب: ماذا؟

إ ل: لو أردت قتلها... لفعلت.

وبعد... بالرغم من أنه لم يكترث لأولئك الغرباء، إلّا أنه كان في كل مرة يقوم فيها بالتحقيق، يبذل جهداً إضافياً. وكأنه يصبح أكثر تنبّهاً وأكثر تشوّقاً، وكأن هناك قوّة تجذبه إلى الداخل ولا تدعه إلى أن يجلس مرتكب الجرم في زنزانة السجن فوقه بأربعة طوابق.

"جون؟".

كان هناك من يطرق الباب. كان أحدهم واقفاً عند الباب ويهم بالدخول.

"أما زلت هنا يا جون".

إنه كارلستروم، رئيس المكتب؛ رئيسه في العمل. كان مرتدياً معطفه الشتوي، وحاملاً حقيبتين تفيضان بالأوراق.

"هل تعلم يا كارلستروم؟ انتهى بي الأمر بمعدل خمسين قضية في السنة عن العنف الشديد، مُكدّسة على مكتبي!".

"أنت ما زلت هنا؛ تماماً كما تفعل عادةً في كل ليلة".

كان برونكس يحمل صورتين لجثة امرأة.

"أصغِ إلى هذا: لو أردت قتلها، لفعلت".

"وفي نهاية الأسبوع، هل ستبقى هنا يا جون؟".

أمسك جون بالمزيد من الصور من ملف آخر وقال:

"أو هذه يا كارلستروم: لكن، عليك أن تفهم أنه استحق ذلك".

"لأنك إذا كنت ستمكث هنا، فأنا أريد أن أضع هذا جانباً".

كان هناك المزيد من الصور، ولكنها ليست دقيقة. وعلى الأرجح تم التقاطها من قبل التقني الجنائي نفسه وتحت إضاءة المستشفى.

"انتظر، هذا هو الأفضل: غالباً ما تتظاهر بالإغماء".

أخذ كارلستروم الوثائق وكوّمها فوق طاولة المكتب من دون أن ينظر إليها.

"هل سمعت ما قلته للتو يا جون؟".

وأشار إلى ساعة الحائط خلف جون برونكس.

"منذ ساعة وسبع دقائق، أُصيبت شاحنة مدرّعة في فارستا، وسُلب أكثر من مليون كرونة، وتم استعمال أسلحة أوتوماتيكية، وأُطلقت عيارات نارية. خُطفت السيارة واقتيدت إلى شاطئ في سكوندال حيث حصل المزيد من إطلاق النيران هناك عندما حاول سارقان مقنعان اقتحام الخزنة".

رفع كارلستروم كومة الصور ولوّح بها، ثم قلبها رأساً على عقب.

"انسَ هذه الآن، فقد انتهت هذه التحقيقات. أريدك أن تذهب إلى هناك وتتولى الموضوع، الآن".

وابتسم له.

"مساء الجمعة، جون، وكل يوم السبت، وربما الأحد أيضاً؛ إذا كنت

محظوظاً".

كان كارلستروم على وشك أن يمسك بالحقيبتين ويغادر عندما غيّر رأيه، ورفع كركنداً حياً ذا بقع سوداء ورباط مطاطي حول براثنه.

"عشائي يا جون سيكون رافيولي من صنع البيت، وورق ريحان على كل حلقة من المعكرونة المغطاة بالكركند الطازج، والكمأ المبروش، والملح، وزيت الزيتون. ثم سنغلف الحلقة بعجينة هلالية الشكل، وسنضغط على الجوانب كلها بشدة لإغلاقها بإحكام. الأولاد يحبون هذا".

ابتسم جون أيضاً لرئيسه في العمل الذي يسرع في عصر كل يوم جمعة إلى سوق أوسترمالم ليختبر الإنتركوت النيء، ثم يجلس في "كافيه" وينعى حقيقة أن الدجاج المغذى على الذرة قد تم منعه من قبل الاتحاد الأوروبي.

كان الرجل الأوّل يفكر بالكركند المربوط بأربطة مطاطية، فيما سيتولى الآخر مهمة التحقيق بسرقة الشاحنة المصفحة.

أنتَ حصلت على عطلة نهاية الأسبوع التي ترغب بها، وأنا حصلت على ما أرغب به.

—

لم يكن فيليكس بارداً كالثلج لأنه كان عارياً. ولم يكن كذلك لأنه لم يقم بإطلاق النار على السيارة السوداء قبل أن تنعطف.

كان ما يعيشه حالياً سكوناً خاصاً به.

لو كان ليو الأكبر منه بثلاث سنوات والمعروف بفظاظته مستلقياً على تلك التلة، لكان قد أطلق النار. كان على يقين من ذلك. ولو كان ڤينسنت-

الذي يصغره بأربع سنوات- هناك لأطلق النار بخوف. ولو كان جاسبر- المتشوق لكي يكون الأخ الرابع- هناك لأطلق النار أيضاً؛ فقط لأنه يستطيع فعل ذلك.

نظر فيليكس إلى الغابة المظلمة حوله، ثم إلى المياه المظلمة.

كان يجلس في السيارة عندما رأى الأنوار الزرقاء واتصل بـڤينسنت الذي كان لا يزال ينتظر وحيداً. ومن ثم قاد السيارة إلى هنا طبقاً للخطة، كي يتمكن من الانتطار وحيداً أيضاً.

ارتدى السترة المائية الضيقة، ذات الكمين والساقين القصيرة كي يخفّض من قابلية طفوه في الماء. إذ كان يتعين عليه أن يغوص عميقاً في الماء.

كان المصباح في يده، ولكنه لم يكن مضاءً بعد. دقق النظر إلى المياه، فرأى أمواجاً طويلة ومميزة، لكنه لم يلاحظ أي شيء آخر.

ساد السكون، الكثير من السكون.

أهو الذي لم يتمكن من السمع؟ أو كانت الريح تحجب صوت محرك القارب المطاطي الزئبقي؟

أضاء مصباحه ثلاث مرات بالضوء الأخضر... تلك كانت الإشارة المتّفق عليها.

ظهر أمامه الخليج المقوّس، ثم الرأس الناتئ، والأنوار الكهربائية التي تصل الشاطئين مثل حبل غسيل سميك يمتد فوق رؤوسهم، ثم التلال المنحدرة، وبعد ذلك، هناك في الأمام... هناك...

كان لا يزال بعيداً، واعترضته الأشجار المنتشرة على الشاطئ، ولكنه تمكن

من إرسال الإشارة الضوئية الخضراء، ثلاث ومضات.

"ڤينسنت؟".

"نعم".

"نحن نتبادل الأماكن".

كان ليو قد تدرب على الملاحة في هذا الجو ووسط الظلام. أمامهم آخر مرحلة، فقد أوشكوا على الوصول إلى البر، والقيام بالمناورة حول الصخور الناتئة والحادة التي لا يمكن رؤيتها. أمسك بذراع الدفة، وأبطأ السرعة، وانعطف، ثم انعطف مجدداً.

"يا للهول! ڤينسنت، لقد تَمَكَّنّا من القيام بهذا!".

كان ڤينسنت جالساً بالقرب من جاسبر الذي وضع يده حول عنقه.

"لم يتمكن أحد على الإطلاق من السطو على شاحنة مصفحة بإتقان هكذا".

شعر ڤينسنت بفرحة الانتصار مثل جاسبر، ولكن كانت تنقصه القدرة على إظهار ذلك.

"ما بالك يا ڤينسنت؟ هل أنت على ما يرام؟ لقد فعلنا ذلك حقاً!".

"ما بالي؟! كنت على وشك إصابتي بطلق ناري!".

"كانت لديك أوامر بأن تبقى على متن القارب. كيف لي أن أعرف أنك ستصعد إلى هناك؟!".

"لو لم أحذرك، لو لم أقم..."

"أريد بعض الهدوء الآن. اصمتا كلاكما. وأنت يا جاسبر، اخلع شعرك المستعار وضعه في الحقيبة واغسل وجهك".

أبطأ ليو قليلاً. كانت الدواسر بطيئة في المياه السوداء.

الصخرة التي هناك، هناك قوس عريض بداخلها. ثم حول التلة الصغيرة. ثلاث ومضات.

أصبح الضوء الأخضر أكثر إشعاعاً، وأوضح.

تحرّك نحوه.

كان هدفهم هو الوصول إلى المنحدر الذي عليه شجرتا صنوبر هزيلتان. وكان فيليكس واقفاً عليه، بسترته المبللة وقدميه العاريتين.

لقد وصلوا.

قفزوا إلى الشاطئ حاملين ثلاث بنادق آلية وحقيبة تحتوي على الوديعة من مكتب الصيرفة، بينما قام فيليكس بالتقاط أربع حقائب "آديداس" متشابهة من بين العشب الطويل من مكان ليس ببعيد، وكانت تحتوي على بناطيل من الجينز وقمصان وسترات وعصي للعبة الهوكي الداخلية. وضع على وجهه القناع، ولبس الزعنفتين المخصصتين للغوص. بدأوا جميعاً بملء القارب المطاطي بالحجارة الكبيرة التي قام بدحرجتها إلى الأمام، ثم ربطوا حبلاً طويلاً حول كل منها ووصلوها بالمحرك.

قام كل من ليو وڤينسنت وجاسبر بدفع القارب إلى المياه الباردة، نحو فيليكس الذي كان يسبح بالقرب منه مرتدياً سترة مائية بنية اللون مثل جلده. رفع نفسه إلى الأعلى إلى جانب القارب المطاطي، وبدأ يمزقه بسكين كبير. أحدث شقوقاً طويلة على جوانبه، وفي قعره، وفي الأمام والخلف. وبعد أن فرغ القارب من

معظم الهواء وبدأ بالغرق، أحدث المزيد من الشقوق هنا وهناك.

غرق القارب ببطء تحت سطح المياه.

لم يتمكن من رؤية ما هو أبعد من مجرد طول ذراع أمامه وحسب، ولكنه كان يعلم أنه طبقاً للجدول البحري، إن عمق البحيرة هنا ثلاثون قدماً. لذا، تعقّب القارب إلى عمق ثلاث أو ربما أربع ياردات قبل أن يطفو مجدداً. لطالما كانوا يسبحون هنا حين كانوا أطفالاً، حيث يسبحون ويغوصون ويسعون وراء كنز لا وجود له من دون أن يقتربوا من قعر البحيرة المليء بالطين، مما لاءم التصاق القارب به.

عندما وصلوا إلى الشاطئ، ارتدوا الملابس الجديدة، ثم قاموا بتعديل عصي الهوكي التي كانت بارزة من حقائبهم المتشابهة. إذا ساروا بخطى عادية، فسيستغرقون ثماني عشرة دقيقة تماماً. سيجتازون ممراً ضيقاً ذا منحدر عالٍ على أحد جانبيه ودريفيكن على الجانب الآخر، ثم سيسيرون عبر الغابة، وفوق المرج، ومروراً بنادي المدرسة الرياضي، حيث كان بإمكانهم أن يلعبوا لعبة الهوكي الداخلية، ثم سيتابعون سيرهم إلى أجمة من الأشجار، حيث سينفصلون باتجاهين كي يجتمعوا مجدداً عند الجسر.

—

تسلّم جون برونكس التقرير الخاص بالسطو على الشاحنة المصفحة، وأسرع نحو سيارته الموجودة في مرأب مركز الشرطة في كرونوبرغ، وقادها فوق جسر فاستربرون. توقف لتناول "الهوت دوغ" عند الساعة السابعة والدقيقة السابعة. كانت تحتوي على أربعمئة سعرة حرارية، واستغرق أكلها الوقت نفسه الذي ستستغرقه قراءة وصفة رافيولي الكركند. وعند متابعته القيادة جنوباً ماراً بِسكانستل، كان الناس يخرجون كعادتهم في يوم الجمعة ليلاً، ويتحولون من حياة إلى أخرى،

عملاً بنظام المكافأة الجماعية.

مضت ساعة وسبع دقائق قبل حلول وقت استلامه التقرير. وقد أمضى اثنتين وعشرين دقيقة في السيارة. علم أن السارقين المقنعين اللذين قاما بالسطو على الشاحنة المصفحة وهاجما حارسيها قد أصبحا في مكان آخر.

زاد من سرعته، لكن أفكاره بقيت عالقة في ملفات القضايا التي تركها على مكتبه. الزوج الذي قتل زوجته ثم انتظر وصول الشرطة، والذي لم يتمكن من التخلص من خوفه من الوحدة، وشعر بوحدة أكبر بعد ضربها. الوالد الذي أخذ ابنه إلى الطبيب وأجبره على الكذب لدى شرحه كيفية إصابته بغلاف الكتاب، والقول إن سببها كان المزلجة التي لم تنزلق على الدرابزين كما تمنى. والرجل الذي لاذ بالصمت لدى مواجهته بصور موظفة المخزن التي تأذت كثيراً من شدة الضرب، وكان مقتنعاً بأنه كان رابط الجأش وكان بإمكانه أن يتوقف متى أراد.

قام برونكس بالتحقيق معهم جميعاً هذا الأسبوع، وأدلوا باعترافاتهم. مرتكبو الجرائم هؤلاء أجبروه على التقليب المستمر بملفاته المليئة بحوادث الضرب المبرح.

غادر الطريق السريع الذي تحول تدريجياً من ساعة الذروة في يوم الجمعة إلى زحمة عطلة نهاية الأسبوع، وأسرع عند اجتيازه طريقاً أصغر إلى ضاحية تدعى سكوندال، ماراً بمباني الشقق ثم البيوت، ثم انتهى به الأمر عند شاطئ خالٍ في الخليج، أو يفترض به أن يكون كذلك. ولكن الآن كانت هناك ثلاث سيارات شرطة، وسيارة إسعاف، وشاحنة مصفحة مفتوحة.

أنتَ حصلت على عطلة نهاية الأسبوع التي ترغب بها، وأنا حصلت على ما أرغب به.

كان هناك أزيز طوافة في الجو، ونباح كلاب على مقربة منه. سيقوم

بملاقاتهم لاحقاً. أولاً، الشاحنة البيضاء. سار نحوها، كانت هناك آثار ثقوب خمس رصاصات في النافذة الجانبية، ودم متخثر سال من ذقن ورقبة حارس الأمن المطروح أرضاً وإلى جانبه فريق الإسعاف. لم تكن حاله خطرة، ولكن الإصابة الحقيقية التي لن تشفى كانت في داخله.

"ليس بعد".

كانت هناك امرأة شابة ترتدي الزي الرسمي الأخضر، وتضع بطاقة على صدرها تبيّن اسمها باللون الأحمر. أومأت برأسها أولاً باتجاه برونكس، ومن ثم باتجاه حارس الأمن المطروح أرضاً والذي كان يجول بنظره من دون أن يرى، إذ كان دماغه عاطلاً عن العمل.

"حسناً، متى؟".

"إنه تحت تأثير الصدمة".

"متى؟".

"لا يمكنك أن تحقق معه بعد، هل فهمت؟".

توجّه برونكس نحو الحارس الآخر الذي كان يسير حول الشاحنة المصفحة مراراً وتكراراً.

"مرحباً، أنا جون برونكس، وأريد أن..."

"أنا المذنب. هل تفهمني؟ أنا من سمح لهما بالدخول".

أصبح أسرع قليلاً، واتسعت الدائرة التي يسير فيها حول مقدمة الشاحنة.

"كان من الممكن أن يقتلانا. هل تفهمني؟ لقد أطلقا النار على النافذة،

وبعد ذلك على الباب الفولاذي الذي كان ليندن قد أقفله. لقد أرادا الدخول، أرادا... لقد أطلقا النار مجدداً".

"الباب الفولاذي؟".

"حيث كانت الخزنة وباقي الأموال".

كان الباب الأمامي مفتوحاً، فنظر برونكس إلى داخل الشاحنة الصغيرة.

"علما أن هناك المزيد. وبدأ بإطلاق النار. كان اليائس بينهما يصرخ في وجهينا، ويهددنا. وكان مخزن الرشاش يحتوي على ست وثلاثين رصاصة، هل كنت تعلم هذا؟".

اقترب جون برونكس أكثر. كانت الدماء والزجاج والرصاصات منتشرة على المقاعد وعلى الأرض. وعلى لوحة الحجاب الزجاجي كان هناك إيصال: محطة فوركس المركزية 3001، تحت طبقة رقيقة من شظايا الزجاج.

"صرخ عالياً، ثمّ... أراد الدخول".

كان الحارس يقف وراءه، وعلى وشك أن يبدأ بالدوران مجدداً.

"كان اليائس منهم يبدو عربياً".

"عربياً؟!".

"نعم، كان يقول: هيا هيا... وكلمات على غرار ذلك، وباقي الكلام كان باللغة الإنكليزية، وبلكنة مميزة".

كانت هناك حقيبة تخييم من النايلون، بين مقعد السائق ومقعد الراكب. كان جون قد رأى سابقاً هذا النوع من الحقائب في سرقات أخرى.

"كم؟".

كان حارس الأمن قد بدأ بالابتعاد.

"عذراً... لكن، كم بقي منها هناك؟".

أجابه بصوت مرهق، ولكنه واضح، وقد أدار ظهره لبرونكس:

"ثماني محصلات نقدية من ثمانية مكاتب صيرفة، بمقدار مليون في كلٍّ منها. ولقد حصلا على واحدة فقط".

كانت هناك ثلاث سيارات شرطة في الموقع، بالإضافة إلى كلبين وطوافة. وقد وضعت متاريس على الطريق، وحضر أخصائيون جنائيون.

وفي الجانب الآخر، كان هناك اثنان من مرتكبي الجرائم اللذان ظهرا بمظهر عربي وتكلما باللغة الإنكليزية، وقد قاما بالسطو على شاحنة مصفحة، وأخذاها إلى الشاطئ، وحاولا اقتحامها والسطو على خزنتها، ثم اختفيا بعد ذلك في الطرقات الخلفية لمنطقة سكنية أو في ممرات التجول على الشاطئ.

استمر حارس الأمن، سامويل بالدوران حول الشاحنة، وتعقبه برونكس بعينيه- لم يكن الرجل يعلم إلى أين يتّجه- إلى أن ناداه فريق الإسعاف الذي يرتدي أفراده السترات الخضراء.

"لا بأس بالتحقيق معه الآن. خمس دقائق".

توجّه جون برونكس إلى الحارس الآخر الممدد على النقالة، وتصافحا. كانت يد الحارس باردة ورطبة وضعيفة.

"جون برونكس، شرطة المدينة".

"جان ليندن".

حاول ليندن أن ينهض، لكنه فقد توازنه، فقام برونكس بإمساكه وساعده على الاستلقاء مجدداً.

" كيف حالك؟ هل أقدر أن..."

"السارق... كان... ينحني إلى الأمام".

"ينحني إلى الأمام؟".

"السارق الذي أقحم تلك... اللعينة في فمي".

"ينحني إلى الأمام! كيف؟".

"كان... لديه مركز جاذبية منخفض، أتعلم ما أعنيه؟ عندما صوّب سلاحه عليّ".

قام الحارس بمد ساقيه، وثنيهما عند الركبتين ليشرح ما يقصده.

"هكذا... وكأنه يمسك بالرشاش فوق جسده، وساقاه مثنيتان، وفردة جزمته غائرة في الأرض".

"جزمة!".

نهض ليندن عن النقالة مجدداً، وشعر بالتحسّن هذا المرّة.

"هل قلت إن فردة جزمته كانت غائرة؟".

ثم بدأ يمشي أيضاً، وقال:

"عليّ أن أعود إلى البيت الآن".

قام فريق الإسعاف وبرونكس بتعقبه، وكان هناك شخصان يمسكانه من الجانبين.

"لقد أخذا هويتي. إنهما يعلمان الآن أين أعيش".

حاول أن يفلت منهم، لكن كانت تنقصه القوة.

"ولداي في البيت. ألا تفهم؟ علي أن أعود إلى البيت لأجلهما!".

ثم بكى، فاقتاده فريق الإسعاف برفق إلى النقالة، على أن يتم استكمال استجوابه في اليوم التالي.

بقي برونكس وحده.

أُضيئت الشاحنة أمامه مثل مسرح خارجي، وقام الفريق الجنائي بالتنقل إلى الداخل والخارج.

كانت أنوار الشاطئ خلفه ضعيفة عند مرور الفريق التقني من رصيف إلى آخر.

كان يعرف الشعور بالخوف، وعلم ماذا يشبه، وكيف يبدو. لكنه تعلّم ألّا يتجنبه ثانيةً على الإطلاق.

القوة المفرطة.

من يُرعِب عن سابق تصميم وترصّد بهذا الشكل؟ من يستخدم الخوف بتلك الطريقة؟

أحد ما اختبر هذا الشعور من قبل.

أحدٌ يعرف كيف يتمّ هذا، وقد نجح بالفعل.

سار جون نحو المياه والأضواء الهائمة. كانت لديهما خطة جلية ومحكمة من حيث الموقع والتوقيت، وكانا مدججين بالسلاح. استخدما مستوى متطرفاً من العنف، وقاما بكبح جماحهما أثناء عملية الخطف. وقد اختارا مقراً بعيداً. إذاً، ليسا سارقين هاويين يستهلان نشاطهما لأول مرة، بل إنهما ينتميان إلى جماعة قامت بتنفيذ سرقات مشابهة من قبل.

اقترب من رصيف طويل محاط بدغل من القصب الغليظ، حيث كان هناك تقني جنائي آخر يمسك بمصباح.

في بعض الأحيان، أنت تعلم بالأمر وحسب.

كان الظلام دامساً ما عدا ضوء المصباح، لكن هناك شخصاً واحداً في العالم كله يتحرك على هذا النحو. تابع سيره حتى بات أقرب إليها، فأصبحت أوضح.

"غازولين".

ما زالت تبدو شابة. أمّا هو فيعلم أنّه لا يبدو كذلك.

"وهنا، توجد على بعض الألواح الأولى أوساخ وأعشاب".

اندفعت إلى الأمام، وكان مصباحها موجهاً إلى سطح الماء، وإلى القطرات الصغيرة التي تومض وتذوب معاً.

"أقفلوا هذا الممر".

هذا كل شيء. لم تضف شيئاً، بل استدارت وتركته عائدةً إلى الشاحنة المصفحة كي تفتشها وهي جاثية على ركبتيها برفقة زميلها والأشعة تحت الحمراء، في محاولة للعثور على شيء لم يتمكنوا من رؤيته من قبل.

نظرت إليه وكأنها لم تكن تعرفه من قبل.

كان يفكر فيها يومياً خلال السنوات القليلة الماضية، فكر فيها عدة مرات في اليوم، وفي إمكانية لقائهما مجدداً. كان قلقاً، لكنه أمل وحلم. وبعد ذلك لم يفكر فيها يومياً، ولكن تقريباً. والآن... هذا هو الوضع، انتهى بها المطاف من دون حتى أن تسلم عليه أو تبتسم له.

إنه شعور غريب أن يحس وكأنه غير موجود.

صعد جون برونكس على الرصيف، منزلقاً بسبب الندى. كانت فارستا قبالة المياه خلف الأشجار تماماً. وكان في الاتجاه الآخر صف من الضواحي الجنوبية، وآلاف المواقع لرسو القوارب الصغيرة.

كانت على حق.

تلاشيا بهذه الطريقة. إنهما فردان ضمن مجموعة من المجرمين الذين استخدموا الاعتداء كوسيلة؛ مجموعة من المحترفين الذين قاموا بهذا من قبل، وسيقومون بذلك مجدداً.

كانت أنيللي تتجمّد من البرد، ولكنها لم ترغب بمغادرة الشرفة حيث يمكن رؤية ضوء الممر السفلي الباهت. وكان ذلك هو المكان الذي سيظهر منه ليو للعيان. بالإضافة إلى ذلك، كانت هناك سجائر "مندنز" بمذاق النعناع والتي تمنحها الأمان...

جعلها التدخين المستمر تشعر بالدفء قليلاً.

سيجارة أخرى.

أوقفت سيارتها، ثم صعدت على السلالم بسرعة، وفتحت باب الشقة من دون حتى أن تخلع معطفها، واستمرت بالركض وعبرت الرواق وغرفة الجلوس وصولاً إلى الشرفة حيث سمعت صفارة الإنذار.

أصابها القلق.

لم تكن لديها أي فكرة عمّا يدور. قد تصل الشرطة إلى هناك الآن، وربما يطلقون النار عليهم الآن، وقد يصاب ليو ويلفظ أنفاسه الأخيرة بدونها الآن.

كانت تسمعهم منذ أشهر وهم يتكلمون عن كيفية السطو على شاحنة مدرّعة. لقد سمعتهم، ولكنها لم تتبادل أطراف الكلام معهم، وفي المرات القليلة التي قالت فيها شيئاً، لم يصغوا إليها. لم يصغ إليها ليو. كان الأربعة مجموعة من نسيج واحد حبك بحبكة متماسكة استطاعت أن تشعر بها وتلمسها، لكنها لم تكن جزءاً منها. بدا ليو غائباً عندما كان معها، وحاضراً عندما كان برفقة أخوَيه وصديقه الذي يتمنّى أن يكون أخاه الثالث. حتى إنهما لم يعودا يتناولان الطعام مع بعضهما. هاي، هل يمكنك أن تشتري لنا بعض أصابع السمك، تلك القطع الهشة

من سمك القد الأكبر قليلاً، تعلمين عن أي قطع أتكلم، أليس كذلك؟ لقد فقدت ثمانية باوندات، الأمر الذي يعتبر خسارة كبيرة جداً في الوزن بالنسبة إلى شخص هزيل أصلاً. ولكنه لم يلاحظ هذا الأمر.

أشعلت سيجارة جديدة، وقامت بمجّها بقوة لملء الفراغ في داخلها.

تضاعفت أصوات صفارات الإنذار وباتت أعلى، وظلت تدوّي في رأسها حتى عندما غطت أذنيها. عادت إلى الداخل، وأوصدت باب الشرفة لتسكت هذا الصوت، ثم شربت النصف الآخر من زجاجة الشراب، وأدارت التلفاز. إنها الساعة السابعة والنصف، وقد حان موعد الأخبار. لم ترغب يوماً في سماع الأخبار، فهي لم تكن تعنيها؛ ليس هنا، ليس في شقّة في سكوغاس. بدت لها موسيقى المقدمة، والقصص التي كانت تخالها على قدر من الأهمية كصفارات الإنذار المنبعثة من الخارج. رأت أناساً ممددين على الأرض المتصدعة والجافة وبطونهم منتفخة، وأناساً آخرين يقفون أمام الشاشات التي تعرض أسعار الأسهم مرتدين بذلاتهم، وأناساً يقفزون أمام الكاميرات في خضم الحرب ويطلقون النار على الناس.

مُذيعة نشرة الأخبار باسمة. امرأة استطاعت التعرّف عليها.

تمكّن رجلان مسلّحان من السطو على أكثر من

مليون كرونة من شاحنة مصفحة في جنوب

ستوكهولم منذ ساعة ونصف الساعة فقط.

كان فمها هو الشيء الوحيد الذي شاهدته. شفتان تتحركان ببطء.

خُطِف حارسا الأمن تحت تهديد السلاح، وأُصيب أحدهما.

أُصيبَ أحد بطلقٍ ناري!

من؟

اقتربت أنيللي أكثر من شاشة التلفاز، ومن المرأة التي تحرك شفتيها. لم أسمع جيداً ما قلتِه، ألم تفهمي هذا؟! من؟ مرة ثانية! أعيدي ما قلته مرّة ثانية! من أُصيب؟ التقطت جهاز التحكّم عن بعد عن الطاولة.

ضُرب طوق كبير حول المنطقة، لكن الشرطة ما

زالت تفتقد إلى أدلة توصلها إلى السارقين أو إلى أي

شريك محتمل.

ثم سمعت، أكثر من مليون. سمعت منذ البداية. إن الحارسين قد اختُطفا تحت تهديد السلاح. ومع هذا، قامت بخفض الصوت وهي لا تزال تستمع إلى نشرة الأخبار التي كانت للمرة الأولى في حياتها تتكلم عنها فعلاً. ما زالوا يفتقدون إلى الأدلّة. شاهدت الصور أيضاً، أو في الواقع صورة واحدة فقط. فالشيء الوحيد الذي عرضوه على شاشة التلفاز كان شاحنة مهجورة خلف شريط باللونين الأزرق والأبيض أحيط به موقع الجريمة، وكان يهتز بسبب الريح، ويقف خلفه عدد القليل من الناس الذين كان من الصعب بالنسبة إليهم أن يدركوا ما يحصل. وكان أحد الأشخاص بزي الشرطة أو بزي مختلف ربما جالساً على الأرض، فيما شخص آخر يجول حول الموقع ويمعن النظر.

ثم اختفى المشهد.

تحولت الصور من البرلمان السويدي إلى المركز الرئيس لمنظمة الأمم المتحدة في نيويورك.

لم تكن لديها أي فكرة عن الوقت الذي استغرقه عرض تلك الصور. ربما

استغرق ثلاثين ثانية، أو خمساً وأربعين ثانية. تلك الشاحنة... كانت النشرة تعنيهم، وتعنيها.

خرجت إلى الشرفة مجدداً لتدخين سيجارة، وأسندت جسدها إلى الدرابزين لتحصل على مشهد أفضل للجسر والممر في الأسفل، وقدماها تكادان تعلوان عن الأرض الباردة.

اختفى صوت صفارات الإنذار، وبقي صفير الريح وحسب، وشيء آخر، قد يكون طائراً، أو صوت موسيقى منبعثاً من نافذة في الطابق الأسفل.

شعرت بخفة جسمها فانحنت إلى الخارج أكثر. ماذا لو سقطت؟

سيكون هذا مؤلماً. كانت هي التي أخبرت ليو أين يَجِد صانع الشعر المستعار. وكانت هي- على الأقل هذا ما تذكرته- التي قالت إنها ستحولهما إلى اثنين من المهاجرين. لذا، قامت بتسريح شعرهما، وتلوين وجهيهما. وفي المرات الأولى، قهقهوا جميعاً حين رأوا مظهريهما. وهي التي صمّمت الياقتين الضيقتين والطويلتين وخاطتهما ليتمكنا من سحبهما إلى الأعلى وتغطية وجهيهما؛ مما دفع ليو إلى الإقرار بجودة الياقة التي خاطتها لدرجة بيعها لسارقين آخرين.

ها هم هناك.

عند خروجهم من تحت الجسر، تمكنت من رؤيتهم تحت الأنوار المنبعثة من مصابيح الشارع. وقفت على الشرفة وهي تنظر إليهم من الأعلى، فتمكنت من رؤية الأحذية أولاً، حذاء ليو وهو يغادر الممر السفلي. رأت حذاء ليو، ثم ركبتيه، ثم فخذيه، وبعد ذلك رأت صدره ورأسه، ومن ثم رأت الثلاثة الآخرين الذين كانوا وراءه بخطوة. كانوا جميعاً يحملون حقائب على أكتافهم تبرز منها مضارب الكرة، وكانوا قد خبأوا فيها رشاشاتهم وأكثر من مليون كرونة.

ها هم هناك.

شعرت بأنها مفعمة بنوع من الدفء الذي كانت تشعر به فقط عندما يقومان بعلاقة حميمة، أو عندما رأت سيباستيان للمرة الأولى على بطنها، هزيلاً ومولوداً حديثاً.

أرادت أن تركض إلى الباب، ولكنها لم تفعل ذلك؛ إذ لا يجب أن يرى كم كانت قلقة عليه، فهو لن يحب هذا.

دخل جاسبر أولاً. بدا وكأنه على وشك الانهيار، وكأنه بحاجة ملحّة إلى إخبارها بشيء ما؛ مراراً وتكراراً بمختلف الطرق خلال المساء. وأخيراً، تحول ما يشعر به إلى جمل عندما نظر إلى عينيها وهمس لها قائلاً: "هل تفهمين حقاً ما الذي مررت به يا أنيللي؟".

حمل حقيبته إلى غرفة الجلوس، وسار بطريقة أكثر استقامة من ذي قبل، وظلّ منتعلاً جزمته. كان يمشي مشية عسكرية، هذا ما فعله. وضع الحقيبة على الأرض، وأدار التلفاز، وضغط على جهاز التحكّم عن بعد إلى أن وجد القناة المنشودة. أسرع يا ليو، بحق الله، تعال وانظر. ثم بدأ بالضحك أو الغناء، مردداً كل كلمة بصوت عالٍ، نحن ما زالت نسبة الأدرينالين عالية لديه بعد إقحامه الرشاش في فم إنسان آخر... تصدّرنا... موضوع... وقام بتمزيق سترته الصفحة وقميصه، ففاحت منهما رائحة التعرق القوية الأولى! ثم فك شريط جزمتيه وخلع بنطاله، ما كشف عن ثيابه الداخلية، نحن تصدّرنا موضوع الصفحة الأولى! كان يرقص ويغني نحن تصدّرنا موضوع الصفحة الأولى! أمام العناوين العريضة التي كانت تظهر على شاشة التلفاز الصامت.

ثم دخل فيليكس وڤينسنت مبتسمين ابتسامتين عريضتين، وذراعا كل منهما فوق رأسيهما، مظهرين إشارة الانتصار، وراحا يصرخان بابتهاج صراخاً مكتوماً عند تبادلهما الأدوار لمعانقتها، مثل جاسبر الذي كانت تفوح منه رائحة العرق الكريهة، ثم استلقيا على الأريكة لتنفس الصعداء والشعور بالاعتزاز والفخر. وأخيراً، سمعت خطواته. إنه ليو، ورأت ما لم تتمكن من رؤيته من الشرفة؛ رأت وجهه وعينيه. قَبَّلَتهُ وهمست في أذنه: ليس لديهم أي دليل يشير إلينا، لقد سمعت ذلك للتو في نشرة الأخبار.

"كان لديهما الوقت الكافي لإقفال باب الأمان المحصّن".

مرّ بها في طريقه إلى المطبخ ممسكاً بحقيبة مليئة بأجهزة الهواتف الخليوية، ثم قام بفتحها الواحد تلو الآخر.

"أي باب؟!".

قام بسحب بطاقات الهواتف وقصّها في النصف باستعمال الكماشة.

"لحماية المال".

ملأ وعاءً صغيراً إلى نصفه بالأسيتون، ثم وضع فيه قطع البطاقات ليذيبها.

"لكنهم قالوا للتو على التلفاز... قالوا إنك حصلت على مليون".

"وفقدت تسعة".

"فقدتها!".

"تسعة ملايين كرونة ملعونة خلف باب فولاذي مقفل. وكانت تلك غلطتي. أنا من... لن يحدث هذا مجدداً".

وضع أجهزة الهواتف الخليوية الخالية من البطاقات في الحقيبة.

"لكن، ماذا عن الأغراض الباقية؟".

"أي أغراض؟".

قام بإقفال الحقيبة بإحكام.

"ماذا عن الياقتين اللتين أخطتهما؟".

"كانتا ممتازتين".

"والمساحيق، كيف...؟".

"كانت ناجحة".

أخذ مطرقة من الدرج تحت حوض الجلي، ووضع الحقيبة على خشبة التقطيع، ثم قام بضربها بالمطرقة مراراً إلى أن صار من المستحيل تركيب الأجهزة الخليوية مجدداً.

"أحسنت عملاً يا حبيبتي. وكأنك كنت معنا كل الوقت. صحيح؟".

وضع يده على خدها، ورأت ما بدا عليه. حسبت أنه سيكون مختلفاً؛ إذ كان من المفترض أن يشعر بالفخر والهناء، ولكنه كان خالياً من الداخل. علمت ذلك، حتى بعد عودته إلى البيت. كان في طريقه إلى تجربة ثانية.

بدت على وجهه النظرة نفسها حين جلسا في غرفة الجلوس، وعندما تظاهر بالسعادة وهو يجلس بالقرب منها على الأريكة، فيما جلس جاسبر على الجانب الآخر، وفيليكس وڤينسنت على المقعدين. النظرة نفسها ارتسمت على وجهه بينما استمرّ الجميع بالكلام بأصوات بدت صاخبة وانفعالية وسعيدة.

ظلت نظرته هي نفسها، حتى عند دار فيليكس بالكرسي المدولب وضحك الجميع، وعندما التقط ڤينسنت وعاء فارغاً وملأه حتى حافته بالمال من الفئات كافة، وعندما عانقه جاسبر وأراد لفت انتباهه. ليو، هل رأيت عندما كنت أعلى الشاحنة، كيف نظر إليك أولاً ثم نظر إلي؟ هل شاهدت عينيه؟ ثم رفع صوته وتظاهر بأنه عربي مجدداً، نحن نعرف اسميكما، وتظاهر بأنه يسحب هويّتيهما، أيها السافلان، أنا قادم إليكما.

كانت تلك هي اللحظة التي أدركت فيها ما ذكّرها به. فقد بدوا وكأنهم يتكلمون عن مشاهدة فيلم. وكأنهم عادوا وتوجهوا إلى مكان آخر، إلى المدينة، وشاهدوا فيلماً معاً، وها هم الآن يحتسون الشراب في أحد المقاهي، ويقارنون مشاهدهم المفضلة، ويحاولون لعب الأدوار، وأن يبدعوا في تمثيلها بأصواتهم

وحركاتهم الخاصة.

إنه المشهد حيث قام أحد الشابين العربيين بإطلاق خمس رصاصات عبر النافذة الجانبية، وإحداها أصابت ذقن الحارس. هل تتذكر ذلك؟ أو ذلك الدور حيث يجلس رجل على الكرسي المدولب ويأتي ولد الصغير ليطرح أسئلته الكثيرة؟ أو عندما قام أحدهم بإفراغ ذخيرته كلها تقريباً على الباب المعدني بعدما وصلوا إلى الشاطئ، ثم خرج بهلع وكاد يصيب الشرطة عند وصولها؟ أو عندما قام أصغرهم بمغادرة القارب، رغم أنه لم يكن يفترض به أن يفعل ذلك؟ أو عندما كان الآخر مستلقياً على التلة ومصوباً سلاحه على سيارة خالها سيارة شرطة مدنية تلاحقهم؟ أو عندما سبح إلى وسط البحيرة بعد أن ارتدى ثياباً ضيقة جداً؟

ثم أدركت أنها لم تكن هناك، وأنها لم تشاهد الفيلم. ولهذا جلست في صمت، وضغطت على يد ليو بشدّة إلى أن لاحظ أنها شعرت بالعزلة، ثم نهض وسار إلى حقيبة المال وانتظر صمت الجميع. وعندما صمتوا، بدأ بإبراز حفنات من العملة النقدية، من فئة العشرين والمئة والخمسمئة. قام بعدها، ثم سلّم عشرة آلاف كرونة لكلّ منهم.

"هل تمازحني؟!".

في تلك اللحظة، لم يعد فيليكس جالساً في المقهى ويسرد مشاهد الفيلم، بل نهض عن مقعده في الشقّة الرثة في الضاحية الرثة، وبدأ بسحب المزيد من الأوراق النقدية.

"آلو!".

أخذ المزيد من المال.

"هاي، فيليكس، ماذا تفعل بحق الله؟ عشرة آلاف فقط لكلّ منكم".

"وأنا أقول: هل تمازحني؟".

"عشرة آلاف".

"تباً، هناك أكثر من مليون هنا، وأنا سأخرج للتنزه الليلة، وسأحتاج إلى خمسة آلاف لأنني أستحقها، وغداً سأدفع الإيجار. و..."

"سنتكلم عن ذلك حينها، غداً".

"اللعنة! عشرة آلاف كرونة! هذا ما يجنيه فتى في الثامنة عشرة من عمره... في ماكدونالد!".

"غداً".

أمسك فيليكس كدسة المال في يده، ونظر حوله، وحاول أن يتظاهر بأنه يحاول اتخاذ قرار، ثم بدأ بشكل مأساوي بإعادة المال إلى مكانه؛ الورقة تلو الأخرى.

"هل أنهيت؟".

واحدة تلو الأخرى.

"هل...؟"

حتى تكدّست كلها هناك مجدداً.

جلب ليو ورقة من المطبخ وكتب عليها، بينما جلس الآخرون وهم يراقبون.

"من الطبيعي أن تحتفلوا، فقد قمنا بالأمر؛ لقد أنجزناه بصعوبة! لكن، يجب أن نعيش حتى المرة القادمة أيضاً. كانت تلك مسؤوليتي، ويتعين علينا أن نتمكن من إنجاز الأمر في المرة التالية، وتلك مسؤليتي أيضاً".

كانت الورقة في وسط الطاولة، بالقرب من المال، وأشار بالقلم إلى عمود من الأرقام.

"هناك في الخارج في مرأب السيارات سيارتان تعودان لشركة البناء. هذا هو الرقم. هل ترى يا فيليكس؟ لدينا شركة بناء تحتاج إلى الاستمرار على هذا النحو؛ لأننا بحاجة إلى أن نبدو وكأننا نقوم بعملنا كالمعتاد كل يوم. السيارات، والملابس، والمعدات... هناك مبالغ كبيرة علينا أن نسددها كي نتمكن من القيام بذلك بالمقابل. وعندما نقوم بذلك... هناك... الشعر المستعار، والعدسات اللاصقة، والملابس، والأحذية، وثياب الغوص التي يجب أن تحرق، وحاوية الأسلحة... والقارب الذي تم إغراقه. كان ذلك لعملية واحدة فقط، وفي المرة القادمة سنتكلف المزيد من المال. أتعلمون كيف تنجز الأعمال؟ كي نكسب المال علينا أن نستثمر المال، وذلك كي نملك المال الكافي. وعندئذٍ، سنقوم تماماً بما يقوم به كل المقاولين الناشطين؛ أي بيع الشركة بكاملها من أجل الربح".

نظروا إلى بعضهم بعضاً، واسترجعوا طفولتهم مجدداً. فمنهم من تحدى وطلب، ومنهم من خاطر وربح واستمر بالربح؛ هذا ما عليك فعله عندما تكون مسؤولاً.

لكنهم لم يقوموا بذلك مطلقاً بالالتفاف حول حقيبة مليئة بالأوراق النقدية.

"هل اتفقنا؟".

لا جواب.

"هل نحن...؟"

قام فيليكس بزمّ شفتيه.

"مممممممم".

سحبه ليو إليه، وعانقه.

"أنت، أيها النذل الماكر".

كانت أنيللي قريبة منهم، ومع هذا بعيدة عنهم. كانوا ينتمون إلى بعضهم بعضاً، وكان ذلك جلياً. لم تفهم مطلقاً متى يكون الإخوة متحدين هكذا. فهي نفسها كانت لديها أخت كبرى وأخ صغير، ولم تكن علاقتهم على هذا النحو مطلقاً. حتى إنهم الآن نادراً ما يتكلمون معاً. أما هؤلاء فإخوة يثقون ببعضهم، ويحتاجون إلى بعضهم. في الواقع، لم تكن متأكدة من أنها استساغت هذا، علمت أنها لم تفعل. فعندما يكون الناس على هذا القدر من التقارب، يصعب على الآخرين أن يدخلوا بينهم، وينتموا إليهم.

جلس ليو على حافة السرير، وكان يتصبب عرقاً من وجهه وحتى ظهره.

إنها الساعة 3:05 من بعد منتصف الليل، وكان هطول المطر المتواصل على عتبة النافذة ينقر داخل رأسه. كان يرتجف من شدة البرد عندما ذهب إلى السرير، والآن ها هو يختنق من الحرّ.

كانت أنيللي تبدو وكأنها تغطّ في النوم، وتئن بين الحين والآخر، وقد تقول كلمة أو اثنتين كالعادة. جاسبر لا تتكلم عن هذا في المقهى، اتفقنا؟ نهض ليو. ما الذي تعتقده بحق الله؟ كانت أرضية الفينيل القاسية باردة، وتمنح شعوراً منعشاً. أنا لا أعتقد شيئاً، أنا فقط أريدك أن تعيد النظر في الأمر. سوف تتعرض للسجن، هل تريد أن تتكلم وتصرخ عالياً؟

غادرت سيارة الأجرة منطقة كولستغن 14 مقلّةً أخويه وصديق طفولته. لكن، هل تعتقد أنني مغفل كي أخاطر بفقدانك؟ أنتم أيها الرفاق مثل إخوتي! أليس كذلك يا ليو؟

ثلاثون ألفاً في ثلاثة جيوب، وهي تتجه إلى المكان الوحيد الذي قد يدخله ڤينسنت بالتحديد.

كان قد رآها ما إن خطا عبر الباب.

كانت متوترة حتى لحظة وصوله. فقد انهار جسدها، وأصبح تنفسها أعمق.

وبينما استقل الآخرون المصعد متجهين إلى الأسفل، ومحوّلين أنظارهم إلى حياة ستوكهولم الليلية، قادها إلى السرير، وحملها بين ذراعيه. بعد ذلك، استرسلت

هي بالنوم. كانت يداها مسترخيتين، وعيناها مغمضتين، وشفتاها متباعدتين قليلاً.

عادةً، هو الذي يغطّ في النوم، فيما تبقى هي مستيقظة. ولكن الآن، بعد أن انتهى كل شيء ولم يعد ملتزماً بأي خطة، نامت هي بعمق، فيما لم يتمكن هو من النوم على الإطلاق؛ وكأن الشعور بالأمان لا يتوفر إلا لواحد منهما فقط، كما لو أنه غير قابل للاقتسام.

تسعة ملايين قطعة نقدية وراء بابٍ فولاذيٍّ لم يستطع اختراقه. كانت الأفكار تجتاحه وأبقته مستيقظاً.

لا جدوى.

كان يتعين عليه أخذ المتفجرات البلاستيكية معه. فلو أخذها، لتمكن من فتح الباب المعدني ولسلب تسعة ملايين كرونة أخرى.

توجّه إلى النافذة، وقف هناك لبرهة ناظراً إلى الضاحية التي نشأ فيها.

أبراج الشقّق نفسها، والأسفلت نفسه.

لكنه اختار حياةً أُخرى الآن؛ حياة سارق مصارف. وسيقوم بذلك بطريقة أفضل من أي شخص آخر. ولأنه يتعين عليه أن يقوم بذلك أفضل من أي شخص آخر، لا يجب أن يفشل. لم يكن القبض عليه خياراً مطروحاً؛ فإخوته جزء من هذا، وجميعهم سيصبحون مستقلين مادياً، بالتعاون مع بعضهم بعضاً.

كانت غلطتي.

لهذا لم يتمكن من النوم، فقد كان عليه أن يبلي بلاءً حسناً الليلة.

لن يتكرر هذا الأمر مجدداً.

تثاءب واستلقى على الأريكة ناظراً إلى الحقيبة المليئة بالمال. كانت هناك قطعتان من الأوراق النقدية ملتصقتان في الوسط، فقام بسحبهما. كانتا ورقتين نقديتين من فئة خمسمئة كرونة، فكوّرهما وألقاهما على منضدة القهوة.

أخذ ملفاً كان على المكتب الموجود بين الأريكة والخزانة في الزاوية، ووضعه على المنضدة بالقرب من الورقتين النقديتين من فئة الخمسمئة، وفتحه.

كان رسماً لمخطط مصرف.

أربعة مسالك هروب تؤدي إلى أربعة طرق غير مباشرة، لكلّ منها أربعة مخارج جديدة، ومنطقة خرق؛ أي ما مجموعه ستة وأربعون مسلك هروب محتملاً.

دق جرس الباب، فقام بوضع بطانية على حقيبة النقود، وغطاءً على صندوق العتاد الذي يحتوي على أربعة أسلحة استخدمت مؤخراً للسطو على الشاحنة المصفحة.

دق جرس الباب مجدداً.

نهض ونظر إلى مرأب السيارات وطريق مركز سكوغاس التجاري. كان المكان خالياً. والممر المؤدي إلى البوابة كان خالياً أيضاً. سار بحذر فوق الأرضية، وأغلق باب غرفة النوم، وتقدم إلى الباب الأمامي، وانحنى ليختلس النظر عبر ثقب الباب.

كان ما رآه وجهاً مميزاً. لم يدرك ليو كم كان متوتراً، وكم كان متأهباً.

"لم نوفّق في الذهاب إلى ذلك المكان اللعين، فذهب جاسبر إلى أحد المقاهي، فيما ذهب ڤينسنت بصحبة فتاة. هل أستطيع أن أتطفل عليك هنا؟".

أومأ ليو له نحو باب غرفة النوم واضعاً إصبعه على شفتيه، وأزال البطانية

عن حقيبة النقود ورماها نحو فيليكس المتأنق الذي استلقى على الأريكة.

"ما هذا بحق الله؟!".

وأمسك الرسم الذي تركه ليو على الطاولة.

"المرة القادمة".

"ماذا؟".

"مصرف "هاندلز"، في سفيدميرا. حاول أن تنام الآن".

"أنام! أحسنت يا أخي! هذا هو الاستقلال المادي!".

"إنها ليست مسألة مال".

"حقاً؟ ما هي تلك الحقيبة اللعينة إذاً؟ إنها مليئة حتى حافتها!".

"إنها مسألة... التأكد من أن لا يخبرنا أي وغد مطلقاً بما علينا فعله مجدداً، أو عدم فعله. وبعد ذلك، ليس علينا أن نعتمد على أي شخص مجدداً وأبداً؛ فقط أنا وأنت وڤينسنت".

نظر فيليكس إلى أخيه الأكبر الذي لم يتمكن من النوم وباشر بالتخطيط للمرة ثانية بدلاً من ذلك، والذي يحاول أن يتجنب المزيد من الأسئلة بالتوجه إلى النافذة، ورفع الستائر قليلاً، واختلاس النظر إلى الخارج.

"ليو".

"ماذا؟".

"أنا لا أفهم كيف يمكنك العيش هنا".

أدرك ليو أنه لم يكن بكامل وعيه بسبب صوته، ولكنه كان يعني ما قاله.

"نحن ترعرعنا هنا".

"هذا ما أقصده! فنحن ترعرعنا هنا، وأنت عدت إلى هذا المكان باختيارك!".

ظهرت سيارة شرطة مساندة وقامت بالدوران في مرأب السيارات، ومر درّاج عبر الممر السفلي. وعدا ذلك، كانت الساعات الفاصلة بين آخر نشرة أخبار وقبل وصول جريدة الصباح أكثر سلاماً.

"سنرحل".

"ما الذي لا أفهمه؟ لماذا عدت في الأصل؟".

"في بعض الأحيان عليك فعل ذلك".

"لكن، هنا!".

"وبعد ذلك يمكننا الرحيل مجدداً. في الواقع، أنيللي تريد منزلاً، وأنا... قمت باختيار واحد".

"منزل؟".

"نعم".

"جزازة العشب! أنت!".

"لا يوجد أي عشب ولا طابق سفلي، تلك ميزته".

كانت عملية السطو التي قاموا بها هي الأولى لأربعة مبتدئين. وجهلهم

لشيفرة الباب الفولاذي أحبط عملهم، وانتهى الأمر بحصولهم على مليون واحد فقط بدلاً من عشرة ملايين.

لم يستوعب الأمر، ليس هذه المرة.

لكن في المرة القادمة، كل شيء سينتهي بشكل أفضل.

كانت أنفاس فيليكس عميقة وبطيئة مثل أنفاس أنيللي. وكان ليو يتسكّع أمام نافذة غرفة النوم التي تظلّلها قطرات المطر المتفرقة. وفي الخارج، كانت سكوغاس؛ وهي ضاحية في جنوب ستوكهولم اشتهرت بأبراج الشقّق السكنية التي تكاد تكون متطابقة في كلّ الشقّق المبنية في السويد في فترة الستينيات والسبعينيات.

ها هو الأسفلت الذي لطالما كان كلّ عالمه.

آنئذٍ

القسم الأول

الطقس بارد في الخارج.

الساعة متأخرة، وظلام الشتاء مخيم. ظهرت بقع بيضاء وبنية ورمادية من الثلج على الأسفلت، وتصاعد البخار. تصاعد البخار من فمه بينما كان يقوم بعدّ أنفاسه المتقطعة.

إنه لا يرتدي معطفاً، ولكنه لا يشعر بالبرد. فهو يقوم بهذا الأمر منذ فترة؛ إذ يصعد وينزل، ويصعد وينزل، ووجهه مبتلّ بقطرات لامعة من العرق. كان يمسح وجهه بيديه، فتصبحان رطبتين، ليعود ويمسحهما ببنطاله.

المبنى يتألف من ثلاثة طوابق ويبدو كغيره من المباني. الشارع العلوي 15. خمس خطوات وسيصل إلى الباب، وسيستدير ببطء. لا يبعد هذا الباب كثيراً عن الباب التالي. الشارع العلوي 17، نظر إلى الشخص الآخر الذي كان يبادله النظرات من بعيد.

فيليكس، إنه أخوه الأصغر الذي لا يزال في الصف الأول.

رفع ليو ذراعه قليلاً لتشكل زاوية مع مصباح الشارع. كان يضع حول معصمه ربطةً جلدية ذات لونٍ بنيّ فاتح وساعةً قبيحة. يوماً ما، عندما سيكون في حوزته الكثير من المال، سيشتري ساعةً جديدة من النوع الذي يلفت أنظار كل الناس. انتظر عقرب الساعة الآخر الذي يتحرك دائماً بالسرعة نفسها، ولكن بطريقة مختلفة. تعدى العقرب الرقم تسعة... ثم عشرة... ثم أحد عشر، فارتفعت يده في الهواء.

"الآن!".

عند الساعة الثانية عشرة بالتحديد.

ركض، وفتح الباب 15 في حين فتح فيليكس الباب 17.

صعد السلالم درجتين في كل مرة، باستثناء الدرجة الأخيرة التي تبدو دائماً غريبة في كل دَرَج. كان يحمل في يده كومةً من الأوراق، وسبعة كتيّبات من سبع شركات مختلفة، كانا يجمعانها معاً في المنزل على أرضية غرفة المعيشة.

يقع الباب هناك في البعيد، في الأعلى.

فتح فتحة البريد الأولى وعدّ الثواني. استغرقه صعود السلالم وإيصال الكومة الأولى من الكتيّبات أربعاً وعشرين ثانية. في كل طابق من المبنى أربع فتحات للبريد، وعليه أن يضغط عليها براحة يده لتكون الفتحة واسعةً بما فيه الكفاية. كان يفتح كل واحدةٍ على حدة وبسرعة، فيصدر صوت قوي عندما يتم إغلاقها؛ كصوت حذائه الأسود عندما يرتطم بالأرض. وعندها يركض ليبلغ الفتحة الأخرى.

عاش هنا طوال حياته؛ عشر سنوات في منطقة سكوجاس التي تقع جنوبي ستوكهولم. إنها تحتوي على الآلاف من المباني الشاهقة المتشابهة التي تبدو وكأنها مرصوصة في صفٍّ واحد.

الأبواب متشابهة ولكن ليس تماماً. والأسماء والروائح والأصوات مختلفة. غالباً ما يكون أحدهم جالساً أمام التلفاز، أو يستمع إلى الموسيقى فيصدر الصوت العميق والمرتفع من الفتحة.

وبين الحين والآخر، يُسمع أحدهم وهو يحفر في الجدار. لكن، غالباً ما يُسمع صوت الناس العالي النبرة وهم يتشاجرون. أما الكلاب، فهي أسوأ ما في الأمر. ففي بيت الدرج هذا، ثمة كلبٌ ينتظر في الطابق الثاني، وآخر يقفز لبلوغ

فتحة البريد.

بدأ الكلب بالنباح ما إن اقترب من الباب، وكان يرمي بثقله على الباب من الداخل. فتح فتحة البريد ورأى لساناً طويلاً وأنياباً حادّة تطلّ منها. انتظر ستّ ثوانٍ، إذ أخافته أنياب الكلب الحادة، وجعلته يدخل كل ورقةٍ على حدة.

ثمة فتحة أخرى للبريد في الأسفل، تلك التي تستغرق اثنتي عشرة ثانية إضافية. ليس في المبنى السابع عشر شقةٌ مماثلة. تساءل في سره: أين أصبح فيليكس في مهمته؟ صعد الدرج ثلاث درجات في كل مرة، لكنه كان يعلم في قرارة نفسه أنّ صعود الدرجات كلها سيستغرق دقيقةً ونصف الدقيقة بسبب هذا الكلب المشؤوم والباب. فجأةً، وبعد مرور خمس عشرة ثانية، ظهر فيليكس أمامه مبتسماً والغرور بادٍ على محيّاه. كان يقف هناك، بينما اتجه ليو نحو الباب الأمامي عند خطّ الانطلاق والنهاية. ربح أخوه الأصغر السباق، ولعلّه سيزعجه بهذا الشأن طيلة المساء.

أحنى ليو الجزء الأعلى من جسمه، ووضع يديه على ركبتيه، وأخذ نفساً عميقاً، وحاول التخفيف من سرعة دقات قلبه. نظر إلى فيليكس، إلى عينيه، وبحث عن ابتسامته فلم يجدها. لقد ربح أخوه الأصغر ولكنه رغم ذلك لا يبتسم.

وقف ليو وتوجّه نحوه، ولكنه توقف بعد هنيهة. ثمة أحدٌ مع فيليكس، ثمة أحدٌ يقف بالقرب منه، وتحديداً أمامه. إنه يرتدي معطفاً رديئاً أزرق اللون. هذا هانس. إنه في الصف السابع، وهو ممّن يدخنون دائماً في حديقة المدرسة، حتى بعد أن يدق الجرس. وهو لا يكون بمفرده أبداً، إذ يرافقه دائماً ولد أقصر منه يرتدي قميص جينز في الشتاء، وهو كيكونن، الولد الذي لا يشعر بالبرد أبداً. ولكن، الآن، إنه وحده. لفّ ذراعيه حول فيليكس كي يمنعه من التحرك.

"ماذا تفعل بحق الله؟".

صرخ ليو، فهذا أخوه الأصغر.

"دعه!".

علت محيّا هانس ابتسامة المنتصر؛ تلك التي كان يجب أن ترتسم على وجه فيليكس.

"وها قد أتى أحمق آخر".

"تبّاً، دعه".

"الأحمق الصغير يصرخ. الأحمق الصغير لا يفهم. نصحتك في المرة الماضية، أليس كذلك؟ قلت لك: مرّةً واحدة بعد. إذا رأيتكما هنا مجدداً... فسأقتلكما".

واجه ليو صعوبة في التنفس أكثر من السابق. لكن، ليس لأنه صعد ثلاث درجات دفعةً واحدة، بل لأنه خائف وغاضب. وكلاهما يشعران بذلك. يشعران بالخوف والغضب العارمين.

"لا يفترض بنا نحن أن نقرّر المكان الذي نسلّم فيه هذه المنشورات!".

دفعه الغضب والخوف إلى الركض بسرعة باتجاه كمّي قميص هانس الأزرق الممدودين أمام وجه فيليكس. وكلما اقترب ليو، علت ابتسامة عريضة وجه الحقير هانس. تابع طريقه، ولكن بوتيرةٍ أبطأ. لا أساس لذلك. لا يجدر بهانس أن يبتسم. إنه طويل ولكنه ليس قوياً، وعليه أن يكون خائفاً وغاضباً؛ تماماً كليو. عليه أن يكون في الطرف الآخر مستعداً. إلّا أنه يبتسم وهو ينظر إلى شيءٍ ما على ما يبدو... خلف ليو.

فات الأوان.

استنشق ليو رائحة عفنة صادرة من قميص الجينز الذي لا يخلعه من يرتديه

إلّا حين تطلب منه المعلمة ذلك. استطاع أن يميز الرائحة، ولكنه لم يشعر بقبضة اليد على رقبته وخدّه. سيقع حتماً. بدأ وجهه يقترب من الأسفلت المغطى بالثلوج، ووقع على الأرض، ولم يعد يرى إلّا ضباباً أمامه. وقف أحدهم قرب وجهه، وهو أقصر من هانس وأعرض منه. إنه كيكونن، الفنلندي الذي لا يشعر بالبرد أبداً. كان يختبئ خلف شجرة كبيرة، وهاجم ليو من الخلف، بينما بقي هانس واقفاً ومبتسماً. كانت الأرض قاسية وباردة جداً. إنه يفكر في ذلك ولكنه لا يفكر في كيفية الوقوف. أصابت الضربة الأولى خدّه، وأصابت الضربة الأخرى ذقنه. تذكر أخيراً غرابة المشهد حين اختفى ظلام الليل في أضواء الشارع، وكيف تم امتصاصه، قبل أن يلفّه السواد الحالك.

إنه يشعر بالألم الشديد في الجانب الأيسر قرب ضلوعه حين يخلع سترته الرقيقة ليفحص بشرته بأصابعه. ما زال التورم موجوداً.

تمدد ليو على سريره الضيق والصغير. ليس الوقت مبكراً كما يبدو من نافذته. إنه مستلقٍ ويحاول ألّا يتحرك كثيراً، فبهذه الطريقة لن يشعر بالألم كثيراً. كان نصف وجهه متشنجاً؛ بدءاً من جبينه، ونزولاً إلى عينه اليسرى، ووصولاً إلى خدّه.

شعر بالألم أولاً في رأسه، فرفع بطانيته وأمسك بالفراش ورفع نفسه. ثمة مرآةٌ معلقة فوق طاولته. خفّ الاحمرار قليلاً في الجزء الصغير من وجهه، وأصبح أزرق اللون وأصفر ومتورّماً كضلوعه. حاول لمس وجهه فتألم أكثر. لم تنزلق أصابعه بسهولة على الأورام غير المتجانسة التي لم تكن على جسده في الأصل.

مشى حافياً في الغرفة على رؤوس أصابعه. فيليكس لم يتحرك إطلاقاً، وكان ممدداً في الفراش على معدته وقد وضع يديه تحت الوسادة. كان يقول شيئاً ما، فهو يتكلم دائماً في نومه. سار ليو باتجاه الرواق، على عكس البارحة حين تسلل. فقد حاول البقاء في الظلمة لأطول فترة ممكنة من دون أن يفتقده أحد. ففي حال عاد إلى البيت متأخراً، فربما لن يراه أحد. وحين أتى والده لتفقده، ادّعى أنه نائم، فتمدد على بطنه، وأدار وجهه لجهة الحائط.

أغلق باب غرفة ڤينسنت. في الداخل، يوجد السرير الصغير الذي كان له يومَ كان طفلاً صغيراً يبلغ من العمر ثلاث سنوات، حيث كان ينام رأساً على عقب ويضع رجليه على الوسادة. أكمل طريقه باتجاه غرفة أُمّه ووالده وأغلق الباب خلفه أيضاً. وقف هناك كعادته، وسط الروائح المتعددة؛ رائحة الشراب الصادرة

عن والده، ورائحة النعناع التي تصدر مع أنفاس أمه، وعلى وجه الخصوص، الرائحة المنبعثة من رف القبعات ومن بنطلون والده ومن الصنارة الحديدية ومن سكين مورا ومن مسطرة مطوية في أحد تلك الجيوب المستطيلة. إنّ الرائحة التي تنبعث دائماً من هنا، كرائحة الدهان الجاف أو الرائحة التي تصدرها الشمس تذكره الآن بقميص كيكونن الأزرق. مدّ يديه ليصل إلى بنطلون النجار المعلق هناك منذ حوالي الأسبوعين ولم يلمسه أحد. هكذا تكون حالته في فصل الشتاء حين يعمل لساعات متواصلة وطويلة.

سُمع صوت من خلف الباب المغلق.

انتظر ليو بهدوء وأغمض عينيه، آملاً أن يتلاشى الصوت. وهذا ما حصل. وضع أذناً واحدة على الباب المدهون. ساد الهدوء مجدداً. بالتأكيد، كانت هذه والدته. فهي غالباً ما تصدر الأصوات حين تأتي إلى المنزل وتنام قليلاً. إنها تعمل ليالي طويلة في مستشفى لذوي الاحتياجات الخاصة الذين لا يستطيعون المشي أو التكلم بشكلٍ يستطيع ليو فهمه. لقد حفظ الأصوات الصباحية عن ظهر قلب. من الجيد أن تكون أنفاس والده عميقة ومسموعة، ويجب الحذر حين لا تعود كذلك. ينتظر ليو قليلاً بعد، ومن ثم يذهب إلى المطبخ، ويختار نوعاً جديداً من الخبز وقطعاً من الجبن تحتوي على الكثير من الثقوب، بالإضافة إلى مربّى الليمون. لم يستخدم المحمصة الكهربائية لأنّ صوتها مزعج. قام بخلط عصير الليمون في ثلاث كؤوس؛ فقد وضع في كل كأس نصف إنش من الليمون، ثم ملأها بالماء البارد من الصنبور. وكلما اقترب من المغسلة، كان يحرص على عدم الاصطدام بأي شيء. ثمة كومة من بطاقات الكينو على الرفّ. تتألف الكومة الأولى من العدد واحد وحتى العدد خمسة عشر، وثمة رموز تشكل أنماطاً مختلفة. أما الكومة الثانية، فهي تتألف من العدد خمسة عشر وحتى العدد ثلاثين. ليس متأكداً من البقية، إلّا أنها جزء من النظام الذي كان والده يستخدمه لمدة طويلة. عدّ أعقاب السجائر الموجودة في

المنفضة، وأدرك أن والده قد سهر لساعة متأخرة من الليل ولن يستيقظ مبكراً. عاد ليو إلى غرفة النوم، وهزّ ذراع فيليكس ومن ثمّ ذراع ڤينسنت بهدوء. لا يجب أن يصدروا ضجة. أشار إلى غرفة والده ووالدته، فأومآ كعادتهما. لم ينبسوا ببنت شفة بينما كانوا يأكلون خبز القيقب ومربى البرتقال الذي يوضع فوق الجبن ويحتسون كأساً كبيرة من العصير. حرك كرسيّه بهدوء، منتبهاً دائماً لأي صوتٍ قد يصدر من الرواق ومن غرفتهما. أما التنفس العميق فلم يعد يسمعه. لعلّ أباه قد استدار؟ ماذا لو كان صوت مضغهم مرتفعاً جداً واستيقظ فجأةً؟ سحب ليو آخر قطعة خبزٍ من الكيس ودهنها بالزبدة وأعطاها لڤينسنت الذي لطخ أصابع وخده وشعر.

الباب. إنه متأكد من ذلك، تباً لهذا الباب.

ها هي دعسات والده مسموعة وهو يتوجه ببطء من غرفة النوم إلى الحمّام. سمعه وهو يتبول رغم أنّ الباب مغلق.

نصف شطيرة فقط، وجرعتان من عصير الليمون. كان والده يقف هناك، ويظهر الجزء العلوي الشاحب من جسمه، بساعديه المكتنزين وجينزه محلول الأزرار، ومن دون ارتداء أي جوارب. وقف عند العتبة متأملاً وهو يسدّ المدخل. في الواقع، إنه يشكل جزءاً منه.

مرّر يده في شعره وأرجعه إلى الوراء. لطالما بدا أبوه على هذه الهيئة.

"صباح الخير".

استمر ليو في المضغ، فحين تمضغ الطعام لا يمكنك التكلم. وبما أنه يمضغ الطعام ولا يستطيع التكلم، لديه الوقت الكافي ليستدير نحو فيليكس، ويدير خدّه الأيمن فقط نحو ذلك الصوت.

"قلت صباح الخير يا شباب".

"صباح الخير".

سمعهما ليو وهما يتحدثان وكأنهما جوقة واحدة، وكأنهما يريدان إنهاء الحديث بأقصى سرعة ممكنة كي يغادرا المطبخ من دون أي احتكاك بصري طويل. مرّ الوالد خلفه، وفتح الخزانة وأخذ كوباً وملأه بالمياه. يبدو أنه شرب نصفه، ثمّ استدار بمحاذاة الطاولة.

"هل حدث شيءٌ ما؟".

لم ينظر إليه ليو، وإنما رمقه بنظرة خاطفة.

"ليو، أنت لا تنظر إليّ".

الآن، استدار أكثر من دون الكشف عن أي شيء.

"أرني وجهك".

لم يكن سريعاً بما فيه الكفاية. وصل فيليكس قبله إلى هناك. وضعت الشطيرة على الطاولة، وفجأةً سُمع صوتٌ مرتفع النبرة.

"كان العراك بين شخصين وشخص واحد يا أبي، كانا..."

لم يعد الوالد يقف قرب المغسلة، إذ شعر ليو بجلدٍ عارٍ قرب كتفه.

"ما هذا؟".

استدار ليو أكثر إلى الطرف الآخر.

"لا شيء".

أمسك الوالد برأس ابنه، ولكن ليس بقسوة، وأداره إلى الأمام. كان خدّ ليو يبدو متورّماً وأزرق اللون، وهناك ورم أصفر اللون حول عينه.

"ما هذا بحقّ الله؟".

"لقد قاوم ليو يا أبي، لقد قاوم".

استطاع فيليكس أن يجيب قبل أن ينطق ليو بكلمة واحدة. هذا غريب! فعادةً، كان يتكلم كثيراً، إلّا أنّ الكلمات غدرته الآن، ولم تعد هناك. لقد ابتلعها.

"هل قاومت؟".

وقف والده هناك وهو ينظر إليه، ثم نظر إلى فيليكس ثم إلى ليو مجدداً، محاولاً النظر إلى عيونهما مباشرة.

"ليو؟".

"نعم يا أبي، لقد قاوم. رأيت ذلك بنفسي، قاوم مراتٍ عدة..."

"أنا أسأل ليو".

وتوالت النظرات واستمرّت الأسئلة.

"كلا، لم أدافع عن نفسي".

"كانا شخصين يا أبي... وكانا كبيرين؛ فهما يبلغان من العمر ثلاثة عشر عاماً أو أربعة عشر و..."

"حسناً، هذا يكفي".

بدأ الوالد بيديه الكبيرتين يتحسس وجه ابنه بدقة.

"الآن أعرف. اذهب إلى المدرسة يا ليو، وحين تعود إلى المنزل سوف نرى ما الذي سنفعله".

ليسا متشابِهَين كثيراً عن بُعد. ها هو الأطول ذو الشعر فاتح اللون يحمل حقيبة على ظهره، وها هو الأقصر ذو الشعر الغامق يحمل حقيبته الرياضية على كتفه. لعلّه لم يرهما وهما يسيران إلى المدرسة معاً. كان يصطحب ليو إلى المدرسة في الأسبوع الأول، ويسير معه، ويشرح له الأمر ويحذره ويوجّهه قائلاً له: هنا شريعة الغاب هي السائدة. إن لم تكن ذئباً أكلتك الذئاب. لن تحصل على حَقّك إلّا إذا أخذته بيدك. أنت من آل دوڤنجاك، أنت قويّ ولن يجلس أحد مكانك. إلى أن حلّ الأسبوع الثاني، فطلب منه ليو أن يبتعد عنه قليلاً إلى الوراء وهما يسيران. وفي الأسبوع التالي، طلب منه ألّا يصطحبه إلى المدرسة بعد الآن. حتى إنه لم يفكر في القيام بهذا الأمر مع فيليكس. كان يسير مع ليو، وكان ذلك كافياً بالنسبة إليه.

ولكنّ هذا لم يكن كافياً.

إنّ ابنه الأكبر لا يستطيع حتّى الاعتناء بنفسه.

أزاح إيڤان شتلتين واتكأ بذراعيه على حافة النافذة. ليس المطبخ بعيداً عنه، إذ يفصله عنه رواق ضيّق وغرفة طعام ونافذة في الطابق السابع تظهر منها مدينة سكوجاس ويظهر رأسان صغيران. لكنها شقته؛ شقة تتألف من أربع غرف نوم، ومن رواقين في ضاحية من ضواحي ستوكهولم لم تكن موجودة حتى الآن، بعدما نصّ رجال الأعمال عقوداً لحلّ أزمة الإسكان المعقدة من خلال بناء مليون شقة متشابهة، فنجح الأمر. رواق ضيق مشمّع وغرفة طعام مربعة. تبّاً، ما زال إلى الآن يجدد مطبخه.

كسر البيضة الأولى والثانية ومن ثمّ الثالثة والرابعة، وقام بقليها حتى أصبحت مقرمشة، ثمّ رشّ عليها الملح بكثرة؛ فعلى الرجل أن يستمتع بالأكل. كان

يقف بالقرب من الفرن، ويحرّك البيض في المقلاة بالشوكة، ولكن كلّ ما كان يراه وجه متورم وأزرق وأصفر اللون، وجه لن يزول من تفكيره.

حاول التركيز على الكرسي العالي حيث كان ڤينسنت يجلس هناك ويلوّح فيما يقوم هو بالطبخ. سكب لنفسه كوباً كبيراً من الماء وشربه. ثم قام بغلي الماء في قدر، وحضّر خلطة القهوة الفورية، وزاد كمية البنّ ليصبح مذاق القهوة أقوى.

هذا ليس كافياً، فهو لا يخفي ما يراه أمامه.

خدّ متورّم، وعينٌ متورمة ومغمضة، ووجهٌ تعرّض للضرب.

"أووو!".

وضع صحنه على الطاولة، وحمل كوب القهوة في يده. عندها، انحنى ڤينسنت ليأخذ القلم ورزمة من بطاقات الكينو، وبدأ يرسم على بطاقة قديمة.

"إلّا هذه البطاقة، إلّا هذه البطاقة... إنها لِبابا، ولا يجدر بك الرسم عليها".

"لديك العديد منها".

"توقف، توقف".

نظر إلى ابنه البالغ من العمر ثلاث سنوات والذي يرفض التوقف عن الرسم، إذ إنّ يديه أقوى ممّا قد يتصوره أحد. إنه يبلغ من العمر ثلاث سنوات، ولكنه يبدو وكأنه في العاشرة من عمره. ابتعد وأغمض عينيه ومن ثمّ استدار، إلّا أنّ وجه ابنه المتورّم رفض أن يفارقه. تعرض ليو للضرب، ووقع زاحفاً على الأرض، وتلقى اللطمات من دون أن يدافع عن نفسه.

بيضة خامسة وكوب آخر من القهوة سريعة التحضير. ما زال يجلس هناك،

رغم أنه أنهى ما كان يقوم به. بدأ ينظر من نافذة المطبخ متأملاً الرصيف المجاور المؤدي إلى المدرسة ذات القرميد، حيث يمضي اثنان من أبنائه أيامهما. إنه يتعلم في تلك المدرسة الابتدائية والثانوية المؤلفة من طابق واحد. ها هو هناك جالس إلى الطاولة بوجهه المتورّم، يجيب عن الأسئلة، ويلقي نظرةً خاطفة من النافذة، قلقاً من أن يكون أحد ما في الخارج منتظراً ليضربه مجدداً.

فجأةً، أسرع في خطواته.

وضع ڤينسنت على الأرض، وطلب منه أن يذهب إلى غرفته وينتظر هناك وألّا يوقظ أمّه. ثم وضع في رجله أقرب زوج من الأحذية الذي كان جميلاً في ما مضى ولكنه الآن أصبح بالياً ويفتقد إلى الرباط. استقلّ المصعد ونزل سبعة طوابق إلى القبو، وسار في رواق مظلم وفي أماكن جديدة تُستخدم للتخزين ذات أبواب حديدية. أما الأماكن القديمة المعدّة للتخزين فهي مصنوعة من شِباك حديدية وذات أبواب خشبية بسيطة لم يعد إغلاقها ضرورياً.

أصبح بإمكانه رؤية الفراش من الفجوة الكبيرة في موقع التخزين. يبدو التبطين أزرق اللون من الخارج، أصبح من المستحيل استخدامه بما أنّ الناس يفضلون النوع الهوائي. إنه الفراش الذي كانوا يستخدمونه في السنوات الأولى من عيشهم في المدينة.

إنه ثقيل للغاية، وقد ملأ المصعد بأكمله. وبينما كان يحمل الفراش ويمشي في الرواق ليتوجه إلى المطبخ، أوقع الزينة والملابس على الأرض. غطّى الفراش البلاط بأكمله بين الثلاجة ومائدة الطعام. ضغط على الفراش بركبته اليسرى، ولفّه بدقة، ثم عقد حوله حبلاً من الطرفين، ونقله من المطبخ إلى غرفة عمله وأسنده إلى الحائط بينما كان يدفع الكرسي إلى الوسط.. ولم يلحظ إلّا حينها أنّ هناك عينين فضوليتين تحدّقان إليه وتريدان التدخل في شؤونه.

"ما هذا؟".

ابتسم إيڤان وتنهد وهو يحمل ابنه الأصغر.

"فراش جديد".

حدّقت العينان الفضوليتان إليه لوقتٍ طويل.

"كلا، ليس جديداً يا أبي".

"كلا، ليس جديداً".

"ما هذا يا أبي؟".

"هذا سرّ".

"سرّ!".

"إنه سرّ خاص بي وبليو".

وسار باتجاه المطبخ. مشيا معاً إلى المطبخ. أزال بقايا الحبل عن طاولة المطبخ، ووضع الفراش على الكرسي العالي بجانب الطاولة، ثمّ أخذ زجاجةً جديدة من الشراب الموجود تحت المغسلة، وهو مكان يتّسع لتسع زجاجات أخرى. وضع على طرف الفراش زجاجة الشراب الذي يحبه. قام بسكب نصف محتوى الزجاجة في وعاء، وأضاف إليه بضع ملاعق من السكر، ثم قام بتسخين الخليط وتحريكه إلى أن ذاب السكر، فسكب المزيج في كوب.

رفع كوبه لڤينسنت الذي ابتسم وترك بصمة لإصبعه على الكوب.

رفع إيڤان الكوب ليشرب وأغمض عينيه، فظهر أمامه وجهٌ متورّم وأزرق وأصفر، فكاد يبتلع محتويات الكوب كلها.

إنه يوم طويل، ولكنه ليس كافياً. كان ليو ينتظر أخاه على أحد المقاعد في ملعب المدرسة الابتدائية. تأخر أخوه الأصغر في المدرسة اليوم. جلسا هناك يتحدثان وينتظران ويتحدثان مرةً أخرى. لم يتحدثا عن موضوع معيّن، بل كانا ينتظران مرور الوقت وحسب، فإذا انتظرا وقتاً طويلاً، فقد يكون والدهما غائباً عن الوعي من كثرة احتساء الشراب حين يعودان إلى المنزل.

صعدا الدرج خطوةً خطوة. بقيت أمامهما سبعة طوابق.

صعدا الدرج الأخير ببطء.

ببطء.

يبدو باب شقتهما ككل الأبواب الأخرى؛ بفتحة البريد التي تفتح بحركة خفيفة من الأصابع، وجرس الباب الأسود الذي يصدر رنيناً مكبوتاً لمدة طويلة، والصفيحة المعدنية فوق الجرس والتي كتب عليها: ممنوع التسوّل. يشير أبوه إليها بقرف دائماً حين لا يميّز الشخص الذي يطرق الباب.

نظر ليو وفيليكس إلى بعضهما.

لم يكن يريد الدخول، ولكنه اقترب من الباب محاولاً سماع وقع قدمَي والده من دون أن يجرؤ على وضع أذنه على الباب.

نظرا إلى اللوحة المعلقة على الباب. دوڤنجاك. أخذا أنفاساً عميقة ثلاث مرات، ثمّ فتحا الباب ودخلا.

"ليو!".

ما إن خطا خطوةً واحدة إلى الداخل حتى سمع الصوت، فما عادت قدماه تساعدانه على الوصول إلى الرواق الضيق، لذا توقف في مكانه.

"ليو، تعال إلى هنا".

وجدا والدهما في المطبخ. كان لا يزال يرتدي الجينز ولكن من دون قميص، وثمة زجاجة فارغة قرب رزمة من بطاقات الكينو، وما زالت المقلاة على الفرن فارغة. كان من السهل النظر إلى الأرض والتركيز على البلاط الأصفر المشمّع، بعيداً عن العينين المحدقتين. ذقن وشفة سفلية بارزان.

"تعال إلى هنا".

تقدم ليو إلى الأمام، وأوشك فيليكس على الجلوس قربه، إلى أن أوقفه ليو قائلاً له:

"اذهب إلى ڤينسنت".

ودفعه حين لم يرغب في التحرك بسرعة.

"اذهب إلى غرفة ڤينسنت وأغلق الباب".

لم تفارق نظرته الأرض.

"ماذا؟".

"وجهك".

عندها، ما عاد ليو ينظر إلى الأرض، بل بدأ يحدّق إلى قدمَي والده.

"أريد رؤية وجهك بالكامل".

فبدأ يمعن النظر إلى والده. كان من الصعب عليه معرفة ما يفكر فيه.

"هل تأذيت؟".

"كلا".

امتدت يد أبيه إلى مصدر الألم في جسمه.

"لا تكذب".

"قليلاً".

"قليلاً!".

"أكثر".

"هل يدرسان في مدرستك نفسها؟".

"نعم".

"هل تعرف اسميهما؟".

"نعم".

"ولِمَ لم تدافع عن نفسك؟".

"لقد___"

"أنت تذهب إلى المدرسة نفسها التي يقصدانها، وتعرف اسميهما، ولكنك لن... تفعل شيئاً بهذا الصدد!".

بدأ صوت والده يعلو.

"أنت خائف يا بني! هل ابني خائف؟ أنت من عائلة دوڤنجاك. حسناً، الكل يخاف! حتى أنا. ولكن، لا يهرب الجميع. عليك أن تدافع عن نفسك وتواجه مخاوفك. وستنمو بهذه الطريقة".

ارتجف جسمه. وبعد ذلك، أشار الوالد بيده إلى الرواق باتجاه غرفة العمل.

"سنذهب إلى هناك".

"هناك!".

"الآن".

يحصل الأمر مجدداً كما حصل في الرواق؛ إذ أبت رجلاه أن تتحركا.

"الآن".

سمعه ليو، وبدأ بالتحرك ببطء. في تلك اللحظة، انفتح باب غرفة النوم، وظهرت أمه بشعرها المشعث وهي ترتدي ثوب نومٍ أصفر اللون لم يعد يليق بها.

" لِمَ كل هذا الصراخ هنا؟".

همس الوالد، لكنّ صوته كان لا يزال مسموعاً.

"عودي إلى سريرك".

"ما الذي يحدث يا إيڤان؟ ما الذي تخطط له؟".

"لا تتدخلي".

"ماذا تفعل؟؟ يا إلهي، ليو، ما الذي حصل لوجهك؟!!".

"الأمر بيني وبين ليو. إنها مسؤوليتي أنا".

وفجأةً، توقف كل شيءٍ؛ إلى أن وضع الأب ذراعه حول كتف ليو وسحبه قليلاً نحوه من دون أن يقسو عليه. ولكنه سحبه باتجاه الغرفة.

"سندخل الآن".

يقف فيليكس خلف الباب المغلق وهو ينصت السمع. ثم يفتح الباب قليلاً، فيسمع أُمّه تسأل والده عمّا سيقوم به. أما الوالد فيطلب منها عدم التدخل في ما لا يعنيها. لم يسمع صوت ليو البتّة، مهما اقترب ليسمع. وهو لا يحبّذ ذلك. إنه يعلم أنّ الأمر سيّئ؛ تماماً مثلما حصل في ذلك اليوم حين مدّ الحقير هانس ذراعيه ليمنعه من التحرك إلى الأمام أو الخلف.

في الواقع، الأمر أسوأ من ذلك، كما حدث بالأمس؛ حين لم يتوفر لديه الوقت لتحذير ليو من أنّ قبضة كيكونن تقترب من رقبته.

فتح الباب وتوجه إلى الرواق. عليه فعل ذلك، فهو لم يعد يتحمل الأمر. توجّه مباشرةً نحو أمّه.

إنها تسمعه ولكنها لا تراه، فقد تسمّرت عيناها على باب غرفة العمل المغلق. وقف بالقرب منها، واستمع إلى ما تستمع إليه.

كان الصوت يبدو مكتوماً.

وارتفع صوت آخر، وبدا وكأنه صوتٌ صادر عن لكمة. وكأنّ أحدهم يلكم شخصاً. ثم سُمع الصوت نفسه مجدداً، ومجدداً، ومجدداً، ومجدداً.

الأمر يحصل تماماً كما حصل بالأمس حين لم يكن باستطاعته القيام بأي شيء؛ حين كان يبكي ويصرخ بين ذراعي هانس. فجأة، فتح الباب قبل أن تتمكن أُمّه من إيقافه.

بدا الأمر غريباً.

لم يسبق له يوماً أن رأى أباه يتصرف بهذه الطريقة؛ فقد كان جاثياً على الأرض على ركبتيه، وهو يمسك بفراشٍ كبير أزرق اللون ونظيف. كان والده يمسك بالفراش وكأنه يحتضنه. وهو لا يحتضن أحداً عادة.

"ارمِ نفسك على الفراش بهذه الطريقة".

ليو أيضاً كان عارياً من الأعلى. إنه يبدو كوالده، عاري الصدر ولا يرتدي إلّا الجينز.

"ارمِ نفسك بالكامل".

في تلك اللحظة بالذات، لاحظ فيليكس أنّ الفراش الأزرق يتدلى من السقف، من حيث كان المصباح معلّقاً.

"يجب أن توجّه اللكمات بجسمك، وليس بيديك. عليك أن تستعين بكامل جسمك".

كان ليو من يقوم بلكم الفراش الذي يمسكه الوالد.

مجدداً ومجدداً ومجدداً.

"حين يريد أحدهم أن يلحق الأذى بك...".

والآن، وقف الوالد، وقفز قليلاً وبسرعة، ولكم الفراش المعلّق بقسوة زائدة.

"استهدف الأنف بلكمة واحدة. وجّه ضرباتك في البداية إلى الجزء الأكبر. إذا ضربت الأنف، فستدمع عينا خصمك".

ثم توقف عن اللكم، وأومأ لليو الذي كان يفرك مفاصله بيده اليمنى التي تبدو ضعيفة وحمراء اللون.

"حين تلكم الأنف فسيميل الشخص إلى الأمام؛ إذ يميل الضعفاء إلى الأمام دائماً حين تبدأ قنواتهم الدمعية بإزعاجهم. هذا ما يحدث حين توجّه ضربةً مباشرةً إلى الأنف، إذ سيقفون أمامك هكذا. انظر إليّ يا ليو. في تلك اللحظة، ستكون جبهة خصمك مقابل جبهتك".

واندفع الوالد إلى الأمام، فأصبح بالقرب من صدر ليو، ليبدو الأمر وكأنّ عنزةً تصوّب قرنيها باتجاه عنزةٍ أخرى. نظر إلى والدته التي كانت تريد الحصول على أجوبة ولكنها لا تتلقاها، لذا اختارت النظر إلى فيليكس عوضاً عن ذلك.

"اذهب لجلب المياه. اجلب كوباً كبيراً؛ فأخوك عطشان".

والآن، اندفع وأقحم رأسه في صدر ليو.

"وجّه له لكمة أخرى، ولكن لا تجعل الضربة مباشرة. ثمّ اضرب الجبهة، ثمّ الجمجمة وهي العظمة الأقسى في الجسم. ولكن، تذكر أن عليك أن تحمي يديك. لذا، وجّه لكمتك التالية إلى هنا.

وأشار الوالد إلى ذقنه وإلى خدّه.

"وجّه اللكمة إلى عظم الفك. الوِ ذراعك وكأنك تضرب من الجانب ومن الأسفل. يجب أن تستهدف هذا الجزء؛ فعظم الوجنة هشّ. ثم تراجع إلى الوراء".

ضرب ليو مجدداً، وضرب ضربةً أخرى محاولاً ليّ ذراعه، وسدّد لكماته مرةً أخرى وفقاً لتعليمات والده.

"أين المياه؟ يفترض بك أن تذهب لجلب المياه. ألم أطلب منك ذلك؟ هيا، اركض".

ركض فيليكس نحو المطبخ، وتحديداً إلى صنبور المياه. كانت المياه دافئة،

ولم تستغرق وقتاً طويلاً كي تبرد. عاد إلى الغرفة ببطء ومعه كوب كبير يحمله بيديه الاثنتين.

"حسناً، سيكون هذا عملك منذ الآن فصاعداً. ستذهب لإحضار المياه لنا كل نصف ساعة، وستجلب كوباً بهذا الحجم وتعطيه لأخيك. والآن، أغلق الباب".

أدار الوالد ظهره العاري ووضع ذراعه على كتف ليو.

"لقد لكمته على أنفه، فاندفع إلى الأمام. استمرّ في اللكم إلى أن يقع على الأرض. وإن كان هناك أكثر من شخصٍ فسيستسلمون. سواء أكانوا شخصاً واحداً أو اثنين أو ثلاثة. لا يهمّ. وكأنك ترقص مع دبّ يا ليو. ستبدأ الرقصة مع الدبّ الأكبر وتلكمه على أنفه. أما الدببة الأخرى فستركض. سترقص وتلكم، ترقص وتلكم! عليك أن ترقص حوله وتلكمه. قد يبدو لك الأمر اندفاعاً لوقت قصير، ولكنك ستقوم بإنهاكه، وحين يبدو لك أنه مشوّش وخائف، الكمه مجدداً. يمكنك أن تهزم دبّاً طالما أنك تدرك كيفية الرقص واللكم!".

انتظر فيليكس من أُمّه أن تغلق الباب، ولكنها عوضاً عن ذلك دخلت الغرفة الدافئة والعفنة.

"إيڤان، ماذا تظن أنك تفعل؟".

"طلبت منك أن تغادري. ألم تري وجهه؟".

"أنا أرى وجهه، نعم أراه، لكن هذا..."

"عليه أن يتعلم كيفية القتال للدفاع عن نفسه".

كانت نبرة الأمّ مختلفة عن نبرة الوالد؛ فحين تصرخ، يبدو صوتها وكأنّه

يدخل الأعماق.

"لا تستطيع القيام بذلك بهذه الطريقة، أنت لست ليو. أنتم من بين كل الناس تعلمون إلى أين سيوصلكم هذا الأمر".

"تباً، عليه أن يتعلم حماية نفسه!".

"علينا الذهاب إلى غرفة النوم، أنا وأنت. الآن يا إيڤان. علينا التحدث عن هذا الموضوع".

صمت الوالد لفترةٍ قصيرة، رغم أنه سيصرخ مجدداً.

ثم توجّه نحو الأمّ ودفعها إلى خارج الغرفة.

"وعمَّ سنتحدث يا بريت ماري؟ بأيّ حالٍ سنجده ممدّداً حين يبرحونه ضرباً في المرة التالية؟ أيّ جزءٍ من جسمه سيديره إلى الأعلى كي يلكموه بقوة كبيرة؟ عليه أن يدافع عن نفسه أو يتحمل نتائج كونه ضعيفاً".

لم تجب الوالدة.

وحين أغلق الوالد الباب، شدّ فيليكس على يدها.

ارتجفت ساقا فيليكس قليلاً وهو يتوجه نحو غرفة المرحاض ليحضر الصندوق الأخضر الموجود هناك؛ ذلك الصندوق الذي أحضرته الأم معها من العمل إلى المنزل؛ وهو مثل الصناديق التي تملكها الممرضات. أمسكه وجلس على غطاء مقعد المرحاض، وفتحه ليأخذ منه شيئاً مشابهاً لضمادات من الشاش يمكن سحبها من دون تمزيقها، بالإضافة إلى الشريط اللاصق الأبيض الذي يمكن قطعه بسهولة، وهو يدرك أنهم يطلقون عليه اسم الشريط اللاصق الجراحي. حمل فيليكس الضمادات والشريط اللاصق في يده، وركض على السجاد البني في الرواق، ومن ثمّ إلى غرفة المعيشة، ليصل إلى الأرضية الخشبية دائمة البرودة، والتي تحدث صريراً حين يمشي الوالد فوقها باتجاه الشرفة التي يمكن النفاذ إليها من غرفة المعيشة والمطبخ على حدٍّ سواء.

"ذاك الحقير فين الذي يرتدي قميص الجينز الرديء".

كان فيليكس قد رأى ذاك الجسم المربع وهو يرمي نفسه على ليو فجأةً ويهاجمه من الخلف. وكأنّ فين هو الهندي، وهو وليو المستوطنان في أرضٍ غريبة، اللذان يتجولان في أرض الأعداء وينتظران بدء المعركة. لقد سمع بما فعله هانس وكيكونن باثنين من الرفاق، وكيف أنهما قاما بكشط إبطَي كل منهما بواسطة الحجارة الحادّة إلى أن نزفا، فوضعا الملح على الجرح. كما سمع بما فعلاه ببودا الذي يعيش في الطابق الثالث، والذي كان يخاف من العناكب إلى درجة الموت، وتم سجنه خلال الحرب التي دارت بين الجيران. فقد قاما بتقييده، وجمعا من مختلف أنحاء القبو عناكب وحشرات كبيرة، ووضعاها في صندوق من الورق المقوّى. وبعد ذلك، فتحا أسفل الصندوق ودفعه هانس باتجاه رأس بودا، فيما ثبّت كيكونن الشرائط اللاصقة حول رقبة بودا، فزحفت العناكب والحشرات على وجهه ووصلت

إلى شعره، كما علقت أرجلها الطويلة في أذنيه ودخلت أنفه وفمه. وبعد تلك الحادثة، اصطدم فيليكس ببودا، فلاحظ كيف كان يسير ببطء في شارعه الخاص وكأنه سجين حرب لا يعلم أين هو ولا من هو.

كان هو وليو محظوظين.

توجّه فيليكس إلى الشرفة والهواء البارد يلفح وجهه. مرّر الضمادات المطاطة والشريط اللاصق الجراحي إلى الوالد الذي يقف متكئاً على حافة الدرابزين ومتأملاً الإسمنت في سكوجاس.

"عليك أن تلكم، وهكذا ستشتدّ مفاصلك".

كان الوالد قد استدار نحو الكرسي المخطط حيث يجلس ليو والاحمرار لا يزال يعلو خدّيه. أمسك الوالد بيديه، وسحبهما نحوه ولفّ الضمادة حول مفاصله.

"ولكن في الوقت الراهن، علينا أن نفعل هذا. علينا أن نحمي المفاصل؛ إذ يجب أن تتمرن لفترة طويلة".

اليد اليسرى. اليد اليمنى.

"تابع التمرين واستمر بتحريك جسمك. وهكذا، ستقضي عليه".

لفّ الوالد الضمادة على مفاصل ابنه وأسفل إبهامه وعلى سبابته، وأنزلها تدريجياً لتصل إلى معصمه.

"أرني قبضتك".

أحكم ليو قبضته اليمنى المضمدة، وانتظر ريثما يضربها أبوه براحة يده.

"كيف تشعر؟".

"بخير".

ثمّ قام بالأمر نفسه باليد اليسرى، وسرعان ما حرك ليو يديه في الهواء مراتٍ عدة أمام فيليكس، وركض مسرعاً نحو غرفة المعيشة والرواق وهو لا يلكم إلّا الهواء. تبعه والده إلى الغرفة مجدداً، وجثا على ركبتيه مجدداً قرب الفراش.

"ما اسماهما؟".

"هانس".

"وَ؟".

"كيكونن".

لكم الوالد الفراش المتحرك، ثم عاد ولكم كتفه.

هكذا، قام هانس وكيكونن الحقيران بالأمر. فقد لكما الكتف. توقفت كل تحركاتهما في هذه المنطقة.

رفع ذراعه اليسرى باتجاه الفراش، واستدار نحوه، واستمر بتحركاته.

"يجب أن تلكم بهذه الطريقة، يجب أن توجّه ضرباتٍ مباشرة".

تقدم الوالد خطوةً خطوة إلى أن وقف خلف ليو مباشرةً. لم يرَ فيليكس سوى ظهرين، كما أنه لم يجرؤ على دخول الغرفة. حاول التمدد والوقوف على أصابعه وسط عتبة الباب، فلاحظ أنّ الوالد يمسك بذراع ليو ويجعله يستدير كاستدارته.

"حين تستهدف الأنف سيفقع كبالون مليء بالمياه!".

سمع فيليكس ما لم يستطع رؤيته. سمع أن اللكمة تبدأ على مستوى

الذراع، وهذه المرة، وصلت إلى ليو بقساوة؛ أقسى من قبل.

تخيّل ليو هانس وكيكونن أمامه، ودماغاهما يطفوان في السوائل؛ كالسمكة الذهبية في الحوض. وحين يضرب الأنف أولاً ومن ثمّ الذقن، سيقفز دماغا هانس وكيكونن.

وجّه ليو ضربةً أخرى.

"الأنف، الذقن".

"مرةً أخرى".

"الأنف، الذقن".

"مرةً أخرى".

"الأنف. قف خلفه. الذقن، تابع الضرب المباشر. الأنف، يجب أن يقفز دماغاهما الحقيران وينفجرا".

بعد هُنَيهَةٍ، بدأ فيليكس يشعر بالألم في أصابع قدميه. فالعتبة العالية قاسية جداً ولها زاوية محددة، ومن الصعب جداً الوقوف هناك لفترة طويلة. علاوةً على ذلك، لم يعد قادراً على الرؤية جيداً. لذا، حاول التمدد بينما كان يرى ليو وهو يلكم الفراش من الأسفل. بدا الأمر مضحكاً جداً وكأنه يحصل فعلياً.

كان ليو لا يزال ممدداً هناك. أمّا الوالد، وبعد محاولاتٍ عدة للكم الأنف والذقن، توجّه إلى المطبخ، وأحضر معه الكثير من السكر الذي سيذيبه في كوب من الشراب، قبل أن يرتدي ثياب العمل التي مضى عليها وقت طويل وهي معلقة في الرواق. تمدد فيليكس، وتتبع آثار قدمَي والده التي تؤدي إلى الباب الأمامي، وسمع الصوتين المدوّيين حين فُتح المصعد وأُغلق. وفجأةً، عمّ الهدوء الشقة بكاملها

حين غادر الوالد، فقد فرغ البيت.

عاد ليو إلى غرفة العمل ووجّه الضربات واللكمات إلى الفراش وهو يقفز. الأنف والذقن، الأنف والذقن. أبعد يديه عن جسده، وراحت يداه تصدران صوتاً عميقاً حين تضربان. لقد ربطهما تماماً كما ربطهما والده قبل أن يذهب مباشرة لدهن جدران المطبخ في منزل في الضواحي، وقد استغرقه العمل فيه يوماً كاملاً. أدرك ليو أنّ باستطاعته الضرب بكل ما أوتي من قوة من دون الشعور بالألم المزعج. كان يبدأ صباحه كل يوم بالتمرّن قبل تناول الفطور وقبل الذهاب إلى المدرسة، ويعود إلى المنزل راكضاً عند الغداء ويبدأ باللكم من دون أن يتناول الطعام. وبعد ذلك، يستمر في التمرّن طيلة فترة بعد الظهر وفي المساء، وحتى عندما يستيقظ في الليل ولا يشعر بالنعاس.

إنه يسمعه؛ صوت المكنسة الكهربائية. إنها المرة الثانية التي يسمعه فيها وهو يطنّ في أذنيه في مثل هذا الوقت.

أوقف اللّكم.

استيقظت الأمّ، وألقت نظرة خاطفة عليه لدى مرورها قرب الغرفة. كان يدرك أنّ الأمر لا يعجبها، فهي لا تريده أن يتمرن.

ولكم مرةً أخرى؛ على الأنف والذقن. هانس وذاك الفنلندي الحقير. قد يكونان بانتظاره في أي وقت ومكان، لذا كان يتجنبهما، حتى إنه كان يختبئ كي لا يرياه، وذلك كي يكون جاهزاً لمواجهتهما. على الأنف والذقن، هانس وذاك الفنلندي الأحمق. يحدث الأمر تلقائياً الآن. أصبح جسده خلفه بالكامل. استدار بكتفيه مصوّباً إلى الأمام واستمرّ بتوجيه اللكمات.

حان الوقت لإسقاطه.

أطفأت الأمّ المكنسة الكهربائية.

" يجب إعادة المصباح إلى هناك".

أحضرت كرسياً بثلاث قوائم، وصعدت عليه إلى أن وصلت إلى حدود السقف، بينما كان ابنها مستمراً في اللكم من دون النظر إليها.

"هل يمكنك التوقف عن ذلك الآن؟".

كان يلكم بخشونة أكثر مما كانت تتوقع، وكانت ضرباته ترفع الفراش إلى الأعلى.

"هل سمعت ما قلته للتوّ؟ أوقف ذلك".

إلّا أنه استمر باللكم وبقوة أكبر.

"ليو؟".

"على الأنف والذقن يا أمي".

كان يستدير ويتكلم في الوقت نفسه، ويلكم عند كل مقطع لفظيّ، فيما كانت تمسك بالفراش.

"اسمعني يا ليو. من فعل هذا بوجهك؟ ما أسماؤهم؟".

واحتضنت الفراش وهي واقفة أمامه مباشرةً كي يوقف اللكم.

"هانس وكيكونن".

"أريد اسميهما الكاملين".

"لماذا؟".

"لأنني سأتصل بأهلهما".

"لا يمكنك أن تفعلي هذا. فإذا اتصلتِ، فلا أحد يعلم ما الذي قد يحصل".

جلس على الكرسي بالقرب من خفّ أُمّه المزيّن بكرةٍ زغبية في وسطه.

"ليو، أنا سأهتمّ بذلك".

"ستسوء الأمور أكثر بهذه الطريقة. ألا تفهمين ذلك؟".

لم تعد تمسك الفراش، وإنما كانت تحتضنه هو.

"أخبرني باسميهما الكاملين!".

أومأ برأسه، ووضع جبينه على صدرها.

"حسناً إذاً".

وقفت على الكرسي مجدداً، ورفعت الفراش ورمته على الأرض.

"يمكنني الاهتمام بالأمر بمفردي! لا تتدخلي!".

"يمكنك البدء بخلع هذه الضمادات السخيفة!".

"عليّ أن أتمرن!".

"ليو، الآن!".

"قال لي أبي إنه يجب عليّ أن أتمرن!".

"وأنا أطلب منك أن تتوقف".

ما عاد يقول شيئاً؛ ولا أي كلمة. بقي صامتاً إلى أن أنهت والدته العمل بالمكنسة الكهربائية. وحتى حين وصل فيليكس إلى المنزل، وبعد أن أنهيا تناول الطعام في المطبخ، وحين طلبت منهما ارتداء معطفيهما لأنهم سيذهبون لاصطحاب والدهم كالعادة، وسيذهبون إلى محل البقالة، وبقي صامتاً في السيارة أيضاً.

استغرق انتقالهم من حيّهم الذي يتألف من مبانٍ شاهقة إلى الحي الّذي يتألف من منازل منفردة بضع دقائق. توقفوا أمام أحد المنازل، ونقلوا ما تركه الوالد خارج البوّابة إلى السيارة. أحضروا الفرش النظيفة التي تفوح منها رائحة الصباغ، بالإضافة إلى المحادل التي تم وضعها في أكياس، وعلب الطلاء، وورق الجدران اللاصق، بينما كان الوالد يتكلم مع امرأةٍ تكبره سنّاً ويحصل على مغلّف منها.

كان ليو لا يزال صامتاً. الهدوء رائع.

بقي ليو صامتاً حين انتقل إلى المقعد الخلفي بعد أن جلس والده قرب أُمّه وقبّلها على خدّها. الوالد سعيد جداً ويضحك، كما كان هو وزبونته يفعلان عندما قالت إنّ العمل سيزدهر في مايو، وإنها تريد إعادة طلاء المنزل. نظر الوالد إلى ليو حين قالت ذلك، وأدرك ليو السبب، فهو عملٌ طويل وشاقّ، ووالده بحاجة إلى المزيد من الأذرع والأقدام.

"كيف حال يديك يا بنيّ؟".

وكأنّ والده شعر بشيءٍ ما رغم أنه يجلس في الأمام ويركز على شيءٍ آخر.

"وكيف حال أنفك وذقنك؟ كيف الحال؟".

تحسس ليو مفاصله غير الملفوفة براحة يده.

"لقد طرحتُ سؤالاً يا ليو".

"لقد..."

لم تمنحه أُمّه فرصة للإجابة، فقد قاطعته وأجابت عوضاً عنه.

"لقد تخلصت من الفراش اليوم".

استدار الوالد نحوها من دون أن تتغير تعابير وجهه بعد.

"ماذا؟".

"لقد أزلته اليوم، ذاك الفراش القديم الذي اعتدنا على النوم عليه حين تقابلنا للمرة الأولى".

تغيرت نظرته الآن، وتجعد خدّاه وفمه، إلّا أنّ عينيه هما أكثر ما تقلّص.

"ماذا قلت إنكِ فعلت؟".

"لا أظنّ أنه يجب مناقشة هذا الأمر في السيارة يا إيڤان".

"ما الذي لن نناقشه في السيارة؟ أنّ وجه ابننا أسود اللون وأزرق ويجب أن يكون قادراً على حماية نفسه؟".

"أرجوك يا إيڤان، هل نستطيع مناقشة هذا الأمر لاحقاً؟ ألا يمكننا الذهاب للتسوق أو للسهر ليلة الجمعة، والتحدث عن الموضوع في الصباح؟".

جعلهما صمت والدهما يقتربان من بعضهما أكثر على المقعد الخلفي من شدة الخوف. وكانت تنبعث منه رائحة الشراب الذي كان يحتسيه في الساعة الأخيرة من عمله.

"لقد تمرّنت بما فيه الكفاية يا أبي".

"أرني يدك".

فرفع ليو يده اليمنى.

"إنها ناعمة".

سحبها الوالد ودفعها.

"ناعمة جداً".

لم ينظر ليو إلى والده، وإنما إلى وجه أُمّه في المرآة وهي توجّه نظراتها إلى السيارات التي تخرج من المرأب وهي تدخل إليه، وهو يقع خارج مركز سكوجاس للتسوق.

"لكن، هل أنا جاهز الآن يا أبي؟ الأنف والذقن والجسم بكامله و..."

"ستجهز حين أقول لك ذلك".

نزل الجميع من السيارة، ولم تبدُ الأمور بخير. سمع ليو أصواتاً عالية خارج مدخل مركز التسوق، ونظر إلى والده. إنه يدرك أنّ والده لا يحب هذه الأصوات. لذا، حاول الانتظار وقتاً أطول. لم يسر قرب والده، ليس الآن وهم يمرّون بالقرب منهم.

إنهم يجلسون في المكان نفسه الذي جلسوا فيه في المرة الماضية. إذ يجلس المزعجون على المقاعد، أما الهادئون فيقفون قرب الدرابزين الحديدي المنخفض. يصطفّون وفي أيديهم علب الشراب. إنهم أشخاص بالغون، لكنهم أصغر من الأمّ والوالد. غالباً ما يتوقف الوالد أمامهم ليسألهم عن سبب جلوسهم هناك، وعن سبب عدم قيامهم بأي عمل كالآخرين. وبعد هنيهة يشتمهم، ويطلق عليهم أسماء كالطفيليات ويتأملهم، لا سيما ذلك الشاب ذا الشعر الأشقر المجعّد والقميص

الأسود المبطّن والمزوّد بقبعة، والذي يجلس قربه شاب آخر شعره بنيّ وينتعل حذاء لماعاً. لكن هذه المرة لم ينبس الوالد ببنت شفة. يبدو أنّ الأمور جيدة. صرخ الشاب ذو الشعر المجعّد في وجوههم بينما التفت الوالد يساراً واتجه إلى متجر الشراب، في حين تبع ليو وفيليكس وڤينسنت أمّهم وذهبوا معاً إلى متجر البقالة. أحضرت الأمّ أغراضاً من المتجر ووضعتها في سبعة أكياس، وقد استعانت بالمال الموجود في مغلّف الوالد لدفع جزء من سعر الأغراض. ساعدوها على نقل الأغراض إلى السيارة، حتى إنّ ڤينسنت حمل كيساً كبيراً يحتوي على مناديل ورقية في يده.

وضعوا الأغراض بالقرب من معدّات الطلاء العائدة للوالد. وكان هذا الأخير يجلس هناك وفي يده زجاجة نصف فارغة، وينظر من النافذة الجانبية إلى الشباب السبعة الجالسين قرب الدرابزين والسياج الحديدي، إنهم الطفيليات.

كانت الأمّ تستعد لمغادرة مرأب السيارات حين أمسك مفتاح التشغيل وأطفأ المحرّك.

"ليو، اقفز من السيارة. ستأتي معي".

شغّلت الأمّ المحرّك من جديد قائلة:

"سنعود إلى المنزل".

"لا تناقشيني".

وعكس الوالد اتجاه مفتاح التشغيل إلى الجهة الأخرى.

"اذهبي أنت إلى البيت وخذي معك فيليكس وڤينسنت".

ثم فتح الباب ونزل من السيارة، ووقف منتظراً ليو كي ينزل بدوره. عندها، اتّكأ على النافذة الجانبية، واضعاً مرفقيه على الإطار المعدني.

"افعلي ما أقوله. اذهبي إلى البيت وخذي الولدين معك".

مشى الوالد وكذلك فعل ليو. ألقى ليو نظرة خاطفة وأخيرة على أُمّه ولكنها لم تنظر إليه، بل شغلت محرك السيارة وبدأت تبتعد عن مرأب السيارات الضيق.

"ذاك الذي يرفع رأسه ويجلس في الوسط، هل تراه؟ إنه القائد، إنه قائد الطفيليات".

وأشار الوالد إلى الرجل ذي الشعر الأشقر المجعّد والذي يرتدي قميصاً أسود مبطن. إنه من يملك الصوت الأعلى، ويبدو أنه ليس ملزماً بالجلوس على الدرابزين الحديدي.

"أظنّ أنني سأتحدث معه قليلاً، ما رأيك يا ليو؟".

وقفا أمامه مباشرةً، أمام الجميع.

"يا أصحاب، أريدكم أن تسمعوني".

ليته يستطيع فقط متابعة السير باتجاه المتاجر، وليت الناس المتواجدين هنا يرحلون، أو تقع قنبلة نووية، فحينها لن يكون مضطراً إلى الوقوف هنا.

وقف ليو وأغمض عينيه. لا وجود للقنبلة النووية.

"هل ترى محل البيتزا هناك؟ سأذهب إلى هناك لأتناول البيتزا مع ابني. قد يستغرق الأمر خمساً وأربعين دقيقة. وحين نعود، يجب أن تكون قد اختفيت".

"هل تمزح!؟ هل تسمعون هذا؟ هذا الحقير يمازحني. وماذا نفعل حين يمازحنا أحدهم بهذه الطريقة؟ نضحك عليه".

تحرك الأشقر كثيراً وهو يتكلم ملوّحاً بذراعيه، وكان يضحك بأعلى صوته، وكذلك فعل رفاقه.

"هل تعتقد ذلك؟ هل تعتقد فعلاً أنني أمزح؟ هل الطفيلي الصغير العاطل عن العمل هو المسؤول هنا؟ لا أعتقد ذلك. سأقول لك أمراً يا ولد. إن لم تجمع أنت ورفاقك علب الشراب لحين عودتي إلى هنا، فسأمسككم من رقابكم المكسوّة بالشعر وأرميكم بين الأشجار".

اقترب ليو من والده قليلاً ليقف بجانبه، وجسمه باتجاه محل البيتزا، فإذا وقف هنا فلا أحد سيراه. كان عددهم سبعة، وكانوا يرتدون معاطف مبطنة وقمصان جينز. قد يكون هؤلاء إخوة هانس وكيكونن البالغين، وهم يصرخون الآن، ولا سيما الشاب ذا الشعر الأشقر، والشاب الجالس قربه الذي ينتعل حذاء لامعاً والذي يشتمهما ويبصق.

"أيها التركي الحقير".

"إذاً، أتريد أن تتعرض للضرب أيها الحقير أمام ابنك؟".

وحمل كتلة من التراب من بين الأزهار المتواجدة هناك ورماها عليهما.

"أبي ليس حقيراً..."

تقدم ليو قليلاً إلى الأمام فأصبح مرئياً أكثر من ذي قبل. يجب أن يقول شيئاً.

"... أو تركياً. إنه نصف صربي ونصف كرواتي. وأمي سويدية. لذا، أنا السويدي الثالث".

ذاك الذي بصق ورمى كتلة التراب وضع علبة الشراب على المقعد وبدأ

يضحك فعلاً هذه المرة.

"أيها الحقير الثالث، خذ ابنك المتخلف وارحلا من هنا!".

لم يكن المطعم كبيراً. ففيه تِسع طاولات، ومصابيح دائرية وصغيرة غير مضاءة تشبه الفوانيس، وهي معلّقة فوق مفارش موائد عليها رسوم مربّعات حمراء وبيضاء تُغطّي كلّ طاولة. جلس إلى ثلاث طاولات منها رجالٌ يحتسون الشراب، فيما جلس إلى طاولتين أُخريين ثنائيان صغيران في السن يأكلان البيتزا التي تفوق أطباقهما حجماً. اتّجه الأب نحو النادل وطلب كأساً من الشراب له، وكوباً كبيراً من الشراب الغازي بطعم البرتقال لليو، ثم جلس إلى الطاولة المجاورة للنافذة.

سبق لهما أن قصدا هذا المكان أكثر من مرة. وفي العادة، هو يحبّ المجيء إلى هنا مع أبيه في الليل لاحتساء الشراب الغازي، ولكن ليس الآن. إنه لا يريد أن يشرب تلك الفقاقيع بطعم البرتقال؛ فحلقه جاف، وليس بإمكانه أن يبتلع أي شيء؛ كأنما يوجد انسدادٌ في مكان ما بين الصدر والمعدة.

"ألن تشرب شيئاً؟".

كفّان كبيرتان رفعتا الكأس الممتلئة.

"ألستَ عطشان؟ ارتشف رشفة".

هزّ ليو رأسه.

"أليس لذيذاً؟".

"أوه".

تناول رشفة واحدة وشعر بغصّة أخرى في صدره.

"هل لديك أي فكرة عن المبلغ الموجود هنا يا ليو؟".

كان الأب يحمل مغلفاً فيه مبلغٌ كبير من المال.

"ثمانية آلاف كرونة. عليّ أن أعمل. على أمّك أن تعمل. كلّنا بحاجة إلى المال. وعندما أعمل يا ليو... لا يمكنني أن أحميك، لذا عليك أن تحمي نفسك. ويجب أن تكون قادراً على حماية أخويك".

احتسى والده نصف كأس الشراب.

"أمّك لا تفهم أنه يجب عليك الاعتناء بنفسك. وأولئك المتطفّلون في الخارج أيضاً لا يفهمون أنك يجب أن تعمل".

أشار والده بإصبعه نحو النافذة، فرأى ليو أنّ الرجال في الخارج مستاؤون، ويقف واحد منهم؛ ذلك الرجل ذو الشعر الطويل الذي قال لأبيه إنه حقير.

"يجتمع الكلّ عند سور لعين ويصرخون؛ إذ ما من شيء آخر ليفعلوه. إنهم يظنّون أنّهم أصدقاء لأنهم يحتسون الشراب نفسه. الإخوة يا ليو يشكلون عائلة. وهذا أعظم بكثير! إذ يعني ذلك... أنكم تنتمون إلى بعضكم، وتحمون بعضكم، وتساندون بعضكم مهما حصل. تبّاً، إن لكمت واحداً على أنفه، فسألكم الآخرين حتماً".

أما في الجهة الأخرى من النافذة، فقد توقف الشاب ذو الشعر الطويل عن الصراخ، وها هو الآن يتّجه نحو باب المطعم بخطى ثابتة.

"إن حصل شيءٌ ما".

رآه الأب أيضاً، فرفع ذقنه إلى الأمام، وأبرز شفته السفلى، وأخفض جبينه، وحدّق كما يفعل دوماً عندما يحزم أمره بشأن ما سيقوم به، وعندها يصبح

كل شيء ممكناً.

"انظر إليّ يا ليو. أبوك سيهتم بالأمر. نحن عائلة، وكل واحد منا يحمي الآخر".

فُتح الباب.

دخل الرجل ذو الحذاء اللامع. إنه يبدو أطول الآن؛ فعندما كان جالساً كان من الصعب أن نعرف أنه يفوق الأب طولاً وقوة.

كان شعره الطويل يتمايل بين كتفيه وهو يتّجه نحوهما. وفجأةً، وقف ونظر إلى الأب الذي وضع كأس الشراب على الطاولة.

"هل لديك ولّاعة؟".

وقف إلى جانب الطاولة وفي فمه سيجارة، أما الوالد فجلس في مكانه بلا حراك.

"أيها الأجنبي هل لديك ولّاعة؟".

سقط شعره الطويل في كأس الشراب الخاص بالوالد حين انحنى إلى الأمام وانغمس فيه أكثر. وبعد ذلك، تسارعت الأحداث. لاحقاً، عندما فكّر ليو في الأمر وحاول أن يسترجع ما حصل لحظةً بلحظة، لم يكن واثقاً من أنّ ما حصل قد حصل فعلاً.

الشعر منغمس في الكأس.

استلّ الوالد سكين مورا الذي يحمله في بنطال العمل، وأمسك جيداً بشعر الرجل وقام بقطعه.

"أيها اللعين..."

تمايل الرجل ذو الشعر الطويل إلى الوراء واضعاً يده في المكان الذي كان الشعر فيه.

"أيها الحقير..."

ذاك الباب اللعين مرةً أخرى. دخل ثلاثة أشخاصٍ؛ الرجل ذو الشعر الأشقر الأجعد، والآخران اللذان كانا يجلسان قربه. رمى الوالد خصل الشعر على الأرض، كوردةٍ تتساقط بتلاتها، فوقعت بالقرب من الكرسي، ثم وقف وفعل ما توعد به. كان ليو مستخفاً بما رأى والده يفعله بالآخرين. ولكن ما لم يفهمه يوماً قد فهمه الآن. فقد سدد ضربة على الأنف بقبضة يده اليمنى، وعلى الذقن باليسرى. ولدى استدارة الكتفين وجّه لكمة على الجزء العلوي من الجسم، فانكسر عظم الأنف، وسمع ليو صوتاً قوياً كما يحصل عندما يتلقّى شخص راشد ضربة على رأسه إثر وقوعه أرضاً.

جرت الأحداث بسرعة أيضاً في المرة الثانية. فبضربةٍ واحدة على أنف الرجل الذي كان يجلس على السور، وقع على الطاولة بالقرب من الحمّام؛ الطاولة التي تكون خالية عادةً.

أما الرجل الثالث ذو الشعر الأشقر الأجعد فكان لا يزال واقفاً من دون أن يحرّك ساكناً. وبدا وكأنه ينتظر دوره. وعندما تقدّم الوالد منه، أشاح الرجل بوجهه عنه، ورفع يديه عالياً.

"لا!".

لم يبارح مكانه.

"لن... لن نجلس هناك بعد اليوم، نحن..."

"اجلس، هنا".

سحب الوالد الكرسي الذي نهض عنه. أما الرجال الذين كانوا في الخارج، فقد عادوا أدراجهم ولاذوا بالفرار ما إن دخلوا.

"هنا تماماً ولكن على الأرض، بجانب ابني وعلى ركبتيك".

تلكّأ الرجل الأشقر.

"اجثُ!".

فجثا الرجل على ركبتيه.

خلفه تماماً وقف النادل وهو يبدو في عجلةٍ من أمره.

"إيڤان؟".

"كدت أنتهي".

ربّت النادل على كتف الوالد وقال:

"إيڤان، بحق الله، لا يمكنك..."

فقاطعه الوالد قائلاً: "سأتكفّل بكل الأضرار. هدّئ من روعك. أستطيع أن أدفع. اتّفقنا؟".

عرض عليه الوالد مبلغ المال، فنظرا إلى بعضهما للحظات إلى أن هزّ النادل رأسه وأبعد يده عن كتف الوالد الذي استدار نحو الرجل الجاثي على ركبتيه.

"أنت لست قائداً".

ورفع الوالد سكين مورا في وجه القائد وتابع:

"فالقائد الحقيقي لا يُرسل الفاشل المفضّل لديه كي يغمس شعره في كأس الشراب الخاص بي".

وحرّك الكأس باتجاهه.

"القائد الحقيقي لا يُرسل خدمه، بل هو الذي ينطلق أولاً، وهو من يتولى القيادة".

لامس السكين فم الرجل الأشقر وأنفه فبدأ يبكي. لم يجهش بالبكاء، ولكن بدا أنه يبكي.

"هل سمعت هذا يا ليو؟".

حمل الوالد السكين قرب وجه الشاب الأشقر، ولكنه نظر إلى ابنه.

"ماذا؟".

"عليك أن تسمع!".

"ماذا يا أبي؟".

"القائد الحقيقي يتولى القيادة".

أبعد الرجل الأشقر رأسه قليلاً عن السكين الذي كان لا يزال ملطّخاً ببقعٍ من الطلاء.

"ابقَ جاثياً على ركبتيك بالقرب من ابني!".

أمسك الوالد الشعر الأجعد كاشفاً عنق الرجل المبلل بالعرق.

"ليو؟".

"ماذا؟".

"هل رأيت ذلك؟ تكون الضربة الأولى موجّهة دائماً إلى الأنف، ودائماً تكون يدك في الخلف".

"رأيت ذلك".

ظل الوالد يشدّ الشعر الأجعد إلى أن شعر الرجل بالذعر.

"القائد الحقيقي هو من يضرب بقوة. وهو عادل، ويجنّب إخوته التعرّض للضرب، ويتحمّل المسؤولية ويقودهم. أما هذا المتطفّل الفاشل فقد أرسل شخصاً آخر! إنه لا يفهم أنّ القائد ينطلق أولاً".

كانت كأس الشراب الخاصة بالوالد لا تزال في مكانها، نصف ممتلئة. أشار الوالد إلى الكأس الأخرى التي تحتوي على الشراب الغازي بطعم البرتقال والتي تحتوي تقريباً على الكمية نفسها وقال:

"احتسِ الكأس كلها. سنرحل الآن".

هزّ ليو رأسه. ثمة شيء بين الصدر والمعدة أشبه بالعقدة، وكأنما أحدهم قد مزّق حلقه وحاول بعدها أن يصلح ما فعله.

"أنت ابقَ في مكانك!".

عندما نهضا، حاول الرجل الأشقر أن يقف أيضاً، فقال له الوالد:

"طلبت منك أن تبقى في مكانك... طوال الوقت! إلى أن أخرج من ذلك الباب برفقة ابني وتعجز عن رؤيتنا!".

الجو أكثر دفئاً في الخارج، أو على الأقل هذا ما بدا عليه.

لا يزال مدخل مركز سكوجاس للتسوق كما هو، ولكنّ المقاعد والدرجات صارت خالية، فيما علب الشراب الخضراء تتدحرج على الأرض بفعل النسيم، ولا يزال الكثير من السجائر مشتعلاً.

أخذ ليو نفساً عميقاً، فقد هدأ الوضع.

إنهما يسيران على الطريق الأسفلتية التي تمر في منطقة الأبنية العالية، ويعبران أمام مدرسة مقفلة وموقف سيارات مهجور. كانت تلة واحدة تفصلهما عن بلوغ المنزل عندما توقف الوالد وتلفّت حوله.

"هل تسمع هذا يا ليو؟".

"صفير الريح، مجرد صفير الريح".

"ألا تسمع؟".

"لا".

"السكوت".

أشار الوالد إلى مركز التسوق.

"المقاعد يا ليو، الدرجات... منذ نصف ساعة فقط، كان المتطفلون يجلسون هناك مذهولين. أما الآن فقد رحلوا لأنني قررت ذلك".

كانا يقفان في مكانٍ يشبه ذلك الذي كان ليو ملقًى فيه قبل بضعة أيام.

تساءل ليو عمّا إذا كان الوالد يعرف ذلك، أو أنّ ما حصل وليد الصدفة.

"قوة الإرادة يا ليو، هل تفهم؟ هذا ما يهم. إن كنت تتحلّى بقوة الإرادة الكافية، فبإمكانك أن تغيّر أي شيء. أنت صاحب القرار، ولا أحد سواك! أنت تتخذ القرار وتواصل حتى النهاية".

صعد ليو سبع درجات مسرعاً ليسبق والده الذي استقل المصعد. ففي حال صعد درجتين في آنٍ واحد، فسيتمكن من فتح باب المنزل البني قبل أن يخرج والده من المصعد. مرّ بجوار المطبخ حيث تقف والدته أمام طاولة الألمنيوم، وتدير ظهرها له وهي تضع يديها في وعاءٍ فولاذي مقاوم للصدأ، وتصنع كريات أو شرائح اللحم. توقّف عند غرفة ڤينسنت حيث يجلس شقيقاه الأصغر منه سناً على سجادة عليها سبعة وسبعون جندياً وقد وضعوا بشق الأنفس قوات المغاوير البريطانية في مواجهة مشاة بحرية الولايات المتحدة. همس ليو قائلاً إنّ ما يحصل خطأ، فبريطانيا والولايات المتحدة لم يحاربا بعضهما، فرد فيليكس هامساً إنه على علم بذلك، ولكن هذا ما يريده ڤينسنت.

ثم شعر بخطوات والده خلفه، فتوجّه بسرعة إلى غرفة العمل حيث يستند الفراش إلى الحائط.

"إيڤان!".

وقفت أمه عند الباب.

"سبق أن قلت لك إنني لا أريد..."

كانت يداها متسختين بلحم البرغر، وكذلك إحدى ذراعيها.

"... فراشاً معلّقاً هناك".

"ليس الفراش اللعين، بل كيس رمل. إنه معلّق هناك الآن، وسيبقى في مكانه إلى أن يصبح ابننا جاهزاً".

مسحت جبهتها بيدها من دون أن تعلم أنها قد لطختها بالبرغر.

"هانس أكربورغ وجاري كيكونن. هذان اسماهما. إنهما في الصف الثاني

المتوسط في مدرسة سكوجاس. سنتكلم مع ذويهما. تحدّث إليهم يا إيڤان، جِد حلّاً ما".

"أتحدّث إليهم؟! لن نتحدث إلى ذويهم بالتأكيد".

" لِمَ لا؟".

"لأنهم لن يضعوا حداً لهذا الهراء! سيتخطى هذان الشخصان حدودهما، إلّا إذا وضع لهما حداً بنفسه. هكذا تجري الأمور، ولكنك لا تفهمين ذلك يا بريت ماري".

قامت الأم بحك جبهتها مجدداً، ولطّختها أكثر. إنها تعلم ذلك الآن، وليو يدرك أنها تعلم، ولكنها لا تأبه للأمر حالياً.

"ليست لديك أدنى فكرة عمّا أعرفه عن كيفية مواجهة طفلين لبعضهما، فأنت لم تكترث يوماً يا إيڤان، ولم تبالِ يوماً بالتعرف إلى كل من تربطني بهم علاقة: والدتي ووالدي، إريك وأنيتا، أصدقائي. فجلّ ما يهمك هو إثارة المشاكل! أنت تريد أن تعزلنا كعائلة؛ هذه العائلة اللعينة وحسب!".

"لقد اعتديا على ابني".

"نحن فقط في مواجهة كل الناس".

"لقد طرحاه أرضاً بضربة وجّهاها له من الخلف، وركلاه، وتريدين مني أن أتحدث إلى ذويهما؟! ما رأيك بأن ندعوهم إلى العشاء أيضاً؟".

ولكمَ الأب الفراش الذي أخذ يتمايل ويفصل بينهما.

"من الأفضل أن يضعوا حداً لذلك بأنفسهم من دون أن نتدخل".

كان ليو ينتظر أن يدخل. ألقى نظرةً إلى غرفة ڤينسنت. نظر إلى الجنود السبعة والسبعين الذين يقفون في جهة واحدة، والذين يطلقون النار على بعضهم ويقعون أرضاً الواحد تلو الآخر إلى أن سقطوا جميعاً ونهضوا مجدداً.

كان الوالد لا يزال واقفاً في مكانه والأم في المطبخ.

توجّه نحو كيس الرمل، وخلع قميصه ووقف في مكانه، ووضع الكيس الثقيل على ساقه اليسرى وسدّد الضربة الأولى.

"اليد اليمنى تحمي الخد الأيمن".

لم يرفع يده اليمنى عالياً بما يكفي، فقام الوالد بخطوة قوية نحو الأمام، وضرب وجهه برفق براحة يده.

"اليد اليمنى تحمي الخد الأيمن يا ليو".

راقب ليو كيف أنّ والده جمع قبضة كفه اليمنى ولكم بكفه اليسرى. وجّه الوالد ضربةً جديدة، وهذه المرة أصاب ذقن ليو فشعر بألم بسيط، فيما يده اليمنى لا تزال منخفضة جداً.

ومجدداً، اتّخذ مكانه الصحيح.

كانت قدماه الحافيتان على الأرض الباردة. إنه يجلس على حافة سريره بلباسه الداخلي الرقيق ويتثاءب. كانت ساعة المنبّه نيويورك رينجرز الخاصة به والتي تصدر صوتاً مزعجاً تملك مقبضين يشبهان عصا الهوكي. كانت الساعة تشير إلى الخامسة إلّا ربعاً، ولم يكن الصباح قد طلع بعد خلف الستائر الرقيقة.

كان يتدرّب بمفرده مراتٍ عدة طوال هذا الأسبوع، ومرةً واحدة برفقة والده في المساء. وكان يستيقظ في الصباح الباكر.

إنها المرة الأخيرة.

ذهب إلى غرفة العمل، وسدد ضربة إلى كيس الرمل. اليوم، شعر بقوة لكمته من ذراعه، ومروراً بصدره ومعدته.

أجل، لقد شعر بقوتها. شعر بقوتها في ذلك المكان.

جلس بعد ذلك على الشرفة ليرتاح قليلاً، وأخذ ينظر إلى سطح المدرسة البعيد، ثم قام بغسل الصحون الموجودة في حوض الجلي، وأعدّ طعام الفطور. بعد قليل، استيقظ فيليكس وأيقظ ڤينسنت من النوم.

"ليو... ما هذا؟".

"لا شيء".

اللبن والخبز المحمص وعصير البرتقال.

"هذا كثير".

"هذا لا شيء".

"تبدو غريب الأطوار. لست كعادتك، حتى إنك لا تتكلم كعادتك".

تناول فيليكس القليل من اللبن باستعمال الملعقة.

"تبدو... جسدياً معي، ولكنك لست معي فكرياً. فأنت تجلس مع نفسك".

"سأنال منهما اليوم".

"تنال منهما!".

"هانس وكيكونن".

حرّك فيليكس اللبن اللعين، وحرّكه مجدداً. إنه لا يكترث له ولا يريده.

"ليو؟".

لحق بليو إلى الردهة، حيث وقف أمام المرآة ووضع الكيس الثقيل على ساقه اليسرى وأخذ يلكمه باليد اليمنى.

"ليو؟".

ثم التفت ليو نحو مشجب القبعات، وأمسك ملابس العمل الخاصة بوالده بحذر. إنها الملابس التي يرتديها الوالد عادةً. لم يروه مرتدياً غيرها إلّا عندما زاروه في السجن بعد أن قام بضرب أحدهم ضرباً مبرحاً. كانت عبارة عن قميص نجّار وبنطلون نجار يحتوي على أدوات النجارة في كل جيوبه.

"ليو؟".

كلاهما يعرفان مكان السكين. إنه موجود في أحد جيوب البنطلون الكبيرة، وهذا هو الجيب الذي كان ليو يفك أزراره. ثم حمل سكين مورا؛ السلاح

الذي يمكن استخدامه لقصّ الشعر، ثم يُعاد إلى مكانه.

"ماذا تفعل؟".

يبدو أنّ أخاه الأكبر قد تقوقع كثيراً على نفسه...

" لِمَ تأخذ السكين يا ليو؟!".

... في مكانٍ لا أحد يستطيع الوصول إليه.

"قلت لك إنني سأنال منهما اليوم".

ذهبا في الطريق نفسها جنباً إلى جنب مشياً على الأقدام. يسلك أحدهما هذه الطريق منذ حوالي أربع سنوات، والآخر منذ ما يقارب السنة. لا تتعدّى مسافتها بعض الأمتار إن اختصرا الطريق، ومرّا عبر مرأب السيارات، وقطعا الغابات، وعبرا الشارع للوصول إلى ملعب المدرسة.

لم يتبادلا الأحاديث. كيف يمكنك أن تتكلم مع أخيك إن كان منطوياً على نفسه؟ وقفا في ملعب المدرسة وانتظرا؛ حتى بعد أن قرع جرس المدرسة... إلى أن طفح كيل فيليكس.

"ليو، السكين. أنت..."

"الجرس يرن".

"لا".

"بعد أربعين دقيقة سيرن الجرس مجدداً. وعندها، عليك أن تهرع إلى المنزل وتأتي بوالدنا وتصطحبه إلى الشرفة".

"لا أفهم".

"المنزل، والدنا، الشرفة، عندما يقرع الجرس مجدداً. هل اتفقنا؟".

نظر ليو إلى أخيه الصغير الذي لا يريد أن يرحل.

"هل اتفقنا؟".

فبدأ فيليكس يهز رأسه متردداً.

"عندما يقرع الجرس كما الآن. ولكن، وقت المغادرة".

إنها رنة طويلة وكريهة ومزعجة. لا تكاد تتعافى من ألم رأسك نهائياً حتى يقرع الجرس مجدداً.

تلفّت ليو حوله.

أصبحت ملاعب المدرستين الإبتدائية والإعدادية فارغة بعد أن كانت تضج بالحياة منذ فترة قصيرة، وباتت خالية من الأطفال الذين كانوا يركضون ويقفزون ويصرخون ويتدافعون ويضحكون. ستة مداخل وست قاعات للدرس جذبتهم إلى الداخل؛ تماماً كمكنسةٍ كهربائية ابتلعتهم لتعود وتقذفهم مجدداً بعد أربعين دقيقة.

تموضع ليو إلى جانب جدار من الآجر، وأخذ يراقب ملعب المدرسة الإعدادية في أسفل التلة. لم تخلُ المدرسة من الطلاب بعد. هناك في الأسفل، يستغرقون وقتاً أطول للوصول إلى قاعات الدرس. ها هما التلميذان الأكثر بطئاً في طريقهما إلى الصف الثاني المتوسط. أحدهما يرتدي سترة جينز، والآخر يرتدي سترةً زرقاء منتفخة: هانس وكيكونن. أحسّ ليو بالخوف الشديد والترقب لدرجة أنه خدش ظهره بالجدار. كان هانس وكيكونن واقفين في منتصف الملعب بين الخطوط البيضاء المرسومة بجوار سارية العلم، وهما يدخنان ويصرخان على من يدخلون ويلكمان المارّة من الخلف. إنهما كبيرا الحجم، حتى عن بُعد. هانس طويل القامة

وذو عينين متعبتين وخطيرتين، وكيكونن قوي البنية وذو نظرات حادة. هذه المرة، يدرك ليو تماماً ما يجب القيام به. هذه المرة، هو من سيقف لهما بالمرصاد.

بقي قريباً من المدرسة الإعدادية، وبالتحديد من المبنى، إلى أن دخلا. إنه يحسب الوقت. لا بد أنهما وصلا إلى قاعتهما في هذه الأثناء. وهو ليس بحاجة إلى ساعة لأنه يعلم كم من الوقت تستغرق الدقائق الخمس لتمرّ. بعد ذلك، هرع إلى أسفل التلة، واجتاز الملعب، ودخل مبنى المدرسة الإعدادية حيث سبق له أن تواجد بضع مراتٍ ويعرف أنّ عليه السير بجانب بالحائط.

مرّ ليو أمام صفٍّ من خزانات الطلاب الصغيرة وهو يُمسك بالسكين الذي يضعه في الجيب الداخلي للسترة. كان حجمه يناسب كفه تماماً، ومقبضه الخشبي أملس، فالوالد لطالما قام بتلميعه.

سار في الرواق الأول أمام الأبواب المقفلة والسترات المعلّقة، وأمام شخص يعزف على آلةٍ موسيقية في قاعة الدرس الأولى، وشخص آخر يصفر بأصابعه في القاعة الثانية. عبَرَ الرواق الآخر واجتاز أبواباً أخرى. كان قد وصل إلى الرواق الخامس عندما رأى ما كان يبحث عنه. فهناك، قرب باب قاعة درس الفيزياء، كانت السترات معلّقة على المشجب. وقف أمام المعطف المنتفخ والملطّخ صدره ببقعة زيت وعلى كمّه حرق سيجارة، وأمام سترة جينز فيها رقعة طُبع عليها لسان ممدود كانت معلّقة هناك لأنّ المعلمة طلبت ذلك.

لم يعد يرتجف. إنه الآن هادئ.

حمل السكين بكل خفّة، وأحدث شقوقاً كبيرة شبه مستقيمة عدّة مراتٍ في الجهة الخلفية من المعطفين.

وبعد ذلك، ابتعد عشرين خطوة عن المكان. هذه مسافة كافية. جلس وانتظر.

تستغرق مدة الدرس أربعين دقيقة. وبحسب اعتقاده، لم يبقَ سوى خمس وعشرين دقيقة.

بدأ بالعدّ. أخذ يحسب الوقت ثانية ثانية، ويعاود العدّ كلما وصل إلى الثانية الستين.

كان قد نجح في اتباع طريقة العدّ هذه حوالي خمسٍ وعشرين مرة عندما سُمع صوت الجرس الطويل والمزعج وهو يصدح في الرواق. نهض من مكانه ووقف متأهباً قبالة المعطفين المقطّعين.

قريباً. قريباً.

فُتح الباب.

غادرت الدفعة الأولى من التلاميذ قاعة الدرس. بدأت ركبتا ليو ترتجفان من شدة الخوف. مروا من أمامه، الواحد تلو الآخر، فانحنى ظهره قليلاً إلى الأمام.

كانا آخر المغادرين. خرجا في الوقت نفسه من الباب الضيق؛ هانس وكيكونن.

إنهما يريان معطفيهما، ويريان الشقوق فيهما، ويريانه.

لوّح لهما ليو بيديه فركضا نحو. بدأ يركض في الرواق، ومرّ أمام خزانات التلاميذ، وخرج من مدخل المدرسة واجتاز ملعبها.

نظر خلفه، وإذ بهما يقتربان منه.

صعد التلة، واجتاز ملعب المدرسة الإعدادية الإبتدائية. عبَرَ الطرقات والغابات ومرأب السيارات.

ما زال يسمع صراخهما خلفه.

ركض فيليكس أسرع مما تخيّل أنه قد يركض يوماً، وصعد الدرجات مسرعاً وصولاً إلى الطابق السابع بدلاً من أن يركب المصعد الذي يطول انتظاره كثيراً.

ليو قد شرح له الأمر.

عندما يقرع الجرس مجدداً.

دخل الشقة، وسار إلى الردهة باتجاه المطبخ حيث جلس الوالد إلى الطاولة.

بعد أربعين دقيقة تماماً.

كان والده يبدو متعباً، وكان يحمل في يده إبريقاً يسكب منه القهوة في فنجان من البورسلين.

عليك أن تهرع إلى المنزل وتأتي بوالدنا وتصطحبه إلى الشرفة.

"ماذا... تفعل هنا يا ولد؟ الآن؟".

لم يجب فيليكس، فهو لم يسمع السؤال، بل ركض نحو باب الشرفة الذي تعذّر عليه فتحه، وحاول أن يحرك الباب اللعين... الذي فُتح بعد ذلك. خرج إلى الشرفة، ووقف على رؤوس أصابعه كي يرى ما يحصل خلف السور المعدني.

إنهما يصرخان خلفه.

إلّا أنّ صوت الركض يمحو صوت الصراخ.

بدأ يتنفس بعمق. لم يكن يعرف الإحساس بالطيران، ولكنه شعر به وهو ينتقل من مرأب السيارات إلى طريق الأسفلت، وباتجاه المدخل ووصولاً إلى البناية.

توقف ليو ونظر أمامه.

إنه متأكد من أنّ رأس فيليكس يظهر من فوق درابزين الشرفة.

استدار وانتظر مطارديْه. تمايلت ركبتاه وكأنهما تغرقان في الأرض.

رفع ذراعيه، وجعل يده اليمنى تحمي خدّه الأيمن.

رأى فيليكس ليو يقترب، كما رآه وهو يتوقف خارج المدخل ويستدير.

وفي ما بعد...

رأى الصبيين اللذين يطاردانه. لم يكونا مرتديين معطفيهما آنذاك، ولكنه عرفهما. إنه يعلم من هما.

"بابا!".

أسرع فيليكس إلى المطبخ، إلى والده الذي يجلس إلى الطاولة حاملاً كوباً صينياً في يده.

"تعال إلى هنا! تعال يا أبي إلى هنا! إلى الشرفة!".

احتسى والده جرعة كبيرة من القهوة الساخنة من دون أن يتحرك.

"الآن يا أبي".

إلّا أنّ الوالد لم يتزحزح من مكانه، وكان لا يزال يحمل الفنجان في يده. أما الحقيران هانس وكيكونن، ذاك الحقير هانس والحقير الآخر كيكونن، فكانا في الأسفل مع ليو.

"أبي!".

أمسك ذراع والده بخشونة وشدّها، وشدّها.

"أبي! أبي!".

وأخيراً، نهض أبوه وخرج حافي القدمين، واتكأ على الدرابزين كالعادة.

ورأى ما رآه فيليكس تماماً.

"بابا! ليو في الأسفل".

"نعم، ليو في الأسفل".

"وهما في الأسفل أيضاً يا أبي، علينا أن..."

"ليس علينا أن نفعل شيئاً".

"كلا يا أبي، هانس و..."

"على ليو أن يدافع عن نفسه، وسيفعل ذلك... بمفرده".

اختار ليو مكاناً يمكن تحديده بسهولة من الشرفة، بالقرب من الأشجار وأعمدة المصابيح. وصل هانس إلى هناك أولاً وهو يركض بسرعة على خطى ليو، وتبادلا النظرات. لم يكن هانس يرتدي المعطف، وهو أطول من ليو، وعليه أن ينظر إلى الأسفل كي تلتقي نظراتهما.

الساقان متباعدتان، واليدان مرتفعتان.

ألقى نظرة أخيرة إلى الشرفة في الطابق السابع. كان فيليكس يقفز ويسحب جسده إلى الأعلى إلى أن أصبح جزء من جسمه فوق الدرابزين وبالقرب من والده.

ضربة واحدة. اليد اليمنى. ضربة على الأنف.

لم يعرف هانس من أين أتت الضربة، فقد سقط على ركبتيه، وتساقطت دموعه، وسال الدم على فمه وذقنه ورقبته.

في ما بعد، تمدد في مكان مماثل لذلك الذي تمدد فيه ليو سابقاً.

بعدها، وصل كيكونن وهو يركض بسرعة.

إنه أقصر من هانس بكثير، لكنه أقوى منه. وجّه ضربته الأولى إلى خدّ ليو، غير أنّ ركبتي ليو كانتا سريعتي الحركة، وكان سريعاً جداً. في هذه الأثناء، وجّه له كيكونن لكمةً ثانية وثالثة، ولكنه كان بعيداً عن هدفه.

أمّا اللكمة التي وجّهها له ليو فلم تصب أنفه وإنما خدّه وذقنه. ما زال الجسم الممتلئ واقفاً مكانه، ويضرب بدوره.

انزلقت ساقاه ورجلاه كما في السابق بنعومة وبسرعة، ووجّه ليو لكماته نحو الصدغ والكتف، وأخيراً نحو الخدّ الآخر، إلى أن ترنّح كيكونن وتغير لون عينيه. كانت عينا الفنلندي الحقير غاضبتين، أما الآن فقد أصبحتا خائفتين.

كان ليو يوشك على النظر إلى الشرفة باتجاه فيليكس ووالده، إلى أن تغير كل شيء مجدداً. لم يكن يركز حينما بدأ والده يصرخ ويشير إليه، وكأنه يحذره من أمرٍ ما.

كأنه يحذّره من أن أحدهم يحاول الإمساك به من الخلف.

وكأنه يحذّره من أن أحدهم يحاول الوقوف مجدداً ممسكاً بمعطفه بقوة.

حاول ليو المراوغة، وسحب نفسه. عليه أن يخلّص نفسه، وهو يوشك على القيام بذلك.

حينها، سقط السكين من جيب معطفه.

سكين مورا العائد لوالده.

لم يكن سريعاً بما يكفي. فقد انحنى إلى الأرض لالتقاطه، إلّا أنه لم يكن على الأرض.

لقد كان كيكونن أسرع منه، وكان يلوّح بالسكين في وجهه.

حين يومض السكين أمام وجهك، فإنّ النصل هو الذي يظهر. وكذلك الأمر حين يتم الطعن به وحين يضرب ضربته.

"اطعن السافل!".

كان هانس ممدّداً على الأسفلت الوسخ وهو يصرخ موجهاً التعليمات إلى كيكونن، ويداه على أنفه، وكأنه يحاول التقاطه ووضعه مكانه.

"اطعنه حبّاً بالله!".

انغرز النصل عند الطعنة الأولى عميقاً في كتف ليو، أو بالأحرى في كتفه اليسرى التي يغطيها المعطف المبطن والسميك. أحدث النصل فجوةً كبيرة في المعطف، وخرجت البطانة البيضاء منه.

وحين أوشك كيكونن على طعنه للمرة الثانية، قام ليو بتحريك جسمه مستديراً إلى الجانب، فتجنب الطعنة وتلاشت الضربة في الهواء. أما الطعنة الثالثة فأتت بشكلٍ أسرع وأكثر استقامة، وضربت المعطف مجدداً، ومن ثمّ الكمّ، إلّا أنّ آثار التمزق كانت قليلة.

صرخ هانس قائلاً: اطعنه، اطعنه. فنظر كيكونن إلى ليو بعينيه الشريرتين اللتين راحتا تهزآن منه كلما وجّه إليه النصل. استهدف وجه ليو، ووجّه إليه ضربتين إضافيتين قبل أن ينفتح الباب الأمامي خلفهما.

لم يستدر ليو، فالنصل قريب منه جداً، وإذا تحرك فلن يتجنب الطعنة التالية. ثم سمع الصوت، وأصبح يدرك ما يحصل.

سمع صوت الخطوات على الأسفلت. إنها خطوات شخص يسير حافي القدمين. إنها خطوات الوالد، وصوت تنفسه، وصوته.

"ارمِ السكين أيها السافل الجبان!".

رضخ كيكونن للأمر، وأوقع السكين على الأرض، وتراجع إلى الوراء. ثم هرب هانس ويداه على أنفه، فيما ركض كيكونن مسرعاً بجسمه الممتلئ. ركضا نحو مرأب السيارات ووصولاً إلى الأشجار. رنّ الجرس معلناً بداية الحصة التالية أثناء وصولهما إلى الجانب الآخر من الطريق.

وقفا بالقرب من بعضهما، ونظرا إلى مرآة مزخرفة.

كان أحدهما يبلغ طوله مئةً وخمسة وتسعين سنتمتراً، وشعره أسود اللون وممشّط إلى الخلف، والآخر طوله مئة واثنان وخمسون سنتمتراً وذو شعر خفيف.

أمسك الوالد براحة يده سكيناً ذا مقبض خشبي أحمر اللون، وذا نصل فولاذي مزخرف بالألوان من جهة واحدة. كان يُفترض أن يكون هذا السكين في جيب بنطلونه الذي يرتديه لدى ذهابه إلى العمل، بالقرب من المسطرة المطوية.

"هذا سكين يا ليونارد!".

توجّه المصعد إلى الطابق الثاني ثم الثالث، وحاول ليو في هذه الأثناء أن يكتشف أحاسيس والده. كان السكين يرتجف في راحة يده. هذا ما يحصل لوالده قبل أن يبدأ باحتساء الشراب مع السكر الذائب، أو حين يزعجه المتطفلون.

"كنت أعلّمك كيفية الدفاع عن النفس بيديك!! وأنت أخذت سكيني!".

" لم أكن لأستخدمه في المواجهة".

"لست بحاجة إلى السكين اللعين!".

"استعملته لأحثّهما على القتال، ولأحضرهما إلى هنا. كي تراني وأنا أدافع عن نفسي".

شدّ الوالد على السكين. إنه غاضب وخائف.

"ألا تفهم هذا؟".

"لكنك استخدمته. لقد طعنت..."

"تعلمت أن أقاتل بيديّ أولاً".

الطابق السادس، الطابق السابع. لقد وصلا، لكنهما بقيا معاً في المصعد الضيق؛ طالما أنهما لن يفتحا الباب، ولن يتوقفا عن النظر إلى بعضهما عبر المرآة المخربشة، وطالما أنهما سيبقيان الآن في هذا العالم الصغير.

"يا بُنيّ المغفل".

كان صوت الوالد يرتجف. نظر إليه ليو من الجانب الأعلى من المرآة، حيث تتلاشى الألوان.

"لكنني ضربته يا أبي، على أنفه. أليس كذلك؟".

وابتسم الوالد. كان يبتسم عادةً عندما يتلقى مغلفات مليئة بالمال، وأحياناً عندما يحتسي شرابه المفضل، إلّا أنه نادراً ما يضحك. لكنه، على غير عادته، ضحك الآن.

الآن

القسم الثاني

كانت تمطر.

ما زالت الأمطار تهطل يومياً منذ بضعة أسابيع. كانت قطرات المطر المتساقطة تملأ الفجوة في مبنى إسمنتي رمادي. قرر ألّا يفكر في هذا الأمر، إلّا أنّ القلق كان يتآكله.

انتظر ليو خارج مركز تسوق سكوجاس وهو جالس على المقعد الأمامي في السيارة، في حين كان الزجاج الأمامي يغشوه الضباب شيئاً فشيئاً، إلى أن أصبح من الصعب رؤية ما في الخارج. تحوّل مركز التسوق في الهواء الطلق إلى مركز مغلق. إنها المتاجر نفسها في المباني نفسها. فثمة متجر للبقالة قرب متجر لبيع الشراب، ومطعم البيتزا قرب المدخل إلى الجانب الأيسر، حتى إنّ مفارش المائدة ذات الرسوم البيضاء والحمراء هي نفسها، ولكنْ عليها بقعٌ أكثر، والمالك هو نفسه أيضاً، وهو يهزّ رأسه دائماً شاكراً زبائنه.

حلّ محلّ السماء العارية سقف لامع، وتم استبدال الألواح الحجرية الخشنة ببلاط الأرضيات المشغول بالجصّ. أما مقاعد الفاشلين والدرابزين الحديدي فقد حلّت محلها الآن أبواب تفتح تلقائياً حين يقترب أحدهم منها، كما تفعل أنيللي الآن.

لقد توقفت بعد بضع خطوات وسحبت الغلاف عن علبة السجائر، ثم أشعلت إحداها تحت غطاء المدخل، ومجّت منها بعمق كما تفعل حين تكون متحمسة. كانت جميلة جداً. كانت أكبر منه في السن، إلّا أنها الوحيدة التي تخرج محفظتها لتكشف عن بطاقة هويتها للحرّاس. اقتربت منه، ولكنها لم تكن تمشي، بل تتبختر. كانا يبدوان جميلين عندما يسيران معاً، ولطالما اعتقد ذلك.

"جنوباً؟".

"كلا".

"غرباً؟".

"قريباً".

"شمالاً؟".

"سترين، ثمة منازل معروضة للبيع في كل مكان".

في البداية، قاد السيارة متوجهاً نحو فارستا شمالاً، وكانت هي تنظر من النافذة الجانبية وتتأمل ما يمران به، ثمّ نظرت نحو هادينج غرباً مشيرةً إلى بعض المنازل الكبيرة التي لطالما رغبت في العيش فيها، ومن ثمّ اتجه نظرها نحو تومبا جنوباً، ووضعت يدها على يده التي يمسك بها ناقل السرعة. قاد ببطء نحو منطقة مألوفة تتألف من بيوت صغيرة، ومبانٍ عالية، ومصانع، ومن منازل أكبر، ومن طرقات إسمنتية. إنها مدينة الحرفيين؛ الطبقة العاملة وأصحاب التجارات الصغيرة. الأراضي الحدودية. إنه العالم خارج ستوكهولم.

إنه ينتمي إلى هناك. أدرك كيف يتعاطى مع كابي المسترخي، وروف السبّاك، ولاس الكهربائي، وبنكي الذي أعطاه حسماً بنسبة ثلاثين في المئة على كل البلاط. إنهم الأشخاص الذين لا يتناسبون البتّة مع ما تخيّلته أنيللي كانت الأسطح التي تظهر من بين الأشجار على الشاطئ. إنها المنازل التي لطالما حلمت بامتلاكها.

كانت يدها على يده، تمسكها بشدة وبدفء وبنعومة.

"أنيللي، هل أنت هنا؟".

كانت تتأمل منزلاً قديماً جداً قربه مرج أخضر وأشجار تفاح وإجاص. أمسكت يده وقبلته على خدّه وفمه. إلا أنه لم يتوقف، لن يتوقف هنا، بل أكمل طريقه باتجاه باب المرأب التالي. قاد في طريق خاص ذي أبواب حديدية عالية ومرأب كبير يتّسع لخمس سيارات، وكان هنالك بيت صغير ذو واجهة رمادية قديمة.

"هنا!".

كانت نظراتها تجول في المكان، محاولةً تجنب البرك الصغيرة في الساحة المعبدة بين اثنين من الطرق السريعة المزدحمة.

لم يتوجها إلى مكان معين. لقد ساوما على شقة في الطابق الثالث من مبنى معيّن لتجنب الغارات الجوية في الطابق السفلي.

"لا سياج".

بدأ ليو يمشي في الساحة الإسمنتية، فتبعته.

"ليو؟".

أمسكت بيده وضغطت عليها.

"ليس هناك سياج، أليس كذلك؟ لا سياج؟".

"بلى، ثمة سياج".

سار ليو بين برك المياه العميقة نحو سياج شديد الحماية يرتفع حوالي ثلاثة أمتار ويعلوه سلك شائك.

"في السابق، كان يعيش هنا تاجر سيارات. وأولئك التجار بحاجة إلى هذا

النوع من السياج كما تعرفين. ألا ترين ذلك؟ لا يستطيع أحد الوصول إلى هنا".

"هل تقول إننا... إننا سنعيش هنا؟ أسنبني حياةً لنا هنا؟! مرأب كبير، ساحة إسمنتية مقيتة، سياج كهربائي شائك... لا أريد العيش على هذا النحو! فأنا أريد سياجاً أبيض اللون، وأشجاراً حقيقية، وحديقة مليئة بالورد والعشب و... ليو؟ كذاك المنزل، ذاك المنزل الخشبي ذي الدروب المغطاة بالحصى والبلاط الجميل، كالمنزل الذي يقع هناك".

كانت تشير إلى المنزل الكبير الجميل المجاور، بينما كان باب المنزل الصغير خلفهما يُفتح، ويخرج من الباب رجل يرتدي بذلة رمادية مخططة وقميصاً أبيض، ويضع ربطة عنق مخططة أيضاً.

"هل حدّدت موعداً مع سمسار؟".

"هيا..."

وقفت في مكانها جامدةً، وشعرها يرشح منه الماء؛ كحالة معطفها وبنطلونها وحذائها.

"جعلتني لبضعة أسابيع مضت أتخيل منزلاً حقيقياً، والآن أحضرتني إلى هذا المنزل؟!".

أمسك بيدها.

"بما أننا هنا".

"ليو؟".

"ماذا؟".

"لا أريد العيش هكذا. ألم تفهم بعد؟".

أمسك بيدها الأخرى.

"أنيللي، سيكون هذا مناسباً لنا في الوقت الحاضر".

"لا أريد العيش هكذا. أريد..."

"تحدثنا عبر الهاتف، حسناً؟".

بذلة أنيقة، وربطة عنق، وابتسامة متصنعة. كان من النوع الذي يضغط كثيراً، ويحسب أنّ في المصافحة نفسها بناء للثقة. ابتسم ليو، ونظرت إليه أنيللي. هل قررت لقاء سمسار من دون إعلامي بالأمر؟ ونظر إليها. بما أننا هنا، فلنقم بجولة. هيا بنا، لنلق نظرة.

أخذ ليو الكتيّب الملوّن واللامع من السمسار الذي بدا أنه يدرك نقاط القوة، واستدار إلى الجهة التي أتى منها.

"إنه ليس منزلاً صيفياً في القرية أو فيللا قديمة".

وأشار السمسار إلى سيارتهما، ومن ثمّ إلى شعار شركة البناء على قميص ليو.

"لكنّ هذا المنزل مثالي إذا أردتما أن يكون مكان إقامتكما قريباً من مكان عملكما، وأن يكون السعر مناسباً".

استمر في الإشارة ذهاباً وإياباً. وفجأةً، أخفض ذراعه؛ وكأنه كان على وشك الإشارة إلى المحيط، ولكنه غيّر رأيه حين لم يرَ إلّا خيال مبنى أزرق كبير في الطرف الآخر من الطريق.

"نحن من قمنا بتجديد ذلك المكان".

أومأ ليو برأسه.

"مركز سولبو، المنزل الأزرق".

شركة الإطارات في الزاوية، والمطعم الهندي، ومتجر الورود، ومطعم روبان للبيتزا. كما يوجد هناك مستوعب مغلق بالقرب منه.

رآه السمسار. وكل من يقود سيارته في المنطقة يراه من دون أن يدرك ذلك.

توجد في المستوعب مئتان وواحد وعشرون سلاحاً أوتوماتيكياً؛ أي ما يكفي من العتاد العسكري لتسليح شركتين من المشاة.

"إذاً يا رفيقيّ، أهلاً وسهلاً بكما هنا".

وأشار السمسار المبتلّ بالمياه إلى فناء الأسفلت، وتحديداً إلى البيت.

"تبلغ مساحته ألف مترٍ مربع تقريباً، مع أماكن ثانوية يبلغ إجمالي مساحتها حوالي مئتين وثمانية وسبعين متراً مربعاً، وغرفة معيشة تبلغ مساحتها ثلاثة وثمانين متراً مربعاً".

نظر السمسار إلى ليو الذي كان يومئ برأسه، إلّا أنّ أنيللي لم تكن موافقة.

"منذ أربعة أشهر، كان الموقع مخصصاً لتجارة السيارات. وقبل ذلك، كانت تزدهر فيه تجارة الأنابيب".

ابتعدا عن برك المياه والسياج الشائك وذهبا إلى مطبخ في الطابق الأسفل،

فسمعا السمسار يتحدث عن أجهزة جديدة وفرص وإمكانيات وخطة رائعة تتعلق بالطوابق والتدفئة الفعالة من حيث التكلفة. سمعاه يتكلم، ولكنهما لم يستمعا إليه. إذ لم تشأ أنيللي أن تسمع؛ لأنها لم ترغب في أن تكون هناك. كما أنّ ليو لم يكن يستمع إليه، إذ سبق له أن اتّخذ قراره.

عبرا المطبخ الفارغ واتجها إلى الرواق الفارغ، حيث تؤدي السلالم إلى طابق أعلى فارغ. وقفا إلى جانب غرفة فارغة إلى اليسار بابها مغلق.

فتح السمسار الباب وقال:

"إنها غرفة إضافية".

عرض عليهما البلاط والجدران المهترئة، وأخبرهما أن مساحة الغرفة تبلغ تقريباً حوالي تسعة آلاف وثلاثمئة متر مربع.

"كانت هذه الغرفة تُستخدم كمكتب".

ضرب على الجدران الجصية ضرباً خفيفاً، وسار على حصيرة من البلاستيك ممدودة على الأرض، غير أنه سمع وقع خطوات أنيللي التي كانت تخرج من الغرفة، فاعتذر من السمسار وركض للحاق بها. كانت تقف في الطرف الآخر من النافذة، وكانت آنذاك تمطر رذاذاً. وكانت تحمل سيجارةً في يدها، وتدخن بتقطع وغضب. وهذا ما تفعله عادة عندما يخيب أملها في شيء ما.

"بعد سنة واحدة".

حملها.

"يمكن الحصول يا أنيللي على أي منزل ترغبين فيه، وفي أي مكان، ومهما كانت الكلفة".

ثم وضع يده على خدّها وتابع:

"لكننا حالياً نحتاج إلى هذا المنزل. أتفهمين ذلك؟ لكي نصل إلى هناك، إلى ذاك المنزل. إنه مثالي بالنسبة إلى شركة البناء. ففيه مكتب وغرفة عمل ومستودع. وهو في منطقة سكنية تقع بالقرب من بحيرة قديمة، كما أنه ليس لديه قبو".

كان شعرها وجبينها وخدّاها مبتلة بالماء، فمسحها بنعومة بكمّ قميصه.

أشعلت سيجارة أخرى.

"مركز بائس للراحة".

أصبحت الآن تدخّن ببطء أكبر.

"إنه أكثر راحةً من شقتنا الحالية. وسيكون شقيقاك هنا طوال الوقت".

أمسك بكتفيها. أصبح بإمكانهما إلقاء نظرة على غرف المنزل القليلة. جعلها تلتفت نحوه بنعومة وتابع:

"أدرك أنّ هذا ليس ما كنت تتوقعينه. امنحيني سنة واحدة يا أنيللي".

"سنة واحدة؟".

"سنة واحدة".

"وفي أي مكان؟ أي مكان أريده؟".

"ومهما كانت الكلفة".

أمسك بيدها وسارا مجدداً باتجاه الرواق نحو الغرفة الإضافية.

"هذه الغرفة".

"نعم؟".

"هذه الغرفة لك، ويمكنك أن تفعلي ما شئت فيها".

"غرفتي؟".

وقف السمسار قرب الدرج المؤدي إلى الطابق الأعلى منتظراً. مرّا بالقرب منه بينما كانا يتوجهان نحو غرفتهما المستقبلية، واقتربا من النافذة المطلة على منزل الجيران.

"بعد سنة واحدة؟".

نظر إليها واحتضنها.

"سنة واحدة. أعدك، وبعدها سنغادر".

غادرت أنيللي وأومأت بيدها، وجلست تنتظر القطار المتوجه إلى المحطة المركزية. سبق لها أن شرحت له سبب اضطرارها للذهاب إلى المدينة، إلّا أنه لا يذكره؛ لأنه لم يكن يستمع إليها. وكان هو أيضاً في طريقه إلى مكانٍ ما، إلى مكان أقسم أنه لن يعود إليه مجدداً.

غادر ليو محطة تومبا، وتوجه بالسيارة جنوباً لمدة نصف ساعة على الطرق الخلفية بين الغابات والمزارع. لقد كذب عليها. إنه لا يكذب عادة؛ لا يكذب عليها ولا على أي شخصٍ آخر. فهو لم يكن يحب الكذب؛ إذ لم يكن لديه خيار في طفولته إلّا أن يكذب مراتٍ عدة، لأنّ قول الحقيقة أسوأ بكثير. أما الآن، فهو لا يدرك حتى السبب الذي جعله يكذب. كيف تفسّر شيئاً لم تفهمه في الأصل؟ وقف أمام المنزل الذي أرادا شراءه، واحتضنها وأخبرها أنه لا يستطيع الذهاب إلى المدينة، فهو مضطر إلى رؤية كابي للقيام بعملية تفتيش أخيرة. كان عليه أن يكذب لأنه لم يفهم الحقيقة، ولأنه كان في طريقه ليسدد الدين إلى شخصٍ ما لا يدين له بشيء على الإطلاق.

كان يحمل مغلف المال في جيب قميصه، ولهذا السبب كان عليه العودة.

هذا هو السبب الوحيد. كان متأكداً جداً من ذلك. منذ أربع سنوات ونصف السنة، حين كان هو ووالده يعملان في شركة البناء نفسها، اعتاد على رمي حزام المعدّات والمغادرة. ليو، لقد حصلت على خمسة وثلاثين ألفاً كدفعة مسبقة. كان الأمر يتعلق بالمال. عليك أن تعمل من أجل ذلك... قبل أن ترحل. لم يكن الأمر قط يتعلق بالمال. أنت تدين لي يا ليو، لا يمكنك أن تغادر! بالنسبة إليهما، لم يكن الأمر يتعلق بالمال، وإنما يتعلق بالمغادرة والتحرر.

لم يكن يقود السيارة بسرعة لأنّ الطريق متعرج. تُدعى البحيرة إلى يساره بحيرة مالمسجون، وكان هناك حجاب رفيع من الضباب يغطي سطحها. هناك، تظهر مروج ترعى فيها أبقارٌ بيضاء وسوداء اللون، ومن ثمّ تبرز أربعة أحصنة تلاحق بعضها بعضاً. وثمة بحيرة أخرى هادئة يُطلق عليها اسم أكسارين.

ليو، أنت تتأفف كثيراً لأنك لا تقبض أكثر من ثلاثة آلاف كرونة أسبوعياً. ماذا كنت ستفعل لولاي ولولا جيناتي؟ أنا كنت أقضي الليالي الطويلة على الأرض وأنا أقصّ حصيرة البلاستيك كي أنهي العمل بها في الوقت المحدّد بغية إرضاء الزبون. وأنت يا ليو، تقول لي إنني يجب أن أشكرك لأنك تعمل معي؟ أنت من يجب عليه أن يشكرني لأنك تعمل معي! أنا من كان يقضي عطلات نهاية الأسبوع كاملة في العمل كي يصبح عدد زجاجات الشراب الخاصة بك ثلاث زجاجات قبل ظهر يوم الجمعة. ستعود زاحفاً. غادرت. ستعود زاحفاً إليّ عندما تكون بحاجة إلى المال! رفست حزام المعدّات واستمررت في المشي. أنت نكرة يا ليو من دوني. لن تنجح أبداً من دوني!

قبل أن يصل ببضعة أميال، أوقف ليو السيارة. محطة وقود مهجورة، ولافتة كالتكس بلون الصدأ تتحرك مع الريح، ونوافذ مغطاة بستائر صفراء اللون، وفي منتصف الفناء ثمة مضخة مجهزة بأرقام آلية كانت تعمل سابقاً، لكنّ العمل فيها توقف الآن. أخرج رأسه من النافذة واستنشق الهواء الرطب.

في السابق، كان يغادر دائماً، إلّا أنه كان يعود في كل مرة؛ رغم أنه كان يحتقر الإحساس الذي كان يشعر به حينها وهو أنه نكرة أو شخص احتياطي. ولقد سئم من أن يكون مجرّد إضافة في صورة للعائلة، في رؤية والده للعائلة. ذاك اليوم، غادر بالفعل. في السنة التالية، بدأ فيليكس بالعمل معه. وفي السنة التي تلتها، ترك ڤينسنت الثانوية وبدأ الإخوة الثلاثة يعملون معاً.

عائلة، معاً. أنتَم حاولتم، وأنا نجحت.

في المساحة الأخيرة عدد أكبر من الحقول، وكمية أكبر من المياه، وطرقاتٌ صغيرة، وعدد قليل من الحظائر والمنازل، ومدرسة واحدة، وعدد قليل من المتاجر. ساحة أوزمو، تبعد نصف ساعة عن قلب ستوكهولم، إلّا أنها تبدو من عالمٍ آخر.

أخرج ليو رأسه أكثر. منزل كبير من الطوب، وحديقة تمت المحافظة عليها، وتم تكديس أوراقها على شكل رزم من اليوم الفائت. أوقف سيارته أمام صندوق البريد، ورأى النوافذ مضاءة في الطابق الأرضي. عادةً، يكون والده في المنزل في هذا الوقت.

—

تناول آخر قضمة من البصلة التي يحملها في إحدى يديه، والقطعة الأخيرة من اللحم المدخن باليد الأخرى. ابتلع الطعام، وبعدها شرب الماء. طاولة القهوة مغطاة برزم من بطاقات كينو. سيتم السحب اليومي عند الساعة السابعة إلّا خمس دقائق.

انحنى إيڤان إلى الأمام رافعاً جهاز التحكم عن بعد، ورفع صوت التلفاز.

الكرة الصفراء الأولى: 30.

الكرة الصفراء الثانية: 40. في المربع، تحت الرقم 30.

الكرة الثالثة: 39. في المربع إلى اليسار 40، وانحرافاً إلى اليسار تحت الرقم 30.

إنها مجموعة. كانت الأمور تسير على ما يرام.

الكرة الرابعة: 61. في الزاوية اليسرى إلى الأسفل. الكرة الخامسة: 51.

في المربع في الأعلى تماماً. إنه الجانب غير الصحيح. لقد اختار المجموعة الخاطئة على البطاقة.

خفض صوت التلفاز وجلس على الكرسي. لم ينتظر باقي الكرات الصفراء، فقد شارفت المنافسة على الانتهاء. فقد دخل الرقم 61، وهو بنظره الرقم الذي غالباً ما يظهر على البطاقة. ولكن، ها هو الرقم 39 والرقم 40. لطالما استخدم هذين الرقمين، وكانا دائماً يظهران على البطاقة.

لم يدرك معظم الناس أنّ الأمر برمّته يتعلق بالتركيز على الأنماط المتغيرة؛ أي التوليفات المتكررة من الأعداد والأرقام. لم يكن الناس يدركون هذا الأمر على الإطلاق. لذا، كانوا يختارون الأرقام عشوائياً. لم يكن هنالك مكان للصدف، بل كانت الأنماط تحدث على الدوام، وكان الأمر أشبه بدوّامة.

كان إيڤان يحمل أربعين بطاقة كينو لا قيمة لها الآن. إنها خريطته التي رسمها للمستقبل. فجمعها ورماها على الأرض.

غداً، عند الساعة السابعة إلّا خمس دقائق سيجري السحب التالي.

كتم صوت التلفاز، وكان على وشك النهوض حين سمع صوتاً غريباً خارج النافذة. فقد توقفت سيارة وفُتح بابها. رفع الستار الذي كان يغطي النافذة منذ أن انتقل إلى الطابق الأول في هذا المنزل.

إنها شاحنة كبيرة تعود إلى شركة البناء التي يظهر شعارها عليها.

توقفت خارج الملكية تماماً.

—

هناك وجهٌ قرب النافذة.

أدرك ليو أنّ والده ينحني في محاولة منه لرؤيته، وأنه سيترك قلمه أو زجاجة الشراب أو اللحم المدخن ويحني رأسه لينظر إليه بعينيه الثاقبتين، متخلياً عن نظارة القراءة التي يضعها.

لهذا السبب بالذات، كان يمشي على المسار المليء بالحصى ببطء؛ فهذا ما يقوم به الناس حينما تتم مراقبتهم، إذ تستغرق كل خطوة وقتاً إضافياً. أغلق باب السيارة ببطء ونزل منها. تحسس جيب قميصه ببطء أيضاً ليرى إن كان المغلف لا يزال في مكانه، وكأنه أراد من المراقب أن يدرك أنه أصبح مسؤولاً عن نفسه وأعماله، كما أراده أن يعلم أنه عاد لأنه قرر ذلك بنفسه.

—

تعثر إيڤان بإناء للزهور، فدفعه جانباً ليرى بشكلٍ أفضل. كان هناك شابٌّ يقترب باتجاهه، وهو طويل القامة إلى حدٍّ ما. لم يدرك من هو الشاب إلّا حين وصل بخطواته الواثقة والقوية إلى منتصف الطريق ونحو الباب الأمامي. شعرٌ أقصر، فكّ عريض، وكتفان عريضتان. إنها مواصفات لولد أصبح شابّاً.

"ليو".

كان إيڤان ينظر إلى المطبخ الذي امتلأ بالأغراض التي امتدت فيه وصولاً إلى الرواق. أولاً، قام بنقل زجاجة الشراب الفارغة من الطاولة ووضعها في سلة المهملات تحت المغسلة، ومن ثمّ رمى بطاقات كينو في السلة أيضاً.

بعد ثوانٍ عدة، رنّ جرس الباب.

سرعان ما انتعل حذاءً بنياً، وارتدى قميصاً رمادياً فوق قميص الطلاء الخاص به. لم يكن لديه ما يكفي من الوقت للتنظيف بما أنّ أسلوب حياته لم يتغير.

لذا، وقفا ينظران إلى بعضهما.

"هل هذه شاحنة جديدة؟".

"نعم".

"إنها لامعة فعلاً. يبدو لي أنك تَجِدُ فرص عملٍ بسهولة".

وقف الوالد على سجادة رمادية أمام باب مغلق، فيما وقف ولده أسفل الدرج الذي تغير لونه بفعل السنين؛ من دون أن تفصل بينهما سوى سبع خطوات وأربع سنوات ونصف.

"على عكسك، لقد اهتممت بأموري".

"ليو، يجب أن تكون شاحنة المعماري مغبرة. فالجهد الكبير يعني الكثير من الغبار".

كان إيڤان يتأمل الشخص الذي كان يحلم أن يكون مثله. كان ينظر إلى ليو؛ الشخص الذي لن يكون مثله أبداً. ها هو ابنه ينتعل حذاء عمل مقاوماً للثقوب، ويرتدي قميصاً سميكاً من القماش عليه شعار الشركة. كما تم الاختيار والشراء بدقة من متجر خاص. أما الوالد، فقد كان ينتعل حذاءً قديماً كان لامعاً في ما مضى، ويرتدي قميصاً صيفياً قصير الكمين يملك مثله خمسةً، وقد اشتراها بقيمة تسع وأربعين كرونةمن متجر التصفيات خارج البلدة.

"مغبرة! أنا لست مثلك؛ فأنا لا أزور الزبائن وأنا متّسخ".

"في الواقع، إنها شاحنة عادية وصغيرة. وليست فيها مساحة كافية إذا أردت إحضار يد عاملة إضافية. هل هذا سبب مجيئك إلى هنا؟ أو لعلّك تريد استخدام أقزام، أليس كذلك يا ليو؟".

"لديّ شاحنتان إضافيتان مثل هذه. لدينا اثنتان إضافيتان تخصان شركتنا".

لم يكن تعليقه مهماً، ولكنه لاحظ ارتعاشاً طفيفاً لدى والده.

"إذاً، يا ولد، أيعمل لديك موظفون؟".

"نعم".

أدرك الأمر جيداً.

"ما عددهم؟".

"ثلاثة".

"ثلاثة؟ حسناً، انتبه من الاتحاد، اتحاد المعماريين. إذ سيتدخل الاتحاد في كل شيء تقوم به، تماماً كالجستابو. وأنت تعلم يا ليو أنّ الموظفين يسببون المشاكل".

"لا أظنّ أنهم سيسببون لي المشاكل. فأنا يا أبي قد أنهيت للتوّ مشروعاً معمارياً كبيراً في تومبا وهو مركز سولبو، تبلغ مساحته ستمئة وخمسين ياردة مربعة. إنه ملكية تجارية ويدرّ الكثير من المال. لقد أنهينا العمل فيه".

" هل أنهينا العمل فيه؟".

"نعم".

حصل على الجواب بعد أن انتظر وقتاً طويلاً.

"ولم آتِ إلى هنا لأستخدم موظفين، أو لأحضر المزيد من اليد العاملة، بل أتيت لأسلّمك هذا المغلف".

سحب ليو المغلف من جيبه، الجيب الذي تفقده مراتٍ عدة للتأكد من أن المغلف لا يزال في مكانه.

"ثلاثة وأربعون ألفاً".

أخذ إيڤان المغلف المجعد وفتحه.

"خمسة وثلاثون دولاراً أعتقد أنني أدين لك بها، بالإضافة إلى خمسة آلاف للفائدة".

خمسمئة كرونة مستعملة، من النوع الذي يتم الاحتفاظ به في الحقائب الأمنية المتواجدة في الشاحنات المدرعة.

سحب المال من المغلف بأصابعه التي تفوح منها رائحة البصل، وبدأ بالعدّ.

"ست وثمانون كرونة".

"نعم، وستحصل بعدها على ثلاثة آلاف".

"لماذا؟".

"واحدة عن كل ضلع مكسور".

رأى ليو والده وهو يقرّب يده التي تحمل ورقة خمسمئة كرونة من الجانب الأيسر من جسمه. وكان ليو آنذاك قد نزع عنه حزام المعدات وبدأ يعود أدراجه، بينما كان والده العجوز يقف جامداً هناك وهو يصرخ معبّراً له عن امتنانه. رجع ليو إلى الخلف وهو يحاول عدم تذكر ما حصل في الماضي، أي حين علا الصراخ وأمسك به والده فاستدار ليو نحوه، وبدأ يوجه له اللكمات كما درّبه تماماً، ولكن ليس إلى الأنف، بل إلى الجسم.

"أستطيع الاهتمام بنفسي يا أبي".

فمنذ أربع سنواتٍ خلت، كان ينظر إلى والده ويوجِّه له اللكمات نحو الكتف والذراع وقبضة اليد.

"هيا، خذ المال، أنت بحاجة إليه".

من خلال تواصله مع والده، شعر ليو بالبعد والفتور.

بعد ذلك، وقفا صامتين.

"بالمناسبة، كيف هي أحوالك المادية؟".

"لديّ عملي. لقد كسرتَ ثلاثةً من أضلعي، ولكنك لم تكسرني".

كان المغلف في إحدى يدي إيڤان، أما يده الثانية فكانت تمسك بالباب المغلق. وكان جسمه يرتعش تحت ذلك المعطف الرقيق الذي يرتديه فوق القميص الصيفي قصير الكمين. كانت درجة الحرارة آنذاك تبلغ حوالي درجتين.

"ولكن، كما فهمت... ظننتَ أنه لا بأس في المغادرة بهذه الطريقة. هذا المال يا ليو مالي، وهو دفعة مسبقة عن العمل الذي لم تنجزه".

"عملت لديك لأربع سنوات ونصف، وكنت أكسب أسبوعياً مبلغاً ضئيلاًمن المال".

"كنت تأخذ ما تستحقه؛ لا أكثر ولا أقلّ".

" لم آتِ إلى هنا كي أناقشك، بل أتيت كي أعطيك مالك الحقير. والآن تعادلنا".

بدأ ليو يسير نحو شاحنته. وفجأةً، سأله والده بصوت عالٍ:

"وكيف حال أخويك؟".

توقف ليو واستدار نحو والده مجدداً وقال: "بخير".

وها هي الأسئلة تتتالى.

"إذاً، لقد التقيت...؟"

"نعم".

"وهل ما زالا يعيشان معها، في فالون؟".

"إنهما يعيشان هنا في ستوكهولم".

"هنا؟".

"نعم".

"كيف؟! ماذا... يدرسان؟".

"إنهما يعملان".

"يعملان؟".

"نعم".

"ماذا يعملان؟".

"يعملان معي".

"يعملان معك؟!".

"أجل، معي".

"وڤينسنت أيضاً؟".

في تلك اللحظة، بدا ذلك الرجل البالغ من العمر إحدى وخمسين سنة، والذي لا يرتدي الجوارب عاجزاً. كان ذقنه وشفته السفلى مجعدين، وكان وجهه شاحباً، وهو يرتجف من البرد.

"نعم، ڤينسنت أيضاً".

وقف على الدرج، وأمسك بالدرابزين الحديدي الرطب بشدة، فبدا وكأنّ عظامه لم تعد قادرة على حمله.

"ولكنه يبلغ من العمر ستة عشر عاماً أو سبعة عشر، أليس كذلك؟".

"كنت في السنّ نفسها حين بدأت بالعمل لديك".

"اعتقدت أنه يعيش هناك معها".

كان لا يزال يحمل المغلف في يده، فوضعه في جيبه.

"هل هو طويل القامة؟".

"إنه في مثل طولك وطولي".

بدا لليو وكأنّ والده يحاول أن يشدّ أزره؛ رغم أنه كان لا يزال يمسك بالدرابزين.

"أبهذا الطول؟".

"نعم".

"إنها جينات جيدة".

"وخلال سنوات قليلة، سيزداد طوله أيضاً".

"جينات رائعة".

ما عاد الوالد يرتجف، فقد استعاد قوّته وسار نحو ليو.

"وفيليكس؟".

"ما به؟".

"كيف حاله؟".

"في أفضل حالاته".

رفع إيڤان يده في الهواء.

"مضى وقت طويل".

وأدرك ليو ما سيحصل.

"منذ أن رأيتهما لآخر مرة".

أدرك الأمر تماماً.

"ليو، يا بنيّ، تباً، لمَ لا تتحدث إليهما؟".

"لا أظنّ أنّ فيليكس..."

"كي نلتقي معاً، نحن الأربعة".

"... يريد أن يراك مطلقاً".

أصبح والده الآن بالقرب منه، على بعد بضع أقدام، فاستنشق ليو رائحة

الشراب التي تفوح من فمه من الأمس.

"إذاً، لا يريد رؤيتي".

"كلا".

"لكنك بالتأكيد تعلم..."

"وأنت تعلم كيف يفكر. إنه يحترم قراره".

"تباً لذلك، لقد حدث الأمر منذ أربعة عشر عاماً!".

"أربعة عشر عاماً... ولم تطلب السماح حتى الآن؟".

كانت المسافة بينهما صغيرة.

"كيف يمكنه أن يكون غير متسامح إلى هذه الدرجة؟ ألا يستطيع نسيان ذلك؟".

"يبدو الأمر وكأنه بصق في وجهك. أليس كذلك يا أبي؟".

"بالتأكيد يمكنك التحدث إليه لنلتقي. ما رأيك؟".

تانك العينان، تلك الثقة الراسخة... لم يتغير أي شيء.

"على أي حال، أنا أعمل على مشروع كبير. إنه فعلاً كبير. وكنت أفكر فيك كثيراً؛ أفكر في أننا- أنت وأنا- يجب أن نكون معاً، بالإضافة إلى أخويك الآن".

نظر ليو إلى تينك العينين السوداوين الكبيرتين اللتين كانتا تخيفانه، واللتين ترعرع على رؤيتهما وهرب منهما.

"اسمع يا أبي".

"ماذا؟".

" لم أعد أعمل لديك".

هذه المرة، لم تعد هاتان العينان قادرتين على ملاحقته.

"تعمل!".

"نعم".

"أنت تهتم بنفسك فقط. هل تعلم هذا يا ليو؟".

كان ليو ينظر إلى شخص قد تقلّص حجمه، وكأنه تحوّل إلى شخصٍ آخر ولم يعد ذاك الشخص القديم. حاجبان ناتئان ولباس متسخ. كان بإمكان ليو شم رائحة العرق التي تفوح من والده.

"هذا ما كنت تقوم به على الدوام. فكر قليلاً بنفسك".

لم يجب ليو.

"لقد خلّصت نفسك فقط. تماماً كالواشي".

لكنه فعل ذلك أخيراً وأجاب:

"ماذا قلت بحق الله؟".

"تعال إلى هنا. كم أنت جبان. لم تكلمني منذ سنوات، ولم يكن يفترض أن أتلقى شيئاً منك. لمَ أتيت إلى هنا وأنت تحمل ثلاثة وأربعين ألف كرونة؟ ثلاثة وأربعون ألفاً كسبتها من تعبك! هل ظننت أنني سأصدقك؟ كلا، كلا. كيف

كسبت هذا المبلغ من المال من دوني؟ ما نوع العمل الذي يُدفع فيه مثل هذا المبلغ؟".

سحب إيڤان من جيبه سيجارة تلفّ يدوياً وأشعلها.

"ألا تدرك أنّني أعرف ما تنوي عليه؟ أتيت إلى هنا كي تقول لي إنّ أخويك لا يريدان رؤيتي. ألكي أتعذب؟ وكي تبدو أفضل مني؟ أنت واشٍ! واشٍ! وخائن!".

"لم أقل كلمة واحدة، وأنت تعلم هذا!".

"لقد وشيت بي!".

إنه الوضع نفسه في كل مرة. لم يعد يهمه إن كان يصرخ أو يكسر له ضلوعه؛ فالأمر سيستمر حتماً وسيبقى على حاله. تنفس ليو ببطء وهو يقرر ما سيفعله، ثم رفع يده وربّت بأصابعه على جيب قميص والده الوسخ قائلاً:

"ها قد تعادلنا".

—

كان يقود بسرعة داخل منطقة سكنيّة. واشٍ! مرّ بالقرب من المدرسة والمكتبة. واشٍ! ثمّ تمهل فجأةً، فما زال صوت والده يدوّي في أذنيه كالعادة، واشٍ!

كانت مواقف السيارات فارغة خارج المباني الحمراء المنخفضة في ساحة أوزمو. توقف هناك لهنيهة وأطفأ المحرك. توقف ليتأمل متاجر البقالة، والمصارف، ومقهى بيع القهوة، ومصنع الأحذية، والمصبغة، ومحل بيع الأزهار.

لم أقل شيئاً. كنت أبلغ من العمر عشر سنوات. جلست أمام رجال الشرطة الأغبياء ولم أتفوه بكلمة واحدة كما طلبت مني.

لو نظر بعيداً، حيث الكشك الصغير، لاستطاع رؤية مدخنة الطوب في المنزل الذي يعيش فيه والده الآن، والذي كانوا يعيشون فيه حين كانوا يعملون معاً.

أي واشٍ لا يستطيع فعل ما فعلته.

لم يتذكر الكثير ممّا حدث في ذلك الوقت، حتى لو حاول. حينها، نزع عن خصره حزام المعدّات، والتقى أمّاً وحيدة تكبره بخمس سنوات قرر العيش معها في شقة تتألف من غرفة نوم واحدة في هاجساترا.

لن يستطيع أي واشٍ أن يسرق شاحنة مدرّعة.

بعد مرور ثلاثة أشهر، وقّع هو وأنيللي على عقد إيجار مشترك لشقة في سكوجاس تتألف من ثلاث غرف نوم، وهي كانت ذات يوم كل شيءٍ بالنسبة إليه؛ ولا تزال كذلك حتى الآن.

أيها الرجل العجوز، هل سرقت يوماً شاحنة مدرّعة؟

فتح ليو باب السيارة، وبدأ يسير نحو المتجر الصغير في الزاوية الذي يبيع السجائر والصحف...

وضع ليو بضع علب سجائر كاميل على المنضدة، وحاول تجنب النظر إلى جونسون الذي ما زال رأسه حليقاً.

"هل تريد شيئاً آخر؟".

"كلا، هذا كل شيء".

"هل تريد شراء شيءٍ لوالدك؟ كيس من أوراق اللفّ مثلاً؟".

"ليس اليوم".

سحب المال من جيب البنطلون الذي يرتديه في العمل، فوجد ورقة خمسين كرونة مستعملة من الأموال المسروقة، وكان غبار الجصّ يغطي يديه. أخذها وسلّمها إلى جونسون الذي وضعها بالقرب من آلة تسجيل النقود التي بالكاد كانت مفتوحة. سمع النقرة على النابض بينما كان جونسون يفتح الصندوق. كانت العملية هي نفسها بما أنه لا وجود لفاتورة.

لا أثر، لن يجدوا أي أثر.

"وكيف الحال؟".

"كيف الحال!؟".

"مع بطاقات كينو؟ السحب؟ سلّمني والدك اليوم بعضاً منها".

لم يجب ليو، بل حمل علبة السجائر وبعض الفكة، وأومأ برأسه.

"مضى وقت طويل يا بنيّ".

ذهب إلى منضدة الصحف وقال:

"نعم، مضى وقت طويل".

ابتسم جونسون.

"اسمع".

"ماذا؟".

"بلّغ أباك تحياتي".

لطالما كانت لديهم دلائل ضدّك.

كان ليو يدخن بسرعة ويسير أمام واجهات المتاجر. ما زال الحقير يدين له، وهذا لأنه سمح له بذلك حين لم يقل شيئاً حينها. تباً، كان يبلغ من العمر عشر سنوات آنذاك، وظل صامتاً أمام رجال الشرطة الأغبياء.

راح يسير ذهاباً وإياباً في الساحة والسيجارة في يده.

ذهاباً وإياباً. ذهاباً وإياباً.

وفجأةً، توقف.

كان يقف في مكان سبق له أن زاره في السابق، ولكن بدا له الآن وكأنها المرة الأولى التي يزوره فيها.

مصرفان، أحدهما بجانب الآخر؛ تماماً كحبيبين. وكان على جانبيهما متجر بقالة ومتجر أزهار يمكن الوصول إليهما بسهولة، ورؤية الساحة بالكامل والمرأب وأي حركة مفاجئة.

هدفان.

المكان نفسه، والوقت نفسه، والمستوى نفسه من المخاطر.

الآن، لم يعد يدخن بسرعة، بل شعر بهدوء غريب يغمره؛ هدوء لم يستطع حتى والده أن ينتزعه منه من خلال إلصاق صفة الواشي به.

حاول جون برونكس أن يعدّ قطرات المطر. كم قطرةً سقطت على الجزء العلوي الأيسر من النافذة؟ في البداية سارت الأمور على ما يرام، إلى أن تساقطت الأمطار بغزارة، كما لو أنها تتساقط كلها دفعةً واحدة، فأصبح العالم في الخارج ضبابياً. بدا زملاؤه الذين راحوا يركضون إلى باحة مركز الشرطة مبتلّين بالمطر إلى أخمص أقدامهم وبالكاد يتحركون. خلفه على المكتب ثماني عشرة قضية وُضعت في ملفات بألوانٍ مختلفة. كما يذكر، لم يمرّ يومٌ واحد لم يتساقط فيه المطر منذ أن بدأ بالتحقيق في القضية الحالية، وهي التي شتّتت ذهنه عن أي شيءٍ آخر، كقطرات المطر المتناثرة على النافذة، أو كما يحصل حين يحاول العمل على أي تحقيقٍ آخر. لقد جعلته هذه القضية يعيش في حالة ضياع.

ماكس فاكيلا (م ف): تكلم كالرجل في ذاك المتجر الصغير.

المحقّق جون برونكس (ج ب): ماذا تعني؟

(م ف): لم يكن هو. لكنه بدا مثل علي.

صدر التصريح الوحيد الذي بدا قريباً من الحقيقة- باستثناء تصريح الحارسين- من فتى يبلغ من العمر ست سنوات؛ فهو قد رأى وجهاً وسمع صوتاً.

ج. ب: وكيف بدا الرجل الجالس؟

م. ف: كان رطباً.

ج. ب: تعني...

م. ف: ذاك الذي يُدعى غو باك كان ذقنه رطباً.

ج. ب: غو باك!

م. ب: هذا اسمه.

هناك طفلٌ رأى ما لم يره البالغون.

ج. ب: وماذا عن باقي وجهه؟

م. ف: أحرقته الشمس.

ج. ب: كان لونه مائلاً إلى الحمرة، أليس كذلك؟

م. ف: كان أسمر اللون، وكأننا في فصل الصيف.

ج. ب: جيد. أنت تبلي حسناً. هل تذكر أمراً آخر؟

م. ف: ساقه.

ج. ب: نعم، ما بها؟

م. ف: لم تكن ظاهرة. كانت مغطاة.

ج. ب: هل رأيتها؟

م. ف:... ظهر حذاؤه في الأسفل.

أحياناً، يرى الأطفال ما يبدو وكأنه قصة خيالية.

ج. ب: ماذا عن الرجل الذي كان واقفاً؟

م. ف: لم أتأمله جيداً.

ج. ب: ولو قليلاً؟

م. ف: كان غاضباً.

ج. ب: غاضباً؟!

م. ف: ويتكلم بسرعة.

ج. ب: وماذا أيضاً؟

م. ف: بدت عيناه خطيرتين.

ج. ب: بأي معنى؟

م. ف: كانتا داكنتين جداً؛ تماماً كعيني جعفر في قصة علاء الدين.

كانا سارقين مسلّحين يبدوان وكأنهما من العرب. وكانا يتحدثان الإنكليزية كالعرب؛ هذا ما أرادا من الناس أن يروه ويسمعوه. ألأنهما كانا من العرب فعلاً؟ أو لأنّ هذا ما كانا يرغبان في أن يبدوَا عليه؟ اللهجة الثقيلة. وقد تفوّها ببعض الكلمات العربية مثل "يلّا، يلّا"، "سافلة"وهي الكلمات نفسها التي قد يستخدمها هو نفسه ليبدو من العرب.

جلس أمام الملفات، ولكنه تثاءب، فنهض وسار في الرواق، وسكب لنفسه كوباً من الشاي الأبيض. بعدها، ومن آلة البيع، اختار الرقم سبعة عشر الذي يختاره دائماً، وأخذ قطعة خبز مستديرة فيها قطعة من الجبن وشريحة صغيرة من البندورة في الوسط أشبعت الخبز فأصبح كالإسفنجة. بدأ يقشّر البندورة.

نستخدم العنف كي نُخضع أحدهم. نهدد لنقتل. نستخدم هذه القوة الكبيرة لإنهاء أمرٍ ما. وأنا أقول إنها مثل يد رجلٍ بالغ تلكم جسماً يرفض الخضوع. إنه العنف الذي يجعلنا نحصل على ما نريده.

ابتعد جو برونكس عن آلة البيع، ورمى قطعة الخبز مع شريحة البندورة في سلة المهملات. مرّ بالقرب من أربعة أبواب قبل أن يصل إلى مكتب رئيس المفتشين ويطرق على الباب كالمعتاد.

"هل يمكنني أن آخذ دقيقة من وقتك؟".

أغلق كارلستروم كتابه، أو على الأقلّ ما يبدو ككتاب، ودفعه جانباً. دخل جون وجلس على الكرسي الفارغ وحاول قراءة العنوان، إلّا أنه لم يستطع قراءة شيء باستثناء اسم الكاتب الفرنسي، وهو بوكوز.

"نعم، ماذا هناك؟".

"سرقة الشاحنة المدرّعة".

وضع برونكس ملفاً على مكتب كارلستروم.

"أريد أن أولي هذا التحقيق الأهمية الكبرى".

"توليه الأهمية! كيف؟".

"أريد تكريس الوقت له وحده على مدى بضعة أسابيع".

سحب كارلستروم الملفّ عن المنضدة وألقى نظرةً عليه، ثم سلّمه إلى برونكس.

"هناك ثمانية عشر تحقيقاً موازياً. أي توجد تحقيقات أخرى، ومشتبه بهم آخرون".

"نعم".

"اعتداء فائق الخطورة وإكراه في مقهى أوبرا. سرقة فائقة الخطورة في متجر

للمجوهرات في أودنجاتان. افتعال حريق في حديقة مينج في ساحة مدبورجار".

"نعم".

"محاولة اغتصاب في حديقة فيتابرجس. تجارة مخدرات في شارع ريجرينجس. دعارة فائقة الخطورة في ساحة كارلا. مؤامرة للقتل في شارع ليلا ناي فائق الخطورة..."

أغلق كارلستروم الملف وقال:

"هل تريد مني أن أكمل؟ من برأيك يمكنني تعيينه لمتابعة تحقيقاتك؟".

"المجرمون ذوو خبرة طويلة. لقد قاموا بذلك من قبل".

"جون، مَن مِن زملائك لديه ثمانية عشر تحقيقاً في ملفاتهم بشكلٍ موازٍ؟".

"وسيقومون بالأمر مجدداً".

"أنا..."

"سيقومون بالأمر مجدداً، وسيكونون أكثر عنفاً ممّا كانوا عليه في فارستا؛ أكثر عنفاً بكثير".

نظر جون إلى مديره، إنه رجل مختلف عنه. فهو على الأقل لم يكرّس كامل وقته لعمله، كما فعل جون. فلديه حياته الخاصة، وهو فخورٌ بها. إنها تمنحه الأمان. على الجدار خلف مكتب كارلستروم، عُلّقت خريطة تحكي عن تطوره المهني. دبلوم من كلية الحقوق إلى اليسار، ومن ثمّ في الوسط شهادة مُنحت له من نادي الرماية في الشرطة. وأخيراً، إلى اليمين، إشعار موضوع في إطار عن تعيينه كرئيس لمكتب الشرطة في المدينة. وثمة خريطة أخرى على مكتبه، وهي تحكي عن تطوره الشخصي. ثمة ثلاث صور أدرك جون أنها تعود لابنتي كارلستروم. لقد تبنّاهما

من كولومبيا، وهما تبلغان من العمر خمسة أعوام أو ستة، بالإضافة إلى صورة لزوجته التي لم يسمع عنها جون إلّا الكلمة الحلوة. وبالقرب من إطارات الصور، ثمة مجسّم لدلفين من البلاستيك يستخدمه مديره لفرك كتفيه كل عشرين دقيقة. كما توجد رسالة من اتحاد الشرطة وكتاب بول بوكوز. الآن، استطاع جون أن يرى عنوانه، وهو الطهو الفرنسي.

سيقومون بالأمر مجدداً، وسيكونون أكثر عنفاً ممّا كانوا عليه في فارستا. كيف تفسر الأمر لشخص لم يواجه هذا الواقع، ولم يعش هذا النوع من العنف؟ ومن ثمّ مجدداً، وأكثر عنفاً بكثير. كيف تفسر ذلك لشخص يعلق خبراته على الحائط خلفه، ومستقبله على المكتب أمامه؟

كان السارقان يحملان سلاحاً أوتوماتيكياً من طراز إي. كاي. 4، ورشاشاً مدفعيّاً. وهذان سلاحان عسكريان. كان قد تفحص كل قضايا السرقة، بدءاً من "حارس المنزل" ووصولاً إلى موقع الرماية والمنشآت العسكرية. لا دلائل. حقّق في أمر كل من يمكن أن يكون سجّله مماثلاً لسجل السارقين؛ سواء أكان حراً أو تحت المراقبة. ولا دلائل أيضاً. تمكن من استبعاد احتمال أن يكون الجناة من الداخل، رغم أنّ هذا ممكن أيضاً.

لم يكن متأكداً إن كان مديره يستمع إليه. كان أحدهما يجلس قبالة الآخر عند طرفي المكتب. لم يختبر كارلستروم العنف أثناء فترة خدمته؛ على عكس جون الذي كبر في جوّ من العنف، وقرر بعد ذلك أن ينضم إلى سلك الشرطة ليواجهه من جديد.

"ثمة سارقان تصرف كل واحدٍ منهما على هواه، ولم ينحرفا عن الخطة. تم خطف الشاحنة المدرعة وقيادتها بسرعة عادية من فارستا إلى شاطئ درفكين. وبما أنّ ما تبقى من المال كان موجوداً خلف باب مغلق، لذا، صوّبا نحوه من دون أي

تردد".

إنه يستمع إليه، أصبح جون متأكداً من ذلك.

"كانا منظمين ومركزين تركيزاً كاملاً، كما أنهما لم يفقدا جرأتهما خلال عملية السطو التي دامت عشرين دقيقة".

"الجرأة!".

"لم يقنعاني بذلك. لست متأكداً بقدر الحارسين من أنّ هذين السارقين كانا من العرب. لم يكن أحدهما مقعداً كما أراد أن يبدو وهو جالس على الكرسي المتحرك. ربما يكونان قد وُلدا هنا، ولديهما خبرة في حمل الأسلحة تحت الضغط الشديد وكأنها أدوات عادية، وكأنّ العنف مهنتهما، وكأنهما تدربا على استخدام القوة في المدرسة".

نظر جون إلى صور زوجة كارلستروم وابنتيه وشعر كما لو أنّه يعرفهن. إذ كان كارلستروم من النوع الذي يتكلم عن عائلته كثيراً.

"لا أظنّ أنّ شخصين فقط متورطان بهذه العملية. ثمة عددٌ أكبر بالتأكيد. وفي هذه الحالة، نحن أمام عصابة ستستمر في النموّ".

جون لم يحدِّث أحداً عن عائلته.

"ثمة تسعة ملايين ظلت خلف الباب الحديدي. ولهذا سيعتبران ذلك فشلاً لهما. فهما لم يحصلا على ما يريدانه هذه المرة".

"قلت... تدربا على العنف!".

"كلا، ليس هذا ما قلته. فقد قلت إنهما تدربا على استخدام القوة".

"ما الذي تعنيه بذلك؟".

"أعني أنهما تعلما التعايش مع هذا الواقع".

—

كان على جون برونكس أن يسرع وهو يسير في الرواق، فقد اتخذت القضية طابع الأولوية. أصبح بإمكانه الآن أن يكرس وقته كله لملف واحد على مدى شهر؛ وهو الملف الذي فاق كل الملفات أهميةً. نزل ثلاثة طوابق، حتى إنه لم يستقلّ المصعد، بل استعمل الدرج. ثمّ اتجه نحو الأروقة الضيقة التي تؤدي إلى مختبر الطب الشرعي. اختلس النظر أولاً إلى الغرفة المظلمة، ثم إلى غرفة الألياف التي تحتوي على ملابس المجرمين، وإلى غرفة الألياف الأخرى التي تحتوي على ملابس الضحايا. لم تكن سنا هناك. إنها المرأة التي وقفت في حوض السفن وهي تشير إلى المياه والطريق التي ربما سلكها السارقان، وبعدها رحلت وكأنها لم تتعرف عليه. عادت سنا للعمل مع شرطة المدينة فجأةً؛ تماماً كما رحلت. سنا هي تلك المرأة التي حاول تجنبها منذ بضع سنوات حين مرّ أحدهما بالقرب من الآخر في شارع كينغ. رآها من بعيد ولم يرَ وجهها، ولكنه تعرف إليها من طريقة حركتها، كما أنه انتظر طويلاً ليجتاز الطريق، لذا كان عليه متابعة سيره مدّعياً النظر بعيداً إلى حين مرّ أحدهما بجانب الآخر.

كان ملفها الأسود موضوعاً على إحدى المناضد في المختبر الكبير، بجانب غطاء من الجيلاتين وصندوق من القطن وبعض الحاويات البلاستيكية وأنابيب الاختبارات والملاقط وميكروسكوب. كانت تقف في الجزء الآخر من الغرفة، بالقرب من خزانة معدنية مليئة بمواد لاصقة مصنوعة من السيانو أكريلات والتي تُستخدم لاستخراج البصمات من أجل التحقيق في الجرائم.

كانت تقف في الزاوية وتدوّن الملاحظات، وتكتب بقلم رصاص على

ورقة.

من دون حراك.

"مرحباً".

استدارت ونظرت إليه، ولم تظهر أي ردة فعل.

"مرحباً".

"لقد قرأت تقريرك يا سنا مراتٍ عدة".

هذا بالتحديد ما أراد تجنبه؛ فهو يقف هنا أمامها مواجهاً عدم مبالاتها.

" لم أصل إلى أي نتيجة، لكنني تكلمت مع كارلستروم وأعطاني المزيد من الوقت".

تابعت الكتابة، ووضعت بعد ذلك دفتر الملاحظات في جيب معطفها وفتحت الباب، ثم توجهت نحو خزانة السيانو أكريلات وأطلقت ما تبقى من المواد اللاصقة.

"جون، كما تعلم، لا يوجد شيء لأضيفه".

"أريد أن أراجع الملف معك مرةً أخرى".

—

نزلا الأدراج باتجاه المرأب الذي يقبع تحت مباني الشرطة.

تساءل إن كانت قد رأته أيضاً في شارع كينغ، وإن كانت قد رأته وهو يتجنب النظر إليها، وإن كانت قد تعرفت إليه من دون رؤية وجهه. كانا يعملان

معاً في برنامج حماية الشهود، وكانا يعلمان جيداً أنّ ما يجب تغييره لتكوين هوية جديدة هو أسلوب الشخص في التحرك والإشارات الأولى التي يلاحظها الشخص الذي يلاحق أحدهم. ليس الأنف ولا الفم ولا اليد ولا اللحية ولا الشعر ولا اللباس، وإنما الحركة بحدّ ذاتها. ربما يكون قد غيّر مساره أو اتخذ طريقاً أقرب أو أحنى رأسه.

في إحدى زوايا المرأب، كان هنالك مبنى مربع صغير، حجمه بحجم موقف لأربع سيارات، إنه عبارة عن مرأب داخل مرأب آخر، وتقف فيه المركبات المصادرة في قسم الطب الشرعي. فتحت الباب، وهناك في الوسط ظهرت شاحنة بيضاء. اقترب برونكس منها وصعد إليها. كانت المقاعد ملفوفة بالنايلون، وقد اختفت منها شظايا الزجاج والملفات والحقائب الأمنية. كان قد بحث وتخلص من كل تقرير يعود إلى كل سيارة مسروقة وكل قارب مسروق بالقرب من فارستا وسكوندال خلال الفترة التي سبقت عملية السرقة، واستنتج أنّ شخصاً ما ربما أرسل السارقين إلى مسرح الجريمة الأول واستخدم سيارتهما الخاصة، وأنهما غادرا مسرح الجريمة الثاني برفقة شخصٍ آخر بواسطة قاربهما الخاص.

زحف إلى المقصورة الخلفية حيث الخزنة المفتوحة. أظهر التقرير الفني وجود آثار من الدم، بالإضافة إلى الألياف والبصمات العائدة إلى حارسي الأمن اللذين كانا الضحيتين، وحرّاس آخرين استخدموا هذه الشاحنة وحسب. لم يكن هنالك أي أثر للذين يبحثون عنهما.

"زاوية التصادم تسعون درجة".

فتحت الصندوق الأسود الذي تحمله دائماً معها، ووضعت بخطّ متوازٍ خمس "خراطيش" أمامهما على المقعد. ثمّ عرضت عليه الثقوب حول النافذة من جانب السائق، بالإضافة إلى مسار الرصاصات حول باب الراكب. تذكر جون

سلسلة من الصور من التقرير الذي قدّمته، حيث أوضحت خطوط رفيعة خط النار.

وهنا، بجانبها، رصاصات مشوّهة ومغلفة بشكلٍ كامل، من عيار 9 ملم، أصابت باب الشاحنة.

حملت كلّاً منها على حدة.

"حين قارنتها، هنا... هل ترى؟ خمسة خطوط ملتوية، يتراوح عرضها بين 1.4 ملم و1.5 ملم. إنها من السلاح نفسه، وهو رشاش مدفعيّ سويدي م/45".

آليّ. هذه هي الكلمة التي كان جون يبحث عنها. هكذا، كانت تتحدث عن عملها، وتساءل جون عمّا إذا كانت تقاريرها تبدو على هذا الشكل، أو أنها تبذل جهداً كي تبدو غير مبالية أمامه.

كان الكرسي المتحرك خلف السيارة. كان أحد المشتبه بهما قد جلس عليه وهو يضع بطانية فوق ساقيه. سُرق هذا الكرسي من مستشفى هادينج. ووفقاً لأخصائي الطب الشرعي، إنه يحمل بصمات سبعة أفراد تمت مقارنتها مع مئة وعشرين ألف بصمة احتفظت بها الشرطة في الملف، ولكن من دون العثور على أي تطابق.

لعلّهما كانا يلبسان قفازات أو كانا موضوع استجواب.

كان زيّ حرّاس الأمن أخضر اللون، وهذا لم يبدُ واضحاً في الصور. وضعت قفازاً مطاطياً في الفجوة على الحلقة اليمنى.

"كان محظوظاً جداً. فلو انحنى قليلاً إلى الأمام، لكانت الرصاصة قد اخترقت عظم وجنته".

للمرة الأولى، لم يسمع ما قالته، ربما لأنه كان يقف بعيداً، وسُمعت أمورٌ كثيرة في هذا الفراغ عدا عن صوتها.

"لم يحصلا على ما جاءا من أجله".

"لم يحصلا!".

ابتعد أكثر ليرى الشاحنة بالكامل، وأبوابها الجانبية والخلفية المفتوحة.

"جعفر من "علاء الدين" وشخص اسمه غو باك".

"جعفر؟! غو... باك!؟".

"أفضل شاهدٍ لدينا لا يتعدى عمره ست سنوات. نحن نبحث عن شخصٍ خيالي، شخص رآه صبي صغير وبعض الأشخاص فقط، وذلك لأنّ المجرمين أرادا من الجميع أن يروا ذلك. لم أقتنع بهذا الأمر. لا أصدق أنه جعفر وغو باك".

أصبح يعرف كيف تمشي، وكيف تحمل دفتر الملاحظات في يدها، والعطر الذي تلاحقها رائحته أينما حلّت حتى من دون أن يعي ذلك. كان يحب مظهرها حين تبتسم؛ حتى إن كانت تقف بعيداً كما هي الآن.

"جون، أنا أعمل مع الألياف وبقع الدم والبصمات؛ أي مع الوقائع، أي مع ما حدث وما يمكن إثباته. وكما قلت، جعفر وغو باك غير موجودين بالفعل؛ تماماً كحالتنا نحن، فنحن غير موجودين، أتفهم ذلك؟".

بقي جون برونكس في الخلف بعد أن غادرت المرأب الذي كان بارداً وتفوح منه رائحة الوقود والغبار. دار مجدداً حول الشاحنة المدرعة والفارغة. لدى استجوابه حارسَي الأمن، قالا إنّ أحد السارقين كان يستمع وينتظر، وكان هادئاً

ومتّزناً ويضع قناعاً. كان وضعهما قناعين على وجهيهما لإخفاء ملامحهما أمراً مهماً.

الأسلحة كالأدوات، والعنف حرفة.

جعفر ليس موجوداً. غو باك ليس موجوداً.

تدرّب على استخدام القوة.

تمدّد ليو على ظهره هنيهةً، كما كان يفعل دائماً حين يستيقظ من النوم، واستمع إلى صوت تنفسها العميق. كانت تنام وذراعاها متباعدتان. أما هو- على عكسها- فينام بهدوء ويستيقظ بسهولة. لطالما كانت هذه حاله حين يسير بهدوء حافياً وبملابسه الداخلية بالقرب من والده ووالدته اللذين يعملان ليلاً ولا ينبغي إيقاظهما، وذلك لكي يحضّر الفطور لڤينسنت وفيليكس.

وهو لا يزال يفعل ذلك؛ إذ يستيقظ قبلها ويحضّر طعام الفطور.

كانت تشخر كما تفعل عادةً عندما تنام بهذا الشكل. لذا، أمسكها ليو من كتفها وجعلها تستدير إلى أن تمدّدت على جانبها، فتوقف شخيرها، وعندها قبّلها على خدّها.

استطاع أن ينام، رغم تسمية الواشي التي أُلصقت به، ورغم تسديده ديناً لشخص لم يكن يدين له بشيء إطلاقاً.

واشٍ.

إنها كلمة اخترقت دفاعاته؛ تماماً كما يمكن لكلمة قاسية أن تفعل. لكنها لم تؤثر في نفسه كثيراً.

وُضعت الصناديق الموضبة استعداداً للانتقال بالقرب من السرير. عدّ سبعةً منها، والعدد نفسه موجود أيضاً في غرفة المعيشة والرواق.

إن الانتقال إلى منزل صغير وشنيع يقع بالقرب من مرأب ضخم- والذي يبدو ككهف الشبح- هو الحلّ الأمثل لمشكلة التخزين.

توقف هطول المطر في اليوم السابق ليلاً ونهاراً، ولكنها تمطر الآن مجدداً. مرّ وقت طويل، وهما لا يزالان يملآن الفجوة أمام باب أمني، وثمة حصى رطبة لم تتمّ تعبئتها بشكل جيد أو أقلّ من الحصى المتواجدة في الأرجاء، وقد تغرق ويراها مفتش في زيّ أخضر اللون وفي يده سيجارة.

استقامت وتمتمت بشيء لم يفهمه، ثمّ استدارت وعادت تشخر مجدداً.

كان عليه التحدث إليها وتعليمها؛ فعليها الذهاب إلى هناك، فهي الوحيدة التي تستطيع القيام بهذا العمل.

كان ليو في الرواق حين تناهت إلى سمعه أصوات خارج باب الشقة؛ صوت أحدهم وهو يمشي خطوتين في كل مرة، وصوت أحدٍ آخر يسير خطوةً خطوةً في كل مرة. كان الأمر سريعاً، ومن ثمّ حين لم يعد أي شيء مسموعاً رنّ الجرس، فوقف الأخ الصغير الذي كان دائماً يتصرف من دون تفكير.

"ما هذا بحقّ الله؟".

كان فيليكس يرتدي قميصاً أحمر اللون وبنطلون جينز ضيقاً، وينتعل حذاء تيمبرلاند بنياً فاتح اللون. وكان جاسبر يرتدي معطفاً جلدياً وبنطلون جينز جديداً ما زال لونه أزرق داكناً، وينتعل حذاء ريبوك أسود اللون.

لباس الحطاب ولباس الشرطي.

"ماذا ترتديان؟! اللعنة عليكما!".

أصبحت الأيام أسابيع، وأصبحا تدريجياً يقومان بالعمل الوحيد الذي لا ينبغي القيام به، ألا وهو تعريضهما نفسيهما للخطر. فجاسبر الذي كان يرتدي سابقاً معطفاً من النايلون أصبح الآن يرتدي معطفاً جلدياً كلفه خمسة آلاف كرونة، أما فيليكس فيبدو بثيابه هذه وكأنه جمع ألبسة من أنحاء العالم كافة.

"يفترض بكما أن تأتيا إلى هنا كل صباح أربعاء وأنتما ترتديان بنطلوناً أزرق وقميصاً أزرق، وتنتعلان حذاءً قديماً للعمل".

أغلق ليو باب غرفة النوم، بينما ذهب فيليكس وجاسبر إلى المطبخ لاحتساء القهوة الطازجة.

"تباً، يفترض بملابس العمل أن تكون غطاءنا، فهذا ما يفترض بالناس أن يروه. ولكن، ها أنت يا جاسبر تبدو الآن عميلاً سرياً يعمل كمرافق! أما أنت يا فيليكس فينبغي لك تأجيل فكرة السفر! أعدك بأن يحصل ذلك لاحقاً، يمكنك شراء سيارة ماستانغ مستعملة في سيدني والإبحار واحتساء الشراب البارد!".

حمل الخبز والزبدة والجبن واللبن والحلوى وفناجين القهوة.

"نحن عمال بناء، ولا يفترض بنا أن نبدو بهذه الهيئة. ويجب أن نحافظ على صورتنا الخاصة؛ إذ لا يفترض بأحد أن يشك فينا. فحينها، سيتساءل الجميع عن كيفية تمكننا من ارتداء ثياب كهذه ونحن عمّال بناء. منذ الآن فصاعداً، لن نكون بحاجة إلى طرق مسمار واحد. ولكن، علينا أن نفعل هذا بأيّ حال! سنجدّد مطبخاً هنا، ونبني سقفاً جديداً هناك. فنحن نحتاج إلى الشركة وإلى العمل ليكونا كغطاء لنا!".

رنّ الجرس مرةً أخرى. كانت إشارةً قصيرة وحذرة. وبعدها، فُتح الباب.

"هذا أنا".

كان ڤينسنت.

"نحن في المطبخ. تعال لتناول الفطور".

توقف في الرواق، وكان يرتدي بنطلون العمل الأزرق والقميص الأزرق

وينتعل حذاء العمل. التفت إليه الجميع.

"ما هذا؟!".

"فهم أحدهم الأمر".

"ماذا فهم؟".

رفع ليو إبريق القهوة وملأ أربعة فناجين بالقهوة السوداء، ثمّ استدار نحو جاسبر وفيليكس.

"بعد أن ننتهي من تناول الفطور، ستذهبان بواسطة البيك أب إلى البيت، وستبدلان ثيابكما وترتديان الثياب نفسها التي يرتديها هذا الصغير هنا. وحين تنتهيان من ذلك، ستتوجهان إلى ساحة كانتا للخشب، وستجلبان مئة وثمانية وأربعين متراً مربعاً من خشب السنديان للأرضية، وسترسلان الأخشاب إلى جرونلاند سجانجن 32 في كيستا؛ إنه مكتب كمبيوتر يقوم كابي بتجديده. وبعد ذلك، ستنتظران مجيئنا أنا وڤينسنت".

وضع جاسبر الكوب الذي يحمله من يده.

"هل أنت جادّ؟ أسنقوم بالبناء!؟".

"منذ الآن فصاعداً، سنأخذ على عاتقنا القيام ببعض هذه الأعمال. هل هذا مفهوم؟ أحضرا مئة وثمانية وأربعين متراً مربعاً من خشب السنديان للأرضية الخشبية. يمكننا إنهاء العمل في يومين، ودائماً..."

"ولكن، تباً، سوف..."

"... دائماً بالسعر الثابت نفسه. إذاً، يمكننا إنهاؤه كلياً خلال أسبوع واحد على الأقل. إنه عملٌ مضنٍ، ولكنه عمل سهل يستطيع أربعة نجارين إنهاءه

بسهولة. سيستغرق الأمر فترةً طويلة، وسنطلب السعر الثابت نفسه. سنذهب إلى هناك مراراً وتكرارًا كي نثبت وجودنا".

—

كانا لا يزالان في سكوجاس، ولكن في الجانب الآخر منها. قاد ليو السيارة وڤينسنت برفقته. مرّا أمام المدرسة ومنزل الطفولة. كانت الشقة كبيرة.

أوقف ليو السيارة، ونزلا المنحدر مروراً على العشب الطويل بين ملعب لكرة القدم ونادي المدرسة الذي مرّا بالقرب منه بعد عملية السرقة. كانا قد اعتادا على المرور هناك وهما يحملان حقيبتيهما اللتين تظهر منهما عصوَا الهوكي.

توجّها نحو الغابة في طريق تؤدي إلى تلّ شديد الانحدار؛ وهي الطريق نفسها التي سلكها ليو مراتٍ عدة في الأسابيع الفائتة للتأكد من أنه ليس هنالك أي قارب مطاطي غارق قد صعد إلى السطح. وصلا إلى ما يشبه شبه جزيرة كانت أكبر بكثير حين كانوا لا يزالون أولاداً صغاراً. آنذاك، كان ليو يسبح هناك ليصل إلى الشاطئ المقابل، حيث ما زالت الأشجار ترتفع وحيدة ورفيعة من بين الصخور.

"ما زال هناك".

مرّا بالقرب من صخور كبيرة وصفّ من الأشجار الشائكة والسراخس الذابلة والرابضة. وهناك، خلف أشجار الصنوبر تلك، برز شاطئ رملي، وهو المكان الذي توقفا فيه.

بحثا على سطح المياه.

"نعم، ما زال هناك، في القعر".

وضع ليو يده على كتف ڤينسنت وقال:

"كان عليك أن تحرسه عند الحوض، أليس كذلك؟ ولكنك غادرت".

"أنا..."

"رغم أننا اتفقنا على وقوفك هناك والانتظار".

استدار ڤينسنت بسرعة ودفع أخاه.

"تباً، كانت الشرطة في طريقها إلى هنا، وكان عليّ أن أحذرك، أنا..."

أمسكه ليو من كتفه وقال له:

"لقد قمت بعمل جيد يا أخي الصغير".

وابتسم.

"كنت بمفردك في الظلام. كنت جزءاً من ذلك يا ڤينسنت، وقد اتخذت القرار بالنيابة عنا. لقد اخترت الوثوق بك، ولم تخيّب أملي. كانت العملية السابقة في غابة قديمة، وكانت المياه مظلمة. ولكن، لن تكون الحالة هي نفسها في المرة التالية. إذ لن يكون الهدف الثاني شاحنة مدرعة وإنما مصرفاً. وسيكون هذا الأخير ممتلئاً بالناس".

"أعرف".

"عليّ أن أتأكد من أنك فهمت جيداً. وإن لم ترغب في القيام بالأمر، فبإمكانك الرحيل الآن. لن أقول شيئاً إن اخترت فعل ذلك، كما أنّ فيليكس وجاسبر لن يقولا أي شيء أيضاً. فهذا حقك الطبيعي، ومن واجبي أن أشرح لك هذا".

ابتسم له ڤينسنت بتكلف وقال:

"أريد القيام بذلك".

"أنا أخوك الأكبر، ومسؤول عنك. كما أنني المسؤول عن هذه العملية، لذا لا رجوع عن القرار. يمكنك الرفض الآن فقط".

"أعرف هذا ولا أريد التملص من العملية".

كان الهواء لطيفاً، وهناك إوَزّات بيضاء تتمايل على الموجات الصغيرة وكأنها مستعجلة.

يد ليو التي كانت تمسك بكتف أخيه انتقلت إلى رقبة هذا الأخير، وحضن أخاه الذي يصغره بسبع سنوات، وسارا في طريقهما معاً.

"حسناً إذاً".

بدآ يسيران جنباً إلى جنب في الغابة المتعرجة، وبالاتجاه نفسه الذي سارا فيه في الظلمة.

"عليك ارتداء سترة مقاومة للرصاص، من نوع كيفلار. إنها أفضل ممّا يرتديه رجال الشرطة. وعليك أن تحمل سلاحاً محشواً ورشاشاً يبلغ وزنه تسعة باوندات. ستبدو أكبر. وستنتعل حذاءً أسود اللون، وترتدي بذلة زرقاء، وتضع قناعاً. ستبدو أكبر وأطول، وستختفي ساقاك النحيفتان. لكن، لن تتغير طريقتك في المشي.

توقف ليو وانتظر ريثما توقف ڤينسنت، ثم تابع:

"أنت تمشي وكأنك في السابعة من عمرك. هل تعلم ذلك؟ حين ركضتَ باتجاهنا في تلك الليلة، حين أتيت خلفنا في الظلمة، وحين التفت جاسبر نحوك ورفع السلاح في وجهك... أوقفتُه. فقد ميّزتك، حتى من دون أن أنظر إليك.

عرفتُك من طريقة تحركك".

بدأ ليو يسير مجدداً، ولكن بوتيرةٍ أبطأ. اتسع طريق الغابة، وبدأت خطوات ليو تتوسع أكثر.

"إذا سارت الأمور على خير ما يرام، فعليك أن تبدو كرجُل راشد. هل تفهم ذلك يا أخي الصغير؟ ففي ذلك المصرف ثمة أمناء صندوق سيقفون خلف الزجاج. ويجب أن يؤكدوا تماماً أنّ ثلاثة رجال قد فتحوا الأبواب. كما يجدر بحرّاس الأمن أن يروا ثلاثة رجال حين يقومون بالتدقيق في شريط الفيديو المسجل. يمكنك يا ڤينسنت أن تتعرف إلى أحدهم من حركته؛ إذ يمكن تمييز الحركة وتذكرها. لذا، يفترض بالجميع أن يروا عصابة من السارقين المحترفين وهي تسطو على المصرف، وأن يبدو الأمر كما لو أنهم لم يقوموا في حياتهم بأي شيء إلّا السرقة والسطو. ويفترض بهم أن يتساءلوا عن المكان الذي جاء السارقون منه، وعن هوياتهم، ومدى قوّتهم، وعليهم... أن يقلقوا جداً. ولكنهم لن يقلقوا أبداً إذا بدت مشيتك كمشية ولدٍ مراهق".

لم تعد الطريق تتسع لاثنين.

"اتبعني".

توجّه ليو نحو العشب، ومباشرةً باتجاه المرج الأخضر.

"لتكن خطواتك ثابتة. اضرب الأرض بقدميك، وامشِ مستقيماً، ولا تجزع".

واستدار ليو، فرأى شقيقه وهو يحاول المشي كرجلٍ راشد.

"جيد، جيد، ڤينسنت. تخيّل أنك تزن أكثر، وأنك تعرف وجهتك. فالمراهقون لا يملكون أدنى فكرة عن أي شيء".

توقف ليو، فتوقف أخوه الأصغر. خطوات متوسطة ومسافة كبيرة بين الساقين.

"ثمة فرق بين معرفة اتجاه السير ومحاولة الوصول إلى المكان بخطوات كبيرة".

"فهمت".

"يجب أن يكون مركز الجاذبية منخفضاً أكثر. هكذا".

انحنى ليو قليلاً، وأرخى ركبتيه. وكان ڤينسنت يشاهده ويقلده، إلى أن وضع ليو ذراعه حوله ودفعه قليلاً.

"ليس إلى هذه الدرجة! فلا يجب أن تبدو رقبتك كرقبة النسر. عليك أن تنخفض... بضعة سنتمترات باتجاه الأرض. انظر إليّ. أتفهم كيف؟ منذ الآن فصاعداً انتبه إلى مركز الجاذبية يا ڤينسنت. أحنِ جذعك بهذه الطريقة. هل عرفت كيف؟".

وقف أحدهما بجانب الآخر في الحقل المفتوح، وقفزا برفق.

"أشعر بذلك".

"هل أنت متأكد؟".

"نعم".

وضع ليو يده على صدر ڤينسنت وضغط عليه بقوّة، فلم يقع أخوه الصغير، وبالكاد ترنّح.

"هل شعرت بذلك؟ كنت ثابتاً، أليس كذلك؟".

"نعم".

"جيد. وهناك أمرٌ آخر؛ صوتك".

"صوتي! ما به؟".

"لا يجب أن تبدو في سنّ المراهقة، بل يجب أن يكون صوتك خشناً".

"وكيف أجعله خشناً؟".

"قل كلمة المفاتيح".

"عمَّ تتكلم بحق الله؟!".

"ڤينسنت، قل المفاتيح وحسب".

"المفاتيح".

"ليس بهذه الطريقة، ضخّم صوتك. وكأنك تأمرني. حاول مرة أخرى. قل: أعطني المفاتيح".

"أعطني المفاتيح".

"مجدداً، ضخّم صوتك وارفعه".

"أعطني المفاتيح".

"مجدداً".

"أعطني المفاتيح. أعطني المفاتيح، أعطني المفاتيح! أعطني المفاتيح!".

"عليك أن تبدو مصمماً. لديك نبرة صوتية جيدة، استخدمها منذ الآن فصاعداً، اتفقنا؟".

سارا في المرج، وصعدا التلّ المنحدر متجهين إلى السيارة. وتمايل ڤينسنت وهو يكرّر جملة أعطني المفاتيح في كل مرة يضع فيها عقب قدمه على الأرض.

—

عند مكتب كمبيوتر في كيستا، أوقف ليو شاحنته بجانب شاحنة مشابهة تحمل شعاراً مماثلاً على جانبيها، وهو "CONSTRUCTION INC" (شركة بناء). ثم فتح باب السائق وترجّل من الشاحنة، وانتظر ڤينسنت الذي كان يجلس بهدوء على مقعد الراكب طوال الرحلة.

"هيا".

"أهذا ما في الأمر؟".

"ماذا؟".

"أهذا ما سنقوم به الآن؟".

"نقوم به!".

"أسنقوم بسرقة المصارف؟".

أبقى ليو باب السيارة مفتوحاً، ونظر إلى ڤينسنت الذي لم يكن جاهزاً للترجل من السيارة بعد.

لذا، صعد إليها مجدداً، وطرح على ڤينسنت سؤالاً، ولم يفعل ذلك بدافع القلق أو استباق الأمور.

"ڤينسنت".

"ماذا؟".

"الهدف بجانب المستديرة، إنه مصرف واحد. وهذا مجرّد تدريب".

سار أحدهما بجانب الآخر وهما يرتديان زيّ عمّال البناء نفسه. ارتديا الزيّ كي يستطيعا الدخول ووضع "الباركيه" مع الرجلين اللذين كانا هناك أصلاً.

من عالمٍ إلى عالمٍ آخر.

"في المرة التالية، سنسرق مصرفين في الوقت نفسه".

"هل هذا ما نتدرب على القيام به؟ ثم سينتهي الأمر؟".

"ومن ثمّ يا ڤينسنت، سنسرق ثلاثة مصارف في الوقت نفسه".

المكان نفسه، والوقت نفسه، والمخاطرة نفسها.

"لا أحد معتاد على السرقة يستطيع القيام بما نفعله. ولا أحد يتوقع أن يقوم بذلك أي كان. سنقوم بهذه العملية في الوقت المناسب؛ أي حين تكون هنالك مبالغ طائلة من المال في المصارف... هل أنت معي؟".

"ثلاثة مصارف... في الوقت نفسه!".

"ثلاثة مصارف في الوقت نفسه، وفي الوقت المناسب أيضاً. عشرة ملايين، خمسة عشر مليوناً، أو ربما عشرون مليوناً. وبعد ذلك، سنبيع كل الأسلحة التي بقيت، وسنربح الكثير من المال. وعندها، سيكون لدينا مالٌ كافٍ، وسنوقف عمليات سرقة المصارف. ولكننا سنستمر في القيام بها إلى أن نكتفي".

"لم أفهم الجزء الأخير. من بحق الله سيشتري الأسلحة؟".

"الشرطة".

في تلك اللحظة، فُتح الباب المؤدي إلى مبنى المكاتب، وظهر فيليكس

وجاسبر وهما يرتديان ثياباً مماثلة لثياب ليو وڤينسنت. سارا باتجاه الشاحنة، ونزعا الغطاء عنها وأومآ.

"حان وقت الخروج الآن!".

قاما بتفريغ الرزم الأولى من باركيه خشب السنديان من الشاحنة، ووضعاها على الأسفلت. وحين لم يترجّل ليو وڤينسنت من الشاحنة، طرق جاسبر على إحدى النوافذ الجانبية.

"هيا، اخرجا. أنتما اعتبرتما هذه العملية في غاية الأهمية".

"سنخرج قريباً".

"لا يبدو ذلك".

"سنخرج قريباً".

نظر ليو إلى أخيه الأصغر الذي كان ينظر أمامه. لقد استمع جيداً، وأصبح الآن يفهم الوضع.

"هكذا يا ڤينسنت، رقصة الدبّ".

لطالما فعل أخوه الأصغر ذلك، إذ كان ينقل المعلومات ويحللها.

"رقصة... الدبّ!".

"عليك أن ترقص مع الدبّ يا ڤينسنت إذا أردت أن تربح. لا تقترب منه كثيراً كي تبقى على قيد الحياة، فهو أضخم منك بكثير ويستطيع تمزيقك بسهولة. يمكنك الرقص حوله والانتظار. تأتيك فرصة اللكم مرةً واحدة، وإذا أصبت أثناء ذلك، فبإمكانك الاستمرار بالرقص والاستعداد لتوجيه الضربة الثانية. والأمر نفسه

يطبّق في سرقة المصارف. إذ يمكن لمجموعة صغيرة وعدد صغير من سارقي المصارف أن يهزموا قوات الشرطة. يجب أن تلسع الدبّ في كل مرة، وهذا الأمر يزعجه ويربكه. لا تعطِ الدبّ الفرصة أبداً ليرتاح، بل استمرّ في لسعه ليصاب بالجنون. رقصة الدبّ يا ڤينسنت؛ اللكم والارتباك والاختفاء. قم بالأمر مرةً أخرى، واستمرّ بسرقة المصارف".

وضع ليو يده تحت المقعد، وأخذ كيساً في طريقه إلى الانحلال والتفكك، وفيه مقبض واحد، وأخرج منه مجموعة كتب وقال له:

"ينبغي لك قراءة هذه".

أمسك ڤينسنت الكيس وبدأ بقراءة كل عنوان على حدة.

ألغام – قسم الدليل الميداني للجيش. لم يسبق له أن قرأ أيّاً منها على الإطلاق. متفجرات A – كبسولات متفجرة مرتجلة. حتى إنه لم يسمع بها. كتاب الطبخ الفوضوي. غالبيتها كتبٌ رقيقة. صنع المنزل C-4 – "وصفة للبقاء على قيد الحياة". وأحياناً، كانت الكتب أكثر سماكةً. كيفية صنع كواتم الصوت – دليل مصوّر. وكلها كتب باللغة الإنكليزية. متفجرات B – متفجرات مخصّبة مرتجلة.

قلّب الأوراق بسرعة، وكانت النصوص مليئة بعبارات لم يفهم معناها، وصور حول تصنيع متفجرات صغيرة. في هذه الأثناء، عمد ليو إلى فتح باب السيارة.

"هذا فرضك لهذا الأسبوع".

شاهد ڤينسنت ليو وهو يسير فوق أرضية الباركيه، ويقف وكأنه على وشك أن يقع، ولكنه أمسك برقبة جاسبر بقوة، مدّعياً أنه يصارعه؛ تماماً كما كان

يفعل أحياناً حين يحاول تهدئة الأمور. أسقط فيليكس قطع الباركيه وانقضّ عليهما. كان يصعب عليه أن يقرر ما إذا كان سيصارع ليو أو جاسبر. حتى إنه لم يدرك ذلك.

أخوان بالغان وصديق الطفولة.

أعاد ڤينسنت الكتب إلى الكيس ذي المقبض الواحد، وابتسم.

لم يكن يريد الخروج من الفريق، بل أراد البقاء فيه. أراد البقاء ضمن الفريق.

لسرقة مصرف، أو مصرفين أو ثلاثة.

وقف جون برونكس على الخشبة الأخيرة من الرصيف البحري. خطوةٌ واحدة إضافيّة وسيقع في البحيرة. تذكّر رصيفاً آخر من أيام صيفٍ بعيدة. كاد يسمع صوت وطء الأقدام على الألواح الخشبيّة، وصوت أُمّه وهي تناديهما للعودة. كان سام يسبقه بنصف خطوة تحت المطر الغزير، وهما يركضان من المنزل الصيفيّ الذي يقع في جزيرة صغيرة وسط بحيرة لايك مالارين، هرباً إلى المياه. شعرا بدفءٍ أكبر مع كلّ قطرة مياه تسقط. أحسّا بذاك الشعور، كما يحصل حين تلامس قطرات المياه وجهك عندما تستلقي على ظهرك في المياه قليلة الملوحة.

جلس القرفصاء، وشقّ بيده سطح البحيرة الداكن في شهر نوفمبر، فبدا له أكثر برودة مما يذكر. لا بدّ أنّ درجة حرارة المياه أعلى من الصقيع بقليل. في غضون شهر أو أكثر قد تمتلئ البحيرة بجليد هشّ.

كان الوقت ليلاً عندما أتى إلى المكان في المرّة الأولى. أمّا الآن في وضح النهار، فقد رأى العشب الذي لا يزال أخضر، وغرف تغيير الملابس غير المدهونة.

"جون، أأنت هنا؟".

سمع صوت خطوات وراءه على الرصيف الخشبيّ. لم تكن ثقيلةً، ولكنها كفيلة بجعله يتأرجح ويتمايل ذهاباً وإياباً.

"نعم".

"ويفترض بنا أن... ماذا نفعل هنا تحديداً؟".

أومأت سنا برأسها نحو زورق الألومنيوم البسيط مع المحرّك ذي الثماني أسطوانات، والراسي بالقرب من الرصيف.

"جون".

"أخبرتك. ينتهي الدرب هنا".

"ماذا نفعل هنا بكلّ الأحوال؟".

"سنحاول اكتشاف المكان الذي ذهبوا إليه، وذاك الذي نزلوا فيه، وإلى أيّ طاولة يجلسون في هذه اللحظة وهم يخطّطون للسرقة القادمة. هذا ما سنفعله".

أصبح تعبير وجهها غير مبالٍ. استمعَتْ إلى الأسئلة التي طرحها سابقاً في المرأب بالطريقة نفسها، وبقي صوتها آليّاً وخالياً من التعبير.

"هل من الضروري أن نجلس في زورق متأرجح تحت المطر في "دريفيكن" لنجد حلًّا؛ بالرغم من أنك سبق لك أن قمتَ بالرحلة مرّات عدّة؟".

"أحتاج إلى مساعدتكِ لمعرفة كيف يفكّرون".

وضعت رِجلاً على الرصيف، والأخرى وَضَعَتها في الزورق وهي تصعد إليه حاملةً بيديها مِعطَفَين مضادين للماء.

ناولته أحدهما قائلة:

"ستحتاجُ إليه. فمن المرجّح أن تسوء حالة الطقس".

شدّ حبل المحرّك مرّتين إلى أن بدأت المروحة بالدوران في المياه التي تلونت ببقع أرجوانية و"توركواز" بسبب كميات الوقود الضئيلة التي رشحت إليها، ممّا شكّل بقعاً صغيرة كالجزر على سطح البحيرة. أومأ برأسه بالاتجاه الآخر للرصيف، نحو القصب المرهق الذي شعر بانتهاء الصيف فانحنى برضوخ، ثمّ نحو المياه المفتوحة.

وبالاستعانة بالخريطة المغلّفة والمبسوطة على فخذيه، مرّا ببطءٍ قرب

جزيرتين معروفتين باسم كانينهولمن وميرهولمن بحسب ما تشير إليه الكتابة شبه المقروءة. تمسّك بذراع المقود بخفّةٍ وهما يجتازان الشواطئ المكسوّة بالتنوب والصنوبر، والتي قطعتها تارةً الطوابق العليا للأبنية البنيّة العالية، وطوراً سقف قرميد فيلّا بُنيت قرب الشاطئ حين كان ذلك مسموحاً حينها. بعدئذ، ضاقت البحيرة. بدت بحيرة دريفيكن أشبه بخليجٍ مليءٍ بالنبات والأرض غير المأهولة. من جهة المرفأ اليسرى، تقع محميّة بحيرة فلّاتين الهادئة والخالية من الأبنية والمليئة بالغابات الصنوبريّة والنفضيّة، بالإضافة إلى الحدائق العامة الصغيرة. أمّا الجهة اليمنى، فكستها طرقات مُتشعّبة ومنازل ومجمّعات سكنيّة إسمنتيّة. ضاقت البحيرة بما فيه الكفاية ليتمكّن قارب هارب ومختبئ في الظلام من أن يرسو عند أحد الشاطئين، مع القليل من التعديل في المسار.

"أيّ جهة قد تختارين؟".

تأملت سنا الخريطة أوّلاً، ونظرت إلى الطبيعة أمامها، ثمّ حدّقت إلى الشاطئين وأشارت إلى الضفّة المواجهة للأبنية.

"هذه الجهة".

"وأنا أيضاً".

قرّب جون الزورق من الجهّة التي اختاراها ليفكّرا ملياً. فالمجرم الهارب يغيّر اتجاهاته قدر الإمكان، وقد يختار مكاناً كهذا ليختفي فيه.

"لقد تحقّقت من الأمر. لم يتمّ التبليغ عن أيّ قارب مسروق في هذه المنطقة".

"وماذا لو كان ملكاً لهما؟".

نظرت سنا مجدداً إلى كلّ من المنطقة الزرقاء والخضراء والصفراء على

الخريطة، ووضعت إصبعها على الحدود حيث تتلاقى الألون.

"هناك... خمسة، ثمانية، أحد عشر،... خمسة عشر مرفأً على الأقلّ. وإذا اقتنيا مركباً، فبإمكانهما الانتقال إلى أيّ مكان".

"ذانك الشخصان لن يرسوَا بالمركب ويتركاه في مكانه. فهما ليسا من هذا النوع، لا بد أنهما ينظفان آثار أعمالهما جيّداً".

اجتازا القسم الأوّل من جزيرة سكروبا، ثمّ القسم الآخر منها، وهو أكبر حجماً ولكنه مهجور أيضاً. وبحثا في الشواطئ الصغيرة والجميلة المحاذية للأبنية العالية.

"إنّ السارقين من هذا النوع يتخلّصون من وسيلة هربهم. وإذا كان مركباً..."

اقتربت النوارس بفضولٍ، فقطعت الصمت للحظات بصوتها العالي.

"... فلقد أغرقاه".

اختفت الطيور الشاحبة لتبحث عن أحدٍ آخر تشكو له.

"خلجان صغيرة وكبيرة، أحواض، أماكن للسباحة... كلّ مكان على الشاطئ مناسب للنزول. لا بد أن أحدهم كان بانتظارهم في سيارة فرار أخرى".

"أو ربّما لا".

ابتسم جون. فهما يفكّران معاً على الأقلّ كشرطيّين حقيقيّين.

"أو ربّما لا. قد لا يكون من الضروري أن يتابعا الهرب حال وصولهما إلى محطّتهما الأخيرة. فربّما كانت هذه المنطقة هنا موطنَهما".

أومأ برأسه نحو قسم صغير من الشاطئ، خلف شجرة قديمة أغصانها متنامية الأطراف مغمّسة في الماء.

"كانت الساعة تشير إلى السابعة، أو ربما الثامنة. واكتسى الشاطئ حينها بعباءة سوداء. أينما اتّجها، فلا بد أنّ أحداً ما قد أرشدهما إلى الطريق باستعمال الإشارة الضوئيّة".

قفز أرنبان برّيان صعوداً على التلّة، وهما مذعوران وخائفان من القارب القادم.

"إذاً، برأيكِ ماذا حصل؟".

"أتسألني عن رأيي؟".

"نعم".

"أتعلم شيئاً يا جون؟ إنني لا أُبدي رأيي بشيء. فأنا مملّة لدرجة أنني أكتفي بكتابة ما أُثبته بالتحقيق الجنائي".

"لكن، ماذا ترين؟ بماذا تفكرين في حال كنت س... تفترضين أو تخمنين بعض الأمور؟".

"أنتَ بإمكانك أن تفترض، أو بالأحرى يجب أن تفترض بما أن هذا ما يفرضه عليك عملك. فما تراه في مسرح الجريمة، وما تسمعه في التحقيق يجب أن تقوم بتفسيره. أما أنا فلا أفسّر، بل أثبّت الأدلّة والوقائع، أي ما هو موجود في الحقيقة. هذا هو عملي".

"وفي حال أردتُ أن أعرفَ رأي سنا بالموضوع، وليس ما أكّده أخصائيو الطب الشرعي؟".

نظرت إليه، فبادلها النظر.

"هيا".

"بإمكانك أن تجلس في مركب، أو أن تنزل منه وتهرب".

"سنا تعتقد..."

غير أنها لم تقل شيئاً، بل أومأت برأسها.

"لا أحبّذ ما يسمّى التّخمين".

"نحن في وسط بحيرة، ولن يسمعكِ أحد غيري".

لم تتنهّد فعليّاً، بل بالكاد فعلت ذلك.

"سنا تعتقد أنّ الرجلين الاثنين- فنحن حتى الآن نعلم فقط بوجود اثنين من المشتبه بهم- اللذين هاجما الحارسين وسرقا الشاحنة المدرّعة قد ارتكبا جريمة مماثلة سابقاً، وتمّت معاقبتهما عليها. وهي تعتقد أنّ أفعالهما كافة تُظهِرُ ذلك؛ أي الطلقات والوحشيّة والعزيمة والاستعداد لتحمّل المخاطر".

فجأة، انجرفا نحو الشاطئ، وصارت الحجارة تحيط بالقارب، فقاده نحو الخارج.

"كما أن... سنا تعلم أنّ الأقاويل حول حدث كهذا يتم تداولها بين الناس. هناك، بين الجدران".

نظرت إليه بتمعّن لأوّل مرّة منذ أن جلسا وجهاً لوجه في القارب.

"ما إن تحدث الجريمة حتى يكتشف الذين في الداخل هوية الفاعل، أو على الأقلّ يتوقعون ذلك ويتشاورون في محاولة منهم لمعرفة ما حصل".

علمت أنّه فهم ما قالته.

"هناك، في الداخل، يمضي الناس أوقاتهم بفراغ ومن دون عمل، أليس كذلك يا جون؟".

كانت من بين الأشخاص القليلين الذين عرفهم عن كثب.

"هناك، حيث يتحدّثون عن جرائم سابقة، وكذلك عن جرائم ستحصل قريباً. لا سيما إذا كانت الجريمة ناجحة؛ أي عندما يتفوّق أحدهم على النظام بالدهاء والحيلة، ولا تملك الشرطة أيّ حلّ للّغز. جون، لا يجب أن تجلس هنا وتتحدّث معي، وأنتَ تعلم ذلك، بل يجب أن تتّجه إلى هناك، ويجب أن تكلّمه. إنه أخوك. لأنّه إذا كان الأمر كما نظنّ فعلاً، أي أنّ من ارتكبا الجريمة مجرمان خطيران وسيعيدان الكرّة، فهو يعلم أكثر بكثير ممّا نعرفه أنا وأنتَ".

"كلا".

"ولِمَ لا؟".

"لن يفيدني الأمر في شيء".

"في الحقيقة، عليك أن..."

"كلا".

اجتازا ممرّ غابة بمحاذاة شاطئ سكوغاس المليء بالأبنية العالية. كان التناقض واضحاً: الهدوء والجمال والرقّة بمواجهة شيءٍ هائج وبشع وقاسٍ.

"لم تتغيّر مطلقاً يا جون؛ فأنتَ تبحث عمّا هو شخصيّ عند الآخرين".

"وكذلك أنتِ... لم تتغيّري البتّة".

كل يوم، كانت تسكن أفكاره وقلبه وتتمسّك بها أكثر؛ مهما حاول الهرب. مضت عشر سنوات من دون أن يتمكن من نسيانها. استمرّا معاً لسنتين فقط، وعاشا معاً سنة واحدة. في ذلك الوقت كانا لا يزالان شابين، وكان العام يبدو أطول.

"فرِحتُ كثيراً عندما تركت الحارس المصدوم ومشيتُ نزولاً نحو الرصيف ثمّ... رأيتُكِ، أو الأصحّ أنني لم أركِ لأنّ الوقت كان ليلاً، ولكنّني ميّزت خطواتِكِ وعلمتُ أنكِ أنتِ من أراها".

كان قد حاولَ بناء علاقات أخرى؛ لا سيما في السنوات القليلة اللاحقة، لكنها كانت عائقاً في طريقه. وهذا ما لاحظَته النساء الأخريات اللواتي رافقنه. فقد كنّ يتنافسنَ مع شخصٍ غائبٍ، أو بالأحرى مع طيفٍ ملعون.

"بالفعل، أنت لم تتغيّر يا جون. تبّاً... ألهذا السبب جررتني معك تحت المطر وفي هذا الزورق اللعين؟!".

أدارت الجزء الأعلى من جسدها بعنف، فوقعت الخريطة من حضنها وتمايل الزورق. كما لو أنها أرادت النزول إلى المياه.

"أنت تعلم جيداً أنني لا أريد ذكر الموضوع. لقد تخطّيتُه يا جون، وأنتَ تعلم ذلك! إلام ترمي؟".

بدا مشتتاً من جديد. فمن جهة، هو الرجل ذو المهارة في الاتصالات والمنطق والتحليل بوضوح وثقة. ومن جهة أخرى، هو ذلك الولد الجاهل بطريقة حديث الناس بعضهم إلى بعض.

"أفكّر فيكِ... كلّ يوم".

"وأنا لا أفكّر فيكَ أبداً".

هو من تركها، وهي التي ناحت. وعندما تخطت ذلك تخلّت عنه.

كان قد اتصل بها بعد سنةٍ، فقالت له ما قالته له الآن؛ وهو أنّها قرّرت عدم التفكير فيه أبداً. كما لو أنه... لم يكن موجوداً على الإطلاق.

والآن، كرّرت ما قالته سابقاً.

لقد انتهت مرحلة من حياتها، وقد رمتها إلى أبعد حدود.

"أهذا كلّ شيء يا جون؟".

جلس بصمتٍ، وظهر الشخص الآخر فيه مجدداً، أي الولد.

"هل بإمكاننا أن نكون شرطيَّين جدّيَّين مجدداً، أو زميلَين؟ وبإمكاننا أن نتظاهر أنّك اقترحت القيام برحلة الزورق هذه بهدف حلّ قضيّة جنائيّة؟".

أومأ برأسه بوهنٍ.

"في هذه الحال..."

رفعت الخريطة مجدداً.

"... نعلم أنّه بالرغم من قيام المحققين الذين عيّنتهم بالتفتيش والتحرّي بدقة إلّا أنهم لم يجدوا شاهداً واحداً رآهما وهما ينزلان".

ثمّ مرّرت يدها على الخريطة المغلفة بالنايلون لتمسح قطرات المطر المستقرّة هناك، فجعلتها المياه ضبابية.

"وكذلك نعلم أنّه بالرغم من الاستعانة بالكلاب والطوّافات والحواجز وأخصائيّي الطب الشرعي الجنائي، إلّا أننا لم نجد أيّ أثر لهما".

كانت البحيرة تؤدّي بعد مسافة قليلة إلى خليج طويل من المياه الباردة، لذا حان وقت الاستدارة. ضغط جون على المقود، وانعطف ببطء.

"ما نحن متأكدون منه يا جون هو أنّ هناك رجلين قد اختطفا شاحنةً مصفّحة، ثم تركاها في منطقة قرب المياه. وأيّ شخصين يختاران هذه الوجهة المنعزلة يجب أن تكون المنطقة مألوفةً بالنسبة إليهما. لذا، لا بدّ أنهما يعرفان المكان جيداً، وسبق لهما استكشافه. فمعرفتهما بذلك الموقع هي الأفضليّة الوحيدة التي كانا واثقين منها".

تخطّاها بنظراته لأوّل مرّة خلال هذه الرحلة. وكانت القناة قد أصبحت أوسع، وعادا مجدّداً إلى المياه المفتوحة. زاد سرعته، وبقيَت أمامهما خمسٌ وأربعون دقيقة للوصول إلى الرصيف.

"كنتَ تبحث في هذه المنطقة. يجب أن تعود يا جون، وتُكمل البحث".

كانت أنيللي قد ركنت السيارة المستأجرة بالقرب من السلسلة الحديدية ذات القفل الثقيل، بعيدة قليلاً عن الطريق السريع. إنها "ڤولڤو 240" حمراء اللون. كان ليو قد اختار بحذر وبدقّةٍ النوع واللون. فهذه السيارة هي الأكثر انتشاراً في السويد. كان ليو قد استأجرها عندما استأجر الشاحنة الكبيرة التي ستنقل أثاثهما من الشقّة إلى المنزل.

سحبت بقساوة أكبر مقبض مكابح اليد، إذ كانت قد ركنت السيارة على منحدر، ولذلك أرادت التأكّد من ثباتها.

حزمت الأغراض كافة من خزائن المطبخ، وسارت من غرفة إلى غرفة بين صناديق الكرتون المكدّسة. كانا ينتقلان إلى منزل آخر، ولكنه ليس كما توقّعت تماماً. غير أنّه وعدها بالانتقال إلى منزل آخر تختاره، وذلك بعد سنة واحدة فقط؛ حين ينهون كلّ شيء. فحينها، سيصبح بإمكانها اقتناء أي منزل، في أي مكان وبأي سعرٍ كان. كانت قد استقلّت الحافلة والقطار بضع مراتٍ من دون علمه لتصل إلى منطقة سلتزجوبادن، وتنزّهت وحيدة حول المنازل العملاقة ذات الحدائق الضخمة. كانت أحياناً تستقلّ عبّارة في الاتجاه الآخر، وتُبحر مجتازةً منازل ضخمة أخرى، غرفها كثيرة العدد. وكانت تعرف أنّه في اليوم الذي سيعيشان فيه بهذا المستوى، سيقرّر سيبستيان أن ينتقل للعيش معها.

طوت معطف المطر، وأدخلت ساقَي سروالها في ساقَي حذائها المطاطيّ، ثمّ سارت على الطحالب والأوراق الرطبة وهي تحملُ سلّة فطر في يدها اليمنى. كان ليو قد أرشدها إلى ما يجب عليها القيام به بدقة كما يُرشد أخويه، وكانت تحبّ ذلك كثيراً، وتصغي إليه بانتباه لتتذكّر جيّداً ما يقوله، ولتفعل بالتحديد ما أراده. لم يسبق لها أن جمعت الفطر من قبل، أمّا الآن فانحنت للنظر إليه عن قرب، ولاحظت

وجود فطر بني، ثمّ فكّرت في أنه يُعرف باسم "كارل-جوهان". يا له من اسمٍ غريب! والأغرب هو جمع الفطر. لم تستطع فهم ذلك أيضاً. فلقد بحثت عن الفطر ولكنها لم تلتقطه.

وجدت نوعاً إضافيّاً أصفر اللون. إنه يُدعى "شانتيريل". هذا النوع عرفَته.

فجأةً، سَمِعَتْ نُباحاً.

يوجد كلبٌ، وربما أكثر. كان الصوت قريباً. لم تكن وحدها.

التقطت القليل من الفطر بعد، بعضه أبيض والبعض الآخر شبه أسود. يجب أن يمتلئ قعر السلّة بالفطر إذا أرادت أن تبدو فعلاً أنها تقوم بجمع الفطر. هذا ما وضّحه لها ليو مرّات عدّة.

لم تحبّ الفطر أو التوت يوماً، ولم تفهم يوماً ما يجذب الناس إلى الغابة. فقد كانت مهجورة جداً، وشديدة الظلمة، ومليئة بالأصوات الغريبة.

ازداد النباح، وبدا أقرب هذه المرّة. إنّه كلب كبير، ربما هو من فصيلة الراعي الألماني.

"ماذا ستفعلين اليوم؟".

"سأركب دراجتي".

"تحت المطر!".

"إنها لا تمطر كثيراً. ليس هنا على الأقلّ".

أحياناً كانت تفعل ذلك؛ إذ تتصل بسيباستيان عندما ينتابها هذا الشعور، ولطالما كانت تُحسّ بالارتياح بعد ذلك.

"إنها تمطر قليلاً فقط هنا".

"آه".

"أنا في الغابة... أجمع فطراً كبيراً وصغيراً. وأفكّر في حبيبي".

"حسناً، يجب أن أذهب الآن".

"لكن..."

"لقد انتعل أبي حذاءه. إلى اللقاء".

"قبلات حارّة، أراكَ..."

ساد الصمت في الجهة الأخرى من الهاتف، وكان هذا هو الأسوأ.

"... قريباً".

كان قد أنهى المكالمة، ولم يُفدها بشيء. فهي ما زالت وحيدة، والغابة شديدة الظلمة وتشبه تابوتاً خشبياً تنبعث منه رائحة الثمار الفاسدة والوحل.

نبحت كلاب عدّة، وسمعتها جيّداً الآن. كانت تحذّر بنباحها شخصاً ما.

ومن دون أن تعي الأمر، كانت قد اقتربت من الساحة الواسعة المغطاة بالحصى والمفتوحة وقليلة الأشجار، حيث يوجد هواء ونور أكثر. هذه هي وجهتها المقصودة، ولهذا السبب تنقّلت حاملة سلّة فطرٍ في يدها، ومدّعيةً جمعها الفطر كي تصل إلى مستودع أسلحةٍ خالٍ.

غير أنّها رأت شيئاً ما يتحرّك هناك. فقد لمحت أشخاصاً يرتدون ثياباً خضراء بين الأشجار والشجيرات العالية، وسمعت أصواتاً نقلتها الرياح.

لقد اكتشفوا المكان.

هذا ما أبقى ليو مستيقظاً ومبلّلاً بالعرق في اللّيالي، حين اعتقد أنها نائمة. إذ سهر لأسابيع وهو قلق وعاجز عن النوم.

لقد تحقّقت مخاوفهما.

تحركت "أنيللي" بضع خطواتٍ سريعة هاربة في الاتجاه الذي أتت منه. فعليها أن تُخبره، يجب أن يعلم. ثمّ توقّفت على نحوٍ مفاجئ بالقوّة التي بدأت تركض فيها من قبل. علمت أنّ هناك أحداً ما، بل عدّة أشخاص يتجوّلون مع كلابهم في الموقع نفسه الذي اقتحم فيه "ليو" و"جاسبر" و"ڤينسنت"، وسرقوا الأسلحة التي كانت موجودة في الداخل. هذا كلّ ما كانت تعرفه. فقد أُعطيت إليها تعليمات على غرار أخوَي "ليو"، وأُوكلت إليها مهمّة، لذا هي متورّطة.

استدارت مجدداً، وسارت ببطءٍ نحو الموقع.

كانت كلابٌ ذات أنياب حادّة تنبح بصوتٍ عالٍ، فتذكّرت العضّة على خدّها الأيسر، والتي حصلت عندما قفز عليها كلب من نوع بوكسر حين كانت في الخامسة من العمر. حينها، اعتقد صاحبه أنّه يلعب معها. لذا، منذ تلك الحادثة، ما إن ترى كلباً كبيراً يقترب منها حتى تجتاز الشارع إلى الناحية الأخرى. إنها تعلم جيداً أنّ الكلاب تحسّ بخوفها الشديد، ولهذا السبب تسترعي انتباهها.

استطاعت رؤيتهم الآن.

رأتهم من بين أغصان الأشجار المتفرعة في الغابة فيما كانت تقترب، من وراء الأشجار. خمسة... ستّة... سبعة أشخاص يرتدون ثياباً خضراء. إذا استمرّت في التقدم إلى الأمام، ووطئت الحصى، فبإمكان الكلاب الإحساس بخوفها. لا خَيار عندها. يجب أن يعلم "ليو" أنهم اكتشفوا أمر الحفرة والنفق.

سارت بين أغصان شجرة كثيفة الأوراق حتى كستها هذه الأخيرة بالكامل. استطاعت أن تقف في الوسط، ومن هناك رأت المبنى الإسمنتي مكعب الشكل.

كانت متأكّدة من أنّ الباب ما زال مغلقاً.

كان بالفعل مغلقاً!

كانت على وشك أن تغادر بالحذر نفسه الذي اقتربت به، حين بدأت تنزلق ببطء على طول الحافة الموحلة نحو الخندق الذي فصل الطحالب عن الحصى؛ أي فصل الغابة عن المبنى العسكري.

انطلق صوت عالي التردّد في الهواء نتيجة اصطدام نعل حذائها بشظايا الأحجار.

عندها، تحمّست الكلاب وشدّت السلاسل.

لقد سمعتها.

كانت "أنيللي" تقريباً خارج الخندق على القمّة عندما انزلقت مجدداً.

"هل تريدين مساعدة؟".

لم يكونوا سبعة بل ثمانية. وكانوا يرتدون اللباس الموحّد، ويضعون الخوذات البيضاء المطبوع عليها "ش.ع". وكانت الكلاب من نوع الراعي الألماني كما توقّعت، وقد لحقت بها.

"هل... تمسكونها بإحكام؟".

"هذه منطقة عسكريّة".

"أنا... أخاف من الكلاب، أنا... "

عندها، اتّجه الجنديّ الطويل ذو الشارب الأشهب والذي بدا المسؤول عن الفريق نحو الكلب الذي يقف في الطليعة. كانت عينا هذا الأخير الصغيرتان شاخصتين نحوها.

"هيّا كاليبر، اجلس".

كان يضع مسدّسه في قراب من الجلد البنيّ معلّق على كتفه. وبدا ودوداً.

"فكّرتُ في أن... تلقي عليه التحيّة".

فكّرت أنيللي في سرّها: يجب أن أصل إلى المبنى الإسمنتي.

"إذا مددتِ يدكِ إلى أنفهِ".

هذه كانت تعليمات "ليو". هذا ما أراد منها أن تفعله.

"فقط... دعيه يشمّ يدكِ".

تابعت أنيللي التفكير في سرّها: أمام الباب هناك حفرة مخفية. يجب أن أعرف إذا كانت لا تزال ثابتة، أو بدأت تنخفض.

"كما ترين... إنه وديّ إذا كنت لطيفة".

ابتسم الآن لأوّل مرّة. ألقت أنيللي نظرة سريعة على خوذته التي كُتِب عليها "ش.ع"، أي الشرطة العسكريّة، ثمّ نظرت إلى الكلب الجاثم بجانب حذائه الأسود، وتساءلت عما إذا كان يستطيع التمييز بين أنواع الخوف؛ خوفها البدائيّ اللا واعي، وخوفها من تنفيذ مخطّطها. هذا هو الخوف الذي أحسّت به الآن. فقد خافت من فكّ الكلب المفتوح؛ لأنّها ربما ليست الوحيدة هنا التي تعلم أنّ المبنى

الإسمنتيّ الذي يبعد بضع خطواتٍ خالٍ.

"هل... هل بإمكاني أن أجتاز الطريق... إلى الجهة الأخرى من ساحة الحصى؟".

"ليس هذا مسموحاً. فكما قلتُ لك، هذه منطقة عسكريّة".

"حسناً".

"نحن من الشرطة العسكريّة، ونتمرّن هنا. لذا، سأطلب منكِ الرحيل".

"لم أعلم ذلك... "

"هناك لافتة كتب عليها: ممنوع الدخول معلّقة في الأسفل".

"أنا... لم أرَها. فقد سرتُ عبر الغابة بعد أن ركنتُ السيارة في..."

"إذاً، ماذا كنت تفعلين هنا؟".

رآها تتردّد، وكذلك سائر الرجال الذين يرتدون اللباس الموحّد.

"أنا..."

رفعت السلّة التي كانت قد وضعتها على الأرض.

" أجمع الفطر".

نظر إلى قعر السلّة الممتلئ بأغصان البتولا.

"ليس لديكِ الكثير".

"كلا... "

"لكن هذا... يُعرف بالبوق الأسود. إنّه نادر الوجود، أين وجدتِه؟".

ضحكتْ بعصبيّة وتصنّع، وأمِلتْ أن تبدو مسترخية قليلاً.

"لا تكشف عن مصادركَ أبداً، أليس كذلك؟ لكن، لا يوجد الكثير منه كما تعلم؛ بسبب المطر".

"لا يمكنكِ البقاء هنا".

الآن، ابتسمت هي أيضاً، وانحنى رأسها إلى الجانب قليلاً.

"إذا أمكنني اجتياز المكان من هنا يا سيّدي فسأغادر بطريقةٍ أسرع".

نظر إليها، فظلت مبتسمة بقدر ما يلزم لتتمكّن من إقناعه.

"بالطبع. اختصري الطريق".

راقبوها إلى أن توقّفت عند المبنى الإسمنتي واستدارت.

"ما هذا المبنى الصغير؟ هل هذا بيت الكلب؟".

واقتربت أكثر لتتفحّصه.

"كلا".

"كلا؟ قد يكون..."

"إنه مستودع تعبئة".

على بعد بضع خطوات من الباب، هنا، أو هذا ما اعتقدته على الأقلّ. إنها تقف في بقعةٍ كانت فيها حفرة ليس منذ وقتٍ بعيد. كادت تلمس الجدران الرماديّة الشبيهة بالهيكل الصدفيّ. هكذا أسماها ليو؛ "هيكل صدفيّ إسمنتيّ خالٍ".

"مستودع تعبئة!".

وضغطت برجلها اليمنى على الحصى بقوّة.

"في حالة اندلاع حرب، نستعمله لتجهيز الوحدة".

لم تكن الحفرة مساميّة أو ناعمة. فتلك التي حفروها وطمّوها من جديد لم ترَها أو تشعر بها.

تابعت أنيللي سيرها مجدّداً، فيما كانوا يراقبونها.

أحسّت بالعيون ذات النظرات الحادّة مسلطة على ظهرها.

لقد أنجزت المهمّة، بالرغم من الكلاب السائل لعابها، وقلبها المتألّم، وعرقها المتصبّب أسفل ظهرها تحت المعطف.

"عفواً!".

كانت قريبة جداً من الهرب حين سمعت صوته أقوى من قبل.

"عفواً!".

تردّدت، ثم توقّفت، وأغمضت عينيها.

كانت تنتعل جزمةً عالية الساقين، وترتدي معطفاً واقياً من المطر، وتحمل سلة الفطر التي تحتوي على البوق الأسود.

في هذه اللحظة، إنها امرأة تتجول في الغابة، وهذا ما تحبّ فعله.

"نعم؟".

"أنتِ تجمعين الفطر بحسب قولكِ؟".

"نعم. أو... بالأحرى أبحث عنه".

وأمالت رأسها نحو وجهه جدّي الملامح.

إنه يعلم.

"أأنتِ واثقة من أن ما جمعته ليس من النوع السام؟".

إنهم يعلمون الحقيقة.

"سامة!".

لقد علموا منذ البداية.

"الحبة البنيّة المائلة إلى الأصفر في الوسط كذلك. يجب أن تبحثي عن معلومات في ما يتعلق بهذا الموضوع".

"أنا... أتقصد..."

"قد تكون من فطر "وييكاب" السام. يحتار الكثير من الناس بين هذا النوع من الفطر وفطر الإنائية".

وابتسم قبل أن يتابع:

"يجب أن تنتبهي".

ابتسَمَ، وكانت ابتسامته حقيقيّة. لم يطلب منها العودة، ولم يسألها عن الحفرة أو عن مستودع الأسلحة المنهوبة.

أومأت برأسها قليلاً، ثم لوّحت بيدها. تمنّت لو كان بإمكانها أن تستدير طوال الوقت الذي تجتاز فيه ساحة الحصى لتراهم وهم يبتعدون أكثر فأكثر،

ولكنّها لم تفعل.

ركضت عبر الغابة، وراحت تقفز فوق الجذور والأحجار، ثمّ قادت السيارة نحو "تومبا" أسرع ممّا تخيّلت. كانت تقف على بعد بضع خطوات من المبنى الإسمنتي. ليو، أحسستُ بها، ما زالت ثابتة، والحصى مرصوصة بإحكام. كانت مرعوبة. سرتُ نحوهم، وكلّمتهم. وكانت كلاب الشرطة حقيقيّة يا ليو، إنها من فصيلة الراعي الألماني، وأكبرها على الإطلاق. كانت قد أمسكت بالسلّة ولوتها كي يروا الفطر الذي اختارته. وقفتُ هناك أمام ثمانية رجال شرطة وهم ينظرون إليّ. لم أعِ أنني أخدعهم.

ضحكت أنيللي بصوت عالٍ لنفسها، وأحسّت بشعورٍ رائع. كانت قد اجتازت الغابة وهي تشعر بنوعين من الخوف، وكانت قلقةً من أن تميّز الكلاب بينهما. والآن أدركت أنّه خلال كلّ ذلك الوقت، على مرّ الأيام وخلال الأسابيع الأخيرة، أحسّت بنوعٍ ثالث من الخوف؛ خوف أكبر. أمّا الآن، فقد تحرّرت منه بالضحك. إنّه ذاك الخوف على مصير الرجل الذي تحبّه، والخوف من ألّا تتمكّن من التحكّم به. إنّه ذاك النوع من الخوف الذي يضعف عند التعرّض للخطر من أجل المحبوب. وها هي تواجه الخطر، ها هي متورّطة. فقد أُوكِلت إليها مهمّة لا يقدر على إنجازها أحد سواها، ولقد أنجزتها أفضل ممّا تصوّروا.

أُضيئت الإشارة في الوقت المناسب، فاجتازت ذا بلو هاوس، ثم عبرت بوابة منزلهما الجديد الذي تحيط به الأسلاك الشائكة. لكنهما سيسكنان هنا لسنة واحدة فقط. بإمكانها أن تصمد لسنة واحدة. بإمكانها أن تصمد حتى النهاية مثلما صمدت وأتمّت مهمّتها في الغابة.

كانت هناك شاحنة تقف عند المدخل، وصندوقها الخلفيّ مفتوح، وهي خالية بالكامل. لقد نُقلت الصناديق كافة. أمِلَت أن يهدأ فيليكس وڤينسنت

وجاسبر كعادتهم ليستمعوا إليها وهي تخبر ليو بما حصل معها.

كانت تبعد عن المنزل بضع خطوات، واستطاعت رؤية الصناديق المكدّسة فوق بعضها عبر نافذة في الطابق السفلي. كانت تضغط مقبض الباب الأمامي غير المُقفل إلى الأسفل حين رأتهُ وهو يخرج من البناء الآخر، أي المرأب الكبير، وكادت تركض نحوه.

"ليو..."

بدأت بالحديث قبل أن تصل إليه.

"... لقد عُدتُ".

كان يجب أن يكون الآخرون هنا أيضاً.

"ومنذ الآن فصاعداً، أنا..."

كان يجب أن يصغوا إليها. فيليكس وڤينسنت وجاسبر.

"... ملكتُكَ في السرقة!".

أمسكَت به وقبّلتهُ على خدّه وعلى شفتيهِ.

"كان هناك أشخاص".

"أشخاص!".

"من الشرطة العسكريّة. ثمانية أشخاص مع كلابهم".

كانت تهمس من دون أن تعرف السبب.

"لكنّه كان تدريباً عسكرياً. فعلتُ بالتحديد ما طلبته مني".

تغيّرت ملامح وجهه.

"ماذا... فعلتِ؟".

"تفقّدتُ الحصى أمام الباب. تحسّسته برجلي. أنا..."

تغيّر شعورها، ولكن ليس كما يجب أن يكون.

"ماذا تقولين؟".

"بالطبع. ولم يشكّوا في شيء".

وتضايقت عندما نأى عنها بأفكاره. إذ راح يفكّر بأفكار لم يكن بمقدورها أن تتوقعها.

"إذاً، أنت تقولين إنك وقفتِ هناك، بعيدةً خطوةً واحدة عن المبنى، وكشطتِ الأرض بقدمك في حين يشاهدكِ ثمانية رجال من الشرطة العسكريّة!؟".

قبّلتهُ مجدداً بفخر.

"نعم، ولقد..."

نظر ليو حوله؛ نظر إلى المنزل حيث اعتقدت أنهما سيسكنان، ثمّ إلى الطريق، ثم إلى السيارة الأولى المتوقّفة على أحد الممرات المزدحمة.

"هيا بنا إلى الداخل".

أمسك بها بقوة أكثر من المعتاد، ولكن ليس بقوّةٍ كبيرة، بل بما يكفي لتتبعه، ثمّ أغلق الباب الرئيس.

"الشرطة العسكريّة".

كان النور خافتاً في الردهة، وتمايل الكابل الصغير المعلّق في السقف والذي تتدلى منه "لمبة" ذهاباً وإياباً عندما ارتطم بها ليو.

"باستطاعة المدرّبين أن يلاحظوا أشياء أنتِ لا تلاحظينها. ومع ذلكِ، وقفت أمامهم... وكشطت بقدمكِ الأرض كالهرّة التي تطمر بولها!".

فجأة، صار الضوء ساطعاً ومزعجاً.

"ليو، لقد قمتُ فقط بما عليّ..."

"هل عرفوا اسمك؟ هل أطلعتهم عليه؟".

"كلا، أنا..."

"هل رأوا السيارة؟".

"أنا..."

"إذا رأوها فبإمكانهم أن يتعقّبوها!".

عادة، كان يحاول جاهداً ألّا يغضب أو يفقد أعصابه، وأن يتحكّم بها دائماً.

لذا، تفاجأت بليو جديد لم تعرفه من قبل.

"كلا، لم يشكّوا في شيء".

"لا شيء!".

"أقسم يا ليو".

كانت قد رأته هكذا من قبل، ولكن فقط عندما واجه رجالاً آخرين عند

التحدي. حتى إنها كانت تحبّ ردّة فعله هذه، فقد كانت تشعرها بالأمان.

"في حال وجدوا أنّ الصندوق فارغ بالكامل وتعقّبوكِ، فسيخضعونكِ للاستجواب. أنتِ تعرفين هذا، أليس كذلك؟".

لكنّه لم يصبّ جام غضبه عليها من قبل قطّ، أو على أيّ من أخويه، أو أيّ شخص قريب منه.

"وخلال الاستجواب، سيجلس شرطيّ أحمق ومعتوه أمامك، وسيقلب كلّ ما تقولينه ضدّكِ، ويطالبك بأشياء إلى أن ينال مُبتغاه. هل بإمكانكِ تحمّل ذلك يا ملكتي في السرقة؟".

"ماذا دهاكَ؟ توقّف عن هذا!".

"إذا لم تتحمّليني الآن، فلن تستطيعي أن تتحمّلي الاستجواب".

كان المكان مزدحماً بالأغراض؛ الصناديق الكرتونية المكدّسة، والكراسي، والطاولات، والمصابيح، ورفوف الكتب؛ مجمّعة بعضها فوق بعض، وبالقرب من بعضها بعضاً.

"من المستحيل أن أسلّمك للسلطات".

أمسكَ بيدها، وأسند جسده إلى الحائط. كان من السهل عليه التنقّل إلى الأمام من هناك. فإذا دفعا بضعة صناديق جانباً فقد يصلان إلى المطبخ.

"في الاستجواب، وفي حال سألني أحدهم... ليو، انظر إليّ... أنت تعرف، أليس كذلك؟ لن أخونَكَ يوماً".

"حسناً، لن تتعرّضي للاستجواب في حال أدّيتِ واجبكِ على أكمل وجه".

دفع ليو صندوقين وآلة القهوة جانباً ليشقّ طريقه الضيّق نحو الثلّاجة، ثمّ فتحها.

"أنتِ تعيشين حياتين اثنتين الآن يا أنيللي. الأولى داخليّة، والثانية خارجيّة".

كانت الثلاجة خالية من الداخل، وتحتوي فقط على علبة ثلج.

"منذ ستة أسابيع اقتنيتُ شركة بناء. كان كلّ من فيليكس وڤينسنت وجاسبر موظفين لديّ. وأنتِ- المرأة التي أحبّها- خطيبتي، وصديقتي".

وجد دلو الثلج في أعلى الفرن، خارج الصندوق.

"منذ ستة أسابيع".

وفي الصندوق أسفله، وجد منشفةً.

"ثمّ سرقنا الأسلحة".

أفرغ علبة الثلج في الدلو المخصص لذلك.

"ثمّ سرقنا الشاحنة المدرّعة".

فتح باب الثلاجة وأخرج الشيء الوحيد الذي وجده في الداخل، أي القارورة الموضوعة على الرفّ العلويّ.

"إنهم يتعقّبوننا يا أنيللي، أتفهمين هذا الأمر بجدّية؟ لقد تبدّل كلّ شيء. فالشرطة تبحث عنّا هناك في كلّ مكان، بجدّية".

لفّ القارورة بمنشفة بيضاء، في الأعلى حيث يلتقي الرأس ببقيّة القارورة.

"لقد تغيّر كلّ شيء وسيستمرّ بالتغيّر. لا نزال في البداية، وستسوء الحال. أنت تعلمين ذلك؛ تعلمين كلّ شيء لأنني أثق فيكِ".

إنها قارورة شراب فاخر مزيّنة بفلّينة كبيرة ورقعة لاصقة جميلة، وملفوفة بمنشفة بيضاء، وموضوعة في دلو الثلج.

"انتبهي كي لا تتركي أيّ أثر. ولا تخاطري بأن يراك أحد. فهم لا يعرفون شيئاً حتى الآن، ولا يملكون أيّ دليل. الآثار الوحيدة الموجودة هي تلك التي اخترتها أنا. نحن خمسة مجرمون يعملون معاً من دون أن يكون لدينا أيّ ملفٍّ إجراميّ. وهذا شيء لم يروه من قبل. إننا مجرمون أقوياء نرتكب جرائم خطيرة، ولكن من دون وجود أيّ أثر لنا في ملفّات الشرطة. نحن نعتبر كابوسهم الأسوأ، فلا أثر لنا على الإطلاق!".

أمسكها مجدداً، ولكن ليس مثلما فعل من قبل، بل بنعومة، وشدّها نحوه.

"سنعيش حياتين يا أنيللي. الأولى سيراها جيراننا، والأخرى هي الحقيقيّة؛ أي سنكون سارقي مصارف تتكلّم عنهم الصحف كافّة".

في إحدى خزائن المطبخ الأخرى الخالية كأسان جديدتان لم تُستعملا من قبل. وضعهما ليو بجانب بعضهما على المغسلة، وشدَّ غطاء الزجاجة، فأصدرت صوتاً مثلما يحصل في الأفلام، ثم ملأ الكأسين.

"في صحّتك يا أنيللي، على نيّة منزلنا الجديد".

لقد أرسل أخويه إلى منزلهما لأنّه يعلم أنّني لا أريدهما أن يمكثا هنا.

كما وضع قارورة الشراب في الثلاجة لأنّه يعرف أنني أحب هذا النوع من الشراب.

"بصحّتكَ".

رفعت كأسها ونظرت إليه، ثمّ شربت. لم يكن للشراب أيّ طعم، ولم ينزل إلى حلقها، بل سال خارجاً وبلل ثيابها. لم تفهم السبب. كانت قد ضحكت بفرحٍ حين كانت في السيارة المستأجرة، وأدركت شعورها؛ إنه الخوف من عدم الانتماء. هذا ما أحضرته معها من الغابة، أي كونها متورّطة وبأمان، وقد جرّدها من هذا الشعور في هذه اللحظة. لذا، لم تعد تحسّ بالأمان مجدداً، مهما حاولت أن تبتسم.

كانت تحب أن تتنقّل عارية على الأرض الخشبيّة اللمّاعة. وكانت هي التي علّمته أن ينام وهو عارٍ، وأن ينظّف أسنانه وهو عارٍ، وأنّه يحقّ لجسمه الصعلوك والمترهّل أن يكون كذلك. عند طاولة المطبخ التي اقتنياها من قبل، كان جون يجلس في الموقع نفسه الذي يقف فيه الآن، فيما كانت هي تجلس في الجهة المقابلة في أوّل صباح تحوّل فيه الخجل إلى صمتٍ. لم يتحدّثا عن أي شيء وقتها ليتجنّب أحدهما النظر إلى الآخر. فجأةً، لمست قدمها قدمه. كانت ملامسة قدمها لقدمه كفيلة بإعادة التقارب والثّقة اللذين فقداهما منذ أوّل أمس. بالرغم من أنّه لطالما اعتقد أنه من المستحيل أن يتعرّى أمام أحد.

سكب جون برونكس الحليب الأبيض فوق الشاي الأسود.

"أنت تعلمُ أنني لا أريد التكلّم عن الموضوع. لقد... تخطّيت الأمر. جون، أنتَ تعلم ذلك".

وضع فنجانه الفارغ في حوض الجلي، ثم لبس وخرج من شقّته ذات غرفة النوم الواحدة إلى الفناء الذي يقع في الجانب الغربي من سودرمالم في ستوكهولم. مشى في صباح نوفمبر الدافئ كما لو كان الخريف والشتاء نائمين، والصيف قد زحف عائداً ليمرح قليلاً. ثم اجتاز الفناء نحو شارع أوغاليد حيث توجد دار العبادة الضخمة ذات البرجين. كان الجرس في دار العبادة يطلق رنيناً إيقاعياً أربع مرّات كل ساعة، رنيناً كان يجده مزعجاً في السنوات الأولى القليلة التي عاش فيها هنا، أمّا الآن فلم يَعُد حتى متأكّداً من أنه ما زال موجوداً هناك، رغم أنه ما زال يرنّ. من خلف نافذة كانت دوماً مفتوحة، دوّى صوت راديو ستوكهولم، وسمع تقارير عن زحمات السير المحلية. ثم دخل مقهى كان في الواقع مخبزاً، في داخله طاولتان

صغيرتان، وتفوح فيه رائحة الخبز الطازج. كان الخبّاز الذي يقدّم خبزاً إيطالياً وهو يغنّي الأوبرا يعلم تماماً كيف يحبّ "جون" طعامه؛ من دون طماطم.

طلب فنجان شاي آخر.

في يوم من الأيام، بعد مرور سنتين على عيشهما معاً، أخرج ثيابها من الخزانة وحزمها، مع غسول الجسم غير المعطّر، ومعجون الأسنان، وكتابين؛ وهي أشياء كان الناس يحضرونها معهم عندما ينتقلون للعيش مع أحد آخر. ثم وضع الحقيبة الكبيرة صفراء اللون على السجادة في الردهة، وطلب منها الرحيل. وبينما بذلت أقصى ما بوسعها لتفهم سبب قراره، كان جالساً هنا في المقهى يشرب كفايته من الشاي العشبي، على مسافة قصيرة منها، وذلك كي يتأكّد من أنّ لديها الوقت الكافي كي تغلق الباب وراءها.

التقط برونكس كأساً من عصير الليمون، وبعضاً من البسكويت الصغير والجاف الذي كان لا يزال مخبوزاً.

أفكّر فيك كل يوم.

كان قد طلب منها أن تنتقل للعيش معه. غير أنه قرّر أنها أصبحت قريبة منه جداً، في تلك اللحظة التي امتلك فيها القوّة كلها. ولكنه لم يفهم ذلك حينها. فإذا لم تكن مدركاً لهذا النوع من القوة، ولم تكن حازماً بما فيه الكفاية، إذا لم تكن تعلم كيف تستخدم تلك القوة، فسوف تؤخذ منك مجدداً بعد عشر سنوات على متن قارب. إنها تحمل ذلك في قرارة نفسها، أي شعورها بالقوة، في حين أنها تشعر بالوحدة فقط.

وأنا لا أفكّر فيك أبداً.

تكلمت معه بالنبرة نفسها التي تستخدمها عند الحديث عن التقارير أو

عندما تقوم بتحليل مواقع إرساء السفن على طول شواطئ دريفيكان.

كان قد احتسى القهوة وعصير البرتقال، وتناول الخبز السميك وقطع البسكويت المستديرة والجافة، ولكنه بقي جائعًا بالرغم من كل ذلك، فمرّر طرف إصبعه على الطبق، ملتقطًا الفتات الأخيرة المتناثرة عليه.

عاد لِيَرتادَ شواطئ دريڤيكن مرّات ومرّات. كنتَ تبحث هناك. لم تبدُ حركتها عادية لمدة معينة. عليكَ أن تعود وتستمرَّ بالبحث. من المفترض أن يكونوا قد عرفوا المكان وزاروه مراراً من قبل.

أومأ برأسه إلى الخباز الذي يلف حول خصره مئزراً أبيض، وسار ببطء باتجاه السيارات التي تطارد بعضها بعضاً في شارع لانغهولم قاصدة وجهاتها في الصباح. وصل إلى أسفل جسر فاستربرون، وسار محاولاً تفادي برك الوحول التي تشكّلت ليلة أمس، إلى أن وصل إلى الأعلى ليرى منظراً لا يمكن رؤيته من أيّ مكان آخر. بدت العاصمة رائعة الجمال. رجع خطوة كبيرة إلى الوراء خلف الدرابزين كالمعتاد، خائفًا من أن ينتابه دافع مفاجئ للقفز بعدما وصل إلى هذا الارتفاع الشاهق.

جعفر وغو باك.

كان بانتظارهما أحد ما في قارب في حوض السفن هذا حيث أضاعت الكلاب رائحتهما. التقاهما أحد ما في مكان الهبوط المظلم هذا وأقلّهما معه.

كان الدرابزين أكثر ارتفاعًا في الجانب الآخر من الجسر، على الطريق نزولاً باتجاه جزيرة كونغسهولمن والأرض الصلبة، فسار ليقترب من الحافة مجددًا، ولكنّ المنظر لم يعد خلابًا كالسابق بالنسبة إليه.

دخل المزيد من الأشخاص المشهد.

أقلّهما أحدهم إلى فارستا. لم يتم الإبلاغ عن أيّ مركبات مسروقة أو متروكة، ولم يستقل أحد يجلس على كرسي متحرك قطار الأنفاق أو الحافلة للوصول إلى موقع حصول السرقة.

ثمة درج حجري يقود نزولاً إلى حديقة رالامبشوفز، مرورًا بالدرابزين الخاص بألواح التزلج، وملاعب البوتشي والمهرولين. وفي الجانب الآخر من الشارع المزدحم، مقابل ملكيات الواجهة البحرية غالية الثمن، يقع مركز عمل الشرطة السويدية.

ثمة أربعة منهم، أو ربما خمسة. إنهم مجموعة. ولكل مجموعة قائد يدير تحركاتها، ولديه تاريخ، ويتمتع بخبرة واسعة. فالإنسان لا يتحول من إنسان عادي إلى سارق مصارف بطريقة مفاجئة وتلقائية، بل يأتي ذلك نتيجة تراكمات كثيرة.

من أنت؟ جعفر أو غو باك؟ ما اسمك الحقيقي في دليلنا؟ وماذا ارتكبت في الماضي من أعمال موثقة عندنا؟ وما هي صلتك بالأثر الأخير والشاطئ وحوض السفن الذي اخترت أن تختفي منه؟

نظر ليو وهو يحمل فنجان القهوة في يده من نافذة المطبخ المتسخة إلى السماء في الصباح الباكر، إلى ما تبقى من أشعة الشمس التي تحاول اختراق الظلام. انتابه شعور بوجود خطب ما. كانت الأمطار تهطل من دون توقف، ولكنه اعتاد منذ صغره على صوت زخات المطر وهي تطرق على حافة النافذة. كان ينقل الصناديق، ويبدل "اللمبات" الكهربائية المكشوفة المثبتة إلى السقف. فتح النافذة على مصراعيها، فحمل الهواء النقي معه إلى الخارج رائحة مياه الصرف الصحي الكامنة في المنزل الذي بقي خاليًا لأشهر عديدة، منتظرًا دخول مالك جديد إليه ليجعل المياه تجري في المرحاض والدشّ والمغسلة.

نقل كأسي الشراب من أعلى الصندوق الكرتوني إلى المغسلة. لم تكن تبدو مسرورة، ولكن لا خيار آخر أمامه.

كانت الرسوم الثلاثة مكدّسة على أعلى الكومة التالية من الصناديق. أخذ ليو الرسم الموجود في الأعلى وتفحّصه. هذا حزام توصيل، وهذه مضخة صرف. لقد صمم ورسم كل خطوة بنفسه، وعرف كيف تعمل وكيف سيحوّلون معاً هذه الرسوم إلى كهف الجمجمة.

أُخطّط لِما يجب أن نفعله، وأعرف أنني من سيتحكّم بالأمر.

كان يحمل الرسم نفسه بيده حين خرج من المطبخ متوجهًا إلى الردهة وإلى الغرفة الوحيدة التي لا تحتوي على أيّ صناديق. هناك إلى يسار المدخل، الغرفة الملحقة التي كان أحد المالكين السابقين يستخدمها كمكتبٍ.

وسأقوم بذلك بطريقة محترفة للغاية كي لا يتمكن أحد من أن يطالني.

كان يقضي العطلة وهو يرسم عدّادات انتظار السيارات الجديدة التي مرّ بها عند توجّهه نحو المدرسة. وكان بكل بساطة يخلع المسمارين العلويين الموجودين على الآلة من الخلف باستعمال إزميل ومطرقة، ثم ينقب عندما لا ينظر إليه أحد في الصفيحة الرخوة التي تغطي الآلة ويستخرج منها قطع النقود الصغيرة كافة. كما كان يدّعي أنه يبري قلم الرصاص الخاص به أثناء الحصة الأخيرة في المدرسة فيما يسند النافذة بلطف لتبقى مفتوحة. وعندما كان يعود إلى منزله، كان يهرع مسرعًا ليضبط المنبّه، ثم يعود عند منتصف الليل برفقة فيليكس النعسان الذي يقف في الخارج حاملاً كيس نفايات أسود، فيما يقفز ليو من النافذة المفتوحة إلى الداخل، ويرمي إلى الخارج كل نماذج البناء التي طلبها أستاذه: طائرة "إيرفيكس" بشكلها الحقيقي والتي تعود إلى الحرب العالمية الأولى، وسيارات "ريفيل" كتلك الموجودة في فيلم "الجرافيتي الأميركي"؛ إذ كان من المفترض استخدام هذه النماذج في حصص دروس تدعى "الوقت الحرّ".

لم يدرك ذلك حتى وقت لاحق؛ أي ما كان واضحًا كالشمس أمامه في

كل مرة.

فهو يقوم بما لم يتوقّعه الآخرون إن استخدم القواعد التي غيّرها.

عندما سرق قطع نقود قيمة من عدّادات انتظار السيارات كل واحدة منها بقيمة خمسين سنتًا، أو حين سرق النماذج من غرفة الصف، كان يشعر في كل مرة بأنه يتحكم بعالمه، هذا العالم الذي لم يكن ظاهرًا من الخارج. فقد صمم على عدم تكرار ما فعله والده أبدًا، أي على عدم إصدار الضجة وإفساح المجال للآخرين ليروه ويقبضوا عليه. فقد كان يصنع قواعده الخاصة مثل والده، ولكنه يبقيها في داخله، حيث لن يراها أو يعرف بها أي شخص آخر.

—

كان جون برونكس يتوجه دائمًا إلى مركز شرطة كرونوبورغ من شارع بيرغز. وكان يسير كل صباح على مدار السنة من المخبز الإيطالي الصغير إلى جسر فاستيربرون لمدّة عشرين دقيقة. كانت هذه الفترة بمثابة فسحة للتفكير بهدوء بعيدًا عن ضجيج الحافلات وقطارات الأنفاق. كان يعمل في المكتب نفسه منذ أن خلع الزيّ الرسمي ليرتدي الثياب المدنية، ولم يعد ذاك الشرطي الذي يدخل مسرح الجريمة أولاً حاملاً بندقيته بجهوزية تامة، بل أصبح محققاً يصل في وقت لاحق، جامعًا الخيوط ومستنتجًا ما حصل من آثار الجريمة ومخلّفاتها- صدى الأصوات المهدّدة، وحرارة الجسم الذي يستعد للهروب- وراسماً بهدوء التفاصيل الجغرافية لأعمال العنف التي حصلت.

فتح الملف وقلّب صفحات التحقيق مع الشهود، وتقارير البحث، وآراء الخبراء، فعثر على المغلف البني في النهاية. وهو الذي يحتوي على صور مكبّرة للزجاج المكسور المتناثر على مقعد السيارة، ولثقوب الرصاصات في باب السيارة. حمل برونكس الصور وقلّبها، ونظر إليها عن قرب، ثمّ من مسافة أبعد إلى أن

استسلم، فشغّل الحاسوب وفتح سجلاً يسمى "نظام تسجيل الجرائم". عاد- كما اقترحت عليه سنا- إلى المكان الأخير الذي تمت رؤية جعفر وغو باك فيه، باحثًا عن أيّ شخص لديه صلات بمنطقة السباحة المهجورة في سكوندال، شخص تولّى إخفاء كل الآثار المادية، ولكنه أبقى آثارًا سلوكية واضحة نتيجة استخدام القوة المفرطة.

كانت هناك خريطة كبيرة في الدُرج الثاني، ففتحها، وبدأ يظلل خطّاً بواسطة قلم تظليل أحمر اللون على طول شاطئ دريفيكن. ثمّ ظلل بقلمه الخط الأسود الذي يمثل أحد الشوارع، وكرر العملية مجددًا، حتى أعاده في النهاية إلى الشاطئ الذي بدأ به، أي حيث اختفى الأثر.

تشمل هذه المنطقة ثلاثة أميال مربعة.

وضع إحدى أصابعه داخل الساحة، وتوقف عند كل شارع جديد، وبحث عن كل عنوان في الكمبيوتر ليقوم بعملية البحث الأولى عن الأشخاص الذين كانوا يعيشون داخل الساحة؛ أي الأشخاص الذين سجنوا لارتكابهم جرائم وأعمال عنف.

"مرحبًا".

عملية البحث الثانية التي قام بها كانت عن الأشخاص الذين لم يعيشوا هناك، والذين حكم عليهم لارتكابهم جرائم وأعمال عنف داخل هذه المنطقة.

"جون، مرحبًا!".

نظر إلى الأعلى من فوق الشاشة، فهو لم يسمعها حين دخلت.

"هل أيقظتك من النوم؟".

اتكأت سنا برفق على هيكل الباب، حاملةً كومة من الأوراق في يدها.

"تمّ ترقيم اللفائف كافة من الخلف بالأرقام 80 700".

جالت بنظرها في أنحاء الغرفة عند دخولها، فاحصةً إياها. فنظراً إلى كونها اختصاصية في علم الأدلة الجنائية، إنها تقوم بذلك من دون إدراك، أو ربما بصفتها شخصًا عاديًا يقوم بذلك بدافع الفضول.

"ما يؤكّد ما كنّا نعرفه؛ أي الصناعة السويدية، وهي للاستخدام العسكري".

أعطته كومة الأوراق التي كانت بحوزتها، ولكنّها كانت لا تزال مأخوذة بما يحيط بها. إنها غرفة مؤسساتية. ثمة صناديق كرتونية على طول الجدران والأرض، وكأنه لم ينتقل فعليًا إلى هنا، وكأنه أراد أن يكون هذا المكان بمثابة محطّة قطار عابرة.

"منذ متى... حصلتَ على هذا المكتب؟".

"منذ أن انتقلتُ للعيش هنا".

"أي منذ عشر سنوات تقريبًا، ولا دلالة على استخدامك له منذ زمن طويل كهذا! حتى إنه لا يوجد غرض شخصي واحد، أو صورة لك... أو أي شيء".

"لا".

"جون... لا تفوح رائحتك من هذا المكان".

"هذا ما أردت للمكان أن يكون عليه تمامًا".

تصفّح كومة الأوراق من دون النظر إلى الأعلى.

"إذًا، هل أنهينا عملنا هنا يا سنا؟".

لم يرها عندما التفتت وهمّت بالخروج من الغرفة.

"أجل، أنهينا يا جون".

لكنه سمع خطواتها التي كان يعرفها جيدًا وهي تتلاشى في الردهة.

نظر إلى شاشة الكمبيوتر أمامه، ونظام تسجيل الجرائم، ونتائج بحثيه الأولَين، ووجد أنه تلقّى ما مجموعه سبع عشرة نتيجة.

—

قاس ليو بدقة الغرفة الملحقة بالمنزل والتي تبلغ مساحتها 123 قدمًا مربعة.

ثم نظر من النافذة الوحيدة الموجودة في الغرفة باتجاه المدخل، ورآهم يصلون. كانوا يجلسون ثلاثتهم على المقعد الأمامي.

كان الرسم الأول- "كهف الجمجمة"- لا يزال في يده، كما كان يفكر في حل لمشاكل التخزين التي يواجهونها.

أوقفوا السيارة عند الباب الأمامي، إلى جانب السلالم السفلية والشرفة المؤقتة. وصلوا في الوقت المناسب، وكانوا يرتدون الملابس الملائمة. أزال فيليكس الغطاء عن الجزء الخلفي من الشاحنة، فأنزل جاسبر وڤينسنت آلة ثقب الصخور التي تزن ستّين باونداً، وأربع معزقات، وأربعة مجارف، وصندوق معدّات خشبيًّا، وكيسًا يحتوي على أقنعة وقفازات خاصة بالجراحة، وصندوقاً من شراب الكوكا – كولا الغازي.

"نحن من تخطّوا الحدود، وغيّروا القواعد".

ملأوا الغرفة بالأدوات، فيما تابع ليو كلامه.

"إنّ هذه الحدود والقواعد تُطبَّق فقط إلى حين يفتحون صندوق الأسلحة ويكتشفون أنّ 221 سلاحًا آليًا قد اختفت".

أعطى فيليكس المِخَلّ الأطول الموجود في العلبة، واحتفظ لنفسه بالمِخَلّ الأقصر. أخرج أولاً اللوح القاعدي الموجود على أرضية الغرفة، ثمّ السجادة البلاستيكية الصفراء، وأخيرًا طبقة من ألواح الخشب المضغوط والخشب الحُبَيبيّ. لقد كسروا ألواح الأخشاب وقطّعوا كلاً منها إلى قطعتين، فيما نقلها جاسبر وڤينسنت قطعةً قطعة، ووضعاها بالكامل في كومة موجودة بالقرب من الشاحنة.

"سنتخطى الآن الحدود أكثر فأكثر. وسنضع قواعد جديدة مجددًا".

أصبحت الأرض عارية بعد دقائق قليلة.

"حتى إنّهم حين يفتحونها ويكتشفون السرقة، سيكون بحوزتنا صندوق الأسلحة الخاص بنا".

وفيما كان راكعًا على ركبتيه، رسم مستخدمًا مسطرة تنطوي وقلم رصاص قاسيًا، رسم مستطيلاً في وسط الأرض، يبلغ طوله ست أقدام وثمانية إنشات، وعرضه خمس أقدام وخمسة إنشات. ثمّ أخذ آلة ثقب الصخور الثقيلة بإزميلها الفولاذي الكبير والحاد الذي يخترق الإسمنت بطريقة متقطعة.

"بدأنا بداية جيدة، وعلينا أن نستفيد منها. سوف نضرب بسرعة. إنها العملية الأولى منذ ثلاثة عشر يومًا".

كانوا قد تركوا حزام النقل في الجزء الخلفي من الشاحنة، لكنّ جاسبر

وڤينسنت حملاه الآن بينهما، بأربع أذرع مشدودة ترتجف، وُضعت المعدات الثقيلة في الفناء الخارجي، وتم تمديد حزام النقل إلى النافذة ليتمكنوا من التخلص من الطين والحصى ونقلها إلى الشاحنة بسهولة.

"ثمة مصرف عند المستديرة".

لقد استأجروا الشاحنة ليوم واحد، ومن المفترض أن يركنوها تحت امتداد ملحق حزام النقل، ومن المفترض أن يسقط الطين في الجزء الخلفي منها كي ينقل بعيدًا، وكان على فيليكس أن يكرر العملية مرات عديدة. كانت الرائحة كريهة ونتنة وناتجة عن مئات السنوات؛ بسبب النباتات المسحوقة والتالفة. بدأوا بحفر الأرض، غَرفة غَرفة من الوحول اللزجة على عمق ثماني أقدام للتأكد من إزالة ما كان سابقًا قاع البحيرة، ويحتلّ مساحةً لا بأس بها. نقلوا عشرات ومئات، بل آلاف مغارف الطين، وفعلوا كلهم ذلك بطريقة مختلفة جدًا. نظر ليو إلى فيليكس، فإذا بهما يعملان بالوتيرة نفسها. لم يشعر فيليكس بالتعب مطلقاً. وإن حصل ذلك فهو لم يظهره قطّ. فقد كان يحفر بحركات منتظمة ومتكررة وببطء، ويهزّ المجرفة قليلاً قبل أن يرفعها. أما جاسبر فكان يتذمر وهو يحفر في الزاوية الثانية من المستطيل بكامل جسمه، ووجهه وشعره مغطّيان بالوحل، فيبطئ قليلاً بعد حين، ثمّ يبدأ بالتكلم محاولاً الهروب من مشقّة العمل عن طريق التسلية. في حين كان ڤينسنت الأقرب إلى حزام التوصيل يغرف في كلّ مرّة كمية أقلّ من الطين، وذراعاه أشدّ نحولاً، وظهره أكثر طولاً ونحافةً، وكان ينقل نظره بين ليو وفيليكس، محاولاً تقليد طريقتهما في الحفر.

قدم واحدة.

—

"ما إن تطأ أقدامنا أرض المصرف ونعطّل الكاميرات، حتى يضغط أحد

الموظفين على جهاز الإنذار الأول. وإن كان أحد رجال الشرطة يجلس في سيارة دورية قريبة، فعليهم أن يفهموا أننا لن نتوانى عن استخدام المزيد من العنف".

راحوا يجرفون كميات محدودة من الوحول، مطلقين أصواتًا متشابهة شبيهة بالشخير، ثم ينقلونها إلى حزام التوصيل الذي ينقلها بدوره من النافذة إلى الجزء الخلفي من الشاحنة. وكانت المادة لا تزال صلبة نوعًا ما.

كانوا يحفرون عبر الزمن.

منذ مئة عام، كانت هناك غابات متناثرة. ومنذ مئتي عام، كانت بركة مهجورة تكمن في المكان نفسه. ومنذ ثلاثمئة عام كانت هناك بحيرة مليئة بالحياة، حيث توجد ضفادع صغيرة وقشريات وسمك.

"هكذا يجب أن تجري الأمور. فالشرطة لا تستطيع، ولن تستطيع، ولا يجب أن تتدخّل إذا كنّا مسلّحين أكثر".

قدمان وستّة إنشات.

—

"ومن ناحيّة سايكولوجيّة محضة، لن تتجرّأ أيّة دوريّة لعينة على الاقتراب عندما نوضِّح للجميع أننا مسلّحون أكثر، ومركّزون على هدفنا، ومنظّمون، ومستعدّون لإطلاق النار".

لم يعد بالإمكان أن يوازن أحدهم جسده على أحد الحيطان، وأن يحفر وهو يقف على حافة الحفرة المليئة بالطين. كان ليو وفيليكس يقفان على المادة البنيّة اللزجة، ويُناولان ڤينسنت سطولاً ملأى بالكامل. وكان هذا الأخير ينحني ليفرغها على الحزام الذي ينقل القذارة من الشباك إلى صندوق الشاحنة حيث وقف

جاسبر ليوزعها بالتساوي بواسطة مجرفة.

"سيشاهدنا رجال الشرطة، وسيطلبون الدعم، وستمتلئ منطقة البحث تلك التي يعملون عليها بعناصر الشرطة مع مرور الوقت... لكننا سنكون بعيدين عندما يبدأون بالبحث".

أربع أقدام.

—

جلس كلّ منهم يأكل البيتزا الخاصة به، والتي تم إحضارها من مطعم البيتزا روبان في المركز المدشّن حديثاً في الجهة المقابلة من الشارع. أنزل ڤينسنت وعاء يحتوي على مياه دافئة. ولكن، مهما غسل ليو يديه الموحلتين، لم يستطِع إلّا أن يشمّ رائحة البيتزا ورائحة البحيرة القديمة التي تغلغلت في أعماقه، وذلك عندما يقرب يديه من فمه.

خمس أقدام.

—

"وعندما يكتمل عددهم، سيعون أنّ أمامنا ستّاً وأربعين طريقاً للهرب. وعندها، سيشعرون بالصدمة".

وضع ليو السطل على الوحل ومدّد ظهره.

قبل اثنين وأربعين يوماً، حفروا حفرةً تحت صندوق الذخيرة، حفرة تشبه نفق هروب من مخيّم للأسرى. والآن، حفروا أغلب منطقة "سكول كيف" التي بدت كمقبرة جماعيّة في الحرب نفسها.

"عندها، سيبدأون بالاستسلام، وسيرغبون في العودة إلى منازلهم لمشاهدة التلفاز والاسترخاء على الأريكة. لدى رجال الشرطة عائلات أيضاً، وأولاد وزوجات. سيكون وقت احتساء الشراب ليلة الجمعة. حينها، سنبدّل نحن ثيابنا وسيارتنا، وسنتجّه إلى منازلنا وأرائكنا لاحتساء الشراب ليلة الجمعة".

ست أقدام وستة إنشات.

—

كانوا قريبين، ولكنهم منهكون أيضاً. وقد جعل التعب جاسبر سخيفاً، فبدأ يتفوه بجمل غير مفهومة تتعلّق بمعدّل إطلاق النار من السلاح الرشاش أي.كاي.4، وتمنّى اقتناء لوحة ترخيص يو.زي.أي. 600. فكّر ملياً بالموضوع يا فيليكس، ستّمئة دورة في الدقيقة.

حفر فيليكس برتابة أكثر، بدون تفكير أو إحساس، جارفاً الطين السائل والنتن، فيما تدلّت قدما ڤينسنت على طرف الحفرة، بجانب السلّم المصنوع من الألومينيوم. قال له حين رآه يتثاءب: أنتَ متعب يا ڤينسنت. فأجابه وهو يتثاءب مجدداً: كلا لستُ متعباً، بل أريح عينيّ فقط. ثمّ دخلت أنيللي مع كاميرتها، فتموضع كلّ واحدٍ منهم في مكان وهم يضحكون، ثم وقفوا معاً كفريق من لاعبي كرة القدم يحتفل بفوزه في مباراة ضدّ الطين العميق في الحفرة. ليو في الوسط يضع يديه على كتفي أخويه، وجاسبر في الأمام وركبته في الوحل، وهو يرسم إشارة الانتصار بإصبعيه. حسناً يا رجال، صورة جماعيّة، حاولوا أن تكونوا جديين الآن. وبعد كلّ صورة جديدة التقطتها أنيللي، ضحكوا بصوت أعلى. انظروا يا شباب، لقد سرقت عصابة اتّحاد المرحاض أكبر قاعدة ميناء في العالم، إلى أن بدأ الوحل الذي يغطي وجوههم بالتشقّق.

تسع أقدام.

طوى ليو المسطرة، واستعمل شاقول ميزان التسوية ليتأكّد من أنّ أرض الطين أفقيّة، وحيطان الوحل عموديّة. سال الماء ببطء إلى الداخل، مثل الحفر التي قاموا بها بعناء على الشاطئ في صغرهم، فأعاد البحر القريب تعبئتها بسرعة. علم أنّ الأمر سيكون هكذا الآن، فهذا ما خطّط له. كلّ خطّة لديها لحظة حاسمة، نقطة تحوّل، وذلك عندما تُحسم النتيجة. شاهدوا في البعيد قارباً خيّم عليه الظلام، على مسافةٍ من الشاحنة المدرّعة. عندما دخلوا المصرف في سفيدميرا وأطلقوا النار على كاميرات المراقبة منذ أسبوعين، لم يكن بإمكانهم في ذلك الوقت أن يسيطروا على الوضع. وقتها، كان من الممكن أن يحدث أي شيء. إذ لم يكن باستطاعتهم توقّع ردّات فعل العاملين خلف الصناديق والزبائن بالكامل. وفي ذلك الوقت، استفادوا لاحقاً من الفوضى والتشويش ليختفوا في المجهول، وتحوّلوا من سارقي مصارف إلى نجّارين. كلّ هذا التخطيط كان يجتمع لدعمهم كي يتفوّقوا. وهذا ما لا يفعله الهواة الذين يدعون أنّهم عصابة محترفة، إذ إنهم لا يخططون للحظاتهم الحاسمة، ولا يتحكّمون بنقاط التحوّل، وبالتالي يسمحون للشرطة بأن تستلم زمام الأمور.

"ليو".

الهواة لا يخططون لكلّ خطوة، بل يتركون أثر النار وراءهم من رائحة الدخان.

إنها اللحظة الحاسمة؛ نقطة التحوّل.

في مثل هذه اللحظة، هو يحفر حفرة حيث لا يجب أن يكون هناك أحد. فهو ينبش مئات السنين المطمورة، ويواجه المياه، ثم يطمر الحفرة، ويصنع نظاماً يؤمّن له التحكم بالمياه. أجل، ولكن ليس بالوقت.

"ليو، أخي، هل أنت متعب؟".

لم يسمع أخاه الصغير حين دخل، فابتسم لدى سماعه السؤال، وأجاب عنه بالنبرة ذاتها التي طُرح بها.

"كلا، لست مُتعباً. فأنا أريح عينيّ فقط".

تمركز ڤينسنت في الرواق مع أوّل عربة يدوية خشنة مليئة بالحصى الدائريّة النظيفة. وكانت العجلات الممتلئة بالهواء تصدر قرقعة وهي تمرّ على العتبة وتتقدّم حتى الحافّة لتفرغ الحمولة الثقيلة في الحُفرة عند رفع مقبضَي العربة إلى الأعلى. أفرغ جاسبر حمولة الثانية، وبلغت الكميّة أربعة وعشرين غالوناً في كلّ مرة. ثم حان دور فيليكس. لقد تطلّب الأمر اثنتي عشرة حمولة لتغطية القاع بطبقة رقيقة من الحصى. وتطلّب نقل أنبوب الإسمنت رجلين من الأعلى واثنين من الأسفل. تطلّب إنجاز الأمر ما مجموعه اثنتان وخمسون حمولة من الحصى التي تم نقلها بواسطة العربة اليدوية لرفع مستوى الأرض وملء المنطقة المحيطة بأنبوب الإسمنت صعوداً حتى الحافة لتصل إلى مياه الصرف الصحيّ. عندما تبدأ مياه البحيرة القديمة بالارتفاع مجدّداً، ستملأ الأنبوب وسيحرّك العوم أوتوماتيكياً إلى مضخّة الصرف الصحي.

نظر ليو إلى الأسفل، وركّز على سطح المياه اللامع، فقد أصبحت المياه التي تسيل عبر الحصى مرآةً له، وعلم أنّ مشكلة التخزين ستُحلّ منذ الآن فصاعداً.

"إنها بئرنا السحريّة الخاصّة يا ليو".

شيء ما فضيّ اللون اخترق السطح ووصل إلى أسفل الأنبوب، فالتقطه. كان قطعة نقدية من فئة كرونة واحدة.

"يجب أن تتركها هناك إذا أردت أن تنجح. ألا تعلم ذلك؟".

وقف فيليكس عند حافة الحفرة، ووضع يده في جيبه، ثم أخرج قطعة

نقدية جديدة ورماها، فالتقطها ليو قبل أن تسقط في المياه.

"ليس هناك حظّ عندما تكون متحكّماً بزمام الأمور. لقد خطّطتُ لكلّ شيء، ولسنا بحاجةٍ إلى بئر أمنيات".

لم يكن جون برونكس متأكداً من أنّه سبق له أن أتى إلى هذا المكان يوماً مطلقاً. دار عبادة، محطّةُ قطار ركّاب، حوض سباحة داخليّ، مكتبة. إنه ذاك النوع من ضواحي المدينة التي يمرّ بها الناس بسرعة.

أنزل زجاج نافذة السيارة الجانبية. لقد أصبح الطقس دافئاً، وتحوّل المطر إلى ضباب، جاعلاً الرؤية في الخارج صعبة. استطاع تحديد منطقة من ثلاثة أميالٍ مربّعة بعلامة حمراء، ثمّ بحث في سجلّات الشرطة عن كلّ جريمة عنيفة ارتُكِبَت داخل هذه المنطقة، ونجح في الحصول على سبع عشرة جريمة.

لم تكن المسافة بعيدة قبل أن يصل. أبنية منخفضة الارتفاع تحيط بها باحات وقوف السيارات، مستديرة أوزمو، ومباشرة خلفها منزل من الآجر مؤلف من طابقين. هذا كان المكان المقصود.

سبع عشرة جريمة على شاشة الكومبيوتر لسبع عشرة قضية في أرشيف الطابق السفلي، كلّها منذ أن أُقفِلَت وتمّ تنفيذ أحكامها. حملها جون، وعرّبها، ووضعها بكدسات مختلفة على أرضية مكتبه.

ثلاثة من المتهمين بالجرائم قد توفّوا. وثلاثة عاشوا خارج ستوكهولم؛ في غوتنبرغ، برلين، وعلى الشاطئ الإسبانيّ "كوستا ديل صول"، وحصلوا على أعذار غياب أكّدت عليها الشرطة المحلّية. وأربعة منهم كانوا موجودين في السجون وراء القضبان عندما ارتكبت عملية السرقة. أمّا خمسة منهم فقد أُدينوا بجرائم اغتصاب، وحكم عليهم نتيجة عمليات اغتصاب متفاقمة الخطورة؛ وهي أفعال لا تتناسب حقّاً مع مظهر العنف هذا.

أبطأ خطاه على مقربة من صندوق البريد الذي قام المالك بدهنه بنفسه،

وركن سيارته أمامه. كان هناك أحدٌ وراء النافذة يراقبه.

لقد بقيت ثلاثة تحقيقات أوّلية. كانت تلك التي تتطلّب الاجتماع وجهاً لوجه، وقد أخذها معه في السيارة في طريقه للقاء المدانين والسجناء السابقين في منطقة سكوندال، والذين كانوا قادرين على القيام بجريمة كتلك.

الاجتماع الأوّل كان على بُعد مبنيين من مقرّ الشرطة، في شارع ساينت إريك؛ إدانة بجرائم مخدّرات خطيرة. رجل في الأربعين من عمره في جسد رجل في العقد الثامن، مُحدودب، وذو شعر خفيف وخدّين غارقين، وعينين مغطاتين بغشاءٍ ضبابيّ. نظر برونكس نظرة واحدة إلى الرجل الذي قصده في شقّة قذرة، واستبعد إمكانية أن يكون مشتبهاً به في عملية سرقة استغرقت عشرين دقيقة تقريباً. وسرعان ما غادر الشقّة التي تقع في وسط المدينة والتي تطل على قناة كارلبورغ، وبعد ذلك فقط أدرك أنهما تقريباً في العمر نفسه، وأنّه لو اختار سلوك الطريق ذاته لتبادلا مكانيهما ربما. إنّ الوقت ليس مجرّد ساعات وثوانٍ.

بيت قرميدي مع حديقة كبيرة. قدّر من طراز الشرفة والنوافذ أنّه على الأرجح قد تمّ بناؤه في العشرينيات. أصبح واثقاً من ذلك الآن، هناك رجل جالس خلف إحدى تلك النوافذ.

قاد السيارة من شارع ساينت إريك وأكمل باتّجاه جاكوبسبورغ والهدف الآخر في منطقة البحث. بعد لقاء قصير، استبعد جون برونكس هذا الاحتمال أيضاً. رجل في السابعة والأربعين متّهم بالقتل غير المتعمّد؛ في ذاك الوقت عندما كانت لديه ساقان طبيعيتان وقويّتان. ولكنه الآن رجل سمين، ومتقاعد باكراً، وأصلع، يتكلّم بهدوء يقارب الهمس، ويشرب القهوة، ولديه ساقان اصطناعيتان معلّقتان بركبتيه إثر هجوم ممنهج أُفيد بأنّه انتقام ثأريّ؛ أُهمل التحقيق آنذاك بعد أن سحب جميع الشهود أقوالهم.

ما زال هناك واحد، ذاك الذي يجلس خلف بعض الستائر التي ما زالت معلّقة هناك منذ زمن بعيد. فتح برونكس ملفّاً كان في أرشيف مركز الشرطة منذ خمسة عشر عاماً، وهو الآن بالقرب منه على المقعد المجاور في سيارته. كانت الصفحات المطبوعة تصف رجلاً في الحادية والخمسين من عمره، هاجر من يوغوسلافيا في الستينيات، ودخل السجن مرّات عدّة. والمرّة الأخيرة كانت بسبب اعتداء متفاقم الخطورة. وقد حكم عليه بالسجن لثمانية عشر شهراً في مؤسسة سجن نورتاليا- صور امرأة تقف أمام خلفية زرقاء كما لو أن صورة مدرسية تلتقط لها، وشعرها مربوط إلى الوراء لكي تظهر جروحها بوضوح- حول العين تورّم شديد ربما تمدّد نزولاً بعد وقت قصير، بالإضافة إلى شقّ بليغ على عظمة الجبهة الأمامية للجمجمة، والذي قام الطبيب الجنائي بغسله وتنظيفه جيداً لكي يظهر الجرح البليغ. غير أنّ باقي وجهها كان أسوأ من ذلك؛ إذ تحوّلت بشرتها إلى ورم دمويّ كبير، وظهرت زرقاء وصفراء. الصورة الأخيرة تمّ التقاطها بمستوى أدنى للجانب الأيمن، فظهرت بشرتها الشاحبة المحيطة بحمّالة صدر بيضاء، وعليها تقرّحات دموية شاسعة تتقاطع وتغطّي المنطقة بأكملها الممتدّة من إبطها إلى وركها. كان منهجياً.

قلب برونكس كدسة الصور؛ إذ لم يشأ النظر إليها. ولكن، فات الأوان. ففجأة، كما يحدث غالباً، احتشدت صور أمٍّ أُخرى أمام ناظريه، وتساءل عما إذا كانت ستقف هكذا أمام عدسات تقنيّي الطب الشرعي الجنائي- بشعر مربوط ولكن لونه أغمق، وتورّمات وكدمات مختلفة- لو أنّها اختارت الإبلاغ عن الأمر.

عاد المطر ليهطل مجدداً، ولكنه لم يكن أكثر من قطرات رذاذ، غير أنها كافية لكي تغشّي رؤية المنزل أمامه. فكّر في تشغيل المسّاحتين، ولكنه عدل عن ذلك؛ فإذا لم يكن باستطاعته الرؤية في الخارج، فلن يكون باستطاعة ذاك الرجل في منزل الطابق الأرضيّ رؤيته أيضاً.

كان هناك المزيد من التحقيقات في الملف، والمزيد من القناعات. دائماً

بسبب الاعتداء، أو الاعتداء متفاقم الخطورة. قضى وقتاً في مركز الاحتجاز في أوستيريبيكر، في سجن إصلاحية غايفل وأسبتونا. وقد اعتدى على مدير بناء في مشروع ترميم في هاديندج، كما اعتدى اعتداء متفاقم الخطورة على مفتّش تذاكر في العبّارة ما بين سلوسين ودجورغاردين، وهناك اعتداء متفاقم الخطورة أيضاً على رجلين في نادٍ على طريق ريجيرينغ، ممّا أدّى إلى هجومه على رجلَي شرطة وصلا إلى ساحة الجريمة للقبض عليه. كانت هذه الاعتداءات- بغضّ النظر عن صور جسم المرأة المهشّم- تبيّن من دون التباس أنه ليس فقط مثال من يعنّف زوجته ويضربها، بل كان يهاجم ويعتدي على أُناسٍ آخرين دونما تمييز.

محكمة مقاطعة هاندين – القضية رقم 301-1

المدّعى عليه دوڤنجاك، إيڤان

التهمة الجنائية الإحراق المتعمّد متفاقم الخطورة

المادة القانونية رقم 8، الفصل 6، الفقرة ب.ر.ب.

العقوبة السجن أربع (4) سنوات

قلّب جون برونكس الصفحات الكثيرة المكتوب عليها بكثافة، والتي تصف نوعاً مختلفاً تماماً من الجرائم؛ إحراقاً مُتَعَمَّداً فائق الخطورة لمنزلٍ صغير في سكوندال على بُعد مجرّد ياردات قليلة من منطقة السباحة وحوض السفن، ونهاية السكّة الحديدية، مع صدور حكمٍ بالسجن في مركز الاعتقال في أوستيريبيكر.

إن شخصاً مُداناً حكم عليه بالسجن ويستخدم غالباً الاعتداء في منهجه، من الممكن وضعه ضمن نطاق منطقة البحث، قد يكون "جعفر" أو غو باك.

خرج برونكس من السيارة، وفتح البوابة.

إنّ الرجل الذي لمحه بنظرة خاطفة وهو يقف وراء ستارة نافذةٍ في الطابق الأوّل، بعيداً من الجهة اليُمنى، ما زال هناك.

—

لقد دعّموا الأرضية، وأعادوا تشكيل أرضية من الآجر حول فوهة البئر. كدّسوا مكعّبات الطوب على الجدران الطينية، من الأرضية إلى السقف، وجَصَّصوها. وقاموا بتركيب مضخّة في قعر البئر، ووصلوها ببرنامج المفتاح الكهربائي لمحوّل التعويم لكي يشير إلى أن مستوى الماء صار مرتفعاً جداً حين يصبح كذلك.

إنّ الرسم الأوّل- أي بناء أرضية كهف الجمجمة وجدرانه- تمّ استكماله.

طوى ليو الرسم ووضعه في حقيبة العدّة، ثم أخرج الرسم التالي. المفصّلات، القطيفة المخملية السوداء المنيعة. إنه يظهر تصميمه لمدخل عبر خزنة أرضية طبيعية تماماً، لن يتمكّن أحد غيرهم من إيجادها. غادر الغرفة التي أصبح وسطها الآن عبارة عن حفرة بعمق سبع أقدام، وخرج مجتازاً الساحة وصولاً إلى المرأب.

سمع ليو ذاك الصوت عندما كان في منتصف الطريق؛ إنه أنين أسنان شفرة معدنية تعمل ببطء خلف الخزنة. وعندما فتح الباب، واجهه رذاذ من الشرر، إنه برادة الحديد التي تحترق وتتطاير بينما يتمّ قطع الكتلة المعدنية. وقف فيليكس هناك في مرأب كان ينبغي أن يكون فارغاً، منحنياً فوق خزنة ثقيلة موضوعة على طاولة العمل، وعلى وجهه الذي يتصبّب منه العرق قناع أسود من البوليا‌ميد المضادّ للحرارة.

"فيليكس، لقد حدّدت تاريخاً ووقتاً ومكاناً".

رأى الشرارات الأخيرة فيما كانت الصفيحة الخلفية للخزنة تنفصل عنها

تماماً.

"مصرف في سڤيدميرا، في 11 ديسمبر، يوم أربعاء".

إنها خزنة عادية تماماً، مكعّبة ومملّة نوعاً ما. صنعت في مصنع للخزنات في مورا ويُدعى شركة هانس داهليكفيست. أدار ليو القفل المزدوج وفتح الخزنة، ثم نظر إلى فيليكس الذي كان في الجانب الآخر ينظر إليه مباشرة.

"ثمّ سنسطو على مصرفين في الوقت نفسه في الثاني من يناير، يوم خميس".

فتح ليو قطعة من المخمل الأسود، وبسطها على النصف الآخر من طاولة العمل، وأخذ المقاسات، وحدّدها بالطبشور الأبيض على الجانب الخلفي، ثم باستعمال مقصّ مسنّن حديثاً قصّ القماش إلى قطعٍ.

"لقد وجدت المكان. هناك مصرفان يتقاسمان الحائط نفسه. بلدة صغيرة مع مستديرة صغيرة في الوسط، يمكنك حرفياً قيادة السيارة حتى أبواب المدخل".

"ماذا عن مسارات الفرار؟".

"لديك حرية الاختيار ما بين الطريق السريع رقم 37، وعدد هائل من الطرقات الخلفية؛ فكلّها تقود إلى هنا".

لقد جفّ الأنبوب قليلاً. دفع ليو المادة اللزجة التي أصبحت أقسى جانباً، وباستخدام دحروجة صغيرة نشر مادّة بيضاء لاصقة على الجدران الداخلية للخزنة.

"أين؟".

"أوزمو".

"أوزمو؟".

"أجل".

"في هذه الحالة... أقترح أن نسلك مجموعة الطرقات مروراً بفاغارو ونانيرباي، أو سوروندا. أي الطرقات الخلفية لتومبا".

وضعت المربّعات المخملية على جدران الخزنة الداخلية الملطخة بالغراء.

مدّدا قطع القماش، وفركاها بأكفّهما إلى أن التصقت تماماً وأصبحت ملساء من دون أيّ فقاعات أو طيّات.

"أوزمو!".

"ممم".

"أوزمو يا ليو!... ماذا كنت تفعل هناك بحقّ الله؟".

كانا يجلسان عند طرفي خزنة كبيرة من دون ظهر، وبالتالي كان من الصعب تجنّب تلاقي نظراتهما.

"ليو!".

"أجل".

"ما الذي كنت تفعله في أوزمو؟".

"العرفان بالفضل".

"كنت هناك".

بحث فيليكس عن تينك العينين اللتين يعرفهما جيداً.

"ليو!".

لم تتمكّن هاتان العينان من النظر مباشرة إلى عينيه الآن.

"لقد كنت هناك... في ذلك المكان. مع ذاك النذل العجوز!".

"أجل. كنت هناك".

"لماذا؟".

"بسبب المال الذي أدين له به. أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟ لقد سددت له الدين لكي لا يكون عليّ سماعه مجدداً أبداً".

"نحن لا ندين له بأيّ شيء يا ليو، متى ستفهم هذا!؟ وقد كان بإمكانك إعادة دفع المال له في أيّ وقت تريده، فلماذا فعلت ذلك في هذا الوقت بالتحديد!".

بقيت هناك قطعة مخمل واحدة، فألصقها ليو على الجهة الخلفية للخزنة؛ المدخل إلى كهف الجمجمة.

"إذاً، لماذا قمتَ بذلك... الآن؟ ليو، أجِبني، اللعنة عليك! لماذا قمت بذلك في الفترة التي قُمنا فيها بسرقة شاحنة مدرّعة، وفيما نحن نخطّط لسرقة ثلاثة مصارف بعد خمسة أسابيع!؟".

"لقد حدث ذلك وحسب".

"بحقّ الله! لقد حدث ذلك وحسب! لقد أردت أن تخبره! أليس كذلك؟".

"كلّا".

"أردت أن تخبره!".

"ولماذا قد أفعل ذلك؟".

"لماذا؟ لماذا؟ أنا أعرفك يا ليو، وأعرف كيف تعملان أنتما الاثنان. إنه يحشو رأسك بمئات الحماقات، ويستمرّ الأمر على هذا المنوال بكلّ بساطة".

"اللعنة، أنت تتحمّس كثيراً، وتثير المشاعر. انسَ الأمر الآن يا فيليكس".

"حسناً، سأنسى الأمر اللعين برمّته. ولكن، انسَ سفيدميرا اللعينة يا أخي، انسَ أوزمو اللعينة. أنا خارج الموضوع. الآن".

كان فيليكس قد وصل إلى منتصف المسافة في طريقه نحو باب المرأب عندما أمسك ليو بكتفه.

"اللعنة على ذلك يا فيليكس، اهدأ".

وقفا هناك لوقتٍ طويل وهما يبعدان عن بعضهما مسافة نصف خطوة، ويحدّقان إلى بعضهما.

"ليو، عِدني!".

"بماذا؟".

كان فيليكس لا يزال يصرخ.

"عِدني بأنّك لن تراه طالما أنني من يقود سيارة الفرار!".

"أنا..."

"عِدني. عِدني!".

وضع ليو يده الثانية على كتف فيليكس الأخرى وقال:

"حسناً، أعدك. هل أنت راضٍ الآن؟ أعدك بألا يكون لديّ أيّ اتّصال بالرجل العجوز مجدداً".

أمال فيليكس رأسه، وحرّك فمه في ما يشبه الابتسامة، بينما كان ليو يضغط بلطف على كتفين أعرض من كتفيه بقليل.

"هل اتفقنا؟".

لم يُجب أخوه الصغير عن سؤاله، ولم يتوقع منه أن يفعل ذلك.

"هل اتفقنا يا فيليكس؟ هل أنت راضٍ؟".

—

قرع برونكس جرس الباب. إنه جرسٌ صغيرٌ مضحك على شكل زهرة.

إن اختار الرجل الذي يجلس خلف الستارة أن ينهض من مكانه ويسير نحو الردهة ويفتح الباب فسيقوم برونكس بما قام به مع الرجل البدين في جيكوبسبرغ، ومع المدمن في سانكت ايريكزغاتن؛ سيطرح أسئلةً لا علاقة لها بالهدف الذي ينشده، وإنما تخوّله الحصول على الأجوبة التي يبحث عنها. من أنت اليوم؟ ماذا بوسعك أن تفعل؟ أين كنت بين الساعة الخامسة وخمسٍ وأربعين دقيقة والساعة السادسة وأربع عشرة دقيقة من بعد الظهر في التاسع عشر من أكتوبر؟

سُمع صوت خطوات. ثمة شخص يمشي متثاقلاً وبقوة، ويطأ الأرض بقدميه، ثم ظهر خيال على الألواح الزجاجية المضلّعة للباب. وفُتح القفل.

"مرحباً، أنا..."

"ستيف خارج المنزل".

لم يتوقع جون أن يكون الرجل بهذه الضخامة. لم يكن أطول منه أو أقوى، بل كان كبير الحجم كما يبدو على بعض الأشخاص عندما تكون على مقربة منهم.

"إنه المالك، وأنا قد استأجرت المنزل للتو".

شعر داكن وطويل مُسرّح إلى الوراء وسالفتان كثيفتان. كان يشبه ألفيس بريسلي بشعر طويل.

"إذاً، عد في ما بعد".

يد قاسية أمسكت المقبض النحاسي وهي على أهبة الاستعداد لإغلاق الباب، ومفصلان غائران بشكل واضح قد برزا، السبابة والوسطى. إنها حركة شائعة لدى الذين يلكمون أحياناً.

"أنا لا أبحث عن ستيف، بل جئت كي أتحدث إلى إيڤان دوڤجاك".

أبرز برونكس شارته الجلدية، فألقى الرجل الضخم نظرةً خاطفة عليها.

"جون برونكس. شرطة المدينة".

نظر إلى الرجل، ومن ثم التفت يميناً ويساراً إلى المنازل المجاورة. إنها أيضاً منازل تحتوي على حدائق واسعة.

"تلقّينا شكاوى كثيرة حول عمليات اقتحام منازل في هذه المنطقة حدثت في الأسابيع الأخيرة. هل لاحظت شيئاً غريباً؟".

"إذاً، هل رجال الشرطة في الخارج يقرعون أبواب المنازل؟".

بدت نبرة الصوت عينها كنبرة المدمن والرجل البدين. إنهم أشخاصٌ اعتادوا على ذلك؛ أي فتح أبواب منازلهم لرجال الشرطة، والتعامل مع الهيئة القضائية في قاعات المحاكم، ودخول السجن. إنهم أشخاصٌ مشتبه بهم على الدوام، ويشعرون بأنهم متهمون طوال الوقت، حتى قبل أن يُوجه إليهم أي اتهام.

"أجل. تستطيع أن تقول ذلك".

"إذاً... ماذا تريد مني بحق الله؟".

لم يتوقع برونكس ردة فعل مختلفة، ولم يتخيّل أن يدّعيا الأدب في حديثهما عن عمليات السطو في الحي الراقي. فقد جاء كي يُبعد الشبهات عن شخصٍ أظهر جهاز الكومبيوتر أنّ مواصفات المتهم تنطبق عليه، أو يثبتها.

"لقد عرضتُ عليك بطاقتي الشخصية، وأودّ أن أرى بطاقتك الآن".

"لا أملك أي بطاقة لعينة".

"حقاً!".

"أجل".

"ولا حتى جواز سفر! ألا تملك شيئاً؟".

"لِمَ عساي أحتاج إلى بطاقة شخصية؟ أهذا ما ينصّ عليه القانون؟ هل عليّ أن أبرز أوراقي في كل مرةٍ يقرع فيها رجال شرطة أغبياء باب منزلي؟".

وقفا جنباً إلى جنب بمحاذاة البوابة الضيّقة. كان لقاؤه المدمن والرجل البدين في مثل هذا الوقت. حينها بدآ يجيبان عن أسئلته، ووجدا بعض الأوراق الثبوتية. فعلى الرغم من أنهما شعرا أيضاً بأنهما متهمان، إلّا أنهما أرادا أن تُرفع عنهما أصابع الاتهام.

"ربما كي تكون فرداً من المجتمع".

"قد أستأجر شقة هنا، ولكنني لست فرداً من أي مجتمع لعين".

ولكن هذه المواجهة غير مبررة. هذا رجلٌ قد يستمر في التذمر طوال الوقت على اعتبار أنّ كل لحظة مواجهة جديدة.

"وماذا بالنسبة إلى تلك السيارة هناك؟".

هز برونكس رأسه ونظر إلى الطريق، باتجاه سيارة ساب قديمة وصدئة، تبرز منها فرشاة طلاء وسُلّم مطوي من المقعد الخلفي.

"هل هي ملكك؟ في هذه الحالة، لا بدّ أنك حائز على رخصة قيادة".

مرر الرجل يده بين خصل شعر ألفيس.

"هل تعتقد أنّني لصّ؟ حقاً! أتظن ذلك فعلاً؟ إذاً، لقد راجعت أوراقي الموجودة في مجتمعكم اللعين".

"أود أن أعرف أين كنت بين الساعة الخامسة والنصف والسادسة والنصف من بعد الظهر في التاسع عشر من أكتوبر".

ضحك ضحكة خبيثة لم تدم طويلاً.

"أي نوع من اللصوص هو ذلك الذي يداهم منزلاً بين الساعة الخامسة والسابعة؟".

تقدّم الرجل الضخم الذي كان مستحوذاً على مساحةٍ كبيرة نصف خطوةٍ إلى الأمام.

"فعلت ما فعلته. لقد فقدت السيطرة. ولكن، أن أكون لصاً لعيناً! ما هذا

الكلام بحق الله؟ أتظن أنني أتسلّل إلى بيوت الناس وأسرق ممتلكاتهم؟ أنا لا أتسلل بل أقاتل. وتستطيع أن ترى ذلك في الأوراق اللعينة التي تحملها".

لم يحرّك برونكس ساكناً، ليس قبل أن يرى أوراقاً ثبوتية.

"لقد أسأت معاملة زوجتك".

"ألقيت قنبلة حارقة في منزل والديها".

"العنف بهدف السيطرة. لست بحاجة إلى أي أوراق لعينة، فأنا أعرف كل شيء".

"حسناً، تباً. سأحضرها إن كنت بعدها ستعود أدراجك إلى سيارة الشرطة اللعينة خاصتك".

ترك الرجل الباب مفتوحاً، واختفى في البهو داخل ما بدا أنه مطبخ، حيث توجد بطاقات كينو وزجاجتا شراب على الطاولة، وسترةٌ رمادية معلّقة على أحد كراسي المطبخ وفي جيبها محفظة بالية.

"شكراً".

أخذ برونكس البطاقة التي كانت مرفقة مع بعض الإيصالات والقليل من المال من داخل المحفظة. رخصة قيادة. إيڤان زوران دوڤنجاك. صادرة قبل سبع سنوات وصالحة لثلاث سنوات بعد.

أعادها إلى مكانها.

"كان بإمكانك أن تبرزها لي في الحال".

"ولمَ عساي أفعل ذلك؟ جئتَ إليّ وأنت تحمل أحكاماً مسبقة عني، مع

أنك تعلم أنني لم أقترف أي إثمٍ منذ عشر سنوات، وأنني لم أتسلل يوماً إلى منزل الناس كجرذ لعين".

"هل من أحد يستطيع أن يؤكد ذلك؟".

وقفا بجانب بعضهما، ولكنهما لم يكونا قريبين بما يكفي. دنا الرجل الذي تبيّن فعلاً أنه إيڤان دوڤنجاك منه، وهزّ رأسه، ورفع ذقنه محدّقاً. مرّ وقت طويل منذ أن استخدم جون برونكس صلاحياته التي تمنحه القوة بهذه الطريقة أثناء قيامه بواجبه.

"جئتَ إلى هنا كي تربكني، وقد تنجح في ذلك إن استمررت بما تفعله".

ولكنه لم يشأ أن يبارح مكانه.

"هل تهددني؟".

"فكّر كما تشاء".

"هل من أحد يستطيع أن يؤكد لي أين كنت بعد الظهر ومساءً في التاسع عشر من أكتوبر؟".

"بإمكان ستيف أن يفعل ذلك".

"ستيف!".

"صاحب الملك. إنه يسكن في الطابق العلوي، ويستطيع أن يثبت أقوالي. اتصل به. إنه يعمل لدى... اتصل بعبّارة غوتلاند اللعينة".

نزل الدرجات، وعبر الطريق الحجري نحو البوابة متجهاً إلى سيارته. لم يكن هناك داعٍ لكي ينظر برونكس خلفه، فقد شعر بأنّ هناك عينين تلاحقانه من

خلف الستائر.

هذا هو تحقّقه السابع عشر من المحكوم عليهم الذين تم إطلاق سراحهم، المجرمين الحاليين والسابقين. فهذا هو الشخص الأخير، وقد صدّقه. فهو شخصٌ يضرب، ولكنه لم يسرق.

كان جعفر وغو باك في مكانٍ آخر.

—

الرسم الأول: بناء غرفة تحت غرفة. الرسم الثاني: تقطيع بواسطة المنشار، وتلحيم في الجهة الخلفية من الخزنة. أما الرسم الثالث: شكل السقف والمدخل الخصوصيين في "كهف الجمجمة". وكان ليو يحمله في يده وقد شارف على الانتهاء منه.

زيوت هيدروليكية. فتحة معاينة صغيرة. حلقات السحب.

وضعا أولاً حديد التسليح من جدار إلى آخر فوق الغرفة السرية التي حفروها؛ لتكوين هيكل معدني مثبّت في خرسانة جديدة. وأرضية الغرفة بحدّ ذاتها سقف لغرفة أخرى؛ واحدة مرئية والأخرى مخفية. إنها خدعة. ثم قاما بإنزال الخزنة إلى وسط الشبكات الفولاذية، حيث كان القفل التوافقي إلى الأعلى ومفاصل الجهة الخلفية التي تم تلحيمها إلى الأسفل؛ إلى أن تمكنا من تثبيت الصندوق الخشبي بمسامير تحت هذا التكوين الهيكلي وصب خلطة الإسمنت الرخوة. بدت الخزنة التي تزن أكثر من ثلاثمئة كيلوغرام معلّقة في الهواء.

"أريد أن أسمعك مرة أخرى".

قام ليو بطيّ الرسم، واستلقى بجانب الحائط على طرف الجهة الطويلة من الحفرة، وأخذ اللوح من فيليكس المستلقي في الجهة المقابلة.

"ماذا؟".

غلّفت مادة رمادية سائلة ومبرغلة حديد التسليح وهما يساويانها ببعضها الآن ويسحبان لوحاً خشبياً من جهة إلى أخرى.

"أتقسم؟".

"بمَ أقسم يا فيليكس؟".

كانت نبضات قلب فيليكس أشبه بالطرق على بابٍ كان يجب أن يبقى مغلقاً. إنها غلطته. فقد فتح الباب لوالدٍ هرع إلى المطبخ وحاول أن يضرب والدتهم حتى الموت.

"هل تقسم إنك لن تراه مجدداً؟".

"اللعنة، ما زلت تتذمر! لقد فعل فعلته وعوقب، لذا توقّف عن التذمر!".

"ماذا؟ هل تدافع عنه؟ اللعنة، أقسم مجدداً!".

أصبح السطح الإسمنتي أملس تماماً. بقيت ثلاث خطواتٍ: حلقات السحب التي سيسحبانها، والزيوت الهيدروليكية التي تشغّل الضاغط كي يتمكنا من إنزال الخزنة بسهولة، والشكل الخشبي الذي سيكون فتحة المعاينة والذي انتهى ليو للتو من صبّ آخر كمية من الإسمنت فيه.

"حسناً، أعدك مجدداً".

وضعا الخزنة في باطن الأرض. بعد كل ذلك الجهد، انتهى أخيراً العمل على الغرفة السرية، فنهض واقفاً وغادر المكان، وخرج من الغرفة، خرج من المنزل كلياً.

"هل تفهم يا ليو لماذا ينتابني هذا الشعور؟".

تبعه فيليكس إلى الخارج، ووقف أمامه.

"تباً يا ليو!".

"كان والدنا عديم الجدوى. إذاً؟".

كان على الأرض خرطوم مياه بالقرب من آلة خلط الإسمنت. صوّب ليو فوهة الخرطوم إلى آلة الخلط، وملأ نصفها، ثم قام بتشغيلها فأخذت تدور وتدور كغسالة الملابس.

"أحقاً لا تعلم؟".

"فيليكس. أصبحنا بالغين، تحرّك".

"ألا تعلم ذلك؟ ما كان ليحصل ما حصل لو أنني لم أفتح ذلك الباب".

"عن أي باب لعين تتحدث؟".

"لقد فتحته حينها. عندما حاول الرجل العجوز اللعين أن يقتل والدتنا. أنا فتحت الباب، أنا تركته يدخل".

"أنت لم تفتحه".

"أنا من فتح الباب و..."

"أنا فتحت الباب".

"اللعنة يا ليو، أنا لا أمزح".

"وأنا لا أمزح أيضاً. لمَ عساك تفتح له الباب بحق الله؟".

"ربما لم أعلم أنه... هو".

"ما كنت لتفتح الباب مطلقاً يا فيليكس. فلطالما كنت قلقاً بشأن ما قد يحدث. لقد خانتك ذاكرتك. كنت أنا من فتح الباب".

"أنت!".

"أنت مخطئ. لا يجدر بك أن تفكّر في الأمر لأنني الفاعل".

"لقد قفزتَ عليه كقرد لعين، ووقفت بينهما. ولكن، أنا... أنا من فتح الباب، وأنا من سمح له بالدخول!".

سُمع صوت رتيب من داخل آلة الخلط التي تدور، صوت مياه تتناثر وتغسل.

"عندها قررت عدم رؤيته يا ليو. هل تسمعني؟ كل شيء يُدنّس بعد أن يلمسه ذلك الحقير! اللعنة، متى ستفهم؟".

صارت آلة خلط الإسمنت نظيفة، فأوقف تشغيلها، وأفرغ المياه العكرة منها، ثم غسلها للمرة الأخيرة.

"إن سمحنا له يا ليو بأن يدخل حياتنا مجدداً، فأنت تعرف مثلي تماماً أنه سيدمّر كل شيء، كل ما قد بنيناه".

—

لطالما كان الدرج يصدر صريراً عندما يصعده، ولكنه لسبب ما لم يسقط يوماً. ست عشرة درجة ضيقة مصنوعة من خشب الصنوبر. كان مطبخ ستيف فوق مطبخه تماماً. كان أكثر نظافة، ويحيط بمائدته عدد أكبر من الكراسي، وقد زُرع في أصص النباتات عند نوافذه عدد أكبر من الأزهار. أما الصحف التي

وُضعت قبل بضعة أيام على كرسي صغير بالقرب من الفرن فقد حملها إيڤان معه، وفتح الخزانة تحت حوض الغسيل حيث توجد في العادة كومة من الصحف المعدّة لإعادة التدوير.

وقف خارج عتبة منزله. كان يرتدي بنطلون جينز وسترةً سوداء اللون من الجلد. يتحدث بعض رجال الشرطة المغفلين عن لصوص يتسللون إلى منازل الناس كالجرذان.

نزل مجدداً إلى الطابق السفلي، ووضع بطاقات الكينو وزجاجات الشراب جانباً، ثم أخذ يتصفّح الصحف المحلية والعالمية الصادرة منذ أسبوعين ولغاية اليوم. وردت أخبار لا تستحق الذكر عن عمليات اقتحام منازل في هذه المنطقة.

كاد يوجّه لكمة إلى ذقن ذلك الشرطي القصير البغيض لولا أنه اتخذ قراراً بعدم فعل ذلك مجدداً. فقد اكتشف شيئاً آخر؛ ثمة وسائل أخرى من شأنها أن تثير الذعر من دون أن تودي به إلى السجن. إن رفع صوته مثلاً ونظر إلى عيني الشخص الآخر مباشرة. لقد استسلم الناس في هذا البلد اللعين ما إن فعل ذلك، وكأنه يلكم أحدهم على وجهه فيما هذا الأخير لا يأتي بأي حركة. توقّفوا عن أخذ الحيطة والحذر واستسلموا.

لم يلكم أياً كان منذ عشر سنوات.

ومع ذلك، ها هو يتعرّض لسوء المعاملة من شرطي لعين يوجّه إليه اتهاماً. وكأنّ الوقت لم يكن كافياً، وكأنّ المرء لا يمكن أن يتغير.

سترةٌ رمادية، وحذاءٌ من دون رباط، ورذاذ. كانت الطريق موحلة وزلقة نزولاً باتجاه ساحة أوسمو، وكان نعلا حذائه مهترئين. مرّ أمام متاجر البقالة والمصارف والمطاعم التي تقدم وجبات الغداء. أصدر الجرس فوق باب متجر جونسون للتبغ صوتاً مزعجاً. كيف يمكنه أن يتحمل هذا الرنين الحاد في كل مرة

يدخل فيها زبون لشراء السجائر؟

تلفّت إيڤان حوله فوقع نظره على رفوف السجائر بالقرب من رفوف الحلوى المجاورة لمنضدة الصحف. لا يوجد أحد خلف المنضدة. ثم سُمع صوت تدفق المياه في المرحاض في الجهة الخلفية من المتجر، من حمّامٍ صغير كانت تتسرب منه المياه في الصيف الماضي، وقد ساعد صاحب المتجر على إصلاحه مقابل الكثير من السجائر.

"إيڤان".

فتح جونسون الستار، ومرّر يده على شعره الخفيف كما لو أنه يمسحه بالمنشفة.

"أريد الصحيفتين، كلتيهما".

"ما من لعبٍ اليوم يا إيڤان. أنت تعلم أن لا لعب إلا أيام الثلاثاء".

"أعطني الصحيفتين".

وأخرج مغلفاً مطوياً من جيب سترته، وقلّب الأوراق النقدية من فئة خمسمئة كرونة الموجودة فيه، ثم وضع إحداها على المنضدة.

"لا أملك ورقة نقدية أصغر".

مسح صاحب المتجر نظارته التي كان يضعها نادراً، وأخذ قطعة النقود ورفعها نحو المصباح المعلق في السقف.

"اللعنة".

"عليّ أن أعمل كثيراً الآن".

"هل جنيت كل هذا المال من الطلاء والنجارة؟ أنت تحمل مغلفاً مليئاً بالنقود، وأنا بالكاد أستطيع أن أرد لك ما تبقى من المال الذي دفعته. من يستطيع أن يُقدم على الشراء بمثل هذا المبلغ؟".

"أسأل نفسي هذا السؤال أحياناً. ولكن، ما عليك إلا أن تكتشف ذلك".

وضع جونسون الفكّة على الطاولة المهترئة، من فئة مئة، خمسين، وعشرين كرونة. أخذ إيڤان يعد النقود ويتصفّح الصحيفتين على الطاولة.

"لا توجد أي كلمة لعينة!".

"عمَّ؟".

"اللصوص".

"أي لصوص؟!".

"يسطو الكثيرون منهم على المنازل في المنطقة".

" لم أسمع شيئاً من هذا القبيل. الجميع يأتون إلى هنا كي يتكلموا، وكنت سأعلم بالأمر إن حصل فعلاً".

لفّ إيڤان الصحيفتين، ووضعهما في جيب سترته.

كان جالساً أمام نافذته عندما وصل الشرطي، ووقفا في مواجهة بدت ملفّقة. لم يسبق لهذا الحقير أن طرق باب أي من الجيران، وقد جاء بمفرده. فلو طرق أبواب منازل هذا الحي لكان قد ترك سيارته في الساحة وجاب الحي، ولما ركنها أمام منزله هو. وبالتأكيد، كان سيرافقه شرطيان على الأقل، فلطالما رغب رجال الشرطة في التحدّث إلى نصّاب سابق حقّق رقماً قياسياً في هزيمتهم، ولطالما

ذهبوا معاً كقطيع من الضباع. كان ذلك الحقير يوجّه له اتهاماً لسببٍ آخر.

"هل أنهيت القراءة؟".

"ما من شيء يستحق القراءة".

"إذاً، أعدهما إلى مكانهما. ليس عليك أن تبتاعهما. اشتر علبةً من لفائف السجائر بدلاً منهما".

أعاد طيّ الصحيفتين الصغيرتين، وقام بترتيبهما قدر المستطاع، ثم تناول علبة سجائر من الرف السفلي.

"كان ابنك هنا".

كان إيڤان في طريقه إلى الخارج.

"لقد أصبح شاباً عريض المنكبين. إنه يشبهك يا إيڤان إلا في الشعر الأشقر".

كان صوت الباب يسمع بالحدّة نفسها لدى إغلاقه بروية.

"مرّ بعض الوقت. هل تعملان معاً الآن؟".

كان الرجل بانتظار الحصول على جواب عن السؤال الذي طرحه، إلا أنه لن يحصل على ما يريده. الولد الأكبر قد أسس عمله الخاص الآن بمساعدة شقيقيه.

لم يبتسم إيڤان، ولكنه كاد يفعل ذلك.

لقد علّم أبناءه شيئاً واحداً على الأقل؛ أن يتحدوا ضد أيٍّ كان، حتى ضدّه هو.

لا تزال الحاوية متوقّفة في الجهة الأخرى من الطريق السريع منذ أكثر من شهر. ها هي تغادر البيت الأزرق وتقترب على مهل. اتجهت سنان ضخمتان تشبهان نابَي الفيل مصنوعتان من الفولاذ في الجهة الأمامية من "التركتور" نحو أسفل الشارع الضيق، وعبرتا بمحاذاة منزل الجيران، وخرقتا السور العالي نحو حديقة المنزل؛ أسنان معدنية حملت طنين من الإسمنت وأفرغتهما أمام المنزل.

كانوا ينتظرون أن يجف الإسمنت، وأن توضع الخزنة بسرعةٍ في قالب ويتم دفنها في الأرض. لقد وضعوا سلكين كهربائيين؛ أحدهما في الهيدروليات والآخر في مقبس جداري عادي. كما وضعوا رفّين على طول الجدار.

حاويةٌ سوداء في إحدى ليالي فصل الخريف. سيتمكنون من العمل- نقل محتويات الحاوية إلى داخل المنزل، إلى "كهف الجمجمة"- من دون أن يراهم أحد.

أمسك جاسبر ببندقيتين في آنٍ واحد وأدخلهما عبر النافذة المفتوحة. وقف فيليكس داخل الغرفة ليمسك بهما، ثم سلّمهما إلى ڤينسنت الذي انحنى فوق الخزنة التي دُفنت في الأرض ووضعهما فيها؛ بندقية كلاشينكوف تلو الأخرى. بدا وكأنّ الخزنة المعدنية تبتلع الأسلحة الأوتوماتيكية بشراهة.

لا بدّ أنّ يدَي ليو وكتفَيه تؤلمه، ولكنّه أخذ يضحك عندما صعد السلم وخرج من الخزنة؛ من بطن وحشٍ جائع تحت الأرض. شعر بأنه خفيف الوزن. المكان جميل في الأسفل وهو كذلك من فوق. تمت تغطية الأرض التي تحيط بالخزنة بأرضية مربعة مصنوعة من مادة الفينيل، وقد قاموا حديثاً بطلاء الجدران بلون دافئ، فاستخدموا اللون الرمادي الفاتح. لمع السقف والأرض بطلاء رطب سيجف تماماً مع حلول الصباح.

ثمّ صعد إلى الطابق الثاني.

كانت أنيللي مستلقيةً على بطنها وتغط في النوم على السرير المزدوج مرتديةً ملابسها. إنها تنام كثيراً في الآونة الأخيرة؛ يتعامل الناس مع مخاوفهم بشكل مختلف تماماً.

داعب خدها قليلاً بالجهة الخلفية من يده إلى أن استيقظت.

"كم... الساعة؟".

كانت عيناها صغيرتين وتتجنبان الضوء.

"إنها السادسة والنصف".

"هل الوقت مبكر إلى هذه الدرجة؟ سأخلد إلى النوم مجدداً".

"مساءً".

أخذ يدها وشدّها برفق.

"هيا، انهضي".

نظرت إليه ولكنها لم تتحرك.

"الآن سنذهب للقاء الشبح".

نهضت أنيللي. كانت يداها لا تزالان ضعيفتين، وقدماها لا تستجيبان. تبعته من دون أن تفهم السبب، فنزلا الدرجات، وتوجها نحو الغرفة المقابلة للمطبخ حيث كانا يمضيان الكثير من الوقت في الآونة الأخيرة.

"لقد فرّ أحدهم".

"فرّ! من؟".

"لا أحد. ولكن، تخيّلي ذلك فحسب يا أنيللي. تخيّلي أنّ أحدهم قد فرّ واختبأ هنا، في هذا المنزل، فجاء رجال الشرطة بحثاً عنه".

إنها غرفة عادية؛ أرضية، وجدران، وسقف. كان الجميع موجودين، ليو وفيليكس وڤينسنت وجاسبر، وكلهم ينظرون إليها وهم راضون تماماً عن أنفسهم.

"لا أفهم شيئاً. عمَّ تتحدث؟".

بلغ حجم مربعات الفينيل السوداء والبيضاء- الطبقة العليا على الأرض تحت البساط السميك الذي كانوا يقفون عليه- ستة عشر إنشاً طولاً وعرضاً. ترك ليو يدها وجثم، ونظر إليها سريعاً وهو لا يزال يشعر بالرضى بينما يقوم بلفّ البساط. ثم أشار إلى أربعة مربعات بلاستيكية، اثنان منهما أبيضان والآخران أسودان، ورفع حلقتي السحب الحديديتين.

"جاء الشرطي كي يفتش المكان. لقد اكتشفوا لسببٍ من الأسباب اللعينة بلاطتين غير ثابتتين، ووجدوا بعدها هذه الحلقات الحديدية التي يمكن الإمساك بها ورفعها".

وأمسك بالحلقتين وشدّهما إلى الأعلى، فارتفعت معهما كتلة من الإسمنت.

"لقد اكتشفوا أيضاً هذه القطعة غير الثابتة، ثم رأوا هذه؛ خزنة مصبوبة داخل الأرض. يا لفرحة رجال الشرطة! فقد نالوا منا الآن!".

أخذ القفل التوافقي الموجود على الخزنة على مهل.

"لحسن حظهم اللعين، اكتشفوا بعدها القفل التوافقي. فلنتخيّل أنهم قد

اكتشفوا القفل التوافقي".

أدار المقبض وفتح الباب الفولاذي، فظهر ما في الخزنة. هذا بالكاد ما يتوقعه أحدهم. كيس صغير فيه خمسمئة كرونة، وكاميرا، وبعض الخراطيش اللينة، وكومة من الأوراق تشبه الشهادات والعقود. حمل ليو الكيس ووضعه على الأرض بالقرب من الفتحة.

"بالرغم من كل الصعوبات، وجدوا خزنة مدفونة في الأرض. وقفوا في المكان نفسه الذي نقف فيه الآن، وكانوا يرتعشون من شدة الترقب والحماسة. وبعدها، تمكنوا من فتحها بطريقةٍ ما. ثم رأوا... هذا. لا شيء على الإطلاق، نهاية الدرب. فانتقلوا بعد ذلك إلى غرفةٍ أخرى وهم سُعداء بعثورهم على مخبأ فيه بعض النقود والمستندات التي تبدو هامة، وعلى بعض الخراطيش الخاصة بالبنادق بهدف إجراء اختبارات غير مجدية عليها".

خزنة ذات جوانب مصنوعة من المخمل بدون درزات، ومقفلة بشكل محكم. توجه ليو صوب العداد الكهربائي المعلق فوق النافذة الوحيدة للغرفة وفك الغطاء ورفعه، فظهر سلكان كهربائيان. أحدهما أحمر اللون، والآخر أزرق. كانا الشيئين الوحيدين الموجودين داخل العداد الكهربائي، وكلاهما مفكوكان. نظر إليها وابتسم كما فعل سابقاً، وأمسك بطرفي السلكين معاً وجعلهما يتلامسان.

"تفقّدي الخزنة وانظري إلى الأسفل".

سُمع صوت طنين، ثم اختفى ظهر الخزنة تدريجياً بينما كانوا ينظرون... إلى الأسفل.

"غادر رجال الشرطة، وفاتهم كل شيء. كان كل شيء تحت الخزنة".

قبّلها قبلة خاطفة على خدها وهو يتجه صوب الحفرة، وجثم ووضع قدمه

على سلم الألمنيوم، ونزل وأشعل الضوء. فجأةً، ظهرت غرفة لم تكن موجودة، فيها رفان من الخشب على طول الجدران. كان ليو هو الشخص الأخير الذي استلم البنادق ووضعها بشكل مستقيم؛ المدافع الرشاشة على الرف العلوي، وأسلحة الكلاشنكوف على الرف السفلي.

"الشبح وكهف الجمجمة خاصته".

كانت هناك خمسة رشاشات ملقاةً على الأرض خلف السلم.

"ألا ترين؟ إنها خزنة الشبح".

نزلت بقدميها الحافيتين على درجات السلم الضيقة. اهتز السلم، ولكنها استعادت توازنها وداست على الأرض الباردة.

"هل تعلمين أنّ الشبح قد وجد منفذاً سرياً للوصول إلى الخزنة في مركز الشرطة واستطاع فتحها من الأسفل ووضع رسائل لمقر دورية الغابة؟ وفي كل مرة ذهب فيها الشبح أو قائد الشرطة إلى هناك عثر على رسالة جديدة تركها أحدهما للآخر. هكذا كانا يتواصلان".

غرفة مليئة بالأسلحة الأوتوماتيكية المصطفّة على رفين خشبيين، يساوي حجمها تقريباً حجم صندوق الأسلحة الذي جاءت منه. نظرت أنيللي إلى السلم الذي نزلت عليه للتو، وإلى أسطوانتين معدنيتين أمّنتا الحماية لقاعدة الخزنة وأقفلتا الباب السري.

"المسيه".

أمسك ليو يدها ووضعها على الحائط الإسمنتي.

"لقد جفّ، أليس كذلك؟ لا بلل ولا مياه".

جثا على ركبتيه، ورفع الغطاء عن فتحةٍ في الأرض، فوجد أنبوباً إسمنتياً ضخماً وبالوعةً فيها مضخة.

"المنزل مشيّدٌ فوق بحيرة، لذا لا يمكنك أن تبني قبواً. ولكن، بإمكاننا أن نتحكم بمستوى المياه بواسطة هذه المضخة. عندما يصل مستوى المياه إلى هنا، إلى الحد الأقصى، ستعمل المضخة".

وقف ليو وأنيللي جنباً إلى جنب، وأمسكا ببعضهما في غرفة سرية تحت الأرض تتصف بأرضية باردة وبفتحةٍ في السقف، وفيها 221 سلاحاً أوتوماتيكاً مصفوفة على رفين. إنه كهف الجمجمة الذي يتعذّر على أيّ كان إيجاده، وهذا كل ما يحتاجون إليه من أجل عملية السرقة التالية، والعمليّة التالية، والسرقات اللاحقة، واللاحقة.

عندما حاول أن يرى من خلف القناع الأسود الذي يضعه على وجهه- وكأنه يشاهد فيلماً قديماً من خلال منظار؛ جوانب مظلمة تحيط بحقيقةٍ أسوأ- بدت الألوان زاهيةً أكثر.

"بقيت ستون ثانية".

أول شيءٍ رآه كان أكمام بذلات العمل الزرقاء. استطاع أن يراها بوضوح على الرغم من أنّ الفتحتين حول عينيه غير متجانستين. رأى أكمام بذلات زرقاء وأيدي تحمل رشاشات رمادية ضخمة وثقيلة.

"بقيت خمسون ثانية".

عندما ركّز نظره مجدداً، كان كل شيء على حاله؛ فالجوانب لا تزال مظلمة، ولكنّ الحقيقة تنجلي. بإمكانه أن يرى أنه جاثم على أرضية مركبة كبيرة، وهي شاحنة دودج مستعملة تم تفكيك قطعها وباتت خالية من المقاعد. يستطيع أن يشعر بالسكون الذي يخيّم على المكان؛ وهو أمرٌ غير مألوف في مثل هذا النوع من الشاحنات. كان الجميع يحملون أسلحةً أوتوماتيكية وحقائب ظهر فارغة حتماً. وكلهم يرتدون اللباس نفسه؛ بذلات عمل وجزمات، وهناك أقنعة على وجوههم.

"بقيت أربعون ثانية".

بدا الأزرق رقم 2 الذي يجلس خلفه والذي سيقلّهم إلى هناك هادئاً تماماً ويعرف كيف يتصرّف أياً كانت الظروف.

"بقيت ثلاثون ثانية".

أما الأزرق رقم 3 الذي يجلس قبالته فسيطلق النار على كاميرا المراقبة في الخلف. لم يغمض له جفن لعدة أيام، فقد نفد صبره واشتدّت حماسته.

"بقيت عشرون ثانية".

سيقفز الأزرق رقم 4 الذي يجلس بجواره على المنضدة، وسيحشر نفسه عند شباك أمين الصندوق، وسيسرق المفاتيح. إنه يرتعش ويحاول إخفاء الأمر؛ فهو ليس واثقاً من أنه يستطيع أن يدخل كأي شخص عادي.

"بقيت عشر ثوانٍ للانطلاق".

نظر إليهم عبر فتحتي القناع، فرآهم يعانقون أسلحتهم مثله. إن تعرّض أحد لخطر الموت داخل ذلك المصرف، وإن أجبرهم أحد على إطلاق النار، فستكون المسألة مجرد ردة فعل نتيجة ما يحدث؛ أي مسألة تحرّك وتكتيك. إنها مسألة ضغط على الزناد، وإنتاج طاقة تتحول إلى مادة غازية دافعة، وتطلق من البندقية 850 رصاصة في الدقيقة الواحدة.

"بقيت خمس ثوانٍ".

إن قام أحدهم بهذه الخطوة فقد اختار ذلك.

"أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد... هجوم".

فُتح الباب الجانبي. ثماني خطوات للوصول إلى المصرف. عند المدخل، توجد كاميرا مراقبة أمامية مثبتة فوقه بشكل مائل. لم يُسمع أي صوت، فصرخ بام! بام! بام! عدة مرات. واصل الأزرق رقم 3 طريقه نحو الداخل ورفع سلاحه عالياً. كان جسمه خلف عقب البندقية وهو ينحني ويصوّب سلاحه على الكاميرا الثانية.

لم تكن طلقاته مسموعة أيضاً، وازداد صوته قوةً وهو يصرخ بانغ! بانغ! بانغ! أما الأزرق رقم 4 الذي كان يقف خلفه تماماً فقد عبر فوق امرأتين ممدتين على الأرض وركض نحو المنضدة، كما ينبغي له أن يفعل تماماً.

"أغلق أمين الصندوق الشباك".

توقف الأزرق رقم 4 فجأةً، فيما استمر الأزرق رقم 1 في الصراخ في السماعتين اللتين كان يضعهما في أذنيه.

"أيها الأزرق رقم 4 تحرك الآن! تصرّف! الشباك مغلق!".

نظر الأزرق رقم 4 إلى شباك أمين الصندوق وتردد.

"إن كان الشباك مغلقاً، أطلق النار عليه!".

كان الأزرق رقم 4 يتصبب عرقاً عندما قرر أخيراً أن يصوّب سلاحه على الشباك المقفل وعلى أمين الصندوق الذي يجلس خلفه. لدى إطلاقه النار، صرخ بام، بام، بام بصوت منخفض أكثر من غيره، وبدون الكثير من الإحساس.

"حسناً، سنستريح لبضع دقائق".

نزع ليو القناع عن وجهه. كانوا يركضون إلى داخل مبنى المصرف الخيالي وإلى خارجه في مرأب كبير لمدة أربع ساعات، وفي كل مرةٍ كانوا يرتكبون أخطاء أقل من السابق. وضع الرشاش والقفازين الجلديين على طاولة العمل وانتزع "الميكروفون" عن ياقة سترته ووضعه في جيبه.

" ڤينسنت... كيف طلبت منك أن تتصرف إن أقفلوا الشباك؟".

خلع الأزرق رقم 4 القناع.

"أطلق النار عليه".

"وماذا ستفعل بعد ذلك؟".

"سأدخل".

"لا يُفترض بنا أن نتوقف عن الحركة، اتفقنا؟ فحينها سنهدر الوقت، وسيذهب كل شيءٍ سُدًى. يجدر بنا نحن أن نتحكم بالوقت وليس هم".

يملك ليو المرأب الكبير، وهو المكان الذي مارست فيه شركات البناء عملها. تم تخطيط أشكال مستطيلة ضخمة بواسطة شريط لاصق مقوّى على الأرض المتسخة: نسخة عن فرع مصرف هاندلز في سويدمايرا. كما استُعمل الشريط اللاصق لتخطيط الجدران الخارجية، واللوح الخشبي لتحديد الباب الأمامي. بُنيت صناديق الدفع بواسطة مسامير وألواح خشبية رقائقية. وكانت خمس دمى لعرض الملابس واقفة أحياناً، ومنحنية أحياناً أخرى فوق الجهة الثانية لمنضدة أمين الصندوق ممثلةً الزبائن. وجلست ثلاث أخرى على مقاعدها في الجهة الأخرى ممثلةً أمناء الصناديق، فيما وضعت دمى أخرى ممددة على الأرض.

لقد حان الوقت وانتهت اللعبة وبدأ الجد.

" ڤينسنت".

ترك فيليكس مقعد السائق التابع لسيارة مركونة خارج المصرف ومصنوعة من شريطٍ لاصق وقطعٍ خشبية.

"ماذا يجري؟".

"سبق أن قلت لك!".

كان جاسبر لا يزال مرتدياً قناعه وهو يجيب عن السؤال الذي لم يُطرح

عليه.

"إنه يعجز عن فعل ذلك. كان يُفترض به أن يطلق النار على الزجاج المتين!".

حرك فيليكس أحد الزبائن المنحنين ووضعه بالقرب من قطع الخشب الرقائقي غير المطلية التي مثّلت منضدة أمين الصندوق.

"قد يكون الشباك مفتوحاً، أليس كذلك؟".

قال له ليو إن أمين الصندوق قد أقفل الشباك!

كان جاسبر يصرخ، غير أنّ فيليكس ابتسم فقط. لم يرغب في الصراخ، فضرب قطعة خشب كُتبت عليها كلمتان ونُقش عليها رقم 3 كبير باللون الأزرق السماوي: أمين صندوق 3.

"ولكن، ما هذا؟ من دون شك الشباك مفتوح، ألا ترى ذلك؟".

"نحن نقوم بتمرينٍ لعين!".

"وأنتَ لست سوى عقبة لعينة عديمة الفائدة، ترى أشياء غير موجودة. لذا، توقّف عن اتّهام ڤينسنت ومعاملته بطريقة سيئة".

"الأمر لا يتعلّق باتّهام أحد! عليه أن يتفاعل مع حركة جسمه بطريقة فطرية. لا ينبغي أن يكون هناك أبداً أيّ تردّد! فأنت تتردّد إن لم تكن واثقاً من سلاحك. أليس كذلك يا ليو؟".

ركض جاسبر أمام لوحين من الخشب المضغوط معلقين بحبال متدلّية من السقف ومكتوب عليهما بخطّ اليد - "كاميرا المراقبة 1" و"كاميرا المراقبة 2"- ودفعهما ببندقيته.

"هنا وهناك كاميرات تمّ إطلاق النار عليها. هل تعلم لماذا؟".

"كلّ ما أراه هو لوحان من الخشب المضغوط خربَشتَ عليهما شيئاً ما".

ضرب جاسبر بفوّهة بندقيّته اللوحين الخشبيين بقوّة، فارتجّا وهو يهزّ رأسه.

"عندما تطلق عياراً نارياً في الخارج، فقد يصاب الناس بالهلع؛ إذ يُصدِرَ الرشاش صوتاً مدوّياً. ولكن في الداخل يكون الأمر مختلفاً. إذ يُسمع صوتٌ صاخبٌ وحادّ، كالسكاكين التي تضرب الجدران ويتردّد صوتها في كلّ مكان إلى أن تثقب طبلة أُذنك، وذاك الرنين في الأُذن يشوّش الناس ويضلّلهم. في الداخل، يصابون بأكثر من مجرّد الشعور بالذعر والهلع، فيرمون بأنفسهم على الأرض، ليس فقط لحماية أنفسهم، بل لأنّ التكيّف مع الظروف أمر حاسم للبقاء على قيد الحياة. لذا، تراهم يبحثون عن شيء صلب كالأرض في إدراك جديد منهم للمكان. لأنّ إدراكهم السابق للمكان قد سلبناهم إياه عندما حطّمنا الكاميرات!".

نظر جاسبر إلى فيليكس الذي كان صامتاً، ثمّ إلى ڤينسنت الذي كان صامتاً أيضاً، فيما أومأ ليو برأسه بصمت.

"ومن ثمّ... وهذا هو الجزء الأهمّ، ينبغي أن يعلم رجال الشرطة اللعينون أنّه من الخطر الاقتراب من مكان عملنا. وإن صمموا على الاقتراب منّا، فهم الذين يقرّرون مصيرهم وما سيحدث لهم".

استدار ليو نحو أخويه الصغيرين، فيليكس وڤينسنت.

"جاسبر محق. إن صوّبوا علينا، فسنصوّب عليهم. وإن أطلقوا النار علينا ليقتلوا، فسنطلق النار لنقتل... هل تفهمان؟".

نظر إلى أعينهما ورأى أنّهما يثقان به، والآن عليه أن يقرّر إن كان يثقُ

بهما. رفع ليو ذراعيه ليصل إلى لوحَي الخشب المضغوط اللذين يمثلان الكاميرات. يجب أن يُعَلَّقا على علوٍّ أقلّ انخفاضاً، فأخفضهما قليلاً، وبَقيَ هناك على مسافة صغيرة منهما. كان من السهل الحصول على رؤية شاملة من هنا، حين يتوجب عليك أن تقرّر ما إذا كان أحدهم صالحاً بما فيه الكفاية. ألقى نظرة خاطفة على فيليكس الذي كان مستنداً إلى الشاحنة وهو يتفحّص سمّاعتَي الرأس، ونظرة على ڤينسنت الذي كان راكعاً ويعدّل ذراع إحدى دمى العرض، ونظرة أُخرى على جاسبر الذي كان جالساً على أحد الكراسي قرب صندوق الصرّاف وهو يفتح صمّام الأمان ويغلقه.

"اصعدوا إلى الشاحنة، جميعكم".

فريقه مؤلف من شاب في السابعة عشرة من عمره لم يؤدِّ خدمته العسكرية بعد، وشاب في الحادية والعشرين من عمره التحق بالجيش ولكنه خرج منه بإعفاء استثنائيّ، وشاب في الثانية والعشرين من عمره يتصرّف كما لو أنه يتدرّب في فوج الجيش البحري. وكانت مهمّته أن يجعلهم يعملون معاً كفريق متّحد.

"مرّة أُخرى بعد. هيّا! العدّ العكسي، ثلاث دقائق بدءاً من... الآن".

فتح ليو الباب وقفز إلى خارج السيارة، مشى ثماني خطوات سريعة باتّجاه اللّوح الخشبيّ والشريط اللاصق. ستّ وأربعون ساعة تفصلهم عن اللحظة التي سيقومون فيها بذلك فعلاً.

كانوا يجلسون داخل السيارة نفسها. ولكنها الآن تسير شمالاً على الطريق السريع رقم "إي 4"، على ضوء الفجر. تمّت إعادتها إلى حالتها الطبيعية، حيث أُعيدَ تثبيت المقاعد في الأرضية باستعمال البراغي؛ الأمر الذي كان أيضاً جزءاً من تدريبهم.

أكملوا تمارينهم على مهاجمة مصرف وهميّ، منتقلين من الشاحنة إلى صناديق الصرّافين، ثمّ إلى حجرة الخزنة، وإلى السيارة مجدداً. فُتِحَ الباب الجانبيّ ثماني وعشرين مرّة، ودخلت مجموعة من الرجال المقنّعين المصرف الوهمي ثماني وعشرين مرّة أيضاً، واتخذوا أماكنهم. اجتازوا التدريب، وأتمّوا كلّ حركة على أكمل وجه. لا أحد داخل هذه السيارة يحتاج إلى أيّ وقت للتفكير. لقد نُقِشَ في إدراكهم نمطٌ موحّد قد يكون فعّالاً في غرفة لم يدخلها أحدٌ منهم قط سابقاً. كان ليو قد تسكّع سابقاً بالقرب من المستديرة، وتوجه إلى داخل محلّ البقالة، وقد جلس مرّتين لتناول الطعام في مطعم البيتزا الصغير المجاور، ولكنه لم يفتح الباب الأماميّ مطلقاً. لم يكن من الوارد البتّة أن يدخل أيٌّ منهم إلى هناك. فطول كل منهم، وأوزانهم، وطريقة تحرّكهم لا يجب أن تلتقطها أيّة كاميرا مراقبة، لكي لا يكون بالإمكان لاحقاً مقارنتها بطول الرجال الأربعة في اللباس الأزرق والأقنعة السوداء وأوزانهم وحركاتهم.

ضاقت طريق الأسفلت وأصبحت طريقاً موحلة، لم يعد المكان بعيداً الآن.

إذاً، أنيللي هي الوحيدة التي دخلت إلى الجهة الأخرى من واجهات المصرف الزجاجية، ووقفت أمام الكاميرات الحقيقية، وموظّفي صناديق المصرف الحقيقيين، وكانت محاطة بزبائن حقيقيين. وخلال كلٍّ من الزيارات القصيرة التي قامت بها إلى هناك، رسمت مخططاً جديداً للمبنى على ظهر قسيمة إيداع غير

مستعملة، ووضعت جميع القصاصات معاً على طاولة المطبخ، لتحوّلها إلى المخطّط الكلّي.

"مرحباً".

كان قد أجاب على الهاتف المحمول الذي كان في الجيب الخارجي لسترته بعد أن رنّ رنّة واحدة.

"ليو... المغلّف".

ذاك الصوت.

"ليس لديّ الوقت لهذا الآن".

"دَينُكَ اللعين، ليو. المال داخل المغلف. لقد قلتَ إنّك لا تدين لي بشيء، أليس كذلك؟".

"ليس هذا الوقت مناسباً، فأنا لا أستطيع التحدّث الآن".

"إذاً، إن كنت قد أتيتَ إلى هنا بعد كلّ تلك السنين، في حين أنك لا تعتقد حتى أنّك تدين لي بهذا... فأنتَ لديك الكثير من المال والمزيد منه. فمن أين يأتي هذا المال؟ أنتَ لم تُعطِني يوماً الفلس الأخير الذي تملكه. فمن أين أتيت بكلّ هذا بحقّ الله؟".

الزرّ الأيمن، إن ضغط عليه فسيختفي الصوت.

فعل ذلك.

"من كان المتصل؟".

نظر إليه فيليكس وهو ينتظر جواباً.

"ليس الأمر مهمّاً".

"ولكنه يبدو مهمّاً".

"ركّز على الطريق".

كان فيليكس جالساً على مقعد السائق كالمعتاد. كان يعرف هذه الشاحنة جيداً الآن. فهو يعرف كيف يزيد سرعتها، ومسافة المكابح... وأصبح المقود امتداداً لذراعيه. شاحنة دودج هي المركبة التي سيجلسون فيها قبل سرقة المصرف التي ستدوم ثلاث دقائق وبعدها، وسيستبدلونها بسيارة فرار مماثلة لها عندما يغادرون ساحة الجريمة. لقد تدرّب فيليكس على قيادتها، كما تعلّم أيضاً كيفية تجميعها تحديداً وتفصيلاً. كان من المفترض أن يسرق اثنتين منها في الليلة التي تسبق عملية السرقة، وقد أمضى ساعات وهو يحاول إدخال قطعة معدنية في الفتحة الضيّقة بين النافذة والمطاط المصبوب، ويهزّها ويديرها ويلويها لكي تعلق على آلية الإقفال إلى أن أصبح متأكّداً من أنّه بإمكانه فتح باب شاحنة دودج بأقلّ من عشرين دقيقة، كما قام مراراً بتفكيك مفتاح الإشغال لكي يتعلّم الطريقة الأكثر سهولة لفتحها لتنطلق الشاحنة.

كانت منطقة الرماية القديمة عند نهاية طريق الحصى. ركنوا السيارة، وسمعوا صوت طلقات نارية من بعيد.

"يوجد أحد آخر هنا غيرنا".

دقّق ليو النظر متفحّصاً الهضبات التي تمتدّ على بعد 50، 200، 300، 680 ياردة من السدّ الرمليّ الذي يتلقّى الرصاص ويبتلعه.

"ألا تسمعهم؟".

مع حقائبهم المليئة بالذخيرة، وأسلحة أوتوماتيكية، بدأوا يمشون نزولاً على

مسار الحصى الذي تحوّل إلى ممرّ للمشاة.

كان هناك رجلان ممدّدان على الهضبة، على بُعد ثلاثمئة ياردة من الأهداف والسدّ الرمليّ.

توقّف ليو من دون حراك، وأصغى السمع.

"مدفعيات رشّاشة من طراز 5. لا بدّ أنهم فريق السوات".

"ليو، هيا بنا، إنّهم..."

شدّ ڤينسنت ذراع أخيه الأكبر.

"... يبحثون عنّا، اللعنة!".

كانوا يتجوّلون حاملين معهم أسلحة مسروقة من صندوق ذخائر عسكرية، وقد تتحوّل إلى أسلحة تستخدم في عملية سرقة.

"علينا أن نخرج من هنا".

"كلّا. عليك أن تتعلّم هذا".

"ليو، اللعنة على هذا، نحن..."

"اسمع، رجال الشرطة يبحثون عن رَجُلَين عَرَبِيّيَن".

مشى ڤينسنت ببطء أكبر في الخلف. لقد سبق له أن رأى ليو بحالة مماثلة من قبل، حيث لا يمكن التحدّث إليه، وحيث يشعر بحاجةٍ إلى التحدي والانتصار- وإن لم يكن ذلك ضرورياً- وذلك فقط ليُظهر أنّ بإمكانه القيام بأمر ما. وفي تلك اللحظة بالذات، نهض الرَجُلان اللذان يرتديان بذلتين داكنتين، وحَزَما أغراضهما، وبدآ بالسير... باتّجاههم.

بدوَا أكبر حجماً وهما يقتربان من الطرف الآخر للممرّ الضيّق. مناكب عريضة، رقبتان ممتلئتان؛ بدوَا راشدين. حتّى ليو لم يكن يبدو كذلك وهو يتحرّك.

"هل أنتم هنا لممارسة الرماية يا أولاد؟".

أحدثت الحصى صوتاً خفيفاً تحت أقدامهما وهما يقتربان ليتفحّصا الأسلحة.

"دعني أُخمّن... أنتم حارسو منازل؟".

جرى الأمر بسرعة كبيرة. كانوا يقفون الواحد وراء الآخر على ممرّ المشاة، ومن ثمّ لم يعودوا كذلك.

ففجأة، ركض جاسبر على العشب، ومرّ بليو لكي يظهر سلاحه بفخر.

"هذا صحيح. من كتيبة الحرس المنزلي في جارفا".

كان يحمل رشّاشه الأوتوماتيكي من طراز 4 كتمثال من الرخام، وهناك ابتسامة ثقة مرسومة بين أنفه المروّس وذقنه الحادّ، كاشفة عن الفجوة بين أسنانه الأمامية. عاد ڤينسنت خطوة أُخرى إلى الوراء. كان جاسبر مثل ليو؛ فهو يفكر كما لو أنّه ينبغي له القيام بذلك فقط لأنّه يستطيع. أو ربما لم يكن مثل ليو، إذ كان أخوه يرغب بجدال لا ينتهي، ويرغب بالفوز، أمّا جاسبر فيريد أن ينال إعجاب الآخرين، وأن يشعر بالانتماء.

"أهذا مدفع رشاش من طراز 5؟".

ومباشرة بعد ذلك، نظرا إلى السلاح كما لو أنه مجرّد سلاح وهما على وشك الرحيل.

"أنت في فريق السوات، أليس كذلك؟".

أغمض ڤينسنت عينيه. ألم يكن ما فعله حتى الآن كافياً؟! فهو لم يكتفِ بعرض أسلحتهم المسروقة، والمخاطرة بكلّ شيء، بل توجّه إليهما أيضاً، والتقط سلاحهما، ووقف هناك وهو يتأمله بإعجاب.

"أجل، نحن في فريق السوات. نتمنّى لكم حظّاً سعيداً. لا توجد رياح، لذا هذا يومٌ جيّد لممارسة الرماية".

أومآ برأسيهما كما يفعل الناس عادةً عندما يتحضّرون للانصراف، فنظر ڤينسنت إلى رجليه، وتنفّس بحذر قدر المستطاع وهما يمرّان قربه.

"أنتَ هناك".

كان المتكلم هو الرجل الذي تكلّم أكثر وأظهر سلاحه، وتوقّف أمام ڤينسنت قبل أن يتابع:

"ألست صغيراً قليلاً على هذا؟".

"أنا..."

حاول ڤينسنت أن يرفع نظره عن قدميه، ولكنه لم يستطِع.

"ح.م.ي".

أجاب ليو.

"حراس المنازل اليافعون".

أمّا رجل الشرطة الذي لم يكن فقط في فريق السوات وإنما يبدو أيضاً أكبر سنّاً من ليو، فظلّ ينظر إلى ڤينسنت.

"عندما كنت في مثل عمركَ، كنت أقضي أوقاتي وأنا أُطارد النساء، وليس

في التدرب على الرماية".

حاول ڤينسنت أن يبتسم بالفعل، ولكن ابتسامته بدت غير مرتاحة، وكان غير قادر على التنفّس، ثم وجّه إلى رجلَي الشرطة تكشيرة انزعاج، ولم يتوقّف عن ذلك إلى أن أخذا سلاحيهما اللعينين وتابعا طريقهما.

وبغضّ النظر عن أنّ جاسبر كان قد وضع أكياس التخييم على الحصى، وبغضّ النظر عن أنّ ليو كان قد أخذ كومة من الأهداف خارج السدّ وصفّها أمام الخندق الرمليّ، وبغضّ النظر عن أنّ فيليكس كان قد فتح صندوق الذخيرة ووزّع الخراطيش، لم يستَطع ڤينسنت الاسترخاء إلّا عندما أدار ضابطا الشرطة محرك السيارة وانطلقا على الطريق الجافة والترابية المغبرة.

" لم يتحقّقا قط من الأرقام المتسلسلة اللعينة".

ابتسم ليو، بيد أن ابتسامته كانت حقيقية وغير متصنعة البتّة، فقد كان فرحاً وفخوراً. لو أنّه واجههما فسيتغلّب عليهما بالتأكيد. ولقد حصل ذلك فعلاً. عبّأ مخزن السلاح الآن بعشرين خرطوشة، ثم ربط الحزام حول ساعده بشكل مستقيم، وحوّل السلاح إلى وضعية إطلاق النار الأوتوماتيكي، وصوّب على أحد الأشكال الكرتونية وضغط على الزناد، فتقطّع الوجه الكرتوني المحدّق إرباً.

"لكي تتعلّم كيف تستخدم الرشاش الأوتوماتيكي من طراز 4، عليك أن تتعلّم كيف تقف".

ثم لقّم السلاح، وأعطاه لـڤينسنت، ولكنه لم يُفلته.

"إن لم تُثبّت نفسك عند الارتداد بوزن جسدك، وإن لم تضغط على سلاحك بكتِفَيك ويدك اليسرى، فسوف ترتجّ ذراعاك صعوداً، وستنتهي طلقتك الثالثة على بعد قدمين من هدفك".

انحنى إلى الأسفل، وجعل ثقل جسمه على رجله اليسرى، فيما يده اليمنى على فوّهة السلاح، ثم صوّب وأطلق جولة جديدة في قلب الشكل الكرتوني هذه المرّة.

"لقد تمّ تلقيمه".

أعطاه لـڤينسنت مجدداً، ثم أفلته تماماً هذه المرّة.

"يجب أن يكون لسان القفل في الوضعية الأمامية، وقفل الأمان مفتوحاً".

كان من الصعب التنفّس بطريقة طبيعية لإبعاد العرق عن يديه. ضغط ڤينسنت على عقب السلاح كما أراه ليو، ووضع ثقله على رجله اليسرى كما فعل ليو، وأمسك بيده فوّهته مثلما فعل ليو، ثم أطلق النار، فارتدّ عقب البندقية على كتفه، وارتجّت فوّهتها صعوداً كما لو أنّ حبلاً خفيّاً شدّها إلى الأعلى. فقد توازنه، وترنّح قليلاً بضع خطوات، ثمّ استعاد توازنه.

عشرون طلقة نارية أصابت خندق الرمال، فيما الشكل الكرتوني يحدّق إليه بعينين غير مباليتين.

"ثقل أكثر على رجلك الأمامية، هيّا ڤينسنت! ركّز!".

ركض جاسبر إلى الأمام، تماماً كما فعل عندما التقوا الشرطيين من فريق السوات، وركل بلطف رجل ڤينسنت اليسرى.

"أبعد رجليك عن بعضهما، ومن ثمّ ادفع بيدك اليسرى تماماً كما قال ليو. اضغط على الزناد، اللعنة!".

"اخرس أنت".

غادر فيليكس مكانه بسرعة، ووقف بين ڤينسنت وجاسبر.

"عندما تتحدّث إلى أخي لا تركل ولا تصرخ. هل تفهم؟".

"ابتعدا فوراً إلى الوراء".

انتظر ليو إلى أن انتهيا من التحديق إلى بعضهما، ثم قال موجهاً كلامه إلى ڤينسنت:

"انتبه إلى تنفسّك يا ڤينسنت".

وأدار وجه أخيه نحوه بلطف حتى أصبحا ينظران إلى بعضهما بعضاً.

"شهيق، زفير. شهيق، زفير. ومن ثمّ... أطلق النار".

كان عقب البندقية مثبّتاً بقوة على كتفه، فيما يده اليسرى كالقفل على الفوّهة.

أطلق ڤينسنت رصاصةً أُخرى. و... أصاب الهدف! أصاب الهدف على رأسه، ورقبته، وصدره.

وضع المزيد من الذخيرة، ثم أطلق المزيد من الطلقات النارية؛ إلى أن استسلم عدوٌّ تلو الآخر، ووقعوا قطعاً على الأرض، وأسرع ليو باتّجاه السدود لوضع أهداف جديدة. أحياناً- تماماً كما حصل البارحة في المرأب- كان يتباطأ قليلاً وهو بعيد، متأمّلاً الأخ الصغير الذي حمله يوماً إلى خارج مهده، وبنى معه مدناً زرقاء وحمراء بقطع الليغو، وحضّر له الشطائر. أنتَ لا تبلغ ما يكفي من العمر لكي تصوّت في الانتخابات. أنت لا تبلغ ما يكفي من العمر لكي تشتري الشراب. وابتسم بفخر. ولكن، يمكنك إطلاق النار من سلاح أوتوماتيكي، وبعد ثلاث وثلاثين ساعة ستشارك في سرقة مصرف.

كان الوقت متأخّراً في ذاك المساء عندما دخلت السيارة الفناء. حمل ليو بعض الأكياس المليئة بالبقالة وأعطاها لأنيلّلي، بينما قام فيليكس وڤينسنت وجاسبر بحمل المعدّات والأسلحة إلى داخل المرأب. وضع ڤينسنت الكيس الذي يحتوي على ما تبقى من مخازن الذخيرة على الأرض، وهو يشعر بأن كتفه اليمنى ترتعش بطريقة لا إرادية، كما لو أنّ الارتدادات- الواحد تلو الآخر- تركت تأثيراً في كتفه. وشعر كما لو أن ديداناً صغيرة تزحف هنا وهناك في عضلاته ومفاصله من دون أن تعلم إلى أين تذهب.

لقد أطلق مئات العيارات النارية. ولقد مدحه ليو وأشاد به مرّات عديدة؛ وكان مديحه حقيقياً. بينما استمرّ جاسبر في محاولته إيجاد أخطاء له، مشيراً إلى تفاصيل تحتاج إلى التصحيح. ولكنه لم يهتمّ للأمر، فقد اختفى قلقه، وكان ينحسر بعيداً أكثر في كلّ مرّة يصيب فيها وسط الهدف.

قال جاسبر: "يجب تنظيف السلاح".

كان ڤينسنت يعلم جيداً ما يعنيه هذا. ولطالما كان الأمر كذلك. فلدى جاسبر طريقته الخاصة في ملاءمة الأمر؛ تماماً كما فعل على ممرّ المشاة؛ إذ ابتسم وتحدّث عن شرطيّي فريق السوات كما لو كان الأمر غير مهمّ.

"فيليكس، ڤينسنت، تعاليا إلى هنا، اللعنة!".

وضع جاسبر سلاحه على طاولة العمل.

"هاي، عليك أن تتعلّم كيفية القيام بذلك!".

وفكّكّ سلاحه بسرعة، قطعة تلو الأخرى.

"والآن، حان دورك. فكّك سلاحك ونظّفه. وأنا سأُراقب".

وضع فيليكس الرشاش الأوتوماتيكي من طراز 4 الذي كان يُطلق منه النار في حقل الرماية على الطاولة، ولكن، بدلاً من أن ينفذ ما طلب منه، انحنى نحو جاسبر، وهمس في أُذنه.

"جاسبر".

"ماذا؟".

"لماذا تتصرّف كما لو أن هناك رشّاشاً في مؤخرتك؟".

"عذراً!".

"أنت تركض هنا وهناك كما لو أنك أحد مغاوير جنود الكوميندوس. وأنا وڤينسنت لا يروق... لنا هذا في الواقع".

"هذا تمرين لعين!".

"إذاً؟".

"كلّ ممارسة للقتال تحتاج إلى زعيم. ولكنّك لا تفهم هذا لأنّك لم تؤدِّ خدمتك العسكرية".

"سوف أقول هذا مرّة واحدة فقط. كُفَّ عن ذلك".

"عمَّ أكُفُّ؟".

"كُفَّ عن ذلك وحسب".

"إن انتهى بنا الأمر في مأزق فستشكرني لاحقاً".

"مأزق!".

"إن تردّدت في المعركة فستموت. الأمر بهذه البساطة".

"اسمع... إن انتهى بنا الأمر في وسط معركة، فسيكون هذا خطأَك".

اقترب جاسبر من فيليكس وهو يحدّق إلى الأسفل. لقد رأى ڤينسنت هذه النظرة من قبل، وذلك عندما أحضر جاسبر هراوة الشرطي يوماً وبدأ يتجوّل لينظر أحدهم إلى شكله المُضحك، إلى أن قرّر أن يضرب ستايف الكبير ضربتين عنيفتين على معصمه. لديه الآن تلك النظرة نفسها. انكسر العظم، هذا سهل جداً، هل رأيت هذا؟ بدا كمجرّد غصن شجرة جافّ. لقد ندم على ذلك لاحقاً في ذاك المساء، وانتابه قلقٌ جهنّميّ؛ ليس على ستايف، ولكن خوفاً من التورّط في مشكلة. فإن حصل ذلك، فلن يتمكّن من تأدية خدمته العسكرية. والآن، ها هو يقف هناك ويحدّق إلى فيليكس بتلك النظرة نفسها، فيما يبادله فيليكس النظرات كما كان يفعل دائماً. في تلك اللحظة، فتح ليو الباب، ودخل وهو يحمل صندوقاً كرتونياً كبيراً بين ذراعيه.

"ما الذي يجري هنا؟".

لم ينطق فيليكس وجاسبر بأيّ كلمة، وعاد كل منهما خطوة إلى الوراء.

"لا شيء".

"ولكنني أرى أنّ شيئاً ما يحدث هنا".

وضع جاسبر سلاحه على طاولة العمل للمرّة الثانية.

"إنّهما يستفهمان ويشكّكان بخبرتي، وهذا يتعبني كثيراً. اللعنة!".

"ليس خبرتك، بل سلوكك!".

"سلوكي! لم أشكّك يوماً بخبرتك في موقع ورشة البناء عندما قلت لي إنني ألتقط المطرقة بشكلٍ خاطئ فأُخطئ الهدف في الصندوق اللعين، بل استمعت إليك واحترمتك! لذا، عليكما أن تصغيا إليّ جيّداً عندما أُعلّمكما شيئاً أُتقنه!".

توجّه ليو إليهما، وجلس بينهما، ودفعهما بلطف في الاتجاه المعاكس.

"جاسبر، ستخرس الآن".

"أنتَ من قُلتَ إنّه عليّ تعليمهما كلّ ما أعرفه".

"ستُبقي فمك مغلقاً وتنظّف سلاحك. وأنتَ يا فيليكس، عليكَ أن تُصغي إلى جاسبر عندما يتعلّق الأمر بتلك الأشياء؛ فهو يعلم جيّداً ما يتكلّم عنه. ويعرف كيف عليك أن تحمي نفسك؛ تماماً كما قام بحمايتكَ عندما قام أولئك الأغبياء من المنزل المستدير بإشبعك ضرباً؛ فقد ظلّ هناك بالرغم من أنّه تلقى ضربة بمضرب البايسبول على رأسه، بقيَ هناك وضربهم إلى أن وصلتُ أنا. ألا تتذكّر هذا؟".

كانا متعبين ومتوتّرين، وهو يعلم هذا. إذ لم يعد هناك الكثير من الوقت.

"حسناً؟".

انتظر متوقعاً أن يُكملَ أحدهما شاكياً وشاتماً كما يفعلان عادةً. ولكن هذه المرّة، لم يكن هناك سوى الصمت؛ الصمت الذي خيّم على المنزل عندما دخل الغرفة في البداية.

"جيّد. دَعونا الآن نقوم بهذا مرّة أخيرة بعد. مع السترات الواقية، ونحن مجهّزون بالكامل".

كان الورق المقوّى موزعاً على أرضية المرأب، ومليئاً بالأشرطة اللاصقة

بالغة الطول. لا ينبغي أبداً طلب المعدات من شركة سويدية. فإن بدأ رجال الشرطة بالتحقيق لدى شركات الأمن، طالبين منهم أن يُفصحوا عن بعض المعلومات، فهذا هو نوع الرصاص تحديداً الذي سيواجهونه. إنّ شركة الدروع الواقية الأميركية- وهي التي تزوّد الجيش الأميركي بالذخيرة- كانت الرهان الأكثر أماناً.

فتح ليو الصندوق، وأعطى كلّاً منهم سترة واقية من الرصاص. كانت المجموعة الأولى من الدروع الواقية كيفلار التي طلبها تملك نوعاً من الدعامة لحماية العنق والكتفين، ممّا جعلها غير صالحة للاستعمال. ولذلك طلب أربع سترات إضافية، من دون حماية وقائية للعنق والكتفين؛ لأنها تزيد نسبة الخطر بسبب إعاقتها الحركة، وهم يحتاجون إلى التحرّك بحريّة داخل المصرف.

بدا الجميع متشابهين.

أمّا الصندوق الثاني الذي كان تحت طاولة العمل منذ فترة لا بأس بها، فقد احتوى على أربع بذلات جديدة، زرقاء اللون كما في السابق. ڤينسنت، علق كُمُّ بذلته في أحد البراغي وهو يقفز من الإطار الخشبي إلى داخل شبّاك موظّف المصرف. أمّا جاسبر فقد كانت بذلته ضيّقة لدرجة أنه لم يستطِع ارتداء سترة واقية تحتها، في حين أنّ فيليكس وسّخ بذلته بزيت النفط وهو يفكّ براغي مقاعد السيارة.

"إن لم يَقِف أحدٌ في الخارج فسيكون من الصعب جداً إعطاء وصف جيد".

مرّة أخيرة.

قاموا مجدداً بالتمرن للمرة الأخيرة. فارتدوا الملابس، وتجهزوا بالكامل، واستولوا على الهدف.

من شاحنة دودج، إلى مصرف مفترض ومؤقت، ثم إلى السيارة مجدداً.

استغرق الأمر مئة وثمانين ثانية تحديداً.

ومن ثمّ تحولت مكاتب موظفي المصرف إلى ألواح خشبية ورقائقية، في حين أصبحت جدران المصرف ونوافذه وخزنته طابة كبيرة من الشرائط اللاصقة.

"خذ الوقود وكيس النفايات واتبعني إلى الخارج".

أومأ برأسه إلى جاسبر، وعاد إلى المرأب حيث لا يستطيع أحد أن يرى ما في الداخل؛ فهناك حائط بمحاذاة منزل الجيران، وسياج بمحاذاة الطريق السريع. كان برميل الوقود الصدئ على بُعد بضع خطوات. أفرغ كيس النفايات المليء بأشياءَ غطّسها جاسبر بالوقود.

"سننفذ العملية عند الساعة الخامسة وخمسين دقيقة من بعد الظهر؛ أي قبل عشر دقائق من موعد الإقفال. ففي ذلك الوقت، سيحاول الجميع إتمام مهمّاتهم وإنهاءها في الوقت المطلوب".

بدأت رسوم المخطّطات والخرائط كلّها تحترق.

"وجاسبر، عليك أن تبقى مسيطراً على نفسك".

"أعلم جيداً ما الذي سأقوم به بحقّ الله!".

نظر ليو إلى جاسبر الذي كان ينظر إلى الأسفل محدّقاً إلى شهب النيران التي تأكل مخطّطاتهم وطرق فرارهم.

"آه. أتعني تماماً كما فعلت عندما وضعت فوّهة البندقية داخل فم حارس الأمن؟".

يجب عليهم عدم فقدان السيطرة. إذ لا يجب أبداً أن يصبحوا جزءاً من العنف، بل يجب توجيهه فقط. لقد رأى ذلك في عينَي والده منذ زمن بعيد، والآن ها هو يراه في عينَي جاسبر؛ عيون يتمّ التحكّم بها بدل أن تتحكّم هي بالأمور.

"أو عندما أطلقت النار على الشاحنة المدرّعة مع أنّه كان بإمكاننا رؤية أضواء سيارات الشرطة قادمة من بعيد؟".

الفرق بين سحق أنفٍ بلكمةٍ وإحراق منزل.

"انظر إليّ يا جاسبر. يجب أن أتمكّن من الاعتماد عليك. هل يمكنني ذلك؟".

كان هناك دفءٌ ممتع منبعث من قعر البرميل، فبسطا أيديهما فوقه.

"أجل. يمكنك الاعتماد عليّ".

بقيَت تسع عشرة ساعة واثنتا عشرة دقيقة على موعد تنفيذ العملية.

"ماذا لو علقت؟".

"عَلِقت!".

"ماذا لو عَلِقتُ في النافذة؟".

"أيّة نافذة؟".

"نافذة موظّف الصندوق في المصرف. أعني وأنا أجتازها".

كان سيقوم بسرقته الأولى لمصرف بعد أربع دقائق واثنتي عشرة ثانية.

"لن تَعلَق".

"ولكن، ماذا إن عَلِقت؟".

" ڤينسنت".

"ماذا؟".

"انظر إليّ. لن تَعلَق. إن لم تفكّر بالأمر فلن تَعلَق. اتفقنا؟".

راقبَ ليو أخاه وهو يفتح أزرار سترته الواقية حتى الخصر، ثم شَدّ الحزام أضيق بعروةٍ. يمكنهم أن يروا بعضهم، ولكن ليس الخارج؛ إذ كانوا رابضين في القسم الخلفي لإحدى سيارتَي الڤان اللتين سرقهما فيليكس البارحة في ساعة متأخّرة من الليل. بيد أنّه كان يعلم تماماً أين يتواجدون في هذه اللحظة، ويعرف المسافة التي اجتازوها حتى الآن. لم يرَ المستديرة الأخيرة، ولكنه شعر بها عندما وصلوا إلى منتصفها.

كانوا يبحثون عن ڤان ذي شعار بارع الصنع على جانبيه، وقد وجدوا الڤان المثاليّ. فهذا الڤان يمكنه أن يقترب من المصرف كثيراً من دون إطلاق أيّ إنذار عاجل. وكلّ من سيراه سيتمكّن من وصفه بوضوح لاحقاً.

أمسك ليو مقبض الباب الخلفي للمحافظة على توازنه وهم يغادرون المستديرة، في حين كان ڤينسنت وجاسبر جالسين القرفصاء قُبالته، وقد تمسّكا بحلقتين معدنيّتين مثبّتتين في الأرض. ما زالت هناك عشرون ياردة، ثم سيمر الڤان فوق مطبّ واضح وهم يغادرون هاندلز فاغن، ويجتازون رصيف المشاة، ويلتفّون حول مستديرة سفيدميرا. اجتازوا المسافة الأخيرة، ثم سمع صوت مكابح الإطارات على الأسفلت الرطب.

عدّل ليو سماعة الأُذن، وتأكّد من أنّ "الميكروفون" متّصل بثبات بياقة بذلته، ثم انتظر ريثما تأكد ڤينسنت وجاسبر وفيليكس من سماعاتهم.

"ميكي ماوس".

كانت الأقنعة السوداء ما زالت مرفوعةً إلى الأعلى فوق جباههم، لذا أسدلوا القماش على وجوههم.

"أفهمتم ما ستقومون به جيداً؟".

ابتسم جاسبر وهو يضع يده على سماعة أُذنه التي بدت نافرة إلى الخارج تحت القماش.

"ميكي ماوس، اللعنة!".

"جاسبر، هذا يكفي".

"ميكي ماوس، ميكي ماوس، ميكي..."

"كفى".

كان ليو قد هدّأ ڤينسنت للتوّ، وطمأنه بأنه لن يعلق في النافذة. ولكن، كان من الصعب ملاحظة توتّر جاسبر؛ فهو رجل يتحضّر لعنفٍ راشد بينما يتصرّف كالأطفال، ومن دون مسؤولية.

إنها أوّل عملية سرقة مصرف حقيقية يقومون بها. لقد كان لكلّ منهم أُسلوبه الخاص.

"سأقوم بالتجربة".

كان جهاز الإرسال في جيب بذلته الأيمن، وسبابته على الزرّ الصغير، وتكلّم بهدوء.

"واحد، اثنان. واحد، اثنان".

كان صوته في رؤوسهم؛ الصوت الذي سيتولّى توجيههم بعد قليل.

"هل تسمعونني؟".

أومأ الوجه المقنّع أمامه إيجاباً؛ إنه ڤينسنت. وكذلك فعل الوجه المقنّع على مقعد السائق، إذ استدار فيليكس وأومأ برأسه. أما الوجه المقنّع الموجود إلى جانبه فلم يومئ برأسه؛ إنه جاسبر.

"مرحباً جاسبر. السبب هو كاتم الصوت، عليك أن تديره إلى الأسفل".

الرجل الذي كان يغنّي ميكي ماوس، ميكي ماوس بصوت طفوليّ أصبح الآن جاهزاً لإطلاق ذخيرة حيّة على الكائنات البشرية.

"فيليكس، تأكد من ماسح الشرطة الضوئي".

رَكَنَ فيليكس الڤان بشكل يمكّنه من رؤية المصرف كله عبر مرآته الجانبية، وعبر مرآة الرؤية الخلفية يمكنه أن يرى ثلاثة سارقي مصارف يتحضّرون للقفز إلى الخارج.

"التواتر الصحيح. مُشفّرة. سنعرف تماماً مكان وجود رجال الشرطة".

"جيّد. ڤينسنت".

"ماذا؟".

"سنمرّ مباشرة عبرهم".

"مباشرة عبرهم".

دوّى صوت غريب لأربعة أسلحة يتمّ تلقيمها معاً في ڤان مغلق، وتردد بين الجدران والأرضية.

"بعد خمس..."

كانت الساعة تشير إلى الخامسة وخمسين دقيقة من بعد الظهر.

"بعد أربع..."

وضع ليو يده برفق على مقبض الباب الخلفي.

"بعد ثلاث، اثنتي..."

"انتظر!".

أدار فيليكس مرآة الرؤية الخلفية.

"هناك رجل عجوز مع "ووكر" للمشي يسير في الخارج، ووراءه امرأة عجوز".

أخفض ليو سلاحه، ثم أعاد العدّ العكسي. كان ڤينسنت هادئاً، وجاسبر مركّزاً.

كان هناك وقت.

ولقد قاطعه.

"فيليكس، اللعنة..."

"لدينا وقت. سندعهما يبتعدان وحسب".

"ليس هناك رجل عجوز لعين مع "ووكر" للمشي! وليست هناك امرأة عجوز لعينة! منذ الآن فصاعداً... هما غير موجودين بكلّ بساطة. سنمرّ مباشرة بينهما. فكلّ ما يوجد في الداخل هو مالنا فقط!".

"هل انتهيت؟".

"فيليكس، نحن..."

"رجل عجوز مع "ووكر" للمشي، وامرأة عجوز!".

أدار فيليكس مرآة الرؤية الخلفية قليلاً، ثم قال:

"لقد ابتعدا الآن".

ثماني خطوات للوصول إلى مصرف هايندلز.

لم يكن هناك أيّ شعور بالذنب، وأيّ قلق، وأيّ ماضٍ أو مستقبل؛ فكلّ حركة أصبحت جزءاً من الحركة التالية.

سار ليو أوّلاً، وتبعه ڤينسنت على بعد خطوة منه، ثم جاسبر على بُعد خطوتين.

كانت تُمطرُ قليلاً. في كلّ مكان هناك عيون؛ أناس يجلسون في صفّ واحد، ويحتسون الشراب خلف زجاج مطعم البيتزا، وبائع الورود وزوجته في ملابس مُدفِئة داخل خيمتهما الزهريّة، وهناك زبونان أمام أحد صناديق المصرف وقد استدارا للتوّ.

لقد رأونا. إنهم يعلمون أننا قادمون، ولكنّهم لم يفهموا بعد.

أوراق الأشجار حقيقية، والعيون حقيقية، والمطر حقيقيّ، والسماء حقيقية، والرياح حقيقية...

أبواب المصرف حقيقيّة أيضاً.

لقد انتهى التدريب، ولم تعُد هناك أي إمكانية للعودة إلى الوراء.

كان ڤينسنت يركّز على رقبة ليو لا غير. ليته ينظر إليه فقط ويبقى هناك. لو أنه يفعل هذا ويستمرّ في السير بالوتيرة نفسها، فسيصل إلى المصرف ويتبعه إلى الداخل.

إذا سارت الأمور على خير ما يرام، يجب أن يروا أمامهم رجلاً بالغاً. هل تفهم يا أخي الصغير؟

ست خطوات. خمس خطوات. أربع خطوات.

في الداخل، سيكون الصرافون جالسين خلف النوافذ الزجاجية. إذاً، يجب أن يقتنعوا بأنّ ثلاثة رجال سيفتحون الأبواب ويدخلون.

إلّا أنّ السترة المضادة للرصاص تحتلّ مساحةً كبيرة من جسمه وتضغط على بذلته، الأمر الذي يصعّب عليه عملية التحرك.

عليك أن تسير بشكل مستقيم. وعليك أن تضع قدمك على الأرض.

كما أنّ الرشاش معلق بشكل مائل على كتفه كالسابق.

تخيل أنك تزن أكثر من وزنك الحالي، وعندها ستسير كما ينبغي.

مهما نظر إلى رقبة ليو، بدا الأمر وكأنه لن يصل أبداً إلى المصرف. كان منتبهاً إلى مشيته، واضعاً قدمه كلها على الأرض.

لم يكن يقترب.

لم يكن يقترب...

لم يكن...

" ڤينسنت".

توقف ليو عن السير فيما كانت تفصله خطوة واحدة عن الباب، وتحدّث عبر "الميكروفون" المتّصل بثلاث سماعات.

"اذهب مباشرةً نحوهم واخترقهم".

ثم استدار، ووضع يده على كتف ڤينسنت كما يفعل أحياناً.

اذهب مباشرةً نحوهم واخترقهم.

كان صوت الأخ الأكبر يدوّي في رأس الأخ الأصغر كما هي الحال دائماً.

الآن، حرّك ليو يده ليغطي "الميكروفون"، ثمّ انحنى إلى الأمام، وبيده الثانية، سحب السماعة التي تغطي أذن ڤينسنت، وهمس له قائلاً:

" ڤينسنت، أنا أحبك".

ثمّ استدار متوجهاً نحو المصرف.

فتح ليو بابَي المصرف الزجاجيين، وتبعه ڤينسنت إلى الداخل. أحبك؛ وحدها ماما كانت تقول ذلك. سارا في مدخل ضيق، وكان الهواء الساخن يلفحهما، فيما كان ڤينسنت يتساءل عمّا عناه ليو بالفعل. هل كان فعلاً يحاول أن يجعل أخاه الصغير مسترخياً، ويحاول حثّه على المشي كرجل بجانب الناس الذين لم يتنبهوا إليه، أو إنهم يخاطرون بحياتهم وليو على علمٍ بذلك. لكنه لم يقل شيئاً!

لم يعد أي صوت يُسمع.

كان الهدوء يعمّ المكان، فاستدار ليو، وأطلق ثماني عشرة طلقة نارية باتجاه كاميرا المراقبة التي تكسرت وأصبحت كورود مشتتة في السقف، كبتلاتٍ حول العدسة. أما جاسبر، فقد أطلق خمس عشرة طلقة نارية على الكاميرا الثانية التي تحولت إلى حطام وسقطت على الأرض.

"أربعة أزرق!".

صرخ ليو في وجهه، وشفتاه تظهران من خلف النسيج الأسود، إلّا أنه لم يسمعه.

"أزرق رقم أربعة!".

ألقى ڤينسنت نظرة على الناس الجاثين على الأرض، وقد وضعوا أيديهم على رؤوسهم.

"أزرق رقم أربعة، نافذة الصراف!".

تحرك مجدداً، وسار نحو صرّافي المصرف. رأى المرأة التي ترتدي السترة الصفراء المبطنة بعد فوات الأوان، وداس على ذراعها في حين أغلقت الصرافة الباب بقوة وجلست على الفور وراء المنضدة.

ماذا لو كانت النافذة مغلقة؟

ماذا لو لم يكن باستطاعته القفز فوق المنضدة والزحف؟

ماذا لو علق؟

"تسعون ثانية!".

ركض ليو ووقف بجانبه وهو يصرخ. ثمّ رفع بندقيته مجدداً، وقفز قليلاً

ممسكاً المقبض بيده اليسرى. عشر، عشرون، ثلاثون، أربعون طلقة نارية.

"أزرق رقم أربعة، الآن!".

استطاع ڤينسنت أن يسمع مجدداً. كان كل شيءٍ واضحاً.

ثبت الزجاج في الهواء قليلاً وكأنه لن يسقط على الأرض، فيما أسرع ڤينسنت باتجاه نافذة الصراف التي لم تعرقل طريقه، ولم تعد السترة ضيقة عليه، ولم يعد الحزام يزعجه. استطاع فعلاً أن يسمع صوت حذائه وهو يسحق الزجاج على الأرض وهو يركض. علت هسهسة وصوت حادّ حالما وصل إلى منضدة الصرافة، وقدماه تسحقان الزجاج على الأرضية الخشبية. بدا الأمر وكأنّ أحدهم يمضغ مكعبات ثلجية. وبعد أن ركض باتجاه الباب الداخلي ليُدخل الأزرق رقم ثلاثة، عاد إلى الصرافة وصرخ في وجهها قائلاً:

"أعطيني المفاتيح التي تؤدي إلى حجرة الخزنة".

تحدّث بالصوت نفسه الذي تدرب على استخدامه، وقد نجح الأمر. برزت أظفار الصرافة المطليه بالأحمر وأعطته المفاتيح.

"تسعون ثانية!".

كان يقف وسط المصرف، وعلى الأرض ستة أشخاص، من بينهم المرأة التي ترتدي السترة الصفراء المبطنة والتي لم تصدر أي صوت حين وطأ ڤينسنت على يدها بقدمه، ورجل يرتدي معطفاً وينتعل حذاءً بنياً من دون كعب كان قد رفض التمدد إلى أن أجبره ليو على فعل ذلك مهدداً إياه بالمسدس، وسيدة مسنة تستند إلى المنضدة وتتأمله، لم تكن ترجوه ولم تبدُ خائفة، وإنما أرادت فقط أن ترى ما يحصل وتسجله. وكان هنالك شابان يقفان خلف شجرة نخيل بالقرب من النافذة الأمامية وهما في مثل سنّه. لا بد أنهما سيتحدثان لاحقاً عن وضعهما خلال عملية

السرقة. بالإضافة إلى تلك المرأة التي تحمل كيس بقالة يحتوي على رقائق الذرة والخبز وعلبة حليب للأطفال.

"مئة وعشرون ثانية!".

من موقعه في وسط المصرف، استطاع ليو أن يرى الأزرق رقم ثلاثة وهو يفتح الباب المؤدي إلى حجرة الخزنة ويسحب رزم مالٍ عن الرفوف ويضعها بسرعة في حقيبة ظهره. بعد ذلك، أطلق عياراً نارياً باتجاه الخزنة لفتحها وأفرغها من الخمسمئة كرونة التي كانت في الداخل، بعد أن كان قد صنّفها ولفّها في شرائط قاسية من الورق. كما شاهد الأزرق رقم أربعة وهو يتنقل من صندوق نقد إلى آخر ويضرب الكراسي التي تقف في طريقه الواحد تلو الآخر، ويسحب ما في صناديق النقد من أموال ويفرغها في حقيبته.

كان جاسبر ممتازاً في أداء عمله، وڤينسنت كذلك أيضاً.

يبقى فيليكس.

"من أزرق رقم واحد إلى أزرق رقم اثنين".

قرّب "الميكروفون" من فمه، ونظر من النافذة نحو الفان الذي كان لا يزال في الساحة ومحرّكه لا يزال قيد التشغيل.

"هل ترى أي شيء؟".

"أرى شيئاً ما، هل تعرف المكان قرب المصرف؟".

"أعني..."

"متجر بيتزا النمل. ما هذا الاسم المقيت!؟".

"أزرق رقم اثنين... هل ترى شيئاً؟".

"أرى ثلاثة رجال يجلسون قرب النافذة وكل منهم يحمل زجاجة من الشراب. إنهم ينظرون إليّ ويحتسون الشراب و..."

"تباً، أزرق رقم اثنين! هل ترى رجال شرطة أو تسمع صفارات الإنذار؟".

"إنهم ينظرون أحياناً إلى المصرف. أعتقد أنهم يحتسون شراباً منعشاً".

يتحدث فيليكس عن أمرٍ آخر.

كل شيء باستثناء العدّ العكسي والمراقبة وتدفّق الأدرينالين.

" كما يبدو أنهم يتناولون البيتزا مع الفطر المعلّب واللحم المصنّع. ويبدو أنهم يقضون وقتاً ممتعاً".

إنّه صوت يبدو عليه التذمر دائماً، ولكن يمكن دائماً الاعتماد عليه. لذلك، بدأ بالتحدث عن الشراب والفطر المعلّب والرجال الثلاثة في مطعم البيتزا. كان يقوم بتهدئة أخيه الأكبر الذي كان يقف في الطرف الآخر من نافذة العرض، داخل المصرف وهو محاط بأشخاص مخيفين. كان يحتسب الوقت.

"مئة وخمسون ثانية!".

حان الوقت ليغادر جاسبر حجرة الخزنة، ولينتهي ڤينسنت من جمع النقود من صناديق النقد. أما فيليكس فتقتضي مهمته تشغيل محرّك السيارة والنظر من النافذة الخلفية وقيادة السيارة على الفور حالما يخرجون من المصرف.

استمر ليو في احتساب الوقت. سيكون آخر من يغادر، وسيحرس طريق المصرف التي تؤدي إلى سيارة الهروب.

"مئة وستون ثانية!".

لقد فعلوها.

قفز ڤينسنت فوق المنضدة وسار مسرعاً بين الناس على الأرض. بدأ فيليكس بتشغيل محرك السيارة، وبالتأكيد بقي ليو واقفاً ليراقب ويحتسب الوقت. ثمّ أُطلق عيار ناري آخر. جاسبر. كان يجب أن يكون خلف ڤينسنت، ولكنه لا يزال في حجرة الخزنة، وها هو يطلق عياراً نارياً على الخزنة الثانية بغية فتح الجزء الثاني منها والذي يحتوي على خمسمئة كرونة، ويضعها في الحقيبة.

"مئة وسبعون ثانية!".

والخزنة التالية.

"مئة وخمسة وسبعون ثانية!".

والخزنة التالية.

"مئة وثمانون ثانية!".

اتفقوا على العمل معاً باستخدام وسيلة تزيد الأرباح إلى أقصى حدّ من دون زيادة المخاطر. وها هو الاتفاق يتم انتهاكه؛ مجدداً.

"إلى الخارج!".

استهدف ليو السقف.

"اخرج من هناك!".

وأطلق العيار الناري.

"إلى الخارج، إلى الخارج، إلى الخارج!".

أطلق عيارين ناريين آخرين على السقف فوق حجرة الخزنة تماماً، فسقطت شظايا من حجارة الجدران والبلاستيك على رؤوس الناس الذين كانوا يخفضون رؤوسهم. بدا الأمر وكأنّ جاسبر فهم فجأةً، فأفلت من يده الصندوق الذي أفرغه، وأغلق سحاب الحقيبة، وركض نحو المدخل والمستديرة والسيارة.

احدودبوا إلى الأسفل بالقرب من بعضهم. لم تكن المسافة التي يجتازونها طويلة؛ من الساحة الصغيرة إلى الرصيف، ومن ثمّ يميناً نحو الطريق العام. تفصلهم مسافة قصيرة عن التقاطع الأول، ومن ثمّ عليهم الاستدارة يساراً للمرور تحت أعمدة من الخرسانة السميكة التي تسند قضبان مترو الأنفاق. تمكن ليو من سماع صوت قطار يمرّ فوق رؤوسهم. لم توقف الشرطة بعد حركة المرور المحلية.

وكان الهدوء يعمّ المكان في هذا المساء المظلم.

هناك موقف شبه مهجور يبعد حوالي مئة وخمسين ياردة عن المصرف الذي سرقوه للتوّ. وكان المدخل إلى مترو الأنفاق أمامهم مباشرةً، وإلى يمينهم كشك للهوت دوغ ومستشفى ستوربي، أما إلى يسارهم فيوجد حيّ يتألف من منازل صغيرة بُنيت في الثلاثينيات.

كانت الأسلحة محشوة، والأقنعة لا تزال على وجوههم.

بدأ بالعدّ مجدداً.

بقوا في السيارة طوال المدة التي خطّطوا لها.

لطالما كان الجوّ بارداً في المقبرة.

ولكن، بطريقةٍ ما، حين تملأ أوراق الأشجار المدافن، يتبدّل الجوّ فيصبح دافئاً؛ وكأنّ أحدهم يعتني بها ويحميها.

مسح جون برونكس المياه المتجمعة على مقعد هزّاز وجلس.

إنها من بين المقابر الكبرى التي يبلغ عددها ثلاثين ألفاً في في السويد.

نورا بيجرافنينسبلاتن، المقبرة الشمالية. القسم أ 18. قطعة الأرض 575.

كان قد تجنب المجيء إلى هنا لفترة طويلة، رغم أن قبضتي اليدين قد دُفنتا هنا وفقدتا قوّتهما إلى الأبد.

كانت شاهدة القبر جميلة، فهي سوداء اللون ومن الجرانيت الناعم، وبالكاد تعود إلى عشرين عاماً مضت، إلّا أنها بدت أقدم بكثير، وكأنها تعود إلى زمنٍ قديم جداً.

انحنى إلى الأمام وعدّل نبتة بنية. وكانت ثمة كومة من الحصى والتربة مجرّدة من الحياة تماماً بالقرب من القبر. كان أحدهم يضع الورود عليها دائماً، ولطالما تساءل عمن يكون ذلك الشخص. فهو لم يقم بهذا العمل مطلقاً. هل هي أُمّه يا تُرى؟ لمَ قد تضع الورود هنا، فوق قبر أبيه؟!

كما أن هنالك شجرة نخيل إلى جانب شاهدة القبر. وُلد. توفّي. جورج برونكس. حروف ذهبية حفرها نحّات بالقوة. كان في السادسة عشرة من عمره، حين وُضع التابوت البني في الحفرة المخصصة له. تذكّر كم كان ثقيلاً وأوشك على

السقوط، كما تذكّر كيف وقفت أُمّه بجانب التابوت وهي تجهش بالبكاء. تذكّر وجهها فقط. كان كل الذين حضروا الجنازة يبدون وكأنهم شخصٌ واحد. حضر أفراد العائلة والأصحاب والزملاء؛ أشخاص عرفهم جون من أسمائهم ولكنه لم يقابلهم. كانت ربطة العنق تضغط على رقبته، لذا انتزعها وأحرقها وأخذ عهداً على نفسه بألّا يضع واحدةً مثلها مجدداً.

رغبت أُمّه في زيارة المقبرة في اليوم التالي، فذهب معها.

ظنّ أنها تود أن تزور المقبرة لأنها لم تكن صريحة أثناء مراسم الدفن، وذلك لأنها كانت خائفة من أن يعرف الآخرون مشاعرها الحقيقية تجاه زوجها. ولكن، لم يكن ذاك هو السبب. فهي لم تستوعب ما حصل حتى الآن.

كانت موافقة على تعرضها للضرب وعلى التحكم بها يوماً بعد يوم. وكلما حاول جون مصارحتها بما كان يحدث وسؤالها عن شعورها في تلك الأيام، لم تكن تتذكر، وكانت تقول له: ماذا تعني؟ وكأنها تخفي ذلك الشعور في أعماقها. أنت تعرفين ما أعنيه. بدا له وكأنّ أُمّه لم تكن تريد التحدث عن ذلك. جون، لا أحب أن تتكلم بهذه الطريقة.

وضعا أكاليل زهور على القبر، وقالا ما يفترض بهما قوله.

وقف جون إلى جانبها، وهي تتأمل كومة الحصى. عندها، أدرك السبب الحقيقي لبكائها. لم يكن بكاؤها من أجل أبيه، وإنما من أجل سام الذي لم يستسلم على عكسها. في ذلك الوقت بالذات، قررت عدم تذكر أي شيء.

قطرات قليلة أخرى من المياه. كان الفانوس الصغير منحرفاً، فدفعه نحو التربة الناعمة.

كان قد أوقف السيارة عند المدخل، فغادر بهدوء. سار في الطريق المؤدي

إلى دار العبادة سولنا باتجاه المدينة. وكان في منتصف الطريق إلى مركز الشرطة حين سمع صفارة الإنذار للمرة الأولى. "سرقة مصرف. سويدمايرا". كان يبعد عن الطرف الآخر من المدينة مسافةً طويلة. لذا، قاد السيارة باتجاه كرونوبرغ، وعاد الصوت إلى الإذاعة. "مدججون بالأسلحة". بدا الأمر مألوفاً. "أسلحة عسكرية". كان يستمع، وسرعان ما غيّر وجهته نحو الجنوب. "إطلاق نار كثيف".

لم يكن يعرف السبب بعد، حتى إنه لم يعرفه لاحقاً، إلّا أنه زاد سرعته.

—

"تحديد موقع سيارة الفرار".

يصدر أحدهم ضجة ليبعد الآخرين باستعمال الأسلحة التي تُرهب، وباستخدام القوة.

"على بُعد مئة وأربعين ياردة من مسرح الجريمة".

جعفر وغو باك.

"مرأب قرب محطة مترو الأنفاق في سويدمايرا".

ولكن، كان ذلك غريباً جداً، غريباً لدرجة أنه لم يكن له أي تفسير.

إذ لا يقود السارقون لمسافة مئة وأربعين ياردة، ثم يركنون سيارات الهروب ويأخذون بطاقاتهم ويستقلون مترو الأنفاق!

"لم يغادر المشتبه بهم السيارة".

حمل جون برونكس جهاز الراديو وتحدث عبر "الميكروفون".

"برونكس، شرطة المدينة، هنا. كرر".

"المشتبه بهم لم يغادروا السيارة".

ما لم يكن واضح المعنى قبل قليل لم يعد له أي معنى على الإطلاق.

بعد ثوانٍ قليلة من القيادة، ركنوا السيارة في أقرب محطة لمترو الأنفاق، وبقوا هناك داخل السيارة.

قبل التقاطع مباشرةً، لوّح له رجل شرطة يرتدي سترة خضراء مصفرة من الطرف الآخر. وهناك، بعد التقاطع، قرب مسرح الجريمة، وتحت الأضواء الزرقاء، توقّفت سيارتان للشرطة على الطريق بشكل منحرف.

"عذراً، تمّ إغلاق هذا الطريق. سأطلب منك إما أن تستدير أو تخرج من اليمين أو اليسار".

بحث برونكس عن شارته الجلدية السوداء وبطاقة هويته وغلاف حافظ أصفر وأزرق وأحمر داخل جيب قميصه.

جون برونكس، مكتب التحقيقات.

اقترب وجهُ شخص صغير في السن من النافذة، متفقداً شارته، وأومأ برأسه محاولاً أن يقرر ما إذا كان الرجل الذي يبدو في الصورة ذو الشعر الأسود القصير ومتوسط القامة هو الرجل نفسه الجالس على المقعد الأمامي أم لا. كان برونكس معتاداً على ذلك في كل مرة يخضع فيها جواز سفره للتفتيش؛ إذ كان ضابط الشرطة يقارن الصورة مراتٍ عدة قبل التأكد من مظهره.

في النهاية، تمكن زميله من ذلك، وأومأ برأسه وغيّر لهجته.

"يبدو أنهم ما زالوا هنا".

"لقد سمعت ذلك".

"وهم مدججون بالسلاح".

"سمعت هذا أيضاً".

تنحّى جانباً وصرخ باتجاه الطرف الآخر من التقاطع: إنه واحدٌ منا، دعوه يمرّ. بينما كان برونكس يرفع زجاج نافذته تاركاً خلفه وجه الضابط الصغير القلق. قاد بين سيارات الشرطة المنحرفة، متوجهاً نحو الطريق الخالية. حتى إنّ طريق مترو الأنفاق كان خالياً، رغم أنه يشهد عادةً حركة كثيفة للقطارات في كل دقيقة. هذا ما رآه في عيني زميله الشاب. أصبح كل شيءٍ غريباً، كما اختفى شعوره بالأمان. بدا له وكأنّ الأنوار المنبعثة من المصابيح الأمامية تلتقي في الظلمة، والسكك تصدر صريراً حين تمرّ فوقها القطارات التي يبلغ وزنها أطناناً. يتوجه الناس إلى بيوتهم.

أبطأ سرعته حين وصل إلى تقاطع. اهتز الشريط الأبيض والأزرق في ريح الظهيرة أمام المصرف عند مستديرة سويدمايرا، مبعداً الناس الذين لم يدركوا ما حصل.

ركن السيارة على مسار الدراجات الهوائية، وأسرع باتجاه العشب الرطب الذي تظلله الأعمدة التي تبدو على شكل أعواد الثقاب والتي تحمل السكك فوق هذا الطريق.

"ما عدد الفرق المتمركزة في مواقعها؟".

كان أول رجل شرطة رآه يرتدي الزيّ ينتظر في موقف سيارات، مختبئاً بين الأعمدة العالية. توجه برونكس نحو أحدهم، وهو في مثل سنّه وطويل. إنه يعرفه إلّا أنه لم يستطع تذكر اسمه، إنه رقيب في شرطة سودرتورن.

"تم وضع فريق على المنصة، ويوجد فريق آخر خلف الكشك هناك. هل ترى؟ كما يوجد فريق في ممشى المستشفى هناك، وآخر في قطعة الأرض الكبيرة بجانب ذاك البيت المضيء".

كان الرجل المجهول يشير بذراعه إلى مواقع عدة، مما أحرج جون برونكس. كان عليه أن يعرف اسمه.

"وهناك أمامنا، السوات، فريق الأسلحة والتكتيكات الخاصة يستعد للتدخل".

بالكاد كان هناك مكان في الموقف. عشرة مواقع بين الأعمدة الخرسانية. وهو المكان الذي قد يمرّ فيه من دون أن يراه؛ إذ إنّ مصابيح الإنارة في الشارع لا تضيئه بشكلٍ كافٍ. فيه سيارتان مركونتان؛ سيارة فورد بنية أكثر قدماً مرفقة بإطار لا بد أنه يصدر صوتاً مزعجاً في كل مرة يصطدم فيها "بمطبّ". كان باستطاعة جون برونكس أن يسمع صوت كاتم الصوت، بالإضافة إلى شاحنة دودج صغيرة صفراء اللون، أو هذا ما يعتقده على الأقلّ. لم يكن اللون واضحاً بسبب الظلمة، ولم يتمكن من تمييز أي شيء فيها سوى شعار روتو- روتر على الجانبين.

" لمَ تسرق مصرفاً بحق الله وتبقى ظاهراً للعيان؟".

نظر الرجل المجهول إلى سيارة الهروب. كان يقف على هذا الشكل حين وصل برونكس، وكأنّ هيكل السيارة الفولاذي يمتصّه في كل مرة كان يتنشق فيها الهواء، ويهرب منه بشكلٍ آخر في كلّ مرّة يزفر.

"جون، أتفهم ذلك؟ ماذا لو كانوا لا يزالون هنا؟ هذه مبالغة في الادّعاء. سرقة مصرف. اصعد إلى سيارتك وقدْ لحوالي مئة وأربعين متراً، ثم اركن السيارة وانتظر".

جون. لقد قال اسمه. ولكن الأوان كان قد فات. حان الآن دور برونكس ليقول اسماً ويثبت أنهما التقيا في السابق.

"كلا".

تباً! شعر بالذنب وسط ملاحقة أربعة سارقي مصارف عنيفين. ولكنه لم يستطع مقاومة هذه الحالة. إذ يبدو وكأنه يهمش أحدهم إن لم يتذكر اسمه.

"... لا أفهم ذلك أيضاً".

"الكل في مكانه".

كان الرجل المجهول يتحدث عبر "الميكروفون" المثبت على ياقته اليمنى، ويجب أن يكون الصوت واضحاً ومنخفضاً لتجنب سماع السارقين أي شيء.

"ادخلوا بعد خمسة، أربعة، ثلاثة، اثنين، واحد... الآن".

بعدها، من الظلمة، ظهر رجال متشحون باللون الأسود، ويعتمرون خوذاً، ويرتدون سترات واقية من الرصاص، ويحملون مسدسات؛ ثمانية أجسام في حركة واحدة. شهد جون برونكس هذا الأمر مراتٍ عدة في السابق، كما شعر به مراتٍ عدة؛ أي اتخاذ موقف لمواجهة العنف والقوة. لم يشاهد من قبل عملية سرقة لمصرف، ولكنه تفحص لاحقاً أفلام المراقبة مراتٍ عدة، وكان الأمر واضحاً. كان رجال الشرطة يسيرون بجانب السيارة، تحركهم الحوافز نفسها التي تحرك أولئك الذين يضعون أقنعة في الداخل؛ ألتقي أعدائي، وأتأكد من أنني أستطيع أن أحقق ما تدربت عليه من دون أن أتكبد أي خسائر.

تحركت ثمانية ظلال.

بقي أحدهم قرب الأعمدة الخرسانية مستهدفاً مقعد السائق، فيما ركع آخران واستهدفا النوافذ الجانبية الطويلة، واستهدف الآخرون الجانب الآخر من السيارة والأبواب الخلفية.

لم يعد باستطاعته حتى أن يشعر بالأنفاس خلف رقبته.

فقد انقطع صوت تنفس الرجل المجهول، وكأنه يلتقط هذه الصور من داخل الـﭬان مع كل عملية استنشاق وزفير. وهو الآن يمسك أنفاسه.

أكمل اثنان من فريق الأسلحة والتكتيكات الخاصة سيرهما نحو السيارة، وتوقّفا على بعد موقف واحد منها، محدّقين باتجاهها. إنها فارغة. إن كان أحد ما يختبئ هناك، فهو في الجزء الخلفي من السيارة. لذا، صارت كل الأسلحة تستهدف تلك المنطقة.

بقي واحد.

زحف نحو الباب الجانبي حاملاً المصباح اليدوي.

كانت السيارة مقفلة.

وضع يده اليسرى بروية على المقبض، وفتح الباب بسرعة، ورمى بنفسه على الأرض.

لم تحدث أي انفجارات في الظلمة.

ولم يحدث أي إطلاق نار على الإسمنت.

لم يصرخ أحد، ولم تكن هناك كراهية، بل كان هناك مجرّد صوت على الراديو.

"الڤان فارغ".

هزّ ليو الزجاجة، ثم صب الشراب في الكؤوس الصغيرة، وبعد ذلك احتفل الجميع بنجاح أوّل عملية سرقة لمصرف، وراحوا يغنّون ويحتضنون بعضهم بعضاً. احتست أنيللي الشراب، ثم أعادت تعبئة كأسها. أما ڤينسنت الذي لم يتفوه بكلمة منذ وقوفهم خارج المصرف فقد رفع كأسه وصرخ كما فعل فيليكس.

واستمر جاسبر في التكلم عن كيفية إطلاقه النار على كل الخزائن في المصرف.

"الكلّ في موقعه".

ساد الصمت، وانحنوا إلى الأمام وهم يستمعون إلى جهاز الاتصال الخاص بالشرطة، والذي تم وضعه وسط طاولة القهوة وبين كؤوس الشراب.

"ادخلوا بعد خمس..."

كان صوتٌ حادّ يقوم باحتساب الوقت، بينما بدأ ثمانية أعضاء من فريق الأسلحة والتكتيكات الخاصة يقتربون تدريجياً من الڤان.

"... أربعة، ثلاثة، اثنان، واحد... "

الآن، هدأ الصوت؛ تماماً كما حصل في الغرفة، وبدأت أصوات أخرى تعلو. لم تعد تسمع أي كلمات، ولكن الأصوات التي سُمعت كانت لغة بحدّ ذاتها.

كشط الأقدام

تنفس عميق

صرير باب السيارة

ومن ثمّ...

أقوى وأوضح صوت على الإطلاق.

الهدوء

الهدوء الذي يحصل حين يقترب أشخاص من بعضهم بعضاً، ويستمعون إلى عدوّ تم هزمه.

الـفان فارغ.

ثمّ علت ضحكاتهم. ضحك جاسبر بقوة كما كان يفعل حين يسدي الأوامر؛ كمن لا يعي طريقته الخاصة في الضحك. وكان فيليكس يضحك ضحكةً مكتومة؛ بدأها بضحكة صغيرة راحت تعلو تدريجياً، وكان غالباً ما يتوقف ليتنفس. وبين حينٍ وآخر، كانت تُسمع ضحكة أنيللي بشكل مستمرّ ومن دون تَوقُّف. أمّا ڤينسنت- الذي بالكاد سُمع صوته- فقد أضحك كل من حوله. ابتسم ليو لشخص لم يعد يطلب الإذن، لشخص أصبح يمشي كالرجال، ويقفز فوق منضدة المصرف. نظر ليو حوله، متأملاً كل وجهٍ على حدة. لم يكن بحاجة إلى الضحك، فقد كان يعلم مكانته، ولعلّه كان سعيداً. تخلص من أفضلية الشرطة في هذا الموقف. والآن، يقف أولئك الأغبياء في الخارج بالقرب من سيارة الهروب من دون أن يفهموا كيف تمكن سارقو المصرف الأربعة من المغادرة.

اضرب ضربتك وارقص. استبق الأمر وانتظر خوف عدوّك. اذهب مباشرةً إلى النواة، فهناك يكونون الأقوى أو الأضعف، حيث تختبئ الفوضى في النظام، وكلّ ما عليك فعله هو استخدام العنف لإضعاف الأمن واستبداله بالفوضى والاضطراب، وللتصرّف في هذا الفراغ.

إنّ إحساس الناس بالأمان مجرّد وهم. إذ كانت الفوضى والنظام وجهين لعملة واحدة، ويأخذ أحدهما مكان الآخر حين يتم وضع حدّ معيّن. وهم ما كانوا يعرفون أن ذلك ممكن. العنف هو ما يسبب هذا الفراغ. توقّف الوقت بالنسبة إلى الذين تمددوا على الأرض، وبالنسبة إلى الذين يصرخون عبر أثير الراديو قائلين إنّ السارقين يصرخون بشكلٍ هامشي. لم يتم فهم الكثير من الأمور؛ إذ لم تكن الأمور منطقية. وهذا ما أربك الجميع، ومنح ليو ومجموعته ثلاث دقائق للتصرف بحرية.

وقفوا هناك بزيّهم بهدف استعادة الأمن والنظام، وفتحوا الباب الجانبي للفان الفارغ. كان السارقون في بيتهم.

" ڤينسنت".

ما بين العناق واحتساء الشراب، كان ليو يراقب ڤينسنت الذي لم يكن يدرك كيف يعبّر عن مشاعره.

"ماذا؟".

"تعال معي يا ڤينسنت".

"إلى أين؟".

"تعال وحسب".

كانوا قد غادروا مسرح جريمة السرقة مغتبطين. وخارج المنزل، كانت الظلمة تسود المكان، وكان المطبخ في منزل جيرانهم كمسرح مضيء، وقد وضعت شابة وعاءً زجاجياً على طاولة مستديرة، فيما وضع شاب طفلاً على كرسيٍّ عالٍ، وهناك صدرة على صدره وملعقة طعام في يده. يبدو أن أحدهم أصرّ على تناول الطعام بمفرده.

"هل تذكر؟ لطالما بصقت على الموز المهروس".

"وما زلت أفعل ذلك".

"ولكنك كنت تحب الخوخ المعلّب حين أقطعه إلى مكعبات. كنت تبلغ من العمر سنةً واحدة. وكنت أبلغ ثمانية أعوام. حدث الأمر منذ زمنٍ طويل. أتعلم؟ لقد أتقنت عملك اليوم".

"كلا، لقد ترددت".

"ولكنك بعد ذلك لم ترتكب أي خطأ. لقد قفزت على المنضدة، وأخذت المفاتيح إلى حجرة الخزنة، وفتحت الباب لجاسبر وأفرغت الصناديق. وكان كل ذلك ضمن الخطة".

"لقد توقّفت وترددت. كان من الممكن أن تتطور الأمور إلى الأسوأ".

"لقد حللت المشكلة، أليس كذلك؟ فقد سيطرنا على الموقف لثلاث دقائق. هكذا كان الوضع يا ڤينسنت. كنّا بأمان على عكس الآخرين. ولهذا السبب تسنى لنا الوقت كي نصلح خطأً لم نتوقعه".

بدأت العائلة في المنزل الآخر تتناول يخنة لحم البقر والسلطة. رفع ليو كأسه محيِّياً ڤينسنت، ثم احتسيا الشراب كله.

"يجب أن تنسى هذا الأمر الآن. أتسمعني؟ كل ما عليك التفكير فيه الآن هو أنك قمت بالعملية على أكمل وجه. هذا ما يجب أن تفكر فيه في المرة التالية".

سارا من المطبخ باتجاه الغرفة التي تقع فوق كهف الجمجمة، حيث توجد الأكياس التي كانت قبل ساعة من الوقت متدلية من صدر ڤينسنت وجاسبر بينما كانا يملآنها بالمال.

"حصلنا على مليون تقريباً، وربما مليون ونصف".

كانت الرزم السميكة من المال تحمل كل منها خمسمئة كرونة، وتفوح منها الرائحة الاستثنائية للمال المصنوع من القطن الخام. وهناك مئات وخمسينات وعشرينات معبأة في الأكياس الأخرى.

"إذاً، كيف يبدو الأمر؟".

وضع ڤينسنت يده في كيس يحتوي على مئات الآلاف من الكرونة.

"هذا يفوق الطبيعة".

نظر أحدهما إلى الآخر، إلى أن استدار ليو نحو النافذة وطاولة المطبخ في المنزل الآخر. لم يعد الطفل الذي يبلغ من العمر سنةً واحدة يأكل بمفرده، فقد كان والده قربه، ويمسح قميصه وشعره، ويضع في فمه ملعقةً من الطعام تلو الأخرى.

"نعم، هذا مخالف للطبيعة. لقد سرقنا مصرفاً واختفينا، وليست لديهم أدنى فكرة عن كيفية قيامنا بذلك".

بَدَت شظايا الزجاج المتناثرة مختلفة في الضوء المباشر. إذ إنّ الضوء الغامر الذي انبعث من المصباح الذي وضعه أخصائيو الطب الشرعي في الساحة الصغيرة تدفّق من نافذة المصرف؛ الأمر الذي ولّد ضباباً لامعاً من شظايا الزجاج.

لم ينظر جون برونكس خلفه وهو يغادر. ولو استدار، لوجد "الميكروفونات" والكاميرات وأسئلة الصحافيين بانتظاره. ولدى دخوله، تمكّن بطريقةٍ ما من تجنّب طواقم الأخبار السبعة التي كان أفرادها محتشدين في الموقع، وكان ينوي الاستمرار في تجنّبها.

في وسط المصرف، تساقطت الشظايا من السقف واستقرت على علبة حمراء تحتوي على حليب الأطفال. كانت المرأة منذ وقت قصير قد وضعت وجهها قرب الأرضية الحجرية الباردة وأخفته، كما أوقعت كيس البقالة فسقط قرب حذاء أحد المجرمين. جلست على مقعد في الزاوية تستمع إلى أسئلة برونكس من دون أن تتمكن من الإجابة. لقد رأى ذلك في السابق. إذ كانت مرتبكة فقط وتحاول تقبّل الواقع كما هو، إلّا أنّ الصوت المدوّي للعيارات النارية المتكررة قد ألحق الضرر بحاسة السمع لديها وبطبلة أذنها، ما أدّى إلى سماعها صوت صفير مزعجاً في أذنيها.

لم يستدر إلى الخلف رغم معرفته أنّ هناك مصوّرين يلاحقانه، ويناديانه بينما كان يجتاز الرصيف نفسه الذي قطعته سيارة الفرار. وحين وصل إلى التقاطع، وهو أيضاً مسار سيارة الهروب، استسلما وعادا إلى المصرف، وإلى مرشحين محتملين للعمل معهم.

حمل علبة حليب الأطفال المغبرة وأعطاها إلى المرأة التي انفجرت طبلتا

أذنيها. كان هناك تسعة شهود- ثلاثة موظفين في المصرف وستة زبائن- والكل كانوا ممددين على الأرض لثلاث دقائق مرّت وكأنها دهر. وكان هنالك شخصان مصدومان بشدة، لدرجة أنهما لم يتذكرا ما حدث على الإطلاق. قدّم الستةُ الذين استطاعوا التكلم تصريحاتٍ منطقية، ولكن غير متفق عليها بالإجماع، حتى إنّ المراهقين اللذين كانا يجلسان بجانب بعضهما تحدثا عن على مظهر المجرمين.

ريكارد تورسون (ر. ت): أعتقد... بذلات زرقاء، وكأنهم ميكانيكيو سيارات.

لوكاس بيرغ (م. ب): لم تكن بذلات، كانوا يرتدون سترات وبنطلونات بجيوب جانبية.

كما قدّما إفادتهما في ما يتعلق بمن أطلق العيارات النارية على الزجاج المصفّح فأسقطه، وبمن أفرغ حجرة الخزنة، ومن قام بالعدّ.

(ر. ت): كانوا يضعون الأقنعة التي تغطي كل الوجه باستثناء العينين.

(ل. ب): لم يضع الكل أقنعة. على أي حال لا أظنّ ذلك. رأيت فماً واحداً واضحاً على الأقل.

تماماً كما يحصل عندما يترجم وعي الإنسان الأحداث بشكل مختلف عند مواجهة العنف؛ بحسب شكل الخوف، ومداه، ومرور الوقت.

(ر. ت): كنت جاثياً قرب قدميه. كان طويل القامة، ويبلغ طوله متراً وخمسة وتسعين سنتمتراً تقريباً. وأنا متأكد من ذلك. كانوا طويلي القامة بشكلٍ غريب.

(ل. ب): كنت قابعاً على الأرض قربه. بدا قصير القامة نوعاً ما، أقصر

مني وسميناً.

استطاعت شاهدة واحدة أن تصف ما رأته بدقة. إنها امرأة في العقد الخامس كانت تجلس خلف الصندوق رقم 3 حين صوّب رجل مقنّع الرشاش نحوها، وأطلق حوالي أربعين عياراً نارياً على نافذة السلامة أمامها. كانت عيناها صغيرتين وحزينتين، وقد أظهرت للمجرم شجاعتها حين رفعت يدها في وجهه فبدت أظفارها الملونة، بينما كان يأمرها بإعطائه مفاتيح حجرة الخزنة، في حين كانت شظايا الزجاج تتطاير وتسقط على ثيابها وشعرها وجسمها.

إينغا- لينا هيرمانسون (إ. هـ): كان سويدياً. لم تكن لهجته محلية. وكان صوته متقطعاً وكأنه متوتّر. وراح ينظر بعينيه في كل الاتجاهات من دون أن ينظر باتجاهي.

كان يصدر الأوامر ولا ينظر إلى شيء معيّن. وبعد ذلك، فتح الباب الخلفي لسارق آخر، وقد رأت ذلك حين وضعت خدّها على الأرض.

(1. هـ): كان الرجل الآخر ينتظر بعيداً، ويرتدي ملابس كتلك التي يرتديها الجنود في الحرب. وكانت كل آذانهم جاحظة.

طلب أحدهم المفاتيح، وفتح الآخر حجرة الخزنة. وكانت متأكدة من أنهما نظرا مراتٍ عدة إلى الشخص الذي بقي في الطرف الآخر من المنضدة.

(إ. هـ): كان ذلك الرجل يحتسب الوقت من دون أن يرفع صوته. حتى النهاية.

آذان جاحظة، سمّاعات رأس، صوتٌ خافت، "ميكروفون".

القائد.

هناك قائدٌ واحد يأمر، فيما الآخرون ينفذون أوامره.

نظر برونكس حوله من وسط التقاطع، وتأكد من أن لا أحد يلاحقه بينما كان يسير نحو الطرف الآخر من الطريق عائداً إلى المرأب حيث كانت سيارة الهروب الفارغة مركونة. عبرَ قطار الأنفاق الجسر من فوق، وهي سكك حديدية أُعيد تشغيلها.

معدات اتصال، سترات حماية، أسلحة أوتوماتيكية.

عملية عسكرية.

لقد تمت سرقة فان الدودج أصفر اللون ذي الكتابة الجانبية الفلورية التي كانت عبارة عن اسم شركة السباكة التي تملكه في وقتٍ ما في المساء.

كان برونكس يحتسب الوقت... بين الساعة الواحدة والسادسة، إلى أن تم استخدامها كسيارة هروب. تم تركيب أجهزة إنارة، وكان أخصائيو الطب الشرعي يحيطون بها من كل الجهات.

"مدخل قطار الأنفاق. الشوارع في الأمام والخلف وبجانبنا. حاملات دراجات هوائية. نحن نقف وسط تقاطع طرق لعين! هنا يأتي الناس ويتنقلون بالقطار، يصلون إلى هنا ويغادرون سيراً على الأقدام أو على الدراجات الهوائية. الحركة هنا دائمة".

كان رجل الشرطة المجهول في هادينج هناك.

"لم يرهم أحد وهم يغادرون الفان".

لم يُجب برونكس، وكان ينظر إلى المصرف والساحة والتقاطع. هنا تماماً توجد أربع طرق للاختيار بينها. وبعد بضعة أمتار، كان كل طريق يؤدي إلى تقاطع

جديد مع أربع طرق أخرى. أربعة ضعف أربعة ضعف أربعة. مما يعني أن هناك أربعة وستين خياراً. ثمة طرقات أكثر من المربعات على رقعة الشطرنج، وبالتالي، ثمة طرق كثيرة للهروب.

"جون".

لقد ناداه الرجل المجهول باسمه مجدداً، ولم يقوَ جون على عدم الردّ، بينما كان يدّعي أنه يعلم اسم الرجل أيضاً.

"مضت أربعون دقيقة منذ أن فتحنا أول سيارة فان للهروب".

لعلّه يستطيع متابعة الحديث متجنباً الإجابة ومتمنّياً الاستسلام فجأةً.

"هذا هو المكان الأفضل للقيام بعملية سرقة".

لا، لم يستطع.

"فموقع البحث كبير جداً".

استمر هذا الزميل- الذي عمل معه مراتٍ عدة- بلفت نظره بعد كل إجابة جديدة.

"أنت لا تذكر اسمي، أليس كذلك؟".

"ماذا؟".

"إيريك".

"عذراً؟".

"هذا اسمي".

"وماذا لو انفصلوا؟ ماذا لو غادروا السيارة الواحد تلو الآخر واختفوا؟ ماذا لو استقل أحدهم قطار الأنفاق قبل أن يتمكنوا من إيقافه وتنقل بين المحطات وغادر؟".

ثمّ استدار نحو محطة الحافلات.

"وماذا لو استقل الآخر الحافلة 163 وتوجّه غرباً أو شرقاً؟ وإذا استقل الثالث دراجة هوائية وسار بها في المنطقة السكنية هناك، فيما سار الرابع ببساطة وغادر إلى الحيّ هناك؟".

قطار الأنفاق، الحافلة، الدراجة الهوائية، السير على الأقدام.

أو التنقل في أربعٍ وستين طريقاً بواسطة السيارة.

التفت برونكس نحو الفان. في الأمس، كان الفان وسيلة نقل لسمكري، ثم تمت سرقته وتحويله إلى مركبة قتالية، وسرعان ما تحول إلى مركبة للهروب. بعد بضعة أيام، وتحديداً بعد أن عثر عليه مختبر الطب الشرعي في شرطة المدينة، استعاده مالكه.

"إيريك؟".

بالفعل، بدا شريكه مغتبطاً، إلّا أنّ استخدامه اسماً عرفه الآن لم يكن أمراً مريحاً.

"لقد أتوا إلى هنا ليبدأوا حرباً، ولم يكن أحد منهم ليغادر هذا المكان من دون أن يراه الناس وهو يحمل الرشاشات والدروع الواقية والسترات الواقية من الرصاص ومعدات الاتصال".

قطار الأنفاق مجدداً فوق رؤوسهم. إنه نبض المدينة الذي ينقل الناس.

"يجب أن يكون هنالك شاهد".

ضرب جون برونكس بلطف على باب السيارة الجانبي، فزحف فريق الأسلحة والتكتيكات الخاصة وفتح الباب. بدت السيارة وكأنها قذيفة معدنية فارغة تماماً كما بدت في السابق.

"لا بد أن أحداً ما قد رأى السيارة هنا، ورأى اللصوص وهم يغادرونها. لا يمكن لثلاثة رجال بالغين يضعون الأقنعة السوداء أن يختفوا من دون ترك أي أثر".

—

لا يُعقَل.

بعد أن أجاب عن سؤال ليو، ردّد ڤينسنت هذه العبارة نفسها ثلاث مرّات. ومن ثمّ قاما بعدّ رزم الأوراق الماليّة من فئة خمسمئة كرونة ووضعاها في حقيبة واحدة: 924,000 كرونة. لا يُعقَل! ومن ثمّ قاما بعدّ الأوراق الماليّة على اختلاف ألوانها وفئاتها ووضعاها في الحقيبة الأُخرى: 810,540 كرونة. لا يُعقَل! وبعد ذلك قاما بجمع قيمة محتوى الحقيبتين معاً: 1,734,540كرونة. تبّاً، لا يُعقَل هذا!

جلس ليو وڤينسنت وجهاً لوجه على الأرض التي كانت عبارة عن سطح كهف الجمجمة أيضاً، بعيداً عن الأصوت الفرحة الصادرة من داخل المنزل؛ صوتيَ فيليكس وجاسبر وهما يتحدّثان عما حصل. كان يجب أن تَرَي ذلك أنيللي. وادعى جاسبر أنّه ليو، وقلّده وهو يطلق النار على الزجاج المضاد للرصاص فوق صندوق المصرف. كان يجب أن تكوني هناك تماماً. أيُمكِنُكِ أن تتخيّلي يا أنيللي ؟! ومن ثمّ هبط إلى الأسفل لكي يُظهِرَ الطريقة الفضلى لحمل السلاح وتابع: هكذا تكون المعركة أنيللي، والشيء الوحيد الذي لا يمكنكِ القيامُ به أبداً هو التردّد؛ تماماً كما تردَّدَ ڤينسنت. لاحظ ليو في الحال أنّ ڤينسنت يستمعُ إليه، فرمَقَهُ بنظرة تعني تبّاً لكلّ ذلك، ثم نهض وأقفل الباب.

لطالما فعلوا ذلك مرّات عديدة، بيد أنّ الأمرَ ما زال مهيباً بحدّ ذاته.

قاما بلفّ السجّادة ونزع ألواح بلاط الأرضيّة، وأمسكا جيّداً بالحلقات المعدنيّة، ورفعا قطعة الأرضيّة المنفصلة، وفتحا الخزنة.

"ڤينسنت".

"ماذا؟".

"هناك لحظةٌ واحدة في عمليّة السرقة لا يمكن الاستخفاف بها، وليست لها أيّ علاقة بما كان جاسبر يتحدّث عنه. اتفقنا".

أخذ ليو عدّة رزمات من الأوراق النقدية من فئة خمسين كرونة، وعلبة مجوهرات ذات أقسام عدّة، وساعتَي يد من ماركة رولكس.

"إنها اللحظة الحاسمة. وإن أفسدت الأمر هناك..."

خيّم جوٌّ من الهيبة مجدّداً. فتح ليو غطاء علبة الكهرباء، ووصلا معاً سلكين مُنفصلَين، وشاهدا لوحة الخزنة الخلفية التي تغرق داخل الغرفة المخفِيّة.

"... عليكَ أن تستعمل هذا".

بالقرب من الأموال النقدية كانت هناك حقيبتان كبيرتان، ففتح إحداهما ورفع المسدّس الذي قد يستخدمه ليشتّت تسعة أفراد.

"ولكن، ما دمتُ أنا من يقوم بالتخطيط، وما دام كلُّ شخص يعلمُ تماماً ما عليه فعله، فذلك لن يحدثَ أبداً".

جلس على الحافّة ورجلاه مُتَدلّيتَان داخل الحفرة. ثمّ نزل على السُلّم، والتقط حبلاً طليقاً يتدلى من لمبة السقف، ووصله بالقابس الكهربائي، فأضاء الغرفة مصباحٌ كهربائيٌ مبهرٌ وساطع.

"هناك لحظة واحدة لا يمكن الاستخفاف بها أبداً يا ڤينسنت".

ورفع يديه فوق رأسه، جاهزاً لاستلام محتويات الأكياس.

"نقطة تبديل المركبة الأولى؛ التحوّل".

—

لم يكن برونكس يحبّ هذه الرائحة بالذات؛ رائحة الزنخ المنبعثة من زيت القلي والأواني، رائحة الدهون الحيوانية والنباتية على حدٍّ سواء التي تسلّلت لتُعَشّش في جدران المطبخ ومعداته. حرص على أن يستنشق الهواء من فمه وهو ينظر إلى خارج النافذة، من هذه البناية الصغيرة المحشورة بين ركائز قضبان مترو الأنفاق.

جاركو كولكا (ج. ك): تأتي السيارات في الصباح وتغادر في المساء. ولكنّ تلك "الفورد" بنيّة اللون الموجودة في الوسط أتت عند الظهر. أمّا ڤان الدودج الكبير الأصفر... فقد أتى منذ حوالي الساعة.

مطعم برغر، باستطاعة مالكه أن يطلّ برؤية منقشعة على مرأب السيارات ذي الإضاءة الضعيفة. وهو الشخص الوحيد الذي ربما يكون قد رأى شيئاً ما.

- ج. ب: وذلك الڤان الأصفر، ألم ترَ أحداً يتركه هناك؟

ج. ك: لا أحد.

خمّن برونكس أنّ المسافة بين باب هذا المطعم الصغير وبوابة المرأب لا تتعدّى الخمس عشرة ياردة.

ج. ك: ولكنّ الأمر ليس على هذا القدر من الغرابة؛ فأحياناً يجلس بعض الناس هناك فقط، وينتظرون أحداً قادماً بواسطة الحافلة أو القطار، ومن ثمّ يغادرون مجدّداً.

كان صاحب المطعم رجلاً هزيل القامة، يصعب تخمين عمره- لديه ذاك النوع من الوجوه التي يُطلَبُ من أصحابها إبراز بطاقات هويّتهم في بعض الأماكن للتأكد من سنهم، وإن كان أباً لأربعة أولاد- يضع مئزراً كان ذات يوم أبيض

ولكنه لم يعُد كذلك، وربّما لهذا السبب كانت تلك الرائحة تلحق بهما إلى ردهة الطعام الصغيرة، حيث ترتفع ثلاثة مقاعد خشبية من دون ظهر على طول المنضدة.

ج.ب: واليوم، هل رأيت جميع الذين أتوا وذهبوا؟

ج.ك: أرى الجميع كلّ يوم. ليست هناك سوى عشرة أماكن في مرأب السيارات، وأنا واقفٌ هنا... طوال الوقت.

— تناول برونكس منديلَين ورقيَين من حاملة المناديل المعدنية على المنضدة، وسحب قلماً من جيب سترته الداخلي. رسم عشرة مستطيلات، وكتب كلمة بُنّي في المستطيل الذي يفترض أنه يمثّل مكان وقوف سيارة الفورد القديمة في المرأب، وكلمة أصفر حيث كان الڤان الذي استعمل عند تنفيذ العملية.

ج. ب: هاتان هما السيارتان موجودتان هنا في الوقت الحاضر. ولكن، هل تتذكّر المزيد؟

ج. ك: المزيد؟

ج. ب: أعني، السيارات التي تواجدت هنا خلال الساعات القليلة الأخيرة.

ج. ك: حسناً، هناك مثلاً سيارة...

ج. ب: دوّن ذلك في المستطيلات.

ج. ك: هناك... في ذلك المستطيل... سيارة ستيشن. سأُدوّن ذلك. سيارة ستيشن. لا أتذكّر لونها.

ج. ب: جيّد.

ج. ك: وهنالك... ڤان دودج كحليّ اللون؛ تماماً كذلك الأصفر المركون هناك الآن، ولكن بالقرب منه. سأدوّن، دودج كحليّ.

ج. ب: وفي الأماكن الأُخرى؟

ج. ك: لا شيء. أقلّه ليس خلال الساعات الأخيرة.

قام الرجل الذي يضع المئزر الأبيض بإزاحة المناديل الورقية عن المنضدة وهو يتحضّر للذهاب.

ج. ب: لم ننتهِ بعد. أريد أن أعرف السيارات التي غادرت بعد أن رُكِنَ ڤان الدودج الأصفر.

ج. ك: بعد ذلك!

ج. ب: بعد أن وصل الڤان الذي استعمل لدى تنفيذ العملية.

ج. ك: لا أتذكّر!

ج. ب: حاول.

فيما كان يمسك القلم في يده، أشاح بنظره نحو مرأب السيارات، ثمّ نحو المنديل، ثمّ نحو برونكس. ثمّ رسم دائرة كبيرة حول المستطيل الموجود في الوسط، حول سيارة الستيشن.

ج. ك: تلك.

ج. ب: متى؟

ج. ك: لا أعرف... ربّما بعد حوالي 10 دقائق.

ج. ب: أهذه السيارة فقط؟

كان القلم لا يزال في يده، وهو ينقر به على المنضدة شارداً، فَيُصدِرُ صوتاً مزعجاً.

ج. ك: ثمّ ڤان الدودج الآخر كحليّ اللون.

ورسم دائرة حول المستطيل الذي دُوِّنَ فيه دودج كحليّ اللون مرّات عدّة، إلى أن أصبحت الدائرة سميكة.

ج. ك: ربّما... أجل، غادر بعد دقيقتين، أو خمس دقائق، أو... ما يقارب ذلك.

ج. ب: ذلك الڤان؟

ج. ك: أجل، المستطيل الموجود بمحاذاة الڤان الأصفر، بالقرب منه تماماً.

رفع برونكس نظره عن رسم مرأب السيارات، ونظر باتّجاه الموقف الحقيقيّ المستطيل المجاور للسيارة الصفراء... وكان هناك ضوءٌ خافت يتسرّب من مصابيح الإنارة في الشارع ويهبط على المستطيل الفارغ.

ج. ب: هل أنت متأكّد؟ هل غادر مباشرة بعد ذلك؟

ج. ك: أنا متأكّد. لم يعد إلى الوراء.

ج. ب: ماذا تقصد بقولك إنه لم يعد إلى الوراء؟

ج. ك: جميع الذين يركنون سياراتهم هنا يدخلون ويجعلون مقدّمة السيارة نحو الحائط. المقدّمة أوّلاً، وعليهم العودة إلى الوراء لمغادرة الموقف. ولكنّ ذلك

الـڤان كان... بالاتّجاه المعاكس.

لا يذكر جون برونكس سبب تكويره المنديل الورقيّ الذي يمسكه بيده، ولكنه فعل ذلك وحسب.

هناك ڤانان رُكِنَا في مرأب السيارت نفسه، الواحد قرب الآخر، ڤانان من النوع ذاته. الأول واجهته الأمامية نحو الداخل، والثاني واجهته الأمامية نحو الخارج.

رمى المنديل الورقيّ بقوّة في سلّة النفايات، ثم ركلها برجله.

إنّه أمر سهلٌ للغاية؛ تماماً مثلما ينام شخصان بالاتّجاه المعاكس.

ڤانان متماثلان رُكِنا بالقرب من بعضهما بالاتّجاه المعاكس، حيث لم تكن هناك بالتالي سوى مسافة قدم واحدة بين جنبيهما من الجهة اليُمنى؛ أي جهة بابيهما اللذين ينفتحان بالانزلاق.

هزّ برونكس رأسه باتّجاه الرجل صاحب المطعم الصغير، وتنهّد تنهيدة الهزيمة، ثم عاد إلى الخارج وسط الظلام، وداخل فناء بحثٍ يمتد إلى ما لا نهاية.

—

رفع ليو ذراعيه على امتدادهما نحو الفتحة، والتقط الحقيبة الرياضية المعبّأة بالأوراق النقدية من فئة خمسمئة كرونة، ووضعها على أحد الرفوف قرب الحائط البعيد. أمّا الحقيبة الأخرى المصنوعة من القماش الخشن، والتي تحتوي على أوراق نقدية من فئات مختلفة، فوضعها قرب صناديق الذخيرة.

لقد توقّفوا هناك، داخل مرأب السيارات في منتصف ساعات الازدحام، ووسط جميع المتّجهين الى أعمالهم، وبحوذتهم مسدّسات محشوّة، وعلى وجوههم أقنعة. كانوا صامتين تماماً، وهادئين تماماً، بلا حراك. مرّ مترو الأنفاق من فوق

رؤوسهم، وتوقّفت حافلة وأنزلت الركّاب. وسمعوا أصوات فتيان مرّوا من هناك من دون أن يدركوا أنّ مجرّد هيكل ڤان رفيع يفصلهم عن أربعة سارقي مصارف.

"ڤينسنت، أعطني السترات التحتيّة".

كان ڤينسنت جاثياً على ركبتيه بالقرب من باب الفتحة الصغيرة، وهو يفتح سحّاب إحدى الحقائب الكبيرة التي احتوت على مسدّسات، وذخيرة، وسترات داخلية لحمل أعداد كبيرة من الأسلحة.

"ليست هذه، بل الأُخرى".

علق السحّاب الآخر، فكان عليه انتزاعه باستخدام القليل من اللطف. سترات مضادة للرصاص، سمّاعات رأس كبيرة ومستديرة، "ميكروفون" صغير. كان يمرّر الأغراض إلى يدَي ليو الموجود داخل الخزنة، غرضاً واحداً في كلّ مرّة، ليضعها هذا الأخير على الرفين فوق الحقائب المعبّأة بالمال.

بَقوا هناك لستّين ثانية، إلى أن فتح فيليكس الباب الجانبيّ، واقترب من الڤان الآخر المركون بالاتّجاه المعاكس، وأمسك المقبض وأنزله إلى الأسفل، ففتح بذلك الباب الجانبيّ. ڤانان متماثلان تحوّلا إلى وحدةٍ واحدة، بابان منفتحان بالاتّجاه المعاكس، ومتواريان عن الأنظار. قفزة قصيرة من سيارة الى أخرى، وجلس فيليكس على مقعد السائق، وجاسبر وڤينسنت جلسا في الداخل وكلّ منهما يحمل حقيبة، وأخيراً دخل ليو مغلقاً بابَي سيارتي الڤان، فأصبحتا وحدتين منفصلتين مجدّداً. إنها الخطوات نفسها التي قاموا بها منذ خمس دقائق وثلاثين ثانية، عندما كانوا في طريقهم إلى المصرف. ولكن بالشكّل المعاكس.

"ڤينسنت، يجب وضع كل من البذلات والأقنعة على حدة، سنحرق تلك".

التبديل المهمّ الأوّل لسيارتهم تم على بعد مجرّد مئات الياردات من المصرف الذي كانوا قد قاموا بسرقته للتوّ. التحوّل. لم يرهم أحدٌ وهم يغادرون الڤان الأصفر، ولم يعلم أحدٌ أنّهم استقلّوا الفان المماثل كحليّ اللون. واتّسعت الحلقة؛ الصيغة الحسابية التي تستخدمها الشرطة في كلّ عمليّة مطاردة، والوقت الذي مرّ منذ حدوث الجريمة مضروباً بمسافة الوصول إلى سيارة الفرار النهائية، والحلقة التي تشكّل منطقة البحث لدى الشرطة وتحدّد فرصهم للّحاق بالمطلوبين من العدالة.

ميلٌ واحدٌ كان يفصلهم عن مكان تبديل السيارة الآخر؛ وهو مرأب سيارات آخر في بلدة مجاورة، يقع بين منزل من ثلاثة طوابق وبستان مليء بالأشجار. استغرقوا ثلاثين ثانية لتبديل البذلات والأقنعة بسراويل عملٍ وقمصان، وثلاثين ثانية لنقل الحقائب والصناديق إلى داخل البستان، وخمساً وعشرين ثانية ليقفزوا إلى داخل سيارة الفرار الأخيرة؛ إحدى الشاحنات الصغيرة التي تمتلكها شركتهم المعماريّة الخاصّة، والتي سرعان ما ستختلط مع شاحنات متعهّدي البناء الآخرين العائدين إلى منازلهم في آخر النهار. فيليكس وليو على المقعد الأمامي، وجاسبر وڤينسنت تحت الغطاء. عشرون دقيقة مرّت، وها هم الآن في غرفة جلوسهم يستمعون إلى الراديو، عن فريق وحدة أمن المخابرات الذي تسلّل وزحف بحثاً عن المجرمين، ولكن من دون جدوى.

"الآن، أُريد محتوى الصندوق الآخر".

أخذ ليو سلاح المدفع الرشاش إلى داخل الفتحة الموجودة في الأرضية، ولفّ شرائط حمراء حول فوهات البنادق، ووضع الأسلحة على الرفّ الأسفل الأخير.

"ليو".

"ماذا؟".

كان ڤينسنت يريد قول شيء ما، ولكن الأمر بدا غريباً للغاية؛ فهو لم يقل ذلك مطلقاً من قبل.

"أردت فقط أن تعلم..."

أخذ ليو المدفع الرشاش الأخير الذي كان أكبر وأثقل بكثير، ولفّ فوهته أيضاً بشريط أحمر، ثم وضعه بالقرب من الأسلحة الأخرى التي لن تُطلق النار مجدّداً. وبعد ذلك، نظر حوله. ما زال هناك مئتان وثمانية عشر سلاحاً أوتوماتيكيّاً.

"ماذا؟".

كان من الصعب جدّاً قول هذا، فقد يبدو كاذباً أو متصنعاً بالرغم من أنه ليس كذلك.

"... أنا أحبّك أيضاً".

شغّل جون برونكس الكمبيوتر، ونقر على الملفّ المعنون "سڤيدميرا"، والذي يحتوي على وثيقتين. وضع مؤشّره على الوثيقة الأُولى المعنونة "كاميرا 1"- وهي كاميرا المراقبة التي كانت فوق باب المدخل- ونقر عليها، وقدّم إشارة الجدول الزمنيّ إلى المشهد التسلسلي الذي يبدأ عند الساعة الخامسة وإحدى وخمسين دقيقة من بعد الظهر؛ أي الوقت الذي دخل فيه سارقو المصرف الثلاثة المقنّعون المبنى.

كان الفيلم لا يتعدّى خمس ثوانٍ. من دون صوت، ومن دون ألوان، ومشَنِّج للأعصاب كما هي دائماً صور المراقبة المتحرّكة.

ظهرت الجهة الخلفيّة لرأسٍ ما؛ هذا ما رأته الكاميرا أوّلاً. رأسٌ أسود مع انتفاخ كبير عند الأُذن، والذي تحوّل بعد الخطوة الأولى إلى رقبة سوداء.

راح برونكس يتوقّف عند كلّ لقطةٍ على حدة بالتسلسل.

استدار الرأس الأسود بالقسم الأعلى من جسمه نصف استدارةٍ باحثاً عن الكاميرا، ورفع سلاحه نحوها وصوّب.

لقطةً تلو لقطة. أنت تراني. لحظة تلو لحظة. أنا أراك.

وفي عينيك لا يوجد غضب، ولا خوف، ولا قلق.

بيا لينده (ب. ل): كانت تنبعث من جزماتهم رائحة ورنيش تلميع الأحذية. إنك تعرف تلك الرائحة التي تنبعث من الأحذية مباشرة بعد القيام بتلميعها.

كانت المتحدثة هي المرأة التي تقدّمت إلى شبّاك موظف المصرف وهي

تحمل كيساً بيدها اليمنى ورقماً بيدها اليسرى بعد أن حان دورها. وفي تلك اللحظة، أدركت أنّ هناك أحداً ما يطلق النار، وحاولت أن تفسّر شيئاً لم ترَ مثله قطّ، وتدوّنه في عقلها من دون أيّ نقاط مرجعيّة. شلّتها موجة من الفراغ في البداية، ثم أجفلتها وأوقعتها أرضاً، بينما تواصل إطلاق النار، وسيطر شعور الدفاع عن الذات.

ب. ل: كانت لمّاعة جدّاً وبراقة، لدرجة أنني عندما حدّقت إليها كان باستطاعتي أن... أرى نفسي.

لم تنبطح أرضاً لتحمي نفسها، بل ضعفت جميع عظامها ومفاصلها، ونتيجة لذلك لم تكن هناك أيّ حركة، بل مجرّد سقوط. هَوَت بأقلّ وقت ممكن، وهبطت مسطّحة على الأرض. ورغم أنها كانت مذعورة جداً إلا أنها لم تفهم ما يجري، فأدارت رأسها مجدداً، ونظرت إلى الأعلى، إلى الوجه المقنّع، لأنها كانت تريد أن تعلم.

نقر جون برونكس على المؤشّر الزمنيّ، وجمّد الصورة.

طوال فترة الاستجواب جلست أمامه، متّكئة على شباك موظف المصرف، وهي تنزف من إحدى أُذنيها. لا بد أنها أصيبت بانفجار في طبلة الأذن على أقل تقدير، وفقدت وعيها بعد ذلك؛ إذ استنفدت آخر قواها بعد أن ظلت تبكي بسبب ما شاهدته من عنف. فقد اقترب اللصوص لتنفيذ ما جاءوا من أجله وهم يطلقون النار، ومن دون الاكتراث بالموجودين، وراحوا ينشرون الذعر لدى الجميع لكي يمتثلوا لأوامرهم.

"جون".

كانت سنا تقف عند الباب كالمرّة السابقة. ورغم تأخّر الوقت، كانت لا

تزال في المبنى.

"لقد أنهيت تحليلي. الكاميرا رقم 1: ثماني عشرة طلقة نارية قبل أن تنفجر. الكاميرا رقم 2: خمس عشرة طلقة نارية قبل أن تسقط أرضاً وتتحطّم. هناك أربع وثلاثون طلقة نارية على زجاج الأمن. أمّا الخزائن فأصيبت باثنتي عشرة طلقة. وفي النهاية، قبل أن يخرجوا وجّهوا طلقتين نحو السقف. لقد تحقّقتُ من ذلك مرّتين. مجموع الرصاصات التي أُطلقت داخل المصرف هو إحدى وثمانون رصاصة، ممّا يعني- وفقاً للإحصاءات المتوفّرة- أن عملية السرقة هذه كانت إحدى عمليّات السرقة الأكثر عنفاً في أوروبا على الإطلاق".

أسندت كتفها إلى حافّة الباب، وبدا لجون أنها ستبقى هناك.

"المدفع الرشاش أف.أم.جي عيار 7.62 مصنّع من قبل الجيش السويدي. كارلسبورغ 1980".

"حسناً".

"لا يمكنني تحديد ما إذا كان هذا السلاح هو نفسه السلاح المشتبه به في عمليّة سرقة الشاحنة المدرّعة".

"ولكن، ألا يمكنك استبعاد هذا؟".

"يستطيع المحقّق أن يرى أنماطاً تتشابه وتشير إلى أمر ما يا جون. ولكن، ليست هناك وقائع".

"أتقصدين أنه من الممكن أن تكون هناك مجموعتان تملكان أسلحة الجيش الحربية السويدية ذاتها، وترتكب عمليات سرقة في المنطقة ذاتها، وفي فصل الخريف ذاته؟".

"ليس هذا ما قصدته. ولكنّ الأدلّة الجنائية لا تستبعد الأمر أو تُلغيه".

"في عمليّة فارستا كانت هناك أربعون طلقة ناريّة تقريباً. والآن... توجد إحدى وثمانون طلقة؟ في البداية، انهالوا بالرصاص على شاحنة مدرّعة، ومن ثمّ على مصرف. لا بدّ أنّ هذه الرصاصات قد أُطلقت من السلاح نفسه!".

"كلّا".

"كلّا؟!".

"ليس هناك سلاح تمّ استعماله مرّتين. لقد قمت بتحديد كلّ ما يمكنني تحديده".

"هناك نمط مشترك؛ أي كيفيّة تصرّفهم".

"أجل. ولكن، ليست هناك وقائع".

نظر إليها.

"وإن أردت أن أسمع مرّة أخرى ما تفكّر به سنا حقّاً، وليس ما توصّل إليه التقنيون في التحاليل الجنائية، فماذا تقولين؟".

"هنالك... أنماط متشابهة تتكرّر في الحركة. الكاميرا رقم 2. اللحظة الأخيرة قبل أن تسقط أرضاً".

أدار شاشة الكمبيوتر نحوها وهي تتحدّث.

"ركبتان منحنيتان، مركز ثقل منخفض. تلك كانت تماماً كلمات حارس الأمن عند استجوابه بالقرب من الشاحنة المدرّعة. والآن، أترى؟ هكذا تماماً وقف مطلق النار هنا أيضاً".

متشنّج وصامت، ولكنه واضح.

"ومن ثمّ انظر إلى إصبعه. إن قرّبت الصورة أكثر إلى إصبعه هناك... فسترى أنها موجودة بوضوح فوق الزناد وهو يوجّه فوهة السلاح... كما لو كان يوجّه إصبعه نحونا".

المزيد من اللقطات، ثمّ أوقف برونكس مؤشّر الوقت مجدّداً، وكبّر صورة اليد المغطاة بقفاز.

"ولاحِظ الانضباط يا جون. فهو لم يعرّض رجاله للخطر مطلقاً؛ إذ إن كلّ طلقة ناريّة يجب أن تكون محكمة وواثقة وآمنة بالنسبة إليه. إنّه لصٌّ لا يضع إصبعه على الزناد إلّا قبل إطلاق النار مباشرة- إنّه يفكّر بسلامة حمل السلاح- وبالتالي، هو لم يعلّم نفسه بنفسه، بل تمّ تدريبه. لقد قَدَّرَ موقع ووضعيّة إطلاق النار آلاف المرّات. لقد تمّ تدريبه عسكرياً".

هناك فقط مسافة ميلين ونصف الميل بين موقعَي الجريمة، وفقط فترة سبعة أسابيع بين الجريمتين.

ومع ذلك، التحاليل الجنائية تظهر شيئاً آخر.

يمكن أن يكون مرتكبو هاتين الجريمتين أشخاصاً مختلفين.

—

الخامسة وعشر دقائق. ما زال هناك الكثير من الوقت ليحين وقت شروق الشمس. لو حاول الإصغاء لسمع صوت شخير أنيللي الناعم في الطابق العلويّ، وكان يعلم أنها قد تظلّ غارقة في النوم لعدّة ساعات بعد، بينما كان هو يقوم بعكس ذلك؛ إذ يتجنّب النوم لكي يتمكّن من استيعاب ما حصل البارحة جيّداً، ويتحضّر للمرحلة الأخيرة من عمليّة السرقة.

وفيما كان يحمل على كتفه صندوقاً يَزِنُ ستّين باونداً، اجتاز ليو الردهة نحو ثلوج الموسم الأولى. سار مجرّد بضعة إنشات وسط ندف الثلج الرقيقة، فاكتسى حذاؤه باللون الأبيض من دون أن يبتلّ. وعندما وصل إلى الوسط، توقّف. كان شعور جميل يتغلغل في صدره، وتحوّلت أنفاسه العميقة إلى غيوم من البخار؛ ذرّات ساخنة تتحرّك بسرعة أكبر ممّا يحيط بها، تماماً مثل ثلاثة لصوص يدخلون مصرفاً ويستولون عليه بمجرّد تحرّكهم بسرعة أكبر من الأشخاص المحيطين بهم وغير المهيّئين لذلك والعاجزين عن الحركة تماماً. استيقظ خلال الليل مرّات عديدة ليقرأ الملحقات التلفزيونية، ويستمع إلى النشرات الإخبارية عبر الراديو، ولم تكن هناك أيّ خيوط أو تَقَفٍّ لأيّ أثر. لقد كانت خطّته مُحكَمة بامتياز، ولقد نفّذوها بشكل مثاليّ.

فتح باب المرأب وأشعل الضوء. كان الجوّ بارداً هنا؛ تماماً كالخارج، فوضع جهازَي التدفئة بالقرب من بعضهما، ومن ثمّ تناول المنشار الدائريّ ليبدأ بتقطيع لوح عريض من الخشب الرقائقي كان موضوعاً على طاولة العمل، إلى قطعٍ متساوية الحجم.

قام بذلك إلى أن مرّت سيارة مسرعة في الخارج.

"الأمر نفسه يتكرّر كلّ سنة، تبّاً!".

انزلق باب المرأب صعوداً، ثم دخلت إحدى سيارات الشركة ونوافذها مفتوحة.

"أولئك الأغبياء لا يبدّلون إطارات سياراتهم أبداً!".

دخل فيليكس بثياب العمل، وبشَعرٍ أشعث، وعينين متعبتين، وهو يتجنّب النظر إلى الوهج.

"ما هذه الفوضى اللعينة في الخارج!؟".

لم ينتظر أيّ جواب، حتى إنه لم ينظر إلى أخيه الأكبر، بل خرج من السيارة واتّجه مباشرة إلى الآلة الضاغطة، ووضع معاً خمس قطع متساوية من الخشب الرقائقي في صناديق مربّعة.

"فيليكس".

رأى ليو السخط والإيماءات الدرامية نفسها التي اعتاد التعرّف إليها. انتظر قليلاً بعد، فتلك كانت الاستراتيجية الفضلى. فتح صندوق السيارة، وأخرج منه ثلاثة أسلحة عليها علامات حمراء- اثنان من سڤيدميرا وواحد من فارستا- وبدأ بتفكيكها إلى قطع وصل مجموعها إلى ثماني وأربعين قطعة.

وضع الفوّهات وأعقاب البنادق في كومتين منفصلتين على حافة طاولة العمل، بالقرب من الملزمة. بدأ العمل على الفوّهة الأكثر طولاً، والتي كانت للمدفع الرشاش، وربطها بسندان، ثم بدّل شفرة المنشار وقطّعها إلى ثلاث قطع.

وعاد إلى الصمت مجدّداً.

"هيّا يا فيليكس، لقد سرقنا مصرفاً في الأمس!".

ملأ فيليكس ثلث الخلّاط ماءً، وأخذ كيساً من الإسمنت المتكتل وسكبه في الخلاط، فارتفع الغبار. كان الخلاط يدور بسرعة كبرى ويُحدث ضجيجاً صاخباً. لو كان مرتاحاً لعمل بحذرٍ أكثر، ومن دون التهكّم من الأشخاص الذين يقودون سياراتهم من دون تبديل الإطارات.

"فيليكس، أرى بوضوح أنّ هناك خطباً ما".

استمرّ صوت أزيز الخلاط الرتيب وهو يدور ويدور، إلى أن قلبه فيليكس إلى الخلف وضربه برفق، وملأ سطلاً موضوعاً على الأرض بذاك الخليط السميك؟

"عليه أن يوقف هذا".

"من؟".

"فليوقف هذا وحسب!".

"من؟".

"جاسبر".

تناول فيليكس السطل، وأفرغ محتواه من الإسمنت في الصناديق المصنوعة حديثاً.

"عليه أن يتوقّف عن انتقاد ڤينسنت. فهو يفعل ذلك طوال الوقت؛ عند كلّ خطإٍ صغير تافه يرتكبه! إن وقف خطأً في صفّ إطلاق النار، أو توقّف لبضع ثوانٍ قليلة خارج المصرف، أو حين نقوم بالتمرين هنا... فهو يبدأ بالصراخ بحقارة كما لو كان إيڤان".

بينما كانت الصناديق تمتلئ حتى نصفها، بدأ ليو بتسطيح ترباس تلو الآخر باستعمال المطرقة، وكان يغرز الترابيس في الإسمنت مع قطع المكابس والبراغي.

"ألا ترى ذلك يا ليو؟ ڤينسنت أخونا الصغير!".

"نحن فريق، وأنا أحاول أن أحافظ على تضامننا معاً".

"ذاك التافه يتكلّم كثيراً، ويتجوّل وهو يرتدي تلك السترة الجلدية التي أنفق عليها خمسة آلاف دولار، ومنتعلاً تلك الجزمة دائماً، "فلاي هاي" (حَلِّق عالياً)، أو مهما كان اسمها، و..."

"هاي تِك ماجنوم".

"لا أهتم أبداً باسمها! إنّه يتجوّل في كلّ مكان بزيّ الشرطيّ ذاك، متحدّثاً عن انتمائه إلى فريق السوات ذاك أو..."

"ماذا تقول إنّه فعل!؟".

"تناول جاسبر الشراب في أحد المقاهي، وبعد جرعتين بدأ يخبر جميع من قد يسمعه عن أنّه يعمل لتنفيذ عمليّة قويّة مع فريق عمل و..."

"أفعل ذلك وهو ينتعل الجزمة نفسها؟".

الصندوق الأخير، غرقت قطع الأسلحة في معجون الإسمنت.

"فيليكس، أفعل ذلك منتعلاً الجزمة نفسها التي كان ينتعلها داخل المصرف وأثناء عمليّة الشاحنة المدرّعة؟".

"أجل، بالجزمة نفسها".

حمل ليو الصناديق الثقيلة، ووضع الغطاء عليها، وأغلق الصندوق، ومن ثمّ نظر إلى السماء في ظلام الصباح. اختفى ذاك الشعور الجميل الذي كان يحسّ به. لم يكن التخطيط بدقّة عالية في ما يتعلق بالوقت، والتنكّر، والحركات، والأصوات، وسيارات الفرار كافياً. إذ بعد ذلك، من دون تعليمات أو قواعد، وعندما تعود الأمور إلى طبيعتها، لا يعود بإمكانه التحكّم بهم ومراقبتهم. إنّ الآثار الوحيدة الموجودة، والتي يجب أن تكون موجودة، هي فقط تلك التي أختار أنا تركها. كان عليه أن يكون أكثر وضوحاً، وأن يشرح بإسهاب أكثر، ويطلب تفانياً أكبر.

كانت رقائق الثلج المتفرّقة تتلألأ.

لقد ذهب ذاك الشعور الذي كان يحس به، وعليه استرجاعه.

—

شمّ جون برونكس رائحة خفيفة من الحامض، وسمع صوت ممسحة متّسخة وهي ترتطم بلوح القاعدة بفواصل زمنية منتظمة. يبدو أنّه ليس من المُعتاد تنظيف بيت الدرج غالباً، وفي هذه الساعة المُبكِّرة من الصباح! عليه البدء بقراءة الملاحظات التي توضع على اللوح قرب المدخل.

خرج مُسرعاً من المبنى الذي يقطن فيه منذ زمن بعيد، حيث يعرف جميع الوجوه ولكنه لا يعرف أيّاً من الأسماء. شقّة بغرفة نوم واحدة في غرب سودرمالم.

هواء الصباح بارد ورطب. مرّ قرب المقهى الإيطاليّ، وكالعادة أومأ برأسه من خلف النافذة الضبابية إلى مالك المقهى الذي كان يطحن حبوب البنّ وراء المنضدة.

سبعة أسابيع تفصل بين عمليتَي السرقة، ومسافة ميلين ونصف الميل تفصل بين موقعَي الجريمتين.

وأسلحة عسكرية.

لقد راجع مجدّداً جميع القضايا المفتوحة والمتعلّقة بسرقة أسلحة من منشآت عسكريّة. وقد شمل تحقيقه هذه المرّة أسلحة أثقل من السابق، كاي أس بي 58، مدفع كولسبروتا الرشاش، وهو سلاح وجوده نادرٌ جدّاً في السوق السوداء. وسرقة سلاح مماثل تلفت دائماً انتباه الشرطة.

لا إصابات، في أيّ من السجلات.

وصل إلى تقاطُع الطريق في شارع لانغهولمز، حيث تمر خمس وثلاثون ألف سيارة في النهار. غالباً ما يحاول برونكس التقاط أنفاسه وهو يزيد سرعته، إلى أن يصل إلى المنحدر الثلجيّ في الجهة الأُخرى.

حصل على ثلاث ساعات من النوم فقط، ورغم ذلك لا يزال يقظاً تماماً.

لقد عاد إلى المنزل عند الساعة الثالثة والنصف من بعد منتصف الليل تقريباً، فتمدّد على الفور، لكنه ترك مصباح السرير مضاءً، مقارِناً ڤيديو المراقبة الذي حصل عليه من المصرف، مع الدقائق العشرين التي استُغرِقَت للسطو على الشاحنة المدرّعة. سبعة أسابيع مضت، ومن المرجّح أنّهم رجال من الشرق الأوسط. البارحة، كانوا فريقاً منظّماً بهيئة عسكريّة. لم ينتبه- إلّا عندما أطفأ المصباح- إلى أنّ هناك شاهداً واحداً بإمكانه أن يجزم في ما إذا كان أولئك اللصوص هم الأشخاص ذاتهم، وذلك الشاهد يمضي أيّامه في شقّة تبعد عشر دقائق سيراً على الأقدام من شقّته.

نزل الهضبة، ومرّ بالقرب من ضوء التوقّف الأحمر، وقطع الجسر باتّجاه ريميرسهولم، وهي زاوية خاملة ومنسية من ستوكهولم، حيث وقفت المباني منذ الأربعينيات على حافّة القناة. أمّا الإوزّات فراحت تدور أمام امرأتين عجوزين حاملتين أكياساً مليئة بالخبز اليابس البائت. استحسن برونكس مظاهر المدينة كلّها. وهنا، على بعد ثلاثمئة ياردة فقط من الأوتوستراد، شعر بالتعب، وبأنه استنفد قواه، كما شعر بالحاجة إلى التقاط أنفاسه. هنا، ما زالت الطبيعة مسيطرة على المكان.

في الجهة الأُخرى من الجسر، يوجد كشكٌ صغير يديره شاب ترعرع في الكويت. وهو يفتح الكشك كلّ يوم في الصباح الباكر، وهو دائماً ودودٌ ولطيف. توقّف برونكس عنده، واشترى فطوره: كوكا كولا وفطيرة، كما اشترى جريدتين.

انعطف مباشرة بعد الكشك، وتصفّح العناوين الرئيسة وهو يمرّ بعينيه على- عمليّة السرقة الأكثر عنفاً على الإطلاق في أوروبا- الوقائع التي طلب بنفسه من الملحق الصحفي نشرها- 81 طلقة ناريّة- يجب أن تفصح عن القليل فقط

لتترك القسم الأكبر لنفسك- أسلحة رشاشة عسكرية- ليس هذا سوى التوازن ما بين السرية التي تتطلّبها بعض أعمال الشرطة لإحراز تقدّم في التحقيق، والشفافية التي يطالب بها الشعب الذي يدفع رواتب رجال الشرطة للحفاظ على الأمن والنظام. فبعد العناوين الرئيسة والنظريات في الصفحات 8، 9، 10، 11 في الصحيفتين على حدٍّ سواء، والتي تعود إلى مصادر مهمّة وقريبة من المسؤولين عن التحقيقات- والتي لطالما علم أن كلّ مراسل صحفيّ يقوم فيها بالمضاربة على الآخر- أدرك أن ما تم التوصل إليه واستنتاجه هو التالي: إن السارقين الأربعة من المرتزقة، ويقومون بعملٍ مأجور؛ وذلك من وجهة نظر أحد المصادر، أو هم من رجال حفظ السلام السابقين في الأمم المتّحدة، أو عساكر عاطلون عن العمل من الجبهة الشرقية سابقاً.

يقع المنزل الذي يقصده حيث تنتهي الطريق بالقرب من الغابات، وقرب مسار مخصص للمشي لمسافات طويلة.

دخل عبر الباب الأماميّ لمبنى من طراز الأربعينيات مع "درابزين" ومصعد يعودان إلى تلك الحقبة الزمنية. الطابق الخامس، أربعة أبواب في الاتّجاه ذاته، ولكن لم يكن أيّ منها يحمل الاسم الذي يبحث عنه. أربعة أبواب في الجهة الأخرى، والثالث منهم يحمل اسم ليندن.

رنّ الجرس وانتظر.

كانت هناك ورقة زرقاء طبع عليها اسم العائلة بأحرف بيضاء نافرة، وفوقها عُلِّقت لوحة مرسومة بأقلام التلوين والطلاء الأخضر. أربع دوائر وأربعة خطوط، خط لكلّ دائرة. إنه رسم أنجزه طفل ما. كانت هناك دائرتان كبيرتان ودائرتان صغيرتان تمثل الأم والأب والولدين؛ أي العائلة.

رنّ الجرس مجدّداً.

"من؟".

وإذا برجل مُسِنٍ في السبعين من عمره يفتح الباب. لم يكن يشبه أيّاً من رسوم الشخصيات الظاهرة في اللوحة.

"إنني أبحث عن جان ليندن".

أراه برونكس شارته.

"جون برونكس، من شرطة المدينة. الأمر يتعلّق..."

"أعلم بما يتعلّق، ولكنّ ابني ليس بصحّة جيّدة. من الأفضل أن تعود في وقت لاحق".

كان الرجل كبيراً في السنّ لدرجة أنه يصلح أن يكون أباه. وهو ذو صوت لطيف ووجه ودود. من المستحيل أن يكون يوماً كوالد جون.

"أحتاج إلى عشر دقائق، وأعدك أن أنصرف بعدها".

تردّد الرجل العجوز ولكن ليس من أجل نفسه.

"سأرى إن كان باستطاعته الكلام".

كان بإمكانه أن يكون الشخصية الخامسة قرب الآخرين، الجَدُّ ذو اللحية. وها هو يختفي في ما يسمّى على الأرجح غرفة الجلوس. ألقى برونكس نظرة خاطفة، فرأى جهاز تلفاز وطاولة قهوة من الزجاج. كان باب الغرفة المجاورة مفتوحاً فأدرك أنها غرفة الولدين، وظهر رجل آليّ فضيّ اللون يقف كحارس على منصّة بلاستيكية، كما رأى رسوماً على الحائط، وسريراً مرتفعاً من خشب السنديان، وأسماكاً كبيرة تسبح على الملاءات وأغطية الوسائد.

وفقاً للاستجواب، أخرج جان ليندن صورتين من محفظته خلال عمليّة السطو والسرقة. صورة باهتة اللون لطفل جميل يبتسم للكاميرا وجوربا كرّة القدم اللذان يرتديهما ملفوفان إلى الأسفل. وصورة لولد آخر فقد سنّين أماميتين ينفخ لإطفاء الشموع الموجودة على قالب الحلوى الخاص بذكرى ميلاده على الأرجح.

"يمكنك الدخول ولكن لعشر دقائق فقط".

خلع جون برونكس حذاءه، وكان على وشك أن يخطو إلى غرفة الجلوس عندما أوقفه الرجل المسنّ.

"أريد أن أسمعك وأنت تردّد هذا".

"سأُغادر في غضون عشر دقائق".

"جيدّ، يمكنك أن تجلس هنا حتى ذلك الحين".

كانت الأريكة منخفضة جدّاً ليتمكّن من الجلوس بشكل مستقيم، والجلد الصناعيّ المقلّد أشعره بالحكاك في ظهره. أمّا الجدران فكانت مختلفة تمام الاختلاف عن جدران منزله، وقد زيّنت بأحصنة دالا برتقالية اللون، وقربها أقنعة أفريقية حقيقية صُنِعَت في الصين.

بعد قليل نهض واقفاً؛ إذ بدا الجلوس أمراً غير مناسب. وحدهم الزوّار المدعوّون والمرحّب بهم بحفاوة باستطاعتهم أن يجلسوا على الأريكة.

سمع صوت خطوات بطيئة ومتثاقلة على الأرضية الخشبية.

"مرحباً، جون برونكس. التقينا في سكوندال، مباشرة... بعد ذلك".

"بعد ذلك!".

كان الحارس لا يزال وبعد مرور شهرين يترنّح ويمشي باضطراب، ويبكي، ويصرخ، ويتناول أدوية العلاج. لقد التقاه برونكس سابقاً، والتقى أمثاله. بعض الأشخاص الذين عانوا من حوادث مشابهة عادوا لممارسة حيواتهم الطبيعية بعد وقت قصير، والبعض الآخر لم يتمكّنوا قط من العيش مجدّداً كما في السابق.

"في سيارة الإسعاف، تحدّثنا يومها".

عينان فارغتان من دون حدود راحتا تنظران إليه من دون أن تتعرّفا عليه.

"والآن، أرغب بالتحدّث معك مجدّداً".

كان الوالد المتقاعد يمسك بابنه الأربعينيّ مستقيماً. كان جارباه الصوفيان الرماديان ممزّقين عند الإصبع، وبذلته الرياضية عديمة الشكل عند الركبتين، ولديه علامة على ذقنه، أمّا شعره الخفيف غير المغسول فيتدلّى فوق عينيه المضطربتين؛ كما لو كان مرتبكاً، ولا يرغب بأن يراه أحدٌ هكذا، أي حارس الأمن المصدوم هلعاً.

"هو... هو قال هذا".

هبط ليندن على الأريكة في المكان نفسه حيث كان برونكس جالساً منذ هنيهة.

"طوال الوقت. وهو يضع المسدّس داخل فمي".

"ماذا... قال؟".

"أطلق النار، أطلق النار عليه".

ذاك الظلام تحوّل إلى قلق، والقلق تحوّل إلى أرق، والأرق تحوّل إلى ظلام أكبر. ظنّ جون برونكس أنّه فهم الأمر. فقد عاش مثل هذه الحالة في زمنٍ ما.

"هنا".

حمل جون مغلفاً يحتوي على صورتين بالأبيض والأسود، صورتين جامدتين أُخِذتا من الفيلمين اللذين صوّرتهما كاميرا المراقبة 1 و2، أخرجهما ووضعهما على الطاولة الزجاجية.

"أيوجد بين هؤلاء المجرمان اللذان رأيتهما سابقاً؟".

كانت إحداهما تميل إلى جهة الشمال قليلاً، وهي المأخوذة من الكاميرا رقم 1. مأخوذة من الأعلى، ويظهر فيها تكبير لعينين وفم.

"... هل يشبهان..."

والأُخرى تميل إلى جهة اليمين قليلاً. من الكاميرا رقم 2. صورة أكثر شمولاً تظهرهما في وضعيّة إطلاق النار.

"... أحد هذين الرجلين؟".

تناول ليندن الصورتين بالأبيض والأسود بيدٍ مرتجفة، وقرّبهما إليه.

"ما... ما هذا؟".

"البارحة عند الساعة الخامسة وإحدى وخمسين دقيقة من بعد الظهر. سرقة مصرف في سفيدميرا. إذا قارنت هذين الرجلين بالرجلين اللذين التقيتهما في فارستا، أترى أيّ تشابه؟".

حاول ليندن أخذ الصورتين، ولكنّهما انزلقتا من بين أصابعه الواهنة، ولم ينجح بذلك.

"البارحة!".

"أجل".

"عند الساعة الخامسة وإحدى وخمسين دقيقة!".

"أجل".

حاول أن يقرّب إليه الصورتين ولكنّهما بقيتا ملتصقتين بالطاولة الزجاجية، فاستسلم وكتّف يديه فوق معدته، كما لو أنه يحمي نفسه.

"عندما انتهيا من الأمر، عاد أحدهما، ليس ذاك الذي كان قد أخذ بطاقتَي هويتينا بل الآخر؛ ذاك الهادئ. لم يكن على عجلةٍ من أمره مطلقاً، وتقدّم من المقعد الأماميّ، و..."

"جان".

"... حرّك يده مرّات عديدة تماماً كما أفعلُ الآن، إلى أن سمعتُ صوت زجاج ينكسر ويتساقط أرضاً. لكي لا تجرحا نفسيكما؛ هذا ما قاله".

"جان، إن لم تكن قادراً على ذلك، فأنت لست مضطراً إلى القيام به".

"أزاح قطع الزجاج بعيداً كي لا نجرح نفسينا. ألا ترى؟ في البداية، قال: أطلِق النار عليه. ثمّ..."

"جان، لقد مرّت عشر دقائق على وجوده هنا. لم نَعِدهُ بأكثر من ذلك".

"... أزاح بعيداً قطع الزجاج! أنا لا أفهم. لا أفهم".

لم يستطع والد جان ليندن التواصل معه، إذ إن ابنه لم يكن يسمعه قط، فانحنى فوق الطاولة وضرب بيده الصورتين ليوقعهما أرضاً، وقال لجون:

"خذ هاتين الصورتين معك وانصرف".

"سؤال واحد بعد. السارق الذي أزاح قطع الزجاج بعيداً، إن قارنته بالشخصين الظاهرين في هاتين الصورتين، فهل هو أحدهما؟".

"كفى!".

صرخ والدٌ حريصٌ على حماية ابنه.

"هاتان الصورتان ليستا من أحد الأفلام السينمائية! ألا يمكنك كشرطيّ رؤية ذلك؟ هذا ليس فيلم فيديو لعيناً تستأجره لتشاهده وتعيده لاحقاً، وتدفع 50 كرونة كمصاريف تأخير و... ويعود كلّ شيء على ما يرام مجدّداً. إنه أمر حقيقيّ!".

"أعلم أنّ هذا أمر حقيقيّ، فأنا أعيش مع هذا ليلاً ونهاراً. ولكنّ ابنك هو الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدتي للمضي قُدُماً، وإيقاف هؤلاء الأوغاد عند حدّهم، كي لا يمرّ أحدٌ آخر بما يمرّ به هو الآن".

حطّت الصورتان على الأرض بالقرب من إحدى قوائم طاولة القهوة، على سجّادة من قماش صوفيّ خشن، فنظر الثلاثة إلى الأسفل، إليهما.

إلى أن جلس والد جان ليندن على الأريكة بالقرب من ابنه.

"رجاءً، التقط صورتيك".

"سؤال واحد أخير".

"التقطهما".

فجثا برونكس على ركبتيه، وأخذ الصورتين الملتصقتين بالسجادة.

"شكراً".

مدّ الرجل المسنّ يده.

"هلّا تعطيني إيّاهما".

وأخذهما ووضعهما أمام ابنه.

"جان".

أغمض جان ليندن عينيه هنيهة، وذهب إلى عالم آخر، ثم نظر إلى الصورتين في يد والده الذي قال له:

"انظر إليهما. جان هيّا. لم يعد باستطاعتهما الوصول إليك".

نظر ليندن إليهما لوقت طويل، ولم يقل شيئاً.

"هل كان أحدهما؟ جان، هل كان كذلك؟".

رفع جان سبابة مرتجفة وقرّبها من إحدى الصورتين.

"هو".

"أتتعرّف إليه؟".

"هو الذي حدّق إليّ. أعرف هذا. على الشاطئ، خارج السيارة".

"هل أنت متأكّد؟".

"وقف وانخفض إلى الأسفل، وحمل سلاحه هكذا تماماً. كانت لديه العينان نفساهما".

خرج حارس الأمن من الغرفة وهو يجرّ رجليه بتثاقل؛ تماماً كما دخل.

أومأ جون برونكس برأسه شاكراً الوالد بصمت، ومن ثمّ غادر الشقّة،

وترك رجلاً قد لا يتمكّن بعد الآن من إكمال حياته من دون الأدوية، وهو بعد سنتين من العجز قد يتقاعد باكراً ويُمنَحُ تعويضاً بسيطاً بقيمة 29200 كرونة، عن الجريمة المُرتكَبة بحقّه. هكذا تجري الأمور. سارق المصرف لا يسلب المال من حجرة خزنة المصرف فقط، بل يسلب أيضاً شيئاً غالباً ما نستخفّ به؛ يسلب الشعور بالأمن والأمان، وهذه هي الجريمة الحقيقية التي يجب أن يحاكم عليها يوماً ما. إنّ تهمة السطو شديد الخطورة يجب أن تُستبدَل بتهمة السطو على الأمن.

—

ما زال الثلج يتساقط في الخارج. قاد ليو السيارة حتى ساعات الصباح الأولى، وفيليكس على مقعد الركاب الجانبيّ. كان يبطئ حيناً في ازدحام حركة السير، ويحاول مراراً الاتّصال بجاسبر عبر الهاتف، ولكن من دون جواب. لقد انتظر خارج كشك ما، بينما كان فيليكس يبتاع الصحف الأربع الأكثر أهميّة في ستوكهولم، ومن ثمّ واصل طريقه باتّجاه هورنسغاتان إلى المقهى المقابل لمتجر صانع الشعر المستعار لعروض الأوبرا الفولكلورية، حيث جلسا ليحتسيا فنجانيَ قهوة ويتناولا بضع شطائر، وبدآ بمقارنة العناوين الرئيسة على الصفحات الأولى. عندما باشرا باحتساء فنجان القهوة الثاني، وصل ڤينسنت وبيده صحيفتان أخريان، سندسفانسكان وغولنبرغ بوست، اشتراهما من كشك صحفٍ في المحطّة المركزيّة. كانت العناوين الرئيسة فيهما أصغر بقليل، ولكن الحادثة مذكورة في الصفحات الأولى. طلبوا شطيرة أخرى وكعكة محلّاة بالقرفة، ثم غادر ليو بعد أن شرب فنجان قهوته الثالث، ودفع الحساب ببضع أوراق نقدية قذرة من فئة 20 كرونة، والتي سُرِقَت من دُرج موظّف المصرف منذ ما يقارب خمس عشرة ساعة. احتضن أخويه كالمعتاد، وشعر كم كانا مرتاحين. علم أنّ هذا هو الوقت المناسب، إثر عمليّة سرقة ناجحة، مع بقاء بضعة أسابيع قبل القيام بالعملية القادمة.

اتّجه جنوباً نحو رينغ ستريت، وفي كلّ مرّة كان فيها يضغط على دواسة

المكابح فوق رقعات الأسفلت غير السوية، ترتطم خمسة صناديق خشبية معبّأة بالأسلحة بقعر صندوق الشاحنة. مرّ ببلدة سفيدميرا. كان اجتياز الطريق يستغرق عشر دقائق، ولكنّه لم يستطع تمالك نفسه. وحينما وصل إلى هناك، استدار مرتين حول الدوار. كان المكان يبدو مختلفاً جدّاً في ضوء النهار.

كان مرأب السيارات مطوّقاً، وقد قُطِرَت سيارة الفرار بعيداً. أمّا شريط الشرطة فقد كان يرفرف حول الساحة والمصرف لحظر الدخول إليهما. البلدة خالية تماماً؛ إلّا من بضعة أشخاص يدخلون مطعم البيتزا المجاور. على النقيض من 180 ثانية كانت حافلة بالتعدّي، والعنف، والخوف، والحنق، والهيجان المؤقّت... الآن، يبدو كما لو أنّ ما حصل لم يحصل قط، كما لو أنه لم يكن حقيقياً.

ظلّ يحاول الاتصال بجاسبر باستمرار، ولكن من دون أيّ جدوى، فقرّر الذهاب إلى شقّته ومواصلة رنّ الجرس إلى أن يفتح. مرّ عبر منازل سوكنروود الصغيرة وصولاً إلى مبنى الشقق الأقدم في باغارموسن على حدود محميّة طبيعية وشاسعة.

صعد إلى الطابق الثاني. بدا صوت الجرس مكتوماً كما لو أنّه تمّ نزع براغي صفيحة الجرس. قرع الباب، وهزّ فتحة البريد، ثم اتّكأ عليها وصرخ.

استغرق الأمر بضع دقائق إلى أن ظهر جاسبر أشعث الشعر ويرتدي سروالاً أبيض، ودعا ليو للدخول، وهو سعيد وفخور كما كان دائماً في المرّات القليلة التي أتى بها ليو لزيارته.

رواقٌ ضيّق، جزمات على رفوف، باستثناء الحذاء الذي انتُعِلَ لدى سرقة المصرف، والذي كان ملقى بالقرب من المنضدة. دخل جاسبر المطبخ، كانت أبواب الخزائن الصغيرة مفتوحة، وسُمِعَت قعقعة الأكواب الزجاجية، وتناول جاسبر شيئاً يبدو ساخناً.

"انا أشرب القهوة مع القليل من الحليب. كيف تحبّ تناولها؟".

استوديو ذو غرفة نوم واحدة، وغرفة جلوس تحتوي على أريكة وطاولة وجهاز تلفاز، وهناك الحمام.

سلاح سوبر فوليوم وان رينجر أم. كاي. آي. ومسدّس ذاتيّ من الطراز العاديّ.

سلاح سوبر فوليوم تو رينجر 10/22.

تقف هناك مرتّبة في صفوف منتظمة؛ كتب رفيعة، وكتيّبات، ووثائق.

سلاح سوبر فوليوم ثري. إي. آر.-7 سورفايفل ريفل (بندقية البقاء على قيد الحياة)، بالقرب من سلاح سوبر فوليوم فور يو. زد. آي. شبه أوتوماتيكي، و أس. أم. جي. بالقرب من كتاب هايدوك كاتم الصوت، وكتاب آخر عن ورشات عمل منزلية لسلاح كاتم للصوت، بالإضافة إلى كتاب ذخيرة الجيش الأميركي. القسم الثاني من مادّة الدرس المطبوعة والتي لم يحصل ڤينسنت عليها بعد. وبالقرب من الكتب هناك حربة وقبعة بيريه خضراء عليها شعار ذهبيّ، شبيه بذاك الذي مُنِحَ لليو. هذا هو السبب الذي دفع جاسبر للالتحاق بالفوج العسكري ذي النظام الصارم، ليقوم بالخدمة العسكرية نفسها بعد سنتين. ثمّ توجد صورة في إطار ذهبيّ اللون، حيث يظهر جاسبر بزيّ رياضي ناصع البياض وسلاح مثبّت تحت ذراعه خلال قيامه بذاك النوع من التمارين التي كانت وقتها حدّاً فاصلاً بين الموت والحياة.

هيكل جاسبر العظيم. عالم ما زال يعني له الكثير، وإن لم يعنِ هو الكثير له. كانت حياته بأكملها تدور حول يوم واحد؛ اليوم الذي سيصبح فيه ضابطاً عسكريّاً. ولكنه لم يُعتَبَر كفوءاً بما فيه الكفاية لكي يتولّى القيادة، وبالتالي حصل على علامة نهائية منخفضة لم تخوّله الاستمرار في المجال العسكريّ.

حنينه وتوقه إلى ذلك يصبحان أحياناً أقوى من قدرته على التحكّم بهما.

على سبيل المثال، يوم سافر جاسبر تاركاً فوجه العسكري، وانتقل من ثكنته في نورلاند نزولاً إلى ستوكهولم خلال فترة إجازته الأولى، ظلّ واقفاً وهو متأهب طوال عطلة نهاية الأسبوع، ومتحضّراً. فقد اعتمر قبّعة (بيريه) موضوعة تماماً وفق خطّ شعره الدقيق، وظلت أزراره مغلقة بصفّ مستقيم، ومنديله معقود بشكل يظهر الطيات البارزة بوضوح، وجزمته برّاقة وتلمع. وكان يسير حيثما يريد.

دخلا المطبخ للحصول على المزيد من القهوة.

كانت صحيفة الأخبار اليومية لهذا الصباح "الدايلي نيوز" ملقاة على طاولة المطبخ، وفيها شرحٌ مُسهَب ومطوّل لعملية سرقة مصرف في سڤيدميرا، وصور بحجم كبير للساحة التي تعجّ بشهود مصدومين. وهناك وضعت الجزمة السوداء إلى شمال الجريدة؛ جزمة طويلة الساقين تنتهي عند عظم الساق، فيها ثمانية ثقوب للرباط، وهي مصنوعة من الجلد ومادّة نسيج الغورتكس المضاد للمياه والهواء. وإلى يمين الجريدة علبة من القصدير تحتوي على طلاء الأحذية وخرق من القماش للتلميع.

"لقد جلست أنتظر طوال ذلك الليل اللعين. وليست هناك أيّ صورة من كاميرا المراقبة التي قمت بإطلاق النار عليها".

نظر ليو إلى جاسبر. كان عليه أن يفسّر له الأمر بشكل أوضح.

"جاسبر".

إنّ سارق المصرف ليس مجرّد سارق مصرف خلال عمليّة السرقة نفسها وحسب. فكلّ ما يقوم به يجب أن يكون جزءاً من هويّته الجديدة. أي قبل السرقة وخلالها وبعدها.

"يمكنك أن تنجح فقط إن كنت تعيش حياتك بهدف العمل".

لمس ليو فردتَي الجزمة. جلد ناعم ونعل من المطاط الصلب. إنها أكثر مرونة من الجزمة العسكرية الكلاسيكية التقليدية، وفي حالة ممتازة بفضل العناية بها.

"الفنّانون الحقيقيون لا يكفّون عن كونهم فنانين عندما يذهبون إلى المنزل لتناول العشاء. وأهمّ سماسرة البورصة لا يكفّون عن كونهم سماسرة بورصة عندما تدقّ الساعة الخامسة من بعد الظهر. وأنت سارق مصرف الآن، وعليك أن تبقى كذلك. فأنت ستظلّ سارق مصرف عندما تتخطّى حواجز الطريق. وهم يبحثون عنا بشكل متواصل، على مدار الساعة. إنّهم جالسون في مركز الشرطة اللعين ذاك، في كرونوبرغ، محاولين اكتشاف من نكون. وإن ارتكبنا خطأً واحداً فقط فسيكشفوننا".

قلب فردَتي الجزمة رأساً على عقب، وإذا بقطعتين من السيليكون تقعان خارجهما.

"عليك أن تفكّر وتتنفّس كسارق مصرف طوال الوقت".

"اللعنة عليك، انتبه!".

"إذاً، لا يمكنك انتعال هذه الجزمة جاسبر. هل هذا مفهوم؟ ليس مجدّداً. علينا حرقها، وشراء أخرى جديدة".

"ما الذي تعنيه بحقّ الله؟!".

"لقد انتعلتها في عمليّة فارستا، وانتعلتها البارحة، وانتعلتها وأنت ترتاد المقاهي. اللعنة جاسبر! كلّ ما نستعمله أثناء العمليات يجب أن نتلفه مباشرة إثر ذلك. وأنت تعلم هذا".

جثا جاسبر على ركبتيه لالتقاط قطعتي السيليكون من تحت الطاولة.

"أنت تعلم أنني... لقد اعتنيت بها جيداً!".

كان ليو جالساً أمام شخص أطلق منذ بضع ساعات ذخيرة حيّة وهو محاط بالمدنيين.

"لقد قمت بتنظيفهما وتلميعهما، وأنت... أنت تعلم أنهما مناسبتان جدّاً، تبّاً لذلك".

إنه شخص أراد أن يصبح إنساناً مهماً ولن يكون كذلك أبداً. تماماً كتلك القبعة البيريه في ذاك الهيكل، فهو متمسّك بقوّة بما رفض الآخرون إعطاءه إيّاه. حذاء هاي تك مجنوم. جزمة القتال العسكرية الأكثر متانة وقوة عالمياً. فهذا هو الحذاء الذي ينتعله رجال الشرطة الأميريكيون ووحداتهم التكتيكية، وكذلك رجال الشرطة السويديون الذين يبتاعونه من المتجر نفسه في سفيبيا ستريت.

"أعلم أنّك تحبّها. لقد فهمت. ولكن، إن تولد لديهم انطباع ما وكان دليلاً للعثور على جزمتك اللعينة فسينتهي الأمر".

كان ليو لا يزال يحمل تلك الجزمة حين بدأ بفتح أدراج خزانة المطبخ، درجاً درجاً.

"سآخذها معي، وسأقوم بحرقها. وبالتالي، لن يتوجب عليك تلميعها بعد الآن. ألديك كيس؟".

"سأقوم بذلك بنفسي".

"أنا سأحرقها".

ضغط جاسبر على قطعتَي السيليكون بقبضته، وفتح دُرجاً مليئاً بالأكياس

المستعملة، والتقط الجزمة ورماها داخل أحد الأكياس، فسمعت خشخشة الكيس، ثم أمسك مقبضَي الكيس وجمعهما معاً وأعطاه إلى ليو.

"جيّد".

ذاك الهيكل في الداخل بما يحتويه من كتيّبات تتناول كيفيّة استخدام المتفجّرات، وتلك الجزمة التي كانت تقف على طاولة بانتظار تلميعها، كانا يعنيان له أكثر من أي شيء آخر في العالم.

لقد كان ذلك كثيراً عليه بعض الشيء.

"أنت جيّد جاسبر. أنت حقّاً جيّد جدّاً".

"ماذا؟".

"خلال عملية السرقة، أنت لم تتردّد مطلقاً. ومن دونك ما كان ذلك ممكناً".

عادت تلك الابتسامة التي عَلَت وجهه حين فتح الباب وأدرك أنّ ليو هو الطارق، وعندما قدّم القهوة مع كميّة الحليب المناسبة تماماً.

"ولكن، هناك أمر آخر بعد".

"ماذا؟".

وفقدت الابتسامة الفخورة بعضاً من الثقة.

"انظر إليّ جاسبر".

"ماذا؟".

"هناك أمر أريدك أن تفكّر فيه في المرّة القادمة، أمر تحدّثنا عنه سابقاً".

"ماذا ليو؟ ماذا عليّ أن أفعل؟ أنا مستعد للقيام بأيّ شيء وأنت تعلم ذلك تماماً".

"عندما أقول توقّف، عليك أن تتوقّف".

لم يكن جاسبر يسيطر على عنفه، بل كان يترك العنف ليسيطر عليه. وكان يحمل معه أحلامه بمستقبل مهنيّ عسكريّ. ولأنه لم تتمّ ترقيته آنذاك، فهو لا يزال يحاول إثبات أنّهم كانوا على خطأ، وذلك من خلال إطلاق المزيد من الطلقات النارية.

"عندما ينتهي الوقت المتفق عليه، يجب أن نغادر المصرف فوراً".

لم يكن لدى جاسبر "زرّ لإطفائه". وإن لم يساعده ليو، فلن يكتفي بإطلاق النار على حجرة خزنة المصرف وكاميرات المراقبة فقط، بل سيطلق النار على رأس أحد ما أيضاً.

"تبّاً ليو، لقد أخذت صناديق خزنة الأموال من أجلنا! لقد تأكّدت من أننا حصلنا على كلّ ما أتينا من أجله، وكان بإمكاننا تجنّب كلّ ذلك لو أنّ ڤينسنت لم يتوقّف في الخارج كالأبله، لقد أخّرني!".

سحب جاسبر كرسيّ المطبخ وجلس.

"تبّاً لذلك ليو! إنّني أفكّر بهذا طوال الوقت؛ أي كيف بإمكاننا أن نتحسّن ونصبح أكثر فعاليّة، ونحصل على مال أكثر. أنت... ليو".

كان الحزن والانزعاج يبدوان في عينيه في الوقت نفسه.

"هذه حياتي الآن. أنت وفيليكس وڤينسنت كل شيء بالنسبة إليّ. وأنا

أتقاسم كلّ شيء معكم!".

جلس ليو على الكرسي المقابل له.

"ونحن نحتاج إليك. لقد قلت لك هذا. ما كان باستطاعتنا القيام بذلك لولاك. وأنت تعلم هذا".

جلسا وساد الهدوء هنيهة، إلى أن نهض ليو وحمل الكيس الذي وُضِعت فيه الجزمة، فابتسم جاسبر مجدّداً.

"اسمع... لقد كنت أنا أيضاً أفكّر في أمر ما".

"ماذا؟".

"في المرّة القادمة، أوزمو. وفي طريق العودة إلى المنزل، بعد العمليّة المزدوجة... يمكننا أن نضرب ضربة أخرى".

"ضربة أخرى؟".

"سورروندا".

سورروندا. كان ليو يعلم تماماً أين يقع هذا المصرف. فهو على بعد مجرّد ستّة أميالٍ من المصرفين المتجاورين في أوزمو. كان ذلك أحد المواقع التي قام باستكشافها قبل أن يختار سفيدميرا. ولكنه حينها كان يراه كهدف أوحد، وليس كهدف ثالث في طريق عودتهم إلى المنزل بعد عمليّة سرقة المصرف المزدوجة، وهي العملية التي ستكون الأولى من نوعها في السويد.

"الأمر ضخم جاسبر، ولكنّه مستحيل".

رأى جاسبر أن ليو يستمع إليه فرفع صوته قائلاً:

"أعلم أنّ هذا مستحيل! ولكن، ليس إن تأكّدنا من وجود رجال الشرطة اللعينين في مكان آخر. إن قمنا... بتدبير تهديدٍ بوجود قنبلة في مكان ما مثلاً".

"تهديد بوجود قنبلة!".

"في المحطة المركزية أو في مطار أورلندا؛ فهما يبعدان بما فيه الكفاية".

تقدّم ليو خطوة إلى الأمام وقال:

"لن نقوم بأيّ تدبير تهديدي بوجود قنبلة في المحطّة المركزيّة".

بحث جاسبر عن وجه ليو الذي كان يقترب منه، وعاجلاً سيتخطّاه ليكون قبالته في الجانب الآخر مجدّداً. لم يفهم هذا حقّاً! الصوت والعينان ودّية، ولكنْ في الوقت نفسه رُفِضَ الاقتراح.

"حسناً، إن قمنا..."

"لن نقوم بأيّ تهديدات كاذبة بوجود قنبلة".

وضع ليو الكيس الذي يحتوي على الجزمة على أرضية المطبخ، وتابع:

"سنصنع قنبلة حقيقية".

في أبلڤيكان العديد من المنازل الجميلة. خليج التفاحة؛ حتّى إن الاسم جميل. لقد قضى جون برونكس حياته كلّها في ستوكهولم، ولكنّه لم يأتِ إلى هنا من قبل. بعد بضع دقائق من الانتقال بواسطة السيارة سيدخل واقعاً مختلفاً تماماً، كما لو كانت البلدة بأكملها مطوّقة بسورٍ غير ظاهر للعيان.

كان يقود السيارة نزولاً نحو السكك الحديدية لترامواي نوكباي، ووصولاً إلى المدرسة، ومن ثمّ داخل الشوارع الصغيرة، ونزولاً إلى نبع الماء. لقد تحقّق برونكس من الاسم ورقم المنزل المدوّن على صندوق البريد، وتوقّف أمام منزل يقع تماماً بمحاذاة بحيرة ميلارين. كانت طبقة رقيقة من الثلج تكسو المرجة الخضراء، فأومأ برأسه محيّياً القزم الفزاعة الذي كان يبدو كالحارس، والذي كان محاطاً بآثار أقدام طفلين صغيرين ورجل كبير؛ ربّما منذ ذاك الاحتفال بوضع قزم الفزاعة ذي الابتسامة الثابتة.

رنّ جرس الباب، حيث كتب أهلاً وسهلاً، وكانت رائحة الطعام تفوح من الداخل. ذاك النوع من الطعام المنزليّ الذي يستغرق طهوه وقتاً طويلاً.

"مرحباً".

فتحت الباب فتاة صغيرة قدّر أنّها الابنة البكر، وكانت في السادسة من عمرها، وترتدي فستاناً أبيض اللون، وتضع تاجاً على رأسها مثل العديد من الفتيات الصغيرات في جميع أنحاء اسكاندينافيا.

"مرحباً. هل والدك في المنزل؟".

سوّت حزاماً من الورق اللمّاع على خصرها.

"أنا لوسيا. من أنت؟".

"حسناً، هل والدك في المنزل؟".

كانت الابنة الصغرى قد وصلت لتوّها، وكانت في الرابعة من عمرها، وترتدي بيجاما برّاقة. تفحّصته من رأسه إلى أخمص قدميه، ثمّ اختفت الأختان معاً، وسمع الصغرى وهي تتحدّث بصوت مرتفع وبسخط: بابا، يوجد شخص هنا، وهو يريدك. ومن ثمّ سمع صوت خطوات ثقيلة.

"جون!".

كان رئيسه في العمل، أحد كبار قادّة الشرطة في ستوكهولم، يضع مئزراً ذا مربّعات حول خصره، تتدلى منه منشفة مطبخ من أحد الجانبين.

"هل يمكننا أن نتحدّث؟ عشر دقائق. وأعدك أن أنصرف بعدها. هذه المرّة أيضاً".

"أيضاً؟!".

"إنّني أقوم بزيارات قصيرة إلى المنازل اليوم. هل ستسمح لي بالدخول أم لا؟".

كانت الردهة مليئة بثياب صغيرة وكبيرة متدليّة من المشجب، وأحذية كبيرة وصغيرة على الأرض. وكانت لوسيا وأختها تجلسان في غرفة الجلوس بالقرب من علبة حديدية تحتوي على فطائر خبز الزنجبيل المحلّاة. أمّا كارلستروم فأرشده نحو الدرَج.

"الجوّ أكثر هدوءاً في الأعلى".

صعدا مجموعات من درجات السلّم وصولاً إلى مكتب كارلستروم. وهو

مكتب قديم، فيه رفوف تفيض بالكتب، وكرسيّ للضيوف غرق برونكس داخله.

"لقد تمّت سرقة أكثر من مليون كرونة، وإطلاق أربعين طلقة نارية منذ ثمانية أسابيع".

كانت النافذة تطلّ على منظر خلّاب؛ الماء المتجلّد قبالة ستوكهولم.

"كما سُرق مليونا كرونة تقريباً، وتم إطلاق إحدى وثمانين طلقة نارية منذ اثنتين وعشرين ساعة. في المنطقة الجغرافية نفسها، وباستخدام النوعية نفسها من الأسلحة. المجموعة نفسها تظهر فجأة، لتعود وتختفي مجدّداً من دون أيّ أثر".

تنبّه فجأة إلى أصوات الموسيقى القادمة من الطابق السفليّ.

"وإن افترضنا أنهم يحتاجون إلى المزيد من الوقت للتحضير لعمليّة سرقة ثالثة- أسابيع أو ربّما شهر تقريباً- إذاً هذه هي الفترة التي نملكها لنكتشف هوية أولئك الأشخاص، ولنتمكّن بالتالي من توقيفهم وهم في منازلهم، أو في طريقهم إلى العمل، أو في نادي الرياضة، أو عندما يغادرون المتجر وأكياس التبضّع في أيديهم. وليس عندما يرتكبون خطأً خلال عمليّة السرقة القادمة. لأنّهم بهذا النمط من السلوك، لن يتردّدوا في تصويب أسلحتهم... نحونا".

"بابا".

فتحت يدٌ صغيرة الباب، ودخلت الغرفة فتاة صغيرة ترتدي ثياباً مماثلة لثياب لوسيا.

"ماذا تريدين؟".

"ماذا تفعل؟".

"أعمل".

"تعمل بماذا؟".

"لقد قام أحدهم... بفعل أمر سيئ".

"ماذا فعل؟".

"لقد كبر وأصبح فضولياً".

"ما الذي يعنيه ذلك؟".

"اذهبي إلى الطابق السفليّ الآن، إلى ماما، وسآتي بعد قليل".

الأولاد... العائلة... عالم آخر. لم يكن برونكس واثقاً، ولكن بدا له أنّ لوسيا قد غمزته وهي تنصرف.

"لقد جلستُ صباحاً مع رجل سُلِبَ منه حقه في عيش حياة طبيعية وآمنة، ولا أريد أن يحدثَ هذا مجدّداً".

ونظر إلى كارلستروم.

"إنه في الأربعين من عمره، ولا يمكنه حتى الوقوف بمفرده، بل يجب على والده أن يمسك به. وهو يرتدي جوربين سميكين، وشعره متسخ، وهناك شعور بالعار في عينيه".

ومن ثمّ نظر إلى طاولة المكتب الجميلة.

"لقد قلت لك إنّهم سيفعلون ذلك مجدّداً، ولقد فعلوا، وسيستمرّون بفعل هذا".

ومن ثمّ نظر إلى خارج النافذة الأخرى.

"أهي المجموعة نفسها؟".

"إنها المجموعة نفسها".

"وكيف يمكن..."

"كان الأمر مؤكّداً. والآن لديّ دليل تطابق".

لم يكن كارلستون يتنهّد قط، لم يكن من هذا النوع.

"بدءاً من الغد جون، ضع كلّ التحقيقات الأخرى جانباً، وحقّق في هذه القضيّة فقط إلى أن نردعهم عن سرقة المزيد من المصارف".

أومأ برونكس برأسه إيجاباً وهو يتّجه نحو الباب والسلالم. كان في طريقه للذهاب.

"لقد قلت غداً".

كان رئيسه يعرفه جيداً. فقد يتّجه جون برونكس مباشرة إلى كرونوبرغ، إلى قسم الشرطة، ويقضي الليل بطوله هناك.

"والآن، بعد أن استمعتُ إليكَ ستحصل على إذن للقيام بتحقيقاتك بدوام كامل، ولكن بشرط واحد. عليك القيام بشيء من أجلي".

"ماذا؟".

"عليك البقاء لتناول العشاء معنا. لا بدّ أنّك تشمّ هذه الرائحة الزكيّة، أليس كذلك جون؟ رائحة الصعتر والكرفس والكرّات ".

وبعد حين، جلس عند أحد أطراف طاولة العشاء مع مديره وابنتيه وزوجته التي لم يسبق له أن التقاها من قبل، ولكنها كانت من أولئك الأشخاص اللطفاء

الذين بإمكانهم معرفة أسماء جميع الحاضرين في حفلة ما وفي غضون دقائق فقط، والذين يجعلون الجميع يشعرون بأنّهم مهمّون. غير أن ذلك لم ينطبق عليه، فقد شعر بعدم الارتياح لجلوسه في هذا المكان، مدّعياً أنّه جزء من العائلة. إذ كان من الصعب عليه تناول الطعام أو الاستماع إلى قصة لوسيا التي تعلمتها في روضة الأطفال، أو أن يجيب حتّى عن سؤال عن مدى معرفته بوالد الفتاتين. رفض عرض كارلستروم لتناول كأس من الشراب، وشعر بالارتياح كما لو أنّ عبئاً ثقيلاً قد أُزيح عن كاهله ما إن قال كلمة شكراً وهَمَّ بفتح باب المنزل.

"جون".

وضع كارلستروم يده على ذراع برونكس، فلم يعجبه ذلك.

"أنت تسهر كثيراً كلّ ليلة".

"أجل".

"تبحث وتبحث".

"أجل".

"وكلّ تحقيقاتك تدور حول محور واحد؛ ألا وهو العنف الشديد".

"هكذا هي الدنيا".

"عندما أُنهي يومي، أُغلق جميع الملفات والتحقيقات التي أعمل عليها؛ أيّاً تكن، وأضعها في دُرجِ مكتبي، وأقرّر في اليوم التالي ما إذا كنت سآخذها مجدّداً. ولكن، أنت تفتح تلك الملفات مباشرة قبل موعد انصرافك أيضاً، وتفرش صور العظام المكسّرة والعيون السوداء، وتقرأ لأربع ساعات متتالية".

"هكذا هي الدنيا".

شعر بتلك اليد على ذراعه كقبضة ثقيلة تشدّه إلى الأسفل وتسمّره في مكانه.

"إنّك لا تقوم بقراءة هذه القضايا بهدف حَلِّها. أليس كذلك؟".

"لا أعرف ما تقصده".

"أنت تريد أن تقترب أكثر، أن تقترب منه".

"شكراً لك لاستضافتي على العشاء. كان ذلك لطيفاً".

أدار برونكس مقبض الباب الذي كان يمسكه منذ وقت طويل، وفتح باب المدخل.

ولكنّ اليد بقيت على كتفه.

"لم أنهِ كلامي بعد".

وشدّ كارلستروم قبضته.

"جون، أنت لا تأبه بأولئك الناس في تلك الملفّات، ولا تهمك أسماؤهم والوجهات التي سيقصدونها. أنت تحاول فقط... أن تفهم".

كان الباب لا يزال مفتوحاً، فكان الجو يتأرجح بين الدفء والبرد؛ بين هذا النوع من البرد القارس الذي يتسلّل إلى داخل سترتك، ودفء أناس يتناولون الطعام الفرنسي، ومعاطفهم معلّقة في الرواق.

"ولكنّك لن تنجح في ذلك أبداً؛ لن تفهم إن لم تذهب لرؤيته يوماً ما. أليس كذلك يا جون؟ ربّما عليك القيام بهذا الآن. قبل أن يبدأ السباق ببضعة أسابيع. اذهب إلى هناك".

يَدُ كارلستروم على ذراعه لا يجب ان تكون هناك. صافَحَ تلك اليد بليونة.

"هذا يكفي".

إنّ كارلستروم مديره في العمل، وليس رفيقه اللعين.

فتح جون برونكس الباب بالكامل، وأغلقه تماماً. كان الثلج يتساقط أكثر، وقد شعر بذلك أكثر من قبل.

اذهب إلى هناك.

إنّه يعلم أنّ مديره على حقّ.

كان الثلج يُسحَقُ تحت الإطارات مصدراً جلبة كبيرة بينما كان ليو يقود وسط غابات قاتمة، ويتوقّف على بعد ميلٍ واحد داخل غابة ناكا الوطنية، حيث تضيق السكة الحديدية الكبيرة لتصبح ممرّاً صغيراً. حمل الصناديق الخمسة الثقيلة إلى هضبة صخريّة تنحدر نزولاً إلى شاطئ مهجور.

وعلى ضوء مصابيح السيارة الأماميّة، رمى صندوقاً تلو الآخر داخل الجليد. وكلّما رمى صندوقاً انفتحت فجوة في الجليد حيث يغرق الصندوق. ولكن، ستتجّمد المياه مجدّداً بعد وقت قصير، وسيلتئم الغشاء فوق الأسلحة المقطّعة بالمنشار والمعلّبة بالإسمنت. وفي الربيع، ستنمو الطحالب على سطوح الصناديق، وسيتعذّر تمييزها عن باقي ما في قعر البحر، وستتحوّل لتصبح خضراء اللون؛ تماماً كزجاج حوض الأسماك الذي كان في الماضي يعلو خزانة صغيرة كانت تفصل بين سريره وسرير فيليكس، والذي لم ينظّفاه يوماً.

ثمّ ركل الثلج العميق وأحدث فجوة، وراح يزيل التربة والطحالب بمجرفة قابلة للطّي. ما زالت هناك جزمة قتال سوداء كانت تنتظر على طاولة المطبخ ليقوم جاسبر بتلميعها. قام بتغطيسها في سائل فاتح اللون، وتركها منتقعة فيه لكي تتشرّبه تماماً كالفحم، ومن ثمّ أشعلها. جلد لمّاع، ونعل مطّاطي صلب ذابا في حين لسعت خيوط الدخان المتصاعدة أنفه وعينيه.

تم تقطيع الأسلحة بالمنشار، وحرق الجزمة. عليك دائماً أن تخفي آثارك، وأن تكون في تقدّم مستمّر عندما تكون ملاحقاً. لم يكن أحد يعلم أين يرمي ليو الأشياء التي لا يجب العثور عليها أبداً، ولا حتّى فيليكس أو ڤينسنت. وليس سبب ذلك أنّه لم يكن يثق بهما، فقد كان كذلك، ولكنه أراد مساعدتهما في حال حدث الأسوأ. ففي أثناء التحقيق، يقوم المحقّق بالبحث عن الدلائل لكي يربط

المشتبه به بالجريمة. وبهذه الطريقة، لن يتوجب على أحد أبداً أن يجلس هناك وأن يُنعَت بالواشي. ليس كما قد يجلس هو هناك أمام شرطيّ سمين يطلب منه أجوبة ومراراً وتكراراً.

أنا لم أقم بخيانتكم. لم أُنقِذ نفسي، بل أَنقذتُكُم أنتم.

مرّ بالمنتزه، ووصل إلى المدينة التي تتبخّر في الصقيع، وها هما ينتظرانه في وسط الفناء وهو يمرّ عبر البوّابة. لقد اتّصل بفيليكس وطلب منه موافاته إلى المنزل. كان الضجيج يتصاعد من الجهة الأخرى؛ وهناك أصوات تتضارب مع هدوء الغابة. لقد اعترض فيليكس؛ تماماً كما توقّع ليو، ولكنه بعد هنيهة نادى ڤينسنت واستقلّا سيارة أجرة، وغادرا.

"ما هو الأمر المهم جداً؟ تبّاً!".

أدرك ليو أن أخاه قد احتسى الكثير من الشراب، واستطاع معرفة ذلك من مجرّد تفوّه أخيه بكلمة واحدة.

"هيّا، لنتناقش في هذا الأمر داخل المرأب".

كانت سيارة الأُجرة لا تزال متوقّفة على مقربة من المكان، فيما محرّكها يهدر.

"أنت من سيدفع يا أخي، وسيكلّفك كثيراً دخولنا إلى المرأب؛ لأننا سنعود أدراجنا، وهو بانتظارنا إلى أن ننتهي".

"اذهبا إلى الداخل".

قرع ليو على نافذة السائق وأعطاه ورقتين من فئة خمسمئة كرونة. لم يكن زجاج النافذة قد أغلق بعد حين غادرت سيارة الأجرة وقد أضيئت مصابيحها،

واختفت في الظلام.

"يمكنك أن تطلب سيارة أجرة أخرى عندما ننهي كلامنا".

كان المرأب مظلماً وبارداً. أنار ڤينسنت المصباح وأشعل المدفأة، ثم تبع ليو إلى الداخل، بينما كان فيليكس يسجّل موقفاً ببقائه في الخارج، إلى أن بسط ليو خريطة مفصّلة عن ستوكهولم وضواحيها الجنوبية، فقرّر حينها الدخول.

"هنا".

"هنا، ماذا؟".

"أوزمو، في غضون عشرين يوماً تقريباً".

وبقلم عريض، وضع دائرة حمراء حول إحدى المناطق في آخر الخريطة، قرب الطريق السريع وليس بعيداً عن البحر المفتوح.

"هل أنت جادّ؟".

" لم يقم أحد قطّ من قبل بسرقة مصرفين في الوقت نفسه".

"ولكن، بالله عليك، إننا نعلم هذا! ألهذا كان علينا أن نترك طاولة مجاورة للنافذة المطلّة، ونجلس في سيارة أُجرة لمدّة أربع وخمسين دقيقة؟".

"فيليكس، أصغِ إليّ".

"أنت أصغِ إليّ! كنّا جالسين في أحد المقاهي نتناول العشاء ونحتسي الشراب سعيدين... وها أنا الآن في مرأب لعين بارد! إنّ الكريسمس أصبح قريباً، وعلينا أن نحصل على بضعة أيام من العطلة!".

"يمكنك أن تحتفل في العام المقبل".

سوّى ليو الخريطة المبسوطة على الطاولة حيث كان أخواه جالسين.

"لم يسبق أن سرق أحدهم مصرفين في الوقت نفسه. لذا، سنقوم بسرقة ثلاثة مصارف".

رسم خطّاً أحمر يمتدّ من الدائرة حول بلدة أوزمو الصغيرة، ويتّجه غرباً نحو الطريق السريع رقم 225، كما رسم حلقة جديدة حول بلدة أصغر من السابقة، ألا وهي سوروندا.

"في طريق عودتنا إلى المنزل سنمرّ من هنا. وهذا مصرف صغير يفتقر إلى الحماية تماماً".

نظر فيليكس إلى أخيه البكر المبتسم، ومن ثمّ إلى الخريطة المحدّدة بالحبر الأحمر.

"هل كنت أنا من يحتسي الشراب، أم أنت؟".

وانتزع القلم من يد ليو، ورسم دائرة جديدة أكبر حجماً.

"ليست هناك شوارع للهرب من ذلك المكان، أليس كذلك؟ هل تعتقد أننا يجب أن نفصح لهم عن مكاننا ونسمح لهم بتطويقنا؟".

أخذ ليو القلم من يد فيليكس، ورسم إشارة "X" خارج الخريطة؛ مباشرة على المساحة الخشبية لطاولة العمل.

"ليس إذا لم يكن لديهم أيّ رجال شرطة لتطويقنا".

نظر إليهما، ومن ثمّ أشار إلى إشارة "X" خارج الخريطة.

"هذه... هي المحطّة المركزية في مدينة ستوكهولم. وهي على بعد ثلاثين

ميلاً. وسيكون الجميع فيها منهمكين تماماً... بتفكيك إحدى القنابل".

تلوح في الأفق مناظر سهول مسطّحة، بيضاء كبياض الطباشير. كان الظلام قد حلّ عندما غادر ستوكهولم، ولكن الشمس تشرق الآن وتعكس أشعتها على الثلج فتصعب عليه الرؤية وهو يقود.

ما زال يشعر بيد كارلستروم على ذراعه.

كان غبياً جداً ببقائه لتناول العشاء. ففي اللحظة التي قَبِلَ فيها بتناول الطعام في منزل رئيسه، أفسد العلاقة التي تجمعهما كرئيس ومرؤوس. كان كارلستروم يعرف قصّته، فالشرطيّ يعرف جميع المحكوم عليهم بالسجن المؤبّد، ولكنه لم يذكر ذلك يوماً. ففي أرواق مراكز الشرطة لا توضَعُ الأيدي على الأكتاف. ولكن حول مائدة عشاءٍ عائلي وفي جو يخيم عليه الأمان والاهتمام، ينخرط الناس جميعاً في هذا الجوّ.

لقد قاد سيارته لمسافات بعيدة من دون أن يقصد وجهة محدّدة داخل ظلام ستوكهولم، وتوقّف قبل منتصف الليل عند مقهى يضجّ بالناس، وبعد بضع ساعات عاد إلى المنزل. ليلة أُخرى، ومجرّد ساعات قليلة فقط من النوم، ومن ثمّ احتسى قهوته في السيارة فيما كان يجتاز مسافة 140 ميلاً للوصول إلى سجن إصلاحية كوملا. كان يعلم تماماً أنّه لا يقوم بهذا من أجل كارلستروم، ومع ذلك كان متأكداً كلّ التأكد من أنّ كارلستروم محقّ.

تماماً كما كانت سنا محقّة.

لقد استخدموا جميع اتّصالاتهم وعلاقاتهم مع عالم الرذيلة والإجرام، ولكن من دون نتيجة. وما زال هناك أمل واحد؛ أمل واحد يملكه هو وحدُه.

كان الحائط الرماديّ- وهو عبارة عن خمس وعشرين قدماً من الباطون والأسلاك الشائكة- يرتفع هناك وراء الحقول. لقد مرّت بضع سنوات منذ أن أتى إلى هنا للمرّة الأخيرة. وكان الشعور نفسه ينتابه كلّما اقترب أكثر. هل يوجد في الداخل أشخاص حقيقيون يتمشّون، ويفكّرون، وينامون، ويأكلون، وينتابهم شوقٌ عارمٌ لأجزاء كثيرة من حياتهم؟

أوقف السيارة قرب البوابة، وترجّل منها، ورنّ الجرس.

"جون برونكس، شرطة المدينة".

بدا له أن جهاز الاتصال عند الباب معطّل.

"جون برونكس، شرطة..."

"لقد سمعتك في المرّة الأولى".

"لزيارة سام لارسن".

"ليس لديك موعد".

"إنني آخذ موعداً الآن".

"الموعد يجب أن يكون قبل ستّ ساعات على الأقل؛ حتى بالنسبة إلى ضباط الشرطة".

"هذه ليست زيارة لعينة. إنه تحقيق في إحدى الجرائم".

فُتِحَ قفلُ الباب، فاجتاز مسافة قصيرة للوصول إلى موقع الحارس الذي كان مرتدياً بزّته وجالساً وهو محاط بزينة الكريسمس، وأمامه أحد أجهزة المراقبة التي كانت تتلقى الصور المباشرة من ثماني وخمسين كاميرا مراقبة.

أراهُ بطاقة هويّته وحصل على بطاقة للزوار، كان يفترض به أن يعلّقها على صدره، ولكنه وضعها في جيبه بدلاً من ذلك. رافقه أحد الحرّاس إلى قاعة الزيارات، وتركه وحيداً في غرفة تحتوي على سرير مزدوج عليه غطاء واقٍ، وطاولةٍ بسيطة مع كرسيين بسيطين أيضاً، ومغسلة وصنبور ينقّط منه الماء، ونافذة مقفلة بقضبان حديدية تطل على حائط في الخارج. هنا لا وجود للكريسمس، ولا وجود للفصول؛ فالمساجين لا يملكون رفاهية احتساب الوقت.

لقد انتظر لمدة خمس عشرة دقيقة أو ما يقارب ذلك حسبما يظن قبل أن يُفتَحَ الباب ويدخل ضابطان من سجن الإصلاحية برفقة أحد المساجين للتأكّد من أنّ كلّ شيء كما يجب أن يكون. ومن ثمّ خرجا وأغلقا الباب وراءهما، تاركين الرجل الذي جلباه خلفهما. سنتان، وثلاثة أشهر، وخمسة أيام، إنّه يَكبُرُ جون برونكس بهذا القدر. وهو أطول منه بإنشٍ واحد. والآن، أصبح أثقل منه بخمسة وستين باونداً. لقد كانا بالحجم نفسه، ولكن بعد ثماني عشرة سنة من حمل الأثقال يومياً، تغيرت البنية الجسدية، في حين انعدم كلّ كيان آخر.

"مرحباً".

نظرا إلى بعضهما. كان أحدهما يرتدي سروال جينز وسترة، وينتعل جزمة شتويّة، فيما الآخر يرتدي سروالاً فضفاضاً مصنوعاً من قماش خشن ومرن في آنٍ معاً، وكنزة بالية عليها شعار السجن على الصدر، وينتعل خُفّاً في قدميه العاريتين.

"لقد قلت... مرحباً".

جلس برونكس أمام الطاولة المتهالكة والآيلة للسقوط، بينما ذهب سام إلى النافذة المقفلة بقضبانٍ حديدية ونظر إلى الخارج، ليرى الحائط من زاويةٍ مختلفة.

"كيف حالك؟".

لقد زاره بضع مرّات في البداية، خلال تلك السنوات الأولى التي كان يقضي فيها عقوبته بالسجن المؤبّد، أوّلاً في سجن إصلاحيّة "هوول" ومن ثمّ في "تيداهوولم". كان ذلك قبل أن يدرك أن عدم القدرة على التفكير على اعتبار الوقت يعني تماماً عدم امتلاك الأمل، وعدم امتلاك أي مستقبل. وعندما فهم أخيراً أنّ هذا النوع من الحياة يبدّل الإنسان، بدأ يتردّد إليه بشكل أقلّ، وفي نهاية المطاف لم يعد يزوره مطلقاً. وعلى الأرجح، لم يأتِ يوماً إلى قاعة الزيارة هذه بالذات من قبل.

"اسمع... في المرّة المقبلة التي تأتي فيها إلى هنا عليكَ أن تأخذ موعداً لعيناً قبل مجيئك، تماماً مثل الآخرين. تماماً كالأشخاص العاديين وليس كرجال الشرطة. في المرّة المقبلة، لا أريد أن يُوَجّهَ إليّ أيّ سؤال عندما أعود إلى شُعبَتي، عن سبب توقّفي عن القيام بعملي وخَبزِ الطعام. عليك أن تعلم كأيّ شخص آخر، أنّ زيارة تتلقاها من شرطيّ من دون تفسير هي أسوأ ما قد يحدث لك هنا!".

كان سام لا يزال واقفاً أمام النافذة المحصّنة بقضبان الفولاذ، وظهره نحو برونكس.

"لقد سألتك: كيف حالك؟".

"كيف حالي؟".

"أجل".

"اللعنة، ومنذ متى أصبحت مهتمّاً بذلك؟".

استدار بمنكبيه العريضين ونظر إليه.

"وبما أنّه ليس باستطاعتك الإجابة عن سؤالي، أخبرني عمّا تفعله هنا بحقّ الله على أيّة حال؟".

سحب جون برونكس الكرسي الثاني من وراء الطاولة. كانت الأمور تجري أفضل ممّا توقع. كانا يتحدّثان.

"عمليّتا سرقة كبيرتان في سفيدميرا وفارستا، وقد قام بهما الأشخاص أنفسهم".

ولكن أخاه الأكبر اختار أن يظلّ واقفاً.

"لقد أتت ماما إلى هنا الأسبوع الماضي".

"كانوا يحملون أسلحة ثقيلة. وتخطيطهم محكم ومنظّم جيّداً".

"لقد قدّمت لها كعكة بالشوكولا والحليب. هل تتذكّر طعمها يا جون؟".

"هل تعتقد أنّه من الممكن أن يكون الفاعلون من بين الأشخاص الذين سجنوا معك في المكان نفسه؟ من المؤكّد..."

"وفي المرّة السابقة... الفطائر الصغيرة المحلّاة".

"... أنّ أحدهم يتحدّث عن هذا الموضوع هنا في الداخل، أليس كذلك؟".

الأوّل كان جالساً، فيما وقف الآخر.

"اللعنة، لم تأتِ إلى هنا منذ ثلاث سنوات! وحين تأتي الآن تعتقد أنّني..."

وانحنى واتّكأ على الطاولة غاضباً وتابع:

"... سأزوّدك بالمعلومات! وأنّه بإمكانك استخدامي في تحقيقاتك اللعينة!".

كان سام يرتجف وهو يتّجه نحو القرص المعدنيّ المعلّق بالباب ويضع يده على الزرّ الأحمر.

"تبّاً لك جون!".

"سام، أنت تعلم أنني أُريد رؤيتك أيضاً. أنت أخي".

"حتى لو كنت أعلم شيئاً عن الموضوع، فمن المؤكّد أنني لن أخبرك به! ولكنني لا أعلم شيئاً. لا أحد يعلم! لم يسمع أحد هنا قطّ أيّ شيءٍ عنهم! هل أنت معي يا أخي؟ هؤلاء الأشخاص مجهولون تماماً، وهم لم يُسجَنوا مطلقاً، وما زالوا يعلمون تماماً ما الذي يقومون به".

حدّق سام إليه بنظرة لم يستطع جون فهمها، فيما وضع إصبعه على الزرّ الأحمر مجدّداً، وضغط عليه، وانحنى نحو "الميكروفون" قائلاً:

"لقد انتهت هذه الزيارة".

"ما زال لديك أكثر من نصف ساعة".

"ما الذي لا تفهمه في كلمة انتهت؟ أريد أن أعود إلى شعبتي".

غرفة عارية ومجرّدة من كلّ شيء وبشعة، بضع أقدام مربّعة تتواجد خارج زمن الفصول. تجنّبا النظر إلى بعضهما؛ تماماً كما كانا يفعلان حين يتشاجران عندما كانا صغيرين، عندما كانا يقومان بأيّ شيء لكي يتحايلا على بعضهما فلا يرى أحدهما الآخر.

"إذاً، أتت ماما لزيارتك".

كعكة بالشوكولا والحليب، والفطائر الصغيرة المحلّاة. كان يجب على جميع المسجونين الذين ينفذون عقوبة طويلة الأمد، والذين يشكّلون تهديداً للأمن أن

يقوموا بإعداد الحلوى والفطائر وخَبزها قبل وصول موعد الزيارة. ابتسم برونكس بضعف. غرفة للزيارات في سجن مشدد الحراسة- كعكة إسفنجية على طاولة بالقرب من سرير مزدوج.

"كيف كانت تبدو؟".

فمع أنّه كان حرّاً طليقاً، إلّا أنه لا يراها أبداً. ولكنّ أخاه المسجون كان يراها باستمرار.

"هل تعلم يا سام أنّك على تواصلٍ معها أكثر منّي أنا؟".

سار سام بضع خطوات باتجاه الباب الذي فتحه ضابطا السجن، وكان على وشك مغادرة الغرفة، والضابط الأوّل أمامه فيما الثاني وراءه، عندما استدار إلى الوراء وقال له:

"ينبغي عليك فعل ذلك".

"ماذا؟".

"أن تراها. إنها تطعن في السنّ شيئاً فشيئاً".

راقب أخاه البكر فيما كان يختفي في رواق السجن بين رجلين هزيلين يرتديان الزيّ الموحّد، ثم أعاد بطاقة الزوار، ومرّ بالحارس المركزي، ومشى باتّجاه البوابة المفتوحة، وأخيراً جلس في سيارته من دون حراك.

جدران بارتفاع عشرين قدماً يقبع وراءها أربعمئة وثلاثة وستّون سجيناً من أخطر وأعنف المجرمين في السويد الذين يقضون عقوبات طويلة الأمد. تمّ انتخاب أحدهم كناطق رسميّ باسمهم جميعاً، وهو واحد من بين عدد قليل من المساجين الذين يتكلم معهم الجميع.

وهو أخوه.

حتّى سام لم يسمع أي شيء عنهم، ولا يعرف شيئاً. كان الرجال الذين يبحث عنهم مجهولي الهويّة.

أدار محرّك السيارة وانطلق بعيداً، وكانت أشعّة الشمس لا تزال تتلألأ لامعة على سطح الثلج.

كانت الطرقات بيضاء ونظيفة خارج جدران السجن، وإذا بها تصبح موحلة وقذرة على بعد مئة وأربعين ميلاً، حيث ينتهي طريق المرور السريع رقم 4 المؤدّي إلى ستوكهولم ويبدأ طريق إسينج السريع وصولاً إلى مدخل المرأب تحت مركز الشرطة الرئيس في كرونبرغ بارك.

كان جون برونكس بحاجة إلى معلومات عن المجرمين الذين ارتكبوا عمليات السرقة الأشدّ عنفاً. لذلك، ولأوّل مرّة منذ ثلاثة أعوام، عَبَرَ بوابة السجن المنيع والأكثر حراسة في السويد، حيث يتمّ باستمرار تبادل الأحاديث حول هذا النوع من الجرائم.

لم يكن أحدٌ يعلم شيئاً.

كان يبحث ويطارد رجالاً ليست لديهم أيّ روابط صلة مع مجرمين سابقين؛ رجالاً من دون وجوه، رجالاً يتصرّفون كما لو أنهم مجرمون متمرّسون، ولديهم وصول إلى الأسلحة، ولديهم الخبرة، ولكن لا يعرفهم أيٌّ من أولئك المجرمين الخطيرين المسجونين خلف القضبان.

فتحت البوابة الحديدية القابلة للطيّ منزلقة بسلاسةٍ، فقاد السيارة إلى داخل مرأب الشرطة الذي كان يعجّ بالسيارات، وراح يبحث عن مكان فارغ وهو يفكر في الآخرين الذين يجلسون في مكاتبهم طوال النهار، وفي كيفية قضائهم الوقت في الداخل هناك، وكيف أنه يمكن لأصوات وأجساد أن تكشف عن نفسها على الأوراق أثناء التحقيق. كان متوجّهاً نحو المصعد حين سمع صوتاً من داخل قسم المرأب الصغير داخل المرأب، حيث كان أخصائيو التحليل الجنائي يحتفظون بالمركبات التي يعملون عليها. مشى باتّجاه مصدر الصوت، ودخل المرأب الصغير،

فوجدها هناك تماماً كالمرّة الأخيرة. في المرّة السابقة، كانت تقف بين شاحنة وكرسي متحرّك للمقعدين، وها هي الآن ممدّدة بشكل نصفي داخل ڤان صغير كُتِبَت على جانبيه كلمة "روتو – روتير"، وتحمل بيدها مصباح الأشعة ما تحت الحمراء.

"سيارة الفرار الأولى، ڤان من طراز دودج".

خرجت سنا من الڤان وتوجّهت إلى السيارة الأُخرى، وأخذت مصباح الأشعة ما تحت الحمراء.

"سيارة الفرار الثانية، ڤان من طراز دودج أيضاً".

تحدثت بنبرة الصوت ذاتها، فتساءل عما إذا كانت منتبهة إلى ذلك، أو ما إذا كان صوتها يتغير فقط عندما تتحدّث إليه.

"إنه ذو طرازٍ أقدم، وقد تمّت سرقته عشيّة عمليّة السطو. لقد استعملوا أحد هذين الڤانين".

كانت تحمل أداة متطاولة، قطعة معدنية ناتئة من مقبض خشبي. وجّهتها نحو ورقة صغيرة لاصقة ومربّعة وسوداء كانت على باب الڤان؛ تماماً تحت النافذة الجانبية.

"إنّ فتح الباب سريع؛ كاستخدام المفتاح. إذ تضغط هنا... على القطعة المعدنية و... طق طق، سرعان ما تصبح داخل السيارة".

نزعت الورقة اللاصقة، فإذا بفوهة تظهر، وفتحت باب السيارة وتسلّلت إليها وراء عجلة القيادة.

"أمّا لإدارة المحرّك، فلم يسبق لي أن رأيت قطّ ما فعلوه من قبل! فقد استخدموا براغٍ من الفولاذ المقاوم للصدأ، بطول عُشر الإنش، حادّة ودقيقة ".

نزعت الغطاء الذي كان قد أُعيدَ إلى مكانه لاحقاً- كما فعلوا هم تماماً- للتأكّد من أن أحداً لن يرى ذلك، ولتأخير اكتشاف الأمر، ولكسب المزيد من الوقت.

"مسمار هناك، حيث تدخل المفتاح، ليس كثيراً إلى الأسفل، ودورتان أو ثلاث دورات فقط، وعندئذٍ يتمدّد مفتاح الاشتعال ويقفل في مكانه. ضربة قوية على رأس المسمار... بواسطة إزميل عاديّ، ويدور محرّك السيارة".

لقد أنهت كلامها. كان برونكس يعلم أنها لا ترغب بالكلام حين تدير ظهرها بتلك الطريقة. فتحت الكمبيوتر الموضوع على غطاء محرّك السيارة من دون أن تقول حتى مجرّد عبارة "مع السلامة". فقال هو "إلى اللقاء"، ولكنها لم تسمعه قط، وانصرف باتّجاه المصعد، وإذا بها تناديه وهو في منتصف المسافة.

"جون، لم أنهِ كلامي بعد".

فتوقّف واستدار نحوها.

"ألم تنهي كلامك!؟".

"هناك شيءٌ واحد بعد".

وأدارت الشاشة نحوه، وانتظرته لكي يقترب أكثر.

"هذه الصورة".

"لقد رأيتها من قبل".

"أعلم ذلك. ولكن، أُريد منك أن تنظر إليها مجدّداً".

الكاميرا رقم 2. اثنتا عشرة دقيقة. من الأعلى.

"كنت أُحاول أن أُحدّد ما صنع منه "الميكروفون" الخاص به".

ظهر في الصورة سارقون في لباس رياضيّ أزرق اللون، وجزمات سوداء، وأقنعة سوداء.

"قمت بتكبير الصورة والتركيز على الياقة، قبل ثوانٍ من دخولهم".

وأرجعت الفيلم، وجمّدت الصورة.

"أربع ثوانٍ، خمس عشرة لقطة في الثانية. أُريد أن تنظر إلى كلّ واحد منهم".

لم تكن تتحدث بالنبرة ذاتها كالمعتاد. كانت تقف على مقربة منه، وكان يعرف عطرها تماماً. كم هذا غريب! كما لو كانت هذه اللحظة ترجع إلى وقت آخر، وكما لو كان باستطاعتهما الخروج من هنا معاً والذهاب إلى الشقة التي تشاركاها، وكما لو أنّه لم تمرّ عشر سنوات.

"هناك".

السارق الأوّل كانت تفصله خطوة واحدة عن الوصول إلى الباب، ولكنه توقّف.

"انظر إلى يده".

وقامت بتكبير الصورة.

"هل ترى؟".

أومأ جون برأسه. لقد رآها بوضوح.

اللصّ المتوجّه إلى الداخل أوّلاً، القائد، توقّف واستدار إلى الوراء، وأخفض

سلاحه، ثم وضع يده اليسرى على ياقته حيث "الميكروفون"، وغطّاه براحة يده، ومال نحو اللصّ الآخر وحرّك بيده اليمنى سمّاعة الرأس الخاصة به.

"سينهايزر هي ماركة "الميكروفون". ولكنّ هذا ليس مهمّاً؛ أقلّه ليس الآن".

أربع ثوانٍ، ستوّن لقطة فيلم. مرّة أُخرى.

"الحركة... تلك".

اليد على "الميكروفون"، اليد على سمّاعة الرأس، ومن ثمّ أصبح برونكس متأكّداً من ذلك... فهمس.

"إنها غير منطقية".

قرّبت الصورة من الفم، فظهرت تانك الشفتان الرفيعتان، خطّان ذوا لون فاتح يحيط بهما قماش غامق اللون ويُتَمتِمان بالكلمات.

"اليد، الهمس. إنها غير منطقية".

نظرت سنا إلى جون وهي واقفة قربه؛ تماماً كما كان القائد في لقطة الفيلم الجامدة يقف على مقربة من اللص الآخر الذي خلفه وينظر إليه.

"صورة لمجموعة من الجنود المنضبطين والمنظّمين. والآن... هذا الموقف الذي يظهر الحميمية التي تجمع بين هذين اللصّين. كما لو كان يضع يده على "الميكروفون" الخاص به، ومن ثمّ يرفع سمّاعة الرأس بشيء من الحبّ. هل ترى؟ تماماً قبل أن يبدأ بإطلاق النار بالذخيرة الحيّة".

أمضى شهرين في التحقيق على مدار الساعة، ولم يتوصل بعد إلى أي دليل، لم يكن يعرف شيئاً عنهم. ولكن هذا... كان باستطاعة جون برونكس أن

يراه ويشعر به. إنه يعرف شيئاً ما الآن. لم يكن متأكّداً مما يعرفه، ولكنه للمرّة الأولى منذ بدئه بحثه عن أطيافٍ ها هو يرى إنسانين حقيقيين، إذ كانا يقفان بالقرب من بعضهما ويتصرفان بحميمية لا يجب أن يتصرف بمثلها سارقا مصرف عنيفان.

إنه أمرٌ تعرّف عليه تقريباً.

"هل يمكنكِ إعادة الصورة إلى حجمها الأصليّ وإعادة المشهد ذاته مجدّداً؟ الثواني الأربع الأولى؟".

فعلت ما قاله لها.

"توقّفي هنا وقرّبي الصورة... إلى هناك. أريد رؤية وجهه، مجرّد وجهه فقط".

ثلاثة لصوص يتّجهون في صفّ واحد إلى داخل المصرف. وأشارت سبابة برونكس إلى الشاشة، إلى اللص الذي يسير في الوسط.

"هل تَرَين؟ إنّه يغمض عينيه".

إنّ ذلك واضح. كانت عيناه مغمضتين.

"إنّه متردّد. إنه خائف".

ظلّت العينان مغمضتين خلف القناع.

"كان خائفاً، وكان ما فعله القائد... بمثابة عِناق. تبّاً! القائد الذي يُمسك "الميكروفون" الخاص به يقوم بحماية اللص الخائف. إنّهم على وشك الدخول والقيام بعمل في غاية العنف، ولكنهما يقفان هناك... كما لو أنهما مرتبطان ببعضهما بصلة عاطفيّة قويّة. إنهما ينتميان إلى بعضهما".

تجنّب جون برونكس استعمال المصعد، فأحياناً كان يحتاج إلى أن يظلّ في حركةٍ مستمرّة، ويُجبِر قلبه على النبض بشكل أسرع، لكي يعتصر أنفاسه في صدره وحنجرته حتى الرمق الأخير.

صعد الأدراج إلى الأعلى، ثم سار في الرواق. لم يركض، ولكنه كاد يفعل ذلك.

ثمّ فتح النافذة بقوّة على مصراعيها لكي تدخل الحرارة الرطبة المتصاعدة من الفناء الداخلي لمركز الشرطة وترتطم بحرارة مكتبه الجافة.

كانا يبدوان حميمين للغاية، وسارقو المصارف لا يجب أن يبدوا كذلك.

كان على القائد أن يصدر الأوامر، ولكنّ تَرَدُّد السارق الآخر كان أكثر أهميّة.

وهذا أمر يعرفه برونكس جيداً.

أحدهما أطول قامة، والآخر أقصر منه. أحدهما عريض المنكبين، والآخر لم يكتمل نموّه بعد. أحدهما أكبر سنّاً، والآخر أصغر منه.

المودّة. الثقة.

اليد وُضِعت على "الميكروفون"، والصوت وصل لكي يزيل الخوف، ومن ثمّ أكملا سيرهما باتّجاه باب المصرف معاً.

هذا ما تعرّف عليه برونكس؛ الصلة التي تربطهما. شخص ما لطالما كان قريباً منه، يحضنه في الليل، ويقول له إنّ كلّ شيء سيكون على ما يرام. ولاحقاً في

تلك الليلة، تسلّل إلى غرفة والديهما، وطعن والدهما بالخنجر بين أضلُعِه. أخٌ أكبر حضنه، وهمس له، وهدّأه مباشرة قبل القيام بعمل عنيفٍ.

أخذ بعض الأنفاس العميقة مقابل النافذة المفتوحة. جون برونكس يعلم الآن.

للمرّة الأولى منذ بدء تلك التحقيقات، إنه يعرف عنهم شيئاً ما فعلاً. ولم يعودوا مجهولي الهويّة تماماً بالنسبة إليه، بل أصبحت هناك خطوط تمهيدية.

المودّة، الثقة.

كانا أخوين.

تبدّلت الأحوال الجويّة خلال الأسابيع الأخيرة القليلة. فقد ذابت الثلوج عشيّة الكريسمس، وأتى الصباح مترافقاً مع هطول أمطار مستمر، فتحوّلت الأرض إلى خليط قذر من الجليد والثلج والحصى والأوساخ. كان يتوقع شيئاً مماثلاً؛ سماء رماديّة اللون وطرقات خالية من الثلج. وقد وعدت نشرات الأحوال الجويّة بالمزيد.

أربع شطائر جبن تم لفّها بأوراق الألومينيوم. أكواب، ملاعق، حليب، ومرطبان سكّر في كيس. الفطور والغداء أيضاً كانا جاهزين. واللحم والتشيلي سيقدّمان في رغيف من الخبز. قام بطهو الطعام ليلة البارحة، بينما كانت أنيللي تنظّف وتعيد الأغراض إلى الثلاجة.

وقف ليو أمام النافذة المزيّنة بإتقان، وهو يراقب بزوغَ فَجرٍ رماديّ اللون وضبابيّ. كانت هناك شتلتان على عتبة النافذة، وبينهما تمثال من البورسولين مدهون باللون الأبيض، ومقشّر من إحدى الجهات، وذو عين واحدة فقط، وقد كان ذات يوم موضوعاً في منزل طفولة أنيللي، وها هو الآن يقف هنا لبضعة أسابيع في مطبخها بين الشتلتَين. كانت الزينة موزعة في كلّ مكان. إنها الزينة نفسها التي تخرجها من صندوقها في شهر ديسمبر من كلّ عام. وهي شيء أحضرته إلى حياته، ويعني لها الكثير. كان بإمكانه أن يرى فرحها، واستباقها للأُمور فيما كانت تختار المكان المناسب لكلّ من الأغراض.

لم يكن هذا سوى تاريخ بالنسبة إليه؛ مثله مثل 25 نوفمبر أو 25 أكتوبر. ولكن، لربّما كانت أنيللي بحاجة إلى شيءٍ ما تتمسّك به فيما الوقت يجري. أما هو فلم تكن هذه المناسبات بالنسبة إليه سوى مجرّد تواريخ. فهناك أحدٌ آخر قام باتّخاذ هذا القرار، واستعمل الروزنامة كأداة للتحكّم بحياة الناس. غير أن ما يهمّ هو ما تقرّره أنت بنفسك وتقوم به؛ أي أن توجد روزنامتك الخاصة. على

سبيل المثال، الثاني من يناير، وهو التاريخ الذي ستحصل فيه عملية السرقة الثلاثية الأولى في تاريخ السويد، أو أيضاً 17 فبراير و11 مارس و16 أبريل؛ وهي التواريخ الأُخرى التي اختارها لعمليات السرقة، والتي تعني شيئاً ما.

حمل التمثال، وقلبه رأساً على عقب، وحاول قراءة الدمغة المطبوعة من الخلف، ثم أعاده إلى مكانه مجدداً.

التوقّعات.

وبما أنّها رقيقة جدّاً، كان عليه أن يَجِدَ طريقة لطيفة لخفض توقّعاتها وهو يشرح لها أنّ هذا الكريسمس ليس وقتاً مناسباً للاحتفال كما ينبغي. ولكنهم سوف يحتفلون فعلاً في العام المقبل عندما ينتهي كلّ ذلك؛ تماماً كجيرانهم في الناحية الأُخرى من السور، والذين كان يحلو لها أن تراقبهم من خلف نافذة المطبخ وتنضمّ إليهم عبر المسافة. ذهبت إلى النافذة مرّات عديدة خلال عشيّة الكريسمس. تناولا اللحم المدخّن والملفوف وكرات اللحم والحلوى باليانسون من جانسونز تامبتايشن، وقد أعطاها الهديّة التي ستقدّمها لابنها الذي ستزوره بعد الكريسمس مباشرة، كما قاما بإضاءة الشموع أيضاً، وشاهدا لبضع ساعات دونالد داك وبرنامج كارل برتيل جونسونز، كسائر الناس في السويد، إلى أن صار غير قادر على الاحتمال أكثر من ذلك، فنزل إلى كهف الجمجمة، وأكمل العمل على روزنامته الخاصّة.

فيما كان يحمل كيساً في يده، خرج ليمشي في ظلمة الصباح الرطب، فغرق حذاؤه ذو النعل الرفيع في مزيج من الثلج والمطر على الأسفلت. أمّا المرأب فكان على عكس ذلك تماماً. إذ كان جافّاً ودافئاً بفضل السخّان الحراري الذي يصدر طنيناً مستمرّاً، كما كان مُضاء بشكل جيّد بفضل مصابيح قويّة. كان ڤينسنت وفيليكس وجاسبر بانتظاره وهم جالسون على مقاعد خشبية حول طاولة

من الخشب المضغوط التي مُدّت الخريطة فوقها.

"أحضرت لكم قهوة وشطائر".

مرّر ليو أكواب القهوة، وشطائر الجبن إلى الجميع.

"الحليب؟".

ومباشرة تحول اهتمامه إلى الخريطة؛ إلى الخط الأحمر المستوي تقريباً. يبدأ الخطّ من بلدة مجاورة تُدعى كرونبرغ تقع في وسط ستوكهولم، حيث تتركّز معظم عمليات الشرطة السويدية، وينتهي على بعد ثلاثين ميلاً عند مستديرة أوزمو، حيث يتقاسم مصرفان الحائط نفسه. وهناك خطّ آخر يقطع ستوكهولم وبلدات هاديندج وهانينج ونيشامن، وهو المفتاح لإلهاء الشرطة وتحويل انتباهها والاختفاء من مسرح الجريمة.

"الهدف الأوّل".

وضع ليو قطعة النقود من فئة عشر كرونات التي كانت في راحة يده على أحد المربّعات الرماديّة في آخر الخطّ الأحمر الذي يشير إلى مناطق ذات كثافة سكّانية.

"الهدف الثاني".

وضع قطعة أُخرى من النقود من فئة عشر كرونات فوق القطعة الأولى.

"وهنا".

وتماماً خارج نافذة الهدفين تمركزت سيارة الفرار.

كانت سيارة صغيرة حمراء مثل الخطّ تماماً. "هذا أنت فليكس".

كان هناك المزيد والمزيد أيضاً؛ علبة من الورق المقوّى يعرفون جميعاً ما تمثله، وثلاث دمى بلاستيكية خضراء اللون لجنود كانت تقف في الماضي على أرضية شقّة طفولتهم في سكوغيز بارتفاع إنشٍ واحد أو اثنين، ورائحتها كما كانت آنذاك.

إنها دمى جنود أميركيين، على مقياس 1:72.

"هذا ڤينسنت، وهذا جاسبر. وهناك... ها أنا قادم".

فرّق القطعتين النقديتين الذهبيتين، ووضع الجندي البلاستيكيّ الصغير فوق إحداها.

"الهدف الأوّل، ليو يفتح الباب. الهدف الثاني، جاسبر وڤينسنت يفتحان الباب. عند الساعة الثانية وخمسين دقيقة من بعد الظهر".

والآن، تحوّل انتباههم إلى مجسم السيارة الصغيرة التي تم ابتياعها من متجر ألعاب دينكي. وهي سيارة ڤولكس ڤاغن حمراء من طراز 1300، البيتل، ما زالوا يحتفظون بها في علبتها الأساسية، ولم يتمكّنوا يوماً من رميها.

"وفيليكس سيهتمّ بالسيارة. تماماً كما في سڤادميرا، وتماماً كما حصل في ذاك الوقت".

إنّ أحداً آخر يعيش في تلك الشقّة الآن، وفي تلك الغرفة. وقد قام ليو بسرقة مجسم السيارة من أجل فيليكس، من متجر تويز أند هوبيز في مركز سكوغيز التجاري.

"تماماً كالعودة إلى ذاك الوقت، فيليكس".

وكانت هناك أيضاً علبة كبيرة أُخرى تحتوي على مجسّمات جنود صغيرة

على مقياس 1:72، تنبعث منها الرائحة القويّة نفسها. ولكن دمى الجنود تلك كانت بنيّة اللون، وذات قبّعات أكثر استدارة من قبعات دمى الجنود الأميريكيين وتحمل أسلحة مختلفة.

"جنود روسيون".

وضع مجموعة كاملة من دمى الجنود البلاستيكية على الخطّ الأحمر في صف مستقيم، ومن ثمّ وضع القليل منها في المواقع الثلاثة الأخرى بعيداً.

"رجال الشرطة. معظمهم يعملون هنا... في شرطة المدينة. والقليلون منهم هنا؛ في شرطة هاديندج، وهناك شرطة هاندن. والأقليّة هنا... شرطة ناكّا".

تأكّد من أن كل دمى الجنود التي تمثل الشرطة تقف في المكان المناسب، ومن ثمّ أحاطها بذراعه، بطوقٍ عملاق، وجرّها ببطء نحو النقطة التي تلتقي فيها الطرق وخطوط السكك الحديدية وأنفاق المترو؛ أي المنطقة الرماديّة المتّصلة بالتفرّعات كافّة، والتي تمثّل وسط ستوكهولم.

"وسيذهبون جميعاً إلى هناك. سيكونون جميعاً هناك، في المحطّة المركزية؛ تماماً حيث لن نكون نحن موجودين".

نظر إلى جاسبر وأومأ برأسه.

"لأننا سنكون قد زرعنا قنبلة هناك؛ قنبلة حقيقية في إحدى الخزائن الصغيرة في المحطّة المركزية".

كان ڤينسنت صامتاً حتى تلك اللحظة، تماماً كعادته. وها هو الآن يرمي كوب القهوة على طاولة الخشب المضغوط، فوقع الجندي الذي لم يكن قد وقع بعد.

"ڤينسنت، ما هذا بحقّ الله؟".

"هل أصبحنا إرهابيين الآن؟".

"لن تنفجر، ولكن عليهم أن يعرفوا أنها حقيقية".

قام ليو بجمع كومة الجنود من مدار محطة ستوكهولم المركزية.

"إنّ تمويهنا التضليليّ الأوّل سيكون إغلاق المحطة المركزية. وبينما يكون رجال الشرطة متجمّعين هناك، ومنهمكين بتفكيك قنبلة حقيقية، سنقوم بسرقة مصرف على بعد ثلاثين ميلاً".

لم يُجدِ ذلك نفعاً. فقد نقل ڤينسنت نصف الجنود نحو أولد تاون، والنصف الآخر نحو كرونوبرغ.

"ومن ثمّ ماذا؟ ما الذي سنهدّد بتفجيره تالياً؟ القصر؟ مركز الشرطة الرئيس؟ أو شيئاً أكبر؟".

بقليل من الانزعاج، وقليل من الفخر ابتسم ليو لـڤينسنت وهو يقوم بإعادة الجنود ببطء إلى المنطقة المحيطة بالمحطّة المركزية.

"تمويهنا التضليليّ الثاني سيكون سيارتين حمراوين".

والتقط ليو بسبابته وإبهامه سيارة الـڤولكس ڤاغن من طراز بيتل التي كانت تعلو الرفّ فوق سرير فيليكس سابقاً، وحرّكها على الخريطة من المصرِفَين إلى الطرقات الخلفية التي تُوصِل إلى الريف.

"سنستخدم سيّارة يعرفها الجميع. وسيجد رجال الشرطة الذين سيذهبون نحو جنوب المدينة... السيارة هنا".

وقام بتحريك السيارة من الطريق التي سيسلكونها في الواقع باتّجاه طريق أعرض تقع في الجانب الآخر من المصرفين؛ أي طريق ستوكهولم السريع الذي لن يسلكوه.

"ستتوقّف هنا. وبالتالي، سيقوم رجال الشرطة بقطع الطريق، وسيظنّون أننا سلكنا تلك الطريق".

"لا أفهم".

"ڤينسنت، إنّ..."

"لا أفهم كيف استطعت أن تجلس هناك داخل تلك السيارة، وتعطيني رزمة من الكتب، وتقول لي إننا سنقوم بسرقة المصارف".

"إذاً!".

"إنّ صنع القنابل لا يعني سرقة المصارف".

"ڤينسنت".

"ماذا؟".

"إن قمنا بصنع قنبلة، وإن استخدمناها، فهي لن تنفجر. هل نحن متفقان؟".

لم يَقُم ڤينسنت بتحريك المزيد من الجنود، ولكنّه لم ينظر إلى الأسفل أيضاً، ولم يُشِح بنظره بعيداً، بل نظر إلى أخيه البكر وكرّر:

"لا أفهم".

"ڤينسنت، ألا يمكنك..."

"إنّني لا أستوعب السبب الذي سيدفعنا إلى صنع قنبلة لعينة، ومن ثمّ الاختباء في إحدى الزوايا تاركين سيارة الفرار الأولى التي يعرفها الجميع على الطريق الرئيسة ظاهرة للعيان تماماً!".

لم يَعُد ليو منزعجاً، ولكنه ظل يشعر بالفخر بأخيه بعض الشيء، فيما تابع ڤينسنت طرحَ أسئلته.

"سيارة الفرار هنا... على الطريق الرئيسة؟".

"أجل".

"ورجال الشرطة سيقومون بإقفال هذه الطريق؟".

"أجل".

"وهنا، وراء السيارة، سيتّجه رجال الشرطة إلى المصرف من الناحية الأُخرى، نيناشامن، وسيعلقون هناك؟".

"أجل".

"وبالتالي سنصبح مطوّقين بالكامل".

"كلّا".

"بلى. لأنّ..."

غير أن ليو قاطعه ليشرح له وهو يشعر بالفخر بنفسه.

"هذا ما سيعتقدونه تماماً. ولكننا سنكون هنا يا ڤينسنت، سنكون على إحدى الطرقات الضّيقة في طريقنا لسرقة مصرف ثالث".

ووضع قطعة نقدية ثالثة من فئة عشر كرونات على الخريطة، ثم راحت السيارة تسير على الشوارع الخلفية وصولاً إلى بلدة سوروندا الأصغر حجماً.

"ما زلت لا أفهم".

وبمزيدٍ من الفخر، أخرج ليو سيارة أُخرى من الكيس.

"هل تعلم كم من وقت استغرقت لإيجاد هذه؟ لقد ذهبت إلى جميع متاجر الألعاب في المدينة، ومن ثمّ رأيتها في واجهة أحد متاجر الأنتيكات في شارع رينغ ستريت".

وكانت نسخة طبق الأصل عن سيارة الفرار؛ ڤولكس ڤاغن حمراء من طراز بيتل 1300، ووضعها بالقرب من القطعة النقدية الجديدة من فئة عشر كرونات.

"سنكون في السيارة على الطرقات الخلفية".

ومن ثمّ أشار إلى الناحية الأُخرى من الخريطة.

"في الوقت ذاته، ستكون السيارة نفسها موجودة هنا، على الطريق الرئيسة، محاطة بحواجز الطريق".

نظر ليو إلى ڤينسنت الذي لم يعد لديه المزيد من الاحتجاجات، أقلّه ليس هذا الصباح.

"إنّ الأمر كالسحر يا رفاق. ما زالت هناك أربعة أيّام تفصلنا عن التنفيذ".

كان المكان ضيّقاً، وكانت كتِف فيليكس ترتطم بالباب كلّما استدار. ورغم أنه أرجع المقعد إلى الخلف إلى أقصى مداه، إلّا أن ركبتيه ظلتا تصطدمان بلوحة القيادة عندما يبدّل مقبض تحويل السرعة. وإن قام بتغيير وضعيّته، فستعلق فخذاه تحت عجلة القيادة.

لم تكن قوّة أحصنتها عالية، ولم تكن سهلة القيادة أيضاً. ولكنْ، لم يكن هذا سببَ اختيارهم لها، بل لأن كلّ من يراها سيعرفها، وسيسهل التعرّف عليها لاحقاً.

انتظر إلى أن فتح باب المرأب إلى الأعلى، ثم قاد السيارة إلى الداخل، فأضاءت أنوار مصابيحها الأمامية طاولة العمل والخريطة العملاقة، حيث القطع النقدية الثلاث من فئة عشر كرونات، والسيارتين الحمراوين من ألعاب دينكي وراء كومة من مجسمات دمى الجنود الصغيرة. أعاد إغلاق الباب، وأخذ المعدات التي يستخدمها دائماً لاكتشاف ما يوجد داخل السيارة جديدة الطراز وخارجها؛ أي المطرقة، ومفكّ البراغي.

"داخل واحدة من تلك؟".

جلس جاسبر بالقرب من ڤينسنت وليو أمام طاولة العمل الأُخرى، وهم يقومون بفتح أربع علبٍ من الورق المقوى، وأربع رُزَمٍ طريّة مغلّفة بأوراق بلاستيكية رقيقة.

"أجل. داخل إحداها".

وها هو يقف الآن ويقترب من السيارة.

"داخل... كيس لعين؟ فيليكس، لم تكن تلك سوى دمىً من السيارات. لم تعتقد أنّ ليو كان- اللعنة عليه- جادّاً؟".

"أحسنت، جاسبر".

"كيف يمكننا بحقّ الله أن..."

"لقد أحسنت بالفعل يا جاسبر. إنّك لا تعرف أي شيء عن السيارات، ولكن يمكنك أن تتعرّف عليها وتسمّيها بأسمائها؛ تماماً كالجميع في أوزمو سكوير".

كان طراز السيارة التي أحضرها فيليكس مماثلاً تماماً للنسختين المصغّرتين الموضوعتين على الخريطة؛ أي السيارة الأكثر شهرةً عالمياً. لقد استأجر السيارة، وسيقوم الآن باستكشافها وتعلّم كلّ ما يتعلّق بها؛ أي فتح الأبواب، ومن ثمّ الجلوس على مقعد السائق، وتشغيل المحرّك... وسيفكّكها ومن ثمّ سيعيدها إلى حالتها الأصلية من دون أي أثر يُذكَر عدّة مرات متتالية، وهكذا سيصبح بإمكانه أن يسرق اثنتين مماثلتين لها في غضون ثوانٍ.

"اللعنة، إنّها صغيرة جدّاً بالتأكيد. ولكنّها ما وقع عليه الاختيار تماماً".

غادر ليو طاولة العمل وهو يحمل علبة كرتونية في إحدى يديه، ورزمة في اليد الأُخرى، وذهب ليجلس بين جاسبر وفيليكس، في الحفرة التي تصدّعت منذ بضعة أسابيع، ولم يُسمح لها بالتوسّع أكثر.

"ولكنني أجلس قسريّاً، بتهديد السلاح. أليس كذلك؟".

كانوا هم الثلاثة مصطفّين بالقرب من بعضهم- هم الثلاثة الذين يزيد طول قاماتهم عن ست أقدام- بالقرب من السقف المقبّب الذي ينحدر بشكل حاد فوق المقعد الخلفي الذي كان ضيقاً أكثر من المقعد الأمامي. غمز ليو الآخرَين، وقاطع تذمّرات جاسبر، وأعطى فيليكس الرزمة.

"المقاس الأكبر".

أخذ فيليكس بذلة رياضية جديدة سوداء اللون، وقام بفرد طيّاتها ونفضها إلى أن تدلّت بينهما كجسم فارغ.

"وتلك... مقاس أحد عشر".

وأعطى جاسبر العلبة الكرتونية البنية التي تنبعث منها رائحة الجلد، قبل أن تُفتَحَ حتى.

"هذه جزمة الجندي المظليّ. أربعة أزواج بالمقاس نفسه، وذات نعول لا يشوبها أيّ تلف. عندما سيبدأ أخصائيو الشرطة بالزحف في المكان بحثاً عن آثار وصبّ القوالب، ستكون جميع الآثار... متماثلة".

ارتدى فيليكس البذلة الرياضية، فيما ربط جاسبر شريط الجزمة.

أسلحة جديدة، ثياب جديدة، سيارات جديدة.

ربّت ليو بخفّة على السقف الأحمر الحديديّ.

"نحتاج إلى اثنتين مماثلتين لهذه. من الصناعة نفسها، والطراز نفسه، واللون نفسه أيضاً. سنبدأ بالبحث هنا في الجنوب، وسنتفرّق. وإن لم نتمكّن من إيجاد اثنتين مماثلتين لها هنا، فسنفعل ما فعلناه في المرّة السابقة، وسنذهب إلى النصف الشمالي من المدينة. ما زالت لدينا ثلاثة أيام".

كان جهازاً بدائيّاً بسيطاً، جهازاً ميكانيكيّاً بشكل بَحت، علبة حديديّة مستطيلة ممتلئة حتى نصفها بالمسامير والبراغي والترابيس والمتفجّرات من عيار 46/ م. كان الصمّام الكهربائي متّصلاً بشاعل كبسولة تفجير اللغم الذي يستند إلى إحدى الجهات الصغرى في العلبة الحديدية. تفاعل تسلسليّ بسيط؛ "أ" تؤدّي إلى "ب" التي تؤدّي إلى "ت". عندما تفتح الجهة الصغرى، ستنطلق كبسولة تفجير اللّغم لتحرّر الصمام الكهربائي، فينفجر محتوى العلبة الحديدية قاتلاً كلّ كائن حيّ في المحيط المجاور.

"هل رأيته يا فيليكس؟".

كان ليو جالساً إلى طاولة العمل في المرأب، وأسلاك الفولاذ الحمراء في يده. قطع أربعة إنشات. لقد اختفت الخريطة والقطع النقدية والجنود عن الطاولة، لقد اختفت، لقد حُرِقت... وباتوا الآن يعلمون كيف، ومتى وأين.

"فيليكس، مرحباً؟".

"ماذا؟".

"هل رأيت ڤينسنت؟".

"إنه آتٍ".

"متى؟".

أدخل ليو بتأنٍّ قطعة من السلك الأحمر إلى داخل الفجوة، وربطها مثبّتاً إيّاها على كبسولة تفجير اللّغم.

"فيليكس، متى سيأتي بحقّ الله؟!".

"الآن".

سُمِعَ قرعٌ على باب المرأب.

فتح ليو الباب، فهاجمه الصقيع، والهواء البارد، ودويٌّ مكتومٌ يصدر من بعيد.

"إنها الحادية عشرة وأربعون دقيقة. لقد تأخّرت".

"كان من الصعب جدّاً العثور على سيارة أُجرة".

أغلق ليو الباب وأقفله، ثم عانق أخيه الصغير، وعاد خطوة إلى الوراء، وصفر بصوت عالٍ وهو ينظر إلى ڤينسنت الذي كان يرتدي بذلةً سوداء وقميصاً أبيض مفتوحاً عند العنق تحت سترته.

" يا إلهي، لقد كبرت حقّاً".

"ثمنها ألفا كرونة. لقد اشتريتها اليوم".

كان ڤينسنت يحمل كيساً بيده؛ أعطاه إلى ليو وأكمل طريقه إلى داخل المرأب.

"هل هذه هي... القنبلة؟".

أفرغ ليو الكيس من محتواه، وقام بطيّه. كان المكان بالكاد يتّسع لهم عند طاولة العمل بالقرب من كؤوس الشراب الثلاث.

"أجل".

"حسناً. إذاً، أعتقد أنّ هذا ما نحن عليه. نحن إرهابيون".

حدّق ڤينسنت إلى العلبة الرمادية-السوداء، وكان باستطاعته سماع فيليكس وهو يسحب شريطاً لاصقاً من اللّفة.

"يمكن أن تكون والدتنا هي التي ستضع حقيبة يدها في تلك الخزانة الصغيرة اللعينة بالقرب من هذا الشيء!".

"اعتقدت أننا انتهينا من الحديث في هذا الموضوع".

"أنت أنهيت كلامك ليو، وليس أنا".

"ڤنسينت".

"ماذا؟".

"لن نضعها هناك بهدف قتل أحدهم كما سبق لي أن قلت لك، بل سنضعها هناك ليأخذوا الأمر على محمل الجدّ؛ لأننا إن وضعنا قنبلة مزيّفة هناك، فسوف يدركون حقيقة الأمر".

"ولكن، ماذا لو... ماذا لو انفجرت في كلّ الأحوال؟".

"ما هذه الرائحة؟".

انحنى ليو، واقترب منه أكثر.

"إن انفجرت، فسيكون ذلك مجرّد حادث".

وشمّ ليو الرائحة التي تفوح من أنفاس أخيه الصغير.

"ڤنسينت، أنت لم تكن تنتظر سيارة أُجرة، اللعنة عليك!".

وتنشّق بقوّة عدّة مرّات ليتأكد أكثر.

"لقد كنت في المنزل تحتسي الشراب".

حاول ليو أن يحدّق إلى عينَي أخيه الصغير ولكنّه لم ينجح، إذ كانت عينا هذا الأخير مسمّرتين على علبةٍ غطاؤها مثقوب، ويخرج منه سلكٌ حديديٌّ أحمر تمَّ تثبيته ولصقه على العلبة.

"ڤنسينت، إن كنت ترغب بقول شيءٍ ما لي، فهيّا قله فحسب. انطق به. نحن أخوان، وأنت لا تحتاج البتّة إلى احتساء الشراب قبل التكلّم معي".

"لقد سبق لي أن قلت ما أُريده؛ الأمر لا يبدو صائباً".

"ماذا تعني بقولك إنه ليس صائباً؟".

"لا يبدو الأمر جيّداً. وإن شعرتُ بهذا مجدّداً... فلن أقوم بذلك".

"ڤنسينت، أصغِ إليّ".

فتح ليو الغطاء كاشفاً عن طبقاتٍ عديدة من المسامير والبراغي والمتفجّرات.

"إن كان هذا يحتوي على صمّام أمان..."

وأشار بإصبعه إلى كبسولة تفجير اللغم الأُنبوبيّ أسود اللون، وتابع:

"... فلن ينفجر".

ومن ثمّ أشار إلى عقدة الأسلاك في الطرف الآخر من الكبسولة.

"إذاً، إن قمتُ بشدّ هذه قليلاً..."

وقام بذلك.

"... إن اخترتُ أنا نزع حلقة صمّام الأمان..."

ونظر إلى ڤنسينت الذي كان يراقب السلك الحديديّ.

"... فلن تحتاج آنذاك إلّا إلى حركة صغيرة جدّاً لتنفجر. ولكن هذا يحصل فقط إن قمتُ بنزع حلقة صمّام الأمان".

وأخرج إصبعه برفق.

"هكذا تعمل. أصغِ إليّ، أوّلاً سنقول لرجال الشرطة إن هناك قنبلة في إحدى الخزائن الصغيرة في المحطة المركزيّة، وعندها سيذهبون إلى هناك وسيرون أنها بالفعل قنبلة حقيقيّة. وحينئذٍ، سيتوجب عليهم القيام بعملهم، فيما نقوم نحن أيضاً بعملنا. سنسرق مصرفين في أوزمو، ومصرفاً ثالثاً في سوروندا في طريق عودتنا إلى المنزل، وسيقومون بوضع شريط لتطويق المدينة بأكملها، وسينشرون عناصر الشرطة في كلّ مكان، ولكنهم سيبقونهم بعيدين عنّا ثلاثين ميلاً لعدّة ساعات. لن يتأذّى أحدٌ يا ڤنسينت، ولن يموت أحد؛ حتى السيدة التي ستضع حقيبة يدها في الخزانة بالقرب من القنبلة".

وضع فيليكس قطعة من الشريط اللاصق على الغطاء لإبقائه مغلقاً بإحكام، وأخذ قطعة أُخرى من الشريط اللاصق ووضعها بالقرب من الأُولى أيضاً، لمزيدٍ من التأكيد. ثم وقف بين أخويه، واستمع إليهما معاً من دون أن ينحاز إلى أيٍّ منهما. لقد أدرك ذلك، بالرغم من أنّه لم يحدث سابقاً قطّ. كانت هذه هي المرّة الأولى التي يحتجّ فيها ڤنسينت على إحدى العمليات بالطريقة التي يحتجّ بها عادةً، وانتهى الأمر كما كان ينتهي عادةً؛ إذ لم يتمكّن من إقناع الأخ الأكبر الذي يعرفه جيّداً، وإن كان باستطاعته إقناع الجميع باستثنائه بفضل طاقته الحيويّة. وبالتالي، إن كان على أحدهم أن يغيّر مسار الأُمور، فهو الأخ الأصغر. فإمّا أن

يقبلوا بالأمر، أو لا يقبلوا به. إمّا أن يتبعوا ليو، أو لا يتبعوه.

"إذاً، اتّفقنا. أليس كذلك؟".

فأومأ ڤنسينت برأسه إيجاباً بشكل طفيف.

"جيّد. لأنّه ما زالت هناك عشر دقائق حتى يحين منتصف الليل؛ أي موعد فتح هذه".

وأمسك بالكؤوس وزجاجة الشراب وبدأ يتّجه نحو باب المرأب.

"ليس تماماً... هناك أمرٌ واحدٌ بعد".

انحنى ليو فوق طاولة العمل، كما لو أنه فعل ذلك ليُظهر أنه ليس على عجلةٍ من أمره على الإطلاق.

"أعني، بما أنّ أخانا الصغير هنا".

والتفت نحو ڤنسينت.

"من فتح الباب؟".

لم يفهم ڤنسينت شيئاً، فأعاد فيليكس طرح السؤال:

"ڤنسينت، في تلك المرّة... حين ظهر بابا، من فتح الباب؟".

نظر فيليكس إلى ليو الذي بادله النظرات ثم هزّ رأسه قائلاً:

"اللعنة! فيليكس، هل ما زلت متوقفاً عند ذلك الأمر؟ إنّها الحادية عشرة واثنتان وخمسون دقيقة. حان وقت الرحيل الآن".

فنظر فيليكس إلى ليو وهزّ هو رأسه هذه المرّة.

"أجل. ڤينسنت، من الذي فتح الباب عندما أتى الرجل العجوز إلى منزلنا وحاول قتل ماما؟".

"عمّ تتحدّثان؟".

"عندما خرج بابا من السجن بعد أن انتقلنا للعيش في فالون، ذهب إلى هناك".

ونظر فيليكس إلى ليو كما لو أنه يقول له: سأنال منك. وكذلك فعل ليو.

"من فتح الباب حينها يا ڤينسنت؟".

"فيليكس، بالله عليك، لقد كان في السادسة من عمره. هل أصبح شاهداً الآن؟".

أما ڤينسنت فنظر إليهما معاً وقال:

"السابعة. كنت في السابعة من عمري عندما حاول أن يقتل ماما".

فعل فيليكس ما يفعله ليو عادةً، إذ وضع يديه على كتفَي ڤينسنت وقال:

"انسَ أننا أخواك الكبيران، وقل لي ما رأيته. هل أنا من فتح الباب أو ليو؟".

لوّح ليو بزجاجة الشراب مشيراً إلى ساعة يده وقال:

"تماماً. قل لنا ما تتذكّره. وبعدها، سَيُسَرُّ فيليكس، وسنتمكّن من الرحيل".

وقفا هناك. فيليكس ويده على مقبض الباب، وليو في طريقه إلى الباب.

"هيّا ڤينسنت، ما الذي رأيته؟ هل كنت أنا أم ليو؟".

أما هو فقفز ولكنه لم يستطِع الوصول، بل كاد أن...

"لقد كنت أنا".

ثمّ نجح بذلك، إذ وصل إلى المقبض وأداره.

ضحك ليو؛ ليس بصوتٍ عالٍ، وليس بسبب شعوره بالفرح.

"كان هذا جواباً دبلوماسياً".

غير أن فيليكس لم يضحك قطّ.

"ما هذا بحقّ الله؟! هيّا الآن، قُل الحقيقة، ولن نغضب، أعدُك... من فعل ذلك يا ڤينسنت... من الذي قام بذلك؟".

"لقد كنت أنا من فعل ذلك. أتذكّر ذلك جيداً. فقد وقفت هناك، وفتحت القفل، وأدرت المقبض إلى أسفل وفتحت الباب".

"إذاً، هل كنت أنت؟".

"أجل".

وتدفّق الدم إلى وجه فيليكس الذي احمرّ كالعادة، وبدأ يزداد توتّراً وهو يحاول فهم كيف أنّهم هم الثلاثة وقفوا بالقرب من بعضهم عند الباب، واعتقد كل منهم لاحقاً أنّه هو من فتح الباب.

"وأين كنت أنا بحقّ الله؟ ألم أكن هناك؟ قفز ليو على ظهره، وأنت فتحت الباب، وأنا... أنا جلست على كرسيٍّ في المطبخ ربّما؟! على قِدرِ المطبخ! ربّما لم أكن موجوداً... وربّما أنتما الاثنان من بصق في وجه ماما أيضاً؟ هل أنتما

من فعل ذلك؟ من منكما إذاً؟".

"وما الفرق اللّعين؟".

"هذا الأمر اللعين مهمّ للغاية بالنسبة إلي".

وساد الصمت تماماً في المرأب الواسع.

وفي الخارج، ازداد صوت الألعاب النارية والمفرقعات قوّةً.

"لقد كنت أنت، أنت من بصق. ولكنّ ذلك لا يعني شيئاً. ذلك أمر... آخر".

وأومأ ليو برأسه لفيليكس.

"ولم يَعُد مهمّاً الآن".

كان ليو يحمل ثلاث كؤوس من الشراب في يده، فيما ثلاثون ثانية تفصلهم عن حلول منتصف الليل. فُتِح باب المرأب منزلقاً إلى الأعلى ليكشف عن سماء ليليّة مليئة بالشهب والنيازك، سماء تشعّ بالألوان؛ أزهار تتفتّح لتعود وتختفي. نزع ورقة الألومنيوم الذهبية عن غطاء الزجاجة وفتحها وصب الشراب.

"نخبكما، نخبُ جيتريغن وفارستا وسڤيدميرا".

ورفع كأسه إلى السماء التي كانت خضراء وحمراء وصفراء وزرقاء.

"ونخب العام القادم، نخب أُوزمو وريمبو وكونغسور وأُولارد".

صندوق ذخيرة. سيّارة مصفّحة. عمليّة سرقة أحاديّة. عمليّة سرقة مزدوجة، عمليّة سرقة ثلاثيّة.

وبعدها سينتهون من ذلك، وسيهتفون ابتهاجاً لتمكنهم من خداع الشرطة، وسيخلعون ثياب السرقة ويختفون إلى الأبد.

"ولكن، أولاً أُوزمو... بعد يومين".

نوع مختلف من الوزن. مسامير، براغيّ، عزقات، متفجرات يمتدّ ثقلها من ذراعه إلى كتفه، ويده تمسك بإحكام مقبض الحقيبة. كان يمشي بسرعة عاديّة، ويمرّ بالناس الذين يأكلون "الهوت دوغ"، ويقرأون صحيفة المساء، ويشربون القهوة في أكواب بلاستيكية، وغالباً ما يلقون نظرة خاطفة على لوح الاستعلامات الإلكتروني الذي كان يغطّي حائطاً بكامله ويعلو المخرج الرئيس. كانت الحقيبة من النايلون وتزن ما يقارب عشرين باونداً، وكان يحملها مرتفعة نسبياً لكي تبدو أخفّ وزناً، كما لو أنها تحتوي على ثياب وحقيبة صغيرة لأدوات الزينة؛ أي ما قد يحمله أي مسافر وهو يعبر الأرضية الرخامية في المحطة المركزية.

كانت جميع الأجسام في حركة متواصلة. فمحطة القطار في عاصمة المدينة مكان يفرّق ويجمع بين الناس. والجميع يحتشدون هناك، ولكن لا أحد منهم يهتمّ أو يبالي.

ولكن، ما كان أحدٌ مثله. فهو طيفٌ، ولديه هدف واحد فقط؛ إيجاد خزانة صغيرة، وفتحها، ووضع حقيبة واحدة فيها، ثم إقفالها والانصراف.

لغاية هذه اللحظة، كانت مهمّته التمويه، لكي يبدو في طريقه إلى أو من ستوكهولم.

مسافر يعتمر قلنسوة محبوكة سوداء اللون، ويرتدي معطفاً شتوّياً كغيره من المعاطف الشتوية.

عندما دخل باحة الوصول الشاسعة من فاساغاتان وعبَر الباب الدوار، كان يُفترض به السير بشكلٍ نصف دائري بين الحشود وشبابيك التذاكر، ليتوقّف أمام لوح استعلامات الإقلاع، ومن ثمّ- بغضّ النظر عن الحرّاس وكاميرات المراقبة-

يغوص بين الحشود. وبعد ذلك، لن يتمكّن أحدٌ من رؤية من كان المسؤول عن إلغاء جميع رحلات القطارات من وإلى كلّ زاوية في السويد.

ومن لوح الاستعلامات، كان يُفترض به أن يمشي مسرعاً نحو السلالم المتحرّكة، كزائر بحاجة إلى بضع ساعات من الراحة من حقيبة ثقيلة، وأن يتجه إلى صفٍّ من الخزائن الصغيرة المخصّصة للمسافرين.

—

مرأب السيارات المخصص للتوقّف قصير الأمد تحت الجسر، والمواجه لفندق شيراتون، هو المكان الوحيد القريب من المحطة المركزية، والذي كان ليو يعرف أنّه بالتأكيد خارج نطاق كاميرات المراقبة المثبّتة على سطح المحطّة. كان قد رأى جاسبر وهو يعبر المدخل الرئيس، ويختفي وسط بحر من الرؤوس المتحرّكة. وها هو الآن جالسٌ على مقعد السائق داخل سيارة الشركة فيما المحرّك خامل منذ بضع دقائق. عندما سيخرج جاسبر مجدداً، سيقُلّان فيليكس وڤينسنت من محطة الوقود المهجورة، وسيكملون معاً جنوباً باتّجاه أوزمو، باتّجاه مصرفين مجاورين لبعضهما.

كان هاتفه الجوّال في جيبه الجانبي حيث مسطرته القابلة للطيّ وأحد مفاتيح البراغي يرنّ، مع أنّه لا يجب أن يرنّ. فهناك ستّة أشخاص فقط يملكون رقم هذا الهاتف الجوّال غير المسجّل. جاسبر الذي كان داخل المحطّة ويعرف جيّداً أنّه لا يجب أن يتّصل، وفيليكس وڤينسنت اللذان ينتظرانه ويعرفان تماماً أنهما لا يجب أن يتّصلا، وأنيللي الموجودة في المنزل في تومبا والتي تعرف أيضاً أنها لا يجب أن تتّصل، وأمه التي تكون دائماً نائمة في هذا الوقت من النهار لأنّها تعمل ليلاً.

"لا تقفل الخطّ هذه المرّة".

و... والده.

"أحتاج إلى التحدّث إليك".

"قلت لك سابقاً إنني لا أملك الوقت لذلك. والآن أيضاً ليس لديّ وقت".

سمعه ليو وهو يتنفّس من أنفه، كما لو كان الهواء بذاته يُعيقُ بعض الكلمات المهمّة.

"المغلّف، ليو".

أو يسحبها إلى الخارج بحذرٍ أكثر من العادة.

"لا أريد الشجار بشأن المال اللعين. ولكن، بدأت أفكّر في الأمر. أنت تفهم ما أعنيه، أليس كذلك؟".

كانت هناك زحمة شديدة على طريق فازاغاتن، وهناك سربٌ من الحمام على سطح المحطّة المركزية، ومجموعة من السيّاح اليابانيين مع كاميراتهم وبطاقات أسمائهم المعلّقة على صدورهم يخرجون من الشيراتون. أمّا جاسبر فلم يظهر بعد.

"إن كان باستطاعتك إعطائي هذا القدر من المال- رغم أنّك لا تعتقد أنّك تدين لي به- فهذا يعني أنّك تملك المزيد من المال. من أين أتى هذا المال؟ أنا أعمل في مجال البناء المعماري أيضاً، ومنذ عشرات السنين، ولكنني لا أجني كل هذا المال. إن كنت تملك هذا القدر من المال يا ليو... فلقد حصلت عليه بطرائق أُخرى".

"أنتَ لا تعلم شيئاً البتّة عن عملي".

"لا، لا أعلم".

"ولقد طفح الكيل من هذا. أنا لن أتحدّث عن الموضوع".

"لديك شركة تديرها مع أخويك... مع ولدَيّ الآخريْن يا ليو! وهذا يعني أنّ أخويك متورّطان. أنت مسؤولٌ عنهما. وإن كنت تقوم بعمل غير قانونيّ فهذه مسؤوليّتك يا ليو".

سمع ذلك التنفّس اللعين مجدّداً، بالقرب من سمّاعة الهاتف، كما لو أن الرجل العجوز ينظر حوله للتأكّد من أنّ أحداً لا يسترق السمع.

"إن كانت لديك مشكلة يا ليو..."

"مسؤول!؟".

"إن كانت لديك مشكلة يا ليو... فأنت تعلم أنّ باستطاعتك التحدّث إليّ. لقد ساعدتك في السابق".

"ليست لديّ أيّ مشكلة".

"أنت تعلم أنني أصبحت على قيد الحياة قبلك بسبعة وعشرين عاماً يا ليو".

"ألم تسمع ما قلتُه!؟".

"إذاً، أنا أملك خبرة أكبر من خبرتك يا ليو، وأرى أشياء لا تراها أنت".

"أنتَ!".

"أجل".

"أنتَ... بابا!".

استنشاق آخر من الأنف، ولكن من دون إخراج الهواء هذه المرّة، مما يعني أن والده ينتظر.

"أجل".

"أنا أتحمّل المسؤولية، وهما يعتمدان عليّ. هكذا تسير الأمور. إن كنت تتولّى المسؤولية، فسيثق بكَ الناس. سبعة وعشرون عاماً! ما هذا بحقّ الله؟ الوقت!؟ ولكن، إن لم تفعل به شيئاً فسيبقى مجرّد... وقت. توقّف عن القلق بشأن ڤينسنت وفيليكس، إنهّما يقومان بعمل رائع".

كانت هناك حشود من الناس الذين يخرجون من المدخل الرئيس للمحطّة المركزية، وكان يبحث عن رجل يعتمر قلنسوة محبوكة ويرتدي معطفاً شتويّاً، كان على الأرجح مسافراً، ولكنّه أصبح موجوداً الآن من دون حقيبة.

"ولن أقوم أبداً بطلب المساعدة منك".

—

إنّ خزائن المسافرين الصغيرة تكون في منتصف باحة الوصول، وعلى مستوى ارتفاع الصدر. وبالتالي، سيتوجب على الشرطة إخلاء المحطة بأكملها، وهكذا سيصلون إلى المتفجرة بشكل أسهل. أغلقت المرأة إلى يمينه باب الخزانة الصغيرة، وأدارت مفتاحها، فوقعت القطعة النقدية داخل الطبق المعدني، ثم سارت في طريقها. ولكن جاسبر أدار وجهه وهو يفتح الخزانة الملاصقة لخزانتها، ورقمها 3. كان صوت كعبَي حذائها يدوّي على الأرض الرخامية، وكانت قد ابتعدت كثيراً حين دسّ الحقيبة في الخزانة برفق. كانت الحقيبة تحتوي على خمسة عشر باونداً من الفتات والشظايا المعدنية وخمسة باوندات من المتفجرات. إن دفعها قليلاً بعد فستنزلق نحو الداخل، وتتمدّد على أرضية الخزانة. نظر إلى جميع الناس حوله، حتى إلى أولئك الذين لا يثيرون الأهمية أو القلق. إذ كان أُناس يرتدون بذلات رسمية ويحملون حقائب ظهر على أكتافهم يمرّون على بعد خطوات منه، وقبعاتهم (البيريهات) الخضراء تشعّ. فجأة، لم يتمكّن من إغلاق الباب، فتخدّرت يده وبدأ

قلبه ينبض بسرعة هائلة. كانت ثلاثة أوسمة ذهبية تلمع أمام عينيه؛ واحدة للشجاعة، وواحدة للسلطة، واحدة للقوة. مغاوير الكوميندوس. خمسة رجال ضخام الأجساد كانوا في طريقهم إلى قطار متوجّه نحو الشمال.

إنّهم يمرّون قربي، ورؤوسهم حليقة الشعر، وهم واثقون من أنفسهم بشدّة. هم لا يرونني، ولكنني أراهم.

لم يقولوا أيّة كلمة لبعضهم بعضاً. إنهم يسمعون ذلك كلّ يوم، وهو أنّه لا ينبغي عليهم القيام بذلك؛ فهم مصدر ذكاء طاقم البحارة والقوى البحرية، وهم يشكّلون الوحدة النخبوية في السويد.

كنت واحداً منهم.

كانت الحقيبة في الخزانة رقم 326، ولكن السحّاب لم يكن مغلقاً تماماً، بل كان مفتوحاً إنشاً واحداً من الخلف. أصبحت القبعات (البيريهات) المائلة خلفه، وهي مستقرّة بشكل مثالي على تلك الرؤوس.

ومن ثمّ شعر بالاشمئزاز والقرف.

الاشمئزاز من الرجال الذين ليست لديهم أدنى فكرة بأن هناك مجموعة أُخرى يمكن أن تدعوك للانضمام إليها، وهي تخطط وتهاجم وتفجّر وتطلق النار بالدقة نفسها. وبالإضافة إلى ذلك، كان أفرادها أصدقاء حقيقيين، بل إخوة. شعر بالاشمئزاز من أولئك الذين ليست لديهم أدنى فكرة عن سبب وقوفه هنا.

أنا لم أعُد واحداً منكم.

وضع إصبعه على سحّاب الفتحة وعبر حلقة الأسلاك.

حلقة صمّام الأمان.

إن شَدَدتُ هذه إلى الخارج، ومن ثم أزحت العلبة المعدنية داخل الحقيبة، مجرّد شعرة فاصلة.

اختفى الشباب ذوو قصّات شعر البحارة بين الحشود، وأصبحوا يشبهون الآخرين؛ في طريقهم إلى مكانٍ ما.

أنا أعلى شأناً منكم بكثير.

إن قمتُ بذلك وسحبتُ الحلقة فستنفجر ما إن يفتحها أحدهم. هل تعلمون ذلك؟

—

مضت سبع دقائق، وظل ليو يبحث باستمرار عن جاسبر بين الحشود من نافذة السيارة.

من المفترض أن يكون قد أنهى مهمته الآن. إذ طلب منه أن يدخل المحطة، ويَجِد خزانة صغيرة فارغة، ويضع الحقيبة داخلها. وهو لا يحتاج إلى أكثر من ثلاث دقائق أو أربع لتنفيذ ذلك.

كان الهاتف الجوّال لا يزال في يده.

لم يَرِدهُ أيّ اتّصال من والده منذ سنوات. والآن، تلقى اتصالين خلال بضعة أسابيع. كان الصوت ينخر جمجمته، ويتصارع مع دماغه، ويحاول الدخول باستعمال مفتاحٍ لم يعد موجوداً.

ما كان عليّ الذهاب إلى هناك مطلقاً.

ما كان عليّ إعطاؤه ثلاثة وأربعين ألفاً. ما كان عليّ أن أُريه السيارة أو أُخبره عن الشركة وعن عملي.

ما كان عليّ أن أفتح الباب على حياتنا.

الآن، هناك، رأى عبر مرآة الرؤية الخلفية قلنسوة سوداء محبوكة، وخطوات واسعة وواثقة تخرج من المدخل الأساسي في المحطة الرئيسة. جاسبر من دون الحقيبة.

"لقد استغرقت وقتاً".

"كنت أُريد التأكّد".

"التأكّد!".

"من أنّ... أحداً لم يرَني".

"وهل هي الآن في مكانها؟".

"على ارتفاع الصدر".

نادراً ما كان جاسبر يبتسم هكذا. إذ كانت ابتسامة راضية مرتسمة على وجهه الذي يعلوه السلام.

كان ليو يعرف هذه الابتسامة جيداً فهي شبيهة بتلك التي ارتسمت على ثغره حين استعمل هراوة الشرطي وكسر ذاك المعصم في تلك الحادثة. "وعندما سيفتحون تلك الخزانة سيعرفون أنها حقيقية، وسيرسلون جميع رجال الشرطة في المدينة إلى هناك".

"جيّد".

"لأنّ هذا ما أردتَهُ، أليس كذلك؟ أن... يفهموا".

"هذا ما أردتُهُ".

وفيما كانا في السيارة باتّجاه فازا ستريت، تحوّل الناس خارج المحطّة إلى نقاط رماديّة صغيرة ظهرت على مرآة الرؤية الخلفية.

"ليو".

"ماذا؟".

"شكراً".

"علامَ؟".

"لأنك وثقت بي".

مرّا على الجسر، فكان البرلمان إلى شمالهم، ومن ثمّ البلدة القديمة، فيما كانا يسيران باتّجاه سلوسين.

"جاسبر".

"ماذا؟".

"ضع حزام الأمان".

سحب حزام الأمان بيد مرتعشة، ووضعه في مكانه، بينما دخلت السيارة النفق الجوفي سوديرما لم.

"ثلاث دقائق. هل اتفقنا؟".

"ثلاث دقائق".

"فيليكس داخل السيارة في الخارج. أنا بمفردي عند الهدف الأول. وأنت وڤينسنت عند الهدف الثاني".

فجأة، أبطأت سيارة الأُجرة التي تسير أمامهما كما لو أنها لم تكن تعلم إلى أين تتّجه. ليو الذي كان يقود قريباً جداً منها ضغط على دواسة المكابح، واتّجه نحو الممرّ الخارجي الآخر بالقرب من جسر سكانستولز.

"هذا يعني أنك مسؤول عن أخي الصغير".

"أعلم هذا".

"ممنوع أن يصيب أخي الصغير أي مكروه، هل تفهم هذا؟ أيّ مكروه".

" أعرف هذا".

توجّهت السيارة نحو تلّة صغيرة، وإلى مستديرة غالمارس، واتجهت إلى مربّع رماديّ اللون حيث تصطفّ المحلات التجارية القديمة. كان حريصاً على أن يُنزل جاسبر بعيداً عن حجيرة الهاتف، قبل أن ينتقل إلى الجانب الآخر من المبنى، نحو المخرج عند محل "سفن إليفين"، حيث عليه أن ينتظر.

—

أجاب صوت بارد في أُذنه.

"هنا الشرطة".

كان فمه قريباً من "الميكروفون".

"هل تسمعني؟".

"أجل أسمع..."

"في باحة الوصول في المحطة المركزية، في الخزانة رقم 326 توجد قنبلة".

كان الصوت الأُنثوي يصغي إليه، وكان باستطاعة جاسبر سماع أصوات أُخرى في الخلفية. فهناك أشخاص آخرون يتنقّلون في مركز الشرطة في قسم اتصالات الحالات الطارئة، وهم جاهزون لاستقبال الاتصالات الطارئة الأُخرى وتقييمها.

"أُعيد. في المحطة المركزية. في إحدى الخزانات. تحت الرقم التالي..."

كان صوته متغيراً من دون أن يبدو كذلك، إذ بدا جادّاً ومتشدقاً. وهذا صوت يروق له، ويبدو جيداً على السمع.

"... ثلاثة... اثنان... ستّة. 326. ستنفجر القنبلة خلال مئة وخمسين دقيقة. لا جدال في الأمر".

أغلق الهاتف بسبابته، فساد الصمت في حجيرة هاتف.

خرج منها، ومشى منحنياً قليلاً ويداه في جيبَي سترته، متجهاً نحو المستديرة باتّجاه المبنى حيث محلّ "سفن إيليفين" والسيارة التي تنتظره.

كان محرّك السيارة يهدر تماماً كالسابق عندما جلس على المقعد المجاور للسائق، وكانت آلة الشرطة الماسحة في حضن ليو.

"دوّى صوت الإنذار عدّة مرّات. خطر قنبلة في المحطة المركزية. إنهم في طريقهم إلى هناك".

—

الساعتان الملتفتان حول معصمه الأيمن ضيّقتان قليلاً؛ إذ من المهم أن يظلّ قماش الزيّ تحتهما. الأولى كانت ذات طراز قديم، بسوار قصير وثخين أحمر اللون وبشع، ولكنه استبدل السوار بطوق آخر جلديّ ذي لون بنّي فاتح؛ تماماً

كالقديم. وقد اشترى الساعة الثانية، التي يضعها بالقرب من كوعه عندما كان راشداً: ساعة من طراز "رولكس" مع طوق من الحديد المطلي، وسوار مشعّ، وهي تدقّ الثواني بصوت مرتفع يمكن سماعه بسهولة.

كان على ليو، ووفقاً لِما دوّنه من ملاحظات بخطّ يده، أن يتابع ستّة مسارات مختلفة للوقت.

المرحلة الأولى: 12 دقيقة. تغيير الملابس.

تبديل مزدوج لسيارتين. الاقتراب من المصرف 1 والمصرف 2.

هذه المرحلة تحتوي على أقلّ نسبة من المخاطرة. بدءاً من ارتدائهم ملابس عمّال البناء، واستبدالها بملابس السرقة في محطة وقود مهجورة، وتبديلهم سيارتهم الأولى بسيارة مرسيدس، ثم القيادة لمسافة ستّة أميال وصولاً إلى السيارة الثانية، وتبديلهم إياها بسيارة فولكس فاغن بيبتل مسروقة، وأخيراً القيادة لمسافة ميل والوصول إلى مستديرة أوزمو.

المرحلة 2: ثلاث دقائق. عملية سرقة مزدوجة.

المرحلة 3: سبع دقائق. التحرّك نحو المصرف الثالث.

وهذه المرحلة كانت الأكثر خطورة. إذ سيكونون قد سرقوا مصرفين للتوّ، وسيقومون بالقيادة في الطرقات الخلفية من أوزمو إلى سوروندا بوجود زحمة سير طفيفة. سيتنقلون أوّلاً في فولكس فاغن بيبتل مسروقة، سيراها الشهود وستتمكّن الشرطة من التعرّف عليها، ومن ثمّ في المرسيدس. ولكن، هناك قنبلة ستكون قد أدّت إلى احتشاد أعداد كبيرة من قوّات رجال الشرطة في محطة ستوكهولم المركزية على بعد ثلاثين ميلاً. وفي ذلك الوقت، سيكون عدد قليل من رجال الشرطة الذين

لا يزالون في الجوار قد وجدوا سيارة الفولكس فاغن بيبتل الثانية التي ركنها فيليكس بالقرب من مخرجٍ في الجهة الثانية من البلدة في الصباح ذاته.

المرحلة الرابعة: 3 دقائق. المصرف الثالث.

المرحلة الخامسة: 6 دقائق. التحرك. تبديل الملابس. تبديل السيارة.

هذه المرحلة لديها مستوى مرتفع من المخاطرة التي يمكن التحكّم بها. فبعد سرقتهم المصرف الثالث، سيعودون إلى نقطة انطلاقهم في محطة الوقود المهجورة، حيث سيغيرون ملابسهم وسيرتدون مجدداً ملابس عمال البناء، وسيتخلصون من سيارة المرسيدس ويستقلون سيارة الشركة. ولذلك، كان يستخدم الساعة القديمة– مجموع الوقت 31 دقيقة – لكي يراقب كم مرّ من الوقت منذ الدقيقة التي تحوّلوا فيها إلى سارقي مصارف وحتى الدقيقة التي سيصبح من الضروري فيها التوقف عن كونهم سارقي مصارف؛ أي الوقت الذي قضوه في السيارات المسروقة، مع الأسلحة المسروقة، وهم يرتدون ملابس السرقة؛ الوقت الذي قد يتمّ خلاله القبض عليهم.

—

نظر ليو الى ساعته. تشير الساعتان إلى: 2:51. هناك دقيقة واحدة متبقية من المرحلة 1، دقيقة واحدة للوصول إلى المرحلة 2. الميل الأخير في طريقهم إلى مستديرة أوزمو. الفيلّات، منازل البلدة، وشقق المباني. أمّا في البعيد، فكان هناك منزل فيه رجل عجوز وحيد داخل المطبخ في الطابق الأوّل، يأكل البصل واللحم المدخّن، ويتّصل بأرقام هواتف محمولة لا ينبغي عليه الاتصال بها.

في الخارج، سيارة يعرفها الجميع ويمكنهم تمييزها. وفي الداخل، أربعة لصوص مصارف؛ هو وفيليكس يجلسان على المقعدين الأماميين، وڤينسنت وجاسبر على المقعد الخلفي، وجميعهم يرتدون ملابس متماثلة تماماً.

اتجهوا نحو المنعطف الأخير، ومرّوا بالمكتبة وبحوض سباحة مغلق، وداخل مرأب، وأمام مركز تسوّق على شكل الحرف "U". كان هناك محل في الجهة اليسرى، ومصرفان في الوسط، وكُشكٌ في آخر الطريق يبيع التبغ وأوراق اللفّ.

"انخفضوا إلى الأسفل، الآن".

كان المكان ضيّقاً، وكلّما حرّك جسمه إلى أسفل، أو إلى الوراء، أو إلى الجانب ارتطم بشيءٍ ما، فأصبحت تحرّكاته أقل، حتى إنها اختفت. كان جبينه ملتصقاً بمقبض صندوق "التابلوه"، وكتفه ملتصقة بالنافذة، وكوعه ملتصق بالمقود والمكبح اليدوي. كان يرتدي سترة مضادة للرصاص، ويحمل حقيبة عتاد وسلاحاً ثقيلاً راح يترنّح على وركه. وضع القناع على رأسه، وسوّى فتحتَي العينين.

"بعد عشرين ثانية".

ما إن ابتعدوا عن حجيرة الهاتف عند مستديرة "غولمارز"، حتى حرصوا على ألّا يقودوا بسرعة كبيرة أو ببطء كبير في طريقهم إلى الجنوب. وسرعان ما التقوا سيارة الشرطة الأولى، ومن ثمّ أخرى، ومن ثمّ ثلاث سيارات أُخرى كانت متجهة بسرعة فائقة نحو الشمال، والمصابيح الزرقاء تومض؛ متجهة نحو وسط ستوكهولم. جلسوا في صمتٍ، وهناك عالمٌ من الأصوات يحيط بهم. بُثَّ بيانٌ إخباريّ من الراديو الموضوع على لوحة القيادة- لقد تمّ للتوّ تطويق محطّة ستوكهولم المركزية للاشتباه بوجود قنبلة فيها- ومن آلة الشرطة الماسحة الموجودة على ركبتي جاسبر، سمعوا صوت قائد الشرطة-متفجّرات، تمّ التأكيد- بعد أن وجد فريق المتفجرات حقيبة من النايلون في الخزانة رقم 326 تحتوي على المتفجرات، في حين ساعدت الدوريات التي أسرعت إلى المكان في إخلاء المنطقة وتطويقها، حيث تم توقيف أجزاء من شبكات أنفاق المترو مؤقتاً، وأوقفت جميع القطارات الإقليمية والمحلية. وبمحاذاة سكّة الحديد الرئيسة صفّ طويل من القطارات التي تمّ ركنها، فيما

الركاب يقفون من دون تحريك ساكنٍ، ومن دون أن يعلموا السبب.

"بعد خمس عشرة ثانية".

جرى كلّ شيء تماماً كما خُطِّطَ له. وما زال صوت والده اللعين ينقر رأسه وينخر دماغه.

إذا كانت لديك مشكلة، ليو...

صوتٌ ما كان يُفترضُ به أن يكون هناك، لأنه قرّر ألّا يسمعه.

... لقد ساعدتك من قبل.

أنا في الرابعة والعشرين من عمري ولست في العاشرة! لا يمكنك مساعدتي، أنا من كان يساعدك!

زاد سرعته غير مكترثٍ بجاسبر الذي راح يطلب منه تكراراً أن يُبطئ، وبآلة الشرطة الماسحة التي أفادت بأن مفكّك القنابل على وشك أن يفتح الخزانة.

ليس لديك أبناء آخرون! ولكن، أنا لديّ أخوان!

فقط ستّة أميال للوصول إلى المخرج. بقي في الخطوط الخارجية، بسرعة خمسة وأربعين ميلاً في الساعة، وارتفعت إلى سبعين ميلاً في الساعة، واستقرّت على خمسة وثمانين تقريباً.

أنت فشلت! أنا نجحت!

كانت ساقه تُقاوم، وقدمه تضغط على دواسة الوقود، جسدٌ واحدٌ بإرادتين ورغبتين.

توقّف عن محاولة توريطهما في هذا! هذا بيننا نحن الاثنين!

لم يتوقّف إلّا عندما ضغط جاسبر بشدّة على ذراعه وصرخ عالياً، فأبطأ السرعة فجأة، وهو يحاول عدم تخطّي المخرج إلى الطرقات الخلفية. فَقَدَ لهنيهة السيطرة على السيارة، ووقعت آلة الشرطة الماسحة عن ركبتَي جاسبر.

"بعد عشر ثوانٍ".

مروا بطريق ضيّق ومتعرّج في الغابات، وصولاً إلى المروج، ومروراً بالبحيرة الموسمية. أبطأ السرعة، إذ أصبحت الساق والقدم مُتَّحِدَتَين مجدداً بإرادةٍ واحدة. في الخارج، تبدّل لون الحقول من الأبيض إلى البنيّ. كانت محطة الوقود تتربّع على القسم الصغير السويّ الوحيد من الطريق. لقد أُغلقت أبوابها بعد أن تمّ بناء الطريق السريع المجاور. تمهّل وتوجّه إلى القسم المتواري عن الأنظار وراء المبنى، حيث توجد ستائر صفراء، وأسعار النفط ما زالت تشير إلى 40.76 كرونة. أوقف سيارة الشركة بجوار المرسيدس المسروقة التي أوصلها ڤينسنت وفيليكس في وقت سابق إلى هنا.

قاموا بكسر القفل المثبت على الباب الحديدي الصدئ باستعمال قاطع الترابيس، واستبدلوه بواحد جديد، ووضعوا جميع معدّاتهم في خزانة قديمة بالقرب من الصندوق الموارب. في الداخل ساد صمت تامّ؛ باستثناء صوت قرقعة لافتات "كالتكس" باهتة اللون وهي تتأرجح في الهواء. استبدلوا ملابسهم من زيّ إلى آخر. وساد صمت تامّ، إلى أن بدأ ليو بمساعدة ڤينسنت في شدّ السترة الواقية حول صدره العاري. إنه صدرٌ نحيلٌ ومسطّح؛ تماماً عند المرحلة التي يتوقّف فيها الجسم عن النموّ ويبدأ بالنموّ داخلياً. وقف هناك وشدّ أربطة السترة لتلتصق بجسد أخيه تماماً، لكي لا تشقّ رصاصة طائشة طريقها من خلال الفتحة تحت الإبط وصولاً إلى القلب. ومن ثمّ توقّف، تماماً كما توقّف فجأة في السيارة ولكن بطريقة معاكسة. فهناك، كان قد بدأ يسرع، وأصبح متهوّراً ومستهتراً. أما هنا فأصبحت حركاته بطيئة وثقيلة وكثيرة الدقّة. لن يتغيّر أبداً، مهما سرقوا من مصارف. فهذا

الجسم الذي تغطي صدره سترة مضادّة للرصاص هو نفسه الذي ارتدى يوماً بذلة ثلج خضراء وأغلق السحاب حتى الذقن، لكي لا تتمكّن الثلوج من شقّ طريقها إلى الداخل. ظلّ صامتاً على تلك الحال إلى أن سأل فيليكس للمرّة الثالثة: ما الأمر بحقّ الله؟ وأجاب: لا شيء. وتوقّف عن شدّ أربطة السترة.

"بعد خمس ثوانٍ".

أنفاس بطيئة.

كان كوعه لا يزال مسحوقاً بمقبض ناقل السرعة، ولكن مقبض صندوق" التابلوه" لم يعد يضغط بشدّة على جبينه بعد أن لبس القناع.

صعدت السيارة "مَطَبّاً" طفيفاً، ثم غادرت الطريق وسارت باتّجاه المستديرة نحو واجهات دكان البقالة الكبيرة تلك، ومصرفين يتشاركان حائطاً واحداً.

"ثلاث دقائق بالتمام. كلّ اثنين معاً، في الوقت نفسه، ثمّ سنلتقي جميعاً هنا مجدّداً".

وحدة الشرطة: جرم الفعل: سرقة الشاهد: ليند، ماريت المكان: س. و. بنك أوزمو س.	وحدة الشرطة: جرم الفعل: سرقة الشاهد: هانسن، توماس المكان: هاندلز بنك أوزمو س.
دخل رجلان مسرعان يضعان قناعين أسودين وصرخا "انبطحوا أرضاً!"، وأطلق كلاهما عشرين عياراً نارياً على كاميراتين.	رجل مسلّح دخل مسرعاً بمفرده، يرتدي قناعاً أسود، وصرخ "انبطحوا!"، "انبطحوا أرضاً!"، ثم أطلق عدّة عيارات نارية على إحدى الكاميرات في السقف، وأُخرى على الحائط.
رأت ليند أحد السارقين وهو يقفز من فوق منضدة	كان هانسن واقفاً في صفّ الزبائن، وصرخت

شباك الموظفين، ويسأل: "من معه مفاتيح حجرة الخزنة؟".	إحدى السيدات مطالبة بالخروج من المكان، واتّجهت راكضةً نحو باب المدخل، فأمسك السارق بسترتها.
عندما كان اللصان داخل حجرة الخزنة، سمعت ليند صوت طنين، ممّا يعني أنّ أدراج توضيب المال النقدي قد تمّ فتحها. أفرغاها دُرجاً تلو الآخر. تشجّعت على الانبطاح مجدداً، فرأت أنهما ينتعلان جزمتين متشابهتين تماماً.	بعد ما وصفه هانسن "باللحظات"، وقفت المرأة مجدداً. ومن ثمّ رأى السارق وهو يدخل برفقة أمين صندوق المصرف إلى حجرة الخزنة، بينما وقف سارق آخر خارج النافذة وصوّب نحوه.
قال صوت مرتفع:"بقيت خمس ثوانٍ، إلى الخارج، إلى الخارج!". قبل أن يختفي السارقان. أضافت ليند أنه خلال عملية السرقة، كان بإمكانها سماع الطلقات النارية والصراخ المنبعثة من المصرف الملاصق.	عندما غادر السارق المنفرد حجرة الخزنة، كان يحمل كيساً كبيراً على كتفه. ومرّ بالقرب من المرأة في طريقه إلى الخارج. ويتذكّر هانسن أنها كانت خائفة وتصرخ طوال الوقت.

—

ركض ليو نحو الخارج في صقيع الشتاء الخالي من الثلوج، بعد مرور 170 ثانية، مع احتياطي 10 ثوانٍ، وتبعه صراخ امرأة. لقد أكمل عمليّته في المصرف بالرغم من أنه أجبرها بالقوة على الانبطاح أرضاً، رغم محاولة أحد الموظفين تهدئتها. كانت تصرخ بخوفٍ وذعر؛ تماماً كما قد تصرخ أي امرأة عندما يقتحم رجل منزلها بالقوة ويلجأ إلى استعمال العنف.

لماذا لا تزال تصرخ؟!

كان صوتها يدوّي بقوّة ويلاحق خطواته.

لقد أطلق ستّ رصاصات على كلّ كاميرا، وما زالت لديه ثماني رصاصات.

سوّى ليو حزام كتفه، ورمى الكيس في الصندوق، وأومأ إلى فيليكس الذي كان ينتظره أمام السيارة.

عندها، توقّف كلّ شيء.

أو لم يتوقّف، بل كان كما لو أنه يحيط به، ويتسلّل إليه، ويضغط على رأسه ومعدته وصدره.

أوّلاً، النظرات المحدّقة خوفاً وذهولاً من وراء واجهة دكّان البقالة لأناس يحملون سلّات تبضّع نصف ممتلئة. ثمّ نباح كلب الراعي الألماني المسعور وفكّاه مفتوحان على اتساعهما. نظرات وأصوات- تماماً كنظرات المرأة وصراخها- استولت عليه فصعب عليه التنفّس، وحتى إن كان في هذه اللحظة بالذات- بعد كلّ السرقات السابقة- يجب أن يشعر بالهدوء إلى أقصى درجة. حيث إنه لم يكن بحاجة إلى التفكير أو الشعور، بل أن يتبع فقط البرنامج المقرّر الذي ينقله من نقطة إلى أُخرى وصولاً إلى النهاية.

لقد صرخت، وصرخت، وصرخت.

كلّ ما كان عليها فعله هو الانبطاح أرضاً، وأن تكون هادئة وتبقى صامتة.

كان قد حضّر نفسه لمواجهة أحد الزبائن الأغبياء، أو أحد موظفي المصرف الذي قد يلعب دور البطل، أو إلى مواجهة حاسمة مع الشرطة المحليّة. حضّر نفسه للتصويب على الهدف وإطلاق النار ليثبت لهم أنّه بإمكانه استعمال العنف. وتخيّل أحياناً حالات موت أو حياة مع تدخّل الشرطة المسلحة بعيار ثقيل. ولكن هذا الأمر؛ امرأة تنهار أرضاً وتبكي وتحاول حماية نفسها بمجرّد محاولتها الهرب إلى الخارج... فهذا ما لم يتخيّل حدوثه قطّ.

"دقيقتان وخمسون ثانية! ست وخمسون!".

كان صوت فيليكس بالقرب منه.

"ثماني وخمسون! تسع وخمسون! وإلى الخارج... إلى الخارج... إلى الخارج!".

ركض جاسبر وڤينسنت إلى خارج المصرف المجاور للباب الذي خرج منه ليو للتوّ، ورمى كلّ منهما كيساً ممتلئاً في الصندوق، ثم جلسا بسرعة على المقعد الخلفي للسيارة، بينما جلس فيليكس على المقعد الأمامي، وأدار المحرّك جاهزاً للانطلاق.

ولكن ليو كان متسمّراً في مكانه هناك من دون حراك.

"أيها الرجل الأسود، لقد تخطّينا الدقائق الثلاث!".

على المستديرة، بالقرب من السيارة، لم يسمع ليو فيليكس وهو يصرخ.

"أيها الرجل الأسود، التوقيت!".

كان ليو لا يزال محاصراً بالنظرات والأصوات التي تضغط عليه.

والسلاح متدلٍّ من الحزام حول عنقه.

صرخ شخص ما من داخل المصرف.

بدأ يعود أدراجه.

—

امرأة تحمي نفسها من رجل يستخدم العنف.

تماماً كما حصل بالعودة إلى ذلك الوقت، ولكن بفارقٍ كبيرٍ واحدٍ. إذ إن الصراخ الآن حلّ محل الصراخ الذي لم يسمعه آنذاك.

ألقى نظرة خاطفة إلى السقف في البعيد، قبل أن يفتح الباب مرّة أخرى.

—

ضغط فيليكس على دعسة الوقود من دون أن ينزل المقبض، وصرخ:

"أيها الرجل الأسود، لقد حان الوقت، اللعنة!".

ولكن ليو لم يتوقّف عن السير.

واختفى جسمه الملتفّ بالملابس السوداء داخل المصرف، ولم يره فيليكس مطلقاً وهو يرفع سلاحه.

—

كان السلاح ثابتاً في يديه عندما صوّب على الهدف، وعندما أطلق النار.

أوّلاً، مرّة واحدة، ومن ثمّ مرّة أُخرى بالقرب من الأولى.

ثمّ مجدداً، ولكن بين الطلقتين السابقتين وإلى الأسفل قليلاً.

وكان يصيب أهدافه بدقّة عالية.

—

كانت بحوزة ليو ثماني طلقات نارية، والآن استنفدت جميعها. أخفض سلاحه، وفتح الباب. وعندما خرج مجدداً، كان الأمر قد انتهى.

ما من شيءٍ يحيط به، ما من شيءٍ يضغط عليه، ما من أحدٍ يصرخ

ويصرخ ويصرخ.

كان الصمت سائداً؛ تماماً كما في ذاكرته.

لم يسمع الطفل الذي ركض مذعوراً من كُشك السجائر إلى المستديرة، ولا الكلب عند عمود الكهرباء وهو يكشّر عن أنيابه ولسانه الطويل الزهريّ يتدلّى إلى الخارج، ولا العصافير التي حطّت على السطح، ولا حتى صوت حفيف جزمته وهي تضرب الحصى والأسفلت.

تحرّك بصمت.

والآن، شعر مجدداً بما كان يشعر به سابقاً، هذا التنفس الهادئ والمسالم الآتي من أعماقه.

14:57:30

ثلاثة أبواب تفتح باستعمال بطاقات، وبابان يفتحان بواسطة مفاتيح.

ركض جون برونكس في الأروقة القديمة وعلى الأدراج المظلمة في مركز الشرطة، على البساط الأصفر وأرضية الإسمنت الرمادية، ومرّ عبر الباب الحديدي ذي اللون الأخضر الباهت الذي يؤدّي إلى المرأب.

قبل خمس دقائق وخمس عشرة ثانية- 14:52:15- تلقى عامل الهاتف المدنيّ الذي يجلس في الصفوف الأمامية للباحة الشاسعة في مركز مكالمات الطوارئ اتّصالاً مفاده أن عملية سرقة تجري في مصرف هاندلز عند مستديرة أوزمو.

وعند الساعة 14:52:32 تلقى عاملٌ آخر يجلس على بُعدِ كرسيين منه إنذاراً بأن مصرفاً آخر، "أس. إي. بنك"، تتمّ سرقته أيضاً في الموقع ذاته عند مستديرة أوزمو.

عند الساعة 14:53:17 دخل كارلستروم مكتب برونكس من دون أن يقرع الباب ليقول له إن ما توقعاه في منزله قبل العشاء قد حصل الآن. أربعة لصوص يضعون أقنعة سوداء. الكثير من الطلقات النارية. أسلحة عسكرية سويدية. ثلاث دقائق بالتمام.

هذا أنت.

ظلّ برونكس يركض في المرأب تحت الأرض الذي تنبعث منه رائحة الزيت والوقود، وفي الشتاء يكون بارداً إلى درجة لا تُحتَمَل. خلال الأشهر الماضية، جرَت ثلاث سرقات مصارف في منطقة ستوكهولم، وقد اتّصلوا به لاستلام التحقيق في كلّ

منها. مصرف الادّخار في أبلاندز فاسبي؛ ثلاثة رجال في سيارة أوبيل مع مسدّس وفأس، وقد تمّ توقيفهم في الليلة ذاتها في نادٍ غير شرعيّ. والمصرف التعاوني في نورمالمستورغ؛ رجل مسلّح في منتصف العمر تمّ توقيفه بعد ساعة فقط في غرفة طفولته في منزل والديه، مع المال المنهوب تحت سريره. كما تم توقيف شاحنة مدرّعة في طريقها إلى محطّة مركز البريد، وإلقاء القبض على رجلين مسلّحين ببندقيتين كانا لا يزالان في الفناء.

ولكن، لم يُشعره أي من تلك الجرائم بهذا الإحساس.

هذا أنت، لا سجلات جرمية، ولا معارف أو اتّصالات مع العالم التحتيّ، ولكنك مسلّح جيّداً وذو معرفة واسعة، وما من دلائل متروكة لاستكمال التحقيق.

أدار محرك السيارة، ومرّ عبر القفص التكنولوجي للجرائم، حيث منذ مجرّد بضعة أسابيع رأى شيئاً على شاشة الكمبيوتر لم يبدُ له منطقياً. سارق مصارف في طريقه للقيام بعملية سرقة لمصرف بأكثر الطرائق عنفاً في أوروبا، ولكنه يدور في المكان واضعاً يده على "الميكروفون" المعلّق ببذلته ويهمس! فُتح باب المرأب أوتوماتيكياً، فقاد سيارته فوق "المطبّ" باتّجاه الهدير الواهن وضوء النهار.

سارق مصرفٍ يهمس، ويؤمّن التغطية، ويتحمّل المسؤولية.

إنه أمر تعرّف عليه، وهو مفتاحه الأوّل والوحيد الذي قرّبه خطوات من الحقيقة.

أخوان.

والآن قاما بضربة أُخرى. هذه المرّة، سرقا مصرفين في الوقت نفسه. كانا يقومان بمخاطرة أكبر، وقد يقومان بالمزيد منها.

في كلّ مرّة تقومان فيها بسرقة مصرف، أقترب أكثر بقليل من الحقيقة.

—

تكثّفت الغشاوة على الزجاج.

كان الجميع يتنفّسون بسرعة وثقل حول فيليكس، وأقنعتهم السوداء ما زالت مُسدلة على وجوههم.

وتحوّلت الحرارة المنبعثة من أجسام أربعة راشدين محصورة داخل هيكل سيارة حديدي على شكل بيبتل قابع فوق الدواليب إلى ضباب أبيض يغطّي كل نوافذ السيارة من الداخل.

"ما كان ذلك بحقّ الله؟!".

كان فيليكس يحدّق أمامه ولا يشيح بنظره عن الطريق، ويداه تقبضان على المقود بإحكام. وكانت السرعة ثابتة على خمسين ميلاً في الساعة.

"هل رأيت نفسك؟".

"كلّا، لم أفعل!".

" ما الذي كنت تنوي فعله بحقّ الله؟".

كان ليو أيضاً يحدّق أمامه، وينظر إلى الأشجار التي كانت تتزايد بينما تندر المنازل تدريجياً.

كان قد أنهى مهمته، وجاسبر وڤينسنت كانا قد أنهياها أيضاً.

ولكنه توقّف، وعاد أدراجه، وأطلق النار؛ ثماني مرّات. "أنت من تملك ساعتين منفصلتين، وستّة مسارات لأوقات منفصلة! أنت من لا ينفكّ يَعِظُ تكراراً عن الوقت، والوقت، والوقت!".

اصطدمت كتف ليو بفيليكس بينما كانت السيارة تترك طريقاً صغيرة وتتجه نحو طريقٍ أصغر منها؛ طريق شاحنات غليظة ووعرة. كانت ركبتاه تصطدمان بأسفل "التابلوه" عند كلّ "مطبٍّ"، وكانت بذلته تعتصر عرقاً حين توقّفوا عند كومة من الحجارة في نهاية ممرّ خالٍ من الثلوج.

"كان لديّ الوقت".

كانوا جميعهم على علم بالتدريب العسكري.

خرج من السيارة، وفتح الصندوق، وحمل ثلاثة أكياس مليئة بالأموال النقدية.

"لقد عُدتَ أدراجكَ!".

سار باتّجاه السيارة الأخرى، المرسيدس التي كانت تنتظر على مقرُبةٍ.

"لقد عدت أدراجك إلى داخل المصرف، وبدأت تطلق النار كأرعن غبيّ لعين. لقد عرّضتنا جميعاً للخطر!".

فتح ذاك الصندوق، ورمى الأكياس الثلاثة داخله، ثم صعد إلى تلك السيارة.

سلكت السيارة مجدداً طريق الشاحنات متجهة إلى طريق أخرى نحو الريف.

"ها نحن الآن جالسون هنا. أليس كذلك يا فيليكس؟ على بعد أكثر من ميلٍ خارج أوزمو، وفي سيارة جديدة لم يرها أيّ من المتسكّعين في دربنا. إن كنت تريد الصراخ والنحيب فباستطاعتك فعل ذلك عندما نصل إلى المنزل".

انعطف ليو.

"والآن، انزعوا الأقنعة".

وعند نزعهم تلك الأقنعة، تحوّلوا من أربعة رؤوسٍ متماثلة المظهر ومن دون عمرٍ محدد، إلى أربعة رجالٍ في العقد الثاني من العمر، بشعرٍ مبلّل وملتصق بالجباه الرطبة. في السيارة القادمة التي مرّت باتّجاههم، كانت هناك امرأة مع طفلها. مرّت قربهم دون أن تبدي أي ردّة فعل.

انحنى جاسبر إلى الأمام من حيث يجلس على المقعد الخلفي، وربّت على كتف ليو بخفّة وهمس:

"الصفحة الأولى".

فاستدار فيليكس إلى الوراء مبتسماً بسخرية، وانحرفت السيارة على خطّ الطريق، غير أنه لم يهمس حين قال:

"هلّا تقفل فمك أنت الجالس في الخلف".

ظلّ ليو محدقاً أمامه، ومسدّسه على خصره.

ثلاثة أميال قبل الوصول إلى المصرف التالي.

—

وقفت السيارة في مكانها أمام جون برونكس، والسيارة التي قربها توقّفت كذلك. عندما اقترب من خطّ المشاة ليرى بشكلٍ أوضح، وَجَدَ كلّ السيارات متوقفة تماماً، وكلّ الثعابين المعدنية تقذف الكربون مغطية كل قدمٍ من الأسفلت على الطريق الممتدّة من سيتي هول وحتى المحطّة المركزية.

فتح النافذة، وبَحَثَ تحت المقعد، ثم أخذ مصباح الشرطة، وألصق المغناطيس على سقف السيارة فبدأ الضوء الأزرق يدور، فيما صفارات الإنذار تتردّد

بين الأبنية. شقّ طريقه متخطّياً "المطب" تلو الآخر من "مطبّات" الأسفلت. اجتاز الخطّ الأبيض الفاصل، وانطلق بخطٍّ متعرّجٍ بين السيارات القادمة محاولاً إيجاد فسحات لم تكن موجودة أصلاً.

كان كامل قلب ستوكهولم الداخلي قد فقد توازنه.

الطرقات، والشوارع، وممرات الدرجات الهوائية حول المحطّة المركزيّة كانت إمّا فارغة أو مكتظّة بسبب تحويلات السير. حسب أثير الإذاعة، زرع أحدهم قنبلة في قلب ستوكهولم. وبعد أن اعتقدوا في البداية أنها مجرّد قنبلة مزيّفة، تبيّن لاحقاً أنها قنبلة حقيقية، فوصل فريق تفكيك القنابل إلى المكان فوراً، بالإضافة إلى الكلاب المدرّبة، والرجال الآليين الذين يتمّ التحكم بهم عن بُعد.

"أنا أقود باتجاه أوزمو. كم عنصر شرطة يوجد في الموقع؟".

كان يمسك "الميكروفون" بإحدى يديه والمقود بالأخرى. وانعطف بقوة متخطياً سيتي هول، ومتجهاً نحو جسر سنترال بريدج الاحتياطي.

"واحد".

"واحد!".

"وهناك واحدٌ آخر في طريقه من نيناشامن".

"اثنان. أي توجد سيارتا شرطة؟".

كانت هناك عدّة خطوط في الاتجاهين على جسر سنترال بريدج القصير، ولكن بسبب زحمة السير من جانبي الفواصل الإسمنتية أُجبِرَ على التمهّل رغم أضوائه الزرقاء وصفارات الإنذار، حيث تَنَحَّت السيارات جميعها جانباً سيارة تلو الأُخرى لتفتح له الطريق.

"هما كل من لدينا حالياً، حتى الآن".

"هذا لا يكفي. نحن بحاجة إلى فريق السوات، وكلاب مدربة، وطائرات هليكوبتر... نحن نتكلم عن سرقة مصرفين لعينين في الوقت نفسه!".

أخيراً، بدأت زحمة السير بالتلاشي إلى حدٍّ ما في ألدتون وسيلسن؛ في مكانٍ ما داخل نفق سيدرلاد.

"هل سمعت ما قلته؟".

"لقد سمعتك. ومن تكون أنتَ بحقّ الله؟ ولم تحديداً دخلت إلى هنا؟".

"جون برونكس، من شرطة المدينة".

"هذا لا يفيدني بأيّ معلومات عن هويتك، أو عن سبب توجهك إلى منطقة إدارية ليست ضمن صلاحيتك البتّة".

"تمّت سرقة مصرف في سفيدميرا، وشاحنة مدرّعة في فارستا منذ فترة... من قبل المجموعة نفسها. أنا متأكّد من ذلك. إنني أتحرّى عنهم منذ حوالي ثلاثة أشهر".

لقد تضاءلت زحمة السير في النفق.

زاد سرعته قليلاً، متّجهاً نحو ضوء النهار.

"إنهم مسلّحون بشكلٍ جيد، وجاهزون لاستخدام أسلحتهم. لذا، لا تكفي سيارتا شرطة فقط، أنت بحاجة إلى دعم!".

"لا يوجد أيّ دعم".

"لا يوجد! كيف؟".

"لقد سبق لي أن حاولت. ولكنّ كل فِرَق السوات وباقي عناصر الشرطة في هذا البلد محتشدون على بُعدِ بضعة مبانٍ هناك بالقرب من المكان الذي أتيتَ منه أنت، وكذلك الأمر بالنسبة إلى الكلاب وطائرات الهليكوبتر. وأنتَ تعرف تماماً سبب استدعائهم إلى هناك..."

ضوء النهار، جسر جوهانسهوفز، منظر غريب. كانت المياه مغطاة بطبقة من الجليد المتلألئ، والقطارات متوقفة على الجسر بالقرب منها. وبين سكة الحديد والطريق مئات أو ربّما آلاف المارّة الذين يتدفّقون في الاتجاهين، فاختلطت معاطف وسترات وأرجل معاً، وأصبحت شبيهة بالحشرات المتحركة؛ دودتان عملاقتان فقدتا الأمل بوصول قطار.

في الجهة الأُخرى من الجسر تقع مستديرة جولمارز؛ حيث توجد مساحات وسلالم ومستديرة توقّف فيها الكثير من القطارات، وحيث احتشد الناس بصفوفٍ عشوائية غير منتظمة محاولين الصعود إلى الحافلات التي تمّ استدعاؤها على عجل. وصل للتو إلى الميدان، وكان على وشك زيادة سرعته على الطريق السريع الفارغ حين سمع صوتاً قطع صمتَ الإذاعة.

"لقد انفجرت!".

الأصوات المحترفة التي تصل عبر أثير هذه الموجات يومياً يصبح من الصعب التفريق بينها، إذ يحدث ذلك بشكلٍ دائم، فيصبح من الصعب التفريق بين مختلف الأصوات المحترفة التي تواصل البثّ يومياً على هذه الموجات بالنبرة نفسها؛ بجهارة الصوت والموضوعية نفسيهما.

"هذا الشيء اللعين... تطاير أشلاء بأكمله! الرجل الآليّ تحوّل إلى أنقاض!".

لكن في بعض الأحيان، حين يحدث ما هو غير متوقع، حين يمتزج التهديد

بالخطر ونشعر به، تصبح هذه الأصوات صديقة وأكثر حضوراً.

"واحدٌ منا... قد سقط!".

—

جلس ڤينسنت متّكئاً على النافذة، وقناعه الأسود يضغط على... مسدّسه. كان يتأمّل الحقول البيضاء والبُنيّة التي ستتحوّل إلى مساحات بيضاء لتعود بعد فترة وتصبح مجدداً حقولاً بيضاء وبُنيّة. وضع ليو يده على يَدِ فيليكس التي كان يضعها على عجلة القيادة، وقال له كلّ شيء سيكون على ما يرام. أومأ فيليكس برأسه إيجاباً، ونظرا إلى بعضهما بعضاً كما يفعلان عادةً. عدا ذلك... وحده المطر الذي كان يتساقط على الرصيف الأعزل كان مسموعاً. ولكنّ هذا كان قبل سماعهم الصوت؛ الصوت الذي شقّ أثير الراديو كالسكين التي شقّت سترة ليو وجرحت كتفه. كان ڤينسنت حينها صغيراً جداً ليتذكّر تلك الحادثة.

"واحدٌ منا..."

فجأة، انقلب كلّ شيء رأساً على عقب- الأحاسيس، والنظرات، والأفكار- بعد أن أعلن الصوت الخائف والغاضب عبر أثير موجة مذياع الشرطة أن قنبلةً قد انفجرت، وأنّ الشرطي الذي كان يحرّك الرجل الآليّ قد أُصيب بشظايا.

"قد سقط!".

ومن ثم عمّ الصمت. لا معلومات حول ما إذا كان رجل الشرطة لا يزال حيّاً أو لا، بل أطبق الصمت، فيما الجميع يحاولون فهم ما حدث.

"ما كان يجب أن تنفجر!".

تقدّم ڤينسنت قليلاً إلى الأمام، فقد أراد أن يرى وجه ليو وردّة فعله ليعرف

ما يفكّر فيه فعلياً. ولكنه استطاع فقط أن يرى عنق ليو المتشنّج.

"حقاً! لقد قلت إنّها لن تنفجر يا ليو، لقد وعدتني!".

أخفض ليو الصوت، فاختفى الصفير الرتيب. كانت أمامهم مباشرةً لافتة زرقاء على طرف الحقل والطريق، كتب عليها: سوروندا 3 كلم. إنهم على وشك الوصول.

"لا يمكننا فعل شيء بهذا الخصوص الآن".

"وماذا إن مات؟!".

"ڤينسنت".

"ماذا؟".

"لا نعرف ما حصل، ولا نعرف سبب انفجارها. ولكنني سأكتشف حقيقة الأمر، في ما بعد. حين ننتهي من سرقة المصرف التالي والأخير".

بالقرب من حظيرة مغطاة بالثلوج، كان هناك جرّار زراعيّ. وهناك بضع مزارع غير مأهولة، ودرّاجات هوائية ومزالِج ثلج للأطفال تستند إلى الجدران، وشاحنة صغيرة متوقّفة جانباً وسائقها يتبول خلف شجرة.

عَدَّلَ فيليكس مرآة الرؤية الخلفية، ونظر بقسوة إلى جاسبر الجالس على المقعد الخلفي، والذي أشاح بنظره عنه.

"هل سحبت حلقة صمّام الأمان؟ هل فعلت ذلك؟".

"ما الذي تتكلم عنه؟".

"انظر إليّ يا جاسبر! بحق الله، هل أعددت تلك القنبلة اللعينة

للانفجار؟".

وعبر مرآة الرؤية الخلفية، التقت نظرات جاسبر بنظرات فيليكس المحدقة.

"بحقّ الله! أنا بالطبع لم أفعل ذلك!".

حدّق إليه فيليكس لوقتٍ طويل، إلى أن أصبح الموقف مزعجاً، وأصبحت النظرات غير محتملة، فتابع جاسبر كلامه:

"لماذا قد أفعل ذلك؟".

لكزه ڤينسنت لكزة صغيرة، وقال له:

"أُصيب أحدهم، وكان من الممكن أن يموت آخرون!".

"بحقّ الله! وما علاقتي أنا بهذا؟".

كان فيليكس لا يزال يقود بسرعة ثابتة رغم أنه كان ينظر إلى الوراء بقدر ما كان ينظر إلى الأمام.

"إنك تكذب يا جاسبر! يمكنني أن أرى ذلك".

ظلّ ليو صامتاً حتى تلك اللحظة، إذ صاح قائلاً:

"كفى! توقّفا عن هذا!".

"أنا ساعدت في تركيب ذلك الشيء اللعين، وأعرف أنه لا يمكن..."

"فيليكس، ركّز على القيادة بحق الله!".

لم يَعُد بإمكان ڤينسنت أن يفرّق بين الحقول البيضاء البنيّة والغابات البيضاء الخضراء، فعند المغيب كلّ الأشياء تمتزج معاً. ولكنه لاحظ تغيّراً في نظرة

فيليكس حين نظر إلى مرآة الرؤية الخلفية. نادراً ما يرفع ليو صوته، والجميع يعرفون ذلك. ولكن، من النادر أكثر أن يتّهمَ فيليكس أحداً ما إن لم يكن متأكّداً تماماً. والعينان اللتان كانتا مثبّتتين على الطريق التفتتا نحو الداخل. لقد تمّ توبيخه من قِبَل ليو، ولكنه لم يكترث لذلك؛ لأنّه اتخذ قراره بنفسه، ولم يكن من الممكن إقناعه بالعدول عنه.

"حسناً، فلنفعل ذلك!".

وصلوا إلى المخرَج نحو سوروندا، وهي بلدةٌ فيها مصرفٌ واحدٌ، وهو هدفهم الثالث بحسب الخطة. أكمل فيليكس القيادة، ولكنه لم ينعطف نحو سوروندا.

"ما هذا؟".

"كما قلتَ يا ليو. نحن ذاهبون إلى المنزل، وسوف نحاول معرفة حقيقة الأمر".

كان الطريق السريع ضيّقاً جداً، إلى درجة أنّ السيارات القادمة بالاتجاه المعاكس كان عليها أن تخفف سرعتها لتفادي الاصطدام. ولكن فيليكس زاد الضغط على دواسة الوقود عند اقترابهم من السيارة التالية، إلى أن وصلت السرعة إلى ما يزيد عن ستين ميلاً في الساعة.

"انعطف! عُد أدراجك!".

"إذا أردتَ أن تُكمِل، فهيّا أكمِل من دوني".

امتلأ عنق فيليكس ببقع حمراء امتدّت وصولاً إلى خدّيه وصدغيه، وعرف ڤينسنت ما يعنيه هذا؛ إن فيليكس يحاول جاهداً أن يسيطر على غضبه. لقد رأى ڤينسنت ذلك مسبقاً، وكان حريّاً به أن يشعر بالتوتر بسبب ذلك، ولكن كلّ ما

شعر به هو السخونة في صدره. إن كان الأمر سَيُشعرني بإحساس كهذا، فلن أقوم به مجدداً. ورغم ذلك بقي هادئاً، لأنهم إن ماتوا جميعاً في حادث اصطدام عند المنعطف التالي، وإن توفي الشرطي الذي كان موجوداً في المحطّة المركزية، وإن انفجرت القنبلة بسبب شخصٍ ما أرادها أن تنفجر، فكلّ ذلك لا يهمّ. فعلاً، كلّ ذلك لا يهم. فلأوّل مرّة في حياته يعي ڤينسنت أين يختفي ليو عندما يهرب إلى نفسه؛ إلى هذا الهدوء حيث لا وجود للوقت، ولا المستقبل، ولا الماضي، ولا المخاوف أيضاً. فقط الآن... الآن. والشيء الوحيد الذي يجب الاهتمام به هو ما يحدث الآن بالذات، في هذه السيارة، ومع أخويه.

—

مصرفان مسروقان.

قنبلة دوّى انفجارها في قلب ستوكهولم.

اجتاز جون برونكس عشرين ميلاً على الخطّ السريع، ما زالت أمامه عشرة أميال. رأى من نافذته الضاحية الأخيرة في جنوب المدينة، ومن ثمّ أصبحت المناظر الطبيعية مسطّحة أكثر، وتحولت إلى مروج شاسعة تتخلّلها أجمة من الأشجار.

بحسب الدورية الأولى في أوزمو، ترك أحد السارقين المصرف، ثم عاد بعد استكمال عملية السرقة ليطلق ثماني طلقات أُخرى. ما خشيَ حدوثه أصبح حقيقة؛ هناك جثة ربما.

صرّحَ قائد العمليات الميداني في المحطّة المركزية بأن خبير القنابل أكّد أنّ صمّام الأمان كان محضراً بطريقة تؤدي إلى انفجار القنبلة فور إخراجها من الخزانة الصغيرة، مع هدف واحد فقط؛ وهو إحداث أضرار، وإسقاط جرحى وقتلى.

حادثتان مختلفتان تفصل بينهما تسع دقائق، ولكنهما كانتا بشكلٍ ما

مرتبطتين ببعضهما.

كان موعد الغسق يقترب أكثر مع كل ميل يقطعه. ما زالت أمامه خمسة أميال، سيصل مع حلول الظلام، ولكن سيكون بإمكانه إجراء بعض الاتصالات.

"برونكس".

الصوت الذي بدا متسائلاً منذ بضع دقائق أصبح الآن مرحّباً.

"أين أنت؟".

"على بعد خمسة أميال".

"سيارة الفرار".

"نعم، ما بها؟".

"لقد عثرنا عليها. ڤولكس ڤاغن حمراء. رقم اللوحة ج ز ب - 7 8 4. على الطريق نفسها التي تسلكها الآن، تماماً عند المخرج. سوف تراها في طريقك، وسترى إحدى سياراتنا متوقفة على بعد مسافة صغيرة منها".

سيارة الشرطة الوحيدة في المكان وصلت إلى سيارة أخرى.

"هل وجدتها... في أي وقت؟".

"3:09".

فكّر جون برونكس في دائرة البحث.

إنها منطقة بحثٍ يتّسع قُطرها مع كلّ دقيقة تَمُرّ. في فارستا وسفيدميرا اتّسعت بسرعة وأصبحت كبيرة جداً.

"هل توجد أيّ حواجز على الطرقات؟".

الآن، أصبحت أكثر تقلّصاً.

"هناك سيارتا شرطة من هاندن قطعتا الطريق السريع شمالاً، وواحدة من نيناشامن قطعت حركة المرور جنوباً. إننا نقفل الطريق الرئيسة تماماً على طول الشاطئ. وهناك وحدات إضافية في طريقها من هاديندج، وسوديرتاليي التي أغلقت مداخلها البريّة الداخلية الغربية والشمالية!".

بدأ برونكس بالعدّ بسرعة.

14:56 – سيارة ڤولكس ڤاغن بداخلها أربعة رجال مقنّعون تترك ساحة

14:58- السيارة نفسها تقف على بعد ميلين.

14:59 – يكملون طريقهم بسيارة جديدة.

منطقة البحث لم تعد تتسع، للمرة الأولى هم قريبون.

عند المخرج المؤدي إلى أوزمو، يوجد جدار من الأشجار المتفرقة والمتباعدة يظهر على بعد بضع مئات الياردات؛ بستان وطلاء أحمر يلمع بين الأغصان العارية.

هنا الهواء قارس البرودة أكثر منه في داخل المدينة.

هذا الهواء البارد يتسلل إلى خدّيك وعنقك ويجمّد أصابعك فتتيبّس إذا لم تكن ترتدي زوجاً من القفازات.

مشى برونكس نحو السيارة المتروكة على الثلج، متفادياً آثار الأقدام التي كانت هناك. ڤولكس ڤاغن بيبتل حمراء متوقّفة، وواجهتها الأمامية إلى شجرة

صنوبر، وكأنها ملتصقة باللحاء.

"هل هناك شهود؟".

حيّا شابٌ لديه زغب يشبه الشارب فوق شفته العليا، ويرتدي البزّة النظامية برونكس بيد باردة كيدَي هذا الأخير.

"لم يَرَ أي كان أحداً يترك ساحة الجريمة أو يصل إليها".

"و... ماذا تعرفون إلى الآن؟".

"نحن متأكّدون من أنها السيارة التي استخدموها. فهي من الطراز نفسه، ورقم اللوحة التي رآها العديد من الشهود خارج المصرف هو نفسه أيضاً".

كانت اللوحة مثبتة على أسفل باب الصندوق الخلفي؛ وقد كُتب عليها: ج ز ب 7 8 4.

دار برونكس حول السيارة، وأمعن النظر من شبّاك الراكب الجانبي. على الأرض، كانت هناك زجاجة شراب بالقرب من غلاف برغر، وفي المنفضة أعقاب ثلاث أو أربع سجائر. ليكمل تقدّمه، كان عليه أن يشقَّ طريقه عبر جذوع أشجارٍ متراصّة وأغصانٍ سميكة. إنّ الجوَّ أكثر برودة هنا، وتسلّلت طبقة الثلج الرقيقة إلى حذائه.

رآها ما إن وصل إلى الواجهة الأمامية للسيارة، رغم جذع الشجرة الذي أخفى نصف اللوحة.

ب ج ي 3 9 7.

لوحة تسجيل تخص سيارة أخرى.

واحدة إذا شوهدت من الأمام، وأخرى مختلفة إذا شوهدت من الخلف.

—

توقفت السيارة فجأةً على الأسفلت خلف محطّة الوقود المهجورة، وسمع صوت مكابحها. ارتطم مصباح الجهة اليُمنى بالدرابزين الحديديّ الصدئ قرب المدخل، وارتطمت المرآة اليُمنى بصنبور للمياه ظاهر عند جانب المبنى.

ركض فيليكس- وهذا شيء كان نادراً ما يفعله- والمصباح في يده، متّجهاً إلى الباب الحديدي والقفل.

"فيليكس!".

لحق به ليو، وأخذ يجرّه من ذراعه بعيداً.

"ما زال لدينا وقت كافٍ!".

قبل ميلٍ واحد من المخرج، اجتاز فيليكس الطريق قاطعاً الفرصة على سرقتهم الثلاثية.

"لقد كان لدينا الوقت، ولكن ليس بعد الآن. فقد فات الأوان الآن".

شَدَّ ليو ذراع فيليكس بقوّة أكبر، ولكنه لم يتمكّن من إجباره على البقاء.

"سنذهب إلى مصرف سوروندا الآن".

واحد من المجموعة عاد أدراجه وأطلق النار، والآخر فجّر قنبلةً على عكس رغبة الباقين.

"في هذه الحال، ستعود من دوني!".

سلّط الضوء على الباب المعدني، ووضع المفتاح في القفل.

"فيليكس، ما الذي تفعله بحق الله؟".

وأمسك ليو اليد التي تمسك بالمفتاح.

"اترك يدي. أنا سأدخل إلى هنا، وسأغير ثيابي، وسأعود إلى المنزل".

كانت لافتة "كالتكس" عند مضخّة الوقود تُصدر صريرها المعتاد. فالرياح تعصف هنا دائماً.

"عُد إلى السيارة، ما زال هناك مصرف يجب علينا سرقته!".

"لم يعد لدينا أي شيء، ليس بعد الآن. فقد أضعتَ عشرين ثانية لتَعود أدراجَكَ وتطلق النار. سرقنا مصرفَين، ونملك عشرات آلاف الباوندات نقداً في صندوق السيارة، وهذا يكفي لليوم".

الظلّان اللذان ظهرا على الباب المعدني تحت ضوء المصباح الأماميّ أصبحا ثلاثة بعد أن وضع جاسبر نفسه بينهما.

"لقد خطّطنا لهذه السرقة اللعينة منذ أسابيع!".

كان يحمل القناع الأسود في يده، ولبسه الآن، وأسدله على وجهه.

"وهذا ما سنفعله يا فيليكس، سنذهب لنحصل على خمسة آلاف باوند نقداً".

بحث فيليكس بين مجموعة المفاتيح في يده، ووجد مفتاح السيارة، وأعطاه إيّاه.

"إذاً، يمكنك أن تتولّى القيادة".

نظر جاسبر إليهما، ثمّ إلى فيليكس وقال:

"هل أنتَ جاد؟! هل ستنسحب؟! ما الذي اتفقنا عليه معاً؟ ما الذي اتّفقنا عليه معاً؟!".

"لقد اتّفقنا أيضاً على عدم تفجير القنبلة اللعينة!".

وصوّبَ مصباحه اليدوي نحو بؤبؤي عينَي جاسبر الظاهرتين من فتحتَي القماش، وتابع:

"أنا أعرفُ أنكَ الفاعل".

رفع جاسبر ذراعه ليحمي عينيه، ثم أغمضهما نصف إغماضة.

"أنت لا تعرفُ شيئاً".

"أنا أعرفُ أنكَ أنتَ الفاعل".

عندها، ضرب جاسبر المصباح اليدوي الذي يحمله فيليكس، فوقع أرضاً وانطفأ.

"لن أحتملَ هذا بعد الآن. ليو، أنا..."

"هناك طائرة مروحية!".

لم يسمع أحد ڤينسنت عندما فتح باب السيارة، ولا عندما ركض صوبهم.

"هذا ما يقولونه!".

كان يقف الآن وراءهم تماماً، وفي يده ماسح الشرطة الضوئي.

"لديهم طائرة مروحية!".

—

"برونكس؟".

"ماذا؟".

"لقد حصلت على المروحيّة التي طلبتها".

كانت الرياح تعصف، فقَرَّبَ جون برونكس جهاز الاستقبال اللاسلكي من خده أكثر، وغطّاه براحة يده، فيما أشجار الصنوبر الطويلة تتمايل يميناً ويساراً. كان يقفُ قرب السيارة الحمراء التي تملكُ لوحة تسجيل معدنية من الأمام، ولوحة أُخرى مختلفة من الوراء. بدأ الثلج يدخل جوربيه الرقيقين، ويتسلّل إلى نعلَي حذائه، مغلّفاً قدميه الباردتين.

"تَطوَّعَت الوحدةُ الحادية عشرة للمروحيات. وهم في طريقهم الآن".

قائد العمليات في نيناشامن لم يظهر بعد، ولكنّ صوته الذي باتَ مألوفاً الآن بدا أكثر تفاؤلاً كما أحسَّ برونكس.

"سوف تسمعانها بعد بضع دقائق، إنّها تحلّقُ باتّجاهكما، وسوف تركّز المراقبة على المنطقة المحيطة بالطريق السريع".

صقيع حادّ، رِجلان مبلّلتان، رياح جليدية قارسة.

ولكن الشيء الوحيد الذي شعر به هو الحرارة بسبب حماسته الناجمة عن تقلص دائرة البحث.

"ممتاز! أنا..."

"برونكس، انتظر لحظة".

"ماذا؟".

"أنا أتلقّى رسالة... من زميلٍ هنا".

"حسناً".

في وسط بستان من الأشجار، تظهر عن بُعد الأضواء الخافتة لمصابيح الشوارع.

ساد الصمت في سمّاعة الأذن، لكنّ جون ركّز قليلاً فتمكن من سماع أناس يتكلمون مع بعضهم بهدوء، ثم صوت وقع خطى أقدام، ثم شخص يُزيح "الميكروفون".

"هذا..."

الصوت الذي كان متفائلاً منذ لحظات، أصبح الآن متردّداً.

" قد يبدو الأمر غريباً. لكن..."

"ماذا؟".

"سيارة الفرار وُجِدَت مجدداً!".

"مجدداً!".

"الطراز نفسه، ورقم اللوحة نفسه. ما عدا... أنّها في الجهة الأُخرى من المدينة... بمحاذاة طريق ريفية فرعيّة".

"لا أفهم ما تعنيه".

ڤولكس ڤاغن من طراز 1300، حمراء. رقم اللوحة نفسه. وهي مركونة في

آخر طريق ترابيّ قربَ كومة من ركام الحجارة. إنها بعيدة عن المدينة غرباً بقدر ما أنتَ بعيد عنها شرقاً".

تحقّق برونكس من اللوحة الخلفية للسيارة، ثمّ مشى متثاقلاً وسط الثلج العميق مرّة أُخرى ليضغط جسده بين الأغصان الضيقة ويتحقّق من اللوحة الأمامية. ب ج ي 7 9 3.

كان "الميكروفون" قريباً من فمه.

"هل لديك شخص ما في ذاك الموقع؟".

"نعم".

"اطلب منه أن يلفّ حول السيارة".

كان زملاؤه يتكلمون مع بعضهم بصوتٍ خافت فيما كان يستمع. انتظر إلى أن سمع طقطقة وعاد الصوت.

"لقد تحقق منها".

"حسناً و...؟"

"إنّ رقم اللوحة الأماميّ مختلف".

" أهو ب ج ي 7 9 3؟".

"أجل".

سرقوا سيارتين متشابهتين، وبدّلوا لوحات التسجيل المعدنية، فصارت لديهم سيّارتان متشابهتان، تظهر عليهما الأرقام نفسها من الأمام والخلف، ويمكن لأيّ شاهد أن يبلّغ عنهما.

قبل السرقة أوقفوا إحداهما في بستان صنوبر قرب الطريق السريع المتّجه شرقاً، وبعد السرقة وضعوا الأُخرى في طريقٍ ترابيّ قربَ المسلك الريفيّ المؤدّي غرباً، أو العكس.

نطاق البحث الذي كان مفرداً منذ قليل تحوّل فجأةً إلى اثنين.

والآن، تضاعف عدد العوائق، وتضاعف عدد المناطق القريبة، كما تضاعف عدد المناطق الإدارية؛ بما أنّهم لم يتمكّنوا من تحديد أيّ من السيارتين تمّ استخدامها للسرقة، ومن ثمّ التخلّي عنها بعد ركوب سيارة ثالثة.

"برونكس".

"ماذا؟".

"هل تفكّر في ما أفكر فيه؟".

"نحن بحاجة إلى دورياتٍ إضافية".

"لا توجد أيّ دوريات. أنتَ تعرفُ هذا؛ بسبب ما حصل في المحطّة المركزية".

كان الهواء يزداد، رغمَ أنّ رؤوسَ الأشجار بدَأت تتمايل أقلّ مما كانت عليه من قبل.

نظر جون برونكس حوله إلى الشفق الذي سيختفي قريباً، ورآها هناك. بَدَت وكأنها تقطع الهواء بدورانها كشفرات حادّة.

إنّها تقترب.

"المروحيّة!".

"ماذا؟".

"يجب تغيير مسارها. يجب أن تتركَ السهل والطريق السريع الرئيس وتتجه غرباً للبحث في الطرقات الداخلية!".

—

نظر ليو إلى سماءٍ من المفترض أن تكون سوداء، غير أن ضوء المصباح الكهربائي كان يبدّد الظلمة فوق الأشجار.

"فيليكس، ڤينسنت!".

كانوا يقفون أمام الباب الحديدي لمحطة وقود مهجورة على طريق ريفي خالٍ، مُرتدينَ الملابس نفسها التي سرقوا فيها مصرفين، وبحوزتهم عشرة آلاف باوند نقداً.

"الغطاء المشمّع!".

تملك شرطة ستوكهولم مروحيّتين، وقد كانتا حيث أرادهما أن تكونا. أي تحلّقان حيث يجب أن تحلّقا؛ في المنطقة حيث تهديد القنبلة.

أمّا هذه فمروحيّة عسكرية. لم يأخذ ذلك في الحسبان.

"فوق السيارتين!".

إذا شاهدوهم من السماء، وإذا كُشف عن مكانهم، فالحلّ الوحيد هو فتح النيران. ولكن المروحية العسكرية لديها دروع واقية وصفائح مضادة للرصاص تحمي الأجزاء الحيوية الخاصة بالمحرك والطاقم. لا أمل لديهم بإسقاطها قبل أن يبلّغ الطاقم عن وجودهم.

وصل فيليكس إلى سيارة الشركة، وكان يحرك كرسي السائق إلى الأمام للكشف عن الغطاء المشمّع المطوي. في تلك الأثناء، ركض ليو إلى السيارة الأخرى، وجمع أربعة أسلحة أوتوماتيكية عن المقاعد والأرضية، وعلّق واحداً منها حول عنقه وأعطى جاسبر واحداً.

"راقب المروحية!".

أسنَدَ جاسبر كتفه إلى حائط محطة الوقود، وركع على ركبتيه، واتخذ وضعية إطلاق النار باتجاه الضوء.

"ضعا الغطاء المشمّع فوق السيارتين".

أحدث فيليكس وڤينسنت خشخشة وهما يفتحان الغطاء المشمّع المجعّد الأخضر القاتم، والذي كانت بين طيّاته أوراقٌ بنيّة اللون وجافّة وهشّة من الغابة التي كانت محيطة بصندوق الذخيرة. أصبحت الأوراق الآن مسطّحة كمجموعة من نماذج الأعشاب، وهبطت على الأرض مُتَطايرةً بينما كانت أَذرُع الإخوة الثلاثة تلتقط الغطاء المشمّع، وتمدِّده ليصبح بحجم ثلاثين بعشرين قدماً.

"المروحيّة قادمة!".

صرخ جاسبر، ولكن كان من الصعب سماعه بسبب صوت المحرك.

"سوف يروننا خلال خمس عشرة ثانية!".

انتشر الغطاء المشمّع متمدّداً وغطّى السيارتين.

"إلى محطة الوقود. الجميع إلى الداخل!".

ركض ليو باتجاه الباب المغلق.

"إلى الداخل! إلى الداخل!".

مفتاح القفل!

بحث فيليكس في بذلته؛ داخل جيوب سترته، في جيبيه الخلفيين، والجيوب الأمامية، وجيوب الحمولة.

لكنه لم يكن هناك، لم يجده.

لم تلمس أطراف أصابعه الأسنان المسنّنة الصلبة الصغيرة.

فتّش مرةً أخرى، ولكنه لم يجده.

لقد كان في يده، وكان جاهزاً ليفتح الباب عندما شدّ ليو على معصمه وضرب جاسبر المصباح اليدوي فأوقعه على الأرض وأطفأه.

كان المفتاح في يده، وكان جاهزاً ليفتح القفل عندما...

كان...

"لا أجد المفتاح!".

"فيليكس، تبّاً!".

"لا أستطيع إيجاده! قاطع الأسلاك في السيارة، تحت مقعد السائق، أنا..."

"لا وقت لدينا!".

سمعوا ذلك الصوت المروع، ورأوا ذاك الضوء اللعين.

"هل أقوم بذلك يا ليو؟".

كان جاسبر لا يزال جاثياً على ركبتيه وراءهم، مستعدّاً في وضعيّة إطلاق النار.

"ليو، أنا أنتظر".

كان السلاح موجّهاً إلى الأعلى باتّجاه الضوء الذي يجتاح الأرض المغطاة بالثلوج جزئياً، فيما عقبه مضغوط على كتفه.

"ليو، أنا أنتَظِر! أعطني الضوء الأخضر، وسأطلق النار!".

انتظَرَ ليو مفكراً. كانت مصابيح المروحية كعيون فضية مستطيلة على بعد بضع مئات من الياردات. إن قال نار فسيطلق جاسبر النار. ولكن، إن فقد جاسبر القدرة على التحكّم، وأطلق النار من دون أن يصيب الهدف مباشرة...

"اختبئوا تحت السيارتين!".

ركض باتّجاه الغطاء المشمّع، وطوى طرفه كفتحة كهف.

"إلى الأسفل".

زحف ڤينسنت إلى الأسفل، وكذلك فعل فيليكس.

"أنتَ أيضاً!".

نهض جاسبر، وركض خطوتين والرشاش في يديه، ثم رمى نفسه على الأرض، وتدحرج تحت إحدى السيارتين، وتبعه ليو، في حين كانت أضواء المروحية تفتّش محطة الوقود، والأرض الأسفلتية، والغطاء المشمّع.

كان بطنه مضغوطاً على الأرض.

وكانت المروحية هناك؛ فوقهم.

كانت شفرات المروحية تدفع الهواء فأخذ الغطاء المشمّع ينتفض مرتجفاً، ثم بدأ بالرقص في إيقاع غير منتظم. اخترقه الضوء، بظلٍّ أخضر حادّ.

بعد ذلك، كانوا ممدّدين هناك وهم يتنفّسون بصمت. وكانت كتف ليو بالقرب من كتف فيليكس. وكان يعرف ما يفكّر فيه أخوه الصغير.

لو لم يوقفه فيليكس، ولو قاموا بسرقة المصرف الثالث... لكانت المروحية قد وصلت قبلهم، ووجدتهم.

—

عينٌ. عينٌ. أنف.

إلى الأسفل قليلاً، خمس فتحات بالقرب من بعضها بعضاً، في شكلٍ نصف دائري.

فمٌ.

وكان يبتسم.

أخذ جون برونكس يَعُدّ. أُطلِقَت ثماني طلقات على الواجهة الزجاجية المضادّة للكسر.

وقف في وسط المصرف الذي تمّ إخلاؤه. فقد تمّ نقل الزبائن والموظفين إلى قاعة المطالعة في المكتبة في الناحية الأُخرى للمستديرة، إلى الهدوء والدفء، ليتمّ استجوابهم من قِبل الشرطة المحلية. وقد نقلت سيّدة شابة إلى المستشفى، وبقيت صامتة رغم أنّ الشهود وصفوا صراخها الذي لم يتوقف. كانت ذراعها مخلوعة، وهناك بضعة جروح خارجية عليها؛ أي أنها أضرار جسدية ستتماثل للشفاء قريباً، ولكن الصراخ سيعود.

كانت كاميرات المراقبة على الأرض، وكذلك الشظايا الزجاجية. وفي المصرف الآخر، في الجهة الأخرى من الحائط الذي مزّقته الرصاصات وأحدثت فيه الثقوب، كان الأمر مشابهاً.

ثلاث دقائق، سرقة مزدوجة، ثمّ اختفوا في إحدى السيارتين اللتين وجدتا في مكانين مختلفين.

حواجز الشرطة لم تأتِ بأيّة نتيجة. والمروحية الحربية لم تأتِ بأيّة نتيجة أيضاً.

وأنتَ... أنتَ خارج منطقة البحث.

الزجاج المصفح للواجهة قرب أمين صندوق المصرف يحمل ثقوب رصاصات على شكل وجهٍ، ويمكن إيجاد هذه المقاييس في سجلٍّ آخر مستقلّ.

اقترب برونكس أكثر، ورفع يده في الهواء باتجاه الفتحات الثماني.

عينٌ. عينٌ. أنفٌ. فمٌ.

نظر إلى الوجه الذي حدّق إليه بدوره.

لم يرفّ له جفنٌ، ولم يحرّك فمه الجامد الذي لم يتوقف عن الابتسام، فيما ظلّت عيناه فارغتين، وتربّع أنفه في المكان الخطأ؛ في المنتصف تماماً. وما تبقى كان عبارة عن بشرة بشعة مليئة بالتجاعيد التي سببتها الشقوق المتشابكة على الزجاج، والتي تنبعث كالشعاع من كل ثقب رصاصة.

استدار برونكس نحو باب المخرج.

كُنتَ قد انتَهَيت، وتَرَكتَ مكان العمل. ثم عُدتَ أدراجَكَ، وصنعتَ هذه

الابتسامة، طلقة تلو طلقة.

إنها علامة.

ماذا تعني؟ لماذا تبتسم لي؟ ألأنّك اختفيت مجدداً من دون أثر؟ ألأنّك قمت بأوّل عملية سرقة مزدوجة في السويد؟ ألأنك ستفعل شيئاً أكبر في المرّة المقبلة؟

حدّق إلى الوجه الذي بادله التحديق مطولاً.

—

كانت المسافة نفسها تفصلهم عن المرأب والمنزل. وكان الظلام حالكاً في الخارج. من السهل رؤية ڤينسنت وفيليكس عن بُعد وهما يمشيان من المطبخ وصولاً إلى غرفة الجلوس المضاءة، ثم مشاهدة الضوء الأزرق اللامع المنبعث من التلفاز.

ظلّ ليو وجاسبر في الخارج.

كان الهواء قد برَّد وجناتهم الساخنة، بينما بدأت أجسادهم المتشنجة تسترخي ببطء تدريجياً. وحين خلعوا الطبقة الأولى من زيّ السرقة، بدأ عرقهم يتبخر.

عندما تلاشى صوت شفرات المروحيّة الحادّة، وخفتت الأضواء الكاشفة، رفعوا الغطاء المشمّع، وكسروا القفل للمرة الثانية وغيروه، ثم قادوا سيارة الشركة بعيداً. فليكس على مقعد السائق، وليو وڤينسنت وجاسبر تحت غطاء الشاحنة. خلف حائط غازل، ثلاثة سارقي مصارف مُحاطون برُزَمٍ ضخمة وطريّة.

لم يتفوهوا بكلمة لبعضهم بعضاً. ثماني طلقات على زجاجٍ مصفّح، وانفجار قنبلة حالت دون إتمامهم السرقة الثالثة.

"أنا أُقسِم".

اقترب جاسبر من ليو بقلق ما إن صارا بمفردهما.

"أنا كنت أقف هناك عند الخزانة و... حلقة صمّام الأمان كانت سليمة عندما أقفلت الباب. ليو، أنا أُقسِمُ بحياتي!".

في أواخر العصر، في الجهة الأخرى من السياج، كانت حركة السير في ذروتها؛ إذ كان الأشخاص في طريقهم إلى منازلهم بعد انتهاء دوام العمل.

"أنا قمت بِصُنعها يا جاسبر".

نظر ليو إلى المنزل حيث كان فيليكس واقفاً الآن، وآلة التحكّم عن بُعد في يده.

"أنا صمّمتها وقمت بجمعها، وفيليكس ساعدني في جمعها أيضاً. وهو محقّ. لم يكُن من الممكن أن تنفجر بمفردها".

هَزَّ جاسبر رأسه.

"تباً، ليو... أتعرف كيف أشعر؟".

وضرب على صدره بقبضة يده عدة مرات.

"أتعرف كم هو مؤلم أن تقفَ أمامي ولا تصدقني؟ تباً... إنه أمر مؤلم مؤلم!".

في تلك اللحظة، جلس فيليكس على الأريكة، ثم ظهر ڤينسنت وجلس قربه.

"إذاً، فَسّر لي كيف حدثَ ذلك؟ كيف انفجرت؟".

"وكيف أستطيع أن أعرف؟ فلستُ أنا من جَمَعَها!".

ضرب على صدره مجدداً، ولكن ليس بالقوة نفسها.

"ليو... أُقسم إنني فعلتُ فقط ما طُلب منّي فعله".

كانت ساعات الازدحام لا تزال في ذروتها، وقد تشتدّ أكثر. سيتطلّب الأمر بضع ساعات بعد ليصلَ معظم الناس إلى منازلهم اليوم. لكنه وصل الآن، وصل إلى منزله اليوم. توجّه إلى داخل البهو وغرفة الجلوس، بينما اختفى جاسبر في المطبخ قرب الثلّاجة تحديداً.

في الطابق العلوي، جلس فيليكس وڤينسنت على الأريكة قرب الطاولة المستديرة. وكان جهاز الشرطة الماسح في الوسط، محاطاً بكؤوس الشراب. جلسوا هناك كما فعلوا بعد سرقة سفيدميرا، ولكن ليس تماماً. فليست هناك ضحكات، ولا أصوات متلهفة ومتحمسة.

بل كان هناك صمتٌ مطبق وتامّ، لا غير. فالتلفاز صامت، والراديو مُطفأ.

"شَغِّل الجهاز الماسح الكاشف لموجة الشرطة".

"لا".

"فيليكس، أُريد أن أسمعَ ما يقولونه".

"نشرة الأخبار ستبدأُ قريباً".

جلس ليو على أحد الكراسي، وسَكَبَ لنفسه القليل من الشراب.

"هيّا، توقّف عن العبوس الآن. هناك أكثر من مليوني كرونة في الحقائب

هناك".

لم يُجِب فيليكس، وعوضاً عن ذلك، وجّه آلة التحكّم نحو التلفاز ورفع الصوت.

"هيّا، توقّف عن ذلك الآن. تبّاً! لقد انتهينا من هذا الآن".

"أتوقّف عن ذلك؟! انتهينا!! تبّاً".

كانت كأس فيليكس مليئة حتى نصفها، فأفرغها في جوفه بجرعة واحدة.

"لقد عدتَ أدراجَك، ولم تحترم الخطّة... وأطلقتَ ثماني طلقات إضافية!".

مرّر فيليكس يده في شعره، وأخفض رأسه. ثم نظر إلى الأعلى، إلى أخيه الأكبر.

"هل خطّطتَ لذلك... أو كان الأمر مجرّد نزوة؟".

"لم تكن نزوة، لقد اعتقدت أنه... أمر مناسب".

"لم يكن مناسباً لي أنا! فقد كنتَ في طريقك إلى السيارة، وكنّا في طريقنا للمغادرة! لقد كنتُ على أتمِّ الاستعداد للانطلاق، وأنتَ عُدتَ أدراجَكَ!".

تغيّر صوتُ التلفاز فيما بدأت نشرة الأخبار بخبرٍ ثانوي.

"أيمكنكَ رفع الصوت قليلاً؟".

أتى جاسبر من المطبخ حاملاً أربع زجاجات من الشراب بين أصابع كلّ من يديه.

"ستبدأ الآن".

زُرِعت قنبلةٌ في خزانة صغيرة في محطة ستوكهولم الرئيسة للقطارات، وانفجرت بعد الثالثة بقليل، فيما كان رجل آلي من الشرطة يحاول تعطيلها.

ڤينسنت الذي كان جالساً بعيداً على الأريكة انحنى إلى الأمام ليرى بوضوح أكثر، فرأى لقطات طويلة لمحطة القطار في العاصمة.

سُمِعَ دويّ مكتوم.

ثم شاهد الجميع تكبيراً للصورة متزعزعاً ومتسرعاً يظهر الدخان الأسود المتصاعد من مدخل القاعة، والمرتفع صعوداً.

ولكن ذلك لم يكن ما ينتظر رؤيته وسماعه. فليس هذا ما يكترث لأمره منذ أن سمع الصوت الخائف والغاضب على موجة تواصل الشرطة وهو يعلن أن القنبلة قد انفجرت. كان يريد أن يرى صوراً لأحد الضحايا. ربما بعض الدم على قماشٍ أبيض، أو على الأسفلت الأسود. وربما على نقالة، أو مع عناصر الإسعاف. غير أنه لم يرَ شيئاً. فالأخبار اللعينة أظهرت فقط أكواماً من الأنقاض على السلالم وفي صالة الوصول ومساحات الانتظار، كما أظهرت الكثير من المتاريس، ومسافرين منتظرين في صفوفٍ طويلة.

أُصيب شرطي من الطاقم الفنيّ بجروح متوسطة بسبب الشظايا، وتم نقله إلى مستشفى ساباتسبورغز.

الآن، أخيراً، سمع صوت سيارات إسعاف.

التفت ڤينسنت إلى ليو وسأله:

"ماذا قال؟".

"ماذا؟".

"ماذا قال عن الشرطي؟".

"قال إنّه أُصيب بجروح، ولكنها طفيفة".

استرخى ڤينسنت على الكنبة. الشرطي لم يمت.

ضحك قليلاً. كل هذا غريب جداً. الأشهر الأخيرة تبدو وكأنها ليست حقيقية، وكأنها فيلم سينمائي سيتكلمون عنه في ما بعد. إنه يعلم، إنه يعلم... إنه متأكّد من ذلك لأن ما حدث لا يُعقَل، فقد كان سريالياً.

"هل ارتحت الآن؟".

ملأ فيليكس كأسه مجدداً حتى نصفها، ثم شربها مجدداً.

"هل أنت فخور بما فعلته جاسبر؟ قنبلة، في قلب المدينة. هل يشعرك هذا... بحالة جيدة؟".

"ليس ذنبي إن جمعتها بشكل خاطئ".

"أنا أعلم أنك الفاعل!".

نهض فيليكس عن الأريكة، وأمسك بقميص جاسبر ورفعه.

"اترُكه!".

وقع زرّ قميص جاسبر على الأرض، وتنفس بوحشية، وأمسك بقوّة يدَي فيليكس الذي بدوره أحكم قبضته وقال:

"أعرف ذلك يا جاسبر!".

حَدّقا إلى بعضهما بحقد، فيما ارتفعت نسبة الأدرينالين في جسديهما؛ ولا

سيما بعد سرقة المصرفين والهروب من تحت شفرات المروحية الحادّة.

"اجلسا، بحق الله!".

ضغط ليو على صَدرَينِ متشنّجَينِ غاضباً.

"ماذا تفعل بحق الله؟ اجلسا!".

"أنا أعلم أنه يكذب!".

"اجلس!".

"لن أجلس في الغرفة نفسها مع هذا الحقير!".

أفلَتَ فيليكس ياقة قميص جاسبر، فترك جاسبر معصمَي فيليكس، وبدأ يزرّر ما تبقّى من أزرار.

"فيليكس، اهدأ الآن".

نظر ليو إلى أخيه الصغير، فوجد رقبته حمراء وفكّه متشنّجاً.

"أنا أصدّق جاسبر. فقد نظرَ إلى عينيّ وأقسمَ".

"إذاً، أنت تصدّقه! إنه غير جدير بالثقة أبداً. فقد وضع مسدّسه في فم حارس الأمن، وبقي مطوّلاً في سكاندال وسفيدميرا، ولم ينفكّ يطلق النار. واللعنة... اليوم... بدا أنّ الأمر يتطوّر أكثر. ليو... أنا لا أثق به بعد الآن، ويجب أن نتمكّن من الوثوق ببعضنا!".

بدأ الفكان المتشنّجان بالطحن، وبدأت الأسنان بالصّرف، وعرف ليو ما يعنيه ذلك.

"ولكنني أثق بجاسبر، وأصدق قوله إنه لم يفعل ذلك".

"إذاً، يمكنك أن تذهب إلى الجحيم أنت أيضاً!".

قلب فيليكس أحد الكراسي ذات الذراعين، ومشى باتجاه الردهة.

"اسمعوني جميعكم، هذا لم يعد مهمّاً مطلقاً".

عندما رأى ڤينسنت القنبلة للمرّة الأولى منذ ثلاثة أيام، تحدّى الرجل الذي علمه المشي.

كان ڤينسنت يعي أنه هو ربّما من بدأ ذلك.

"فيليكس، لم يعد الأمر مهمّاً الآن".

كان ڤينسنت يشاهد اللقطات الطويلة لصور سيارة إسعاف وشرطي لم تكن إصابته خطرة.

" لم يَمُت أحدٌ. وبالتالي، ما حصل اليوم لم يَعُد مهمّاً".

هو من بدأ ذلك. و... ربما كان الشخص الوحيد الذي يمكنه إنهاؤه.

"لننسَ الأمر. لن نتحدث عنه بعد الآن. وأنتما... توقّفا عن الشجار".

نظر إلى فيليكس الواقف عند المدخل، وإلى ليو الذي كان يسوّي الكرسي المقلوب، وإلى جاسبر الذي ضاق ذرعاً بالأزرار المفقودة وخلع قميصه.

" ڤينسنت مُحِقّ".

ارتطم ليو بالطاولة، فاصطدمت الزجاجات فوقها بالكؤوس التي اصطدمت بدورها بجهاز آلة الشرطة الماسحة. أشار إلى التلفاز، حيث استُبدِلَت

مشاهد الفوضى في المحطّة المركزية بمشاهد من مدينة صغيرة تبعد ثلاثين ميلاً عن ستوكهولم؛ حيث أشرطة الشرطة، والمتفرّجين الفضوليين المحتشدين أمام مصرفين مزّقهما الرصاص وأبواب خزناتهما مفتوحة.

"لم يعد الأمر مهماً الآن. فالشيء الوحيد المهمّ هو أننا هنا معاً. وأنّهم في الخارج لا يملكون أيّة فكرة عن هوياتنا أو عمّا سنفعله لاحقاً".

—

حصانٌ أسود شعره كثيف ومتدلٍّ، وهو يقف على قائمتيه الخلفيتين محدقاً إليه من مكانه على زجاجة الشراب.

هذا ما يراه الآخرون. ولكنّ هذا الحصان حرّ ولا يمكن ترويضه، وهو يصهل عالياً، ويحلم أن يكون في مكانٍ آخر. يمكنه أن يرى ذلك، في حين أنّ الآخرين يعتقدون أنهم فقط يحتسون شراب الخوخ بسعرٍ معقول.

كان إيڤان جالساً على مقعد قرب طاولة المطبخ في شقّة الطابق الأرضي التي استأجرها في موقع جميل في وسط أوزمو. قضى معظم النهار في المطبخ. في بعض الأحيان يحدث ذلك، وخاصة حين يشتد البرد في الخارج ويسمح وقته بذلك. أحكم قبضته على زجاجة الشراب، وسكب نصف الكميّة التي تحتويها في المقلاة فوق ملعقتين من السكر الذي سيذوب ببطء، ثم سكب المزيج في كوب قهوة كبير وشبه نظيف. إنه يوم نموذجي، ولكنه ليس كذلك تماماً. بعد أوّل عشر بطاقات "كينو" وأوّل قنّينة شراب وأوّل سيجارة اتصل بابنه البكر. إنها المرّة الثانية فقط التي يتّصل به فيها خلال سنوات. ومن دون دفتر عناوينه، لم يكن متأكداً من أن لديه الرقم الصحيح. كان الرقم صحيحاً، ولكن الصوت لم يكن نفسه. إذ كان معكّر المزاج، وكان كلامه مُختَصَراً، وليس لدي وقت. ثمّ سمع نشرة أخبار مطوّلة عبر الراديو عن قنبلة موضوعة في إحدى الخزائن الصغيرة في ستوكهولم، والتي انفجرت

بينما كان الأخصائيون يحاولون تعطيلها. قنبلة في وسط المدينة. إنه يعيش في السويد منذ ثلاثة عقود، ولكنه لا يتذكر أية قنبلة غير تلك التي وُضعت في سفارة ألمانيا الغربية، وربما واحدة أخرى. فالقنابل تستعمل في أماكن أخرى ولأسبابٍ أخرى، أماكن تركها وراءه. بعدها، عشرون بطاقة "كينو"، مجموعات عنقودية وتشكيلات متكتّلة وهياكل من الأرقام التي تظهر روابطها في عينيه فقط قبل أن يتمّ السحب. بعد ذلك، احتسى المزيد من الشراب، ودخّن بعض التبغ، واستمع إلى إذاعة راديو ستوكهولم وهي تبثّ معلومات عن سرقة مصرف، أو سرقة مصرفين، هنا في أوزمو، على بعد خمسمئة ياردة فقط من نافذته.

إنه نهار نموذجيّ، ولكن ليس بالفعل.

احتسى أوّل رشفة من الشراب الدافئ، فيما تناثر التبغ حول منفضة كبيرة، وعلى لوح تقطيع اللحم المدخّن بالقرب من سكّين تفوح منها رائحة البصل.

حصان أسود يصهل عالياً وهو يرفع قائمتيه الأماميتين. تذكّر حصاناً أبيض لم يصهل قطّ، حصل عليه في ذكرى ميلاده الخامسة والثلاثين من صبيّ يبلغ من العمر ثماني سنوات ويدعى ليو. كان حصاناً أبيض من الخزف ممدّداً على الأرض ومستريحاً. كان ابنه قد رأى الملصق على زجاجة الشراب هذه عدة مرات، واعتقد أن الحصان هو ما يعجب إيڤان.

احتسى رشفات أخرى من الشراب الذي كان بنكهة الخوخ وبعض التوابل، وانحدر السائل الدافئ من حلقه إلى صدره.

سرقة، هنا! سرقتان! إطلاق نار!

كانت النافذة مفتوحة، ولكنه لم يسمع أيّ إطلاق نار. يمكنه التعرُّف إلى ذاك الصوت إن كان مسموعاً، فمن السهل تمييزه عن المفرقعات النارية. إنه صوت إطلاق النار الذي يتلاشى بسرعة. كان سيسمع الصوت بالتأكيد لو أنّ أحدهم

أطلق النار! ولكن، بحسب الإذاعة، تم إطلاق بضع دزينات من الطلقات.

فوق جهاز التبريد الضيق في الحمام تتدلى أربعة جوارب كان قد غسلها بيديه. أوقف الشراب إحساسه بالألم في ركبته، وساعده الآن على تحمّل رطوبة جوربيه حين أدخل رجليه في حذائه البالي.

كانت هناك سترتان معلّقتان على المشجب، فتردّد محتاراً بين الرماديّة الفاتحة والرمادية الداكنة.

واختار أخيراً الرماديّة الفاتحة.

وضع يديه داخل جيبَي سترته، فتمدّد القماش على ظهره وهو يَهبِطُ السلالم ويجتاز البوابة. المغلف المليء بالأوراق النقدية جعل تزرير جيب القميص عند الصدر أمراً صعباً. فرغم أنه أصبح أقل سماكة وأكثر تغضناً الآن إلا أنه ما زال يحتل المساحة نفسها. مصروف الجيب. ثلاثة وأربعون ألفاً أصبحت الآن تسعة وعشرين ألفاً وخمسمئة. إذ كان يبتاع أوراق لفّ السجائر من نوع "ريزلا"، والكثير من الشراب وبطاقات "كينو".

خرج إلى شارعٍ كان لا يزال نائماً، ومرّ بالقرب من الفيلّات والمنازل، ونزل إلى أسفل التلّة بالقربٍ من موقف الحافلة خارج المكتبة، وهناك رأى أوّل سيارة شرطة. ثم رأى الساحة المستديرة المطوّقة، حيث رجال الشرطة في بذلاتهم وقبّعاتهم المضحكة يتمشّون في أرجاء المكان، ويتحدّثون مع أيّ شخص قد يتحدّث إليهم. في هذا الوقت من السنة، ينتشر النهم والجشع. فهناك أناس يسمّنون أنفسهم؛ حيوانات حيّة تأكل حيوانات ميتة، فرح مصطنع، والكلّ يضحكون إلى أن يبدأ أولادهم بالصراخ. ولكن، لأول مرة كانت أضواء الزينة مفيدة، فقد أضاءت مسرح الجريمة. اقترب أكثر من سكّان أوزمو المحتشدين الذين ليسوا ذوي أهمية بما يكفي ليكونوا شهوداً بالنسبة إلى الشرطة. ولكنهم بالرغم من ذلك كانوا هناك، وتكلّموا

مع بعضهم عمّا حدث، وعما رأوه: الرجل ذو القناع الأسود أطلق النار بوحشية، وقلب مدينتهم الصغيرة إلى ساحة حرب. مدّ إيڤان رأسه فوق الحشود، فتمكن من الرؤية بشكل أفضل. رأى الواجهات الأمامية للمصرفَين، والأشخاص الذين يتحركون في الداخل.

الفضولي كان هناك. إنه واحدٌ منهم. كان إيڤان متأكداً من ذلك.

ذلك الفضولي الذي لوّح بشارته في وجه ليو، محاولاً التلميح إلى أن إيڤان دوڤنجاك جرذ صغير يتسلل إلى بيوت الناس الآخرين.

شقّ طريقه بين المتفرّجين الفضوليين، ونظر إلى الفضوليّ الصغير الذي يتمشّى في المصرفَين متفرجاً على كاميرات المراقبة المحطّمة والواقعة على الأرض، والكراسي المقلوبة، وصناديق النقد المقلوبة رأساً على عقب. وكانت هناك امرأة قربه، جاثية على ركبتيها، ومرتدية بذلة بيضاء، وهي تلبس في يديها قفّازين مطّاطيين، وتجمع الخراطيش الفارغة. وقف إيڤان هناك إلى أن استدار الرجل الفضولي ونظر إلى الأشخاص الذين كانوا يتأملونه.

نظر إليهم، ولكن ليس فعلياً.

يجب أن تعرفني، فقد سعيت إليّ سابقاً واستفززتني. والآن، ها أنت تنظر إليّ وكأنني لست موجوداً؛ لأنّك لم تأتِ بحثاً عنّي لتسألني عن أية عملية سطو. فلسببٍ ما، لقد قصّرت في أداء مهمّتك.

ثمّ اتّجه الفضوليّ إلى ما وراء نافذة الموظّف، وإلى داخل ما قَدَّرَ إيڤان أنّها حجرة الخزنة. فرأى إيڤان ما كان الشرطيّ يقف أمامه وينظر إليه من دون أن يفهم.

ثمانية ثقوب رصاص على الزجاج المقاوم للرصاص.

وكانت تشكّل معاً... صورة وجه لديه عينان وأنف وفم تعلوه ابتسامة ساخرة وملتوية.

ابتسامة ساخرة لعينة، في وجه هذا المتطفّل وزملائه.

وقف إيڤان هناك خارج المصرف في عتمة أواخر العصر، ونظر إلى الوجه بين شظايا الزجاج وأغلفة الرصاصات، وحاول ألا يستمع إلى الناس حوله وهم يتكلّمون ويتكلّمون عما رأوه، والذي بدأ يتغير، وفكّر في المجموعات العنقودية. إنها أحداث لا يظهر أنها مترابطة، ولكنها كذلك؛ تماماً كالأرقام المتسلسلة على بطاقة "الكينو". فكّر في ذلك المتطفل، وفي المغلف في جيبه الأمامي، والمصرفين اللذين سُرِقا على بعد مئات الياردات فقط من منزله، والابتسامة؛ تلك الابتسامة الساخرة الموجّهة للأشخاص الذين يرونها. وفكّر أيضاً في الأشخاص الموجودين هناك وينظرون الآن إليه، ثم انشقّ عن الجموع وابتعد عنهم. ومع كل خطوة خطاها، كان شعوره بأنه مراقبٌ يزداد. كما لو أن عينين لا تطرفان أبداً مثبّتتان على ظهره.

آنئذٍ

القسم الثاني

كانا لا يزالان واقفين في المصعد الضيّق بدون حراك، في ضوء يزعج العيون. ما زالا ينظران إلى بعضهما عبر زاوية ضيّقة في أعلى المرآة، حيث أصبحت طبقات الطلاء أكثر رقة. ومن حين إلى آخر، للحظة فقط، وكي لا ينتبه أبوه، كان ليو يسترق النظر إلى سكين مورا في يَدِ أبيه الذي لا يزال ظاهراً بالرغم من أن أباه يمسك المقبض الخشبي بقوّة لدرجة أنّ مفاصل أصابعه أصبحت بيضاء.

لو أنه يفتح باب المصعد...

"سيحكم عليّ، اللعنة. في الحقيقة، أنت قمتَ بذلك".

لو أنّه يتوقّف عن النظر إلى هاتين العينين من خلال غشاء من الغرافيتي.

"لقد ضربته".

ولكنه لن يكون هنا بعد الآن، في هذه اللحظة، حيث كان أقرب إلى كونه بابا أكثر من أيّ وقت مضى.

"مباشرة على الأنف".

هذا الصوت، صوت بابا يرتجف من الداخل، وبابا يبتلعه كما يفعل ليو عادةً.

"كان من الممكن أن أخسرك!".

"بابا".

"الباب".

"بابا، كلّ شيء سيكون على ما يرام. فكّرت في أدقّ التفاصيل. بعدها، كل شيء تمّ تحديداً حسب ما خطّطت له. لقد تبعاني إلى هنا- هاس وذاك الفيلّندي النذل- وأنتَ رأيتَ كلّ شيء من الشرفة. رأيتني وأنا أضربهما على أنفيهما، هكذا، في الوسط".

"افتح الباب".

"ألا تريد أن ترى كيف؟ هكذا، في وسط..."

"هل ستفتح باب المصعد اللعين؟".

"الآن؟".

"الآن".

كان صوت والده يبدو طبيعياً تقريباً. فصوته لا يرتجف بِقَدرِ ما كان يَرتَجِفُ من الداخل.

فتح ليو باب المصعد، ثم باب الشقة.

إنها الشقة نفسها ذات الغرف الأربع التي تقع في الطابق السابع وسط سكوغاز، والتي تركها منذ وقت ليس ببعيد.

إنه يعرف ذلك طبعاً. ولكن، بالرغم من ذلك، بَدَت الغرف أصغر.

بدت متقلّصة، وضيقة.

كان يقف في ممر المدخل الذي أصبح أقصر شيئاً فشيئاً، وضاقت المسافة بين جدرانه فأُغلقت على بعضها بعضاً؛ منذ أن أخذ سكين "مورا" من بنطال أبيه ومشى إلى المدرسة مع فليكس هذا الصباح. أحسّ أن عليه أن ينخفض كي لا

يضرب رأسه بالسقف عندما طلب منه أبوه خلع سترته وقميصه. أحس ببرد قارس لدرجة أنه شعر بقشعريرة تصعد من معدته إلى حلقه بينما كان أبوه يتفحّص التّمزق على كُمِّ سترته، ومن ثم الثقب في كتفها، ثمّ الخدش على كتف ليو عند نهاية عظم الترقُوة الذي لم يعد ينزف. مرّر أبوه أصابعه على السطح الجاف غير المستوي.

"إنه لا يؤلم أبداً بابا، بالكاد لمسني..."

دخل أبوه المطبخ، وأشعل الموقد، وسخّن الشراب والسكر، ثم جلس إلى طاولة المطبخ وسكب لنفسه كأساً من ذلك الشراب.

كان ليو يراقبه من الخلف، وتمنّى لو أنه جلس بجانبه، وأراه الخدش مرّة أُخرى، والدم الذي أصبح بنيّ اللون ولم يعد من الممكن الشعور به. مشى في الرواق الذي بدا له أقصر من المعتاد، ووقف أمام الباب المفتوح. ڤينسنت الذي كوّم كل الجنود خاصته على الأرض في مجموعة واحدة كبيرة زحف إلى سريره، وسحب طابة كرة مضرب جديدة من بين الأرانب المغبرة، ثم استدار نحو ليو وابتسم له.

"انظر يا ليو، إنها قنبلة. ستسقط كلها أرضاً في الوقت نفسه".

ثم رمى ڤينسنت الطابة على جنوده مراراً وتكراراً، محضراً إياها بعد كل رمية. كان يحضرها ويرميها، ثم يحضرها ويرميها... إلى أن سقطت كل دمى الجنود معاً من ضربة واحدة.

"سوف نسقطه".

همس فيليكس من ورائه.

"كيس الملاكمة يا ليو. سوف ندخل ونقفل الباب".

وضع فيليكس المقعد ذا القوائم الثلاث في وسط غرفة المكتب، ثم صعد عليه وتمدّد نحو السقف، من دون أن يتمكّن من الوصول إلى العقيفة المثبتة في الأعلى.

"كان ينبغي أن تكون هناك لمبة، اللمبة التي نزعها بابا. لو كانت لا تزال هناك، لَما طعنك كيكونن أبداً بسكّين بابا... ولما كنت على وشك الموت".

" لم يحدث شيء. فيليكس، لقد ضربتهما وتغلّبت عليهما، كليهما".

"لن يكون الأمر على ما يرام. أبداً! أتسمعني؟".

حاول فيليكس مجدداً، ووقف على وسط الكرسيّ على رؤوس أصابعه، وذراعاه ترتجفان. كاد يلامس العقيفة، ولكن من دون أن يتمكن فعلاً من الوصول إليها، ومن دون أن يتمكّن من نزعها. ثم جلس على الكرسيّ وهو يعضّ شفتيه، كما يفعل عادةً عندما يبكي ولا يريد أن يراه أحد.

"هل أنت حزين؟".

إنه في السابعة من عمره فقط. لو كنت في السابعة من عمرك لَما تمكّنت من نزع كيس لعين عن عقيفة في السقف.

"ل... ل... لا".

سمع ليو فيليكس وهو يحاول أن يقول لا ولكنّه راح يَشهَقُ أثناء ذلك.

كلمة لا مجزّأة.

ل... ل... لا.

"إن السبب هو هذا الكيس الغبي، وعقيفة السقف الغبية".

نهض فيليكس ولكم الكيس، ثم لكمه مجدداً ومجدداً، إلى أن أنهك نفسه. ثم شاهد ليو وهو يصل إليه، ويرفع كيس الملاكمة نحو السقف إلى أن انزلقت عقدة الأنشوطة عن العقيفة، وسقط الكيس أرضاً. ثم أعطاه فيليكس اللمبة، فوضعها في مكانها من أوّل محاولة.

ثم غادرا الغرفة، أصغر غرفة في المنزل، وقد أصبحت الآن أصغر بكثير.

كانت غرفة ڤينسنت أكبر حجماً. جلسا في الغرفة، كلٌّ منهما على زاوية سجادة عليها رسمُ مدينة، وهما يشاهدان أخاهما الصغير وهو يوقف كل دمى الجنود البلاستيكية الخضراء والبنية على الأرض، ثم يرمي نحوها كرتيَ مضرب، واحدة من كلّ يد؛ قنبلتان في الوقت نفسه.

كانوا يجلسون هناك منذ فترة طويلة عندما سمعوا أصواتاً يعرفونها جيّداً آتيةً من خلف الجدران؛ توووت- توووت - توووت – توووت، ثم مجدداً: توووت- توووت – توووت – توووت، ثم مجدداً: توووت- توووت - توووت - توووت - من سيارة زرقاء.

"هيا!".

ترك ڤينسنت جنوده على الأرض، وركض إلى النافذة، وتسلق العلبة المليئة بقطع الليغو.

"ليو، فيليكس، تعاليا إلى هنا!".

وقفا إلى جانبي أخيهما الأصغر، وهما ينظران من النافذة. كانت سيارة بيع المثلجات الزرقاءِ التي تصدر أصواتاً مرتفعة قد توقفت أمام البناية رقم اثنين؛ أي البناية التي يسكن فيها جاسبر. ثم سارت قليلاً وتوقفت أمام البناية رقم أربعة؛ حيث تسكن ماري التي كاد ليو أن يقوم بعلاقة حميمة معها في إحدى المرّات، ثم

أمام البناية رقم ستة؛ حيث تسكن العائلة التركية المؤلفة من فاروق وإمري وبكير، ثم انطلق الصوت مجدداً وهي تتجه نحو باب بنايتهم الأمامي، حيث ستتوقّف هناك طالما أنّ الزبائن ما زالوا يتدفقون إليها.

"أيها الأولاد!".

بسبب الصوت العالي، لم يسمعوا وَقعَ قدميه الثقيلتين في الرواق.

"يا أولادي!".

من الصعب معرفة ما إذا كان والدهم غاضباً أم لا. فالصوت لا يبدو غاضباً، ولكن هاتين العينين لا يمكن معرفة ما تعكسانه من مشاعر.

"المثلجات! اللعنة! سيحصل أولادي على بعض المثلجات. أحضروا سُتراتِكُم!".

بدأ ڤينسنت بالركض من النافذة باتّجاه الرواق، ثمّ إلى الباب الأمامي. وتبعه فيليكس وهو يمشي ببطء، ولكن خلفه تماماً، فيما بقي ليو مكانه. كانت دمى الجنود عند قدميه، وطابتا كرة المضرب في يديه، فأفلتهما من يديه، ووقعت دمى الجنود فوراً.

ثمّ ذهب لمساعدة ڤينسنت في انتعال حذاءٍ كان يوماً له، وفي ارتداء معطف الثلج الذي كان لفيليكس، وكان يحبّه كثيراً ويزرّره بالكامل. ثم اعتمر ڤينسنت القبّعة التي كانت وحدها ملكاً له منذ البداية. في ذلك الحين، كان والدهم يُفرغُ ما تبقّى من الشراب في جوفه.

كان الفصل شتاء عندما وقف بالقرب من أبيه في المصعد منذ أقلّ من ساعة. أما الآن، عندما فتحوا باب المصعد، شعر ليو بأن الفصل قد تحوّل إلى ربيع؛ حيث العصافير، والأشجار، والشمس. وفي الخارج، وقفت سيارة بيع المثلّجات، في

الموقع ذاته حيث سقطت سكين مورا.

"أيها الأولاد، اختاروا النوع الذي ترغبون فيه".

اللطمة الأولى. مباشرة على الأنف.

"اختر يا ليو، هذه هديّة بابا".

بقيَ واقفاً ولم يهرب، حتّى عندما تناول كيكونن السكين الحادة.

"ولكن، فقط مثلّجات الأسكيمو".

بقيَ واقفاً... طوال الوقت.

في يد أبيه ورقة نقدية من فئة مئة كرونر. بدا والده مختلفاً. فرغم أنه كان يبتسم، إلّا أنه كان يرتجف من الداخل.

"هذه".

اختاروا ما يريدونه.

"ربّما... هذه".

بالأحرى، ڤينسنت هو الذي اختار.

"لا، هذه".

تلك الخضراء التي يشبه طعمها الإجاص، علبة كاملة منها.

"أيها الصبية، دعونا نتمشّى الآن. سوف نأكل بعض المثلجات ونتنزّه!".

والده طويل القامة، حتى مقارنةً مع الآباء الآخرين. وعندما كان يضع ڤينسنت على كتفيه، كان يصبح بعيداً جداً عن الأرض. مشى ليو قربه، وفيليكس

على بعد بضع خطوات وراءه. كان كلّ واحد منهم يحمل قطعة مثلجات الأسكيمو الخضراء الخاصة به، فيما والده يحتسي الشراب. مشوا في باحة مرأب سيارات، باتجاه مَرجٍ وملعب كرة قدم فيه قوائم مرمى وشباك جديدة، ثم إلى الغابة قرب خليج الشاطئ، حيث يمكنك سماع صوت الجليد وهو يتكسر.

إنّهم في شبه جزيرة، أو ربّما في رأس؛ في قطعة أرضٍ صلبة تمتدّ داخل المياه، جاعلةً الساحل أقلّ استواءً. كانت الصخور الضخمة مرتمية الواحدة فوق الأخرى، أحجيّة ذات حوافّ لا تتناسق فعلاً مع بعضها بعضاً. توجد فقط شجرتان على امتداد الرأس؛ شجرتا صنوبر ليستا عاليتين جدّاً، ذاتا أغصان قاتمة اللون من جرّاء العفن المتشبّث بها؛ إذ يذوب الثلج عنها سريعاً.

ثلاثمئة ياردة من مساحة المياه. بحيرة دريفيكن. في الصيف القادم، سوف يسبح هناك ويجتاز كلّ تلك المسافة. لقد حاول فعل ذلك في العام الماضي. فقد سبح واجتاز نصف المساحة ذات ليلة، في الوقت الذي كان فيه سطح المياه هادئاً. بإمكانه إنجاز الأمر في المرة المقبلة؛ إنّه متأكّد من ذلك. حينها، التفت حوله فيما كان فيليكس وڤينسنت يصرخان بأعلى صوتيهما حتّى اخترق صدى صوتيهما المنحدرات الصخريّة. كانا يطالبانه بالإسراع في العودة، لأنّه كان قد أكل للتوّ وقد يغرق كقطعة قرميدٍ في حال أكمل السباحة. إنه يتساءل أحياناً عمّا إذا كان من الممكن أن يحصل ذلك فعلاً، وعمّا إذا كان الأمر سيبدو أشبه بسقوط قطعة قرميد؛ لأنّ القعر عميقٌ هناك.

تستغرق عمليّة الذهاب من هناك إلى شواطئ سكوندال حيث يعيش جدّاه نصف ساعة فقط على متن القارب. ربّما عندما يصبح أكبر، قد يستطيع أن يسبح كلّ تلك المسافة للوصول إلى منزلهما في وقتٍ من الأوقات. ربما سيستطيع إنجاز ذلك إذا سبح بالقرب من اليابسة، حيث الأمواج أدنى مستوى، وإن لم يأكل مسبقاً، وإذا وضع ثياباً جافّة في كيسٍ من النايلون وثبته على ظهره.

جرعة أخرى. جلس أبوهم تحت إحدى شجرتي الصنوبر وهو يبتلع بصوتٍ عالٍ.

عندما يصدر أبوه صوتاً، فعلى الأقلّ سيعلم أين هو وماذا يفعل.

وعندما لا يصدر أيّ صوت، يشعر ليو حينها أنّ كامل جسمه بات في وضعيّة الجهوزيّة.

زجاجة الشراب الثانية شبه فارغة الآن، فهي تحتوي على بضع نقاط بعد ومن ثمّ لا شيء. وعندها، سيلقيها أبوه على الأرض. وهذا ما حصل، فبدأت الزجاجة بالتدحرج خلف السدّ نحو الجليد متجهة نحو المياه التي ظهرت قبالة الشاطئ بعد ذوبان الجليد. تدحرجت الزجاجة باتّجاه المياه، واختفت داخلها.

"اجمعوا عيدان مثلّجاتكم".

الآن صار والدهم ينظر إليهم؛ إلى فيليكس، وإلى ڤينسنت، وإلى ليو الذي راح يبحث فوق الأرض عن عيدان مثلّجات ملقاة بين العشب الذاوي والأوراق البنّية. أكلوا الكثير منها؛ لدرجة أنه أحسّ بانتفاخ معدته عندما يضغط عليها.

"كلّ واحدة منها! ثمّ تعالوا إلى هنا حاملين عيدانكم".

جمعوا أحد عشر عوداً، ثمّ توجّهوا إلى شجرتي الصنوبر، فمدّ والدهم يده.

"أعطوني إيّاها".

ينبغي عليهم الجلوس حوله، مثل ثلاثة هنود حول زعيمهم.

"حسناً. والآن، ليسترجع كلٌّ منكم واحداً".

"أيأخذ كلّ منّا واحداً؟".

"أجل، عود واحد لكلٍّ منكم".

أخذ كل منهم عوداً بسرعة، ثم جلسوا كما فعلوا سابقاً، حاملين ثلاثة

عيدان مثلّجات، وهم لا ينتظرون شيئاً؛ لا شيء سوى تصدّع الجليد الذي يستعدّ للانفلاق بالكامل؛ بصوتٍ أعلى ووتيرةٍ أسرع.

"الآن، ستكسرونها".

سمعوا جميعاً ما قاله أبوهم، إلّا أنّهم لم يفهموه.

"اكسروها، من الوسط".

"هل أكسره، هل أفتّت عود المثلّجات المشؤوم؟".

"ليو!".

سمع صوت أبيه وقد نفد صبره منزعجاً. إنها النبرة التي تعني أنّ أيّ شيء قد يحدث.

شهيق، زفير.

كان عود المثلجات يمتدّ مثل جسرٍ بين يدي ليو، ثم ضغط عليه، وكسره... إلى جزءين.

هذا سهلٌ جدّاً.

ثمّ حاول فيليكس فعل الشيء نفسه، تماماً مثل ليو. كان طرفا العود بين أصابعه، وشعر بالألم حين ضغطا على الجلد والعظام. حاول مجدّداً، ومجدّداً.

"فيليكس".

ضغط فيليكس مجدّداً، غير مكترث بالألم الذي شعر به حين انغرز طرفا العود في العمق قبل أن ينكسر. برزت أضلع ناعمة كالهوائيّات من كلّ طرفٍ مكسور.

"ڤينسنت؟".

كان جسم ابن السنوات الثلاث في طريقه إلى الماء، فيما الريح تتلاعب بشعره الناعم. ثنى ركبتيه، والتقط شيئاً عن الشاطئ، ثمّ عاد حاملاً حجراً أبرز حجم يديه الصغيرتين. وضع عود المثلجات على سطح المنحدر غير المستوي، ثم رفع ذراعيه فوق رأسه، وبعد ذلك ضرب العود بالحجر بقوّة. وكرّر ذلك عدّة مرّات.

انكسر العود قليلاً، على الأقلّ عند طرفٍ واحد.

"كيف سار الأمر؟".

إنّهم مجتمعون في حلقة، وكان كل من ليو وفيليكس يحمل قطعتَي العود الخاص به.

"هل هما مكسوران؟".

"أجل".

"بالكامل؟".

"أجل".

"هذا جيّد. والآن، ليو، أنت الأقوى. خذْ هذه العيدان الخمسة منّي، واكسرها من الوسط في الوقت نفسه".

"أأفعل ذلك بيديّ!؟".

"كما فعلتَ سابقاً".

نظر ليو إلى أبيه الذي توقّف أخيراً عن الارتعاش من الداخل، أبيه الذي كان في طريقه إلى مكانٍ ما، وإنّما من دون أن يقول إلى أين.

بدت عيدان المثلّجات الخمسة سميكة جداً بين يديه. شدّ ليو كتفيه وذراعيه وأصابعه بقوة في محاولة منه لكسرها، ولكنه لم يتمكّن من القيام بذلك.

ليس هذه المرّة.

تقرّحت راحتا يديه بسبب محاولته كسر العيدان، وبسبب مقاومتها لذلك.

ببساطة، إنه لا يستطيع كسرها.

"أنا..."

لم يجرؤ على النظر إلى أبيه. لم يستطع التحديق إلى تينك العينين، لم يستطع التحديق إليه كما فعل في ذلك الحين حين هزم والده الرجل ذا الشعر الأشقر المموّج وصديقه ذا الشعر الطويل خارج مركز التسوّق.

"... لا أستطيع فعل ذلك".

خمسة عيدان رفيعة، أوقعها فارتدّت عن سطح الصخرة.

إنه لا يستطيع فعل ذلك.

أغمض عينيه، فشعر بيد أبيه التي استراحت برفق على كتفه، من دون أي شعور بالغضب.

"ذلك، يا أولاد، هو عائلتنا؛ عشيرتنا".

ثم التقط أبوهم العيدان الخمسة، حاملاً ببطء كلّ عودٍ لفترة أمام وجوههم.

"هذا العود هو ڤينسنت، وهذا فيليكس، وهذا ليو، و... ماما، و... بابا".

ثمّ جمع كلّ العيدان معاً وقال:

"العشيرة متعاضدة دائماً".

وبعد ذلك، أطبق بيديه الضخمتين على العيدان.

ڤينسنت. فيليكس. ليو. ماما. بابا.

"نحن عشيرة، أنتم عشيرتي".

حاول كسرها عدّة مرّات وفشل، حتّى إنه لم يقدر على فعل ذلك.

"إذا كانت العشيرة متعاضدة، فلن تنكسر أبداً. أحياناً لا تفهم ماما ذلك؛ لا تفهم ماهيّة التضامن الحقيقي".

إنهم يجلسون بالقرب من بعضهم بعضاً الآن.

"العشيرة صغيرة، ولكنْ يستحيل تدميرها. العشيرة لديها قائد يقودها، وهو بدوره سيسلّم المسؤوليّة للقائد الذي سيخلفه. هل تفهمون؟".

هزّوا كلّهم رؤوسهم إيجاباً، فيما كان أبوهم يراقبهم. وكان في الغالب ينظر إلى ليو.

"هل تفهم ذلك يا ليو؟".

كانت عينا أبيه تنظران إليه بالطريقة نفسها التي نظر بها إليه في المصعد. وإنّما لم تكن هناك مرآة بينهما الآن.

"حتّى الجيوش الكبيرة حاولت سحق العشائر الصغيرة ولكنها لم تفلح، لأنّ العشيرة عبارة عن عائلة يدعم أفرادها بعضهم بعضاً على الدوام".

نظر إليهم، فأدركوا أنّه قال للتوّ شيئاً مهمّاً.

وحاولوا الردّ.

"مثل... الهنود؟".

"كلا، كلا، كلا، كلا! القبائل الهنديّة... مجرّد جماعات عاديّة. وأنا أتحدّث عن العشائر، عن روابط عائلية... تماماً مثل عشيرة جنكيز خان، أو مثل القوزاق".

ثم نهض أبوهم، وتمايل قليلاً فوق الصخرة كما يفعل الناس عادة بعد أن يكونوا قد احتسوا الشراب.

"القوزاق لا بلد لهم... فلديهم فقط عائلاتهم وأصدقاؤهم. إنّهم رُحَّل، وبلا موطن. لذا، بإمكانهم الذهاب إلى أيّ مكان لأنّهم سيظلّون معاً دوماً".

وبعد ذلك، شبك ذراعيه فوق صدره واضعاً كلّ يدٍ على كتف، فيما كوعاه نحو الخارج، ونزل عن الصخرة برجلين مقوّستين مثل أرجل الضفدع، وبدأ بالقفز، أو ليس القفز بالضبط، بل كان يركل قاذفاً رجلاً واحدة في كل مرة. والآن، لم يَعُد ضفدعاً على الإطلاق، بل صار أشبه بجندبٍ يرقص؛ هذا ما راح يفعله، وهو يغنّي أحياناً الكلمات ذاتها طوال الوقت. إنه أمرٌ يصعب القيام به، ولكنّه كان يردد شيئاً ما يشبه نشيد الكالينكا. راح يركل ويتعثّر، فيما تهاوى جسمه الضخم إلى الخلف باتّجاه المنحدر، وضرب رأسه، ولكنه لم يصرخ، بل ضحك بصوتٍ عالٍ بطريقة نادراً ما كان يفعلها.

"في العشيرة، العشيرة الحقيقيّة، لا نؤذي بعضنا بعضاً مطلقاً".

بعد حين، نهض مجدّداً.

"في العشيرة الحقيقيّة، لا نشي ببعضنا بعضاً".

كانت رائحة الشراب التي تفوح منه تمتزج مع رائحة عرقه العالقة على قميص عمله الضيّق.

"في العشيرة الحقيقيّة، نحمي بعضنا بعضاً دوماً".

كان ليو يعرف أنّ الأمر ليس كذلك على الأرجح، ولكنّه ظل يشعر بأنّ أباه يتحدّث إليه وحده.

"وإلّا... فسنفقد بعضنا بعضاً".

بقوا هناك لمدّة طويلة. كان أبوهم يجلس تارةً على الصخرة، ويتمدّد تارةً أخرى على المنحدر، وحتّى إنه نام قليلاً، أو ربّما لم ينم، وإنما صمت فقط أو لعب دور الراشد. لطالما اعتقد ليو أنّه من الغريب أن يتمكّن أبوه من الرقص وغناء الكالينكا للحظة، ثمّ الانفراد بذاته في اللحظة التالية. وعندما تنحّى جانباً، قال أشياء لم يفهمها ليو. لم يكن سبب ذلك أن أباه تلعثم في كلامه، بل كان أكثر ما قاله عن الوقت الذي كان فيه صغيراً، وحين كبر وجاء إلى السويد؛ هذا ما تكلّم عنه فيما تسمّرت أنظاره فوق البحيرة.

إنّهم يسيرون الآن الواحد تلو الآخر في صفٍّ طويل نزولاً في درب الغابة الضيّق. كانت فترة بعد الظهر أبرد قليلاً، فلفّ ليو السترة المبطّنة حول جسمه بشدة. لم يتنقّلوا بسرعة؛ حتّى بعد أن توقّف ڤينسنت فجأةً محرّكاً رأسه وطالباً النجدة فحمله ليو. بابا في آخر الصفّ، يدندن بشيء ما من دون أيّ كلمات. فزع من نفسه مجدّداً، ولم يعد الصمت، ولا مرّة طوال سيرهم على امتداد بحيرة دريفيكن، عبر الغابة، بعيداً عن ملعب كرة القدم والمرج والمدرسة وعلى طول الطريق وصولاً إلى الباب الأمامي.

هناك دائماً زجاجة أخرى.

رفّ زجاجات الشراب تحت حوض الجلي فارغ، لكنْ خلفه هناك زجاجةٌ أخرى، تلك التي تبقى دائماً هناك حتّى لا ينفد من عندهم الشراب. أخذ والده الزجاجة واتّجه إلى غرفة النوم، واستلقى على السرير غير المرتّب، وانتظر ليو ليقفل الباب حتّى يغفو. من المهمّ أن يخلد أبوه إلى النوم، أن يعود السكون، وألّا يشعروا بالقلق لبرهة. الشخير الذي بدأ يدمدم بخفّة من داخل غرفته يعني ذلك.

معاطفهم على ثلاثة معاليق في المدخل، وفيليكس واقفٌ هناك يدقّق النظر في الدائرة الواسعة حول ثقب في الكتف اليسرى لمعطفٍ مبطّن وآخر في الكمّ الأيمن. معطف ليو. مرّر إصبعه الوسطى وسبّابته على الحوافّ الممزّقة ليكشف عن الشيء الأبيض داخله الذي ينتأ منها، الشبيه بالقطن، وإنّما أكثر خشونةً وأكثر صلابة. حاول حشره ودفعه نحو الداخل، إلّا أنّه لا يلبث أن يقفز خارجاً.

إذا قلب ثقب السكين من جهة الكتف مقابل الحائط، فبإمكانه رؤية ثقب من جهة الساعد. وإذا قلب الثقب من جهة الساعد مقابل الحائط، فبإمكانه رؤية الثقب من جهة الكتف.

ستعود ماما إلى المنزل في أيّ ساعة.

لا يجب أن تراه.

مشى ليو على رؤوس أصابعه– بعيداً عن شخير أبيه المتقطّع خلف باب غرفة النوم المقفل– إلى المطبخ، انتزع شريطاً لاصقاً من الدُّرج العلويّ تحت طاولة العمل، ومزّق أجزاء صغيرة بغية جمع الثقبين، غير أنّهما بدلاً من ذلك أصبحا أكبر. وجد فيليكس بضع إبر، ولكن ما من خيط لونه مطابق رغم كثرة العلب والأواني الزجاجيّة التي راح يفرغها على أرض المدخل، ثمّ جرب استعمال أنبوب غراء كان على سطح المكتب، ولكن لم يستطع أيٌّ منهما استخراج شيء منه مع أنّهما كانا يضغطان بقوة حتّى باتت أصابعهما تؤلمهما.

"لن ينفع ذلك يا ليو."

"سنقلب الثقبين. هكذا... مقابل الحائط".

"ستراهما!".

"والوشاح... هكذا... في الأمام".

"وتعرف ذلك!".

ستراهما، وهو يعرف ذلك.

"حسناً... سأخبرها بأنّه تمزق بسبب الأغصان الشائكة".

"يا لك من غبيّ!".

"ماذا لو قلت لها إن "فاروق" ركل كرة قدم باتجاه بعض الأغصان الشائكة، وإنني حين اتّكأتُ عليها لالتقاطها علقت بعض الأشواك في السترة ومزّقت الكمّ في مكانين، هل ستصدّق ذلك؟".

وضع فيليكس يده فوق ثقب الكتف- تتّسع فيه إصبعان الآن- وهزّ رأسه عدّة مرّات.

"لا، أنا ركلتُ الكرة. هذا أفضل. كنت أحاول رمي ضربة يساريّة، على الرغم من أنّني يمينيّ".

ثمّ وصلت أمهم إلى المنزل.

جلسا في المطبخ بهدوء، يصغيان إلى الأصوات التي تصدرها وهي تضع حقيبتها على الكرسيّ وكيس بقالة على الأرض وتعلّق معطفها على مشجب المدخل.

أسرعت بعيداً من دون أن تحيد عن طريقها. من دون أن تنظر حولها. لم ترَ ثقبَي السكين.

دخلت المطبخ، وعندما سمعت شخير الوالد الصادر من غرفة النوم، سألت عمّا أكلوه على الغداء والعشاء. وقبل أن يتمكّن ليو من الردّ، صرخ ڤينسنت من داخل غرفته مثلجات، وأضاف ليو أنّه حضّر فطائر بعد ذلك. ولهنيهة، بدا أنّها

صدّقته.

"فطائر!".

بحثت عيناها في المطبخ عن مقلاة، فلم تجدها على الموقد ولا على حمّالة الصحون، ولم ترَ صحوناً تحمل بقايا مربّى الفراولة.

الآن تكلم ليو قبل ڤينسنت.

"أجل".

"أجل!".

"أجل".

إنها لا تشعر بالانزعاج في الغالب، ولكنّها كذلك الآن. الشخير. كلّما شقّ الشخير المفاجئ والمقلق طريقه عبر باب غرفة النوم وغمر الشقّة، لم يكن ليو يرى إلّا وجهها.

"نظّفتُ الصحون. ووضعت كلّ شيء جانباً. كلّ شيء. المقلاة. والصحون".

فتحت أحد أبواب الخزانة. لكنْ ليس حيث المقالي والصحون، بل تلك التي تحت المغسلة. سحبت سلّة المهملات، وكلاهما رأياها في الوقت نفسه. زجاجات فارغة، ورفّ فارغ أيضاً.

إنّها منزعجة.

"حسناً".

لكنْ ليس منه أو من أكاذيبه.

"ماذا تريدون على العشاء؟".

وضعت يدها على خدّه. بشرتها ناعمة جداً كما هي دوماً.

"ماذا تقول؟ فطائر!".

"فطائر".

ساعدها في إخراج الطحين والبيض والحليب والملح، والقليل من اللحم المدخّن الخاصّ بوالده، والذي يقطّعه إلى شرائح سميكة بواسطة سكّين مطبخ طويل ويأكله مع البصل.

فطائر بالفُرن.

"متى ذهب بابا إلى غرفة النوم؟".

"عندما وصلنا إلى المنزل".

"المنزل!".

"أجل".

"مِن أين جئتم؟".

من حيث اشترينا المثلجات. من حيث شرب والده زجاجتَي الشراب. من حيث حاول كسر عيدان المثلّجات التي صَعُب كسرها، كما يصعب كسر العائلة.

"مِن أين؟".

"المدرسة".

يدها موضوعة بلطف على خدّه.

"مِن أين؟".

كلمات. الآن يحصل الشيء نفسه. الكلمات في فمه لن تخرج.

هذا على الأرجح سبب نزوله إلى المدخل بسرعة عندما قرع أحدهم جرس الباب.

كان مستعداً للقيام بأيّ شيء يخرجه من المطبخ، وبعيداً عن اضطراره إلى الردّ على ماما بمزيدٍ من الأكاذيب.

"هل أمّك أو أبوك في المنزل؟".

لم يسبق له أن رأى الرجل الواقف في بيت الدرج.

"من أنتَ؟".

إنّه طويل، بطول أبيه تقريباً، لكنّه يملك شعراً قصيراً، وعينين طيّبتين.

"هل هما في المنزل؟ هل أمّك أو أبوك في المنزل؟".

لا يبدو أنّه يبيع شيئاً. يمكن أن يكون رجلاً جاء ليعرض عليهم مجلّات سخيفة فيها رسوم بألوان زاهية لأولاد يلعبون مع أسُود، رسوم ليست قصصاً مصوّرة.

"ماما في المنزل".

لا. إنّه لا يحمل مجلّات في يديه، وهم في العادة يأتون اثنين اثنين.

آلمته معدته قليلاً. في الداخل، تحت الأضلاع.

من الجيّد أنّ أباه نائم.

فمن المؤكّد أنه أحد أولئك الناس الذين يأتون طلباً لأمه أو أبيه لمناقشة شيء قد فعله ليو أو فيليكس أو أبوه. ولا يجب أن يكون أبوه صاحياً لمقابلته.

"شكراً".

ذهب ليو إلى المطبخ، واسترق السمع؛ بابا لا يزال يشخر. حرص على أن يكون ظهره مقابل غرفة النوم فيما تحدّث إلى أمه التي كانت تحرّك خليط الفطيرة بمخفقة، في حركة دائريّة داخل زبديّة بلاستيكيّة.

"أحدهم يريد التحدّث إليك".

"مَن؟".

هزّ كتفيه.

"أحدهم".

غسلت يديها بماء دافئ تحت الصنبور، وجفّفتهما بالمنشفة المعلّقة على باب الفرن، ثم نزلت إلى المدخل وصولاً حتّى الباب الأمامي.

"مرحباً".

مدّ الرجل ذراعاً نحيلة.

"مرحباً، أنا والد هانسي".

"هانسي!".

صافحته.

هانسي وكيكّونن؟

"وأنا..."

اللذان ألحقا الأذى بابني؟

"... والدة ليو. أنا سعيدة بمجيئك. كنت أنوي الاتّصال بك".

هزّ الرجل الطويل برأسه، وتنهّد.

"أفهم ذلك وأقدّره. لأنّ... هذا غير مقبول".

هزّت أمه برأسها وتنهّدت وفتحت الباب أكثر قليلاً.

"تفضّل. كي لا نضطرّ إلى التحدّث على الدرج".

دخل والد هانسي، ولكنه توقّف عند سجّادة المدخل. وأدركت كيف يراه؛ كأنّ به رواقين. حائطها، وحائط إيڤان. جهتها مع سِلل خيزران ورسوم صنعها لها فيليكس. وجهة إيڤان مع صفوف طويلة لأدوات قديمة وذلك السيف الذي يجب تقويمه دائماً وتحريكه حتّى يعلّق بالضبط في الوسط.

"يجب أن تفهمي... لم آتِ إلى هنا لاتّهامك بأيّ شيء".

كان يتحدّث إليها، وينحني محاولاً أن يبدو أقصر قامة.

"أنا هنا لأنّني أريد التأكّد من أنّك ستتحدّثين إلى ابنك".

غيّرت أمه وضعيّتها، ليس فقط بالاستناد إلى رجلها اليمنى، بل إلى كلتيهما، وكأنّها تستعدّ. لا أحد سواها يمكنه إدراك ذلك. ولكنّه ممكن لليو، إنّه يعرفها، ويعرف أنّها عندما تقف بهذا الشكل تكون تستجمع قواها.

"وأنا أريد التأكّد من أنّك ستتحدّث مع ابنك".

"لقد فعلتُ ذلك. توفّر لنا... متّسع من الوقت اليوم. أربع ساعات في غرفة الطوارئ".

"غرفة الطوارئ!".

"نعم، إنّهما..."

"اليوم؟".

كان لا يزال ينظر إليها من فوق.

"ضربة عنيفة. عظم مفتّت".

التفتت أمه إليه، واقفة على كلتا رجليها، ونظرت إلى وجهه الذي تحوّل تدريجياً من متورّم جدّاً مع بقع زرقاء داكنة إلى مجرّد متورّم قليلاً مع بقع بنّية مائلة إلى الذهبي. وتغيّر تعبيرها عندما أدركت أنّه قد مر أسبوع، وأنّ الظروف قد تغيّرت اليوم. أنّ ابنك بات ابني. وأنّ أحدهم الآن لديه عظم مفتّت.

أخفض ليو نظره، وسمع وأدرك أنّ الشخير قد توقّف.

"أنفٌ مكسور".

"أعرف ذلك. أعمل في الرعاية الصحّية".

سمع باب غرفة النوم وهو يُفتَح.

"لو لم أكن في المنزل اليوم، ولو لم آخذه مباشرةً إلى غرفة الطوارئ، فلربّما بقي تأثير الضربة مرئيّاً، طوال حياته".

سمع الخطوات الثقيلة وهي تقترب.

"رفعوا الأنف، وقوّموا الجدار الأنفي".

التفتت أمه نحوه مجدّداً. وفقط حينها رأت زوجها، خطوات لم تسمعها، شعر أشعث على الجانبين، وخصلات مقدّمة رأسه متراجعة إلى الوراء ومرفوعة بخفّة بواسطة اليد المتعبة التي اخترقتها.

"لست متأكدة تماماً من أنّني أفهم. اليوم؟ أنفه؟!".

"أجل".

"في هذه الحال... أنا آسفة جدّاً. سأتحدّث إلى ليو حالاً، وسنجد حلّاً لذلك. وبعدها، يمكننا الذهاب إلى منزلكم. وسنتكلّم في كلّ ما حدث معاً. أنتَ وابنك، أنا وابني."

الخطوات الثقيلة.

"هل سنجد حلّاً لذلك؟".

بابا.

"بالتأكيد، طبعاً سنجد حلّاً لذلك!".

مرّ أبوه بجانبه، وعبر باتّجاه أمه، ثمّ تخطاها أيضاً، واضعاً نفسه بينها وبين الضيف.

"أليس كذلك، بريت-ماري؟".

كان الضيف على وشك الرحيل ويده على المقبض فيما الباب نصف مشقوق، عندما تقدّم أبي خطوةً مقترباً أكثر.

"مهلاً، لا تذهب. ادخل. ادخل! سوف... نجد حلّاً لذلك".

وغمز ماما.

"أو هل تفضّل ربّما أن ندعوك إلى العشاء؟ بريت-ماري، لدينا ضيف. والد هانسي! عشاء!".

بدا الضيف الطويل مربَكاً، وكان على وشك الذهاب.

"لا... ليس ذلك ضروريّاً فعلاً، الشيء الوحيد الذي أردتُ أن أناقشه..."

ابتسمت له ماما بضعفٍ، ولكنْ ليس لبابا.

"إيڤان، والد هانسي وأنا قد ناقشنا ذلك. يمكنني تفسيره لك لاحقاً؛ عندما يغادر والد هانسي".

لكنّ بابا ابتسم.

"هل أنهيتما؟ أنالم أنهِ كلامي بعد. ليو ابني أنا أيضاً. إذاً... ادخل وحسب. انضمّ إلينا، والد هانسي".

ثم أمسك بمقبض الباب وسحب الباب الأمامي وأغلقه، فيما والد هانسي لا يزال واقفاً على سجّادة المدخل. أشارت إحدى يديه إلى جهة المطبخ تزامناً مع توقف ماما عن التحرّك، أما الأخرى فكانت تلوّح ذهاباً وإياباً في الوقت الذي انحنى فيه والد هانسي لخلع حذائه. لا حاجة لذلك، سينظّفون بعد قليل.

"أردتَ إيجاد حلٍّ لذلك".

إنّهما يجلسان إلى طاولة المطبخ. بابا في بقعته بجانب المنفضة وبطاقات الكينو، ووالد هانسي على مقعد ماما.

"أجل".

"إيجاد حلّ! إيجاد حلّ لماذا بالتحديد؟ لأنّ ولدينا تقاتلا؟ ألأنّ ابني البالغ من العمر عشر سنوات ضرب ابنك البالغ من العمر ثلاث عشرة سنة هذه المرّة؟ ألأنّهما يفعلان ذلك حتّى الآن؟".

نظر والد هانسي حوله بحثاً عن ماما، ولكنها لم تكن موجودة.

"حتّى الآن؟ حسناً، إذا أردتَ تسمية الأمر كذلك. جاء ابني إلى المنزل صباح اليوم بجروح خطيرة جداً، أنف مكسور، وكان..."

"مهلاً".

رفع بابا إحدى يديه في وجه والد هانسي، وأومأ برأسه باتجاه الرواق، للشخص الذي يختبئ في المدخل.

"ليو".

اجتاز ليو العتبة.

"إلى هنا".

لم يمشِ كلّ المسافة، وإنّما قليلاً إلى الأمام إلى داخل المطبخ، نحو الثلاجة.

"ليو، بنيّ، هذا والد هانسي. يقول إنّك لكمت هانسي على أنفه".

محرك الثلاجة يهدر، كما يحصل غالباً.

"هل فعلت؟".

لكنّه لم يهدر قطّ سابقاً بهذا الصخب الشديد.

"ليو، أضربته على أنفه؟".

"أجل".

"هل فعلت ذلك مرّة واحدة؟".

"أجل".

وقف في مطبخ قد بات قاعة محكمة والقاضيان ينظران إليه، أحدهما يبتسم، والآخر يهزّ رأسه بجدّية. ثمّ أخرج القاضي الذي يبتسم بضع أوراقٍ نقديّة من جيب سرواله وقال:

"خذْ".

وسلّم ليو 50 كرونةً.

"في المرّة المقبلة التي تريد فيها الحصول على مبلغ أكبر، اضرب مرّتين. عندها، سأعطيك مئة".

خمسون كرونةً، من مال بابا. أخذ ليو الأوراق المتجعّدة، ومرّر أصابعه عليها وسطّحها.

"بإمكانك الذهاب الآن. اذهب إلى شقيقيك يا ليو".

غمز بابا والد هانسي، كما فعل مع ماما.

"إذاً، هما متعادلان الآن. ابنك ضرب ابني، ثمّ ابني ضرب ابنك. الآن أنهيا الحساب بينهما".

أمسك قلماً بيده، وسحب قسائم الكينو أقرب قليلاً.

"لكنّنا لم ننتهِ مع بعضنا بعضاً. لأنّك جئت إلى هنا، إلى بيتي، وألقيت كلّ اللوم على ابني. في حين أنّ مشاغبك الصغير هو الذي بدأ كلّ ذلك!

وبالتالي، كما تعرف بالطبع، علينا أنت وأنا إنهاء هذا الأمر. على طاولة المطبخ هذه. أعدك، أضمن لك... أنّه في كلّ مرّة يضرب فيها مشاغبك الصغير أيّ شخص منذ الآن فصاعداً، أيّ شخص، فسأبحث عنك، وسأضربك. كلّ مرّة. كلّ مرّة. كلّ مرّة".

نهض والد هانسي عن كرسيّه بسرعة.

"هل تهدّدني؟".

أوقع بابا قلمه، فحدّق من دون أن يحيد بنظره ووجهه مائل كما يفعل عادة.

"كن واثقاً من أنّني سأفعل".

"ظننتُ... أنّه بإمكاننا التحدّث في الموضوع".

"نحن نتحدّث. حتّى الآن".

وقف والد هانسي هناك صامتاً، ووجهه أحمر.

"أنت تهدّدني. تعرف أنّه بإمكاني التبليغ عنك لِما تفعله. تفهم ذلك، أليس كذلك؟".

ضحك بابا بهدوء، أو أوحى بذلك.

"حسناً، افعلها. بلّغ عنّي".

ثم ضحك فعلاً بصوت أكثر صخباً.

"رجال الشرطة الملعونون سيشكرونني. سيشكرونني! لأنّهم منذ الآن فصاعداً سيعرفون من هو مشاغبك الصغير".

ثمّ سار كلّ شيء بسرعة، كما حصل في المطعم مع كأس عصير البرتقال. إذ وقف بابا وأمسك والد هانسي من ياقته وحشره على الحائط بين الثلاجة الهادرة والباب.

"لا تنسَ. في كلّ مرّة يضرب فيها مشاغبك الصغير أحداً، سأضربك. كلّ مرّة!".

رفع بابا صوته، وفُتح الباب المؤدّي إلى غرفة نوم ڤينسنت. ألقى فيليكس وڤينسنت نظرة خاطفة فيما دفع بابا والد هانسي نحو الحائط، ثمّ دفع والد هانسي نزولاً إلى المدخل باتّجاه الباب الأمامي.

"وداعاً، يا والد هانسي. حيّي هانسي من قِبَلي. اعتنِ بأنفه، اضغطه بإحكام، وهزّه قليلاً، وأرسل تحيّة من ليو؛ من ابن إيڤان".

كانت بريت-ماري لا تزال واقفة في المدخل عندما أُغلق الباب واختفت الخطوات من بيت الدرج؛ لا تزال واقفة هناك منذ أن منعها زوجها عن التحرّك، للحؤول دون دخول الضيف إلى الشقّة، وجلوسه إلى مائدة المطبخ مع إيڤان. حاولت رجلاها الارتخاء، وكان جسمها ينشد السقوط على الأرض؛ وكأنّ رجليها لم تعودا تحتملان المزيد. لكنّهما لم تفعلا؛ لأنّها قرّرتْ ألّا تفعلا.

"ليو، فيليكس، ڤينسنت. اذهبوا إلى غرفكم".

"ولماذا عليهم فعل ذلك؟".

"لأنّني أريد التحدّث معك إيڤان. لوحدك".

"أنتِ! هل تعرفين ماذا فعل ابننا اليوم؟".

السترة ذات الكتف المواجهة للحائط والوشاح العريض المعلّق فوقها، تلك

التي لم ترها ماما، الآن تراها عندما يرفعها بابا.

"دافع عن نفسه. عنّا. عن شرفنا".

الثقب بات أكبر الآن. حتّى أصابع بابا يمكنها اختراقه.

"ليو وقف هناك، في مواجهةٍ مع سكين! من أجلنا. يمكنك التكلّم بريت–ماري، افعلي ذلك! لكنْ، عندها عليك التكلّم معنا... كلّنا؛ فنحن عائلة".

منذ أسبوع فقط كان عليها التعامل مع عين متورّمة وخدٍّ أحمر مع بقايا دمٍ جافّ.

"بريت–ماري، هل تفهمين ما أقوله لك؟".

لقد سمعتْ للتوّ أنف مكسور.

"إذا كنت تعتقدين أنّ ابننا قد اقترف خطأً اليوم، فقولي له ذلك، في حضورنا كلّنا".

الآن، تستطيع أن ترى الثقب في سترة ابنها الناتج عن ضربة سكين.

"ليو لم يرتكب أيّ خطأ إيڤان".

ورجلاها لن تفسحا الطريق لأنّها اتّخذت قراراً.

"أنتَ ارتكبتَ خطأً".

"أنا!".

أسقط بابا السترة، وإنّما لم ينزل يده إلى الأسفل.

" أناعلّمتُ ابننا أن يدافع عن نفسه!".

"وماذا سيحصل في حال بلّغ والد هانسي الشرطة؟".

ثمّ اقترب أكثر.

"في أيّ شأن؟".

"في أنّك هدّدته إيڤان".

"ليس هناك شهودٌ. أليس كذلك؟".

نظر إليها، إلى أولاده الثلاثة.

"هل سمعني أيّ أحد هنا أهدّد والد هانسي؟ أيٌّ منكم؟ أو أنّ زوجتي هي الشرطية الوحيدة هنا؟".

نظر إلى ابنه الأكبر سنّاً، الأطول.

"ليو، هل فعلتَ؟ هل سمعت ذلك؟".

وانتظر حتّى يحصل على جواب.

"كلّا، بابا. لم أسمع شيئاً".

" لكنّني سمعته، إيڤان".

وقفت ماما بالقرب من بابا، بالقرب من يده، ولكنّها لم تأبه.

"سمعتك تهدّده. وأستطيع تكرار ما قلته حرفيّاً".

اليد.

"هل... ستشين بي؟".

قرّبها أكثر.

"أستشين بي؟ هل هذا ما ستفعلينه؟".

حتّى باتت تلامس وجهها تقريباً.

"كلا، بابا!".

ركض فيليكس نحو بابا وماما واليد التي ترتجف مقابل وجهها.

"بابا! لا يمكنك فعل ذلك! بابا..."

ركضٌ، صراخ، شدٌّ لجيوب سرواله حتّى يخفضها.

"لن تنقلبي أبداً على عائلتي مجدّداً".

ثمّ وكأنّ كلّ شيء في حركة.

راقب ليو أباه وهو يدخل المطبخ ويخرج إلى الشرفة ويتّكئ على الدرابزين. مسحت أمه عينيها بيديها وذهبت إلى الحمّام، وأغلقت الباب وفتحت صنبور الماء. لحق بها فيليكس، وحاول أن يمسك بها ويقرع الباب كي يدخل. فيما ركض ڤينسنت إلى غرفته، إلى طاباته التي هي قنابل، وراح يشهق عالياً فيما هو يرميها.

كلّ شيء في حركة، لا شيء ساكن.

باستثناء ليو.

فهو الوحيد الذي لا يبارح مكانه، والذي لا يرفع يداً أو يصرخ أو يبكي.

وهو يعرف الآن.

أنّ أباه يرتجف، داخل الشقّة التي صارت أصغر.

لكنْ، هذه المرّة من الخارج والداخل معاً.

هي في الواقع تحبّ الظلمة. الليالي الطويلة في بيت الراحة، السكون، أحدهم يسعل في غرفة المرضى الذين يحتاجون إلى إشراف خاصّ، أحدهم يحتاج إلى من يبدّل له وضعيّة نومه، أو يستفيق من كابوس ويحتاج إلى أن يهدأ... وسادة تحت الرأس، عناق لطيف، كوب ماء. الظلمة المعلّقة خارج نافذة غرفة نومهما مختلفة. كانت تطاردها، وقد تقلّبت وتقلّبت حتّى انتهى بها الأمر على جانبها الأيمن، وراحت تراقبه وهو يشخر، فقط على مسافة قبلة أو صفعة، وشعره وغطاء وسادته مبللان بالعرق. كان يمكن أن يستيقظ بعد بضع ساعات مليئاً بالقلق، فينظر إليها ويطلب منها السماح من دون صياغته في كلمات.

خارج باب غرفة النوم، تسمع وقع أقدام.

هي أكيدة من ذلك.

والآن، باب المنزل يُفتح ويُغلَق. تجلس على طرف السرير، وتبحث عن خفّيها ذوَي الشرّابات تحت السرير، ثمّ تخرج إلى المدخل.

لا أحد هناك.

المطبخ، غرفة الجلوس، المكتب، غرفة ڤينسنت... كلّ شيء يبدو كما يجب. حتّى تدخل غرفة ليو وفيليكس وتدرك أنّ أحد السريرين فارغ.

تهرع إلى المطبخ والشرفة، فهي تعلم أنّه في حال نزل أحدهم الدرج، يجب أن يكون قد خرج من الباب الأمامي.

كلّ من في سكوغاس يبدو نائماً. والباب لا يزال مغلقاً، ما من ظلٍّ تحت مصابيح الشارع.

تعود أدراجها، وتغوص تحت الملاءات المهجورة. غطاء السرير على الأرض، والوسادات الثلاث فوق بعضها بعضاً.

فيليكس.

صرخ في أبيه لإبعاد يده عن وجهها، وضرب بقوّة من شدّة الرعب على باب الحمّام. كان يختفي سابقاً عندما كانت الكلمات تتحول إلى تهديد. لكنْ، ليس بهذه الطريقة مطلقاً، في الليل. ربّما ذلك هو سبب تجمّدها من البرد على الرغم من أنّ الجوّ ليس بارداً إلى هذا الحدّ، وسبب عدم شعورها باليد على كتفها اليمنى، على الرغم من أنّها كانت هناك منذ وقت طويل.

"ماما؟".

قفزت. ليو... استيقظ.

"ينبغي أن تنام يا عزيزي".

"سأبحث عنه".

أخذته بين ذراعيها. إنّه يكبر. جسمه البالغ من العمر عشر سنوات بالكاد تتّسع له يداها.

"يجب أن تنام، أنا وبابا اللذان..."

"أعرف أين هو".

"لم يخرج من الباب الأمامي".

"أعلم... خرج من الباب الخلفي".

يضع ابنها البكر عليه ثياباً من كومة مبعثرة على الكرسيّ – سروال جينز،

كنزة، سترة، حذاء — ويُغلَق باب المنزل بعنف للمرّة الثانية في تلك الليلة.

تقف وحيدة في المطبخ. هنا الساعة مستديرة، وتتكتك بصخب، أينما كانت في المنزل تستنفد الثواني. الموقد حامٍ، والمغلاة تُخرِج بخاراً كثيفاً، سخن الماء الذي وضعته لتحضير الشاي في أربع دقائق ونصف الدقيقة. أزاحت المنفضة الممتلئة وقسائم الكينو، وابتلعت رشفةً واحدة وهي تحدّق إلى جدران بيتٍ كان منزلها.

سريرٌ فيه رجل يشخر، وجبين متعرّق، وقلق.

سريرٌ فارغ لأنّ أحدهم لاذ بالفرار.

سريرٌ آخر فارغ لأنّ صاحبه يبحث عن ذاك الذي لاذ بالفرار.

وسريرٌ آخر فارغ لأنّها تريح مرفقيها بثقلٍ على مائدة المطبخ، وتشرب شيئاً ساخناً، وتتساءل عمّا إذا كان قد هرب لأنّه سمع حديثها على الهاتف مع والدتها تماماً قبل منتصف الليل. فقد كانت تهمس، ولكنها تكلمت بحدّة ووضوح ناتجين عن قرارٍ اتّخذته.

القمر ليس مكتملاً الليلة وإنّما يوشك على ذلك، وضياؤه ينتشر في سماء الليل الصافية وينساب نزولاً، حيث بقعة أرض صغيرة خلف مبنى ذي سبعة طوابق في ضاحية من ضواحي ستوكهولم.

كان ليو يشهق ويزفر. مقابله تلٌّ شاهق حيث يحلو لهم اللعب، يفصل مجمّعات السكن عن الغابة التي تتقلّص قليلاً كلّ سنة، وإنّما لا تزال تحتفظ ببضع أشجار وبالكثير من الطحالب.

استعدّ للركض كما يفعل دوماً، وظهره مواجِهٌ لجدران المبنى الصلبة القاسية، ثمّ بسرعة قصوى ركض نحو المنحدر، ثمّ صعوداً، وشعر أسفل رجليه بالشقوق وجذور الأشجار التي كان يستخدمها لتثبيت نفسه حتّى يتقدّم أكثر صعوداً. راح قلبه يخفق بقوّة بين أضلعه وعنقه. شهيق، زفير. الشقوق، جذور الأشجار، النتوءات... وها هو فوق. سرعان ما تحوّل منحدر التلّ إلى جدار فعليّ منيع، مبنيّ إمّا للحرب العالميّة الأولى أو الثانية أو حربٍ أخرى ما. غالباً ما كانوا يلعبون هنا، الجدران شاهقة وذات تجويفات صغيرة شبيهة بالكهوف. راح يتنقّل بسرعة بمحاذاتها، كثعبان يتسلّل عبر بقعة الغابة القاتمة، والقمر مصباحٌ يشعّ عبر الأشجار، تعكسه المرايا التي تشكّلها برك الثلج على الأرض.

يعرف أنّه تجاوز على الأقلّ مئة ياردة — ثمّ مئة ياردة إضافيّة، ومئة أخرى — في كلّ مرّة يعبر تجويفاً في الجدار؛ المربّعات التي حفرها أحدهم خلال الحرب والتي يختبئ في العادة فيها مع فيليكس وبودا وفاروق عندما يلعبون لعبة الحرب ببنادق بي بي في المباني المنخفضة الارتفاع.

بعد أربعمئة ياردة، هناك تجويف يؤدّي إلى بستان، حيث الأشجار

الملتوية، وحيث شنق والد غريغر نفسه. بعد ستّمئة ياردة، مرّ بالقرب من المنحدر الذي سقط عنه بيلي الصغير في الصيف الماضي؛ كانت أُمّه تدير صالوناً لتصفيف الشعر في المبنى العاشر، وقد أقفلته بعد ذلك وهامت حول سكوغاس، ثمّ هامت بعيداً. لا يزال يتذكّر كيف كان شكل الجثّة، لكنّه قرّر مسبقاً عدم التفكير بالأمر مجدّداً.

"فيليكس".

هناك، على منحدر كان أشبه بهاوية.

"أخي الصغير".

راح يقترب أكثر، ويتوقّف، ويسمع.

"أين أنت؟".

شقيقه الصغير يجلس على طرف الحافّة.

"فيليكس! أراك".

خطوة أخرى، بقدر ما يجرؤ على التقدّم.

فيما ضياء القمر يجعل فيليكس يبدو أكبر بقليل.

"أريد أن أكون لوحدي".

"لا يمكنك البقاء هنا فيليكس. نحن في منتصف الليل. يجب أن تعود إلى المنزل، إلى غرفتك وسريرك".

"كلا".

"ماما صاحية، وهي قلقة".

"لن أعود إلى المنزل".

خطا ليو خطوة تلو الأخرى، خطوات صغيرة، حتّى لا يلاحظ فيليكس.

ثمّ ها هو هناك.

"لماذا؟".

خطوة واحدة بعد، خطوة قصيرة، ويصل إلى حافّة المنحدر ويسقط على الصخور في الأسفل؛ تماماً كما فعل بيللي الصغير.

"لأنّ الأمر سيسوء".

"سيسوء!".

"لقد سمعتُ ماما".

"ماذا؟".

"سمعتها تقول إنّها ستغادر".

جلس ليو، ليس قريباً جدّاً، وإنّما تقريباً.

"هي لن تغادر".

"سمعتُ ذلك".

ظلمة، سكون، وشيء ما يتصدّع، يطقطق، كما فعل الجليد في وقتٍ سابق اليوم. إنّها الريح تنتزع الأغصان العارية والأوراق المبلّلة.

"سمعتَ... ماذا؟".

"أجرت اتّصالاً... بعد خلودنا إلى النوم؛ حين ظنّت أنّنا قد غفونا".

"وماذا قالت؟".

"مع جدّتي. كانت تتحدّث بذلك الصوت".

الصخر الرمادي بارد، لاحظ ليو ذلك فقط للتوّ؛ لاحظ كيف تتسلّل البرودة إلى جسمه من الأسفل وتزحف صعوداً ونزولاً من ثقوب سترته.

"قالت... سمعتها، ليو... قالت: لا تسير الأمور على ما يرام البتّة، قالت ذلك عدّة مرّات".

"لقد قالت ذلك سابقاً، وهي دائماً تعود".

"لقد سمعتها! لن تعود أبداً! ليس هذه المرّة".

التصدّع... إنّه أكثر صخباً الآن في الغالب. الريح. لكنْ هناك صوتٌ آخر أيضاً؛ صوت السيارات التي تسير على طول الطريق القديمة في الجهة الأخرى من الغابة. لم يفكّر قط كم من الناس يتنقّلون في هذه الأرجاء في الليل.

"الطقس بارد فيليكس".

"كلا".

"ليست معك قبّعة أو قفّازان".

"لأنّ الطقس ليس بارداً".

بحث ليو في جيوب معطفه، فهي تكون هناك عادةً؛ القبّعة الصوفية المخططة بالأحمر والأبيض.

إنّها هناك. أخرجها، ووضعها على رأس فيليكس.

"تخسر ثمانين بالمئة من حرارة جسمك من خلال رأسك".

"ماذا؟".

"هكذا هي الحال ببساطة".

عدّل فيليكس القبّعة المخططة التي تبيّن أنّها منخفضة جدّاً على جبينه، ثمّ جلسا هناك بالقرب من بعضهما. ينظران إلى القمر المستدير يشعّ ألقاً.

"يجب أن نذهب إلى المنزل".

"كلا".

"جلوسك هنا لن يحسّن الوضع".

"وكذلك الذهاب إلى المنزل لن يحسّن الوضع".

يظهر أنّ هناك مزيداً من السيّارات الآن. شاحنات تبدو مختلفة.

"ليو".

"ماذا؟".

"أفكّر في بابا".

"ما به؟".

"هو لا يعرف".

"إذاً..."

رِجلا فيليكس تتدلّيان على حافّة المنحدر، وقد كانتا على هذه الحال طوال الوقت.

"هل يجب أن نخبره؟ أعني أنّ ماما سترحل".

الآن

القسم الثالث

لطالما أحبّ هذا الوقت من العام، شهر أبريل. ففيه يغمره الشعور بالحياة. العالم كلّه يستيقظ بزهوّ من حوله، ويدعوه ليطلق العنان لنفسه، يجعله يرغب بالجلوس بين شجيرات التوت الأزرق، على صخور مكسوة بالطحالب، داعياً الشمس لتدفئ جبينه وخديّه فيما تسدل أشعتها من بين أعالي الشجر، من فيض ضوئها الأشقر المستدق.

استند إلى السيارة التي لطالما أوصلته إلى هنا لعدّة سنوات خلت، "الڤولڤو، هاتش باك" البالية ذات الأقفال المتآكلة من الصدأ الذي أدّى إلى تقطّع أوصالها. قد يكون هذا آخر فصل ربيع تصمد فيه، وربما ستتحمل حتى فصل الصيف أيضاً، إذا كان محظوظاً. حتى ذلك الحين ستكون قد أتمّت عملها، وسيكون جاهزاً ليأخذها إلى ساحة الخردوات ويقوم بتوديعها.

إنه طريق ترابي قصير بين المنعطف الحاد والسلسة الحديدية المطوِّقة حيث كان يوقف سيارته كل ليلة، ويشعل سيجارته، وينتظر خمس دقائق مطلوبة لجدولة عمله. كاد أن ينسى ما كان يبدو عليه في النهار. كان المكان نفسه، ولكن ليس بالفعل؛ من دون الظلام الذي كان يخيّم عليه ويضفي الأمان والغطاء.

ستّة أشهر من التحقيق.

أطال وقفته قليلاً، ثم أطفأ سيجارته على السلسلة الصفراء والحمراء، وصعد إلى التلة الشاهقة ووصل إلى حقل الحصى المفتوح في الغابة. لكنه اليوم سيقوم بأكثر من مجرّد إضاءة مصباحه حول مبنى الإسمنت الرمادي. اليوم لديه رفاق لفتح الباب معاً، وعدّ الوحدات في الصناديق الخشبية ومقارنتها مع قائمة الجردة المعلقة في غلاف بلاستيكي...

الصف الأول: 124 قطعة من الرشاشات المدفعيّة الصغيرة طراز م\45

الصف الثاني: 92 قطعة من بنادق الهجوم الرشاشة الأوتوماتيكية، طراز أوتومات كاربين 4

الصف الثالث: خمس قطع مدافع رشّاشة طراز كاي إس بي –58

ها قد أتوا.

شاحنة خضراء يستقلّها عضوان يرتديان بذلتين رسميتين من المنطقة 44 للدفاع من مكتب خدمات الأمن. مصافحة شديدة دامت طويلاً.

"اعتقدت أنك أقلعت عنها!".

قام الممثلان العسكريان– من فوجين مختلفين– بالإشارة إلى يده اليسرى، إلى السيجارة المشتعلة التي سرعان ما ستصل إلى آخرها.

"هل تزعجك؟".

"كلا... لكن، ألم تقل زوجتك..."

"أصغِ إليّ، سأدخن متى أشاء".

وقام باستنشاق عميق، مباشرة إلى داخل رئتيه.

"لأن هذا ما يؤول إليه الأمر. لا يهمّ إن تغيّرت أم لا".

أطفأ سيجارته في المكان نفسه؛ كالليلة الماضية وككل ليلة، تماماً على الحرف الأول من اللافتة التي تشير إلى "لا يسمح بالدخول لغير المرخص لهم".

"حسناً... أسمعك. في هذه الحالة... أين تعيش الآن؟".

لم يكن شيئاً مألوفاً أن يبتسم أحدٌ من فريق الأمن، إذ لم يكن ذلك جزءاً من مهمتهم. لكن أحدهما فعل ذلك الآن، لذا بادله الابتسامة.

"على الأرجح في الجوار نفسه؛ في شقق الأستوديو التي تعيش فيها أنت".

كان الآخر ينأى بنفسه عن الابتسام، من دون أن يعطي أي انطباع على الإطلاق، وذهب لتفقد قفل بسماكة نصف إنش من الفولاذ، القفل نفسه في كل طريق خاصة تؤدي إلى حجرة الذخيرة.

"لم يعمل... لن يعمل أي منها".

لم يعمل المفتاح.

قام ضابط الأمن بتجربة المفتاح التالي، ثم التالي. تفحّصوا المفتاح والقفل. ليس هناك أي تخريب. لا يبدو أي شيء غريباً. قام بتجربة المفاتيح كلها، كلّ على حدة، ستة عشر مفتاحاً مختلفاً.

"كنت أظن أن عليّ أن أتمشى".

"أقوم بهذا كل ليلة، 150 ياردة. عشرة مخازن أسلحة. تساندني في التمرين قليلاً".

ربّت على معدته وبدأ بالمشي، فقد بلغ الستّين من العمر وما زال نحيلاً.

كان كلاهما يلهثان خلفه بالرغم من أنهما يصغرانه بعشرين سنة، ويتمتعان بنوع من القوة أثناء المصافحة تجعلك تراوح مكانك. تملّكهما الإرهاق بعد دقائق معدودة فقط من المشي عبر الغابة. وما إن اقتربوا من قمّة التلة، حتى تعمّد أن يخطو بخطى واسعة حتى لا يتمكنا من اللحاق به، في حين ما زالا لم يلتقطا أنفاسهما.

"كل ليلة أفعل هذا، أوجّه مصباحي إلى الخارج".

أشار لهما كيف يقوم بذلك عادة، بعد أن قام بلفّة بطيئة حول المكعّب، موجّهاً يده التي تحمل المصباح إلى جدران بسماكة ثماني أقدام، ثم توقّف بعد ذلك أمام ما يشبه باب خزنة.

أمسك المفتّش بمجموعة المفاتيح نفسها مثلما فعل سابقاً، وبعد عدة لحظات من التقليب بها، وجد المفتاح المطلوب، وأداره ثلاثة أرباع الدورة.

"حسناً، هذا يعمل بأية حال".

فتح الباب إلى الداخل. خطا أولى خطواته ثم توقّف فجأةً. لكنّه لم يتفوّه بأيّة كلمة. وقف هناك وحسب، بلا حراك.

"ماذا... بحق الله..."

وقف المفتش وراء ظهريهما العريضين، يتلوّى من جانب إلى آخر في محاولة لاستيعاب ما كانا ينظران إليه.

"... يكون هذا؟".

لم يتمكّن من الرؤية، وهما لم يسمعاه، أو على الأقل لم يجيبا.

خطا إلى الأمام منحنياً، ومندفعاً عبر مدخل الباب ومخترقاً الممر الضيق بين كتفيهما.

رآها للتو.

كانت هناك فجوة كبيرة في الأرض خلف العتبة تماماً، بعرض قدمين تقريباً. قُطعت قضبان الحديد المسلح التي كانت يوماً داخل الإسمنت، وتباعدت عن بعضها بقوة مثل الأضلاع المكسورة.

أمسك أحد الرجلين اللذين يرتديان الزي الرسمي الصندوق الخشبي الذي كان فوق الركام القريب من الباب، والذي طبع على جانبيه "ك س ب 58"، ثم رفع الغطاء فوجده فارغاً، ومن ثم فتح التالي، وكان خالياً أيضاً. اختار زميله صندوقاً من الكومة التي كانت بجانب الجدار البعيد، فتح الواحد تلو الآخر.

كان مجموعها أربعة وعشرين صندوقاً فارغاً.

"كل شيء... كل شيء اختفى!".

نظرا إليه الآن، وتكلّما معه.

"لقد كنتَ مُداوماً هنا..."

وكان يمنّي النفس بسيجارة.

"... في كلّ ليلة منذ الجردة الأخيرة".

"أنا..."

"كل ليلة!".

نادراً ما شعر المفتّش بالخوف. وفي هذا العمر، لم يتبقَ له الكثير حتى يَهابَهُ، ولكنه الآن انتابَهُ الذعرُ ممّا شاهده. فهو لم يفهم؛ وما لا تفهمه يُرعِبُك.

"إنه... غير مصاب بأي أذىً من الخارج. يمكنك أن تتأكد بنفسك! وبالأمس، كان..."

"لا بد أنك رأيت شيئاً!".

"لقد جلت في المكان معي، ورأيت الشيء نفسه. أنت..."

"كانوا هنا، وسلبوا كل الأسلحة! سطوا على مجموعتين كاملتين من السلاح".

جلس المفتش على أحد صناديق الشحن، ونظر حوله في المساحة الضيقة. أربعة وعشرون صندوقاً وثلاثة أشخاص، لم تكن هناك مساحة تتّسع لأكثر من هذا.

"لا بد أن هذا قد حدث... في وقت متأخر من ليلة البارحة. لم أكن..."

ركع الجندي على ركبتيه، وانحنى فوق الحفرة جارفاً حطام الإسمنت والحصى، وحافراً حيث حفر آخرون قبله. أمسك بقطعة من الحديد المسلّح المكسور، ثم مسح بإبهامه حيث قُطع الحديد، مُفسِحاً المجال لسقوط الكثير من الصدأ.

"لقد قُطِعَ هذا منذ وقت طويل".

مشروع بناء لفترة أطول، لثلاثة أسابيع. بدأ فصل الربيع بشكل جميل.

هناك منزل يعود إلى العام 1930 على بعد ميل ونصف من بيته في تومبا، كانت شركة البناء (Construction Inc.) تقوم بعزله وتضع جدراناً جديدة حوله. لقد عرض فيه سعراً أدنى ضارب به على الشركات الأخرى. ربما استغرب كابي هذا، ولكنه لم يتفوّه بأيّة كلمة. لم يكن العمل فيه مربحاً كثيراً، ولكن لم تكن هذه هي المسألة. فبعد كل عملية سطو مصرفية جديدة تصبح تغطيتهم أكثر أهمية. كلما ازداد ما تُخبِّئه كَثُرَ حذرُكَ؛ لأن اكتشاف أمرك يعني خسارة الكثير. كان المال على الكتب: كان واقفاً على سقالة بارتفاع ثلاثين قدماً بجانب فيليكس، يطلي الأخشاب باللون الأبيض. وكان ڤينسنت وجاسبر في الأسفل، في الجانب الآخر من السقالة يقومان بطلاء الألواح باللون الأصفر باستعمال فُرشات عريضة، لتغطيتها أكثر.

"فيليكس".

"ماذا؟".

"ماذا تعتقد؟".

"هل هذا مهم حقاً؟ والآن؟!".

"نعم. أريد أن أعرف إذا كانوا قد علموا بالأمر".

انحنى ليو ممسكاً بالأنابيب الفولاذية، وأطلق تنهيدة محاولاً التسلق خارج السقالة، القسم تلو الآخر، مثل السلم، بخطوات واسعة. نقل آخر عشرة لترات من الطلاء من الشاحنة ووضعها فوق العشب، ثم أدار محرك الشاحنة، ورجع إلى

الخلف. وفي طريقه إلى الخارج، وقف عند البوابة ونظر إلى الخلف فيما المحرك يعمل. غطت السقالة الجدران مثل نُصب عملاق مبني من الفولاذ، أكبر بكثير من العارضات اللدائنية التي اعتادوا أن يبنوها على أرض غرفة ڤينسنت.

لاحظ حركات فيليكس المنهجية عندما عمل إلى أعلى ومن اليسار إلى اليمين. كان ڤينسنت حريصاً في بعض الأحيان على عدم ارتكاب الأخطاء، أما جاسبر فلم يكن يُسمح له بالوقوف في الأعلى لأنه يغمس فرشاته عميقاً في الطلاء، ويقوم بطلاء الطبقة الأولى من الأعلى إلى الأسفل؛ مما يسبب تقطّر الطلاء وسقوطه، ولم تكن المشكلة بتلطيخ الثياب، بل أيضاً نعل الحذاء يصبح زلقاً.

بقي الطلاء وحسب، طلاء المنطقة العليا فقط، وسيستغرق أسبوعاً كاملاً، ثم سيكرس كل وقته للعمل التالي؛ نوع العمل الذي لن يكون مالاً على الكتب، بل سيكون مالاً في كهف الجمجمة في قعر الخزنة.

فكّر بمهنة ألا وهي صناعة ملابس البناء. ثم فكّر بأُخرى، ألا وهي ابتكار السرقات وتنظيمها. الغطاء والصميم، الخارج والداخل، الواجب والسعادة، الوقوف بلا حراك والتقدم إلى الأمام.

هذا بالضبط ما أراده أن يظهر منذ البداية، وكان كل شيء يسير حسب الخطة منذ بداية السنة. شهر فبراير، تجديد الشقة في "الأولد تاون"، صقل الأرض وطلاء الأسقف والجدران، لمدة أسبوع ونصف، بتكلفة 37000 كرونة ما عدا تكلفة المواد، ثم الالتزام بمشروع كبير في بلدة صغيرة، ريمبو، على بعد أربعين ميلاً شمال ستوكهولم. كانت سرقة مختلفة عن السرقات الأخرى. ارتدوا سراويل الجينز، وسترات براقة رخيصة، وانتعلوا أحذية خفيفة بأربطة "فلكرو"، ووضعوا جوارب نسائية شفافة فوق رؤوسهم فأخفت ملامحهم كي لا تعرف. استخدموا البنادق المزيفة بدون طلقات، وفقط ليو وڤينسنت داخل المصرف. كان ذلك اختباراً لتغيير

الهوية وكسر الأنماط، في حال استدعى الأمر التغيير في سلوكهم وأدائهم في نهاية المطاف، 556،000 كرونة.

إنه شهر مارس، كانت تكلفة التدفئة وأرضية الباركيه الخشبية في شقة سفلية في آليفسو لأسبوع واحد عشرة آلاف كرونة، ثم كانت كينغسور، مدينة أصغر من الأولى، تقع على بعد خمسة وثمانين ميلاً غرب ستوكهولم. بعد خمس وأربعين دقيقة من السطو على المصرف الوحيد في البلدة، حددت الشرطة مكان سيارة الفرار على طريق ترابية في منطقة حرجية، لكن هناك كل الدروب مقطوعة. واصلوا سيرهم على الأقدام في الظلام، كانت معهم بوصلة وخريطة تؤدي إلى حفرة حفروها سابقاً ثم غطوها بألواح خشبية مدعمة بخشبة قائمة ومعزولة برقائق معدنية، ومغطاة بالأتربة والطحالب لتمتزج مع ما يحيط بها، وفي الوقت ذاته تؤمن الحماية من البرد والطوافات التي تستخدم كاميرات بالأشعة تحت الحمراء.

كانت الحفرة قد زُوِّدَت بالطعام، وأكياس النوم، وأسِرَّة خاصة بالتخييم. وفي اليوم التالي، توجهوا إلى محطة وقود، واستأجروا سيارة. وعندما تخلصوا من حواجز الطريق، عادوا إلى البيت بمبلغ 812،000 كرونة، باستثناء تكلفة المواد. سطوا على مصرفين. وحصلوا على 1،368،000 لتمويل سرقتهم التالية، الكبرى حتى الآن.

هذه طرقات تومبا الخلفية، والنفق تحت الطريق السريع رقم "إي 4"، ثم طريق أولد سودرتلج؛ كلها قريبة من حيث بدأت مسيرتهم. شعر بذلك في كل جسمه. الرابع من أبريل، اليوم الذي عاش معه وتطلع إليه منذ تلك الليلة المظلمة التي قضاها ملامساً الطحالب والتوت البري؛ الليلة التي تغير فيها كل شيء.

الآن... قد يتغير كل شيء مرة ثانية لأن الكل سيعرفون الحقيقة.

قد تكتشف الشرطة في الأرضية المنفجرة القطعة المفقودة من اللغز التي

ستربط معاً سلسلة من السارقين الذين من الواضح أنهم ينتمون إلى بعضهم بعضاً، ولكن بشكل مختلف قليلاً. سيبين الاستقصاء عنهم نمطاً معيناً، عن عصابة لديها مخزن أسلحة أكبر مما لدى العصابات في السويد مجتمعة.

قاد ببطء عبر الحقول، تغلغلت الشمس الدافئة بعد الشتاء في الأرض لتصحو منها براعم العشب الجديدة في الأقنية، والتي ستردي الأوراق الصفراء وتحل محلها. بعد المنعطف الطويل، كانت هناك منطقة عسكرية وسلسلة مطوقة مقفلة.

أبطأ ليو قليلاً، ثم رآها؛ السيارة التي قام بمراقبتها ليلة بعد ليلة، "الڤولڤو" البالية التي يملكها مفتش كبير في السن، والذي كان عادة يقف في الظلام ويقوم بالتدخين. لكنه رأى مركبة أخرى أيضاً، سيارة صغيرة ذات لوحة عسكرية.

الآن... الآن عرف.

كانوا هناك، وسيفتحون الباب، وربما سبق لهم أن فتحوه، ودخلوا واكتشفوا ما حدث، وأرعبهم ما شاهدوه. سرقة غير معللة لمئتين وواحد وعشرين سلاحاً نارياً أصابت الشرطة بصدمة، وبعد آخر سرقة لهم، سيكون موقفه التفاوضي قيد التداول أقوى.

أوقف السيارة. لم يخطط لهذا، أدارت يداه فجأةً السيارة بعيداً عن الطريق. أراد أن يتسلق، ويركض عبر الطريق إلى الأحراج، ويتسلل إلى ملعب الحصى، ويستلقي على الطحالب الغضة، ويراقب أولئك الذين لم يستطيعوا أن يروه.

مكث حيث كان متمسكاً بالمقود بإحكام. إذا لم يصرف هذا من ذهنه، فلن يغادر المكان.

ثم واصل قيادته، وأسند ظهره إلى الخلف على مقعده عندما صار بعيداً بما

يكفي عن ركوب المخاطر، ثم زاد سرعته قليلاً.

تشير الساعة إلى العاشرة وبضع دقائق، لا يزال لديه الكثير من الوقت، إذ لن يصل القطار من فالون حتى الساعة 10:37.

ست وثلاثون عملية سطو عنيفة في ثلاثة أشهر في أرجاء السويد كلها. كان السطو على اثنين وعشرين مصرفاً، وإحدى عشرة شاحنة مصفحة، ومكتبي صيرفة، ومكتب للإسترهان. أحداث دراماتيكية دون أي سوابق، ولم تكن العصابة التي يفتش عنها ويحاول القبض عليها مسؤولة عن كل هذا بالتأكيد.

كان جون برونكس واقفاً في ممر مضيء، يقلب في جيبه الخلفي حتى حظيت يده بنقود معدنية. قام بعدها، خمس، عشر، عشرون كرونة، كان هناك دائماً أكثر مما يعتقد.

ولّدت سرقة اثني عشر مصرفاً خلال شهر واحد في بلد صغير حالة مستمرّة من القلق والخوف المحموم؛ ولم تكن هذه الحالة مألوفة هنا. وما دام شيء لم يتغير، وما دام ليس هناك أي علاج، سيغرقون جميعاً بهذا المرض بشكل أكبر؛ ستتفشى الجريمة. بحلول منتصف شهر فبراير، أصبحت الشرطة ترافق الشاحنات المصفحة، لكن المصارف كانت كثيرة ومشتّتة، وكان من المستحيل حمايتها من هذا المرض المُعدي.

لذا، اقتصر عملهم على انتظار التحذير التالي والتحقيق التالي.

أولاً، استخدم كل القطع المعدنية من فئة الكرونة الواحدة، ثم من فئة خمس كرونات. توجّه برونكس إلى الشقّ الضيق، وبدأ يُدخل في "ماكينة البيع" قطعة نقدية تلو الأُخرى.

كان لتفشي ذلك المرض مصدر. في هذه الحالة، شكّلت الطلقات الثماني وجهاً مبتسماً على الزجاج المضاد للكسر. ولا يزال يفتقد إلى الدليل؛ ما عدا أكوام من الخراطيش لا تمتّ بصلة إلى أي سلاح، وجرحى قد لا يتماثلون للشفاء أبداً.

ابتسم، أيها النذل.

كان وقت التغيير قد تحوّل إلى وقت اضطراب كما يحدث دائماً عندما يتعرضون إلى مفهوم جديد. عندما يتهاوى نظام ليحلّ محله نظام جديد؛ وهذا النموذج الجديد قد استشرى فوراً بين أناس يرغبون بالمخاطرة، أناس لا يملكون شيئاً ليخسروه.

لم يغير السارقون الأربعة المقنعون أولئك كيفية حماية الشرطة لأهدافها وحسب، بل غيروا مسلك عالم الجريمة بأكمله.

فقد نظر المجرمون الآخرون إلى تلك الابتسامة اللعينة، وقرأوا الصحف، وراقبوا التقارير على التلفاز، وقد ألهمهم هذا لكي يقلدوهم ويرتكبوا المزيد من السرقات، مستخدمين المزيد من العنف المتطرف كوسيلة للحصول على المزيد من الغنائم.

ستزداد حدّة التصعيد بيننا وبينهم. لقد مزق العنف النطاق الأخلاقي للميدان الجنائي إرباً.

إذا كنّا مسلحين فسيتعين عليك أن تكون مسلّحاً، وعندها سنحتاج إلى المزيد من المسدسات لردعك. إذا كان السطو على المصارف شكلاً من أشكال الفن، فستقول إن الأوتاد قد نُصِبَت لكلّ التصرفات الإجرامية، والعلاقة بين أولئك الذين يريدون السلب وأولئك الذين يتعرضون للسلب تكون متطابقة. خلال عشر أو عشرين سنة، سيشير الباحثون إلى هذه المجموعة بالذات وهذا الزمن بعينه ويقولون إن هذا حصل عندما اضطر نظام المصارف إلى تغيير كيفية إدارته لتدفق السيولة النقدية، وعندما أصبحت القساوة أداةً محبّبة. كان برونكس على يقين من هذا.

ضغط على الزرين المربّعين، الرقمين واحد وثلاثة، وانتظر نزول النقود

المعدنية لتنزل بعد ذلك حلوى المرزبانة باللوز والسكّر الأولى وكعكة الشوكولا المغلّفتان بالنايلون، ثم طلب أُخرى. كان الشاي الفضي مع السكر للنهار والبيتزا ليأكلها ليلاً. لطالما كان هذا هو الحال منذ أن شارك بالتفتيش الذي لم يوصله إلى أي مكان. كان يقوم بالمشي لمسافة طويلة بغير هدف عبر ستوكهولم باكراً في الصباح، ومتأخراً في الليل، ليطلق بعضاً من الإرهاق والطاقة، وعند منتصف الليل يقوم بزيارات لنادي محطة الشرطة الرياضي. اعتاد أن يكون وحده في غرفة كبيرة عند الساعة الثالثة من بعد منتصف الليل، للتصارع مع الكرات الحديدية ورفع الأثقال واستعمال طاحونة الدوس وكيس الملاكمة حتى يتجنب محاربة الناس.

وضع قطعتين نقديتين من فئة خمس كرونات للحصول على حلوى إضافية، ثم مزق الغلاف والتهم المزيد من المرزبان والشوكولا وابتلعها. كان الطعم يثير الاشمئزاز بسبب شدة الحلاوة، ولكن لم يكن لديه أي خيار، إذ يتعين عليه أن يملأ جوفه ليحافظ على صورة الجسد الهزيل الشاحب والنحيل، ولكن ليبدو قوياً عند الخليج.

كانت مجموعة متماسكة من نسيج واحد، دون أي علاقات مع عالم الرذيلة والإجرام. ومع هذا، لم يتعامل معها أيٌّ من شبكة المعلومات التي تعمل لصالح برونكس ورفاقه. قد لا يكون لمجموعة الأفراد الأربعة أي سجل إجرامي، ولهذا لن يتمّ التعرّف عليهم؛ إلى أن يرتكبوا خطأ، ولكنهم لم يرتكبوا أي أخطاء بعد.

تلألأت الأرضية المصقولة حديثاً تحت الضوء الساطع الآتي من نوافذ المكتب. لم يكن يهدأ، وكان مرهقاً بسبب تيقظه الدائم. توجّه نحو المخرج لكي يمشي للمرة الثانية في يومه؛ بالرغم من أنّ الوقت كان متأخراً في الصباح. أغلق سحّاب سترته الجلدية الدافئة جداً بالنسبة لشمس ربيعية، لكن لم يتسنَّ له أن يأخذ من العلية سترة ربيعية خفيفة.

بدأ يشعر بنوع مختلف من الغضب في الأسابيع القليلة الماضية؛ غضب لم يكن يميّزه. كان عصياناً مترافقاً مع الفضول والافتتان يشاهده كل يوم تقريباً، كل بضع ثوانٍ على أفلام مراقبة مهتزة بالأبيض والأسود. كان يشاهد القائد الذي يقوم بالعدّ التنازلي، والذي يطلق النار على زجاج مضادّ للكسر على شكل وجوه مبتسمة، والذي يستخدم القوّة المفرطة للحصول على ما يبتغيه. قد يكون هذا ما آل إليه الوضع، هذا الغضب. لم يكن العنف وحسب، بل إنه العنف المغلف بالهزل، وهذا ما لم يستسغه برونكس. حلّ الرجل في تلك الصور مشاكله كطفل في عالم البالغين، ولهذا كان ناجحاً. فقد كان يفكر بطرائق لا نفكر فيها، ويحوم حول متاريس طرائقنا مستخدماً نوعاً من الحيل السحرية التي قد تجدها في صندوق هدايا مغلف. عرفت الشرطة كيف تتعامل مع المجرمين البالغين، ولكن ليس مع هذا؛ فهذا إبداع مشوّق بقدر ما هو بغيض.

كان يريد أن ينظر إلى داخل ذلك الرأس نظرة خاطفة، وأن يتكلّم معه، ويفهمه.

توجّه إلى الأسفل، عبر أربعة أبواب موصدة، مستخدماً أوّلاً بطاقته اللدائنية ثم مفتاح البوابة. كان المكان في الخارج مضاءً أكثر مما كان برونكس يتوقع، لذا أغمض عينيه، وأخذ نفساً عميقاً من هواء الربيع اللطيف، ثم بدأ بالمشي متوجهاً شرقاً، نحو مركز المدينة التجاري.

ستّ وثلاثون عملية سرقة متفاقمة الخطورة انتشرت في طول السويد وعرضها، وقد حصلت منذ السرقة المزدوجة في أوزمو. قام بالتدقيق فيها جميعها؛ بكل انتباه. صُدم باثنتين منها؛ إحداها اتّبعت الأنماط السلوكية لهذه المجموعة حرفياً إلى أبعد مدى، والأخرى كانت مختلفة تماماً.

كانت الأولى في كنغسور، في بلدة صغيرة هادئة على مسافة ساعة

بواسطة السيارة؛ سرقة مصرف اقتبسوها مباشرةً من كتاب التسلية الخاص بهم. بدأ القائد برونكس بمناداته الأخ الأكبر. كان الأخ الأكبر يذهب أولاً ويطلق النار على الكاميرا المعلقة فوق الباب، ثم يأتي الأخ الأصغر المسلح بالرشاش ويقفز فوق منضدة صرف النقود، أو يتحرك بسرعة لتفريغ صناديق النقود. ثم الثالث، الجندي الجاهز لإطلاق النار؛ كأن السرقة اشتباك عسكري، حرب مدن، مطاردة تكتيكية، يقوم خلالها بمهمّة ما. كان الجندي مسلحاً ببندقية الهجوم دائماً، أطلق النار على الكاميرا الثانية قبل أن يثب خلف الصناديق. دعا برونكس السارق الرابع السائق، فهو الذي كان يأخذهم من وإلى الموقع، ويحرس الجهة الأمامية للمصرف، والذي طبقاً لشهادة الشهود يقود بتحفظ؛ أي ليس بسرعة وجموح.

عندما قرأ برونكس في بادئ الأمر إفادة الشاهد وتقنية الصياغة الأصلية من السرقة الثانية- ريمبو، بلدة تبعد خمساً وأربعين دقيقة شمال ستوكهولم- قام بإعادتها إلى الملف وصرف النظر عنها لانعدام العلاقة السببية. إذ كشفت عن رجلين، وسروالين من الجينز وسترتين، وجوربين شفافين فوق رأسيهما، ولم يطلقا النار على الكاميرات؛ لذا كان قادراً على تتبّع السرقة بكاملها، خطوة بخطوة، من المدخل وحتى المخرج.

كانا هادئين ومهذبين مع الموظفين، ولم يرفعا صوتيهما. دخلا، وأشهرا سلاحيهما، وأخذا الأموال، ثم غادرا الموقع في سيارة "أوبل كاديت" مسروقة. لم يكن هناك أي شيء يشبه أفعال تلك المجموعة الأولى. ولكن بعد ذلك أظهرت له سانا تعقباً قصيراً التقطته الكاميرا خارج المصرف؛ تماماً كما فعلت سابقاً، مما دفعه لفتح الملف مجدداً.

إذ قام الرجل الأول مباشرةً قبل دخوله وهناك زوج من الجوارب الشفافة على وجهه بالدوران حول الرجل الآخر وكأنه يتفقده، ووضع يده على كتفه وقال شيئاً، ثم نظرا إلى بعضهما نظرة تردّد. أحدهما عليه أن يحمي ويقود؛ أي الأخ

الأكبر، والآخر تحت حماية الأول وتابعه؛ أي الأخ الأصغر.

"جون!".

كان برونكس ينظر شزراً بسبب ضوء الشمس القوي، وكان قد بدأ يمشي واقترب من شارع سكيلي عندما سمع صوت خطوات سريعة خلفه.

"انتظر!".

كان كارلستروم يركض وراءه.

لم يرَ رئيسه يركض من قبل قطّ، وبالتحديد هنا. كانا يشاهدان بعضهما كل يوم، لكن فقط في الممرات، أو بين الفينة والأخرى في موقع الجريمة، ما عدا الأمسية التي زار فيها بيت كارلستروم الجميل في آبلفيكن.

"مئة وأربعة وعشرون رشاشاً صغيراً من عيار م\ 45!".

استطاع جون برونكس أن يرى كارلستروم المنتصر يتجه نحوه منقطع الأنفاس. لا بد أن الرئيس عنده شيء مهم ليقوله، وما دام الوحيد الذي يعرف، فستكون هذه لحظته المنشودة.

"اثنان وتسعون رشاشاً أوتوماتيكياً كاربين طراز 4!".

تفوّه بكل جملة على حدة، التقط أنفاسه ثم واصل الكلام.

"وخمسة مدافع رشاشة طراز 58!".

"ماذا؟".

"تعتبر قليلة، أليس كذلك؟".

"هذا يعتمد على الحرب التي تخوضها".

"ماذا إذا كنت تسطو على مصارف وشاحنات مصفحة؟".

بدأ برونكس للتو مشياً هائماً بلا هدف كي يحرق الطاقة العصبية التي لم يعد يحتاج إليها الآن.

"هل يمكنك أن تتخيل يا جون؟ ما مجموعه مئتان وواحد وعشرون سلاحاً آلياً".

"إنني أتابعك".

"كانت موجودة في مستودع الذخيرة العسكرية، ولكنها لم تعد موجودة هناك الآن! وقد تكون سرقت سابقاً في فصل الخريف الأخير".

تجمّد جون برونكس في مكانه.

كانت السيارات تتسارع حوله في مدينة صاخبة، وكذلك الناس، ولكنه لم يرهم أو يسمعهم.

وبدلاً من ذلك، استدار على عقبيه وبدأ بالسير إلى الخلف. لم يعد اليوم يحتاج إلى اجتياز مسافة طويلة بخطى سريعة، فقد شعر بالهدوء أخيراً.

كان جون برونكس يحبّ عِلمَ الرياضيات. إذ تجعله الأرقام يشعر بالأمان، وسيحصل على الإجابة ذاتها مهما كانت حالته. لكن، ليس هذه المرة. كانت لديه معادلة على مكتبه لم يستطع أن يحلّها لمدّة نصف سنة تقريباً.

$$X.Y = Z$$

إنها معادلة تتضمن ثلاث قيم مجهولة، ولهذا لم يتمكن من حلها.

هناك عنصر متقلب تغير مع كل سرقة جديدة.

لكن، سرعان ما سيجد الإجابة؛ تماماً داخل غابة الصنوبر المظلمة هذه.

تسبب بحكّ الطلاء على جانب سيارته عندما حُشر بسيارة "ڤولڤو" زرقاء منهكة، وشاحنة صغيرة عليها لوحة عسكرية، وثلاث سيارات للشرطة؛ أي كانت مجموعة من ست عربات تقف جنباً إلى جنب. تفقّد ضابطان من الشرطة بزيّهما الرسمي هويّته قبل السماح له بالمرور. قام بخطوتين على أوراق الأشجار والطحالب فيما كان يلتفّ حول السلسلة التي ما زالت مقفلة.

كان طريق الغابة منحدراً صعوداً على نحو متواصل بطول مئتي ياردة وصولاً إلى قمّة التلة، إلى حقل الحصى حيث تحتشد مجموعة من الناس، من رجال الشرطة بزيهم الرسمي، والجنود في زيّهم الأخضر، والبعض في ملابس مدنية، وأحد التقنيين في سترة بيضاء تتوهج في الشمس. ثم رأى بناءً صغيراً مكعّب الشكل حيث تجمّع هذا الحشد.

ألقى التحية على زملائه من شرطة المدينة وهودينغ، وممثلين من الأمن العسكري، ورجل كهل تنبعث منه رائحة السجائر، والذي قدم نفسه كمفتش،

ولاحق بعينيه القلقتين برونكس فيما واصل هذا الأخير سيره باتجاه المبنى.

"مرحباً".

كانت صاحبة السترة البيضاءِ راكعة أمام باب مقفل من المعدن السميك. سمعت صوت خطواته على الحصى فالتفتت إليه.

"مرحباً".

كان هناك حفرة كبيرة في الأرض عند قدميها.

"هل رأيت القفل هناك في الأسفل؟ عند السلسلة المطوّقة؟".

"نعم".

" لم يُمَسّ، أو يبدو كذلك. أُزيل القفل الأصلي واستُبدِلَ بنسخة مطابقة، حتى إن الأرقام المتسلسلة متطابقة، والمفتاح ملائم ولكنه لا يدور".

"نعم".

" تماماً مثلما يبدو الأمر هنا. إذ يبدو كل شيء كما لو أنه لم يُمَسّ".

أومأت سنا باتجاه المدني ذي العينين القلقتين وتابعت:

"وهو..."

"إنني أراه".

"كان يتفحص هذه الحجرة كل مساء، ولم يرَ أي شيء غريب، من الخارج".

كان الباب المحصن ثقيلاً عندما فتحته، أو سحبته. ثم تحركت قليلاً إلى الجانب، فتمكن برونكس من رؤية الداخل.

أرض إسمنتية فيها حفرة كبيرة.

"هكذا تمكّن المرتكبون من الدخول؛ بحفر نفق تحت المبنى. كان مليئاً تماماً، قمنا الآن للتو بحفره مجدداً".

ذهبت إلى الداخل فلحق بها، تصرّف برباطة جأش، وفكر بأخيه الأكبر.

"أحسنوا عملاً".

كانت صناديق زيتية اللون مفتوحة ومكدّسة فوق بعضها على طول الجدار. وكدّست الأغطية بكومة عالية على الجزء السليم من الأرض.

رشاشات صغيرة عيار 45\م، "كاي إس بي 58" سوداء من الطراز الحاد.

"بذلوا أقصى جهدهم لإخفاء ما فعلوه، ونجحوا بذلك".

زنزانة ومخالب حادة، هذا ما رآه.

كانت الغرفة الوحيدة في المبنى تمثّل زنزانة سجن دون نوافذ. كان من المستحيل الدخول. لكن المخالب دحضت ذلك. عندما صعدوا من الأرض. هذا ما يبدو. قطعوا الحديد المسلّح باستعمال أدوات حادّة نصبت إلى أعلى، في محاولة للتمسّك به وسحبه إلى أسفل.

"إذاً، هذا هو المكان الذي بدأوا منه. الرقم المتغير المجهول، الرقم الذي يكبر باستمرار".

"أي رقم؟".

انحنى أرضاً، ولوّث بنطاله عند الركبتين بطبقة من الإسمنت والغبار.

"فارستا. سفدميرا وأوزمو. ريمبو وكونغسور".

"أي رقم، جون؟".

نظر إليها.

"لا يهم ما إذا كانت هناك سيارة مسروقة أو حجرة مليئة بما يكفي من الأسلحة الآلية لفوج كامل تم تفجير الأرض تحتها، فقد اختبأوا لتأخير اكتشاف أمرهم. وفي الوقت الذي نتحرّك فيه... سيكونون قد رحلوا".

استدار نحو الجانب، ووضع يده على أطراف الحفرة وقعرها؛ حيث بدأ كل شيء. كان يمضي ليالي طويلة وهو يتحرك كل صباح باكراً، وفي العطلة الطويلة في نهاية الأسبوع، وما زال يهرول خلفهم ويصل متخلّفاً عنهم. كان وهو يولج يده عميقاً في فجوة من الحصى الرطبة، متأثراً ومحبطاً بالقدر نفسه.

"إذا لم تدخلي السجن مطلقاً، إذا لم تكن لديك أي روابط إجرامية، لكنك على استعداد للتخطيط لعملياتك الإجرامية الخاصة..."

كانت تتحرك وراءه في الغرفة المظلمة.

"ماذا قلت؟".

"إذا لم تكن لديك أي أسلحة، أو أي علاقات للحصول على أسلحة، فماذا ستفعلين؟".

"إذا لم أدخل السجن! هل قلت ما خلت أنك قلته؟".

"تحصلين عليه ببساطة من مخزن الأسلحة".

"هل قمت بزيارته؟".

لم يُجِب جون برونكس. لم يحتج إلى ذلك؛ فهما يعرفان بعضهما جيداً حيث إنه يستحيل عليهما إخفاء أي شيء.

هكذا رأى وأدرك بما لا يقبل الشك أن السارقين كانا أخوين.

رأت ذلك على وجه جون، والتقت عيناها عينيه فغمرتهما السعادة، ثم ابتسما لبعضهما بسرعة، وخرج ليحل معادلة احتوت على ثلاث قيم مجهولة من المستحيل أن تُحل بسبب التغيير الدائم للعنصر المتغير.

وطبقاً لأبحاثهم الجنائية المتعلقة بمجموعة من خمس سرقات، لم تقم المجموعة بإطلاق النار أكثر من مرّة واحدة باستعمال السلاح نفسه. وقد افترض برونكس أنه بعد كل سرقة مصرف، كانوا يستبدلون أسلحتهم بأسلحة جديدة كي لا يتم ربط السرقات التي ارتكبوها ببعضها إطلاقاً، وإذا اعتقل أحد مرتكبي السرقات، فلن تكون لأحدهم صلة بأكثر من سرقة واحدة.

$$X.Y=Z$$

قضي الأمر، حُلّت المعادلة.

استولوا على 221 سلاحاً أوتوماتيكياً؛ الرقم المتغير Z.

"استخدموا أربعة رشاشات من طراز أوتوماتيك كاربين 4، وثلاثة رشاشات مدفعية، ورشاشاً واحداً من طراز "ك.س.ب. 58".

وبالرغم من أنه لم يتمّ التبليغ عن سرقة الأسلحة قط، فالرقم المتغير "X" كان يتبدّل، ويزداد.

وإذا استمروا باستخدام معدّل سلاحين آليين لكلّ سرقة جديدة، فهم يمتلكون ما يكفي من الأسلحة لارتكاب مئة وعشر سرقات مصرفية؛ أي المتغير "Y". إلا إذا حظي أحدهم بفرصة كشفهم.

—

سَقفٌ ذو عقد قنطريّ جميل. اللا نهاية. لطالما راودهُ الشعور نفسه عندما كان يقف في قاعة حجرية مقنطرة؛ إنه شعور غامر لا ينتهي، بالرغم من علمه بأنه سينتهي ذات يوم. تحول تحديق ليو من السقف إلى الجدران، ثم إلى أرض المحطة المركزية، بارتفاع خمس عشرة قدماً، ربما سبع عشرة، والضوء الغامر أثّر بالناس؛ حتى إن كانوا يتجولون بين القطارات ومكاتب قطع التذاكر وكشك الصحف ومقاهي القهوة.

كانت هناك ساعة في زاوية اللوحة الإلكترونية التي تعلن عن مواعيد وصول القطار ومغادرته. تشير الساعة الآن إلى 10:35، بقيت دقيقتان.

تقدم نحو المنصة 7، حيث تصل القطارات من الشمال، ومشى تحت سقف ساتر. لطالما شعر وكأنه في بيته في المباني الممتدة التي تردّد الصدى، المباني ذات المساحات المفتوحة. غالباً ما كان يقف ويسند ظهره ليمعن النظر إلى أعلى، وهذا شيء قلّما فعله الناس. كلما كان يقوم بذلك، كانت تعود به الذاكرة إلى المرة الأولى، عندما زاروا كاتدرائية ستوكهولم. فقد أرادت والدته أن يروا تمثال جاورجيوس والتنين، ولكنه كان قد اكتشف السقف المقنطر، وحاول أن يقف على أطراف أصابعه ليلمسه بالرغم من استمرار الوالدة بالإشارة إلى القاعدة الضخمة حيث نُصب تمثال جاورجيوس واقفاً بدرعه اللامع، وسيفه المسلول فوق رأسه، فيما تنين هادر يرزح تحت حوافر حصانه.

كانت لحظة تجمّد فيها الزمن. اللحظة التي طواها الزمن قبل أن يخبو. إذ

كان من الممكن أن يستمر التنين بالتملص وتمزيق أوصال الواهن المخبّأ وراء درعه وحصانه.

كانت هذه المباني صامدة، لم تكن لتنهار، حتى من جراء قنبلة في الخزانة المقفلة رقم 326. كانت مباني وقفت بصمود واعتزاز غير آبهة بأي شيء.

هو أيضاً قام بتجميد اللحظة.

هو أيضاً أوقف الزمن، هنا تماماً؛ في المحطة المركزية. انتظر المسافرون وراء سياج من السلاسل، ومعظم رجال الشرطة في منطقة ستوكهولم قاموا بوضع الحواجز وحراسة القنبلة الآلية. كانت لحظة امتدّت لساعات وساعات، فيما أنذر النظام بالتوقف قبل الانفجار الذي لا يجب أن يحدث وبعده. والآن، يبدو وكأنه لم يحدث قطّ، لم يتبق أي أثر للخمسة عشر باونداً من المسامير والبراغي التي تطايرت من جراء الانفجار.

انفجرت القنبلة، لكن ليس بسبب أي خطأ ارتكبه هو أو فيليكس أثناء تركيبها، كان واثقاً من هذا. لكن من جهة أخرى، لم يكن متأكداً من أن جاسبر قد قام فعلاً بنزع حلقة الأمان.

لكنه قرّر ألّا يسأل مجدداً، فهو لا يريد أن يخاطر بالحصول على الإجابة الخاطئة. أراد أن يحول دون اتساع الشرخ الذي أصبح فجوة بين فيليكس وجاسبر. تدخّل بينهما، وما انفك يحثّهما على معاملة بعضهما بحرفية، بينما كان في الوقت نفسه يعمل على تقليص عدد المناسبات التي احتاجا إلى أن يكونا فيها معاً.

كانت مهمة فيليكس قيادة السيارة ومراقبة المصرف، بينما قام جاسبر بإطلاق النار على الكاميرات وصرخ على موظفي المصرف للاستلقاء على الأرض أو فتح حجرة الخزنة.

كان شرخاً، ثم صار فجوةً تجمّدت أيضاً.

كانت المنصة رقم 7 تعج بالمسافرين. استطاع من مسافة قصيرة أن يرى قطاراً يصل ويتوقف، فُتحِت الأبواب، وخرج الركاب مع حقائبهم وعرباتهم. استطاع أن يراها، امرأة في العقد الخامس، بشعر أشقر يميل إلى الرمادي، وتسير بخطى ثقيلة. وقف هناك ينظر إليها، وبعد لحظة من البحث، نظرت إليه أيضاً، لكنها لم تواصل السير، بل أخذت هاتفها الخليوي بدلاً من ذلك.

"أين أنت؟".

أمسك الآن هاتفه بيده وابتسم.

"أنا أقف هنا، أمامك تماماً".

"لا أراك".

يقف الناس بيننا، لكنّني أقف هنا، أستطيع أن أراك وبإمكانك رؤيتي.

"انظري إلى الأمام مباشرة".

"لا".

"الآن، إذا لوّحت لك".

رفع يده حتى رأته، فأنزلت يدها التي تحمل هاتفها وواصلت سيرها باتجاهه.

تعانقا، ثم رجعت خطوة إلى الوراء ونظرت إليه.

"يا إلهي، هذا شيء غريب، لم أميّزك".

"لقد مرّت سنة فقط".

"لقد ميّزتك بالأحرى، لكنّني لم أَرَك... بدا ولي كأنني أبحث عن شخص آخر. شخص كُنتَهُ أنتَ وليس منذ فترة طويلة".

"ماما".

عانقها مجدداً، وتفحّصته ثانيةً.

"صحيح ليو، لم تعد كما كنت. تبدو أكبر. كأن الولد الذي أبحث عنه، هو... أنت أكبر سناً".

"أنا أكبر سناً".

"هذا ليس شيئاً سيئاً. لم أعنِ هذا، إنه فقط... لا أعلم، إنه الزمن وحسب".

حاول أن يأخذ حقيبتها، ولكنها أمسكت بها لتبرهن أنها تستطيع أن تتدبّر أمرها بنفسها، وكانت قد بدأت بالسير على المنصة لتعبر المحطة المركزية باتجاه سيارته في الخارج عندما توقفت.

"هل حصل الأمر هنا؟".

في وسط قاعة الوصول، أمام صف طويل من الخزانات الصغيرة.

"ماذا؟".

"ذلك الشيء... الذي انفجر".

"نعم، حصل هنا".

"رأيته على التلفاز. كان الشريط الذي وضعته الشرطة بطول القاعة، والناس ينتظرون قطاراتهم".

نظرت إليه، إذ عادت بها الذاكرة إلى شريط بوليسي آخر، كان باللونين الأزرق والأبيض كالعادة، يرفرف في الهواء حول بيت صغير بعد نوع آخر من القنابل. كان طابقاً سفلياً، وكان والدها يركض ذهاباً وإياباً كلما زادت ألسنة اللهب. وفي وسط كل شيء، كان ولدها البالغ من العمر عشر سنوات ينظر إليها برعب من خلال النافذة.

"سحقاً للأغبياء!".

قامت بوضع يدها على ذراع ليو.

"كيف يخاطرون بحياة الآخرين هكذا؟!".

لم ينظر إليها، ليس هذه المرّة. لكنه أمسك بحقيبتها ولم يفلتها حتى سمحت له بحملها.

"كان أولئك الأغبياء محظوظين ماما، لم يمت أحد".

كانت شاحنة الشركة تنتظرهما بالقرب من المخرج الذي يبعد قليلاً عن الرصيف، وكانت هناك تذكرة موقف تحت إحدى المساحات. قام بتمزيقها ورميها على الأسفلت، بينما سارت والدته حوله وحول السيارة، وأومأت باعتزاز وهي تنظر إلى الشعار المطبوع على الباب: "شركة بناء" (Construction Inc.).

"أنت أنشأت هذا ليو. أنت وحسب. كنت متيقناً من قدرتك على تأمين وظيفة لك وكذلك لفيليكس وڤينسنت أيضاً".

احتضنته مجدداً، وكذلك هو، ولكن ليس لفترة طويلة كالعادة. كانت

الحقيبة في يده، واحتاج إلى وضعها في الشاحنة، قد يكون هذا هو السبب.

عاد إلى جنوب ستوكهولم كما جاء. تردد قليلاً عند المخرج الذي يلي هالندا، ووالدته جالسة على المقعد الذي يليه، ثم تحول إلى خط اليمين ثم اليسار عند الطريق السريع رقم "إي 4" متجهاً نحو الطريق العام القديم، أراد أنّ يمر بهم، أن يتباطأ مباشرةً قبل السلسلة المطوقة، ليرى إن علموا أي شيء.

كانوا لا يزالون هناك. "الڤولڤو" الزرقاء البالية والسيارة العسكرية، وبجانبهما أربع سيارات شرطة أخرى. ثلاث مطلية وواحدة مدنية. كان شريط الشرطة الأزرق والأبيض المعلّق يبدو مثل بوابة أخرى؛ مما يدلّ على أنّ هناك إجراءات تتّخذ للتحقيقات الجنائية. وكان هناك ضابطا شرطة يقفان بسلاحهيما للحراسة أمامهم.

"حدث شيء ما".

لاحظت والدته أنه ينظر في ذلك الاتجاه، فطرقت على النافذة وأشارت إلى الشريط.

"ليو، هل تراه؟ هذا الشريط... يعني دائماً أن شيئاً ما قد حدث".

قام بزيادة السرعة مجدداً، فاختفت السيارات والملابس الرسمية وحتى شريط الشرطة؛ كلها تلاشت حين نظر إلى مرآة الرؤية الخلفية.

الآن أصبح الجميع يعلمون أنه يمكن اقتحام حجرة الذخيرة ببساطة أكبر من خلال الأرض.

—

ما زالت تفوح منها رائحة البارود، أو قد يكون هذا من صنع خياله

وحسب؛ محاولاً إعادة إحياء انفجار كان ملموساً دون ريب.

كانت الأرض منكوشة. الحديد المسلح مقطّع، وفوقه كان السقف ملطخاً ببقعة سوداء كبيرة بفعل قوّة الانفجار.

"تعال معي".

خَطَت سانا سريعاً إلى الخارج، ولحقها برونكس ولكن ليس بالسرعة نفسها. أمسكت بذراعه وسحبته فيما كانا يسيران فوق الحصى باتجاه طرف الغابة.

"نفقٌ عبر الحصى وصفيحة معدنية على الأرض... وكان هذا منذ ستة أشهر".

أومأت باتجاه الأشجار العارية المنتصبة حولهما.

"خريف مبكر. تماماً بعد تساقط الأوراق".

جلست على مؤخرتها، وانتظرت منه أن يقوم بالمثل، وأشارت إلى صخور مغطاة بشجيرات التوت الأزرق البري.

"تلك الأحجار، الكثير منها، كانت قد استخرجت من قبل السارقين خلال شقّ النفق، وحُملت إلى هنا، وانتهى بها المطاف فوق الأوراق التي كانت قد سقطت سابقاً حينها، ولكن تحت الأوراق التي سقطت لاحقاً. هل تفهم هذا؟".

كانت فوق الصخور طبقة من أوراق الأشجار الرطبة التي بدأت تذوي. لكن عندما رفعتها، كشفت عن أوراق جافة وغير فاسدة.

"ليس تماماً".

"هذه الأوراق هنا، الواقعة تحت الصخور، هي أوراق من شجرة الدردار. إنها الشجرة التي تسقط أوراقها باكراً؛ بدءاً من أوكتوبر، فينتهي الأمر بوجود الأحجار فوقها، ومن ثم تتغطى بأوراق أشجار البتولا التي تتساقط في نوفمبر.

"كان شهر أوكتوبر حين حصلت السرقة الأولى في فارستا".

شعر برونكس بيدها على ذراعه، بالرغم من أنها قد أفلتتها. نظر إلى الحشود التي بدأت تتكاثر، لكن ما زال أكثرها من رجال الشرطة والجنود. وفي مكان ما في ذلك الحشد وقف رجل بعينين قلقتين، يدخّن ويمنّي النفس لو كان في مكان آخر.

"ذلك الرجل هناك سنا، ذاك الذي يرتدي ملابس مدنية..."

"ما به؟".

"لماذا قلت إنه كان..."

"المفتش، قام بمتابعة كل خطوة قمت بها. كأن الأمر... شخصي".

انطلق برونكس بخطٍّ متعرّج بين ذوي الملابس الرسمية متّجهاً نحوه بيد ممتدّة.

"جون برونكس. شرطة المدينة. تقابلنا لوقت قصير".

"جواكيم نايلسن "ف او 44". أنا أعلم ما تفكر فيه".

كانت رائحة الدخان تزداد قوة كلما اقترب منه.

"وما الذي أفكر فيه؟".

"أنه كان يتعين عليّ أن أراه، وأنه كان عليّ أن ألاحظه خلال كل ذلك الوقت".

"أكان عليك ذلك؟".

"لقد اتبعت البروتوكول والنظام الأصلي بحذافيره، وكل التعليمات التي هي جزء من الوصف المهني".

ثم توقف. ففي الأحراج خلفهما تماماً، كان هناك شخصان يهمّان بالاقتراب منهما. كانا رجلاً وامرأة في يدها كاميرا. قام برونكس بتمييز المرأة، وكانت صحفية جميلة. لا بد أنهما التفا حول الحاجز. ولكن، ما كان يجب أن تتواجد هنا، ليس بعد، فقد كان الوقت مبكراً جداً.

"الكثير لأجل السرية".

"عفواً!".

"هناك دائماً من يزود بمعلومات سرية ليحصل على عشرة آلاف بسهولة".

انتظرا لحين انسحاب الصحفية والمصوّر بلباقة.

"من؟".

"من ماذا؟".

"مئتان وواحد وعشرين سلاحاً آلياً. في يد... من؟".

هز برونكس رأسه باستخفاف.

"لا أعلم من، أو... ماذا. لكنني أعرف ما استخدمت لأجله".

كان الحشد يتكاثر، وتسلق أربعة رجال آخرون التلة الشاهقة للوصول إلى ساحة الحصى. كان اثنان منهما في بذلتيهما واثنان آخران بالزي الرسمي؛ من المكتب الوطني للتحقيقات والمركز الأمني للقائد الأعلى للقوات المسلّحة.

أومآ للمفتش الذي بدا أقل اهتماماً، وكأن هذا ما كان بانتظاره.

صافح برونكس الرجل الذي سَيُنقل إلى منطقة أخرى على الأرجح، وسرعان ما سيعطى مهمة أخرى قريباً جداً، ثم عاد إلى المخزن الفارغ ورائحة البارود. لقد علم الآن. كانوا قد فجّروا الداخل في وقتٍ ما بين الرابع والتاسع عشر من أكتوبر، بين الجردة السابقة والسطو على الشاحنة المدرّعة في فارستا.

تقريباً منذ ستة أشهر.

أين بحق الله يمكن أن تخبأ أسلحة فوج كامل لكلّ هذا الوقت؟!

—

انزلق الباب وفُتح بسهولة أكثر من ذي قبل، وكأنّه هو أيضاً كان فضولياً ومتحمساً. أضاءت أنوار الصباح المرأب الفسيح. كانت الأرض ملطخة بالزيت والطلاء، وطاولة العمل الكبيرة التي نشروا عليها الخزنة وصنعوا القنبلة مغطاة الآن بصناديق من الكرتون مليئة بالمسامير، وكومة صغيرة من المعدات تحت بضع ياردات من قوالب مدورة من خشب البلوط".

"نتدرب على الكثير من الأمور هنا".

"تتدربون!".

"على صنع مجسمات ونماذج وأشياء من هذا القبيل".

نظرت باعتزاز.

"إنني مسرورة لأنك تبلي بلاءً حسناً، ولأنك تهتم بڤينسنت وفيليكس".

دعا والدته للدخول أولاً، لتسير على خط من الضوء الخفيف في غرفة فسيحة لا تنتهي.

"وهل كل هذا لك يا ليو؟".

"لنا".

"جميعكم".

"نحتاج إلى الكثير من المساحة ماما. فكما تعلمين، الشركة تنمو".

أزاحت قوالب خشب البلوط جانباً، والتقطت مطرقة، فتلتها وقلبتها، ثم مفك براغي ومفتاح ربط، ومن ثم التقطت ما كان تحتها، علبة سجائر.

"ما هذه؟".

"إنّك تَرَين ما هذه".

"هل تدخن؟".

"في بعض الأحيان".

"لكن ليس ڤينسنت، أليس كذلك؟".

ابتسم لها، ويده على خدها.

"أنا سعيد برؤيتك أيضاً ماما".

كانت هناك سيارة تتقدم عبر الفناء الأسفلتي، كلاهما سمعا وصولها فتنحّيا جانباً، فيما قاد أحدهم السيارة إلى داخل المرأب، وأوقفها بجانب الشاحنة الأولى، وكانت في الشاحنة رزمة من المواد العازلة ودلوان بسعة عشرة ليترات من الطلاء.

"أهي شاحنة أخرى للشركة؟".

"أخبرتك يا أمّي، نحن نتوسع".

قفز فيليكس من مقعد السائق بذراعين ممدودتين.

"أمّي!".

رفعها عالياً، وحضنها بحرارة، واستدارا مرّتين، بينما لطّخ غبار الطلاء الأصفر ملابسه الخاصة بالعمل.

"الآن فيليكس!".

ضحكت الوالدة، كان شيئاً محبّباً أن نرى والدتنا تضحك، إنه نوع من الضحك الذي تستمتع بمشاركته.

ثم تركها فيليكس وشأنها، في حين فتح ابنها الأصغر باب الشاحنة.

"ڤينسنت".

حضنته لفترة أطول من الآخرين. لم يكن مرتاحاً لهذا فعلاً، ولكنه حاول إخفاء ذلك ببسمة.

"أصبحت... كبيراً جداً!".

"حسناً، أبلغ من العمر ثمانية عشر عاماً".

"أنت في السابعة عشرة من عمرك".

"قريباً".

تراجعت نصف خطوة دون أن تفلته.

"يا ڤينسنت، رائحتك دخان".

"ماما، أنا الذي أدخن".

"أنت يا فيليكس!".

"نعم".

"إذاً، أنتما الآن تتستران عليه".

كان من الصعب الجزم في ما إذا كانت بسمتها صادقة. لكن فيليكس قرر أنها كذلك.

"من الأفضل في بعض الأحيان ألا تعرف الأمهات كل شيء. أليس كذلك؟".

أُنزل باب المرأب إلى الأسفل، فصارت شمس الربيع الدافئة تسطع فقط على الفناء الخارجي. نظرت حولها فيما كانت تسير باتجاه البيت. ربما هي تبحث عن العشب، لكنها لم تذكر ذلك، بينما كانت تمسك بفيليكس الذي أمسك بها أيضاً.

"كم ستمكثين؟".

"لهذه الليلة فقط".

"أمي!".

"سأغادر غداً في الصباح الباكر لأرى جدتكم. لكن، يمكنكم أن تأتوا برفقتي؟ جميعكم، إلى سكوندال. كم تبعد من هنا ليو؟".

كانوا قد قاموا بزيارة ذلك المكان منذ وقت قصير. أحدهم قاد سيارة مصفحة مسروقة بالقرب من البيت الصغير الذي يعيش فيه جدهم وجدتهم، والآخر استلقى على التلة استعداداً لإطلاق النار، والأخير كان يرسو بقارب الهروب عند الرصيف البحري.

"لا نستطيع ماما، لدينا الكثير لنقوم به... تعلمين".

"أعلم، أنتم تتوسعون، هل يمكننا أن ندخل؟".

رأتهم أنيللي من نافذة المطبخ، رأتهم جميعاً في المرأب المفتوح. رأتهم يتعانقون ويضحكون، كان لمّاً للشمل. والدة وأولادها الثلاثة وتقاربهم الواضح الذي لم يفسح أي مجال لأي شخص آخر.

رأت كيف توجّه ليو إلى البيت أوّلاً، على غرار الأب البديل الذي يمسك بزمام الأمور. ثم فيليكس الذي يبدو دائماً أمام والدته أصغر سناً بكثير، ويتحول إلى شخص يقوم بإضحاك والدته، وهذا دور كانوا بحاجة إليه. وكان ڤينسنت خلفهم تماماً؛ هو دائماً الطفل المدلل، مهما بذل من جهد في محاولة لتغيير ذلك.

كان عليها أن تعرف.

فُتح الباب الأمامي، فألقت أنيللي التحية على امرأة لم تفهمها قط.

تكلّمتا طبعاً، لكن عن لا شيء. لم تقل والدة ليو مطلقاً ما كانت تفكّر فيه فعلاً، وكانت تتحدث بطريقة غير صريحة بالتأكيد تدفعك للبحث عن الإجابات بطرح الأسئلة عليها، وكأنها ارتكبت خطأً بالرغم من أنها لم تقم بذلك. قد يتصرّف ليو على هذا النحو في بعض الأحيان. لديهما العينان نفساهما، وهما الاثنان يمعنان التفكير بكلّ سؤال ليفهما القصد من ورائه، لتهيئة نفسيهما وتجنّب الأذى؛ كأنه شيء أكثر من سؤال بسيط وحسب.

"هل يمكنك أن تهتمّي بأمي وتأخذيها بجولة في أرجاء البيت؟".

استطاع ليو أن يسمع التلفاز في غرفة الجلوس حيث يريد أن يذهب، ويجلس على الأريكة، ويشاهد الصور عن مخزن الذخيرة الفارغ.

"أريدك أن ترافقني في أول مرة تقوم فيها والدتك بجولة".

لذا، قام هو بذلك، وحاول الإسراع خلال الجولة في أرجاء البيت التي استغرقت وقتاً أكثر مما تمنى؛ لأن والدته توقفت في كل غرفة لتسأل أسئلتها، وكانت أنيللي كلّما سنحت لها الفرصة، تكرّر كيف أنّ هذا مؤقتاً، أعلم بريت ماري، إنه فناء صغير، لكن سيكون أكبر بعد سنة، موضحةً أنهم سيشترون بيتاً أكبر عندما تزدهر أعمال الشركة. ثم وصلوا إلى الغرفة الأخيرة، غرفة نومهما في الطابق الثاني، واستطاع هو أخيراً أن يتركهما عند النافذة تنظران إلى أشجار التفاح والعشب عند الجيران. شيئاً كهذا بريت ماري، ذاك هو طراز المنزل الذي أريده.

"هل يعلمون؟".

جلس فيليكس وڤينسنت على طرفي أريكة غرفة الجلوس بانتظار نشرة الأخبار التي أوشكت على البدء.

"نعم. مررت بهم، وكان هناك أطنان من الناس".

الآن، التقرير، ومضيف التلفاز الذي لطالما جلس هناك منذ أن كانوا أطفالاً. صوته هادئ، ووجهه خالٍ من التعابير سواء أقرأ تقريراً عن سوق الأسهم أم خبراً عن موت.

كُشف النقاب هذا الصباح عن أكبر عملية سرقة أسلحة في تاريخ السويد، في مستودع للأسلحة في بوتكركا، على بُعد أقل من خمسة عشر ميلاً جنوب ستوكهولم.

عُرضت مشاهد قصيرة لساحة الحصى في غابة يتوسطها مبنى صغير رمادي اللون. صُوِّبت الكاميرا نحو الباب المفتوح المؤدي إلى مساحة ضيقة مضيئة.

"هل رأيت..."

كانت حركة الكاميرا غير ثابتة؛ ففي بعض الأحيان تنحرف خارج البؤرة فيما تبحث عن الحفرة الكبيرة، وكأن الكاميرا بكاملها مالت إلى الأمام واتجهت إلى صورة سوداء.

"... يبدو أن أحدهم قد دمّر الأرض".

ابتسم ليو لأخويه فيما كان يتذكر استلقاءه في الغابة لتفادي ضوء المصباح، وهو على يقين بأنه سرعان ما سيقوم بما لم يَقُم به أحد من قبل.

"وبعد ذلك، يبدو أن "أحدهم" هذا..."

استدارت الكاميرا الآن إلى صناديق خشبية خضراء.

"... أخذ كل شيء كان في الداخل. ولم يكتشف الأمر أحد حتى اليوم".

كانت الشرطة- وفقاً للتقرير- تبحث عن مرتكبين للسرقة وُصفوا بأنهم ضليعون في التكتيك العسكري وملمّون في استعمال المتفجرات.

شعر ليو مجدّداً بنوع من الهدوء؛ بما يشبه نشوة السعادة الغامرة، وذلك عندما تحولت الصور من داخل مخزن الأسلحة إلى صور للشرطة بالزي الرسمي، وللسلسلة المطوقة أمام سيارات الشرطة المتوقفة.

"لكن، انظر ليو... هذا ما مررنا به في طريقنا إلى هنا!".

لم يلاحظ أن والدته قد عادت إلى الغرفة.

"أخبرتك بذلك. في كل مرّة تعلّق فيها الشرطة هذا الشريط، يعني الأمر

أنّ شيئاً سيئاً قد حدث!".

جلست على الأريكة بين ولديها. شعر فيليكس بكتفها قرب كتفه، ونظر في الاتجاه الذي تشير إليه، لكنه لم يقل شيئاً. لم يستطع؛ إذ لم يكن ذلك ممكناً. هو الذي كان يُضحك والدته، الآن ليس لديه ما يقوله، وما يفعله. لم تعلم بالطبع، ولكنها نظرت إليه كما لو أنها تعرف، وكأنها تطلب منه إخبارها. كانت نظرة سامحته فيها على كل شيء، حتى على كتلة بصاقه. يجب عليه أن يقول شيئاً. لذا، أمسك بجهاز التحكم عن بُعد وأخفض صوت التلفاز حتى أصبح صامتاً. لعلّه يجب أن يفعل ذلك الآن. ربما يجب أن ينظر إليها ويقول: أمّي، نحن الذين سرقنا كل تلك الأسلحة التي يتحدثون عنها على التلفاز، ثم سطونا على خمسة مصارف بواسطتها، وقد تنحني فوقه وتعانقه.

"فيليكس".

"ماذا؟".

"ما الخطب؟ ما المشكلة؟".

عُرض المزيد من الصور عن المخزن الفارغ. وكل واحد منهم علم بالأمر؛ باستثناء والدتهم، علموا أنّ ما يجب أن يكون مُلقًى هناك في مخزن الأسلحة، ملقى هنا تحت أقدامهم.

"أفكّر بمغادرة... شركة البناء".

كان ليو جالساً بهدوء منذ دخول والدته الغرفة، فقفز الآن قليلاً لدى سماعه الخبر.

"ماذا ستفعل؟!".

لم ينظر إليه فيليكس، بل نظر إلى والدته.

"لأنني لا أعتقد... كما تعلم، لست متأكداً حقاً من رغبتي في مزاولة مهنة البناء".

"حقاً!".

"أعتقد أنني أريد أن أبدأ بالدراسة أمي".

شعر فيليكس بما يدور في ذهن ليو، لكنه تظاهر بتجاهله، نظر فقط إلى والدته التي كانت تبتسم له.

"يا للروعة فيليكس! يجب أن تدرس بالطبع".

عانقته والتفتت نحو ليو.

"أليس كذلك ليو؟ ألا يبدو ذلك صائباً؟".

—

مرأب داخل مرأب.

طرق جون برونكس الباب وانتظر أن تسمح له سنا بالدخول.

وصل الصحفيون والمصورون الواحد تلو الآخر لينظروا إلى حفرة في الأرض، في حين رحل المفتّشون والرجال بالملابس الرسمية. وفي وقت معيّن بعد حلول الليل، تُرك لوحده. وبعد قضائه يوماً على الحصى في غابة مقطوعة الأشجار، تعلّم أن حرارة شهر أبريل لا تستمر حتى المساء، وكان ممتناً لسترته السميكة.

"لا تحتاج إلى طرق الباب جون، تفضل بالدخول".

"العصبة المسلّحة".

"لم تطرق الباب قبلاً".

"هذا ما نطلقه عليهم الآن".

عندما يبدأ أي مجرم أو مجموعة من المجرمين بالارتباط بنمط معين من الجرائم، يُطلق عليهم اسم أو وصف. الأسلحة العسكرية، جهاز المعركة، جزمات، إحكام، وسائل الاتصال. بدا الاسم أكثر وضوحاً بعد نشر الصور الأولى لإخلاء مستودع التعبئة منذ عدة ساعات.

"أنت تنظر الآن إلى الصفيحة التي استخدموها لتركيب القنبلة".

في ركن صغير على طاولة عمل التقنيين الجنائيين، كانت هناك شظايا من البلاستيك والألواح موزعة على شكل لغز ملوث بالسخام.

"شريط لاصق، صفيحة معدنية، مواد متفجرة من نوع "TNT" و"PETN"، و"RDX"".

قامت سنا بتحريك بعض القطع حتى رتّبتها كما تريد.

"قُسمت المتفجرات البلاستيكية إلى اثنتي عشرة كومة، وربطت ببعضها بأنابيب "بنتيل ستابن". وللحصول على حفرة بقطر خمسة وعشرين إنشاً، يتحتّم أن يكون وزن المتفجرات ما يقارب الباوند الواحد".

"باوند".

"نعم".

"لا بدّ أنها أحدثت دويّاً مروعاً".

"نعم".

"ولم يسمعه أحد!".

"وُضعت صفيحة المتفجرات تحت الأساسات. البناء خنق الدوي. وبالإضافة إلى ذلك، كانوا بعيدين، في غابة بالكاد مأهولة".

نظرت إليه، كانت متعبة بعد يوم طويل مليء بالعمل، بعينين لم تتم وقايتهما تماماً، واللتين وقع في حبّهما في يوم من الأيام. قامت بجلب السترة المعلّقة على ظهر الكرسي.

"يمكننا أن نستمر بالكلام عن هذا إذا أتيت معي للحظة".

سارا عبر ممرات مركز الشرطة الرئيس ومن ثم إلى الشارع، جنباً إلى جنب باتجاه ساحة مهجورة، بِصَمتٍ تامّ، بعد منتصف الليل بعدّة ساعات، في جوّ أصبح أكثر برودة.

"الأخ الأكبر".

كان شارع هانتفركار هادئاً جداً، حيث يقع مبنى "قاعة المدينة" تحت سماء الليل الصافية.

"هذا ما أدعوه به، القائد. ولم أزل لا أقبل الصورة التي ظهرت أمام الكاميرات في كل سرقة جديدة، حتى بعد ما رأيناه اليوم. هي براعة في التحليل، وتصميم مبيت، وتنظيم مركب، ودقة في التنفيذ؛ هي بالتأكيد كل ذلك. لكنها ليست عملية عسكرية من المفترض أن تدوم لستة أشهر ثم تنتهي. هذا لن ينتهي أبداً. كأنه مدمن، ليس على الكحول أو المخدرات، لا أقصد ذلك، لكنه مدمن على السطو. وسيحتاج إلى المزيد بعد فترة؛ للحصول على مستوى رفيع، وطلباً للثروة التي سيسعى لها أكثر وأكثر. عندما خطّط للسطو على الشاحنة المدرّعة في

فارستا، جلس على كرسيّ مدولب بانتظار قدومها... كان هذا كافياً آنذاك. ولكنه بعد ذلك... احتاج إلى زيادة الجرعة. لذا خطّط للسطو على مصرفين، فسطا بنفسه على أحد المصارف، بالتزامن مع سطو شريكيه على مصرف آخر".

انتهى شارع هانتفركار، وأومأ برونكس باتجاه جسر على طرف خليج ريدار، ثم أومأت هي بالمقابل.

"لذا، في المرّة المقبلة سيحتاج إلى المزيد. ربما سيحتاج إلى سرقة المزيد من المصارف، وقد يطلق المزيد من النار... فمن أجل بلوغ الذروة، وطلباً للثراء، عليه أن يزيد الرهان. وهذا النوع من الإدمان لن يتوقف حتى يسلم الروح".

كان الماء على الجانب الأيمن ساكناً، وقد رست قوارب الأرخبيل حتى اليوم التالي، وسكّة القطارات المتوجّهة جنوباً كانت هادئة ومهجورة.

"الأخ الأكبر!".

"نعم".

"لن يتوقّف قبل أن يردعه الموت".

توقف، كان هناك مقعدٌ في وسط الجسر، أسند نفسه إليه فيما قام بالتحديق إليها. كانت تفهمه بطريقة ما؛ فقط قلة من الناس استطاعوا فهمه، أو ربما لم يفهمه أحد، أو ربما ظنت أنها فهمته.

"أعلم ما تفكرين فيه. ولكن الأمر ليس بهذه البساطة".

"أتعلم ذلك؟".

"إذا خِلتِ أنني سأضع وجه أخي على أحدهم قرّرت أن أدعوَه الأخ الأكبر فأنت مخطئة. ليست لديهما الدوافع نفسها".

"كيف تعرف؟ إنهما أخوان استخدما العنف".

"لكن هذا... يستخدمه من أجل مصلحة شخصية".

"إذاً، أخوك قتل من أجل مصلحة شخص آخر، هل هذا ما قصدته؟".

استمر بالنظر إليها.

"سنا".

"ماذا؟".

"في بعض الأحيان لا أفهم ما تتحدثين عنه".

سارا بهدوء مروراً بريدارهولمن، وهي جزيرة ذات مبانٍ جميلة حيث لا يعيش أحد، ثم تابعا السير باتجاه سلوسن ومحيط سودرمالم التي وقفت لتحيّتهما. وبعد ذلك نزلا السلالم إلى مكان يحيط به درابزينٌ ومنظر رائع لمدينة تتأهب للنوم. كانا هنا من قبل، ينظران إلى ستوكهولم. في ذلك الحين، وصلا إلى هذا المكان من اتجاه آخر، لكنها كانت على القدر نفسه من الظلمة؛ مدينة أُضيئت بأنوار الشوارع والأنوار المتسللة من نوافذ الشقق.

"لقد التقينا من قبل".

وقفا جنباً إلى جنب ينظران إلى أسقف البيوت والأزقة، ولم يعد صوتها آلياً، ولم تكن كذلك على مدار اليوم.

"ماذا؟".

"هل تعلم هذا يا جون؟ في شارع كينغ".

نظرا إلى بعضهما. هذا ما فعلاه. نظرت إليه بطريقة تمنّى تكرارها يوماً ما.

"رأيتك من بعيد".

رأيتك.

"كان ذلك يوم سبت في فصل الصيف. لا أعلم، منذ سنتين. كان الشارع يضيق بالناس. حاولت أن ألفت نظرك عندما مررنا قرب بعضنا، وأنت نظرت بعيداً جون".

رأيتني، وأنا اخترت النظر بعيداً.

كان يتخيل هذا الحديث كل يوم لأكثر من عشر سنوات. عدّة مرات في اليوم. كانت هناك كل الوقت؛ عندما يستيقظ، وعندما ينام. وكان يُمَنّي النفس بالشرح لها عن سبب طلبه منها الانتقال في ذلك الخميس منذ زمن طويل، عن سبب طلبه منها الرحيل قبل أن يرجع.

أراد أن يخبرها عن إصابته بنوبة من الذعر المفاجئ عندما تقرّب منها أكثر، وكلما اقترب أكثر غمرته فكرة قاهرة بالرحيل دون عودة لمن كان في الشقة، وكيف حارب بضراوة لآخر نفس. ومن ثم يأتي السير الرهيب عبر الغرف وبين الجدران العارية، وكيف استلقى على أرض الرواق وهو يعاني من الخوف الشديد ومن تسارع في نبضات القلب، ثم أمضى يومين في المستشفى لإجراء الاختبار (إ.ك.ج) قبل أن يرجع إلى نقطة الصفر.

كان يُمَنّي النفس بذلك كل يوم لمدة عشر سنوا.، والآن، ها هي تقف أمامه، تكاد تلمسه. وإذا تحرّك هو، تتوقّف هي.

لهذا، قامت هي بالاقتراب منه وقبّلته، ثم قبّلها هو عندما أيقن أن هذا ما آل إليه الأمر.

أمسك بيدها وبكى، ولم يستطع أن يتوقف. إنه لم يبكِ حتى في جنازة

والده، لأنك لا تبكي إذا لم تسامح.

"رأيتكِ أيضاً".

"ماذا؟".

"في ذلك اليوم، في شارع كنغ. رأيتكِ، لكن..."

"رأيتني ولم تظهر ذلك!".

اعتقد أنه ربما يجب أن يسألها بعض الأسئلة عن حياتها الآن، عما كانت عليه تلك الأيام.

"لم تُظهر ذلك يا جون! تماماً مثلما لم تظهر ذلك عندما عشنا معاً من قبل!".

كان يجب أن يسألها عن أختها، وعمّا إذا كانت قد اشترت المنزل الذي لطالما رغبت بشرائه، أو عن سبب تقدمها للحصول على مركز في شرطة المدينة، وعمّن ساندها.

"جون، هل تتذكر؟ هل تتذكر آخر مرة؟".

كانت تصرخ.

"لا. لا أتذكر".

كانت حينها تصرخ: أنت نذل قاسٍ. كرّرت ذلك، ثم أغلقت الباب واختفت.

"ألا تتذكر سبب طلبك مني الرحيل؟".

وقف هناك، وكان الليل خلفه، وبكى.

يتعين عليه أن يسألها عن كل ذلك الآن. كانا يتبادلان الحديث.

"ألا تذكر سبب قيامك بتوضيب أمتعتي في حقيبة 'إيكيا' ملعونة؟".

كان عليه ذلك.

"أنت... لم تتغير! ما زلت كما أنت جون، كما كنت وقتئذٍ؛ ذاك الذي لا يتذكر. وما زال الوصول إليك صعباً".

هي لم تبكِ، بل هو الذي بكى. لكنها اتجهت نحو موقف الحافلة وطابور التاكسي، ولم يلتفت هذه المرة؛ إذ لم يرد أن يراها وهي تختفي.

—

لم يحبّ الفناء يوماً. لكن ليس لأسباب أنيللي نفسها- لأنه خالٍ من العشب أو شجر التفاح- فهو لم يحبّه لأنه غير مستوٍ. من قام به كان عمله سيّئاً. على كلّ الأحوال، هو لم يكن يحبّ الناس الذين لا يفعلون أفضل ما عندهم؛ على أكمل وجه.

وقف ليو عند النافذة، ونظر إلى الحفر التي فاضت بمياه المطر المتجمعة فيها، ثم أغمض عينيه، وقام بتغيير زاوية تركيزه ونظر إلى انعكاس صورته على زجاج النافذة. كانت والدته خلفه في الغرفة، جالسةً على طرف الأريكة السريرية، في ملابس نوم مختلفة عمّا كانت أنيللي تلبسه، كانت ترفع الوسادات المزركشة وترميها لتتكوم على الأرض ذات المربعات.

سحب الستائر والتفت إلى الخلف، كانت تمسك الأربطة محاولةً سحب الفرشة المطوية، فقام ليو بتحريكها بلطف بعيداً عن السرير.

"أنا سأقوم بهذا، إن تحريكها صعب بعض الشيء".

قام بالضغط على إحدى الزوايا بيده وأمسك المقبض باليد الأخرى، وشدّه بقوة مما أدى إلى بروز الفرشة، ثم سحبها وفتحها بطولها الكامل. غطى السرير أربع بلاطات أرضية، اثنتين بيضاوين واثنتين سوداوين، فحجب بدوره الخزنة ومدخل مخزن الأسلحة.

ثم فك أربطة اللحاف، ومسح بيديه الملاءة عدة مرات حتى أصبحت ملساء.

"لست مضطراً إلى القيام بهذا".

ابتسمت له والدته.

"لطالما كنت شديد الاهتمام".

جلست على الملاءة التي كان يملّسها.

"وتهتم بتوفير غرفة إضافية لضيوفك".

"كان عليك أن تريها قبل التجديد".

"نعم... الجدران طليت حديثاً، أليس كذلك؟ وأنت سوّيت الأرضية، أليس كذلك؟".

"لم أكن أنا، بل ڤينسنت. قام بوضع كل قطعة بلاط للأرضية".

جلس قربها، فأمسكت يده وضمّتها إلى يدها.

"صدقاً ليو، توقّعت هذا".

"ماذا... توقعتِ؟".

"عندما أتاني ڤينسنت وقال إنه يريد أن ينتقل إلى ستوكهولم، إلى منزلك... توقعت أنك ستتولى أمره".

أمسكت بيده ومسّدتها برفق، فشعر بالارتعاش بالرغم من أنّ هذا كان مألوفاً على غرار ما حصل هذا الصباح بالذات؛ عندما سارا عبر المحطة المركزية وتوقفت حيث انفجرت القنبلة، وعندما كانا في السيارة ومرّا في طريقهما بشريط الحاجز ذي اللونين الأزرق والأبيض قرب الممر الذي يؤدي إلى المستودع العسكري.

"أصغي إليّ ماما..."

ونظر الآن إلى عينيها نظرة لم تجعل أياً منهما مرتاحاً؛ لأن الشعور بالذنب لا يجعل أحداً رخيّ البال.

"... ڤينسنت يهتمّ بنفسه".

"أنا على يقين من أنه لا يفعل. ليس بشكل كامل على أية حال. لطالما كنت تهتم به، وبفيليكس، وحتى إنك اهتممت بي وبوالدك".

هزّ رأسه.

"أمي".

كأنه لا يريد أن يسمع المزيد.

"لو لم تتدخل حينها يا ليو لقضي علي؛ إذ لم يكن ليتوقّف عن ضربي".

رأت ذلك، ولكنها لم تكترث. ظنّت أنه مرتبك.

"أنا فخورة بك جداً. فأنت تتحمل المسؤولية، لطالما تحملت المسؤولية".

"توقفي عن هذا أمّي، أرجوكِ".

أمسكت بيده الأخرى الآن ووضعتها بين يديها.

"لقد نجحت حيث فشل هو. إذ أنشأت شركة، وها أنت تقوم بتوسيعها بدلاً من البطالة، وأمّنت عملاً لأخويك. كنت أباً لهما أكثر مما كان هو. أو... بالأحرى هو كان مثلك، في البداية فقط، كان عطوفاً ومحبّاً".

ثم ساد الصمت. وعندما واصلت الكلام، اخشوشن صوتها:

"أنت تشبهني إلى حدٍّ كبير. هل تعلم هذا؟ نحن نتشارك الكثير من الصفات، أنا وأنت ليو. قد لا تتمكن من رؤية ذلك، لكن ذلك موجود داخلنا".

نظرت إليه، ولكنه لم يعد قادراً على النظر إليها. لا بد أنها رأت ما في داخله سريعاً، وأدركت أن ما ظنّته ذنباً كان في الحقيقة عيباً. لذا، ابتسم وعانقها.

"تصبحين على خير أمي".

سمعها تنسل تحت الملاءة المغسولة حديثاً، وأطفأ المصباح من دون أن ينظر حوله، وذهب إلى البهو ثم إلى المطبخ. كان انعكاس صورته على زجاج النافذة أكثر وضوحاً الآن، لأن الضوء خفت في الغرفة.

أصبحت أنفاسها منتظمة الآن بعد أن غطّت في نوم عميق، على أريكة سريرية، فوق الأسلحة التي دارت حولها كل تقارير الأخبار اليوم. خالت أنها تنام على أرضية قام ابنها الأصغر بتسويتها. واعتقدت أن ابنها الأكبر يدير شركة للبناء أمّنت العمل لأبنائها. ظنّت تماماً ما أراد للجميع أن يظنّوه. حتى إنّها رأت ما أراد هو أن يراه الجميع.

ومع هذا، لم يكن رخيّ البال. نظر إلى صورته المنعكسة على الزجاج؛ إلى

شخص اعتقدت هي أنه نظيرها، أحد تحمّل المسؤولية.

تنفس ببطء حتى أصبح زجاج النافذة ضبابياً، واختفى انعكاس صورته.

مرة أخرى وحسب، مرة أخرى وحسب، وستكون العملية الكبرى. سرقة ثلاثية. خمسة عشر مليون كرونة. ثم سيبيع الأسلحة، وسيتمكن فيليكس من متابعة دراسته، وبعدها سيكون شبيهها مجدداً. إذا توقفوا بعد ذلك، فلن يتمكّن أحدٌ من اكتشاف الأمر.

—

لم يكن يسمح بوضع أي شيء على طاولة القهوة عندما يبدأ برنامجه؛ ما عدا المفكّرة. كانت مفكّرة جديدة بصفحات بيضاء فارغة. كانت موضوعة على الرفّ مع المغلّفات والأقلام في كشك جونسون. وقد اشتراها عندما كان يشتري الصحف. نادراً ما كان يقرأ الأخبار على تلك الأوراق المهلهلة، لكنه في الأسبوع الماضي سار إلى الساحة عند الساعة الرابعة من أجل شراء الطبعات الصباحية والمسائية التي تكوّمت على أريكته الآن.

كانت على الطاولة أمامه مفكرة وحسب، ليكتب عليها أي تطورات جديدة. مُسح كل شيء وجُفف؛ خشبة التقطيع، السكين، المنفضة، البصل، وحتى بقايا التبغ والدوائر الحمراء الرفيعة التي تنجم عن وضع كؤوس الشراب على الطاولة.

وضع إيڤان قلم الرصاص الذي يعمل بالضغط- الذي علم أنه يعمل- على أوّل صفحة أصلية من المفكرة، وأسند ظهره إلى الأريكة. أدرك أنه يغرق وسط الوسادات التي ذكّرته بمحاولته الجلوس على الأرجوحة الشبكية، وأصبح الضغط الذي يشعر به أسفل ظهره أكثر وضوحاً منذ أن توقّف عن احتساء الشراب اليوم. لذا، انحنى إلى الأمام مجدداً، وأسند كوعيه على ركبتيه محاولاً تجنّب مشكلة الظهر. كانت هذه هي الطريقة نفسها التي اعتاد الجلوس بها بانتظار لعبة الكرات تتدحرج

وتنحدر إلى الأسفل لتستقر في أنبوب شفاف.

انحنى إلى الأمام، ولكنه اليوم لم يضع أي رهان. كان هناك برنامج أكثر أهمية تطلّب كل انتباهه كي يتخلص من هواجسه.

اقترب أكثر من كومة الصحف، وقلّب فيها بحذر كما لو أنه يرتقب شرّاً دون أن يعرف السبب. لقد قرأ كل مقالة عدة مرات. جمع كل القصاصات التي كُتِبَ عليها أيّ شيء عن الموضوع. لكن البرنامج التلفزيوني هذا- الذي كان ينتظره- لطالما عرض صوراً جديدة عن الجرائم الراهنة التي لا تحظى الصحف بأسبقية الوصول إليها بعد، معلومات اختارت الشرطة عرضها هنا، وكأن الأنذال ظنوا أنهم يقومون بشيء مهم؛ حتى لو تواجدوا هناك مثل مجموعة قطع في برنامج تلفزيوني، متظاهرين بالعمل.

انتظر عشرين دقيقة للتأكد من عدم تفويته البداية، فاصلان دعائيان- يحاولون أن يجعلوا الناس يصدّقون أن حياتهم الشقيّة ستصبح أفضل إذا اشتروا شيئاً مما يشاهدونه، وتوجد منه آلاف الخيارات- وفي ما بين الفواصل، نهاية عرضٍ تلفزيونيٍّ حيث لم يشخ أحد خلال عشر سنوات، وحيث جلست الشخصيات على أريكة مثل هذه تماماً، فيما تم تسجيل الضحك.

قام بتدخين سيجارة أخرى. ملأ الورقة الرقيقة بالتبغ القويّ، ولَفَّها بأطراف أصابعه وبيدٍ واحدة حتى أصبحت سيجارة جاهزة للاشتعال، ثم سحب أول مجّة، مسح بقماشة رطبة سطح الطاولة مجدداً، كان من الأهمية بمكان ما أن تكون الطاولة نظيفة.

لم يكن قلقاً. لم يكن القلق سبب تقليبه في كومة الصحف، بل كان نافد الصبر. كان ذلك يختلج في داخله بشكل قاهر، وبسبب ذلك لم يستطع أن يجلس بثبات. جلب نظارة القراءة من جيبه، الملتصقة بمغلف يحتوي 19000 كرونة من

فئة خمسمئة كرونة. لم يكن بالسماكة نفسها التي كان عليها في يوم من أيام الخريف عندما أتى ليو إلى هنا لأوّل مرة بعد أربع سنوات ونصف وسلّمه ثلاثة وأربعين ألفاً؛ كأنها نقود لعبة المونوبولي، لدفع دينٍ شَعَرَ أنه لم يكن يدين له به.

قام إيڤان باستبدال صحيفة كانت في الأعلى بواحدة من الأسفل تَعرِض صورة لسارق مُتّشح بالسواد، مصوِّباً سلاحه. وقف في صفٍّ عند مخزن البقالة في الساحة. كان أمامه ثلاثة، وكان الصف يتحرك ببطء، وتساءل عن سبب عدم وضعهم صندوقاً آخر للمدفوعات. كان الموظف يحرك الجهاز الآلي لنقل السلع، كان يفعل هذا ببلادة وعدم مبالاة. وبينما كان ينتظر، وقعت عيناه على رفّ الصحف، ورأى من على مسافة هناك كلمتين في الخطوط العريضة "العصبة المسلحة". ومن ثم عندما حان دوره، رأى ما تبقى. وفقاً للمقالة، أياً كان من سرق كمية من الأسلحة من مستودع عسكري، فقد استخدمها لسرقة سيارة مدرّعة في فارستا، ومصرف في سفدميرا، وكلا المصرفين على الجانب الآخر من الجدار خلف موظّف صندوق دفع الحساب البليد.

وقف هناك في الصف متذكراً صوتاً كالنخير يسخر منه من نافذة المصرف، وكيف أن كل من حوله لم يتوقفوا عن الكلام عما رأوه، وكيف بدأ بالتفكير بمجموعة من الأحداث التي لا تبدو أنها متصلة ببعضها ولكنها كانت كذلك؛ على غرار الرقم التوافقي على بطاقة لعبة القمار.

هو الذي لم يشترِ أيّة صحيفة من قبل قط، وضع واحدةً على الحزام الآلي لنقل السلع خلف دزينة من البيض، والفلفل الأخضر، وكيس من الكعك باللوز، وقرأ عن جماعة تدعى الآن "العصبة المسلحة" قامت بسرقة في سكوندال على شاطئ قرب مخيّم صيفيّ للمعوّقين حيث عملت بريت ماري لعدّة سنوات، وعن عَمَلِيَّتَي سطو على بعد خمسمئة ياردة فقط من بيته.

سكوندال كانت محيطها هي. كانت مكاناً وصفته الشرطة بالمنطقة الغامضة جداً التي عليك أن تستعلم عنها كي تختارها.

أوزمو، محيطي أنا. وأشارت الصحيفة إلى وحشية ثماني طلقات شكّلت وجهاً.

ما زال لا يعلم.

لكنّ مجموعة الأحداث أصبحت أوضح، وبدأ نمطها المبهم بالقفز باتجاهه من الصحيفة. توقف تدريجياً عن الاهتمام بما كُتِب، وبدلاً من ذلك ركّز على الصور؛ على صورتين بالأبيض والأسود تحديداً ظهرتا في كل الصحف، ويبدو فيهما شخص يدعى القائد وهو يقوم بالتصويب، وآخر يهمّ بدخول المصرف ليسرق بمفرده. صور ضبابية واهية. منكبان عريضان، عينان خلف قناعين بدتا وكأنهما تنظران إليه، وفم ذو شفتين رقيقتين تمتدّان بخطّ محكم الإغلاق؛ تماماً كما فعل هو الآن.

قام إيڤان بتعديل المفكرة ورفع القلم. ستبدأ النشرة الآن.

المطلوبون من العدالة الأبرز في السويد. يمكنك أن ترى "الأنذال" على الشاشة بدون قبعاتهم المضحكة، قد لا يكون اعتمارها في الاستديو مسموحاً. وفقاً للصحف، سيكرّس البرنامج الوقت كله اليوم للكلام عن "العصبة المسلحة". إنه برنامج خاص سَيُلقي الضوء على كلّ سمة، وعلى كل تفصيل؛ أملاً بإحداث ردّات فعل عند عامّة الشعب.

أمسك بالقلم، وقام بتسوية صفحات مفكرته، وشاهد المضيف، حوالي ستّ سرقات فائقة الخطورة قد تكون هذه المجموعة على صلة بها.

ستّ سرقات! قام بكتابة ذلك على المفكرة. ستّ سرقات. ذكرت

الصحف أربع سرقات فقط.

تم عرض سريع للصور من داخل مصارف ثقبت كالغربال بفعل الرصاص. زجاج مكسور على الأرضية، وأبواب مفتوحة لجهة خزينة مصرف فارغة.

السطو على حافلة ناقلة للنقد في فارستا، ومصرف "هاندلز" في سفدميرا، ومصرف "هاندلز" ومصرف "إس إي" في أوزمو، ومصرف الادّخار في ريمبو، ومصرف "إس إي" في كونغسور.

بدأ بالكتابة مجدداً. معلومات جديدة. ريمبو. كونغسور.

ثم بعد عدة لحظات عُرِضت خلالها مشاهد أظهرت المحطة المركزية في ستوكهولم من الداخل، حيث انفجرت القنبلة، وتدافع الناس المروعون وراء سياج عالٍ، وضع القلم على الطاولة، ثم التقطه ثانيةً. كان على يقين من أن هذا شيء لم يكتب عنه قط ولم يَقُل أحدٌ عنه أيّ شيء حتى الآن؛ أنه قد تكون للتفجير علاقة بهم.

ابتعد المذيع الآن عن الكاميرا، واتكأ على إحدى الطاولات الطويلة بالقرب من أحد رجال الشرطة، وواصل الكلام عن القنبلة، متسائلاً عما إذا كان صحيحاً ما يقال عن أن السرقة المزدوجة التي حصلت خارج نافذة إيڤان، والقنبلة التي انفجرت في اليوم نفسه على صلة ببعضهما.

قنبلة!

قام بكتابة الكلمة، ولكنه لم يرها بالفعل. قنبلة. لم يفهم ذلك قط. هو على درايةٍ بالأسلحة، والسرقة، ولكن ليس بالقنبلة. كلمة قنبلة لا تنتمي إلى الأمور الأخرى. إنها لا تتلاءم مع النمط.

عاود المذيع النظر إلى الكاميرا مجدداً بشكل مباشر، وتكلم الآن عن

أعضاء المجموعة. عن معلوماتهم العسكرية، وعن قوة بنيتهم، وعن لغتهم السويدية الصحيحة، وربما ليس لديهم أي سجل إجرامي.

لا سجلّ إجرامي.

ومن ثم، عُرِضت صور جديدة متحركة.

لم يُعرَض أي شيء من هذا القبيل من قبل؛ صور أخذت من عدة كاميرات، مباشرةً قبل إطلاق النار عليها. لقطات أُخذت من الأعلى ودامت عدة ثوانٍ فقط، وأظهرت بوضوح القائد الذي وُصف بأنه بطول ما بين 6.2 أقدام أو 6.4، وبوزن بين 170 و190.

لم يضع القلم جانباً هذه المرة، بل رماه وسمعه يتدحرج على الطاولة ثم على الأرض، بالرغم من حقيقة أن هذا ما كان يتعين عليه كتابته بالضبط؛ أي الطول والوزن وكل الأشياء التي لم يعرفها، وكل المعلومات الجديدة التي اشترى المفكرة لتدوينها.

لكنه لم يحتج إلى تدوينها، فقد استطاع أن يراها؛ بالرغم من أنها عرضت للحظات قليلة فقط.

النمط هو الذي كان يتكرّر في كل شيء، القوّة المحرّكة الجامحة داخل ملايين الخلايا، من أصغر عنصر إلى حركات الذراعين والرجلين، حتى إلى الحلقات المميزة في الخطوط الصغيرة على راحة اليد وأطراف الأصابع.

تناول إيڤان زجاجة الشراب غير مفتوحة التي كانت قرب قدمه على الأرض.

فتحها وشرب منها حتى أُجبِرَ على التقاط أنفاسه.

الآن، أصبح يعرف.

الضباب، أشجار الصنوبر، الحصى.

منطقة المنعطف تمتد ميلاً داخل غابة "هولاند".

قام فيليكس بالتمدد، بوضع خاص بالعمل الذي لم يكن يتطلب جهداً عضلياً. استغرق وقتاً أكثر من المتوقع.

هذا آخر شيء يحتاج إلى تحضير.

وعندما ينتهي منه، في غضون لحظة، عندها قد تبدأ عمليّة سرقة ثلاث مصارف في وقت واحد.

قاوم المعدن المطلي وكأنه لم يعلم أنه فاقد الحياة. قطع بشكل نصف دائري لِما يفترض أن يصبح بوبياً؛ موقعاً ليقف فيه ويواصل المراقبة.

غابة صغيرة على طول الطريق العام رقم 153، في الجانب الآخر من السويد، على امتداد البلاد إذا قمت بالقيادة جنوب غرب ستوكهولم، على امتداد الشاطئ الشرقي وصولاً إلى الشاطئ إلى الغربي، كانت نقطة تلاقيهم. اتّفقوا على تسميتها بهذا الاسم. هذا المكان حيث مكثوا إلى آخر يوم أو ما شابه. قادوا سياراتهم لمدة ست ساعات ليكونوا هنا، للقيام بسرقتهم الأخيرة.

انزلق فيليكس، وجرح نفسه بطرف المعدن الحادّ، فبدأ يشتم، وحوّل نصف الدائرة إلى دائرة كاملة.

وصلوا البارحة بعد الظهر، ونصبوا مخيّماً على بعد ما يقارب الميل خارج بلدة صغيرة تدعى أولارد، ويبلغ عدد سكانها حوالي الألفين فقط، لكنها كانت

موقعاً لأكبر متجر للعروضات في السويد، ومكاناً يقصده الناس من كل البلاد، وخاصةً في مثل هذا الوقت؛ إنه العيد. وقت مؤاتٍ للتخلص من البضائع. وبوجود متجر للعروضات على أحد جانبي الساحة، والمصارف الثلاثة على الجانب الآخر، ستكون حجرات خزناتها قد امتلأت حتى الآن.

أسرّة تخييم، وأكياس للنوم، وطعام مجفّف، ومياه على موقد التخييم.

أولاً، كانوا قد أجروا التعديلات الأخيرة على السيارة التي وصلوا فيها؛ أي الجدار السرّي لشاحنة صغيرة استأجروها منذ أسبوع. فقد استأجروها كي تبدو قانونية لدى مرورهم في أي نقطة تفتيش لاحقاً. وبعد ذلك، عندما حلّ الظلام، توجّهوا إلى فاربرغ، إلى أقرب بلدة، كي يسرقوا الشاحنة التي سيستخدمونها خلال عملية السطو.

بعد عودتهم، تبادلوا الأدوار بالحراسة ليحصل الآخرون على بضع ساعات من النوم. لم يستطع أن ينام قطّ؛ إذ كانت هناك بقع بيضاء على خلفيّة سماء زرقاء في الأعلى، فيما الرطوبة تندفع من الأرض. لكن، لم يكن هذا ما جعله متيقظاً، فلطالما كانت النجوم هناك؛ بل كان السبب شيئاً آخر، بعض القلق؛ شيئاً لم يشعره بالارتياح.

كانت الأحراج هادئة جداً طوال الليل، ما عدا بعض الأصوات العرضية لنباح الكلاب؛ أنواع مختلفة من الكلاب. على ما يبدو، كان هناك وِجار قريب للكلاب.

استيقظوا عند الساعة الخامسة، وكان الفطور عبارة عن قهوة موضوعة في إناء حافظ للحرارة وشطائر جاهزة قاموا بشرائها في طريقهم من ستوكهولم.

استهلّوا يومهم بملء خزان الوقود؛ إذ لا تستطيع أن تثق بأن تكون شاحنة مسروقة مليئة بالوقود الكافي. لذا، ملأوا خزان الوقود بأربع صفائح كانوا قد جلبوها

معهم من ستوكهولم، ثم جلسوا على أسِرّة التخييم المتلاصقة ووضعوا أمامهم خرائط على شكل طبعات فنية، وراجعوا تفاصيل عمليات السرقة الثلاث. سيسرق ليو المصرف الأول بنفسه، فيما سيتولّى ڤينسنت وجاسبر أمر المصرف الثاني، ثم سيلتقون عند المصرف الثالث للسطو عليه معاً. وخلال كل هذه العملية، يتعين على فيليكس أن يراقب مداخل البلدة ومخارجها من خلال الفتحة الصغيرة التي كان إعدادها آخر مرحلة من مراحل التحضير للسرقة. إنه العمل الأخير الذي يحاول إنجازه الآن تماماً؛ وهو عبارة عن صنع فجوة دائرية الشكل في سقف الشاحنة. وها هي شاحنة النقل الآن تفقد قطعة كبيرة من سقفها.

" ڤينسنت، هل يمكنك أن تمدّ لي يد المساعدة هنا؟".

فقام أخوه الصغير بسحب الباب الذي أصدر صريراً جانباً، ثم وقف على المقعد ضاغطاً إلى الأعلى قطعة المعدن المتقلقلة. أمسكا بها معاً- أحدهما من الأعلى، والآخر من الأسفل- وقاما بانتزاعها بالرغم من معاندتها لهما، ثم رمياها في الخندق.

سال العرق على جبهته وصولاً إلى عينيه، وبدأ يلسعهما. جلس فيليكس على سطح الشاحنة، مدلياً قدميه من خلال الفتحة الصغيرة، فيما وقف ڤينسنت إلى جانبه، ونصف جسده في الأسفل والنصف الآخر فوق الطرف المسنن، وراح ينظر بعينين تبدوان متعبتين وقلقتين؛ كان ذلك النوع من التعبير.

" فيليكس".

"ماذا؟".

"هذا لن ينجح".

كان قلقاً.

"هل تسمعني؟".

استمر قلق ڤينسنت نفسه الذي قضّ مضجعه وأبقاه مستيقظاً خلال الليلة الماضية.

"فيليكس، أشعر بذلك فعلاً".

كانت تلك أفكار ڤينسنت الخاصة به، ولكنه هو الذي يصوغها.

"لم أشعر بهذا الإحساس من قبل قطّ".

"سأكون خلف المقود. وما دمتُ هناك يا ڤينسنت، فكل شيء سينتهي على ما يرام. أليس كذلك؟".

أراد أن يصدّق ذلك ويثق به، ولكنه مع ذلك لم يفعل.

ستكون هذه آخر مرة.

كان هذا هو المكان الذي قصدوه.

ثلاثة مصارف في الوقت المناسب. عشرة ملايين، خمسة عشر مليوناً، وربما عشرون. حينها سيكون لدينا ما يكفي.

هذا هو الهدف المنشود؛ الحصول على ما يكفي من المال، والقيام بما لم يقم به أحد من قبل.

"مرّة أخيرة يا ڤينسنت ثم سنختفي، ولن يسمع أحد أي شيء عن "العصبة المسلحة" مجدداً".

كان ليو على مسافة أبعد قليلاً داخل الغابة يلف أسرّة التخييم، فيما كان جاسبر يفرز العدة بين ثلاث صُدرات مخاطة بشكل مميز والحقيبة. قفز فيليكس إلى

الداخل عبر الفتحة الصغيرة، ووضع يديه على كتف ڤينسنت، ثم خطا فوق المقعد قبل أن يجلس خلف المقود.

حان الوقت.

—

كان الضوء مختلفاً في الغابة. لكن لدى الجلوس هنا، في سيارة متوقفة بشكل مائل أمام ثلاثة مصارف، وضوء الشمس ينسلّ إلى الداخل من خلال فتحة السقف، بدا مختلفاً بالنسبة لفيليكس. الضوء في هذه البلدة الصغيرة أكثر إشراقاً؛ ممّا أدّى إلى كشف كل شيء داخل السيارة بوضوح. لذا، رأى الرشاش لأوّل مرة. على الأقل شعر بهذه الطريقة؛ بالرغم من أنه كان في المستودع لأكثر من نصف سنة. في الواقع، لم يكن قريباً منه بهذا الشكل. رشاش بوزن 25 باونداً بين يديه، مع خراطيش متدلية على الجانبين في حاوية معدنية طويلة. وكلّاب جاهز لتمزيق كل شيء بطريقه إرباً إرباً. هذا أحدث فرقاً كبيراً.

لطالما كان الرشاش الخاص به والملقى على حضنه خلال عملية السطو منتظراً في سيارة الفرار؛ سيارة صغيرة وغير منظورة. أما هذا الرشاش فقد كان وحشاً؛ وكأنك تقارن سمك الكراكي بالقرش. قام بطيّ منصب ثلاثي القوائم، ولوى جسمه المقيد في المساحة الضيقة، محاولاً التشبّث بالرشاش الغليظ. رفعه فوق رأسه، وأخرجه من الحفرة التي قام بصنعها، ووضعه على سطح الشاحنة؛ ممّا أدّى إلى ارتطام الذخيرة بالسطح، وإحداثها صوت خشخشة مثل سلسلة زردية، فأمسك بها ليعمل على إسكاتها.

إنها حرب، هذا ما اعتقده؛ مثل أي خبر يُعرَض في تقرير تلفزيوني، حرب أهلية حيث يستلقي رجل العصابات فوق تلّة لإطلاق النار على قرية، وينظر إلى ماسورة البندقية المصوّبة إلى الناس في ساحة بلدة سويدية نموذجية. عندما يرونه،

سيشعرون وكأنه يقوم بهذا على شاشة التلفاز، وكأنه غير حقيقي.

وقف في الفتحة الصغيرة، وصوّب الرشاش باتجاه الساعة الثالثة بدلاً من الساعة التاسعة التي كان يشير إليها، ثم أحكم السيطرة على الطريق من اليسار، الطريق نفسها التي أتوا منها للتو. كما أحكم السيطرة على صفّ المصارف أمامه؛ تماماً حيث أنزل ثلاثة سارقين مقنّعين، وأحكم السيطرة على الطريق إلى اليمين التي سيختفون فيها في غضون ثلاث دقائق.

تقرير تلفزيوني عن الحرب. في هذه الحال، ما رآه من هنا كان ثلاثة أجهزة تلفزيونية تعرض مشاهد مختلفة. ثلاث نوافذ أمامية مربعة وبحجم واحد، وتحمل شعارات مختلفة للمصارف، وهي مضاءة من الداخل بمصابيح كهربائية بلون أصفر خفيف، مثل جهاز التلفاز. ثلاثة صناديق حيث ستُعرض ثلاثة مشاهد متوازية. التلفاز على اليسار؛ مصرف الادّخار، ورجل بمفرده، مقنع ومتشح بالسواد. إنه ليو الذي كان يمشي خلف موظفة المصرف حاملاً حقيبة وهو يملأها بالمال من صناديق النقد التي تقوم بإفراغها، واحداً تلو الآخر. أما شاشة التلفاز في الوسط فيظهر فيها مصرف "إس إي"، ورجلان مقنعان متشحان بالسواد، إنهما ڤينسنت وجاسبر؛ أحدهما يتولى أمر صندوق النقد، فيما الآخر يصوّب رشاشه خلف موظف المصرف وهما في طريقهما إلى حجرة الخزنة.

التلفاز إلى اليمين، مصرف "هاندلز". إنه المصرف الذي سيسرقونه معاً في النهاية؛ حيث أسرع الموظفون نحو الباب بعد رؤيتهم السيارة والرشاش والرجال المقنعين الذين لم يصلوا بعد، وأقفلوا الباب، وهرعوا إلى خلف طاولات عد النقد ليستلقوا على الأرضية الخشبية.

شاشات تلفزيونية؛ هذا ما كان عليه الحال. لطالما رآها هكذا. كان في سفدميرا وريمبو وكونغسور تلفزيونٌ واحدٌ فقط. وفي أوزمو اثنان. أما هنا فتوجد ثلاثة

تلفزيونات تعرض ما خطّط له أخوه وتولّى إخراجه، أي ما كان غير حقيقي وفجأةً أصبح كذلك؛ لأول مرة.

أصبح للأفلام التي تعرض الآن محتوى جديد لم يتوقّعوه؛ خطوط جديدة، ومشاهد جديدة، وشخصيات جديدة تمثل خارج النص. ثلاثة معوقات عرضية قطعت خيط الوهم. الناس، إنهم يخرجون من الصورة؛ وإذا كانوا حقيقيين فسيكونون عرضة للقتل أيضاً. وهو واقف هنا حاملاً في يديه رشاشاً حقيقياً يطلق ثمانمئة طلقة مميتة في الدقيقة.

أوّلاً، ترك صياد كهل سيارته، فيما زوجته لا تزال جالسة على مقعد الراكب المجاور. كان مرتدياً سترة للتمويه ومعتمراً قبعة عليها أدوات عاكسة. فتح صندوق سيارته، وجلب حقيبة توجد داخلها بندقية صيد، ثم سار قاصداً الرشاش الذي يصوبه عليه فيليكس، عليه تماماً.

"ماذا تعتقد أنك فاعل بحق الله؟".

وصوّب فيليكس الرشاش عليه.

"ابتعد من هنا الآن!".

لكن الرجل العجوز وقف مكانه وحسب، محدّقاً إلى البندقية بجرأة، ثم رفع سلاحه.

إما هو أو الرجل الكهل، لم يكن لديه خيار. صوّب كلّ منهما على الآخر، وعلم أنه كان على وشك إطلاق النار عندما خرجت الزوجة من السيارة وهي تصرخ على زوجها، وتسحبه من سترته.

"أرجوك، توقف بانغيت. ارجع، تعال معي الآن!".

كان ذلك وشيكاً، وكان حقيقياً.

بعد ذلك، وضع موظف المصرف علبة صباغ في حقيبة ليو، فانفجرت ما إن غادر المصرف. شاشة التلفاز إلى اليسار، تعرض صورة الدخان الأحمر والكثيف الذي راح يتدفّق من الحقيبة بينما تلطخت النقود باللون الأحمر نفسه. لم يحدث أن رأى ليو هكذا من قبل؛ ليس عندما كان من المهم بالنسبة إليه أن يحافظ على رباطة جأشه التي خسرها للتو بشكل كامل. إذ التفت مجدداً نحو المصرف، واندفع نحو الباب، وفتحه وصرخ عالياً:

"لقد حذرتكم يا أنذال من وضع أي من علب الصباغ هنا!".

ثم سُمع صوت الطلقات؛ إذ كان أخوه المطوّق بالدخان الأحمر يطلق النار بجموح معبراً عن غضبه الشديد، وخرج الأمر عن السيطرة داخل المصرف. كان من الصعب على فيليكس أن يرى أي مصابين من سطح الشاحنة. لم يفكر بهذه الطريقة. لكن الحقيقة التي لمسها مع الرجل الكهل وبندقية الصيد خاصته أصبحت وشيكة أكثر الآن، رأى مسامها واختبر الحقيقة بكل جوارحه.

ثم أتى دور ڤينسنت، أخيه الأصغر. كان ڤينسنت الرجل الذي وصل إلى المصرف الثالث أولاً، وإلى باب المصرف المقفل، لذا استخدم عقب ماسورة البندقية لكسر الزجاج، وتحطيم شاشة التلفاز، ثم هرول إلى الداخل. أمرهم بأن ينطرحوا أرضاً كما يتعين عليه أن يفعل، والجميع فعلوا ما أُمِروا به، ما عدا امرأة عجوز. فقد اتجهت نحوه بيدين ممدودتين وكأنها تطلب منه شيئاً، ربما السماح لها بالخروج. يدٌ ممدودة أُسيء فهمها، فالتفت ڤينسنت نحوها، ورفع بندقيته في حركة واحدة، قبل أن يدرك أن المرأة العجوز لم تشكّل أي تهديد له. وبوجود البندقية موجهة إليها، بدأت العجوز بمناشدته عالياً، حتى وصل صراخها إلى السيارة.

"لا تطلق النار، أرجوك، لا تطلق النار!".

فأبعد فينسنت إصبعه بحركة واحدة. كاد أخوه الصغير يقتل أحدهم. لم تكن الحقيقة حاضرة كما كانت عندما توقف ڤينسنت من دون حراك وبندقيته مصوبة إلى الأسفل، محاولاً أن يستدرك ما كاد يقوم به.

ثم عادت الأفلام الثلاثة المتوازية إلى مدارها المحدد سابقاً مجدداً.

غادر السارقون المصرف الثالث من خلال فجوة حادة في شاشة التلفاز المكسورة، وأسرعوا نحو السيارة، ورموا الحقائب داخلها، ثم سحبوا الباب الجانبي، بينما أخذ فيليكس الرشاش وجلس على مقعد السائق، ثم قاد بشكل متعرج بين السيارات المارة وهو يكاد يتجمد من الخوف.

—

خمّن ڤينسنت أن فيليكس يقود بسرعة 75 ميلاً في الساعة على طريق ضيق جداً، فقد انبعث الهواء البارد من الفتحة الصغيرة، وصدرت قعقعة من السطح.

كان المشهد أمامه يعرض تحريك ليو يديه بعنف داخل حقيبة مليئة بالأوراق النقدية الحمراء. وكان المشهد بداخله يعرض يداً أخرى ممدودة، وامرأة عجوزاً.

ما مر به في البداية فسره كتهديد. كان الأمر وشيكاً. استرجع ڤينسنت شعوره بتوتر إصبعه على الزناد حتى رأى تجاعيدها وشعرها الرمادي، وسمع رجاءها بالسماح لها بالخروج.

" تباً! تباً! تباً! يوجد مليونان! وكلها حمراء".

اعتقد أنها شجاعة، أي تلك السيدة العجوز التي اقتربت من السارق المقنّع. ولم تكن أمينة الصندوق أقلّ شجاعةً منها بالرغم من خوفها، فقد فعلت ما

أُمرت أن تفعله، إذ أقحمت علبة الصباغ بين الأموال التي طلبها السارق.

" تلك الساقطة، كل شيء أحمر".

واصل ليو الصراخ، فيما نظر ڤينسنت إلى أعالي الشجر من خلال الفتحة الصغيرة في السقف. أصبحت الغابة أكثر كثافة. بقيت أمامهم أميال قليلة ليغادروا البلدة، وبضعة أميال ليصبحوا على طريق الغابة التي سينعطف فيليكس نحوها.

"أنتما الاثنان، على كم من المال حصلتما؟".

بدا صوت ليو مسحوقاً عندما حاول إخفاضه.

"كم؟".

" لا أعلم".

" خمّن يا جاسبر، عليك اللعنة!".

"كلها... أربعمئة على الأكثر. كان السرداب في المصرف الأول خالياً تماماً".

جواب خاطئ.

ارتدّت الحقيبة عن الجدار بعدما رماها ليو إلى خلف الشاحنة.

"أربعمئة ألف كرونة قذرة!".

لم تعد أعالي الشجر تبدو كتلة واحدة؛ إذ استطاع ڤينسنت أن يميز كل شجرة على حدة. أبطأ فيليكس بالقيادة، ثم غادروا الخط العام، وبعد ذلك زاد فيليكس سرعة السيارة مجدداً، فبدأ السطح غير السويّ بالاحتكاك بالإطار السفلي.

لم تتبقَّ مسافة طويلة حتى يصلوا إلى الظلام الواقي خلف الجدار.

امتد طريق الغابة طويلاً، وبدأ بالارتفاع بشكل منحدر. كانوا في منتصف طريقهم إلى التلة عندما سُمعت الضربة الأولى. سمعها ڤينسنت وشعر بها. انفجار واضح. وكان الانفجار الثاني أكثر قوّة حتى، وكأنه مطرقة خشبية.

حينها، بدأ فيليكس بالقيادة بسرعة قصوى، وعلم بهذا مباشرةً. هناك شعور مميز عندما ينهار المحرك.

"سيُقضى عليه تماماً... لن يدور!".

كانت الشاحنة على منحدر مائل، فيما حرك فيليكس المكابح اليدوية ووثب قائلاً:

"أنت أيضاً!".

تدحرج فيليكس على الأرض وبيده المصباح، ثم انحنى بسرعة أسفل سيارة غير متحركة كان كل شرطي في هالاند يبحث عنها.

"إن مقياس الوقود معطل تماماً يا ليو!".

"هل أنت متأكد؟".

"نعم".

"علبة الصباغ اللعينة تلك، والآن هذا... سحقاً... سحقاً... يتعين علينا أن ندفعها إلى الأعلى ما تبقى من الطريق، ثم نكرها إلى أبعد ما يمكن، ونمشي ما تبقى من الطريق. سنكون متأخرين عشرين دقيقة على الأقل!".

كانت ثماني أذرع شابة تدفع شاحنة ثقيلة إلى أعلى التلة، فيما استنفدت

كل ياردة المزيد من وقتهم المتبقي. وعندما وصلوا إلى القمة، قفز ڤينسنت إلى داخل السيارة وقادها إلى أن توقفت الدواليب وانعطفت إلى الأحراج. بقي أمامهم ميل عليهم اجتيازه للوصول إلى النقطة المحددة مسبقاً، لذا بدأوا بالركض.

كانت الشاحنة متوقفة حيث تركوها منذ ساعة تقريباً، عند حافة المنعطف، وهي محاطة بالأشجار والأحجار وكومة من الخشب. لو مرّ أحد ما وشعر بالفضول وفتح الأبواب، لرأى تماماً ما رآه ڤينسنت وليو وجاسبر الآن عندما دفعوا الباب الخلفي. إذ كانت هناك رزمة خشنة وشائكة وكثيرة الزغب من مواد العزل. قفزوا جميعاً وشقوا طريقهم من خلالها، ثم إلى الجدار الذي أحاط بالسيارة. قاموا بفك الصورة المضللة للبصر التي كانت جداراً منفصلاً كشف عن غرفة سرية كانوا قد بنوها في الأسبوع المنصرم في مرأبهم في تومبا. كانت المكان الذي سيمكثون فيه عند انطلاقهم إلى غوثنبرغ واستبدالهم المركبة مجدداً.

"تأخرنا سبعاً وعشرين دقيقة".

كانت هناك مراكز تفتيش للشرطة التي كان لديها متسع من الوقت لتنصب لهم فخاً الآن.

"اطرق مرّتين يا فيليكس".

كان فيليكس على وشك الانتهاء من تغيير ملابس السطو إلى ملابس العمل لأنه من سيقوم بالقيادة.

"عليك أن تطرق على الجدار مرتين إذا أردت منا أن نقفل صمّامات الأمان في الأسلحة. هل فهمت؟".

فأومأ سائق الشاحنة المحملة ببالات العزل الضخمة، والمتجه إلى أحد مواقع البناء، ثم قام بتثبيت الجدار الوهمي. صار الظلام الدامس يسود تلك المساحة

الصغيرة.

—

شعر أنه انتقل من طريق ترابي إلى الأسفلت. قاد بسرعة عادية. شعر بذلك أيضاً.

اكتظت السيارة بهم، كان ڤينسنت يجلس بالقرب من ليو؛ يجلس فوقه تقريباً. وكان جاسبر قريباً من ليو من الجانب الآخر. ظلمة كاملة. كانت نوعاً من الظلام الحيّ والعضوي؛ مثل نسيج ينمو من الجدار وينسلّ إلى السيارة حيث يجلس فيليكس، من الجدار السري إلى الأرضية المسطحة والمليئة ببالات العزل. وكلما تنفس ليو، كانت أنفاسه القصيرة والقوية والدافئة تدغدغ خد ڤينسنت.

وفي كل مرة تتباطئ فيها الشاحنة كان الظلام يبتلعهم، وكانوا يشعرون باهتزاز الشاحنة.

لكن، ليس هذه المرة.

لم يكن هناك أي استخدام للمكابح قليلاً قبل تتغير السرعة مجدداً. فقد توقف فيليكس حقاً، ولم يتوقف الشعور بالقلق من خطر مُحدِق داخل صدر ڤينسنت، كانت القوة الدافعة بزخمٍ داخل صدره تضغط بجسده على الجدار الحقيقي، وأراد أن يخترقه للوصول إلى فيليكس والضوء.

ثم سمعوا الطرقة الأولى، ثم الثانية. وشعر أن ليو يدير جسده ليقفل صمّام الأمان في سلاحه، وكذلك فعل جاسبر، وسمعوا ارتداد أصوات القرقعة، وأدرك ڤينسنت أن هذا ما كانوا ينتظرونه كل الليل والنهار.

فيليكس؟ ماذا؟ لن ينتهي الأمر على خير.

كان يعرف كيف يكون حاجز الشرطة؛ حيث تقف سيارتا شرطة وهناك أضواء زرقاء تدور. أربعة ضباط شرطة، أحدهم يمسك بلافتة كُتِبَ عليها "شرطة"، يُطلَب فيها من السيارات التوقف.

لم يغمض لفيليكس جفن أيضاً، لكنه لم ينبس ببنت شفة. لكن ڤينسنت رأى ذلك بعينيه. فقد ظل أخوه مستيقظاً لثلاثين ساعة، فيما كان جالساً بمفرده في قمرة شاحنة مستأجرة إلى جانب طريق في هولاند. يتعين عليه أن يركّز الآن، عليه أن يزن كلماته.

قام بإنزال زجاج النافذة الذي يسهل سماع صوته عبر الجدار الرقيق.

"هل أستطيع أن أرى رخصة القيادة؟".

لم يكن صوتاً لرجل بالغ في السن. بالكاد أكبر سناً من ليو. ثم ساد الصمت، احتفظ فيليكس بمحفظته في جيب صُدرته، كان على وشك جلبها الآن.

"إلى أين تتجه؟ ومن أين أتيت؟".

"من أين أتيت؟!".

"أين كنت؟".

"هل حدث شيء ما؟".

ساد الهدوء مجدداً. لا بدّ أنّ رجل الشرطة يتفقد رخصة القيادة الخاصة بفيليكس، بينما كان زميله ينتظر على مسافة قصيرة.

"سألتك: أين كنت؟ وإلى أين تتجه؟".

"أنا ذاهب إلى كوخ صيفي في تايلوساند على ساحل ذي شواطئ رملية بيضاء رائعة. لقد أجرته. المستأجرون الأوائل سيصلون بعد شهر من ستوكهولم، وسيدفعون بسخاء. لذا، سأقوم بوضع بعض المواد العازلة في إحدى الغرف من أجلهم، وهي في الخلف".

"هلّا تترجل من المركبة من فضلك".

كان الباب مفتوحاً. وسُمِعَت ضربةٌ بصوت مكتوم فيما كان فيليكس يهم بالترجل إلى خارج السيارة.

"من فضلك، افتح الباب الخلفي لنتمكن من إلقاء نظرة".

قام رجل الشرطة بمراقبة خطوات فيليكس وهو يسير إلى جانب الشاحنة. كانت خطوات رجل الشرطة خفيفة، وكان يضع قدمه على الأرض بسلاسة؛ قد لا يكون على القدر نفسه من الضخامة.

فُتِح البابان إلى الخارج، واستطاع رجل الشرطة الآن أن يرى ما في الداخل مباشرةً.

بدأ الضوء بالتسلل عبر الفتحة الصغيرة الموجودة في السطح؛ حيث تلاقى الجدار السري بالسقف. كان من الممكن رؤية ظِلّ رجل الشرطة وهو يقوم بجولته.

قَطَعَ ڤينسنت أنفاسه وأغمض عينيه، حيث لم يَعُد هناك وجود لا للفتحة ولا لرجل شرطة قريب. حاول أن يركز فقط على فيليكس الذي كان يتكلم ربما مع الرجل الآخر، ليس بعيداً من هناك. تمكّن فقط من سماع صوته، هذا ما قرره هو.

أن يصغي ويغمض عينيه.

وتحت جفنيه، رأى شعرها الرمادي مجدداً، وتجاعيدها التي بدت مثل

حلقات الشجر. على الأرجح كانت حكيمة؛ إذ غالباً ما يكون الطاعنون في السن هكذا. وقد بدت كذلك عندما مدّت يدها مناشدة إياه بعينين خاليتين من الخوف.

أُزيحت بالة العزل في الجهة الأُخرى من الجدار جانباً، فاحتك البلاستيك المحيط بها بالأرض. اقترب رجل الشرطة أكثر الآن، وعلق قماش سترته عند دورانه، وكشط الجدار.

قد يحصل أي شيء في أي وقت. لم يكن أي شيء مضموناً. فجاسبر سيطلق النار إذا اكتشف الشرطي أمرهم، وقد يفعل ليو ذلك أيضاً. لكن ڤينسنت لم يقفل صمّام أمان في سلاحه، ليس بعد.

كان أحد الضباط يستند إلى الجدار السريّ، وتسرّب نور خفيف إلى الداخل من الفجوة التي عمل عليها ليو وفيليكس، وقد قاما بعمل جيد. لكن، ماذا لو؟ ماذا سيفعلون لو تسبّب وزن أي جسم بأي اختراق للجدار؟

"علام تبحث؟".

"كانت هناك عملية سطو".

"عملية سطو!".

أُخرج من هنا الآن.

"سرقة مصارف، ليس واحداً بل ثلاثة".

ابتعد عن الجدار. الآن.

"إنها مهنة مرهقة".

فيليكس؛ تمكّن ڤينسنت من رؤية كيفية هزّ أخيه رأسه وكتفيه استهجاناً.

"أعني... لماذا لا يحصل أولئك الأغبياء على وظيفة على غرارنا نحن؟".

كان الضوء فوق الجدار يخفت شيئاً فشيئاً الآن. ولم يعد الشرطي متكئاً على الجدار. وبدا كما لو أنه يهمّ بالمغادرة، واحتكّت ثيابه بالبلاستيك حول البالات الموضبة بإحكام.

قفز الشرطي من الشاحنة، ثم أُغلق البابان خلفه.

خيّم عليهم الظلام مجدداً، وما زالوا على قيد الحياة كالسابق. هناك بعض الخطوات في الخارج. تمكّن ڤينسنت من التنفس بشكل طبيعي الآن، فيما كان فيليكس يقول شيئاً ما للضابط عن العمل في وظيفة جيدة. لكن ليس تماماً. اضطراب. تشوّش. تبعثرت الحقيقة لبضع دقائق، وسقطت ملايين القطع مثل الزجاج المهشم خلف جفنيه.

ها هو الآن يقوم بوضعها في مكانها مجدداً، قطعة قطعة. ولكن، ليس في المكان السابق نفسه. عندها، ستكون تماماً كما كانت سابقاً، وكأن شيئاً لم يحدث، وستعود المياه إلى مجاريها.

دار محرّك الشاحنة.

لن تعود القطع الصغيرة المهشمة إلى مكانها المناسب مجدداً أبداً.

كان متيقناً من هذا. إنه الشيء الوحيد الذي كان متأكداً منه. وشعر كيف كانت سرعتهم تزداد لِتَجِدَ طريقها مُرتّدةً إلى صدره.

شرب ڤينسنت محتوى الكأس الزجاجية ببطءٍ شديد حتى أصبح فاتراً وكريهاً. تناول رشفات صغيرة بشكل متقطع، للحؤول دون أن يصبح ثملاً. ليس هنا. كان على وشك النوم عدة مرات، فتلك الليلة قضت مضجعه وتركته خائفاً وشبه مُركّز فقط. بقي هناك القليل وحسب ليرجعوا إلى البيت بخفي حنين، مع صور السطو الثلاثي الضبابية، وأصوات الطرق المكتومة التي ستكون كافية لينام. أو في الواقع، صورة واحدة فقط كانت كافية؛ تلك اللحظة التي كاد فيها أن يتحول من سارق إلى قاتل. لحظة واحدة قسمت الحقيقة إلى خيارين واضحَي المعالم.

ملأ فمه برشفة صغيرة، ولكنه منع نفسه من ابتلاعها؛ كي لا يبتلعها بسرعة كبيرة.

نظر من نافذة المقهى، خلف محطة القطار المركزية لبلدة غوثنبرغ.

كان جاسبر خارجاً من "سَڤين إلَڤين" مقابل المقهى بخطوات واثبة؛ بالرغم من أنه لم يغمض له جفن هو أيضاً. كانت الصحف قد كتبت بخطوطها العريضة الكثير من الافتتاحيات عنهم مثل "السطو الثلاثي، العصبة العسكرية"، وظهرت صورة لجاسبر التقطتها كاميرات المراقبة؛ تماماً قبل أن يطلق النار عليها، وقد ظهر فيها واضعاً قناعاً أسود. تدفّق الدم في وجهه، واستشاط غيظاً، ثم رمى الصحف على الطاولة ليتوجه لشرب الكأس الثالثة من الشراب، ثم انحنى فوق المنضدة.

"هل رأيت هذا؟ وصلت الطبعة المتأخرة!".

"عشر دقائق للمغادرة".

"ثلاثة مصارف ملعونة، ڤينسنت، هل تستطيع أن تتخيل؟ رجال مجانين!".

رفع الصحف، وتكلم بصوت عالٍ، ونظر حوله ليتأكد من لفت انتباه الناس إليه.

"توقف، جاسبر".

أما ڤينسنت ففعل عكس ذلك، إذ انحنى إلى الأسفل وهمس برقة:

"هل سمعت ما قلته... توقف".

ضحك جاسبر بصوت أجش ومشوش بعد أن تناول الكثير من الشراب في وقت قصير، بينما التقط إحدى الصحف وأشار إلى صورة كبيرة.

"هل رأيت هذا الفتى؟".

قال ذلك بصوت عالٍ، ثم ابتسم وغمز بعينه.

"حتى إنه يمسك سلاحه جيداً".

"كان هناك رجال شرطة في الخارج! رأيتهم... العديد منهم! عند المحطة! وهم... توقّف حبّاً بالله!".

انحنى ڤينسنت أكثر. لم يرد أن يجلس هنا مع جاسبر. أراد أن يتكلم مع أخويه. مع ليو الذي كان يقود الشاحنة في مكان ما على طريق المرور السريع رقم "إي 4"، أو مع فيليكس الذي أوشكت طائرته على الإقلاع من مطار "لاندفتر" وستهبط في ستوكهولم بعد خمس وأربعين دقيقة. كان يحتاج إليهما، هنا والآن.

"أصغِ... الكل يتحدث عن هذا. ماذا تظن أنّ الجدّة تقرأ هناك؟ وذلك

الفتى هناك، ألا تظن أنه شاهد التقارير على التلفاز؟ إذاً، ليس غريباً أن نفعل ذلك أيضاً. الغريب ألا نقوم نحن بذلك أيضاً! استرح وحسب يا أخي الصغير".

كان ليو في السيارة، وفيليكس على متن الطائرة، وڤينسنت وجاسبر في القطار. فقد تفرّقوا في المرحلة الأخيرة بعد سرقاتهم؛ لأن هذه أفضل طريقة لعدم لفت الانتباه.

لذا، كان هو من يجلس هنا مع من يفعل هذا تماماً؛ أي جذب الانتباه، ونشر عدائه على من حوله بغرض الاستفزاز؛ وكأن السرقة لم تطلق عنانه، وعليه أن يطلقه بطريقة ما.

"هل رأيت عينَي ليو عندما أدرك أن أكثر من نصف المال كان أحمر اللون؟ لقد رأيتهما. أعلم تماماً كيف كان شعوره. أنا وليو... خطّطنا للأمر برمّته معاً. ثم وضع موظف المصرف اللعين ذاك علبة الصباغ في حقيبته! كلها حمراء، إنها عديمة القيمة الآن ويجب حرقها".

"جاسبر... اخرس".

"لكن، كان بوسعنا أن نغنم الكثير من المال يا أخي الصغير لو لم تهدر الكثير من الوقت بالكلام مع الموظفين مثل الجبان! لا يتعيّن على سارق المصرف أن يُدَلِّل الموظفين! كان بإمكاننا جني عدّة ملايين أكثر!".

الأخ الصغير.

استفزازات، نشر العدوانية... هذا لا يُحتَمَل.

يدلّل.

كان يلزمه القليل، ولكنه يستحوذ على انتباه الكلّ.

عليه أن يخرج من هنا. لذا، وقف وأمسك بحقيبة من تحت الطاولة ووضعها على كتفه، وشعر بالبندقية تضغط على وركه. كانت الحقيبة تحتوي على سلاح والكثير من المال، وعشر علب من الشراب. وفيما كان يهمّ بالتوجه نحو المنصّة ومن ثم إلى القطار المتجه إلى ستوكهولم ركض جاسبر خلفه.

"الأخ الصغير يدلّل الموظفين".

"هيّا، لكنّني حصلت على المفاتيح، أليس كذلك؟".

أثار حفيظته مجدداً. لكن، ما كان ينبغي له أن يردّ عليه، فجوابه شجّع جاسبر على مواصلة الكلام.

"هل أمسكت بهم؟ عليك أن تأخذ المفاتيح بنفسك. صوّب البندقية على جبهاتهم حتى تمسك بالمفاتيح بيديك".

لم يكن قادراً على المقاومة. لكن تلك هي المرّة الأخيرة وحسب، لن يعيد الكرّة. مهما سار ذلك المغفل بجانبه وهو يستحثّه على الإجابة، فسيحمل الحقيبة فوق كتفه وحسب، وسينتظر القطار هناك وحسب، فقط ليستلقي على المقعد ويغطّ في النوم لثلاث ساعات. لا يستطيع، لا يستطيع أن يجيب جاسبر مجدداً.

"لكن، اسمع. نحن بمثابة شركة، هذا ما أوضحه لنا ليو، وهو أننا شركة حقيقية. وفي هذه الحالة، ليو... يملك الشركة، إنّه مثل المالك والرئيس التنفيذي للشركة. وأنا أعمل كمشرف، وأنت ڤينسنت مجرد متدرّب صغير، ولهذا تدلّل الموظفين. ليو يعلم ذلك، لذا أوكل إليّ أن أتولى الأمر، وأن أكون حازماً مع الموظفين. وإنني كذلك؛ حازم، على خلافك أنت يا أخي الصغير".

لم ينظر إليه ڤينسنت؛ فإذا تمكن من تجنب رؤيته، فسيسهل عليه تجاهل كلامه. استقل القطار، وسار على طول الممرّ الضيق ويده خلفه، واضعاً الحقيبة

على صدره؛ إذ لم يرد أن يلكز أياً من الركاب ببندقيته الآلية أثناء مروره. مقصورة واحدة وحسب في آخر كلّ قسم من القطار. سحب الستائر، وأقفل الباب، ووضع الحقيبة على رفّ الأمتعة، ثم استلقى على ثلاثة مقاعد معاً وسترته فوق رأسه.

لم تمرّ عشر دقائق على استلقائه حتّى بدأت الأصوات كتهويدة تنبض في الإيقاع نفسه، كألوان ومضات الضوء الذي تسلّل برفق خلف جفنيه. في البداية، جاء الجابي لتفقّد تذكرتيهما، ثم وقف جاسبر على مقعده ورفع الحقيبة، ودفع بقدمه جانب ڤينسنت، فضرب بجزمته ذات المقدمة الفولاذية المقواة أضلاعه.

"هل تريد واحدة؟".

وضع جاسبر الحقيبة على الأرض، وأخذ علبة من الشراب، وفتح بإصبعه الحلقة المعدنية، فتدفقت قطرات الشراب على وجه ڤينسنت.

"أرجوك، لا تفتح تلك فوق وجهي".

نظر جاسبر إلى الحقيبة مجدداً، فرأى عقب البندقية الخشبي بوضوح، بالإضافة إلى الأكياس المليئة بفئات نقدية ورقية ملطخة بالأحمر، ثم جلب علبة أخرى من الشراب وناولها لڤينسنت، الذي هز برأسه.

"ما الذي فعلته وجعلك تكرهني بهذا القدر يا أخي الصغير؟".

"نحن لسنا أخوين، لذا توقف عن مناداتي بأخيك الصغير!".

أجابه مجدداً، وقد رأى تلقّي جاسبر للإجابة بالقبول، لأن العداء يقابل بعداء أكبر. لكن رأسه كان ثقيلاً جداً، فاستحوذ عليه النوم ولم يبرح سريره، كان من الصعب التفكير بوضوح.

"سأناديك بأخي الصغير متى أشاء. أنت الأصغر، أليس كذلك؟ لهذا لا تعرف أي شيء البتة عمّا كنّا نفعله أنا وليو؛ لأنك مجرّد جرو سقيم يسيل مخاطه".

هزّ ڤينسنت رأسه محاولاً الاستيقاظ. كان يريد أن يتمكّن من التفكير بصفاء، لكنّ عينيه كانتا جافتين، وشعر بالرغبة في حكهما، كما شعر بشعره خلف رقبته كأنه مكهرب. أضناه الإرهاق وعكّر صفوه ولم يتبدد، محاولاً أن يدمر جسداً جافاه النوم بالرغم من استحواذ النعاس عليه.

"في كل عملية سطو يا أخي الصغير... يتولى ليو القيادة في البداية، ثم أتولاها في النهاية. وأنت في الوسط؛ في المكان الأكثر أماناً. نحن نحميك... ناقشنا هذا أنا وليو وعقدنا العزم عليه".

بدأ جاسبر بالضغط على العلبة الفارغة في يده بما يكفي لإصدار صوت مزعج قبل أن تفرقع مجدداً.

"قمنا بهدر كمية كبيرة من الطلقات، لكننا نحتفظ دائماً بالقليل منها احتياطاً لأية حالة قد يتعقّبنا فيها رجال الشرطة. ألم تتساءل يا أخي الصغير عن المكان الذي حصلنا منه على كل هذه الذخيرة؟".

استمر جاسبر بالضغط على العلبة نحو الداخل ثم إرخاء قبضته عليها مصدراً ذلك الصوت المزعج. ثم اقترب أكثر من أذنيَ ڤينسنت وقال له:

"لو أنك علمت فقط بما فعلته لأجلك يا ڤينسنت كل يوم لمدّة ستّ سنوات. وها أنت مستلقٍ هنا بموقفك المخزي".

انتابه شعور بالاستفزاز، علم بذلك، وأحسّ به.

"ستّ سنوات... ما الذي تتكلم عنه بحق الله؟".

"ما الذي أتكلّم عنه؟ من أين تعتقد أننا حصلنا على المتفجرات البلاستيكية وأنابيب "البنتلستوبين" لنفجر بها أرضية مستودع الذخيرة؟".

وقف ڤينسنت وقد شعر بالاستياء، الأمر الذي قضى على رغبته في النوم. هذا كلّ ما كان يحتاج إليه. لو كانت لعينيه إرادتهما الخاصة، لكانتا قد غرقتا في الظلام.

"الخدمة العسكرية. في البداية، أخذ ليو ما احتاج إليه، ثم فعلت أنا".

لكن الآن، يبدو وكأنه قد استعاد قوته ببطء فيما كان يصغي.

"التمارين الأخيرة يا أخي الصغير بدأت معهم عند نقل شاحنة كاملة مليئة بالصناديق المختومة ووضعها في الأسفل إلى جانب الطريق، في وسط الثلوج. كانت تحتوي على أسلحة، ومتفجرات، وذخائر. وبعد فترة، كان من المحال مواصلة تعقّب كل شيء، لكننا علمنا- أنا وليو- أن ذلك ممكن فقط عندما ينتهي التدريب، ويتعين إرجاع كل شيء حَوَتهُ صناديق الشحن".

وأصبح السخط الذي كان على السطح يخدش جلده وجمجمته، وانسل خلسة إلى داخله الآن مثل الديدان الصغيرة. وكلما علا صوت ذلك الغبي، أيقن ڤينسنت أنهما لن يشاركا معاً أبداً في السطو على أي مصرف مجدداً.

"وبعد ذلك، يا أخي الصغير، عندما وقفنا للحراسة ليلاً- فعلت تماماً ما فعله ليو قبلي بسنتين- أخذنا معنا أكياس قمامة سوداء. وكانت لدينا ثلاث ساعات في الثلج. كان علينا أن ننزع أختام الصناديق محكمة الإغلاق، ونجلب الخراطيش أو أنابيب الكاربون الخُماسي أو قنابل اليد، ومن ثم نعيد الأختام مجدداً. كانت أكياس القمامة سوداء، وقد طمرناها للتمويه قبل العودة إلى محطّاتنا".

تغلغلت الديدان الصغيرة وواصلت دبيبها إلى قلبه الذي بدأ ينبض. ولم

يعد هناك أي شيء ما عدا فم جاسبر الذي تكلّم وتكلّم عن التدريب العسكري وعن ليو؛ وكأن ليو كان جاسبر وجاسبر كان ليو.

"وكنا نعلم أنه سيحصل تفتيش كامل بعد التدريب، وأنهم سيقلبون كل الفوج رأساً على عقب".

كأن ليو كان جاسبر وجاسبر كان ليو.

"رأساً على عقب بالفعل يا أخي الصغير. كان الأمر مثل البحث عن بيت، إذ راحوا يتفحصون كل شيء".

أنت لست أخي.

"لكنهم لم يجدوا شيئاً، لا شيء على الإطلاق يا أخي الصغير".

أنت لست ليو.

"وبعد ذلك، خطا الجميع إلى خارج الفوج. لكننا استأجرنا سيارة، وذهبنا إلى حيث طمرناها، وقمنا بالتقاطها وتوضيبها وشحنها إلينا، ثم استقللنا القطار. وحين وصلنا، استلمناها في محطة القطار. هل تفهم؟ كنّا نخطط لذلك لستّ سنوات يا أخي الصغير... أنا وليو".

لم يفهم ڤينسنت أي كلمة مما قاله جاسبر، بل رأى فقط الفجوة البشعة بين أسنان جاسبر، وشفتيه اللتين تتحركان صعوداً ونزولاً، صعوداً ونزولاً.

"إنه شيء غريب. أتعلم؟ بالرغم من أنك أخوه الصغير، إلا أنني أعرفه أكثر مما تعرفه أنت. لذا، عندما ندخل المصرف، أنا وليو يجمعنا رابط لا تحظى به أنت. فكل منا يعلم تماماً ما سيقوم به الآخر".

وقف ڤينسنت فجأة في وسط مقصورة القطار المترنّحة، وقام بذلك لأنه

رغب بلكم تينك الشفتين المتحركتين على الدوام، واستهلاك أي طاقة باقية في جسده المرهق.

"يمكننا أن نفعل أي شيء أنا وليو. أوقفنا قوة الشرطة الجامحة بقنبلة صغيرة. تخيل ما يمكننا فعله في المرة القادمة!".

لم يلكمه ڤينسنت وإنما قال له:

"أتعني القنبلة التي قمتَ بسحب حلقة صمّام الأمان منها يا جاسبر؟!".

وشعر بأطراف أصابعه تضغط بقوة على راحة يده، ثم أطبق كلتا يديه بإحكام من دون أن يعي ذلك.

"أعلم ذلك! أعلم أنك من فعل ذلك! فتماماً مثل فيليكس، لطالما علمتُ بالأمر!".

هزّ جاسبر رأسه نافياً مثلما كان يفعل عادةً.

ولكنه بعد ذلك بدا وكأنه قد غيّر رأيه وابتسم، وقال:

"علمت أن الشرطة قد ترسل رجلاً آلياً لتفكيك القنبلة".

"إذاً، كنت الفاعل!".

"أنا أعرف ما أقوم به يا أخي الصغير، لذا لم يكن ليحدث أي شيء جِدِيّ".

"كنت أنت من نزع حلقة الأمان وأنكرت ذلك!".

"لم يُقتل أحد، أليس كذلك؟".

"أنت كذبت! كذبت على ليو! كان يثق بك! لكنك لا تفهم لأنك... وحيد، فأنت لم تحظَ بأي إخوة!".

ترنّح ڤينسنت فيما كان القطار يتمايل مع منحنيات خطّ السكة الحديدية، وأطبق يديه من دون أن يلكمه، استعداداً ليقوم جاسبر بذلك. ولكنّ هذا الأخير لم يقم بأي لكمة أيضاً، بل حدّق بانشداهٍ فقط ومن دون أن يُبدي أيّ ردة فعل. جلس ڤينسنت، وأرخى أصابعه التي أصبحت بيضاء عند أطرافها، وساد الهدوء أخيراً في مقصورة القطار. كان شعور خفّت وطأته في الداخل. وأخيراً، قال ما فكّر به بصراحة غير مُقَنَّعة، ومن دون غلّ.

"إذاً، هل أنا... وحيد؟".

"نعم".

كان جاسبر لا يزال يحدّق إليه بانشداه، فيما كان يفتح سحّاب الحقيبة ليأخذ علبة شراب أخرى. لكن، لم تكن العلبة ما أمسك به الآن، بل كان البندقية الآلية.

"ألم أحظَ بإخوة؟".

"من دون إخوة".

سوّى جاسبر عقب البندقية، ومدّ يده باتجاه ماسورتها.

"يا أخي الصغير، هل تعلم ما يمكنني فعله الآن؟ هناك شيء يمكنني القيام به... بمفردي، ومن دون إخوة".

"أعد تلك البندقية إلى الحقيبة".

غير أن جاسبر لم يستجب لطلبه. وبدلاً من ذلك، رفع البندقية ووجّهها

نحوه.

"إذاً، ألا تعلم يا أخي الصغير؟ لكن، إذا أردتَ أن تخمّن فبإمكانك القيام بذلك".

غادر جاسبر مقعده بسرعة فائقة، حتى إن ڤينسنت لم يفهم ما يحدث؛ إلى أن ركع جاسبر على إحدى ركبتيه مصوّباً البندقية إلى رأس ڤينسنت، إلى أن احتكت بصدغه، فانسحب ڤينسنت إلى الوراء تدريجياً حتى استقرّ عند مسند الرأس.

"إن لم تعرف فبإمكاني أن أفسر لك يا أخي الصغير. أصغِ إليّ الآن. بهذا... أنت تشعر به، أليس كذلك؟ بهذا يمكنني أن أفعل ما أُريده".

لم يكن ڤينسنت على مقربة وشيكة من الموت من قبل. لم يكن يفكّر هكذا على أية حال.

"جاسبر".

"ماذا؟".

"هيا، اهدأ بالله عليك".

لقد قام بسرقة تسعة مصارف، وأطلق النار من سلاح أوتوماتيكيّ وهو محاط بالناس، ولكنه لم يفهم قط ما هو الخوف من الموت. حتى إنه لم يكن على يقين من أنه يعرف هذا الشعور الآن أيضاً. أدرك الآن أنه أصبح حارس الأمن في شاحنة مصفحة، أو موظف المصرف الجالس وراء منضدة صندوق النقد، وأنه استبدل مكانه معهم. لكنه لم يكن واثقاً مما إذا كان ما يشعر به- أي انعدام القدرة على التنفس؛ بالرغم من أنه لا يزال حيّاً- هو ما انتابه ما إن واجه الموت.

"جاسبر، عليك أن..."

"لا أستطيع أن أسمعك حقاً".

"... لا يمكنك..."

"هل تريد شيئاً يا أخي الصغير؟ أو ربّما أنت تشعر بالوحدة قليلاً؟".

وضغط جاسبر بشدة، فبدأ ڤينسنت ينزف حيث شقّت فوهة البندقية جلده.

"لم أكذب على ليو، هل تفهم هذا؟".

استمر بهذا الوضع بينما كان أحدهم يمرّ خارج مقصورتهما. كان هناك صوت خطوات واضحة تتّجه إلى المرحاض أو مطعم القطار، وكان هناك صوت شخص يضحك ويتكلّم بصوت عالٍ في الجانب الثاني من الجدار الرقيق.

"هل تفهم ذلك يا أخي الصغير؟".

لم يكن ڤينسنت واثقاً من أن رأسه يتحرك؛ إذ لم يكن جسده يستجيب، ولكنه حاول أن يومئ بالفعل، ولعلّ جاسبر فَهِمَ ذلك لأنه أخفض السلاح ببطء كما رفعه، ثم قام بطيّه، وأعاده إلى الحقيبة وأقفل السحّاب.

كان هناك المزيد من الخطوات والأصوات في الخارج. جلس ڤينسنت بسكون تامّ.

شارك في تسع سرقات، ولم يدرك أنه بتلك البساطة يمكنك سلب ما تريده إذا حملت سلاحاً في يديك.

نافذة سجن حديثة. أربعة قضبان أفقية وثلاثة عمودية. وما بينها حيّز صغير من الضوء، من الحرية.

جلست جماعة من نزلاء السجن على مقعد في الفناء المليء بالحصى، وراحوا يمجّون السجائر وسط رياح أبريل الباردة ليأخذوا استراحة قصيرة من عملهم في صفّ التجميع داخل ورشة السجن. كانت مهمتهم اليومية قطع قطع خشبية مربعة وتجميعها مقابل إحدى عشرة كرونة بالساعة. وكانوا محصورين بسور يرتفع خمساً وعشرين قدماً وغير مطلي، ويرتدون معاطف خشنة وغير مناسبة خيطت على نحو مستعرض، مثل شبكة المشواة التي ذكّرت جون برونكس بسجون الأفلام القديمة عن "الغولاغز".

ستجلس هنا في هذا المكان. أنت تسرق المصارف باستعمال أسلحة عسكرية مسروقة. نظر حوله. كان يعيش وحيداً، ولكنه لم يشعر بالوحدة؛ ما عدا هنا. لا يوجد في العالم ما يشعرك بأنّك خائب الأمل وفاشل أكثر من انتظارك أحدهم في زنزانة الزوّار. ففي ذلك فصل وانقطاع عن العالم الخارجي. لم تكن الزيارات إلى السجن تهدف إلى الفرح، بل كانت بهدف التحكم والأمان، ولقضاء الوقت على انفراد على سرير زوجيّ مغطّى بالبلاستيك، وهناك حوض يهترئ أكثر مع كل نقطة ماء تسقط من صنبور راشح.

رنين، صوت خشن ومعدني على غرار ذلك الصوت الذي كان يُسمع عند فتح باب الشقة الأمامي حيث عاشوا معاً وتقاسموا الغرفة نفسها حتى بلغ جون الرابعة عشرة من العمر. كانت الأسرّة متقاربة جداً، ومع هذا لم تشعره بالوحشة؛ بالرغم من أنه ما من أحد من رفاقه كان عليه أن يتشارك مع أحد غرفة واحدة. كانت المفاتيح تتحرك في جيب ضابط تأهيل الأحداث مصدرة صوتاً، ثم وُضِعت

في ثقب الباب، ثم سُمِع صوت طقطقة داخل قفل الباب، وصوت عقيفة تنزلق من إطار مقوّى.

خُفّان وسروال قصير أزرق وقميص أبيض عليه شعار "خدمة سجون السويد" على الصدر، والحارس خلفه على بعد نصف خطوة.

أصبح سام عريضاً في الحجم، حتى إن روحه المنتقمة تحوّلت إلى عضلات. كان وجهاً بلا ملامح، بلا حياة؛ تماماً مثل زنزانة الزائرين، بعينين لا تحملان أي رغبة أو شوق... لا للمستقبل ولا للماضي. إن أصعب المحن هي أن تعيش في الحاضر من دون القدرة على أن تعيش تجربته.

ستجلس في هذا المكان، وهكذا يجب عليك أن تتصرف.

هذا سيكون أنت؛ القائد الذي يطلق النار على الكاميرات، عندما تمضي مدة عقوبتك وأنت ترثي لحالك.

ثم أُقفل الباب، وشعر جون بالوحدة؛ تماماً كما في السابق، بالرغم من أنهما اثنان الآن.

"أنت قدّمت طلباً مسبقاً".

"نعم، أنا..."

"لكنني لم أُحضر أيّ حلوى معي هذه المرّة أيضاً. أنت لست هنا بهدف الزيارة".

أسند كل منهما ظهره إلى الجدار، لم يكن هناك مجال للابتعاد أكثر.

"لقد أكلت شيئاً في طريقي إلى هنا".

وسحب جون أحد الكراسي وجلس عليه.

"في المرّة الأخيرة التي كنتُ فيها هنا، سرقوا شاحنة مدرّعة ومصرفاً واحداً فقط".

لم يتفوّه سام بكلمة، إذ لم يكن هناك سؤال.

"والآن، لقد سرقوا شاحنة مدرّعة، وثمانية مصارف، ووضعوا قنبلة في المحطة المركزية، ولديهم مخبأ لأكثر من مئتي سلاح آلي".

لكنه بدا وكأنه مبتسم.

"سحقاً. يبدو أنهم أحسنوا صنعاً... ماذا دعوتهم... "العصبة العسكرية"؟".

أسند جون كوعيه على الطاولة المترنحة تماماً مثل الكرسي.

"هناك 463 شخصاً يمضون عقوبتهم هنا لفترة طويلة، وبعد ثمانية عشر عاماً سام، لا بد أنك تعرفهم جميعاً، وهم بدورهم سيعرفون الجميع".

يبدو أن أخاه أسند نفسه أكثر على الجدار لتبقى مسافة كبيرة لم تُمس في الغرفة الصغيرة.

"اسمع... نحن قد تكلمنا عن هذا الموضوع، أليس كذلك؟ إذا عرفت أي شيء، فأنا متأكد... اللعنة، من أنني لن أخبر به الشرطة".

"لكن، لم يعد هذا مثل المرة السابقة. سام، انس أمر المصارف إذا كنت تعتقد أن ذلك مهم جداً. قبل تمرّد هذه الجماعة، كان هناك ثلاثة عشر سلاحاً آليّاً عسكرياً مسروقاً بطريقة غير معلّلة. والآن، هناك ما يكفي لتسليح كلّ المنظمات الإجرامية في السويد، ومن بينهم مَن تتناول الغداء معهم هنا كل يوم.

كلّ مجرم محتمل صغير قد يصبح طليقاً وبحوذته سلاح حربي. لن يكون الأمر عن كاميرات خُرقت بالرصاص بعد ذلك، بل سيكون هناك الكثير من الناس الأبرياء في طريقهم، ولن يكون أحد ممن يتفادون التكلم مع الشرطة قادراً على اعتبار أن إصابة الأبرياء أو مصرعهم شيء جيد".

اختفت الابتسامة الساخرة، وخفّت حدة تعابيره قليلاً. نظر سام إلى جون على غفلة منه، فقد كان حاضراً ويصغي، على الأقل في هذا اللحظة.

"لن أقبل بأن يطال الأذى الأبرياء يا سام".

للحظة فقط.

"لا أفهم، لماذا تنتابك الهواجس إلى هذا الحدّ؟".

"أخبرتك عن السبب. لن أقبل بأن يحلّ البعض مشاكلهم باستعمال القوة المفرطة".

الأمر الذي لم يأتيا على ذكره قط.

"إذاً، أنت لا تتقبّل..."

"... أن يستخدموا العنف كأداة".

"أداة!".

"عندما عرض حارس الأمن عليهم صور أولاده، دفعوا البندقية في فمه أكثر للحصول على ما يريدونه".

"لكنه حارس أمن. وإذا اخترت أن تكون حارس أمن، فعليك أن تتقبل المخاطرة. فقد تتعرض السيارات المدرّعة للسرقة".

"وماذا عن موظفة المصرف التي طرحوها أرضاً فصارت هناك خدوش على خدها، والتي لن تنام مجدداً من دون تناول العقاقير. أما عيناها... لو رأيت عينيها، لبدتا لك كعينَي والدتنا... في ذاك اليوم".

أخيراً، ابتعد سام عن الجدار واتجه نحو الطاولة ليجلس بالقرب من جون. بدت الشرايين على ساعده مثل خريطة طريق فيما ضغط على ظهر كرسيه وكأنه يحاول كسره.

"لقد عملت في مصرف، مما يعني أنها اختارت أن تعمل هناك وهي تعلم أن المصارف تُسرق". لم يكن سام مجرماً عندما حُكم عليه بالسجن مدى الحياة، ولكنه أصبح كذلك بين هذه الجدران.

"لذا... أنت تعتقد أن ما يفعلونه جيد؟".

"أنا هنا منذ ثماني عشرة سنة... ماذا تعتقد بحق الله؟".

أرخى سام تشبّثه بظهر الكرسي قليلاً، وعادت يداه إلى لونهما الطبيعي.

"أنت تجلس هناك على كرسي الزائر اللعين، وأنا أجلس هنا. تقبّل ذلك. أنت اخترت أن تمسك يده، وأنا اخترت الحرب الدفاعية، تقّبل ذلك!".

نظر سام إليه بطريقة ميزها جون؛ بطريقة عرفها سابقاً.

بنظرة تنقصها السخرية، والوفاق، والكراهية، والذنب.

"حاولوا أن يجبروني على رؤية المعالج مرّة في الأسبوع؛ لكي يخبرني أحد الأغبياء أنني طعنت والدي بسبب طفولة سيئة. وإن ما حصل لم يكن... غلطتي".

وقف أخوه في البداية مشدداً على معاملته بفتور، ثم جلس الآن مقابل جون.

"تباً لذلك. لقد اخترت أن أطعن ذلك النذل... أنا الذي أجلس هنا الآن. الكلام عما حدث يومها يشبه إعادة شريط كاسيت إلى الوراء".

ثم حطّ الساعدان ذوا الشرايين الغليظة على الطاولة.

"الطفل يتلقى، ويسجّل، ويقلد، ويحذو حذو الآخرين، ويخزّن كل شيء بشكل مختلط. ومسجل الكاسيت لا يفكر، بل يستخرج نسخة من الأصل".

فجأةً، أراد جون أن يلمس ذينك الساعدين، ويمرر يده عليهما.

مضت أعوام كثيرة منذ أن تلاقيا معاً وجهاً لوجه.

"قد نكون أنا وأنت على غراره، أو لا نكون. ما زال هنا. ومهما قمنا به أنا وأنت، فلن يتمكّن أي معالج من تغيير ذلك. تقبّل هذا".

" لم آتِ إلى هنا للكلام عنه".

"لا، أتيت إلى هنا لأنك تريد مني أن أكون المبلّغ المحترف".

لم يلمسه، فقد تذكر المرّة الأخيرة؛ يد تحنو على كتف سام الذي تراجع وكأن جون ضربه.

"سمعت أنك جلست معه".

"وأنت جالس هنا سام".

"وقد أمسكت بيده".

"لذا، عليك أن تعرف من هو".

"أخبرتني ماما أنك جلست إلى جانبه في المستشفى ممسكاً بيده. أمسكت

بيد الشيطان الذي ضربك".

"عليك يا سام أن تعلم. لا بد أنك سمعت شيئاً ما، اسماً أو مخبأ سلاح. هناك دوماً أحد ما يتكلّم، إنك أخي، وسأبقى هنا، وأنت تعلم هذا بالتأكيد".

"أنت أمسكت بيده، ولكنك أتيت إلى هنا يا أخي معتقداً أنني سأجول في كل مكان لطرح السؤال بالنيابة عنك، أليس كذلك؟".

وضغط سام الزر الموجود على الحائط مستدعياً الحراس.

"انتهت الزيارة".

"انتهت!".

"انتهت".

وتماماً مثل المرّة الأخيرة، دام اللقاء ستّين دقيقة بعد عدة أشهر؛ كان وقتاً طويلاً.

ثم ساد الهدوء.

تجنّبا بعضهما إلى درجة جعلت جون غير قادر على التحمل أكثر. وكان عليه فقط أن يقول شيئاً.

"إنهم إخوة".

إنها الوحدة في هذه الغرفة اللعينة.

"أعني السارقين... على الأقل اثنان منهم".

عاد إليه هذا الشعور أقوى مما كان عليه عندما وقفا معاً بانتظار أن يتم

سحب أحدهما وسجنه مجدداً.

"إنني متأكد من ذلك. فقد رأيت كيف يتحرّكان، وكيف ينتميان إلى بعضهما بعضاً".

تطلب إخراجه من غرفة الزيارة حارسين؛ أحدهما يسير أمامه، والآخر وراءه. وكانوا في منتصف الطريق إلى السلالم المؤدية إلى ممرات السجن الطويلة عندما التفت سام إليه وقال:

"جون، لا تأتِ إلى هنا مجدداً".

لم يقل ذلك بصوت عالٍ جداً، بل في الواقع قالها بصوت خافت، لكن كل كلمة كانت واضحة.

"لا أريد أن أراك مجدداً".

خمس أوراق من فئة خمسمئة كرونة مبتلة أُخِذَت من وعاءٍ مليء بالماء؛ برفق وبكلتا اليدين، ثم عُلِّقت على حبل الغسيل الممتد بين جدران المرأب.

قام ليو بطي الأوراق المبتلة الثقيلة فوق الحبل، والتي ستصبح على شكل "U" عندما تجفّ، وستحتاج إلى كي، الواحدة تلو الأخرى.

تقاطعت حبال الغسيل في كل أرجاء المرأب الكبير، وشكّلت سقفاً متشابكاً من أوراق الكرونة المتدلية من مختلف فئات العملة. لم تعد عديمة القيمة. كان الكيس الذي حمله قبل خمس عشرة ساعة عديم الوزن، ومحشواً بأوراق نقدية فقدت قيمتها. هكذا تصرف مع محتويات الكيس عندما أقفل باب المرأب. ولكنها الآن لن تخسر قيمتها للمرة الثانية.

لو أنه فكر ملياً بما كانت عليه- أكثر من مليونيَ كرونة تساوي مالاً ملطخاً باللون الأحمر، مالاً حقيقياً لا يُمكن استخدامه- لما وجد حلاً إطلاقاً.

إن غضبه من أمينة الصندوق التي أفسدت مخططه بإقحامها علبة الصباغ المخفية في الحقيبة، كان من الممكن أن يؤدي إلى تأخير إبداعه، ولانتهى المطاف ربما بأن يصبح المال الملطخ مجرد قطع من الورق لا قيمة لها.

بدأ بفئة الخمسمئة، وبسطها بين أصابعه. صباغ أحمر يبدو وكأنه طعنة في وجه ملك ميت. لا يمكن استخدامها. مسحها بإبهامه، لكن الصباغ صمد على الورقة كما لو أنه متشبث بها. كان متأكداً من أنه يتعين عليه حرقها كلها.

ثم رأى إبهامه، لم تعد تبدو كما كانت. إذ كانت هناك طبقة من الطلاء الأحمر الباهت تغلف الجلد. كان الصباغ ذا مفعول جزئي.

وككل من كان على علم ومعرفة بالبناء، علم أن كل صباغ بمفعول جزئي لم يتفاعل مع مركب آخر لن يكون دائماً. هذا ما ألهمه إياه عمله الآخر في طلاء الأسطح.

كان الطلاء الكامل يستخدم ليحتفظ بجودته على أسطح تتعرض للظروف الصعبة كأشعة الشمس أو المواد الكيميائية، وليس إلى الاحتكاك بالإبهام.

كان لا يزال لا يملك الجسارة للتفكير بالمليونين، ليس بعد. ولكنه فتح الخزانة المعدنية للسوائل القابلة للاشتعال، وتناول قارورة البنزين البلاستيكية، ورشّ عدة نقاط على فئة مئة كرونة، فزال اللون الأحمر في الحال. لكن، بعد عدة ثوانٍ، تبدّدت الطبعة الأصلية أيضاً. كان حدوث هذا محتملاً. ولكن، تلاشى الصباغ الأحمر بالفعل. الآن، يتعين عليه أن يجرّب النوع المناسب من المادة المذيبة.

فكّر بسوائل كحولية مميثلة مثل الرينول والميثانول. حتى إنه اختبر حمض الأسيتيك قبل أن يدرك أن أفضل مادة مذيبة وسهلة المنال هي مادة الأسيتون الصرفة كيميائياً. وتماماً مثل البنزين، بددت الحبر الأصلي والطباعة فوق البنفسجية للحماية. لكنها لا تعمل بالسرعة نفسها، وليس بطريقة الإبادة نفسها. إنه عامل الوقت، إن المسألة هي إيجاد العدد الدقيق من الثواني. لذا، اختبر ذلك على فئات أقل قيمة؛ مثل فئة العشرين كرونة، وفي بعض الأحيان على فئة الخمسين كرونة.

إذاً، من الضروري معرفة الوقت المناسب، والتوازن المناسب بين مادة الأسيتون والماء في وعاء مليء بالسوائل. يمكن شراء الأسيتون من أي مخزن! لذا، طلب من أنيللي أن تستخدم السيارة وتشتري خمسة عشر غالوناً بشكل متفرّق، من هنا وهناك، فيما واصل هو المزج والقياس والوزن.

وأخيراً، حقّق هدفه المنشود.

فبعد التجربة بنحو 114،400 كرونة، قام بغسل أوّل فئة ناجحة بشكل

ممتاز.

كان محور اهتمامه الأسيتون والماء والوقت ومليونين من الفئات الملطخة باللون الأحمر والتي ستُغسل بإتقان.

كان يعلّق آخر قسم من أوراق فئة الخمسمئة كرونة المغسولة على الحبل الممتدّ فوق طاولة العمل عندما سمع طرقاً على الباب.

"ليو، تنبعث من المكان رائحة مثل مصنع الطلاء".

كان ڤينسنت وفيليكس من دخل.

"تحتاج إلى بعض التهوئة يا ليو. هذا ليس صحياً".

كان ليو يرتدي قفازين دبقين، وكان كمّاه رطبين وكذلك صدره. لذا، عليهما أن ينتظرا قليلاً إن أرادا معانقته كالمعتاد.

"لقد حللت المشكلة! هل تصدقان أنني حللتها؟ حللتها!".

كانت الفئات الحمراء مكوّمة على طاولة العمل. وكانت أمامهم ثلاث حاويات معدنية كبيرة مليئة حتى نصفها بسائل شفاف.

"في البداية، نغسلها بالأسيتون الصافي".

وأَمسَكَت يداه المغطاتان بقفازين أصفرين كدسة من الفئات الورقية.

"فئة الخمسمئة كرونة، كل عشرين ورقة على حدة".

تقطر اللون الأحمر مثل صبغة الكراميل فيما ليو يراقب الساعة. انتظر خمس ثوانٍ، ثم نقل المال بسرعة إلى الحاوية التالية.

"نصفها أسيتون ونصفها الآخر ماء، تبقى هنا لعشر ثوانٍ".

وتحوّل السائل إلى اللون الوردي فيما تلاشى آخر ما بقي من اللون الأحمر، ثم نقلت الأوراق المبللة إلى الحاوية الثالثة والأخيرة.

"المياه الصافية تثبّت ألوان العملة الورقية، ونبقيها هنا ثلاث دقائق".

انتظروا بصمت للتدقيق في ما هو مكتوب تحت الماء: "مصرف السويد الوطني"، ورقم 500 وصور لرجل ذي شعر طويل يعتمر قبعة، إنه ملك يدعى "كارل الحادي عشر" الذي أمر في عام 1600 بقتل كل الرجال الذين كانوا بعمر الخدمة العسكرية في أبرشيات معينة في جنوب السويد.

يبدو أن كل شيء محفوظ. تناول ليو إحدى الأوراق المبللة، ووضعها على راحة يده.

"هل ترى؟ اختفى اللون الأحمر من دون إزالة الحبر الأصلي وفساد الطبعة الأصلية".

رفع كل ورقة بعد غسلها في الحاوية الأخيرة. كانت ثقيلة وتتقطر منها المياه، ثم علّقها على حبل الغسيل.

"هل جاسبر هنا؟".

وقف ڤينسنت خلفه، واستطاع ليو أن يلاحظ بعد سماعه صوته أنه قلق لسبب ما.

"لا".

"هل سيأتي إلى هنا؟".

"ولماذا قد يفعل؟".

وتمعّن بوجه أخيه الصغير. لم يكن صوته فقط ما يبدو عليه القلق.

"ما الأمر؟".

"لا شيء".

"ألا يوجد أي شيء؟".

بدا الصوت والوجه أكثر من قلقين.

سيسأل لاحقاً.

تراجع خطوة إلى الوراء فرأى صورة جميلة. ليس سبب ذلك مجرّد غرفة كاملة مليئة بالمال، ولكن بسبب نجاحه؛ فهو وحده الذي يقرّر متى ينقضي الأمر برمّته، حتى لو هدر 114،400 كرونة لحلّ هذه المشكلة. مع أن الأوراق الوردية التي ألقوها في الدلو، قد يكون بالإمكان استخدامها، ليس في المخزن، وإنما بطرائق مختلفة.

"تمّ إتلاف تلك الأوراق فيما كنت أختبرها لإيجاد الحلّ، لكن يمكن استخدامها في محطات الوقود الأوتوماتيكية. قمتُ بتجربتها. يتعيّن علينا أن نكون حذرين عندما نوزّعها لنحصل على الوقود".

"إنها مجرد فكّة نقود صغيرة".

"كلا، ليست كذلك".

ومدّ فيليكس يده وحركها في الدلو المليء بأوراق نقدية متلاشية اللون، تقدّر بما يزيد عن رواتب عدة أشهر لمعظم الناس.

"من الغباء وضع هذه في السوق، إذ سينتهي بها المطاف في أيدي رجال الشرطة".

"على العكس".

" على العكس!".

"سيرون أنهم مهما حاولوا جاهدين لإيقافنا فلن يفلحوا؛ حتى باستعمال علب الصباغ".

وضحك بصوت أشبه بالقهقهة بفعل أبخرة الأسيتون. وشعر بالدوار كما لو أن هناك رباطاً ملتفاً حول دماغه، وبالكاد تخلص من تلك الأفكار النكدة التي لطالما قضت مضجعه بسبب سرقة ثلاثية فاشلة جزئياً.

"لماذا لم يأتِ ذلك السافل جاسبر إلى هنا؟".

وجّه فيليكس السؤال إلى ليو، ولكنه نظر نحو ڤينسنت. عندها، خلع ليو قفازيه قائلاً:

"لماذا تستمر بالسؤال عنه؟ لِمَ كل هذا؟ إنه ليس هنا، ولن يأتي إلى هنا. أرضيت الآن؟".

"كلّا، أنا غير راضٍ، وكذلك ڤينسنت. لكن، لِمَ لم يأتِ ذلك المغفل إلى هنا؟ أراهن على أنه يعاني اليوم من الدوار بسبب احتسائه الشراب؛ فقد شرب ما يكفي في قطار العودة إلى المنزل".

"هل تناول الشراب؟".

"نعم".

"هل كان... ثملاً؟".

"نعم".

التفت ليو إلى ڤينسنت.

"ڤينسنت، هل كان ثملاً؟".

"نعم".

"هل ثمل قرب مسافرين آخرين؟".

"نعم".

"تباً... كان بإمكانه أن يشرب هنا لاحقاً، ولكن ليس بين الناس! فنحن لا نريد أن نلفتَ الأنظار".

"لقد لفت الأنظار إليه، أليس كذلك يا ڤينسنت؟".

كان واضحاً للعيان أن كلمات فيليكس تمارس ضغطاً على ڤينسنت الذي يحاول التهرّب من الموضوع.

"أليس كذلك يا ڤينسنت؟".

لم يلتفت ڤينسنت إلى ليو ولا إلى فيليكس، بل نظر إلى الأمام وحسب.

"لا أعلم عمّا تتحدّثان. توقّفا عن هذا الكلام".

أفرغ محتويات ثلاث حاويات معدنية في الحوض وغسله بالماء الدافق، ثم ملأ تلك الحاويات مجدداً بالطريقة نفسها. الأسيتون الصافي في الأولى، ونصف الكمية من الأسيتون والنصف الآخر من الماء في الثانية، والماء الصافي في الأخيرة.

"كنت أفكر في السرقة التالية".

"السرقة التالية!".

"مممممم".

"اتفقنا على أن نتوقّف بعد العملية الأخيرة. قلنا إننا سنقوم بسرقة ثلاثية ثم سنكتفي بذلك".

ارتدى القفّازين الأصفرين مجدداً، وأخذ حفنة جديدة من الأوراق الحمراء المكوّمة.

"كنّا سنكتفي بذلك، ولكن لم تكن غنيمتنا كما توقعنا، أليس كذلك يا فيليكس؟ إن ما علينا غسله هنا، وما حظينا به في غرفة الأسلحة سيكفينا لمدة سنتين لا أكثر بوجود كل هذه المصاريف".

"ثم سنحصل على وظيفة، مثل الآخرين".

كانت لدى فيليكس طريقة مدسوسة تخترق الدفاعات، وهو عادة يُصيب في الصميم، مثيراً النزاع بين الأخوين.

"لا نحتاج إلى الوظيفة لأننا سنعاود الكرة".

"نعاود... ماذا؟".

لكن ليس الآن. لم يكن لدى ليو الوقت للنزاع.

"في أولارد، لم يقم أحدٌ بذلك من قبل. سنسطو على المصارف الثلاثة نفسها مجدداً. سنعيد الكَرّة. لن نكرر الأخطاء التي قمنا بها مجدداً. سنغنم بين عشرة إلى خمسة عشر مليوناً!".

غمّس النقود في الحاوية الأولى. تضمّنت الكومة عشر أوراق من فئة خمسمئة كرونة، وعشر من فئة مئة كرونة.

"إنني جاد. تمّ التخطيط لكلّ شيء. في غضون شهرين. لن يتوقّع أي رجل شرطة السطو على المصارف نفسها!".

مضت خمس ثوانٍ، فنقل الأوراق إلى الحاوية التالية.

"ليو".

"ماذا؟".

"توقفنا عند حاجز على الطريق".

"وقد تدبّرت الأمر جيداً يا فيليكس!".

"وماذا لو فتحوا الباب الخلفي؟ ماذا لو أزالوا بالات العزل وأدركوا أن الجدار وهمي؟".

" لم يفعلوا ذلك".

"ولكن، ماذا لو فعلوا ذلك؟".

"لكنت قد أطلقت النار على سيقانهم".

"ماذا إن أخفقت؟ وإذا قاموا..."

"اللعنة يا فيليكس. نحن نسرق المصارف، نحن مسلّحون ولدينا ذخيرة حيّة، وإذا قاموا بتصويب سلاحهم... فسيموت أحدهم، وسأتأكد من أنه لن يكون أحداً منا".

تخطت الثواني العشر إلى اثنتي عشرة؛ كاد ليو ينسى الوقت.

"ماذا لو حدث أي شيء لنا يا ليو. لو حدث شيء لك أو لي أو لڤينسنت؟".

"عندئذٍ، سنتّجه إلى المستشفى ونُحكِمُ السيطرة على القسم، أو نأخذ الطبيب معنا".

"ليو".

جاء دور الحاوية الثالثة، لديه الكثير من الوقت مجدداً.

"اللعنة يا ليو، هل أنت غير مركز بسبب الأسيتون؟".

"كنت دائماً أتفقد عناوين الجرّاحين في الجوار قبل كل عملية سطو، وسأواصل القيام بذلك".

"الجرّاحون!".

"إذا أُصيب أحدنا بطلق ناريّ فلا يسعنا الذهاب إلى غرفة الطوارئ، أليس كذلك؟ لذا، سيتعيّن علينا أن نجد أحداً ليكون برفقتنا. سنذهب إلى هناك، وسنضع الطبيب في صندوق السيارة، وسنأخذ ما لديه في البيت من المواد الطبية. لطالما كانت لدينا إبرة وخيط ومواد مطهرة لتنظيف الجروح في السيارة".

ثبتت ألوان الأوراق تماماً مرة أخرى. أمسك ليو الحاوية ليحملها فيليكس الذي وقف قريباً منه.

"هل تستطيع أن تعلّق هذه؟".

"ليو".

"ماذا؟".

"لست هنا لأُعَلِّق أي أموال وكذلك ڤينسنت، لأننا لن نشارك في هذا مجدداً".

بدلاً من ذلك، ناول ليو الحاوية إلى ڤينسنت الذي هزّ رأسه رافضاً كما فعل فيليكس.

لذا، علّقها بنفسه على الحبل كما فعل في السابق.

"ماذا تعني... بقولك إنكما لن تفعلا ذلك؟".

"لن نقوم بذلك، ولن نكون جزءاً منه".

"ما الذي تقوله يا فيليكس؟".

"أنا أتكلم عن... كنت على التلة عندما قمنا بالسطو الأوّل، كنت في الظلام الدامس، ولم يتمكّن أحد من رؤيتي، ولم يكن قد سبق لي أن حملت بالفعل سلاحاً في حياتي. استلقيت هناك، وقمت بالتصويب، فيما ذهبتم أنتم بشاحنة مصفحة، وضغطت على الزناد على السيارة التي خلفكم. كدت أطلق النار على شخصين حدث أنهما كانا يقودان السيارة بالاتجاه الخاطئ".

"لكنك لم تفعل".

"والآن... في المرة الأخيرة هذه، تحمّلت مشقة الخروج من السقف ممسكاً بسلاح آلي في وسط النهار! قد يراني أيّ شخص، وكنت جاهزاً لإطلاق النار على أي أحد يعترض طريقي".

"لكنك لم تفعل".

"وماذا عن ڤينسنت؟ أخونا الصغير كاد أن يطلق النار على امرأة عجوز احتاجت إلى المساعدة وحسب. إنه أخونا الصغير!".

"ولكنه لم يفعل".

"كنت هناك مع ڤينسنت تماماً عند نقطة التفتيش؛ وعندما تكون في مثل ذلك الوضع، ستكون الخطوة التالية التي ستأخذها... هي أن تتخطّى الأمر. ماذا لو قرّر رجال الشرطة أن يُمعِنوا النظر وراء تلك البالات واكتشفوا أمرك؟ أتفهمني؟".

"أُنظر إليّ يا فيليكس، وردّد ذلك بعدي، لم يفعلوا".

"لن يحالفنا الحظ. في المرّة القادمة، ستكون الرصاصة في طريقها لتصيب يا ليو؛ فقد تصيبهم أو تصيبنا".

كانت لا تزال هناك أربع أوراق نقدية مبللة في يده، ولكن ڤينسنت اعترض طريقه قائلاً:

"ليو، أنصِت إلى فيليكس".

وبقيت الأوراق تقطر ماءً.

"وبالنسبة لي، لنا... أنا وفيليكس، سننتقل إلى غوثنبرغ".

كان من النادر أن ينظر إليه ڤينسنت بتلك الطريقة.

"استأجرنا شقة من مستأجرٍ آخر".

انتظر منه أن يكمل كلامه، ولكنّ فيليكس هو الذي تكلّم هذه المرة:

"أخذت أنت السيارة إلى ستوكهولم، وكان ڤينسنت في القطار مع ذلك الغبي الذي سأتكلّم عنه معك لاحقاً، وأنا سافرت من مطار "لاندفتر". فعلت

ذلك حينها؛ غيرت تذكرتي. كانت هناك عدّة شقق في غوتنبرغ بوست، وكانت غالية الثمن، وكانوا يريدون استلام ثلاثة أشهر مسبقاً. لكن في المدينة، هناك شقق بغرفتي نوم، لكلّ منا غرفة مستقلة".

بدأت بُرَيكة من الماء بالتكوّن على حذائه، ثم راحت تقطر على الأرض. علّق ليو آخر أربع أوراق نقدية أخرجها من الحوض.

"لا أبالي قيد أنملة بعدد غرف النوم هناك".

وبعد تعليقها، ابتعد عنها، وسأل:

"وما الذي ستفعله في غوتنبرغ بحق الله؟".

"سأدرس. سآخذ بعض الدروس في تشالمرز، وڤينسنت سيتلقى بعض الدروس في الثانوية".

"لا يمكنك أن تكون جديّاً؟".

"سننتقل في نهاية هذا الأسبوع".

"كلاكما! هل أنت جاد؟ هل تمازحني؟".

"نحن جادان. لذا، يمكنك الآن أن تفعل ما قلته".

"ماذا أفعل؟".

"أن تبيع الأسلحة. قلت إنك ستفعل ذلك حين تنتهي من هذا. لذا، يمكنك أن تتخلص من تلك القذارة للحصول على النقود، وحينها ستكون على خير ما يرام".

أصبحت رقبة ليو حمراء؛ تماماً كرقبة فيليكس وخدّي ڤينسنت.

"لكننا سنقوم بذلك معاً! تلك كانت نهاية المطاف لنا!".

"الآن، لن يحصل هذا".

"أنت... تتولّى الأمور بغير علمنا! هل هذا ما نقوم به عادةً؟ يتعين علينا أن نثق ببعضنا بعضاً. نحن نخبر بعضنا بكل شيء دائماً! وأنت تقوم في غيابنا بتنظيم كل شيء من دون أن تنبس ببنت شفة. ثم تخبرني الآن! في الوقت الذي لا يمكنني فيه... أن أحظى بفرصة حتى".

نظر ڤينسنت إلى الأرض.

"كان باستطاعتك... أن تتدخل، أن تقنعنا".

"أن أتدخل!".

"نعم".

"أن أتدخّل! حسناً، في هذه الحالة... تحرّك قدماً. لماذا تقف هنا؟ أنا واثق أن لديك الكثير لتوضبه، أليس كذلك؟ وأنا لدي مليون إضافي من تلك الأوراق لأغسلها".

كومات جديدة من الأوراق النقدية، من فئة الخمسين والعشرين. لم يسمعهما وهما يغادران أو يقفلان الباب، بسبب قعقعة الحاويات المعدنية.

أمسكت أنيللي هاتفها بيدها اليسرى وسيجارة باليمنى، من الممتع أن تقف خارجاً لتتكلم وتنعم بملامسة الشمس لوجهها، وإذا أسنَدَت ظهرها إلى الحائط فستحمي نفسها من الريح تماماً. لكن لا يمكن الذهاب إلى أيّ مكان.

اشتاقت إليه كثيراً. تنشقت الدخان بعمق إلى داخل رئتيها، وأبقته هناك ليشغل المكان الشاغر، ثم شعرت بالهدوء، لِعِلمِها أنّ كلّ شيء سيصبح على ما يرام؛ إذا صمدت فقط بوجه الانتظار، تماماً مثلما فعلت في اليوم الأول في المستشفى، عندما هوى خرطوم الأوكسجين الهش المعلق على الحائط بسبب سحب القابلة القانونية له. لذا، عاد الفضل إلى تلك الغريبة التي ركضت في ممرات المستشفى حاملة ابنها بين ذراعيها- وهو غير قادر على التنفّس، والمياه تزال في رئتيه- وهي تتذكر تلك اللحظات الرهيبة عندما ظنّت أنه أسلم الروح.

دخّنت حينها أيضاً على شرفة المستشفى، وإلى جانبها منفضة كبيرة مليئة بمئات أعقاب السجائر البارزة كحبات الفطر المبتورة، مجّت النيكوتين والقطران بعمق حتى نعمت بالسكينة.

لطالما كان سيباستيان كل شيء بالنسبة لها. وقد تخلّت عنه. أمّا اليوم، فهما يتبادلان أطراف الحديث عبر الهاتف ثلاث مرات أسبوعياً، ويتقابلان في معظم عطل نهاية الأسبوع.

قابلت رجلاً أصغر سنّاً، يبلغ من العمر 21 عاماً، كان يتحلّى بصفات لم يتمتّع بها والد سيباستيان. فقد تمتّع بكل شيء أرادته؛ فهو مفعم بالحيوية والجنون والقوة، رجل يعمل على تحقيق أحلام الآخرين.

بعدئذٍ، خرجت القابلة إلى الشرفة. بكى سيباستيان لأوّل مرة، تنشّق

نَفَسَهُ الأوّل، وأزيلت المياه من رئتيه. وفي المساء، وُضع إلى جانبها في حاضنة بلاستيكية مليئة بالأوكسجين، ونظرت إليه، وكانت متأكدة من أنه نظر إليها أيضاً.

هي امرأة أعطت وَلَدَها لرجل جديد. وقعت في الحبّ من قبل، ولا تزال كذلك. وستبدو الأمور كما كانت عليه من قبل، وفي غضون سنة ستصبح هي وسيباستيان معاً مجدداً؛ عندما ينتهي كل هذا. عندما يأخذون كلّ ما ينوون أخذه، عندها ستُعيده إليها، إلى العائلة الحقيقية. عليها فقط أن تصبر على الانتظار.

" مرحباً".

كانت الشمس قد أعمت عينيها، ففتحتهما الآن جزئياً. كانت جارتها واقفة عند السياج المترابط بالسلاسل، تنظر إليها من خلاله. وكان الطفل على العشب على مسافة قصيرة منها. لم يحدث أن تبادلتا الحديث معاً من قبل؛ بالرغم من أنهما أمضتا فصلي الربيع والخريف على كلا الجانبين من حدود ملكيّتيهما التي كانت واضحة جداً. الأسفلت هنا، وشجرة التفاح هناك. غالباً ما كانت تراقب تلك المرأة من نافذتها، فيما كانت تجمع أوراق الأشجار أو ترمي كرة كبيرة صفراء بواحدة صغيرة.

مثل أنيللي وسيباستيان، آنذاك وبعدئذٍ.

"مرحباً".

أطفأت سيجارتها بكعب حذائها، ثم اتجهت نحو المرأة التي رفعت طفلها بين ذراعيها. كان بإمكان أنيللي أن تلامس خديه، وذلك إن مدّت يدها عبر أحد ثقوب السياج.

"أدعى ستينا".

" أنيللي".

" رأيتك من قبل في الفناء، وقلت حسناً، أنت أقرب جارة لي، فهل ترغبين بزيارتي لتناول العشاء؟".

في بعض الأحيان، نحتاج إلى القليل لنجعل كل شيء مختلفاً. وهذه كانت إحدى تلك اللحظات. لم يحجب الأسفلت والسلاسل المربوطة بسلك شائك في الأعلى المشهد.

تتمتع المرأة الواقفة هناك بحياة عادية، وأرادت أن تتشاركها مع أنيللي. قد تصبح صديقة لها، وقد تتحدّث معها في ما تتحدّث عنه الصديقات. حتى إنها لن تحتاج إلى جود الدخان في رئتيها. أتى الهدوء على أيّ حال. وبعد ذلك، بعد مجرّد بضع لحظات، شعرت بالرغبة في الرقص. لم يُسكِنها أحد هنا. لم تكن تلك هي المسألة. بل كان خيارها أن تمكث في هذا البيت القبيح الصغير، اختارت أن تكون هنا لكي تتقرّب منه، كانت جاهزة بانتظار حياتهما العادية معاً. لكن، في غضون ذلك، لم تفكّر في أن هذا ممكن حتى! مرحباً، ماذا يعمل زوجك؟ إنّه مُعلِّم. زوجي يسطو على المصارف. لكن، قد يكون ذلك ممكناً، لا أحد يعلم، لا يستطيع أحدٌ أن يرى المستقبل. كان ليو يعمل في البناء، وقد تكون هي فنانة، أو قد لا تعمل، أو قد تكون عاجزة عن العمل بسبب ألم تشعر به في أسفل الظهر. تبدأ الصداقة بتناول العشاء، ثم بتناول فنجان من القهوة بين الحين والآخر، أو ربما تهتم بأولادها. إنها حياة عادية مألوفة.

أسرعت أنيللي إلى الداخل، وفتحت الباب الأمامي على مصراعيه، وركضت نحو المطبخ، وألقت بذراعيها حول عنق ليو، فتناثرت القهوة على الطاولة. ولكنّها لم تهتمّ، وعانقته بقوة أكبر.

"نحن مدعوان لتناول العشاء!".

نظر إليها شارداً، إذ كان ذهنه في مكان آخر.

"هناك! تلك المرأة هناك، هل تراها؟ المرأة التي تقف على العشب دعتنا لتناول العشاء في منزلها يوم الجمعة".

"العشاء!".

"نعم".

"أنيللي... ليست لدي أي رغبة برؤية جيران يجرّون عربات الأطفال ويداعبون الكلاب الصغيرة. أنا هنا لأسباب أخرى و... هل تعلمين ما هي أسماؤهم حتى؟".

"تدعى ستينا، وطفلها لوكس، وزوجها..."

"لا تهمني أسماؤهم".

علم لاحقاً أنه جرح شعورها. لكنه كان في طريقه إلى مكان آخر. فهو يريد أن يُنهي بعض الأشياء، لا أن يبدأ بأشياء جديدة.

"قاما بدعوتنا. أنت تعمل في ذلك المرأب كل الوقت! وأنا أحتاج للقاء الناس!".

"انظري إليّ يا أنيللي. عودي إلى تلك الجارة اللطيفة، ستينا، هل هذا اسمها؟ واعتذري منها عن الدعوة. ستينا ستتفهم بالتأكيد. وعندما أنتهي، عندما أسوي ما أحتاج إلى تسويته، عندئذٍ سنبدأ بالأخذ بالاعتبار ما إذا كنت سأتناول العشاء أم لا مع أشخاص لا أهتم لأمرهم".

تركته أنيللي وشأنه بعد أن كانت ذراعاها لا تزالان حول عنقه حتى تلك اللحظة.

نظرت إلى الشخص الذي أدار لها ظهره في المطبخ، ولكنه في ذاكرتها لا

يزال قربها في السيارة وهما في طريقهما إلى فارستا. كان جالساً هناك، ولم يكونوا قد أقدموا على سرقة أي مصرف بعد. قادت هي السيارة، وكان هو مرتدياً ملابسه كشخص عربي. أوقفت السيارة بين بقعتي ضوء وعدّلت مساحيق التجميل على وجهه، وسوّت شاربه الذي كان منحرفاً وخشناً عندما قبّلها. أدركت حينها أنها قد تجاوزت الحدّ، وأنها حالما فعلت ذلك، صارت على الجانب الآخر.

"هل تعتقد أنه علي أن أذهب إلى هناك الآن؟ وماذا سأقول؟ أأقول إنه لا يسعنا القدوم يوم الجمعة القادم لأن لدى زوجي مشكلة صغيرة عليه حلّها؛ إذ لا يريد أخواه أن يشاركاه بسرقة المصارف بعد الآن؟ أخواك... سحقاً لهما، كان كل هذا لأجلهما".

تخطّت حدودها لأنها اعتقدت أنه من الأفضل أن تكون جزءاً من حياته، وأن تشعر بوجودها هناك، وأن تعلم. لكن، لم يتلاشَ خوفها، بل أصبح أسوأ. ففي كلّ مرة خاطروا فيها ونجحوا في تحقيق غرضهم، كانت تعلم أنهم يدبّرون أمر مجازفة أخرى محفوفة بالمخاطر.

"ألا تفهم؟ لم تَعُد لديّ أيّ صداقات. ليست لدي علاقات اجتماعية مع أي شخص".

"هل كانت تلك غلطتي حقاً؟".

"لا أستطيع أن أدعو أحداً إلى هنا. لا أستطيع أن... تباً، ولا حتى ولدي".

لم يتفهم الأمر، إنه الخوف. لم يشعر بذلك مثل الآخرين. لم يكن ليو خائفاً يوماً، أو ربما لم يسمح لنفسه بأن ينتابه هذا الشعور. شعرت بالخوف، تماماً مثلما حصل حين غاب ولدها سيباستيان عن نظرها. كانت تلك هي المرة الوحيدة التي حصل فيها هذا. حصل ذلك في وسط سيرغلزتورغ، أكبر ساحة في ستوكهولم.

كان ولدها قربها، ثم اختفى بسرعة. هكذا تفقد السيطرة على الزمان والمكان. شعرت حينها بالذعر، وركضت في كل مكان، وصرخت، وتوقعت أن يكون سيباستيان في مكان ما وحده، أو هائماً على وجهه وسط الزحام، أو واقفاً قرب أحد الغرباء وهو يمسك بيده ويتجه إلى مكان آخر. كانت صورة واحدة تكفي لتتوهم أنها قد تكون المرة الأخيرة التي ترى فيها ولدها.

"أقوم بكل شيء لأجلك يا ليو! في كل حين! في كل يوم! أشياء قد لا أرغب بفعلها، ولكنني أقوم بها لأجلك!".

لم يكن ليو يتصرف بهذه الطريقة. ففي ذلك اليوم، أمسك بها في وسط الحشود، وقال لها: اذهبي أنت في ذلك الاتجاه، وأنا سأذهب بالاتجاه الآخر، وسنلتقي في غضون خمس دقائق ثم سننفصل مجدداً. كان يحوّل الخوف إلى أخذ مبادرة ويعمل على تنفيذها. وفي ذلك الحين، أصبح البحث عن الولد هو الهدف. أخذ مبادرة هي وليدة الظرف الطارئ، بدلاً من ترك الزمان والمكان يتحكّمان به، كما حصل معها. هذا ما كان يفعله في كلّ مرّة. ولعلّ هذا سبب عدم تفهّمه حاجتها إلى تناول العشاء مع الجيران. كانت الحياة العادية مظهراً كاذباً بالنسبة له. فقد نظر إلى الحياة اليومية برؤية عملية، ولكن ليس بسبب الحاجة، بل لأنه قرّر ببساطة أنه لا مكان للحاجة؛ تماماً مثلما قرّر أنه لا مكان للخوف.

" لم أجبرك قطّ على القيام بأي شيء".

"أريدك أن تفعل هذا من أجلي!".

"إذا لم ترغبي في القيام بشيء ما يا أنيللي، فأخبريني وحسب. وإذا لم يكن الأمر مقنعاً لكِ، فلا تقومي به؛ تماماً مثلما أفعل أنا الآن".

"هل سألتني عمّا إذا كنت أريد العيش في هذا البيت؟ أنا أمقت هذا البيت الحجري، وتلك الثكنات حيث تتدرب على السطو على المصارف طول اليوم

و..."

كانت نادراً ما تذرف الدموع. أما الآن فراحت تبكي، وتحوّل الغضب إلى دموع.

"أنت اتخذت القرار، قرار العيش هنا! أنت أردت هذا؛ لأنه ملائم لك وليس لنا! يلائمك الكهف الملعون المضرج بزيت الأسلحة في غرفة الضيوف، والمطبخ حيث تقوم باجتماعاتك أكثر من تناول العشاء الحقيقي معنا! إن الشيء الوحيد الإيجابي في هذا البيت اللعين هو السياج؛ فعلى الجانب الآخر منه تعيش عائلة عادية دعتنا لتناول العشاء لأن الزوجين يريدان التعرف علي، وعلينا! ألا تفهم هذا؟".

وقفت أمامه شاكيةً باكية، وكانت تمنّي النفس بمواساتها. ولكنه لم يفعل، ليس الآن.

انتقل فيليكس إلى غوثنبرغ، وكان ڤينسنت في طريقه إلى هناك. أما جاسبر فكان على وشك الدخول من تلك البوابة هناك.

في غضون ذلك، كان العشاء كلّ ما تبقى. واساها، وقبّلها على جبينها ثم خرج. كانت جارتها لا تزال في حديقتها، رآها وأومأ لها بعد أن نظرت إليه؛ فهذا ما يقوم به الجيران عادةً.

مشى ببطء إلى المرأب، إلى حيث طلب من جاسبر المجيء. كان يريد مقابلته هناك في الداخل والباب مقفول.

تولّى إنهاء الأمر.

في بعض الأحيان عليك القيام بهذا. فأحدهم يُنهي الأمر معك، وأنت تنهيه مع آخر.

إذا رأيت ذلك الغبيّ مجدداً...

كان هذا آخر شيء تفوّه به فيليكس قبل أن يغادر، وكأنه ينقل غضبه إلى أخيه الأكبر.

كانا حينها يقفان في الفناء الخارجي. توجّه ڤينسنت إلى الداخل ليودّع أنيللي، فهمس له فيليكس شيئاً كان ڤينسنت قد منعه من البوح به، كان عن ركوب القطار وبندقية في الحقيبة.

إذا رأيت ذلك الغبي مجدداً، فسوف ألقّنه درساً.

نقل فيليكس غضبه إلى ليو ثم غادر، فحمل ليو عبء هذا الحمل وحده، وسرعان ما سيُحمِّله لشخص آخر.

بحث عن صندوق العدّة على الرفّ السفلي، وأزال الغطاء، فرآها هناك وسط المطارق ومفكات البراغي، قطعة من صفيحة الألمنيوم؛ إنها كاتم الصوت. كان قد صنع عشرة نماذج مختلفة، واختبر كل منها، واعتقد لفترة طويلة أن مواد العزل هي الفضلى لإخماد الصوت، حتى مزق سرير التخييم الذي نام عليه في الغابة في الليلة السابقة للسطو على المصارف في أولارد. كانت صفيحة معدنية طويلة، لفها ببساطة حول ماسورة البندقية. لم تكن على أكمل وجه، ولكنها جيدة بما يكفي كي لا يسمع أحد خارج المرأب أي طلقة تُطلَقُ داخله.

فعل ذلك الآن، لفّ الصفيحة حول ماسورة البندقية، ثم وضعها على الطاولة وانتظر. إذ سرعان ما سيطرق باب المرأب.

ليس قريباً، وإنما الآن. طُرِقَ الباب بتردّد، ثم بشكل أقوى.

أسرع ليو إلى الباب. بدا جاسبر متعباً، لا بل مرهقاً، ثم ابتسم ابتسامة تبريرية، وكأنه غير متأكد مما يعتذر بشأنه.

"هل أردت أن... تتكلم معي؟".

"ادخل".

كانت الابتسامة التبريرية والملتبسة لا تزال على وجهه عندما دخل، وقام ليو بسحب باب المرأب إلى الأسفل وراءه من دون أن يتفوه بكلمة.

"سحقاً يا ليو... لقد أزلت الصباغ!".

سار جاسبر إلى داخل المرأب، ووقف تحت حبال الغسيل الممتدة بين جدران المرأب الجانبية القصيرة، ثم توغّل بمحاذاة جدار طويل على بعد نصف قدم ليرى ورقة كرونة جافة متدلية.

"بحق الله، كيف فعلت هذا يا ليو؟ لقد غسلت الأوراق النقدية! واكتشفتَ كيف تفعل ذلك أيضاً!".

حرّك جاسبر راحة يده على طول الأوراق النقدية من فئة خمسمئة، ثم ضحك وكأنه تدغدغ، وتحولت ابتسامته التبريرية إلى تملّق؛ وهذا نتيجة الالتباس في بعض الأحيان.

"أنت عبقري يا ليو، أنت تستطيع..."

"أخذت عشرة آلاف من النقود النظيفة".

"نعم، لكنها كانت..."

"أخبرني، كيف كان ذلك ممكناً؟ كيف يمكنك أن تبذّر عشرة آلاف في أربعة أيام؟".

تنفّس جاسبر الصعداء، وفكّر بالمال. قد يكون هذا سبب مجيئه.

"كيف؟ اللعنة يا ليو، هل نسيت؟ حسناً... دعوت سيدة إلى المطعم، وتناولنا شراباً قبل ذلك. كلّف ذلك ثلاثمئة، ثم المقبّلات والصحن اليومي وزجاجة من الشراب... وتلك كلّفت ألفاً... ثم ذهبنا إلى النادي، ودفعت أجرة التاكسي، وبعد ذلك..."

"رائع! إذاً، يمكنك أن تحظى بالمزيد لتأخذه معك".

وأمسك كيساً بيده، وناوله لجاسبر.

"خذها، بحق الله، إنها كلها لك".

رفع جاسبر يديه عن حبل الغسيل المليء بالنقود الورقية المدلاة فوق رأسيهما، ثم توقّف عن اللهو وسأل:

"هل آخذ كل شيء؟".

"إنها حصّتك".

"حصّتي!".

"عندما نقسم ما تبقّى على أربعة".

"لكن... ماذا عن المرة القادمة؟ سنتكلف الكثير على التخطيط و..."

لم يُقاطعه ليو هذه المرة، وظلّ صامتاً. نظر إلى ما يحمله ليو الآن في يده. إنه رشّاش أوتومات كاربين من طراز 4. لكن، لم تكن تلك هي المشكلة، بل ما كان على الماسورة، صفيحة معدنية.

"تباً... هل احتفظت بتلك؟".

"نعم".

"صفيحة الألمنيوم!".

"إنها تفي بالغرض. فإذا أطلقت رصاصة هنا، فلن يسمعها أحد، ولا حتى الجيران هناك".

"تطلق النار!".

"إذا قمت بذلك".

"هنا... في الداخل!".

أومأ ليو نحو اللوحة الخشبية تحت حبل الغسيل، وقال:

"سأريك بطلقة واحدة ما سيبدو عليه الأمر".

ورفع البندقية، وصوّب على اللوحة الخشبية، ثم أطلق النار. إنّ الصوت الذي كان سيصيبهما بالصمم امتصّه كاتمٌ للصوت صنع باليد.

"سحقاً يا ليو... إنها تعمل! مثل... مثل النقود. أنت اكتشفت ذلك أيضاً!".

أمسك ليو البندقية بيد واحدة، وتركها على هذا المنوال، والماسورة إلى الأسفل.

"أعلم الآن أنك سحبت حلقة الأمان".

"حلقة الأمان!".

"القنبلة يا جاسبر!".

عادت الابتسامة التبريرية الخالية من المعنى لترتسم على وجه جاسبر، وقال:

"لا، لا... ليو..."

"أنا متأكد مئة بالمئة".

"أنت متأكد! ليو، لماذا أنت متأكد؟ لا تستطيع... تباً، ليو، أنا... أنت تعلم..."

"أنا من صنعها. وكما قلت بنفسك، اكتشفتُ كيف أزيل الصباغ عن النقود، واكتشفتُ كيفية صنع كاتم الصوت، وكذلك كيفية إنشاء مستودع الذخيرة، والغرفة السرية، فهل تعتقد أنّني سأصنع قنبلة غير آمنة قد تنفجر في أي لحظة، ومن ثم أرسلها بحقيبة أحدنا إلى المحطة المركزية! أولاً، لقد كذبت عليّ، وها أنت الآن تهينني".

رفع ليو البندقية قليلاً، لكن الماسورة كانت لا تزال موجّهة نحو الأسفل.

"اسمع يا ليو، ظننت... أنا ظننت... سحقاً ليو، حريّ بك أن تفهمني..."

توقّف جاسبر عن الكلام. لكن ليو أومأ له بطريقة تعني استمر، أريد أن أسمع هذا.

"... وظننت أننا... قد نبعث بعض الفوضى والاضطراب إذا استخدمنا ما لدينا. أليس كذلك؟ وأنه بإمكاننا أن ننشر المزيد من العنف المطلوب، ليو! أنت عادةً..."

"هل هناك أي شيء آخر تريد أن تخبرني به؟".

نظر جاسبر إلى ما كان يتدلّى من يد ليو اليسرى، إلى البندقية التي تزن 11.6 باونداً عندما تكون مذخرة. وقد كانت كذلك، مذخرة بذخيرة من عشرين

خرطوشة، بالإضافة إلى وجود كاتم للصوت يحيط بالماسورة.

"شيء آخر!".

"نعم، في ما يتعلق بما حدث على متن القطار العائد إلى الديار من غوثنبرغ".

"لم يكن ما حدث على القطار بالشيء المهم".

قام ليو بصفع وجه جاسبر بيده اليمنى بعنف، كطرف الرفش المسطح عندما يرمى على جسم غير مستعد يزن 190 باونداً. كانت الصفعة تحمل في طيّاتها ذُلّاً يفوق الألم، فتدحرج جاسبر، وتخبّط وتعثر وكأن مفاصله وعضلاته قد سحقت، وصارت ردات فعله غير إرادية؛ كتلك التي تنتاب المرء عندما لا يفهم ما يجري، وعندما يقوم شخصٌ يثق به بالنيل منه بالضرب.

ارتطمت ذراعاه وكتفاه بالجدار فيما كان يهم بالوقوف. كانت ساقاه غير مستقرتين، ولم تكونا قد استعادتا توازنهما بعد حين هوت راحة يد ليو على الخد الآخر، فهوى مجدداً على الأرض؛ مما أدّى إلى ضربه رأسه من الخلف بالأرضية بشدة.

"الذل يا جاسبر! هل تعتقد أننا نلعب؟".

كانت عيناه وهو مطروحٌ أرضاً تحاولان تفادي النظر إلى الأعلى. فكل المشاعر احتشدت معاً: الاضطراب، وخيبة الأمل، والكراهية، والأسى...

انتظر ليو حتى وقف جاسبر للمرة الثانية، ثم رفع سلاحه، وأداره وناوله لجاسبر الذي أخذه من دون أن يفهم ما يحصل بالفعل؛ حتى عندما أمسك ليو بالبندقية وصوبها على جبينه، وقد بدا الغضب واضحاً على وجهه.

"لقد أهنت ڤينسنت! أخي الصغير!".

أمسك جاسبر السلاح، قام بذلك حقاً، ولكنه حاول أن ينزل ذراعيه فيما أمسك ليو بيده اليمنى، وباعد بين أصابعه ووضع سبّابته على الزناد.

"توقف يا ليو، توقف!".

صفعه ليو على الخد نفسه الذي سبق أن طُبِعت عليه خطوط عريضة حمراء، وقال له:

"إذا هدّدت أخي، فهذا يعني أنك هددتني!".

ثم ضغط ماسورة السلاح على جبهته، وتقدّم خطوة إلى الأمام دافعاً جاسبر إلى الوراء وقال:

"إذا كنت قد أذللت ڤينسنت، فهذا يعني أنك أذللتني!".

ارتطم جاسبر بالحائط، وبالنقود الجافة المتدلية من حبل الغسيل المعلق بين وجهيهما.

"وإذا كنت ستهدر دمه، فعليك أن تقتلني أوّلاً".

تغيرت النظرة المحدقة إلى ليو والمفعمة بخيبة الأمل والكراهية والاضطراب، واستُبدلت بشيء رشح من داخله، شيء لم يعهده ليو من قبل.

"أنا آسف".

كانت النظرة البادية في عيني جاسبر مروعة.

"أنا آسف يا ليو".

وقفا في مواجهة بعضهما على هذا المنوال لفترة طويلة، حتى تركه ليو وشأنه.

"والآن، خذ أموالك وارحل".

ثم انتزع السلاح الآلي من يدَي جاسبر المتشنجتين، وأعاد صمّام الأمان.

"ليو... ليو... أنا آسف! لن أقوم بهذا مجدداً! أقسم على ذلك! لن يحصل هذا أبداً..."

لم تكن الضربة الأخيرة براحة اليد، وجاسبر لم يُطرح أرضاً، بل انزلق على الجدار الذي أوقعه في الشرك.

"أُقسم... تباً".

اختلط لعابه مع دمه بين شفتيه.

"... لن أقوم بذلك مجدّداً... أبداً، أبداً... ليو!".

"سيبقى ما أعرفه عنك وما تعرفه عني في هذا المكان عندما تغادر، ولن نرى بعضنا مجدداً".

انتظر حتى أقفل باب المرأب، وأصبح وحيداً للمرة الثانية. كان من الممكن أن ينتهي الأمر عند هذا الحدّ، لكنه لم ينتهِ. ليس بعد، وليس بالنسبة له. كان بمفرده ضدّهم.

إن النظام المصرفي صبغ مليونيَ كرونة باللون الأحمر، وكان هو السارق الأول في التاريخ الذي استطاع أن يغسلها. وقد رفض أخواه السطو على المزيد من المصارف مجدداً، وهو طلب منهما الرحيل. وكانت إصبع جاسبر على الزناد، وضغط ليو بالسلاح على جبهته وحثه على إطلاق النار.

مهما حدث، لا يهم.

كان وحده ضدهم؛ ضد كل شرطي لعين هناك. قد يتحدى عناصر مديرية الشرطة بكاملها ويهزمهم جميعاً. الآن، حان دوره ليطلب، وحريّ بهم أن يصغوا إليه ويزوّدوه بالإجابات التي يريدها.

أسرع ليو عبر المرأب، وانتابه شعور مماثل لِما شعر به عندما صفع الرجل الذي أهان أخاه؛ كأن الدم قد أريق من أذقان أولئك الأنذال. الوقت قد حان ليبدأ بالمرحلة الأخيرة من خطّته، ويتعين عليهم أن يدفعوا له أكثر مما غنموه من السطو على المصارف مجتمعة.

قام بنقل الصناديق التي لم يتمّ فتحها قط، والتي لا تزال مكدّسة في آخر ركن من المرأب. كانت الحقيبة بنية اللون في الأعلى، فحملها إلى طاولة العمل، وفتحها وتناول آلة طباعة "فاست" رمادية ثقيلة.

وضع سبابته على مختلف المفاتيح للتأكد من صلاحيتها، ومّما إذا كانت الأذرع المعدنية للحروف لا تزال صالحة للطباعة. كان هناك ورقة بيضاء على الرفّ مع مغلّفات بقائمة حسابات مسبقة الطبع، وضع إحداها وسوّى الأطراف، ثم كتب بعد ذلك: ليو دوفْنجاك ليو دوفْنجاك ليو دوفْنجاك في وسط الورقة، ثم: آنا- كارين آنا- كارين آنا- كارين على عدة سطور مُتَعاقبة.

هذا ما تخيّله بالضبط، ولكن ليس تماماً بعد. في هذه المرحلة، كان يجب أن تكون هذه ضربتهم النهائية. ليس وهو وحده أمام الآلة الكاتبة.

اقترب أكثر ليتفحّص كل حرف بدقّة. بدت جيدة. كان الشريط حديثاً. لعلّ الحرفين "ا" و"ف" داكنان أكثر من الحروف الأخرى، والحرفين "ن" و"ك" فاتحا اللون. لكن، كانت كل الحروف مقروءة بوضوح.

كان متيقناً من قيمة كل سلاح في السوق السوداء؛ إنه العالم الذي يحتاج إلى اقتحامه. لذا، وجّه ناظريه إلى مشترٍ آخر لا فكرة لديه، ولا احتكاك له بعالم الرذيلة والإجرام. لذا، يتعيّن عليه أن يكون مستعداً لكي يدفع أكثر بقليل للتأكد من عدم تسلّح أي منظمة إجرامية في السويد بأسلحة آلية جديدة.

علم أيضاً مع من سيتعامل؛ إذ كان قد رآه على شاشة التلفاز وفي الصحف، وهو على علاقة مع منحرفي "العصبة العسكرية". وعندما ينجح في ذلك، عليه أن يقوم بتشحيم الأسلحة، وتغليفها، ومن ثم طمر العينات الأولى من منتجه. يتطلب البيع ثقة المشتري بما يقدّمه له البائع.

وخاصة عندما يكون البائع رجلاً واحداً يقف بمواجهة قوّة الشرطة في الأُمّة بكاملها.

انتزع ليو الورقة، ثم غضّنها ورماها في حاوية القمامة.

وبعد ذلك، أحضر ورقة جديدة بيضاء وفارغة، وقام بتسويتها جيداً إلى أن اتخذت وضعاً ثابتاً بين الحاملة وأسطوانة الآلة الكاتبة.

الرسالة الأولى... التعليمات الأولى.

لم يهمل جون برونكس شيئاً على قدرٍ من الأهمية يوماً. لم يتمكّن من ذلك؛ ليس في ما يخصّ الناس أو التحقيقات أو أي شيء آخر مهمّ. قد يكون جمع المعلومات وزراً يثقل كاهله، ولكنه لم يسقط منها أي شيء.

أوشك الآن أن يقوم بذلك تماماً. فرغم مرور أسبوع بعد أسبوع، وشهر بعد شهر، لم يتمكن من معرفة أي شيء.

لقد اختفوا.

قاموا بتنفيذ أكبر عملية سطو للأسلحة على الإطلاق، وغنموا 221 سلاحاً آلياً، وعملوا على إخفائها. ولم تكن لديه حتى الآن أدنى فكرة عن كيفية قيامهم بذلك، ووقت قيامهم بالسطو، وعن هوياتهم. كل ما كان بحوزته هو التقرير، عمود تلو الآخر من البيانات؛ إحدى وأربعون صفحة، وكلّها متشابهة.

النوع: بندقية النوع: بندقية النوع: بندقية النوع: بندقية

الطراز: أك 54 الطراز: أك4 الطراز: أك4 الطراز: أك4

رقم: 11237 رقم: 10042 رقم: 11534 رقم: 12621 رقم: 68

لقد طوّروا سرقاتهم من السطو على مصرف واحد، إلى أوّل سطو مزدوج، ثم إلى أوّل سطو ثلاثي. ولم تكن لديه أيّة إجابة عن الأسئلة: كيف؟ وأين؟ ومن؟ فكلّ ما في حوزته كان ما مجموعه 3,109 صفحات في كومة واحدة من التقارير التمهيدية، ومثلها من التقارير التقنية.

قسم الشرطة: جريمة قسم الشرطة: جريمة قسم الشرطة: جريمة

الجرم: سطو في أولارد الجرم: سطو في أولارد الجرم: سطو في أولارد

الشهود: هانديل بانك الشهود: آلف هينو الشهود: إنجمار لاند

أوشكَ عدّة مرّات أن يبلّغ كارلستروم بعجزه عن القيام بأي شيء. وفي كلّ مرة، كان يستدير عائداً أدراجه وهو في البهو. كانوا هناك في مكان ما، وما انفكّوا يواصلون مسيرتهم. فإذا كنت تعتقد أن الوصول إليكَ محظور، فستواصل مسيرتك دائماً.

لكنه هذه المرّة عقد العزم على عدم الاستسلام؛ ليس تماماً على أيّة حال. لكن، يجب عليه أن يُسلِّمَ جدلاً بأنّ هذه القضية لم تَعُد أولويّة، وحَرِيٌّ به أن يقوم بتحقيقات أُخرى لإنعاش طاقته.

"مرحباً".

نهض ثم جلس مجدداً.

"مرحباً".

لم تَعُد تَقِف عند العتبة وهي تُمسك بإطار الباب، ولم تعد تنظر إليه بفتور، ولكنها لم تَقُل كلمة واحدة عن الشيء الوحيد الذي قد يفكّر فيه عندما يراها؛ ألا وهو نزهة طويلة سيراً على الأقدام، وقبلة قد تكون بداية جديدة.

"هل أستطيع أن آخذ دقيقة من وقتك؟".

أومأ بالموافقة، فجلست مقابله على أحد الصناديق الكرتونية. كانت تقوم بوضع المزيد من التقارير التقنية مرّة في الأسبوع مؤخراً لكن، الآن بحوزتها كيسان من النايلون ومغلفاً بنيّ اللون. وقد وضعت كل شيء على مكتبه.

"كانت الرسالة في صندوق البريد الخاص بك، وهذه 14,400 كرونة".

ثم دَفَعَت المغلف جانباً، وركّزت على الكيس الذي كان في الأعلى. كانت بداخله أوراق نقدية من فئة 500 و 100 كرونة بلون وردي باهت.

"حصلنا عليها من محطات الوقود ذات التعبئة الآلية. وهي لم تستعمل في المتاجر، بل في الآلات التي لا تميّز الفرق".

لطالما كان برونكس يشاهد أوراقاً نقدية مصبوغة، وكانت دائماً حمراء تماماً. لكن الأوراق الموجودة في الكيس مختلفة.

"أنا متأكدة بما لا يقبل الشك أن هذه كانت في حقيبة السارقين عندما غادروا المصرف في أولارد. فقد قمنا بتحليل الصباغ، وتطابقت النتيجة مع محتويات الزجاجة التي بقيت في المصرف، والتي أعددناها وجربناها على أوراق نقدية مطروحة من مصرف السويد المركزي. واللون الأحمر يا جون أتى من المصنع نفسه، والشحنة نفسها".

كانت هناك مجموعة تتضمن ثلاث أو أربع وثائق، وقد نظمتها بترتيب كالمعتاد فيما كانت تقوم بتقديم التحليل والنتائج.

"لكن هنا الأمر سيصبح أكثر تشويقاً بالفعل. فقد وجدت آثار الأسيتون على كل ورقة نقدية. لقد جعلوها أقل احمراراً باستخدام مواد كيميائية قوية! هل تفهم؟ لم أسمع بشيء كهذا مطلقاً من قبل. الأسيتون المخفف! كيف تبدأ بالتحقيق حتى؟ جربتها بنفسي، وبالمزيج المناسب للأسيتون والماء... جون، اختفت البقع تماماً، تلاشى اللون الأحمر تماماً".

فتح برونكس الكيس الثاني وأخرج الأوراق النقدية، تفحّصها واستشعرها. كانت حقيقية، وبدت عادية.

"إن هذه الأوراق التي تمسكها الآن قد لُوثت بالصباغ من زجاجة أطلقتها بنفسي قبل عدة أيام فقط. والآن، ها هي تبدو مثل النقود العادية تماماً. لو نجح السارقون في إيجاد المزيج المناسب أيضاً... فعندئذٍ سيكونون قد فلحوا بتغيير معظم ما أخذوه في المرّة الأخيرة، وحريّ بالصناعة المصرفية أن تغيّر تدابيرها الروتينية مجدداً".

كانت تهمّ بالخروج بعد أن أنهت كلامها؛ تماماً مثلما كانت تفعل عادةً، وكأن شيئاً لم يكن.

"هاي؟".

وقفت عند الباب.

"ماذا؟".

"هل ترغبين... بالتنزّه معي في الخارج؟ أو بمشاركتي زجاجة من الشراب؟".

"لا".

"لا؟! لكن... في المرّة الأخيرة..."

"المرة الأخيرة!".

"أنت تعلمين ما أعنيه".

"كانت مجرّد قبلة".

"كانت أكثر من مجرّد قبلة".

"في بعض الأحيان يا جون، لا يتعدّى الأمر كونه أكثر من قبلة".

عادت إلى مكتبه بِخَدَّين يتّشحان باللّون الأحمر شيئاً فشيئاً؛ كعادتها عندما تُلَملِمُ ما تبقّى من القوّة من أعماقها.

"جون".

هكذا كانت تبدو عندما اعترفت له بحبّها. وهكذا كانت تبدو عندما طلب منها الرحيل.

"ماذا؟".

"أتعلم أنّني فكرت بك أيضاً؟ فكرت بك على مدى سنين. لكن، الآن وقد التقينا مجدداً، وعملنا معاً... كيف سأشرح لك؟ إنها مجرّد ذكريات، أعلم ذلك. أنت الذي كنت حينها موجوداً معي. لم أعلم بذلك من قبل. والآن، يبدو أنني لم أعلم هذا قطّ، وكأنّ شيئاً ما لم يكن. لم أعد أتذكر أي شيء بعد الآن! هل عشنا معاً؟ هل لمسنا بعضنا، أو تناولنا الفطور، أو رتّبنا المفروشات...؟ هل ضحكنا أو بكينا؟ أنت تبدو... كصورة بالنسبة لي يا جون. هل تفهم ما أعنيه؟ في بعض الأحيان، عندما أشاهد صورة لي التقطت منذ وقت طويل، تبدو لي وكأنها لشخص آخر؛ شخص لم يكن أنا. ولا أعلم ما الذي تفكّر فيه أو تشعر به تلك السيدة الظاهرة في الصورة. وفي كلّ مرّة أشاهدك فيها يا جون، ينتابني شعور مماثل. فأنت شخص آخر، لم يتواجد. يسرني أن أراك مجدداً، لأنّني لا أفكر فيك مطلقاً".

طفا الاحمرار على ذينك الخدين من أعماقها بصدق.

"ألا يمكنكَ أن تفكّر في هذا الأمر بالطريقة نفسها أيضاً؟ أي وكأنه لم يحدث حقاً؟ هل تشاركنا السرير نفسه حقاً؟ هل كان اسمانا على الباب نفسه؟ لا يمكنك أن تقطع الماضي وتلصقه من أجل الحاضر ثم تستمر وحسب. فالزمن يغير الأشياء؛ إنه يغير كل شيء ما عدا ذكرياتنا".

ارتجفت يداها قليلاً، والآن بدا له وكأن ارتجافها يتلاشى.

"لم تكن النزهة سيراً على الأقدام، أو القبلة شيئاً قد خطّطت له. ولكنهما شيء حدث وحسب. هل تفهم؟ إن الأمور بخواتيمها. نحن لم نكمل المسيرة قط، وإلّا ما كانت تانك السنتان بحق الله؟ لو أنك تجاسرت على البقاء حتى النهاية... لَما كنتَ ستفتقدُني. وكنت ستتمكن من إطلاق عنانك في مرحلة معينة!".

نظرت إليه وبادلها النظرات، لم يَعُد يَحتمل المزيد.

"خواتيم الأمور يا جون... مثل كراسي زائريك، أو بالأحرى الصناديق التي أَخذَت حيّزاً أكبر في خزانتك من أغراضي".

وذهبت باتجاه صندوقين مختومين من الكرتون، وبدت وكأنها تهمّ بضربهما، ولكنها لم تفعل؛ مهما بدت أنها ستفعل.

"ذانك الصندوقان اللعينان يشبهانني أو يشبهاننا؛ فهما مجرّد شيء آخر لم تطلق سراحه. أرجوك... أرجوك... جون، تخلّى عن ذلك! وعن كل شيء آخر! فأنا أعيش مع أحدهم، وأنا في طريقي إلى البيت لأجله، لأجل أحد يحيا الآن".

بعد ذلك، ظل جالساً من دون أن يبارح مكانه لوقت طويل. كانت الأوراق الوردية الشاحبة إلى جانب الأوراق الجيدة النظيفة في وسط طاولته. وكانت مذكرة من 41 صفحة عن الأسلحة المسروقة على أحد الجوانب، و 3,109 صفحات من تقارير التحقيقات الأولية على الجانب الآخر. وكان المغلّف البني الذي جلبته على مسافة أبعد قليلاً.

هبط جون برونكس على الكرسي، ووَضَعَ قدميه على طاولة مكتبه، ودفع الكرسي إلى الخلف حتى ارتطم بالحائط.

لم يعر الأوراق النقدية الصالحة، أو أوراق التحقيقات، أو الرسالة التي

وصلت إلى صندوقه البريدي أي اهتمام. حتى إنه لم يكترث للشخص الموجود الآن، ذاك الذي تعيش معه. وللمرة الأولى منذ أن خطا إلى مركز الشرطة، أراد أن يخرج من هنا قبل حلول الظلام. أطفأ المصباح الخاص بالقراءة، فتلاشى الضوء المعكوس على أحد الأكياس، وخفّ اللون الوردي للأوراق النقدية، وأصبح النص المكتوب على المغلف أكثر سواداً. كان يهمّ بالخروج عندما توقف.

شخصيّ. هذا ما كان مكتوباً على المغلّف. ثم وَرَدَ اسمه. المحقق جون برونكس.

لم يكن أي شيء في هذا المبنى اللعين شخصياً.

لذا، أدخل سبّابته في الفجوة حيث لم تكن الرسالة ملصقة، وفتحها بسرعة، وبدأ بالقراءة.

عزيزي السيد برونكس

بعد الاتصال بأخطر عشرين منظمة إجرامية في البلاد- طبقاً لتصنيفك لها- وبعد أن لقينا منها إقبالاً ورغبةً عارمة في مخزوننا من البضائع، عقدنا العزم على توسيع نطاق بيع بضاعتنا ليشمل منظمتكم أيضاً.

لذا، إنه من دواعي سرورنا أن نقدّم لك هذا العرض للمعدّات التالية:

بندقية من طراز رشاش مدفعيّ م- 45 ------- 124 قطعة

بندقية رشّاش أوتومات كاربين طراز "أ ك " 4 ------- 92 قطعة

بندقية رشاش مدفعي آليّ من طراز "ك.س.ب" 58 ------ 5 قطع

بحث برونكس في دُرجِ طاولته الأعلى عن زوج من القفازات، ثم لبسهما في يديه. كان يتعين عليه أن يفعل ذلك منذ البداية. ثم واصل قراءة آخر ما كان يتوقعه على الإطلاق.

إليك بعض التفاصيل عن حملاتنا الإعلانية الرائجة، المعروفة فقط لنا ولك، بغرض تزويدك بالمرجع.

سفدميرا 12\11: بندقية رشّاش طراز "م.ب." 58 استخدمت لإطلاق سبع طلقات من الأسفل، عند الكاميرا الركنية. كان غطاء الخزنة الصامدة مثبتاً بإحكام، فقط الصفيحة العليا قد أُفرغت.

أوزمو 2\1: استخدمت مركبتان متطابقتان لتجنب كشف العملية. وصندوق النقد في مصرف "هاندل" لم يتم تفريغه بسبب الأقفال.

كان قد قام لمدة ستة أشهر، وعلى مدار الساعة، بالبحث والمطاردة والتعايش مع جماعة دعتها الصحافة والإعلام بالعصبة العسكرية، لكنه لم يكتشف أي أثر أو إشارة إليهم. والآن، ها هم يقومون بأنفسهم بهذا الاتصال المباشر مع المحقق.

قمنا بترك عينة لك في الموقع التالي.

طريق سودرتلجي القديم.

توقف عند السلسلة الحديدية المطوّقة، مقابلها تماماً.

سِر مسافة سبع ياردات إلى اليمين، واتبع الممر، ثم اتجه 35 ياردة إلى القِمّة.

وفي أعلى قِمّة التلة، ستجد كدسة من خمسة أحجار وشجرة صنوبر

صغيرة

ستجد تحتها العيّنات.

مع إخلاصي، آنا كارين

دَوّنَ برونكس التعليمات على مفكرته باختصار وسرعة، ثم وضع كلاً من الورقة والمغلف في كيس من النايلون.

قدّمت له الرسالة تفاصيل عن السرقات التي حصلت في سفدميرا وأوزمو، كما عرضت عليه أسلحة للبيع. منذ لحظة فقط، كان قد عَقَدَ العزم على التخلّي عن هذه القضيّة، ولكنه الآن تراجع؛ لن يدعهم يُفلتون من يده. لن يطلب من كارلستروم أن يتغاضى عن أولويّة التحرّي والاستقصاء، ولن يبدأ بالتحقيق في قضايا أخرى بشكلٍ متوازٍ.

لقد حاولوا التواصل معه، وسيواصل تكريس كلّ وقته لهم.

كانوا في مكان ما.

ولن يتخلّى عن ملاحقتهم حتى يتمّ ردعهم.

كان أوّل شيء فكّر فيه برونكس هو تينك العينين اللتين كانتا قلقتين يوم اكتشفت سرقة الأسلحة، واللتين لحقتا ببرونكس بشكل تبريري في محاولة لاستقطاب القوّة من شخص آخر، شخص من الخارج؛ لأنّه لن يحكم بشكل قاسٍ.

أمّا الآن، فقد أصبحت النظرات مختلفة؛ فهي تعكس قوتها الذاتية.

وبحصوله على الوقت الكافي، أصبح كل شيء أفضل.

"سررت بقدومك بسرعة".

"عندما تُعفى من مهامك، يصبح لديك متسع من الوقت".

كان اسمه جواكيم نايلسن، وهو المفتش الذي وقف بجوار الشريط الأحمر والأصفر للتدخين.

"لكنّ هذا ليس أسوأ ما في الأمر".

ونفخ الدخان ونظر حوله.

"الجزء الأسوأ هو... أنهم كانوا يراقبونني طوال الوقت، وليس فقط في تلك الليلة. لا بد أنهم راقبوني لعدة أسابيع. وقد علموا كيف أبدو عندما أنتهي من تدخين السيجارة، كما عرفوا على أي جزء من اللافتة كنت أُطفئ سيجارتي، وكم أستغرق من الوقت لتسلق 150 ياردة من التلة الشاهقة، وكيف أبدو عندما أركض لاهثاً".

مجّة أخرى من السيجارة.

"تخيّل أن أحدهم كان يراقبك، ويتفحّصك على غفلة منك ليلة بعد ليلة".

"خذني إلى هناك".

وتشبّث برونكس بمفكّرته التي كتب عليها التوجيهات بسرعة.

"لماذا؟".

"سنحفر قليلاً".

"نحفر!".

"نعم".

هزّ المفتش كتفيه استهجاناً، وبدأ يشقّ طريقه عبر الغابة في الياردات السبع الأولى.

"وبعد أن قاموا بذلك برونكس، بعد أن تعلموا كل شيء احتاجوا إلى معرفته، نفّذوا ضربتهم".

توقّف المفتش في الممر ليقرأ التعليمات التالية، ثم قال:

"ما زالت أمامنا خمس وثلاثون ياردة، ثم أعلم إلى أين نتجه؛ إلى التلة الصغيرة".

كان الممر صغيراً ويسهل السير فيه، وقد أدّى بهم إلى عمق الغابة المظلمة.

"لقد عرفوا كيف أتحرّك ومتى أتحرّك وإلى أين أتحرّك، ثم قاموا بتعديل سرقتهم طبقاً لذلك كي لا أتمكّن من كشفهم".

زال القلق، ولكنه ظلّ كامناً فيه نوعاً ما. وبالرغم من أنه لم يتعرّض للعنف المباشر بنفسه، فقد يستمرّ شعوره هذا لآخر حياته.

قفزا فوق جذع شجرة مقطوع، ودُهشا لدى رؤيتهما غزالاً مذعوراً، وسمعا نعيب بومة.

"هنا".

لم تكن تلّة بالفعل، وإنما مجرّد خمسة أحجار، وشجرة صنوبر. فردّ برونكس الرفش، ومسح طبقة من الطحالب. حان الوقت ليتصرف ويتكلم من دون انتظار الجواب.

"إنني أفكر بقفل البوابة".

كان التراب نفيذاً. قام أحدهم بالحفر هنا مؤخراً.

"وبتفجير الأرضية".

مُلئ الرفش بالتراب، وارتطم بشيء بدا وكأنه معدن.

"قاموا بستر كل الدروب، غانمين طناً من الأسلحة من دون أن يسمع أحد أي شيء، أو يرى أحد شيئاً".

أخذ برونكس زوجاً من القفازات من جيبه وركع. وبعد أن لبسهما، أولج يده في التراب وأمسك بكيس أسود اللون كان يزن حوالي خمسة وأربعين باونداً.

"قاموا بكل شيء بشكل صحيح حتى الآن".

كان السكين في الجيب الآخر من السترة، فأخرجه وخرق طرفه الحاد الكيس كاشفاً عن محتوياته.

"لأنهم اتصلوا بي، الآن. اتّصلوا بالتحرّي المحقّق".

انزلق القفاز نحو غرض في الأعلى، وكان السلاح الرشاش المدهون بزيت الأسلحة.

"أرادوا أن يتفاوضوا. إذاً، حدث شيء ما، تغيرت الجماعة، كما تغير كل شيء".

ناول المفتشَ السلاحَ ثم رفع التالي.

"لقد عقدوا العزم على إيقاف السطو على المصارف".

—

اعتقد ليو أنه كان يجب أن يتواجد المزيد من الناس معه. فقد كان حرياً ببرونكس أن يصطحب معه رجال شرطة آخرين؛ ربما بعض العلماء الجنائيين.

قام ليو بتعديل المنظار، ثم تحرّك قليلاً ليرى بشكل أفضل؛ بسبب أشجار الصنوبر الكثيفة التي أعاقت رؤية المكان؛ حيث بدآ بالحفر الآن. استلقى على الطحالب الملساء في أعلى نقطة في الغابة، في ظلّ الشجيرات وصخرتين كبيرتين. حدد كلا الموقعين بعناية؛ حيث طمر السلاح المطلي بالزيت، وحيث يستطيع الرؤية من دون مجازفة. ولهذا، أعطى تعليمات محددة، موضحاً معالم الممر كي لا يتفاجأ.

لعلّ "رجل السرطان" هو الشخصُ الوحيدُ الذي عرف هذه المنطقة مثل ليو، ولكنه بدا مرهقاً؛ مثل سيارته. فهو ذاك الرجل الذي مرّ بظرف ما، ثم تغير. بدا برونكس أكبر من ليو بعشر سنوات، وربما بخمس عشرة سنة. سار بنشاط، لعله كان رياضياً في وقت ما، ولكنه لم يعد كذلك. كانت ملابسه التي تشبه بنطاله الجينز، وسترته الجلدية، وحذاءه الرسمي، نموذجاً لملابس رجل الشرطة البسيطة،

ولكنها غير ملائمة للسير في الغابة أو لِحَفر الحُفَر.

علم أنه بقدومه واستلقائه هنا يقوم بمهمّة محفوفة بالمخاطر. فقد كان على بعد أربعمئة ياردة، يراقب عبر المنظار رجل الشرطة الذي رآه في نشرة الأخبار، والذي قد يكون الشخص الأكثر معرفةً بسرقات "العصبة العسكرية" التسع.

لكنه شعر بالهدوء. كان يراقب بالخفاء ومن دون أن يُرى. خطّط بسرية ومن دون إعلام أحد. وما يحصل الآن، أي حفر الشرطي لاستخراج السلاح- والذي سرعان ما سيقرأ تعليمات إضافية- هو الجزء التالي من الصفقة.

—

كانت عبارة عن ثلاثة أسلحة رشاشة من طراز "أ.ك 4" وبندقيتين من نوع الرشاش المدفعيّ، وكانت مدهونة جيداً بالزيت ومغلفة بالنايلون.

أنهى جون برونكس الحفر، فبدت الحفرة تحت شجيرة صنوبر صغيرة في أعلى التلة. ما زال لا يعلم ما إذا كان قد أُخِذ على محمل الجد، أو إذا كان ضحية مزحة مُتقَنَة.

"هناك شيء ما في الداخل".

قام المفتش بفك السلاح الأخير وتسليمه إياه. كان هناك شريط موصول بالزناد، ومغلف مربوط في طرف الشريط الآخر؛ بالحجم والنمط نفسيهما كالسابق. ولكن، هناك زهور وقلوب تزيّنه، ودائرة حمراء حول العنوان.

قام برونكس بفتح المغلف وقراءة الرسالة.

عزيزي السيد برونكس

يَسُرّنا أنك رأيتَ الآن بضع عيّنات ممّا لدينا.

وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما يعنيه لك بيع بضاعتنا إلى مشترين محتملين آخرين، فقد حدّدنا سعر كامل البضاعة بمبلغ 25 مليون كرونة سويدية.

أبلغنا رجاء بقبولك عرضنا بإدراج الرسالة التالية في صحيفة "ذا دايلي نيوز"، تحت عنوان "رسالة وشخصي" في الرابع من شهر مايو.

أفتقدك، آنا كارين.

"آنا كارين".

"أستميحك عذراً!".

"لديهم حسّ الفكاهة".

"الفكاهة!".

"فقدتُ صديقة قديمة البارحة، واليوم يبدو أنّني حصلت على صديقة جديدة".

لم يفهم المفتّش ما كان برونكس يتكلّم عنه، ولكنه لم يطرح أيّة أسئلة، بل كان يتفحّص الأسلحة الآلية الخمسة التي كان موجوداً في هذا المكان من أجلها بتمعن.

"تفقّدت أنواعها".

دقّق أوّلاً بأسفل الأسلحة، ثمّ كتب أرقام الإنتاج على مفكّرة برونكس؛ كلّ على حدة.

"هذا.... 11413".

لم تكن تلك مزحة.

"إنّ الأسلحة الخمسة يا برونكس مصدرها مستودع الأسلحة".

نظر جون برونكس حوله، فقد انتابه شعورٌ غريب بأنه مُراقب. استدار بسرعة مجدّداً، ولكن لم تكن هناك إلا الأشجار ونعيب البومة.

"كل شيء على ما يرام".

صحيفة "ذا دايلي نيوز". رسالة. شخصي.

كان قد عقد العزم. لن تستلم آنا كارين أي جواب.

"عذراً!".

لو أنهم يريدون بيعها فعلاً، فسيتّصلون به مجدداً. وكلّما تواصلوا معه، أوشك على معرفتهم بشكل أفضل.

"لقد فعل الصواب لغاية الآن. فهو الآن يقوم بالتواصل، ويستخدم اسماً. وكل من يستخدم اسماً، لا تعود لديه أساليب ملتوية لتؤدي إلى أساليب ملتوية أخرى، ويكون قد بدأ بإغلاق مسالك هروبه بإحكام".

"اعذرني برونكس، ولكنني لست متأكداً من فهمي لما تتكلم عنه مطلقاً".

أنهيا العمل، وبدآ بالسير نزولاً على طول الممرّ، باتجاه المنطقة المطوّقة.

"كان ذلك جيداً".

"كان جيّداً!".

"إنك لا تفهم ما أعنيه. أفضّل هذه الطريقة، وأريدك أيضاً أن تحفظ هذا اللقاء سراً بيننا".

عرض المفتّش الأسلحة التي كان يحملها، وسأله:

"أين تريد أن تضعها؟".

ففتح برونكس صندوق سيارته.

"هنا. يجب أن يبقى الأمر سرّاً بيننا وحسب".

فأومأ المفتش، وابتسم له.

"كما قلت، أُعفيتُ من المهمّة. ولم يعد يتوجّب عليّ تبليغ أي كان بأي شيء بعد الآن".

كانت طاولة العمل المستطيلة في المختبر الجنائي مغطّاة بالكامل بصور لمختلف الآلات الكاتبة. جالت سنا من أحد أطراف الطاولة إلى الآخر لتعرض له كلّ صورة على حدة.

"لقد عرفت النمط المستخدم في كل من الرسالة والمغلف. لقد طُبع على الرسالة والمغلف باستخدام الآلة نفسها بالتأكيد. كانت مسافة التباعد بين الكلمات 2.25 ملم، ونمط الحروف المطبعية من نوع "إليت" التي تُكتَب باستخدام الشريط".

جلس برونكس على كرسي خشبي ذكّره بالنوع الذي يجلس عليه الطلاب في مختبر الكيمياء في الصفوف الثانوية ليراقبها، أو بالأحرى ليراقب أعلى ذراعها. قد يكون هناك وشم صغير قرب الكتف. لم يكن موجوداً عندما كانا معاً.

"والخطّ... إلى حدّ بعيد هو الأكثر شيوعاً. أترى يا جون؟ إنها آلة كاتبة من نوع فاست ت 2، وقد صُنعت في الستينيات. في بعض الأحيان، ترى خطّ إليت على أنواع أخرى، مثل هالدا وراينمتال. لكن، إذا افترضنا أن الرسالة كُتبت في السويد... فمن المحتمل أن تكون من نوع فاست".

كان الوشم... عبارة عن اسم. وكان برونكس متأكداً من هذا، وحاول من دون جدوى أن يقرأ ما هو مكتوب. كائناً من كان ذلك الشخص فهو موجود الآن.

"لقد استُخدمت هذه الآلة بالذات كثيراً. فقد بُلِيَ العديد من الحروف. إن المفاتيح على نحو متوازٍ، ولكن هناك الكثير من الطباعة المزدوجة".

وأمسكت بصورة آلة كاتبة رمادية ضخمة لفترة كافية ليتفقّدها. يفضّل برونكس استخدام الحاسوب أو قلم حبر، ولكنه استطاع أن يشعر باهتزاز الآلة الكاتبة عندما تضرب المفاتيح البكرة الأسطوانية، وأن يسمع كيف يصدر رنين يشير إلى نهاية السطر.

"ثم تفحّصتُ الطابع البريدي ولسان المغلف. توخّى الكاتب الحذر، فقد تفادى استخدام اللُّعاب، واستخدم بدلاً من ذلك الماء العادي ليلصق لسان المغلف".

أومأ برونكس لأنه لم يتوقع شيئاً آخر.

"هذا كل شيء يا جون. هذه المرة".

أنهت ما عليها شرحه، وبدأت بجمع الصور.

"تقريباً، كل شيء".

ثم ناولها مغلفاً مزيناً بقلوب حمراء اللون وزهور منمّقة.

"حصلت على رسالة أُخرى، من صديقتي... الجديدة. أريدك أن تُلقي نظرة عليها أيضاً".

بدت سنا مضطربة للحظات.

"آنا كارين. إنها لا تزال تدعو نفسها بهذا الاسم".

كأنها لم تكن متأكدة فعلاً بأنه يخدعها.

"إذا اقتضى الأمر، أنصحك بألا تعاملها كما عاملتني".

ثم ابتسمت.

"بالمناسبة، آنا كارين عبقرية".

"ربما".

"هذا ما تُدعى به في بعض الفرق العسكرية السويدية. تعلم هذا، أليس كذلك؟ سلاح رشّاش من طراز (أ.ك.4)، آنا كارين".

لم يكن يعلم هذا، وقد لاحظت الأمر.

"لكن، لِمَ لم تصطحبني إلى هناك يا جون؟ لماذا لا يوجد أي استقصاء لمسرح الجريمة؟ لماذا لم تطلب مني أن أرافقك؟ هل هناك أي استقصاء تقنيّ للأسلحة لم تكتشفه".

"لا أريد أن أقوم بالأمور بطريقة رسمية إلى هذا الحدّ، أو على الورق، ليس بعد".

"وكارلستروم؟".

"هو أيضاً لا يعلم".

"تباً جون. أنت..."

"طلبوا خمسة وعشرين مليوناً. إنهم يائسون. وإذا أُفشِيَ السرّ بطريقة ما، فذلك سَيُعَقِّد الوضع وسيُسيء إلى موقعي التفاوضيّ، ويُحَسِّن موقعهم".

"يا جون، أنت..."

"سأخبره قريباً".

ترك صور الآلة الكاتبة والوشم على تلك الذراع، وبدأ يشقّ طريقه عبر البهو، ثم استدار إلى خارج الغرفة.

"بالمناسبة، هناك احتمال بالغ الخطورة".

"ماذا؟".

"بأنني سأعامل آنا كارين كما عاملتك".

وكالمعتاد، بدأ بالنظر إلى الخريطة الملقاة على طاولة العمل في المرأب من زاوية جديدة. أصبح الأمر الآن كلعبة من دون عواقب، هدفها إيجاد أماكن مختلفة من الأعلى؛ مثل عملاق ينظر إلى مختلف الصفات المميزة لمنطقة ما، ويحاول إيجاد أفضل الفوائد ويربطها مع بعضها في أفكاره.

كان دائماً يرغب بسبر غور الحقيقة في الخرائط؛ أشكال هندسية وإنتاج دقيق. كان يستطيع أن يعرفَ ما يفضّله، ويشعر بما يبدو عليه السيرُ عبر الأودية والتلال قبل الوصول إلى الموقع... تماماً كما يحصل الآن.

خمسة وثمانون ميلاً شمال شرق ستوكهولم في منطقة حرجية بين بلدتين صغيرتين اسماهما سالا وآفيستا. دَخَلَ الخريطة، فأصبحت الرموز حقيقية وذات ثلاثة أبعاد. كانت بداخلها مشاهد وأصوات الغابة، وقد خَلَت من كلّ ما هو حيّ. مرّ قبل نصف ساعة باثنين من البيوت المتداعية، فيما كان يعبر البحيرة في قارب مطاطي صغير، في طريقه إلى مكان كان قد اختاره، والذي برهن عن جماله في الحقيقة بقدر ما كان على الورق. هذا المكان الصغير الخالي من الأشجار حيث يقف الآن تماماً، هو الموقع الذي سَتُقَدِّم له الشرطة فيه خمسة وعشرين مليون كرونة.

كان ليو يطرق المسامير في لحاء إحدى الأشجار. ذلك أسهل مما كان يتوقع. وُضِعت هناك وكأنها حُشِرت في الشجرة. تراجع خطوة واحدة على الطحالب الملساء، وألقى نظرة على صندوق معدني ملتوٍ ومليء بالبراغي والمتفجرات البلاستيكية المغلّفة بشريط حاجب بني اللون وبقطعة قصيرة من حبل بارز من الأسفل.

صنع في المرأب خمسة عشر لغماً أرضياً بطريقة يدوية، وهي تزن حوالي الباوند من القصاصات المعدنية والمتفجرات، وقد خزّنها في "كهف الجمجمة".

نظر حوله مجدداً. ليس من المفترض أن تكون الأشجار متقاربة جداً أو متباعدة كثيراً أيضاً. إذ بإمكانهم أن يشاهدوا نور الإشارة الذي سيشعله ليو من داخل الطوافة، ومن ثم قد يقود الضوء الخفيف الطيّار إلى أربعة مصادر ضوء على الأرض؛ حيث ستُرمى حقيبة النقود.

والأهمّ ألا تعلم الشرطة بزمان التسليم خلال العمليّة ومكانه. إذ يتعيّن على الشرطة أن تنتظر آخر رسالة تعليمات، لذا ستكون عاجزة عن التخطيط للمواجهة. كان يخطّط هنا لتعليمات التسليم. فقط عندما يُصبح بحوزته مبلغ خمسة وعشرين مليون كرونة سيكونون قادرين على الوصول إلى الأسلحة.

كان على الطوافة أن تحوم ذهاباً وإياباً مستخدمة تنسيق الإحداثيات المتاحة للطريق الدائرية مسافة 125 ميلاً. رسم ذلك على الخريطة أيضاً. كان هناك تقاطعان بين نقطة الانطلاق في ستوكهولم، ونقطة الانعطاف في آفستا. احتوت الدائرة على خمسة مطارات غير نظامية، حيث ستزوّد الطوافة بالوقود. قد يختار كليهما؛ أي زمن المغادرة وسرعة السفر، وعندها سيحدّد موعد مرور الطوافة فوق هذا الموقع.

لن يعرفوا أين ومتى، ولكنه افترض أنّ كلّ شرطي مشؤوم في السويد سيكون مستعداً، وسيتموضع قرب الطريق. لن يعرفوا اللحظة التي سيختارها ليُطلِقَ نور الإشارة عالياً إلى السماء المظلمة، وليشير إلى الاتجاه الذي يجب أن تسلكه الطوافة. وعندما يفعل ذلك، سيتحرّكون جميعاً.

كان بمفرده حقّاً. لكن، بحوذته سلاح قادر على القضاء على عشرة، أو عشرين، وربما ثلاثين شخصاً.

كان وحيداً لثلاثة أيام، وينامُ تحت النجوم. وقد خلا المكان من أي شخص يكلّمه أو يضحك معه، أو من إخوة يشاركونه التشويق.

شدّ الحبل قليلاً فقاومه الزناد؛ على غرار ما يحصل عند تناول السمكة الطعم.

غداً ستصل الورقة؛ الجواب. والعدوّ الذي لا وجه ولا اسم له، وجون برنكس سيعبّر بأسطر قليلة عن تشوّقه لرؤية آنا كارين.

كان مقتنعاً بأنهم سيكابدون لتأدية ما عليهم. ليس بسبب خوفهم من أن يتسلّح مجرمون آخرون وحسب، بل لأنّ هناك مكافأة أخرى؛ هو بالذات.

فهم سيقومون بأيّ شيء للقبض عليه، لذا كان مهيّأً لهذا الأمر.

كان يستعدّ لردّ الضربة. كان هناك خمسة عشر لغماً، ولن يقترب منه أحد. وإذا أحسن تثبيتها، فسيتمكن من القضاء على عدّة مئات من الناس.

سترسل الشرطة نخبة مختارة من قوّاتها المضادة للإرهاب؛ أي حوالي عشرين جاسبر مدرباً.

وسيهزمهم جميعاً باستعمال شبكة من حبال الصيد.

وضع واقي الأذنين من الصوت، ثم سحب ببطء الحبل الموصول باللغم المُدلّى على شجرة الصنوبر على بعد ثلاثين قدماً. كان الانفجار المفاجئ مدوياً، وسحق كل شيء حيّ على ارتفاع ثلاث أقدام من أرض الغابة. حتى إن ممرّ شجر البتولا تهشّم بفعل التفجير. كان تأثيره أضخم مما كان يساوم عليه.

يعود الأمر إليك يا برونكس إذا كنت تريد السلام أو الشغب.

نظر ليو حوله للمرّة الأخيرة، إلى الغابة الواسعة التي التهمت الانفجار.

كان مغموراً بأغاني الطيور والنسيم العليل. لم يعد لديه ما يقوم به هنا، ليس الآن. وقد حان وقت العودة إلى البيت، وتغيير ملابس التمويه، وارتداء بنطال الجينز والسترة والقميص الملطّخ ببقع القهوة البنية التي وضعها عمداً، البقع التي قد تتوقّع وجودها على قمصان سائقي سيارات الأجرة ليلاً.

عند الساعة الرابعة من بعد منتصف الليل، كانت معظم ستوكهولم تغطّ بنوم عميق، وقد عاد آخر الساهرين إلى بيوتهم، فيما لا يزال أولئك الأشخاص الذين يعملون صباحاً نائمين على أسرّتهم. لكن، ليس هنا. إذ كان هناك مطعم في طرف غولمارز سكوير يعجّ بسائقي سيارات الأجرة فقط في هذا الوقت من الليل. كانت الأجواء عبارة عن محادثات صاخبة، وقهوة تُقدَّم في أكواب بلاستيكية، وأصابع ملطخة بالحبر من جراء التقليب بأوراق الصحف الصباحية.

كان ليو جالساً إلى إحدى الطاولات في الركن، وهو يتصفّح صحيفة "ذا دايلي نيوز" التي وضعها فوق طاولة من خشب الصنوبر. لم يكن مهتمّاً بالأخبار أو الثقافة أو الرياضة، بل فقط بالإعلانات المبوبة. مرّ بسرعة على إعلانات السيارات والمنازل وعربات الأطفال، ثم اقترب من الصحيفة بما يكفي ليتمكّن من شمّ رائحة الورق الجديد. هناك قرأ كلمة "إعلانات" التي تعلو كلمة "شخصي". (''أنغر'' وأطفالها، ''فاني'' و''ميا''. الرجاء الاتصال بنا حالاً. ''آنيتا'')... كان هناك إعلانان فقط اليوم. (سأكون بانتظارك عند القارب). أحدهما كتبته فتاة تدعى "آنيتا". والثاني كتبه أحدهم، وكان بانتظار آخر في القارب.

هذا كلّ شيء. هذا كلّ شيء!

مزّق الورقة فيما كان يقوم بطيّها مجدداً.

كان بمفرده ومن دون أخويه، من دون جماعته. ولم يعد هناك المزيد من السرقات. وهناك منزل كرهته أنيللي، ويحتوي قبوه على أكثر من مئتي قطعة من السلاح.

وذلك النذل اللعين لم يستجِب!

ركض إلى خارج المطعم مستقبلاً الفجر والنسيم البارد الذي سيتحوّل في غضون ساعات قليلة إلى هواء دافئ، ومرّ بسائقي سيارات أجرة ستوكهولم وسائقي سيارات أجرة كورييز بملابسهم الزرقاء.

كانت هناك حجيرة للهاتف في الساحة. إنه الهاتف الذي كانوا يتصلون منه في حال وجود تهديد، والذي يأمل أن يتفادى الاتصال منه مجدداً. خطا إلى الداخل، وطلب رقم هاتف خليوي، فسمع ستّ رنات قبل أن يتحوّل الاتصال إلى المجيب الصوتي. لذا، اتصل مجدداً، وسمع ستّ رنات أيضاً، ثم ستّ رنات أخرى.

"آلو...؟".

"العيّنة".

"ماذا؟".

"ألم تَنَل رِضاك؟".

ذلك النذل، أخفق بإرسال رسالة.

"من هناك؟".

كان الصوت صوت شخص غافٍ، وكأنه نام للتو.

"آلو، من..."

"امرأة حياتك".

جلس جون برونكس على طرف السرير، واضعاً قدميه فوق الأرضية الباردة، ثم سار باتجاه النافذة. فقد أراد أن يتأكد من أنه غير مراقب.

"من؟".

"صغيرتك آنا كارين".

كان الصوت صوت رجل غير مسن. ولكن، من الصعب تخمين كم يبلغ من العمر. لم يكن صوتاً عالياً ولا منخفضاً، وإنما بين هذا وذاك.

"أنت... آنا كارين؟".

"أنت لم تُرسِل رداً في صحيفة الصباح".

"لا أبحث عن النساء في الإعلانات الشخصية".

ابتعد برونكس عن النافذة، وأسرع باتجاه البهو. كان جهاز التسجيل في جيب سترته الداخلي، فدفع السلك في جهاز الهاتف.

"إذا لم تكن راغباً بشرائها، وإذا لم تسحبها من السوق... فهناك آخرون يودّون ذلك".

"استخرجت العينات من الحفرة، وتفحّصتُها. كانت قد سُرِقت بالفعل من مستودع في مكان يدعى غتريغن على بعد ستة أميال جنوب ستوكهولم. لكن، ليس لديّ إثبات على أنك من سرقها".

"إذا لم تشترِ بضاعتنا، فسينتهي بها الأمر في أيادٍ أُخرى؛ في أيادي مجرمين آخرين قد لا يكونون منضبطين كجماعتي الصغيرة. أنت تعرف الجريمة المنظمة التي لطالما تكلّمت عنها؛ عصبة من المجرمين المدججين بالسلاح".

"لا تُثبِت عيِّنَتُك أنّ بحوزتك ما تبقّى منها".

"ألا تفعل؟".

"لا".

"لا بدّ أنك عرفت أنني قد استبدلت قفل السلسلة الحديدية بواحد مطابق له بالرقم التسلسلي نفسه. كما تبيّن لك أنني رأيت لائحة تتضمن البضاعة التي أُرِّخ آخر جرد لها في الرابع من تشرين أول. إذاً، كنت أعلم أن لدي مهلة نصف سنة قبل أن يتم اكتشاف الأمر. وقد أحسنت عملاً بتغطية أثري؛ لدرجة أنّ المفتش البالغ من العمر ستين سنة، في سيارته الڤولڤو البالية، لم يَرَ شيئاً. هل تريد المزيد من التفاصيل التي لا يعرفها سوى الشخص الذي سرق الأسلحة؟".

تمطّط برونكس ليرى ساعة المطبخ التي كانت تشير إلى الرابعة وعشر دقائق. لن ينام مجدداً بعد الآن.

"إذاً، هل كنت المُخَطِّط؟ القائد؟ في هذه الحال، آنا كارين، أريد أن أعرف شيئاً واحداً وحسب".

"لديك أربع وعشرون ساعة".

"أريد أن أعرف... لماذا تقوم بذلك؟".

"لديك يوم واحد إذا كنت ستشتريها".

"هل قرّرت أنك لن تحتاج إلى هذه الأسلحة مجدداً يا آنا كارين؟ هل عقدت العزم فعلاً؟".

"خمسة وعشرون مليوناً".

"آنا كارين، عزيزي... لقد اقترفت خطأً فادحاً. ما كان عليك أن تتصل بي أبداً. كان حريّ بك أن تدفن تلك الأسلحة في حقل، أو ترميها في بحيرة. لكن، ما كان عليك أن تتصل بي. ولو قمت بذلك، لكان بإمكانك أن تحتفظ بما سرقته حتى الآن، ولكنت قد أفلتّ بما غنمته".

تعطّل صنبور الحوض قليلاً كالمعتاد. كان الماء فاتراً، وتركه برونكس جارياً للحصول على ماء بارد.

"وبالمناسبة، إذا كان اسمك آنا كارين..."

"بماذا أنت مشغول بحق الله؟!".

"أجلب كوباً من الماء. إذا كان اسمك آنا كارين، فما الذي تدعو به أخاك؟".

شرب الماء، ثم ملأ الكوب مجدداً، وشرب نصف محتواه، ثم تابع:

"أخوك، كما تعلم، ذاك الذي شاركك بسرقة المصارف".

"الإجابة على عرضي يجب أن أتلقاها خلال الساعات الأربع والعشرين القادمة بشكل إعلان شخصي، في الموقع نفسه الذي يبدأ بعبارة "عزيزتي آنا كارين"".

"لدي أخٌ أيضاً. لذا، أعلم كيف ينظر الأخوان إلى بعضهما، وكيف يلمسان بعضهما. حتى عندما أراهما في فيلم بالأبيض والأسود التُقِطَ من كاميرا مثبتة على حائط المصرف. وأنت... أنت كنت الأكبر سناً. لذا، همست بأذن أخيك الأصغر قبل أن يطلق النار مباشرةً في وسط الحشد لأوّل مرة".

"وبعد ذلك، في السطر الثاني، عليك أن تقول: "أفتقدكِ وأريدُ أن أراكِ ثانيةً".

كان الغطاء الواقي للرأس والعنق معلّقاً فوق الكرسي في البهو، وكان الجوّ لا يزال بارداً في هذا الصباح الربيعي، لذا سحبه برونكس فوق صدره العاري.

"اسمع، آنا كارين. لا أحبّ العنف، أو القوة المُفرطة".

"وحالما تجيب، ستجيبُ آنا كارين مجدداً بإعلان شخصي جديد سيخبرك بالضبط عن كيفيّة مواصلة علاقتنا الجيدة؛ أي كيف ستسلّم النقود، وكيف سنسلّم باقي البضاعة".

"وهل تعلم لِمَ لا أُحبّ هذا؟ لأنني قد نشأت على هذا. وأنا أعلم كيف تسير الأمور؛ إمّا أن تختار أن تكره، أو تُعيد تكرار الأمر. أليس كذلك؟".

"أربع وعشرون ساعة".

"يومٌ واحدٌ لا يكفي".

"هذا ما ستحصل عليه".

"إذاً، لن تحصل على أي شيء من جهتنا. أحتاج إلى المزيد من الوقت لأبحث الأمر مع المفوّض".

مشى جون برونكس في الشقة الصغيرة، مُصغياً إلى الصمت الذي ساد في الطرف الآخر. لم يُنهِ الاتصال؛ لم يكن ذلك النوع من الصمت. تمكّن من سماع أصوات الشارع، وصوت أحدهم وهو يتنفّس بوضوح. كان يُعيدُ التفكير في الأمور، وربما يُعيدُ تقييمها.

"حسناً".

أصبح الصوت عبر الهاتف أكثر عُمقاً، وأوضح لفظاً.

"في غضون أُسبوع، في الحادي عشر من مايو. في صحيفة "ذا دايلي نيوز". إذا لم تكن تريد أن تستمرّ بمواعدة آنا كارين في تلك المسألة... فسيفلت زمام الأمور، وستكون العواقب كارثية".

بعدئذٍ، ساد الصمت بالفعل. فمن اتّصل قد أنهى الاتصال.

تثاءب جون برونكس، فهو لم يخلد إلى النوم مجدداً. كان في يده فنجان من الشاي، وكان يسير حافي القدمين على أرضية خشبية باردة.

اتخذ القرار المناسب حين رفض إرسال التصريح الشخصي القاضي بإبلاغ آنا كارين عن مدى شوقه لها؛ على غرار ما كان قد قام به ذات مرة مع سنا. نجح هذا الأمر أكثر مما كان يأمل. تنفّس الصعداء، إذ قام لأول مرة بالاتصال المباشر.

لديه الآن سبعة أيام لاتخاذ القرار التالي. لذا، كان ينتظر هنا؛ في مرأب مركز الشرطة الكبير شديد الرطوبة والعابق بالغبار. لكن، حان الوقت ليتكلم مع رئيسه في العمل، إذ لم يرد إزعاجه في بيته مجدداً، أو انتظار قدومه إلى مكتبه.

لم يكن الكلام الذي سيدور بينهما نوعاً من المحادثة العادية. سرعان ما سيصل كارلستروم إلى هنا؛ فرئيسه يعيش حياة روتينية. لعلّ ذلك يشعره بأنه أكثر أماناً، وقد يكون أسير إطاره الخاص. كان يُقلّ ابنته الصغرى إلى روضة الأطفال يومياً، ويُقلّ ابنته الكبرى إلى المدرسة، ثم يوصل زوجته إلى العمل، ويودّع عائلته التي سيعود لملاقاتها بعد عدّة ساعات. وصل إلى المرأب، وأوقف سيارته في المكان المحدد لها؛ أي حيث عُلِّقت اللوحة النحاسية التي يحصل عليها المدراء عادةً على الحائط، والتي تحمل اسمه: المدير كارلستروم. كان وصوله محدّداً بدقة؛ ليس قبل الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة عشرة، ولا بعد الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والأربعين.

لم يكن جون برونكس مختبئاً، ولكنّ كارلستروم لم يلاحظه، ولم يدرك أنه كان بانتظاره عند أحد الأعمدة. قفز برونكس في اللحظة التي أوقف فيها مديره سيارته، وفتح الباب وجلس على المقعد الخلفي.

"لقد اتصل بي الأخ الأكبر في الصباح الباكر".

أطفأ كارلستروم محرّك سيارته، وتأكد من حصوله على المكان المناسب قبل أن يلتفت إلى الراكب الجديد.

"هل اتصل هذا الصباح؟".

"نعم".

بعد ذلك، استغرق برونكس عشر دقائق لسرد قصة الرسالة المطبوعة التي أخرجها من المغلف بني اللون، والتي أرشدته إلى مكان عيّنات من البضاعة التي تم حفظها في أكياس، والتي تبعتها رسالة جديدة عليها قلوب حمراء اللون، من ثم تجاهله مسألة الإعلان الشخصي؛ الأمر الذي أدّى إلى تلقّيه الاتصال الهاتفي.

وبعد ذلك، مضت دقيقة أُخرى قبل أن يتكلم كارلستروم.

"متى بالضبط استخرجت خمسة أسلحة؟".

"منذ ثمانية أيام".

"ثمانية أيام!".

"نعم".

"والآن تقفز إلى سيارتي وتقرر أن تبلغني بالأمر!".

"أردت أن أكون على يقين تام".

"على يقين!".

"من ردة فعله. فلو قمت بإبلاغك مسبقاً... لكان الأمر قد تطلّب المزيد من التحقيقات، والمزيد من الآراء، والمزيد من جدولة الأعمال، وما كنا لنصل إلى هذه النقطة. هل تفهم الأمر؟ لقد اتصل بي الآن شخصياً؛ نحن الاثنان وحسب.

أنا من يقوم بالتفاوض معه".

حدّق المدير كارلستروم إلى الجدار الرمادي واللوحة التي حملت اسمه.

"حسناً. إذاً، لِمَ تعتقد أنك تحتاج إليّ الآن؟ ما الذي يمكنني أن أقوم به ولا تقدر على القيام به بنفسك؟".

خمس وعشرون مليون كرونة.

هذا ما سيكون جوهر الموضوع في الأسبوع القادم.

اتخاذ القرار.

"هل سمعت السؤال الذي طرحته يا جون؟".

دفع الأموال المطلوبة، وترك الأخ الأكبر من دون أي سلاح؛ ليضمن عدم تمكن السارقين الأكثر عنفاً في السويد من السطو مجدداً. وفي الوقت ذاته، ليكون رجل الشرطة الذي وبعد أشهر من مطاردته اللصوص، قد منحَهم إمكانية الانسحاب ليتواروا عن الأنظار إلى الأبد، وليصبحوا فصلاً مخفيّ المعالم في تاريخ الجريمة في اسكنديناڤيا.

قام رئيسه في العمل بوكزه بمرفقه في محاولة لاسترعاء انتباهه.

"جون، ماذا تريد مني؟".

أو ربما لن نقوم بدفع الأموال؛ وذلك لنجبر الأخ الأكبر على مواصلة القيام بما كان يحسن القيام به، وهو السطو على المزيد من المصارف، والتسبب بالأذى للمزيد من الناس. لكن، أيضاً لانتهاز الفرصة للقبض عليه في يوم ما.

"أحتاج إلى شيء لا يسهل الحصول عليه إلّا من أصحاب مواقف

السيارات الخاصة".

"لا أفهم ما تقوله".

"خمسة وعشرون مليون كرونة عدّاً ونقداً".

إنه الطابق التاسع. وهو مكان كان يدعى إدارة "وايرتابنغ"، ويقع في مبنى مجلس الشرطة الوطني نفسه. للوصول إليه، يجب استعمال المصعد للانتقال من المرأب إلى الطابق الرئيس، ثم السير بضع دقائق من مركز شرطة المدينة عبر الممرات المتشابهة، ومن ثم الصعود تسعة طوابق باستعمال مصعد آخر وحسب.

"لا تُثبِت عيِّنَتُك أنّ بحوزتك ما تبقّى منها".

"ألا تفعل؟".

"لا".

بعد لقائه كارلستروم في سيارته، جلس برونكس في مكتبه ليستمع مطوّلاً إلى الاتصال الذي تلقّاه في الليلة السابقة؛ إلى صوت يعود إلى الأخ الأكبر. أنصت لوقت طويل، حتى لم يعد بإمكانه الوصول إلى ما هو أبعد من ذلك، واحتاج إلى أذن أخرى؛ إلى خبير بمعرفة التغيّرات التي تطرأ على الأصوات.

"يمكننا أن نؤكد أنه كان يتصل هاتفياً من هنا".

لطالما كان الكهل ذو الكتفين المحدودبتين موجوداً هنا عندما يحتاج إليه برونكس في أي تحقيق. فهما يلتقيان دائماً في إحدى غرف الاستماع لتحليل الاتصالات الواردة والصادرة. هذه المرة، لم يكن هناك أي تفويض من المدعي العام، ولا أيّ خطوط مراقبة، فقد جلب لهم برونكس الاتصال المسجل بنفسه، وقام الرجل المحدودب بمقاطعة ما كان يقوم به ليتمكن من الإصغاء.

"مستديرة غولمارز. حجيرة الهاتف العمومي".

وأشار إلى ضوء متقطع في مكان ما في وسط خارطة إلكترونية.

"إنه المكان نفسه الذي حددناه عندما تلقينا اتصال التهديد الذي أفادنا بوجود القنبلة".

حدق برونكس إلى وميض الضوء المتقطع، والخط الزمني الأسود الذي يمثل محادثة الليلة السابقة.

اختار المتصل بشكل متعمد حجيرة الهاتف هذه تحديداً. فقد علم أنني قد أقوم بالتسجيل، وقد أتحقق لاحقاً. وسيُثبت الاتصال من ذلك المكان تحديداً هويته، وما هو قادر على القيام به.

"استغرقت المحادثة أربع دقائق وأربعاً وأربعين ثانية. وهو يتصل من مستديرة غولمارز، وبين هناك و... هنا، شارع هوغالدز 38. حيث يقع منزلك، أليس كذلك؟".

أشار الرجل العجوز إلى وميض ضوء جديد على شاشة الحاسوب، إلى شمال غرب الضوء الأول، فأومأ برونكس إيجاباً.

"إذاً، هل كنت المُخَطِّط؟ القائد؟ في هذه الحال، آنا كارين، أريد أن أعرف شيئاً واحداً وحسب".

"هذا جيد، برونكس. هذا يفي بالغرض. كنت قاسياً معه".

"هل قرّرت أنك لن تحتاج إلى هذه الأسلحة مجدداً يا آنا كارين؟ هل عقدت العزم فعلاً؟".

"حاولت أن تستفزه، وقد نجحت في ذلك، هنا..."

"وبالمناسبة، إذا كان اسمك آنا كارين..."

"بماذا أنت مشغول بحق الله؟!".

"أجلب كوباً من الماء. إذا كان اسمك آنا كارين، فما الذي تدعو به أخاك؟".

"... عندما سألته عن أخيه، أصبت الهدف. لقد فاجأته، فلم يجبك مباشرةً، وهنا طالت قليلاً فترة الصمت، في حين استمررت أنت بالكلام. فلو لم يكن لديه أخ، لأجابك في الحال، ولتعامل معك مثلما تتعامل معه؛ أي بالمضايقة والاستفزاز والسخرية. كان هادئاً في البداية، وكأنه يعتقد أن هذا وقت للمتعة والتشويق، ولكنك كنت ترمي إلى شيء ما..."

"أخوك، كما تعلم، ذاك الذي شاركك بسرقة المصارف".

"... لكن، لم يكن وقتاً ممتعاً؛ فقد تجنب الإجابة، ولجأ إلى إطالة فترة الصمت والتردد ليستجمع شتات أفكاره، محاولاً أن يستعيد رباطة جأشه مجدداً بتكرار رسالته. وعندما قام بذلك، أصبح واقعياً وفظاً، ومتكيفاً وفقاً لهدفه؛ ليضمن تواصلك معه بالحوار الذي سيُغدِق عليه خمساً وعشرين مليون كرونة".

قام المحقق في دائرة مراقبة الخطوط الهاتفية "وايرتابنغ" بالضغط على أحد مفاتيح اللوحة، وجمّد كلا الخطّين الإلكترونيين اللذين يمثلان الصوتين على شاشة الحاسوب.

"برونكس".

"ماذا؟".

ثم انتزع سماعة الرأس، للدلالة على أنه لم يعد لديه المزيد من الوقت

ليستقطعه من عمله الدوري في اختلاس السمع.

"إذا اتصل مجدداً، فأنا أريد منك حينئذ أن تغريه بالكلام بحرية ليطول الوقت. فكلما طال وقت المحادثة، صار من الصعب إخفاء لكنته وطبقة صوته. لا تقاطعه، بل دعه ينهي كلامه، ويبوح بمكنونات صدره. فبعد مرور كل ذلك الوقت... ها قد أوشكت الآن على النيل منه حقاً".

غالباً ما يبدأ الأمر كإدانة، ثم سرعان ما يظهر ما في داخله حقّاً... الخوف. فبالرغم من أنه شخص جسور، ولا يخاف، ولم يخشَ شيئاً قطّ، إلا أنّه بعد برهة من وصول الصوت، شقّ الخوف طريقه إلى داخله، واستحوذ عليه؛ على غرار زعيق صفّارة القطار المنطلق بسرعة تماماً، أو كإنذار الغزو الجوي. ثم تلاه الشعور بالذعر، لكن الريبة تلعب دورها أيضاً.

لكن، لا وجود للصفارة، ولا للإنذار. إنه مجرد صوت بعيد، إلا أنه لا يزال قوياً.

"أنت لست أبي".

إيڤان يتكلم، يقول ذلك والقوة تبدو في عينيه.

"هل تسمعني؟ لست والدي".

لا يمكنه أن يتفوّه بهذا، ليس لابنه، فهذا ليس مناسباً. ولكنه قال ذلك مجدداً، فشعر ليو بالغثيان والقرف ينبعان من معدته؛ ممّا دفعه لإدراك أن لا شيء مما اعتقده كان حقيقياً، لا شيء من هذا القبيل كان موجوداً. ولهذا تحوّل إيڤان، فأصبح شعرُه قاتمُ اللون أشقر وأشعث، وبدت عيناه فضوليتين.

"أنت لست أبي!".

إنه لا يتخيّل، فمن يتكلّم من البشر، ولكنه صغير.

ثم تحول الشعور بالاشمئزاز والخوف إلى انزعاج. فهو يريد أن ينام، ويحتاج إلى ذلك، ولا يرغب في أن يوقظه صوت طفل تحوّل في لحظة ضبابية- بين الحلم

واليقظة– إلى إيڤان. لقد قضى خمسة أيام في التخطيط، والتوجّه إلى الأحراج؛ مخططاً لدروب الفرار، وواضعاً ألغاماً من صنع يديه. لم يَنَم سوى ثلاث ساعات في الليلة الماضية، والآن عليه أن يتكلّم مع فَمٍ صغير تنبعث منه رائحة اللبن وكافيار "كالي".

"أنت لست أبي!".

"لا... لكنني أستطيع أن أكون والدك الإضافي".

"لا!".

"بلى! هذا ما تنادي به شخصاً تلتقيه مرة كل ستة أشهر أيها السفاح الصغير!".

فهزّ سيباستيان رأسه وغرق في الضحك، وتشابك شعره المتجعد حين رفعه ليو ووضعه على كتفيه.

"ألم تخبرك والدتك بأنك ستأكل العصيدة إذا أيقظت الملك ليو من دون استئذان!؟".

"أكره العصيدة!".

نزل ليو على الدرج في طريقه إلى المطبخ، فضحك سيباستيان وصرخ قائلاً إنه لا يريد... لا يريد أي عصيدة، إلى أن أفلته ليو، فركض في البهو، واختبأ خلف إحدى سترات ليو، متظاهراً بأنه يخشى أن يتناول العصيدة.

"سيباستيان".

كانت أنيللي جالسةً إلى طاولة المطبخ وفي يدها فنجان من القهوة وسيجارة.

"الآن، أصغِ إلى والدتك يا صغير. فقد حان الوقت لترتدي ثيابك. وإذا فعلت، فسنذهب قريباً".

أطفأت أنيللي سيجارتها في منفضة مليئة، ثم أشعلت أخرى ونظرت إلى ليو.

"ما الأمر؟".

"لا شيء".

"أستطيع أن أرى أن هناك خطباً ما يا ليو".

"أحتاج إلى فنجان من القهوة فقط، ثم سأكون بخير".

كان إبريق القهوة يحتوي فقط على ما يملأ فنجاناً واحداً، وانسابت القطرات الأخيرة على حافة الخزف.

"نحن على عجلة من أمرنا. هيّا، ارتدش ثيابك".

"ألهذا السبب أرسلت ذلك السفاح الصغير لإيقاظي؟".

"لا أحب أن تناديه بهذا الاسم".

"وأنا لا أحب أن تدخني داخل المنزل".

ثم تناول السيجارة من فمها، وسار باتجاه النافذة المفتوحة، ورماها نحو الخارج.

"وخاصةً الآن. هل تحتاجين إلى التدخين حتى عندما يأتي سيباستيان إلى هنا؟".

فتح النافذة الأخرى أيضاً على مصراعيها، وقال:

"من المحتمل ألا أتمكّن من مرافقتك اليوم".

بدت أنيللي حزينة، وأصابتها خيبة أمل- كما توقّع- ثم نظرت إلى البهو وهمست:

"ولكننا اتّفقنا على ذلك، وهو الآن يرتدي ثيابه".

"أنا آسف".

"هل حدث شيء ما؟ فقد وصلت إلى البيت في الليلة الماضية في وقت متأخر، مجدداً. أين كنت؟ وما الذي يشغلك؟".

"كنت أعمل".

"ولِمَ لا تأتي معي الآن؟".

"لأنه علي أن أواصل العمل".

"العمل! هل تعلم كم ستخيب آماله؟".

"تباً... إنه ولدك، وهو لا يهتم لأمري".

بحث ليو في جيبه، وأخرج ورقة نقدية بقيمة ألف كرونة حصل عليها من مصرف التوفير في أولارد؛ المصرف الذي سطا عليه وحده.

"لا أستطيع أن أذهب معك".

وقف سيباستيان عند الباب الأمامي بكامل أناقته، ونظر بعينين متشوقتين للذهاب، فأمسك ليو يده الصغيرة، ووضع فيها المال.

"تمتّع بوقتك اليوم".

لم تبدُ أنيللي مسرورة، ولم تحاول إخفاء ذلك. فما قام به ليو للتو كان مهيناً، وهو نادراً ما كان يُشعرها بذلك.

"هذا يكفي لكلّ الألعاب في مدينة الملاهي أيها الصغير!".

ثم قام ليو بتشعيث شعر سيباستيان الأشقر المتجعد، في حين كان الصغير ينظر إلى الورقة النقدية في يده.

"أستطيع... أن ألعب بها كلها!".

"تمتّع بوقتك. يمكنك أن تقوم بما تريد القيام به طيلة اليوم من دون أن يزعجك أيّ راشد ممل ويوقفك عن اللعب".

أحرقت نظرة أنيللي المحدقة رقبة ليو، بينما أومأ سيباستيان من دون أن يفهم حقاً، ثم همست أنيللي مجدداً:

"لقد اتفقنا على ذلك مسبقاً".

"لكن، لدي بعض التعقيدات في العمل".

فرفعت يديها، وقد ثنت إصبعيها في كل يد وسألته:

"أي عمل؟".

يكره ليو ما فعلته، وهي تعلم هذا. إنه يكره هذا التصرف لأن الأغبياء يقومون به عندما لا يكونون على يقين مما يريدون قوله، ويريدون أن يعززوا ذلك بنوع من التمثيل المسرحي.

"إنه العمل الذي سيدفع ثمن المنزل الذي ترغبين به".

لم يسبق له أن اقتبس أي كلام لعين من قبل. ولكنه قام بذلك الآن ثلاث مرات في سطر واحد. وحتى إن لم يفعل ذلك مجدداً، فهذا لم يعد يهم، فهو لا يزال منزعجاً كما كان قبل الليلة الماضية، وفي كل يوم آخر منذ ذلك الاتصال.

"إذا كان اسمك آنا كارين..."

ذلك السافل عرف شيئاً لا يجب أن يعرفه.

"... فما الذي تدعو به أخاك؟".

وعلى الرغم من أن ليو لم يتفوّه بأي كلمة إلا أن برونكس جعله يقول الكثير. فقد عرف بأمر أخويه، وأكّد له أشياء ما كان رجال الشرطة سيتمكنون من معرفتها. والآن، إذا تمكنوا من الإمساك به، فسيوقفون أخويه أيضاً.

سمعها ليو تقفل الباب من دون توديعه، ثم بدّل ملابسه، وارتدى ملابس النجار. كان من المهم أن يبدو كل شيء طبيعياً.

تناول فنجاناً آخر من القهوة.

وشعر بأنه أقل اضطراباً. ذلك التحرّي اللعين كان تماماً كذاك الشرطي السمين الذي جلس إلى طاولة المطبخ. حريٌّ به أن يقوم بغرز قلم رصاص في يد رجل مثل هذا. لا ينبغي حتى على الطفل أن يجلس هادئاً ومسيطراً على نفسه، وأن يقول شيئاً يريد الآخرون منه قوله.

لأن ما لا تحصل عليه، عليك أن تنتزعه. إنه استرداد، ولا تسمح بخسارته مجدداً أبداً.

لم يكن المقهى في مركز الشرطة محتشداً كثيراً. إذ كان الناس يجلسون معاً خلال فترة استراحتهم، ولم يكن هناك الكثير ليتكلموا عنه إلى جانب الشيء الوحيد الذي يتشاركون فيه؛ وهو العمل. عادة، يتجنب جون برونكس تناول الطعام هنا؛ إذ إن المحادثات التي تبدو طبيعية في التحقيقات تصبح سبباً للتوتر على الطاولات الطويلة المتشابهة. وعندما ملأ كأساً من المياه الفاترة من الآلة من دون أن يدفع المال، لم يقم بذلك بغية شربه أو ابتلاعه، بل من أجل اتخاذ القرار النهائي بعد أسبوع كامل من أكثر المداولات صعوبة التي واجهها كضابط شرطة.

كان كارلستروم جالساً إلى طاولة صغيرة بالقرب من نافذة تطل على الفناء الخارجي، وكانت هناك شوكة في يده اليمنى، في حين أن يده اليسرى تقلّب صفحات كدسة من الوثائق. لم يَرَ برونكس ذلك من قبل قطّ. إذ كان من عادة رئيسه في العمل أن يعير كل انتباهه إلى طعامه.

"مرحباً".

كان هناك طبق من البطاطا المقلية- المقليّة أكثر مما ينبغي- التي تحيط بقطعة قاسية من اللحم. في الواقع، لم يكن هذا أسلوب كارلستروم بالعمل. ولكنه نظر من فوق كدسة من الأوراق، وشرب كأساً من المياه المثلجة وابتلع؛ على الأقل هذا أسلوبه، فهو لم يتكلم قطّ والطعام في فمه.

"أنا مسرور لأنك تمكّنت من المجيء".

جلس برونكس إلى حين انتهاء كارلستروم من مسح يديه بالمنديل الورقي.

"انتهى الموضوع الآن. هناك كيس أسود اللون على الأرض خلف

منضدة، وهو يحتوي على خمسة وعشرين مليون كرونة، بفئات ورقية مستخدمة، عداً ونقداً".

علت ضحكات من مجموعة تجلس على مسافة منهما، وهم موظفون من مركز الاتصالات الطارئة الذين بدوا مرتاحين لعدم تلقيهم أي اتصالات للإجابة عليها.

"لديك الآن كل ما تحتاج إليه لتقوم بالتبادل، السلاح مقابل المال، لكن هذا لا يكفي".

"لا يكفي!".

"تعيّن عليّ بحث هذا الأمر مع الشرطة الوطنية ووزارة العدل، وهم ليسوا مقتنعين بسحب السلاح من السوق فقط، بل يريدون أن يتمّ القبض عليهم".

"وما الذي يعتقدون أنني أسعى إليه بحق الله؟".

"استعادة الأسلحة والإمساك بهم، أتفهم ذلك؟ وأريدك أن تخبرني بكل شيء".

"بالطبع. كل شيء".

"لذا، أريد أن أعرف متى، وأين، وكيف سيتمّ التبادل".

" لم نصل إلى هذه النقطة بعد، فنحن نتواصل وحسب".

"عندما يبلغونك بطلباتهم وبما سيفعلونه، عندها عليك أن تبلغهم بطلباتك كي نتمكن من

القيام بالحركة المقابلة".

"لست متأكداً من أنّ الأمور ستتم بهذه الطريقة".

تفحّص برونكس كارلستروم. فبعد عشر سنوات من عملهما معاً أصبحا يفهمان بعضهما جيداً؛ على الأقل هنا، داخل جدران مركز الشرطة. فقد أدرك أن كارلستروم يعلم أنهم قد يسيرون في اتجاه آخر.

"سننجح في ذلك يا جون إذا خططنا كما ينبغي".

"يملك أولئك الرجال القنابل والبنادق، وهم لم يتوانوا يوماً عن استخدام العنف. إنهم يخططون لِما يقومون به بشكل متقن دائماً. وقد تودي غلطةٌ بسيطة خلال التبادل بحياة بعض الناس".

"لهذا بالضبط يتعيّن علينا أن نلقي القبض عليهم".

"إذا سفكوا دماء زملائنا ولاذوا بالفرار، فعندئذٍ سنفقد أي خيط قد يوصلنا بهم. فلا أحد يعلم من هم! إنّهم مخفيون وعازمون على القيام بأي شيء للبقاءِ متوارين عن الأنظار هكذا".

والآن، تفحّص كارلستورم برونكس وقد تغير لون وجهه. كان من النادر أن يغضب رئيس برونكس الحالي، إذ لم يكن من هذا الصنف. ولكنه فقد قدرته على التحكم بالنفس التي لطالما اتصف بها حتى أصبحت جزءاً من شخصيته.

"جون".

"ماذا؟".

"أنت تعلم كيف تسير هذه الأمور. الوقت فقط هو الذي يمنح الثقة، التي تمنحك بدورها الفرصة لطلب الخدمات. ولكنك تحصل على الكثير. لذا، عليك أن تختار الوقت المناسب لتستفيد من تلك الفرصة. لقد قمت بذلك الآن؛ أي

الإمساك بخمسة وعشرين مليوناً من دون أي ضمانات بالمقابل، والمجازفة بأن ينجح بعض المجرمين في ابتزاز الحكومة. عندها، الأمر سيصبح لاحقاً على كل لسان... عبّر كبار الرسميين في بلادنا عن موافقتهم على طلبي لأنني استحققت ثقتهم. وقد بددتُ إحدى فرصي القليلة وطالبت بشيء ما. لذا، حباً بالله، لا تضيّع هذه الفرصة سُدىً!".

انحنى برونكس على الطاولة فوق طبق من فضلات الطعام وقال:

"كارلستروم، ليست لديهم أي اتصالات. أنا أعلم ذلك. وليس لديهم أي تاريخ إجرامي. وإذا حاولوا الاقتراب من أحدهم لبيع الأسلحة... فسيعلم مخبرونا بالأمر. لذا، لن يقوموا بذلك. ليس لأنهم خائفون، بل لأنهم أذكياء".

"هل أنت متأكد من ذلك بشكل مطلق؟".

"إن الشيء الوحيد المتيقّن منه هو أننا إذا دفعناهم لمواصلة السطو على المصارف، فعندها ستزداد فرص الإمساك بهم. لذا، إن لم نتصل بهم، وإن لم نَعِدهم بشيء، أو نوضّح لهم أننا نريد أن نشتري البضاعة... فعندها، سيصيبهم اليأس، وسيسرقون مجدداً. وإذا كنتَ يائساً، فستعرّض نفسك للخطر".

أعاد كارلستروم ترتيب الأواني الفضية على طبقه. في البداية، كان الطعام سيئاً، ومن ثم هذا.

"تباً جون... منذ متى قررت اعتماد هذا المنحى؟ هذا القرار؟ هذا الهدف بالامتناع عن الدفع؟!".

"منذ الحرف الأول".

"وتركتني أجول من مكان إلى آخر لأتسول المال من دون جدوى!".

"ليس من دون جدوى. فقد أردت أن أعرف إذا كان المال موجوداً. فأنا لا أريد أن أراوح مكاني وأكذب. لا يجب أن تساور الأخ الأكبر الشكوك، بل عليه أن يسمع في صوتي أن هناك خمساً وعشرين مليون كرونة على منضدتي، وأن يرى صوراً لها إذا كان يريد هذا".

دفع برونكس كرسيه وهمّ بالوقوف وهو يقول:

"و... إذا كنت مخطئاً، فعندئذٍ سأستخدمها. إذا كان ذلك خيارنا الوحيد؛ إذا كان هذا هو الشيء الوحيد الذي سيمسك بزمام الأمور ويمنعها من الانفجار".

ثم نهض لينصرف، بينما توجّه كارلستروم إليه- على غرار ما حدث في عشائهما الأخير- ووضع يده على ذراع برونكس؟

"جون".

"ماذا؟".

"هل أنت مهتم بما أفكر فيه؟".

استبعد برونكس الشعور بالحاجة للعمل بحرية، ثم أومأ وأصغى إليه.

"أعتقد أنه من الأفضل أن ننفّذ عملية البيع والقبض عليهم؛ فنحن نفوقهم بالمصادر. لكن الأكثر أهمية من كلّ ذلك هو القضاء على هذا الجنون؛ كي نتمكّن من التوضيح لكلّ الناس أننا نلنا منهم عندما سنحت لنا الفرصة، وليس بالحظ. وبعد ذلك، ستنخفض نسبة السطو على المصارف وتقلّ نسبة الضحايا".

ظلّ كارلستروم ممسكاً به؛ تماماً مثل المرّة السابقة.

"هناك أمرٌ آخر".

شعر برونكس بعدم الارتياح مثله أيضاً.

"عندما ننتهي من هذا... أريدك أن تأخذ إجازة. هل تفهم؟".

وشعر بالتحرر تقريباً مما كان يعتبره نوعاً من التقارب.

"بالتأكيد".

"هل تسمعني يا جون؟ لن تتولى أي قضية أخرى، ولا واحدة، بل ستحصل على إجازة من العمل".

"لاحقاً. عندما ننتهي من هذا. لكن، عليّ القيام ببعض الأشياء قبل ذلك. على سبيل المثال، لأوّل مرّة في حياتي أحتاج إلى كتابة إعلان شخصي".

لا يزال هناك بعض الماء في مصفاة آلة إعداد القهوة. لم تجهز القهوة بعد، ولكنها ستكون كذلك قريباً.

كانت أنيللي نائمة، وكذلك سيباستيان. إنهما يستضيفان ولداً بعمر السادسة في البيت لمدة أسبوع، لكن نادراً ما تواجد ليو هنا. فقط لبضع ساعات بين الحين والآخر. كان يعلم أن أنيللي مستاءة وقد خاب أملها، إذ كان من النادر أن يزور ابنها بيته الثاني، ولكنها ستتفهّم الأمر. وكان ليو يعلم ذلك أيضاً.

لكن، سرعان ما سينتهي ذلك.

انساب السائل ببطء أخيراً. سمع صوت غطاء صندوق البريد وهو يُفتح ويُغلق. كانت رنّات معدنية في فجر يوم دافئ وجميل من شهر مايو. ملأ فنجاناً كبيراً من الخزف ووضعه على الطاولة، ثم جلس في المطبخ لأكثر من دقيقة وهو يرتشف قهوته فقط، وينظر إلى صحيفة الصباح، ويقرأ بحرص الإعلانات المبوبة تحت عنوان "شخصي".

أدّت خططه للوصول إلى هذه اللحظة. ما زالت لديه بضع خطوات ليصلَ إلى البوابة وصندوق البريد؛ ليصلَ إلى بداية النهاية. قام اليوم بإرسال الرسالة الأخيرة، وقد كتب فيها التعليمات التي سيتبعها رجال الشرطة للتبادل الفعلي، ثم سينتهي الأمر.

فتح صندوق البريد محدثاً قعقعة. عزم على ألا ينظر مباشرةً؛ إذ سيقوم بذلك إلى طاولة المطبخ، مع أول فنجان قهوة. ليس هذا ما جرى. كانت هذه اللحظات تشبه تماماً ما حدث عندما بدأوا مشوارهم؛ عندما قرّر أن يستلقي هناك لخمس دقائق في غابة تَعُمُّها السكينة بعد الانفجار الذي مزّق الأرضية في مخزن

السلاح. عجز عن كبح جماح نفسه حينئذٍ، ولم يتمكن من القيام بذلك الآن أيضاً.

كل ذلك التخطيط، وكل ما قام به من تحضيرات كان حبيس الجواب الذي يبحث عنه في مكان ما على الصفحة السادسة والثلاثين أو السابعة والثلاثين في الصحيفة التي تغضّنت بين يديه.

قام بفتح الصحيفة عند الوسط، ثم قلّب فيها وتصفّحها.

الصفحة السادسة والثلاثون.

توقف ليو في الحال، وتحوّل فوران غضبه إلى كتلة جليدية من أعلى جمجمته مروراً إلى صدره.

لم يكن ليعود إلى البيت وقهوته على الطاولة لا تزال تغلي، بل سيجلس في السيارة ويقودها كي يبدأ نهاره.

إنه يكره ذلك الشرطي اللعين.

—

جون برونكس... لم يغمض له جفن؛ حتى إنه لم يحاول. ما زال السرير مرتباً، وباب غرفة النوم مقفلاً.

كانت هناك ثلاثة فناجين من القهوة على طاولة مطبخه، ولم يشرب القهوة قطّ. بدت المرارة والظلمة متلاحمتين في ليلة الانتظار.

رنّ الهاتف الموجود بالقرب من الصفحة السابعة والثلاثين من الصحيفة، قرب الإعلانات، لأول مرة. ثم رنّ مجدداً بينما كان يقرأ، ثم رنّ مجدداً.

شخ.ص.ي.

آنا كارين

لا أكترث لك البتة، ولا أريد أن أراك مجدداً.

راقب الهاتف فيما كان يرنّ للمرة الرابعة، ثم الخامسة. ثم توقف الرنين بينما كان برونكس يعدّ الثواني لنفسه؛ مثل طفل يعدّ الثواني بين وميض البرق المتوهج، ودمدمة الرعد.

مضت سبع ثوانٍ ثم رنّ مجدداً.

تركه يرنّ ثلاث رنّات هذه المرة.

"مرحباً... آنا كارين".

"ارتكبت خطأً فادحاً".

إذاً، هكذا يبدو صوته عندما يكون تحت تأثير الضغط؛ لم يكن قوياً ولا ضعيفاً. ولا يزال هناك إخفاء للّهجة واللكنة. إنه صوت يناسب الشخص المقنّع بالأسود الذي رآه عدة مرات.

"هل تعتقد هذا؟".

"أصغِ إليّ الآن أيها سافل..."

"يوجد العديد من الناس حولك هناك في ساحة غولمار... ويمكنني أن أرسل سيارة شرطة مزودة بأجهزة لاسلكية إذا رغبت".

"نحن نتكلم منذ خمس عشرة ثانية، ولدي أكثر من ثلاثين ثانية قبل أن تتمكن من تعقب المكالمة. لكن، أولاً عليك أن تفهم شيئاً واحداً... لقد بدأت

الحرب للتو. لقد وضعت أسلحة الدولة في أيدي المجرمين".

حاول برونكس أن يلتقط أي ضجة مجاورة، ولكن كان الجو المحيط ساكناً تماماً. إمّا لأنه قام بتغطية الهاتف بشيء ما قبل المكالمة، أو ربما لأن حجيرة الهاتف هذه كانت في موقع خالٍ من الزحمة؛ أقلّه في هذه اللحظة.

"أيها الأخ الأكبر، أنتَ تعلم مثلي تماماً أن هذه ليست القضية. أليس كذلك؟ ليست لديك أيّ سوابق في السجلات. لذا، حتى لو كنتم أكثر السارقين خطورة الذين رأيتهم في حياتي، فكيف تفلحون بحق الله؟ لقد نجحتم لأنكم فكّرتم، لذا لن تتصلوا بمجرمين آخرين".

"اخرس وأصغِ إليّ بانتباه يا ابن السافلة! أنا لا أحتاج إلى أي اتصالات ليحوز الآخرون على أسلحتي! فأنا سأطمر فقط بعض الصناديق، وسأرسل رسالة بقلوب حمراء وتعليمات. ربما لاحظت ذلك؛ أربعين سلاحاً أوتوماتيكياً في كلّ صندوق. سأرسل واحداً "للهلز آنجلز"، وواحداً للمافيا اليوغوسلافية، وواحداً لأولئك الأغبياء في الضواحي... وتلك هي غلطتك اللعينة أنت؛ لأنك لم تشترِ ما سرقته أنا".

"اسمع، هل تعلم شيئاً؟ هناك الآن حقيبة سوداء تحتوي على خمسة وعشرين مليون كرونة على منضدتي في مركز الشرطة. إنه مالك الذي كان يُفترض أن أقايضك به؛ هذا إن لم أُقرّر أن أفسِد الأمر، وأعدلَ عن ذلك أصلاً".

ساد الصمت هنيهة، ثم تابع برونكس:

"لأن الشيء الوحيد الذي تجيده فعلاً أيها الأخ الأكبر هو السطو على المصارف، وستقوم بذلك مراراً وتكراراً! هل تسمع هذا آنا كارين؟ ستسطو على المصارف مجدداً يا ابن الساقطة!".

ثم عاد الصوت فجأةً.

"برونكس... جون... أنت تتجاهل تفصيلاً صغيراً. أنت لا تعلم من أنا أو كيف أبدو، ولكنني أعلم من تكون وكيف تبدو".

ثم تحوّل السكوت إلى سكون؛ فقد قطع الأخ الأكبر الاتصال. وعندما وضع برونكس الهاتف على الطاولة، أدرك أنه كان واقفاً طوال المكالمة من دون أن يلاحظ ذلك.

يتعين عليه الآن أن ينتظر خطوة الأخ الأكبر التالية.

—

لا يزال الوقت باكراً. عاد ليو إلى شقته، وأوقف سيارته بحلول الساعة الثامنة. لم يساعده تناول القهوة في أحد المقاهي القليلة المفتوحة، ولا بضع ساعات من القيادة الهائمة عبر الضواحي الجنوبية في محاولة للتهدئة من توتره. فكل ذلك كان من دون جدوى. لم يستطِع أن يرفَعَ عن كاهله هذا الشعور العارم بالفشل الكبير، وأن يتخلّصَ من ذيول الخيبة التي يجرّها وراءه.

خرج من سيارته وسار نحو المرأب. تعاظم شعوره بالسخط المتواصل فقط بسبب صوت ارتداد إحدى الكرات. كان سيباستيان مستيقظاً، ويتظاهر بأنه لاعب كرة محترف. إذ كان يركل الكرة على باب المرأب، ويُعلِّق على كل ضربة يقوم بها بالإنكليزية بطريقة متصنعة.

"مرحباً أبي الإضافيّ، إلى أين تذهب؟".

"لماذا أنت مستيقظ؟".

"هل تريد الانضمام إليّ؟ أحتاج إلى حارس مرمى جيد".

فتح ليو الباب بجانب البوابة.

"اذهب إلى الداخل يا سيباستيان، إلى والدتك".

تمكّن ابن السنوات الست من قذف الكرة بقوة بقدمه اليمنى بشكل غير متوقع، وهز باب المرأب.

"إنها تنام طيلة الوقت، تنام وتنام".

التقط ليو الكرة نصف المنتفخة، وقذفها بعيداً فوق الفناء الإسمنتي الواسع باتجاه المنزل.

"العب هناك".

نظر سيباستيان بخيبة أمل فيما كان يركض وراء الكرة، وذهب الوالد الإضافي إلى المرأب، وأضاء المصابيح، ثم أقفل الباب وراءه.

لا تزال الآلة الكاتبة تحت طاولة العمل. التقطها ووضعها في المكان السابق نفسه، وراح يتحقق من رسائل آنا كارين.

بعد ذلك، كل شيء حصل بسرعة. خطا بسرعة نحو الجدار خلفه؛ نحو شيء مستند إلى الخزانة. رفعه عالياً فوق رأسه ولوّح به، كان مطرقة ثقيلة.

سحَق غطاء الآلة الكاتبة الحديدي الثقيل ومفاتيحها الرفيعة كلما لوّح بالمطرقة، مع صرخات عالية راحت تندفع بعنف من حنجرته.

"ماذا تفعل؟".

فتح الولد الشقي الباب، واسترق النظر إلى الداخل.

"اخرج من هنا!".

قال ذلك بصوت عالٍ.

"الآن!".

حتى إنه لم يتوقف عمّا كان يقوم به، قام بضربة تلو الأخرى فيما أقفل الولد الباب وراءه. وما انفكّ ليو يلوّح بالمطرقة حتى أصبحت الآلة الكاتبة مجرد شظايا من المعدن والبلاستيك، ولا يمكن استخدامها مجدداً! لا يمكن لأيّ شرطي لعين أن يربطها برسائل الابتزاز تلك! جون برونكس اتخذ قراره، ولم يُرِد ليو أكثر من تعقيد حياة هذا الشرطي، واستغفاله مجدداً، والاختفاء من أمام عينيه.

قبل سبعة أشهر، كان المغلّف أبيض اللون بالكامل، ويحتوي على ستّ وثمانين ورقة نقديّة من فئة خمسمئة كرونة. أمّا الآن فأصبح قاتماً من الوسط من جراء فتحه إياه وإغلاقه، بقيت أربع ورقات نقدية من فئة خمسمئة كرونة، أي ما يعادل ألفَي كرونة. وعلى الجهة الخلفية كتب مركز سولبو، بخطٍّ تصعب قراءته، وكتب تحتها كلمة تومبا. بعد عدة سنوات من الصمت، عاد ليو إلى منزله، ووقف قرب الباب، ولوّح بمغلّف سميك. وحالما صعد ليو إلى سيارة الشركة اللماعة وقادها مبتعداً، أسرع إيـﭭان إلى الداخل وبحث عن قلم تحت بعض تذاكر الكينو، وكتب بسرعة ما يحتاج إلى تذكره. لقد أنهيت للتو مشروعاً كبيراً للبناء في تومبا، مركز "سولبو". إنه بمساحة سبعة آلاف قدم مربعة. ملكية تجارية، وقد درّ هذا المشروع مالاً وفيراً. عرف ذلك حينئذٍ. ثلاثة وأربعون ألفاً سُلِّمَت إليه وكأنها أوراق من لعبة "المونوبولي"، وادّعى ليو أنها حصيلة عملٍ مجزٍ في البناء... تلك هي الآلاف الخمسة والثلاثون التي أعتقد أنّني مدين لك بها، بالإضافة إلى خمسة آلاف كفائدة، ثم حصلت على ثلاثة آلاف إضافية... واحد لكلّ دعامة. قام بموازنة المغلّف فوق كأس من الشراب على الطاولة البلاستيكية الصفراء- تماماً كالكرسي الذي كان يجلس عليه- بينما الحرارة تتدفق من الفرن الواسع، بعد أن انتفخت عجينة البيتزا التي وُضعَت وهي غير مخبوزة. ثم بعد سبع دقائق، جرفت إلى الخارج قشرة العجينة محروقة الجوانب، والمغطاة بالجبن الذائب الملتهب.

تجرّع المزيد من الشراب من كأسه، ولكن ليس كمية كبيرة. إذ يجدر به أن يكون صاحياً عندما يغادر هذا المكان.

أدار رأسه إلى النافذة. كان الشارع في الخارج مزدحماً في الصيف الدافئ. كان محاطاً بالحرارة التي غمرته من خلفه ومن أمامه.

ثلاثة وأربعون، وانتابه شعور بعدم الارتياح.

اتصل به مرّتين، وحاول أن يتكلم معه. حاول أن يسأل ولده إن كان متورطاً بشيءٍ لا يجدر به فعله، ولكن من دون أن يتمكن من الحصول على أي أجوبة. لذا، حتى الآن، كان هناك احتمال بأنه مخطئ... إلى أن أنهى الرجل السمين ذو المزاج الحادّ احتساء شرابه؛ ذاك الرجل الذي حمله على التفكير بالمثلجات الذائبة، فنهض عن الكرسي البلاستيكي الأصفر قُبالته، وغادر مطعم البيتزا. كان ذلك مديرَ مشاريع البناء الذي يدعى كابي، والذي اكتشف إيڤان– بعد عدة اتصالات هاتفية– أنه المقاول الذي كان وراء الوظيفة التي كتب عنها على المغلّف؛ أي مشاريع بناء مركز سولبو الذي كان أشبه بصندوق معدني لعين، أزرق اللون يحتوي على المتاجر. قدّم نفسه كنجار لديه عمله الخاص، وقال إنه استلم عرضاً للعمل مع متعهد بناء يدعى ليو دوڤنجاك، لذا كان يبحث عن مرجع.

بدأت المحادثة على نحو سليم.

أكد كبير العمال سريع الغضب بصياحه الحاد أنه قام بالفعل بتوظيف شركة ليو كمقاول فرعيّ– قد تكون رواية ليو صحيحة– وقد يكون المال في المغلّف لقاء عمله في البناء، ولعلّ استنتاجاته الخاصة تنبع من مخيلته.

ولكنها لم تكن كذلك.

كان قد تجرّع نصف كأس الشراب عندما انحنى كبير العمال إلى الأمام وأسداه نصيحة. كن محترساً عندما يعلنون رسمياً عن مزايدة أو مناقصة... سأكون صادقاً معك. لن يناسبك العمل معه. فهو يقوم بحرق الأسعار. بالنسبة لي هو يناسبني لأنني أشتري منه، ولكن بالنسبة لك، إن كنت ستعمل معه في البناء... هم يساهمون بالمناقصة بأسعار متدنية جداً إلى حدّ يجعلني غير قادر على فهم كيفية تمكنهم من الاستمرار. والآن، لقد عرف. لقد أُثبتت شكوكه. قام كبير العمال

كابي، ومن دون أن يدرك، بتأكيد ما ساور إيڤان من شكوك لفترة طويلة- وهي أنه تعرّف على السارق المقنّع الذي ظهر على شاشة التلفاز- وكان ولده الأكبر.

كان هناك في الجانب الآخر من الطريق العام، بيت صغير مع مرأب كبير.

ذاك هو الذي أشار إليه مدير مشاريع البناء.

ليو يعيش هنا. إنه قريبٌ جدّاً.

أنهى إيڤان شرابه، ووضع ورقة خمسين كرونة على الطاولة. ستجري الأمور كما اعتقد خلال تلك الليالي الطويلة التي قضّت مضجعه. فهو وليو يفهمان بعضهما بشكل جيد، الوالد وابنه في شركة صغيرة قد تنمو تدريجياً. ثم سيحلّ مشاكله مع فيليكس ويتعرّف إلى ڤينسنت الذي كان بالكاد يعرفه. سيجلسون ويتسامرون مع بعضهم في الأمسيات.

كانوا هم الأربعة يعملون معاً ويديرون عمل العائلة. كانوا عصابة.

بدأ بالسير عبر الطريق العام نحو منزل صغير وغريب محاط بسياج وأسلاك شائكة لولبية من الأعلى؛ كان أشبه بحصن منه بمنزل.

أولاً، قاموا بخطف سيارة مصفحة، ثم بالسطو على عدة مصارف. فكّر ملياً بالسرقة الأخيرة؛ السطو الثلاثي. كان سطواً عنيفاً، واستخدم فيه مدفع رشاش ثُبّت على سطح سيارة، وفي بلدة صغيرة خضعت بأكملها للمراقبة في حين كانت الشرطة على مسافة آمنة.

تحسّس بيده جيب صدره فلم يشعر بشيء. هل نسيَ المغلّف في مطعم البيتزا؟ ثم تحسّس جيبه مجدداً. الآن شعر به، كان هناك. كانت هناك ورقة رقيقة حول النقود بالقرب من صدره، ذكّرته باستمرار بآخر مرة رأى فيها ولده الأكبر. كانت هنا قرب قلبه؛ كالعادة شهراً بعد شهر.

لم يشعر به.

كان قلقاً ومتوتراً ولم يعرف السبب. غير أنه أيقن الأمر.

كان قلقاً من لقاء ليو، هو الذي لم يكن يخشى رؤية أحدٍ مطلقاً.

سار على الطريق العام المزدحم، واتجه نحو طريق فرعي، ثم استدار حول فيلا فخمة. كان الجوّ شديد الحرّ. وتسلّل العرق بين كتفيه واستقر هناك، مبللاً قماش قميصه. وبصعوبة، عبرَ من خلال فتحة في السياج ذكرته ببوابة السجن الصغيرة، ثم وصل إلى فناء فارغ يكاد يكون بأكمله مغطى بالأسفلت. وقف قرب مرأب كبير بالقرب من منزل صغير كان قد رآه من مطعم البيتزا.

سار إلى الداخل. قام أحدهم بعمل سيئ هنا؛ إذ لم يكن الأسفلت مستوياً، وسبّب جلبة تحت حذائه.

كان ماراً بالقرب من المرأب في طريقه إلى البيت عندما رأى الباب مفتوحاً. وكان أحدهم يقف داخله أمام خلّاط الإسمنت. ثم لاحظ ظهر أحدهم، كان قد رآه مرتدياً سترة سوداء وهو في غرفة الجلوس أمام التلفاز.

"ليو".

أمعن النظر داخل المرأب المظلم؛ حتى توقّف الخلّاط الإسمنتي واستدار ظهر ذاك الشخص الذي يقف هناك.

لقد التقيا مرّة واحدة فقط خلال أربع سنوات ونصف السنة. لم يكن اللقاء هنا. ومع ذلك، لم يبدُ ولده متفاجئاً؛ وكأنه كان يتوقع مجيئه.

"مرحباً، بابا".

"يجب أن نتكلم يا ليو".

بدا ولده أكبر سناً مما بدا عليه في المرة الأخيرة؛ بالرغم من مرور أقل من سنة.

لكنه منذ ذلك الحين قام بتسع سرقات فائقة الخطورة.

"بالتأكيد، سنتكلّم".

"هل يمكنني أن أدخل؟".

وأومأ إيڤان نحو المنزل الذي لم يزره يوماً، فيما ضغط ليو زراً على الحائط، فبدأ باب المرأب بالانزلاق إلى الأسفل. خطا خطوة سريعة إلى الداخل فيما أُقفل باب المرأب خلفه.

"هل هذا جيد؟".

تحسّس المغلّف، إنه لا يزال في مكانه.

"ليو".

"ماذا؟".

"أنت وأنا ننتمي إلى بعضنا بعضاً".

ربّت إيڤان على جيب قميصه، كان ذلك إيقاعاً تمكن هو فقط من سماعه.

"لأنه لا توجد أسرار بيننا".

كان بانتظار ردة فعل لم تصله، لذا استمر بالكلام.

"أنت تفهم... أنا أعلم أنه أنت".

"تعلم... ماذا؟".

"أنتَ وأخواك".

"ماذا تعلم عنّي وعن أخوَيّ؟".

كان من الصعب التعبير عن ذلك بالكلمات. لم يتخيّل قطّ حدوث ذلك؛ أي أن يتعرض لموقف صعب كهذا؛ أن يضطر إلى إبلاغ أحدهم بما يفكّر فيه ويعرفه. فمن الصعب أن ينظر إلى ولده وينطق بهذا؛ أن يعبّر عما يجول في ذهنه من دون تردّد وحسب، ثم ينتظر ردّة فعله.

"أعرف أنكم من يتقفّى رجال الشرطة أثرهم... أنتم العصبة المسلحة".

لم يتلقَّ أيّ ردّة فعل؛ إذ كان وجه ليو خالياً من التعبير.

"لا يهمّ ما إذا كنت مرتدياً قناعاً أم لا، فأنا أستطيع أن أرى من خلاله مباشرةً، ومن خلالك. أستطيع أن أميّز حركاتك يا ليو، لأنني والدك".

"أنت لا تعلم أيّ شيء عنّي، حتى إنّك لا تعلم أي شيء عن أخوَيّ على الأقل".

"أتعتقد أنك تستطيع خداعي؟! يمكنك أن تخدع رجال الشرطة... ولكن ليس أنا!".

ظلّت تعابير الوجه نفسها؛ ذلك الوجه الخالي من أي انفعال.

"بابا، إذا كنت تعتقد أننا من فعل ذلك؛ أنا وفيليكس وڤينسنت... إذا كنت تعتقد ذلك، فاذهب وبلّغ عنا".

ثم بدا وكأنّ غضبه الجامح- الذي لم يفهمه- قد خمد.

"ماذا؟".

حتى إنه لم يعد يحتاج إلى وضع يده على صدره بعد الآن.

"اذهب إلى الشرطة يا أبي، وسلّمنا لهم. أخبرهم أنك تعتقد أن أولادك هم العصبة المسلحة".

كان هناك صندوق خشبي منزلي الصنع على الطاولة، وكان كبيراً مثل صندوق الموز. التقط ليو دلواً بلاستيكياً وأفرغ محتوياته في القالب. رأى إيڤان شيئاً يشبه أُسطوانة سوداء، ثم أذرعاً معدنية طويلة توجد حروف في آخرها، ولاحظ بوضوح الحرف "آ" على إحداها.

كانت أجزاء من آلة كاتبة.

"افعل الشيء نفسه؛ بلّغ عني... كما ادّعيت أنني بلّغت عنك في ذلك الحين".

أطلقت عجلات خلّاط الإسمنت الصغيرة صوتاً كالصرير. قام ليو بسحب الخلّاط نحو الطاولة، وإفراغ ما فيه في القالب الخشبي، حتى أخفت المادة اللزجة الرمادية كلّياً أجزاء كانت يوماً مجموعة واحدة.

"نحن ننتمي إلى بعضنا؛ هذا ما قلته. قلت إننا لا نخفي أي أسرار على بعضنا؛ تماماً مثلما شرحت لي بالضبط كم من الوقود يجب أن يُسكب في القارورة. أليس كذلك بابا؟".

ضغط ليو على زرّ في الحائط، فارتفع باب المرأب وغادر ليو، ثم انزلق الباب مجدّداً إلى الأسفل خلف ظهر إيڤان المتعرّق للمرة الثانية.

"لن أذهب إلى الشرطة أبداً، وأنت تعلم هذا".

بدأ ليو بالتوجه نحو المنزل، وأسرع إيڤان خلفه للّحاق به.

"ليو".

سار إلى الأمام على نحو مستقيم.

" ليو، أصغِ إليّ يا ليو".

ظلّ ليو متجهاً إلى الأمام.

"لا تفعل هذا مجدداً".

حتى إنه لم ينظر إلى الرجل الذي يتكلم قربه.

"إذا كنت بحاجة إلى مساعدتي يا ليو فأعلمني بالأمر. يمكننا أن نعمل معاً، أن نبني معاً مجدداً. سنرمي الماضي خلفنا ونبدأ من جديد".

فجأة، توقّف ليو ونظر إلى والده.

"هل ستساعدني؟".

ثم خطا فوق الشرفة، وفتح الباب للدخول إلى المنزل الحجري الصغير من دون الالتفات حوله.

"لقد عرفت كيف تصل إلى هنا، لذا يمكنك أن تعود مجدداً من حيث أتيت".

آنئذٍ

القسم الثالث

إنها مستلقية إلى جانبه. رائحة شعره تتناغم مع أنفاسه الهادئة. راحت تتأمل الجسد العاري كيفما تحرّك، أو تقلّب. يداها على خده تداعبانه، وراحت تقبلّه.

كان خد ڤينسنت ما زال أملس وناعماً؛ بالرغم من تعرض جلده للريح والبرد والشمس لمدة ثلاث سنوات فقط.

في البداية، استلقت على سرير فيليكس الخالي. إنه ولدها الذي صرخ عندما رفع والده يده، ثم قام مراراً بقرع باب الحمام المقفل وضربه بعنف كي يسمعوه، ثم تسلل ماراً بباب غرفة نومها ليهرب في الظلام.

ثم استلقت على سرير ليو الخالي، ولدها الذي كان يبلغ من العمر عشر سنوات، ولكن على غفلة منها أصبح بالغاً. كنت متأكدة، عندما هرب إلى الظلام نفسه، كنت أعرف أين هو.

كان سرير ڤينسنت يمنحها نوعاً من السكينة. لم تخلد إلى النوم، فقد كانت عاجزة عن ذلك، لكن نبضات قلبها بطيئة.

كانت مستلقية هناك وأنفها يدغدغ شعره الناعم عندما فُتح الباب الأمامي.

إنهما ولداها.

ثم كالمعتاد، انتابها ذلك الشعور؛ عندما يعود أحدٌ جازفت بفقدانه. كانت تطير من شدة الفرحة، وكانت تغنّي وتضحك. لم تفعل هذا حقّاً، ولكنّ هذا ما شعرت به.

ابتعدت عن رأس ڤينسنت بلطف، وتدحرج جسمها عن السرير بحركات صغيرة، ثم أغلقت الباب، وتفقّدت الباب التالي للغرفة المستقلة حيث يستمر الشخير المتقطع. حضر ليو وفيليكس، ولداها الحبيبان. حضنتهما بشدة في البهو الضيق، وبلّل فم فيليكس أذنيها فيما كان يضمها هامساً:

"أعلم أنك تخططين للهرب".

سمع ليو ذلك؛ تماماً كما سمعت هي، ولم يهمس.

"وأعلم أنك لن تقومي بذلك، أليس كذلك ماما؟".

كانت حريصة على ضمهما معاً، في وقت واحد.

"كل شيء سيكون على ما يرام".

"لكن... أعلم أنك تكلمت مع جدتي، سمعتُكِ. متى ماما؟ متى سترحلين؟".

نظرت إليهما، نظرت إلى عيونهما التي تشبه عينيها.

"ستذهب إلى المدرسة".

"متى؟".

أمسكت به وحضنته مجدداً.

"لا أزال هنا يا فيليكس، أليس كذلك؟ اذهب الآن واغتسل، وسأقوم بتحضير الفطور. يجدر بك أن تذهب بسرعة".

كان الفطور عبارة عن شطائر من الخبز الأبيض مع شريحتين من الجبن، ونكهة الإجاص على كل منها.

لم يملك ليو الوقت كي يتكلم عن الجدار الواقي، والقمر المكتمل، والأخ الصغير الذي تدلت قدماه فوق السفح، والذي لم يرغب بالعودة إلى المنزل، والذي تساءل عمّا إذا كان عليهما أن يخبرا والدهما برغبة والدتهما بالرحيل.

كانا في طريقهما إلى الأسفل داخل المصعد عندما فتحت الخزانة في البهو. في الداخل، كانت هناك حقيبة جلدية بنية اللون، نصفها مليء بالجوارب والثياب الداخلية والسراويل والفساتين والقمصان؛ منذ آخر مرة قررت فيها الرحيل ولكنها لم ترحل- بين يديها قطع من حياتها- ثم واصلت سيرها نحو غرفة ڤينسنت، وملأت النصف الآخر بثيابه. حصل هذا عندما سمعت المياه تجري في المطبخ، وتأكدت من وجوده هناك، فراوحت مكانها.

راوحت مكانها تنتظر، وتسترق السمع إلى صوت صلصلة كوب يوضع في الحوض، انتظرت ريثما يقفل راجعاً إلى غرفة نومه وتسمع صرير مفصّلات باب يُفتح ويُغلق.

لم يعد هناك، لا في البهو ولا في المطبخ. تسللت وحقيبتها بيدها لتضعها قرب رف الأحذية، وعادت إلى غرفة ڤينسنت ورفعت جسده النائم ثم غادرت الغرفة بهدوء.

وضعت يدها في جيب سترتها لتتفقد مفاتيح السيارة. لم تكن معها... إنها هناك، على طاولة المطبخ.

كان ڤينسنت بين ذراعيها. أسرعت وأحدثت جلبة بحذائها، كانت المفاتيح بالقرب من المنفضة، فالتقطتها واستدارت.

"ما هذه؟".

كان إيڤان واقفاً عند الباب وفي يده حقيبة بنية اللون.

"ماذا أحمل بحق الله؟".

همس بذلك فيما كان يقلب الحقيبة رأساً على عقب، مُفرغاً محتوياتها. وكان هناك قميص داخلي فوق كدسة من الملابس على العتبة بين البهو والمطبخ. انحنى إلى الأسفل، والتقطه بين إصبعيه. رفعه وكأنه شيء قذر، ثم رماه خلفه من دون حتى أن ينظر إلى ما كان تحته.

"إلى أين تعتقدين أنك ذاهبة مع ولدي؟ خُذيه إلى غرفته، وضعيه على سريره من دون إيقاظه. الآن، هل تفهمين ما أقوله يا بريت ماري؟".

وقف عند العتبة وهو لا يزال يهمس، وكان جسمه الضخم يسدّ مدخل الباب، فسارت نحوه. تحرك جانباً قليلاً، فشقت طريقها نحو غرفة نوم ڤينسنت وسريره، ولفّت الغطاء حول ذراعيه وساقيه التي تحركت بقلق، ثم أعادت تسوية وسادته.

ركعت على الأرض، والتقطت زوجاً من الثياب الداخلية وفستاناً أخضر مقلماً باللون الأصفر عند الكمين. كانت هذه الأشياء آخر ما وضعته في الحقيبة الجلدية، وأحكمت الإمساك بها فيما كانت تسير نحو الباب الأمامي.

"إلى أين تذهبين؟".

أسرع خلفها، وتجاوزها ثم استدار نحوها، ووقف على سجادة البهو بين الباب وأحد يحاول فتحه.

"يا عزيزتي".

مدّ ذراعيه ليعانقها عناقاً آسراً ومدمراً.

"سنعود إلى المطبخ، إلى طاولتنا، لنجلس على كرسيينا اللذين قمنا

بشرائهما معاً".

ثم شعرت بالتمزق من الداخل.

"سنتكلم قليلاً وحسب".

"ليس هناك ما نتكلم عنه".

"بالطبع يجدر بنا أن نتكلم، أنا وأنتِ بريت ماري".

"ألا تسمعني يا إيڤان؟ ألا تعي ما أقوله؟ لم يعد هناك ما نتكلم عنه بعد الآن".

رفع يده كما فعل في الليلة الماضية ولوّح بها أمام وجهها.

"بعد الآن!".

ثم اقترب منها أكثر.

"لدينا ثلاثة أولاد، أليس كذلك؟ ثلاثة أولاد رائعون! ولدي وظيفة جيدة، ولديك وظيفة جيدة. ونحن... بريت ماري، لدينا كل هذا، نحن نعيش... هنا".

داعبت راحة يده القاسية خدها الآن.

"ألا تَعينَ ما أقوله يا بريت ماري؟ حبيبتي، من المهم لي ولنا أن يتمكن أولادنا من الدفاع عن أنفسهم".

وداعب خدها بقفا يده، إنه أكثر نعومة.

"ما الذي تريدينه حقاً؟ لا أفهم يا حبيبتي! ماذا تريدين مني أن أفعل؟ ما الذي قد تغيّرينه؟".

وقام برفع خصلات شعرها التي انسدلت فوق جبينها بطريقة جميلة، لامسها هذه المرة بطريقة أفضل.

"لماذا تريدين أن... تدمّري كل هذا؟".

"لست أنا من أدمّره يا إيڤان".

دفع شعرها الطويل وراء أذنيها، وثبته هناك. إذ يعجبه عندما تظهر شحمتا أذنيها بالكامل.

"لعلّي قد تجاوزت حدودي قليلاً البارحة. لكنك تفهمين السبب، أليس كذلك؟ أنت تعلمين حقيقة الموضوع. أنا أحبّ أولادنا، أحبّ ليو. أحبّ... أولادنا".

تغيّر صوته، وأصبح الهمس أشبه بالهمهمة.

"لقد كنت مغتاظاً! فقد وقف والد هانسي خارج باب منزلنا و... وقام بسرد طلباته، وقال إنه يجدر بنا أن نعتذر! عزيزتي، أنتِ بالتأكيد تفهمين السبب الذي جعل هذا الأمر مزعجاً لي".

داعب خدّيها، ورتب شعر جبينها وراء أذنيها، ثم انزلقت إصبعه إلى شفتيها.

"في المرّة القادمة، سأكون هادئاً، وسأُسيطر على نفسي، أعدك بذلك".

نظرت إليه.

"أنا..."

ثم تمسّكت بحقيبتها الجلدية البنية أكثر.

"... ذاهبة الآن".

"ماذا تعنين... بقولك ذاهبة؟".

فتحت قفل الباب الأمامي.

"ما الذي سيؤول إليه الأمر لاحقاً؟ إذا ذهبت، فما الذي سيحلّ بعائلتي؟ بأبنائي؟".

"لقد تأخّرت في إدراك هذا".

"يا عزيزتي، أنا..."

"إنني راحلة الآن يا إيڤان، عليك أن تتفهم هذا".

والآن، بعد أن داعبت اليد وهمس الصوت، تغيّر كل شيء. أمسك بذراعها، وسحبها بعيداً عن مقبض الباب، وأطلق كلماته الحادّة كالسوط.

"أتعتقدين أنه يمكنك المغادرة؟ هل تعتقدين ذلك حقاً؟ وما الذي تأخذينه معك بحق الله؟ لا شيء! ليس من هنا! لن تأخذي أي شيء معك!".

وسحبها من يدها ودفعها إلى ممر البهو، ممسكاً بها بإحدى يديه، ومقلّباً جيوب سترتها بالأخرى.

"هذا اللعين، تباً له".

أخرج مفاتيح السيارة التي لمعت أمامها.

"لن تأخذي أيّ سيارة. هل تفهمين؟ ليس من هنا؛ لأنك لا تملكين أي شيء. لا شيء!".

ثم أفرغ جيبها الآخر ومحفظتها من كل النقود والفكة.

"لا شيء! إنه ليس مالك!".

"لي نصفه".

"أنت لا تملكين أيّاً من هذا!".

"من حقّي نصف السيارة ونصف المال".

إن أوّل ما كان الزوار القليلون الذين أتوا إلى منزلهما يلاحظونه هو انقسام الردهة بينها وبينه. كانت هناك مرآة كبيرة ذات إطار من خشب الصنوبر معلقة على جدارها، بالإضافة إلى لوحة لصغار الهررة في سلة مجدولة، ولوحتين صنعهما لها فيليكس. هاتان اللوحتان، أو الرسمان بدوَا رائعين وكأنهما لوحتان؛ ولا سيما بعد أن وضعتهما في إطارين.

كانت حصّته من البهو- الجدار الآخر- بمثابة رفوف طويلة مليئة بالعدة، العدة القديمة؛ مطارق ذات رؤوس خشبية، وطائرات، ومجزّات، وزوج من المناشير ذوَي مقبضين لامعين، وسيف معلق في الوسط لم يُعتبر من بين الأدوات، ولكنه كان سيفاً تاريخياً، لذا حصل على موقع مشرّف.

أفلتها إيڤان فهمدت قليلاً، ثم ركض إلى جداره هو، وأخذ سيفه الخاص. كانت يده حول المقبض الذهبي ذي الحافة القاسية، ثم سحب السيف ذا الشفرة الحادّة من غمده المخملي الأزرق.

"هل قلت النصف؟!".

لمعت شفرة السيف كما لمعت مفاتيحها من قبل، ثم دفعه إلى الأمام والأعلى والأسفل، ثم إلى الأعلى مجدداً.

"هل قلت النصف؟".

ولوّح بسيفه باتجاه اللوحة التي تُظهر سلّة صغار الهررة المعلقة على جدارها ثم غرزه، فسقط زوجان من القفازات وقبعة على قدميها.

"دعنا نقوم بهذا. إذا كنت ستغادرين... فسنتقاسم كل شيء".

ثم ركض مجدداً، وأمسك بالسيف أمامه، وأسرع إلى البهو في الأسفل عاري القدمين ومارّاً بغرفتهما، ثم اتجه نحو غرفة ڤينسنت.

"النصف".

لم تفهم بعد، ولكنها علمت أن هناك خطباً ما، فركضت خلفه لتعيده إلى رشده.

"اقتسام كل شيء".

وسحب الغطاء عن ڤينسنت ورماه على الأرض، فرأى جسداً عارياً يبلغ صاحبه من العمر ثلاث سنوات يستدير على جنبه ويلتف قليلاً، تثاءب الطفل وحكّ خدّه وأنفه.

"كل شيء".

كان السيف المعقوف اللامع فوق طفل يبلغ من العمر ثلاث سنوات، فوق ڤينسنت.

"غادري يا بريت ماري، وستدفعينني إلى شطر كل شيء".

استطاعت أن تشعر بأنفاسه وتميّزها. إنه رجل غريب الأطوار، يصبّ جام غضبه المليء بالخوف والعدائية.

"جزء لك وجزء لي".

"أنت تهمس".

"سنتقاسم كل شيء يا بريت ماري؛ تماماً كما تريدين، كما تختارين".

"أنت تهمس يا إيڤان".

كان يتصبب عرقاً ويرتجف، واستقرت حافة السيف على الجلد العاري.

"لماذا تقوم بهذا يا إيڤان... الهمس؟".

أنت تهمس لأنك لا تريد أن توقظه. إذا كنت حقاً تريد أن تقطعه إلى جزءين، فلم تهمس؟

"أنت هو الشخص الذي أسرع إلى الأسفل حافي القدمين عندما رأيت ذلك السكين يا إيڤان، كنت خائفاً من فقداننا أحد أولادنا".

لم تعد تنظر إلى ڤينسنت الذي تثاءب واستدار إلى جانبه الآخر، بل صارت تنظر إلى من هو أصغر من ابنها.

"لا، يا إيڤان... لن تفعل هذا. لأنني أعلم أنك تحبّه".

كانت تراه أصغر بكثير حينما كان يتصبب عرقاً ويستشيط غيظاً، فاقداً رباطة جأشه. لم تنظر إليه فيما كانت تغادر الغرف والشقة والمبنى. لم تعد تستطيع أن تسمعه فيما كان ينهار على الأرض ببطء وقد سقط السيف المعقوف من يده، وفيما كان يبكي على غرار شخص لم يبكِ من قبل.

كان فناء المدرسة مهجوراً، أقلّه الجزء الذي ينتمي إليه. تقع الصفوف الدنيا والوسطى على قمة التلة، في موقع أطلّ على مشهد ممتاز.

جلس ليو بالقرب من جدار الصف الرابع القرميدي، على أحد المقاعد الخشبية الطويلة. كانت في فمه عدة حبوب سكرية المذاق، علقت الحبوب الرخوة في أضراسه. بحث في الكيس عن حبة صفراء اللون؛ من النوع الذي يبدأ بطعم الحامض، ثم يتحول ليصبح حلو المذاق ثم حامض، ويصلح للمضغ لمدة طويلة.

كان ينظر حوله بالطريقة نفسها التي اتّبعها في الأسابيع القليلة الماضية، على غرار الهندي على قمة الجبل الذي ينظر إلى أسفل الوادي. تأمّل فناء المدرسة المتوسطة حيث توجد سارية العلم، ومنطقة يسمح فيها بالتدخين. بدت كما كانت تبدو عادةً.

جماعة من التلاميذ من دون أي معاطف؛ بالرغم من رياح شهر مارس القارسة. كان هناك طلاب من الصف السابع؛ ثلاث بنات وثلاثة صبيان. لم يكن يعرف أيّاً منهم. استطاع أن يميزهم، ولكنه لا يعرف أحداً منهم. ولكن لا بأس. أمّا الاثنان اللذان يبحث عنهما فعلاً فلم يقفا هناك منذ فترة.

كانا هانسي وكيكونن.

يعلم ليو الآن أن لدى هانسي والداً بطول والده، ولكنه كان نحيفاً وهزيلاً أكثر، وحركاته أقل رصانة.

تساءل عمّا إذا كان والد هانسي لا يزال يرتجف غضباً. ارتجف والده من الداخل، وعندما وصل والد هانسي توقف ارتجافه، ثم واجه والد هانسي ونقل إليه

ذلك الارتجاف، وتركه بهذا الحال. هذا ما يجدر بك فعله. إذا ارتجفت غضباً، فانقل ارتجافك هذا إلى شخص آخر.

بدأ رنين الجرس البشع والمزعج الذي لا يتوقف.

نفض غبار أحجار القرميد عن معطفه. حتى لو سار مسرعاً، فسيصل بصعوبة.

"فيليكس".

يكاد باب الصفوف الأولى يُفتح، وأخوه الأصغر يركض من دون أن ينظر أو يسمع.

"فيليكس، انتظر!".

تلاقت عيونهما للحظة، واستمرّ فيليكس بالركض، ولكن ليس بقدر سرعة ليو الذي تمكّن من اللّحاق به قبل الوقت الذي توقف فيه عند آخر مرأب السيارات.

"إنها لا تزال هنا".

سار إلى سيارة والده الدودج البيضاء، وانتزع حقيبته الرياضية وقفز. استرق النظر من خلال النافذة التي تقع إلى جانب السائق، ثم قفز مجدداً.

"لو غادرت لاستقلّتها، أليس كذلك؟".

نظر الآن إلى أخيه الأكبر للمرة الأولى؛ فالآن لديه الوقت للقيام بذلك، وانتظر الإيماءة التي تعني: أنتَ محق، كان عليها أن تستقل السيارة.

"يمكنك أن تختار ما تشاء".

كان هناك كيس مليء بالحلوى القاسية، وحبوب السكر الصمغية، وحلوى ذات طعم حامض؛ مثل توت العليق، وأخرى تبدو كالجرذان، وحلوى الخطمي. حمله له ليو، ولكنه لم يومئ.

ركل فيليكس الحقيبة الرياضية وبدأ بالركض مجدداً عبر شجيرات الشوك، ثم إلى الرصيف، ومن ثم إلى المصعد، ولحق به ليو عند باب المصعد؛ تماماً في اللحظة التي أوشك فيها باب المصعد على الانغلاق.

"خذ واحدة، أي واحدة تريدها. اشتريتها بالخمسين كرونة التي أعطاني إياها بابا بعد أن لكمته على أنفه".

ابتسم ليو فيما كان يتظاهر بلكم أنف فيليكس، ثم ناوله الكيس.

"فيليكس".

كان هناك كيس مليء بالحلويات، ولم ينظر إليه فيليكس.

"كما تشاء".

خرجا من المصعد ودخلا الشقّة. وقف فيليكس أمام رَفِّ القبعات، مثلما فعل قرب السيارة قبل قليل، ونظر وقفز ثم قفز مجدداً. حذاء أمّه الأسود ليس هنا، ولم يَجِد معطفها، وقفازيها، ولا حتى الوشاح الرقيق الذي اشترته عندما ذهبوا إلى آلاند، والذي تربطه حول رأسها.

"ماما".

كان المطبخ مليئاً بالأطباق القذرة وعلب السكر المفتوحة والقوارير الفارغة على الموقد. ولم تكن الأسِرّة مرتبة في غرفة النوم، والستائر لا تزال مسدلة إلى الأسفل.

"ماما!".

كان في غرفة ورشة العمل مصباح معلق من السقف، وكانت غرفة فيليكس وليو كما هي عادة.

"ماما!".

أما في غرفة ڤينسنت، فكان ڤينسنت ووالده جالسين على السجادة، ومحاطين بالجنود وأكوام من لعبة الليغو، وكانا يبنيان شيئاً. كانت في يد الوالد سيجارة، وباليد الأخرى كان يعطي ابنه قطعة بعد أخرى، فيقوم هذا الأخير بتكديسها فوق بعضها في خط طويل على قاعدة مربعة.

"يا أولاد؟".

شقّت ذراع الوالد الطويلة طريقها وسط دخان سيجارته الكثيف، وباعدت بعض المكعبات الصغيرة لخلق مساحة للهواء المنعش الذي سرعان ما تحول إلى ضباب.

"أيها الولدان، تعاليا واجلسا هنا قربي".

"أين ماما؟".

"اجلس".

"أريد أن أعرف".

"عندما تجلس يا فيليكس".

ورفع ذراعه الأخرى وأسقط ما لم تسقطه ألعاب رجال الجيش، وقطعة من البيت على قاعدة الليغو.

"هي ليست هنا".

"أين هي؟".

"لم تعد تعيش في البيت".

"أين هي بابا؟".

"لا أعلم".

"أين ماما؟".

"إنها مختبئة".

ووضع ذراعيه حولهما. كان ساعداه مليئين بعضلات كبيرة. وضع ذراعاً حول رقبة كل منهما. كان يقوم بذلك فقط عندما يحتسي الشراب.

"لا أعلم أين هي. أين تعتقد أنها مختبئة؟ هل قالت لك أيّ شيء قبل أن تذهب إلى المدرسة؟ هل فعلت؟".

أدار فيليكس رأسه بعيداً، وكانت عيناه تحدّقان بالسجادة تحت قدميه.

"فيليكس، هل تعلم شيئاً؟".

صرخ فيليكس منكراً، وطرق على باب الحمام وأراد أن يدخل إلى هناك.

"لا يمكنك أن تكذب عليّ يا فيليكس. أنتَ تعلم هذا، أليس كذلك؟ لا يجديك الكذب على والدك نفعاً، وأستطيع أن أرى ذلك. أنتَ تعلم".

بدأ فيليكس يذرف الدموع.

"لا تبكِ الآن يا فيليكس، ليس الآن".

ازداد الوضع سوءاً.

"فيليكس، انظر إليّ. لقد خدعتني. والدتك خدعتني!".

"هي تركتنا، هل تفهم؟ لذا، نحن لن نبكي؛ فهي التي يجب أن تبكي. والآن، أخبرني عن مكانها، وسنقوم بإحضارها إلى البيت. أنتَ وأنا وليو وڤينسنت معاً".

"هي..."

لم يكن ليو مستعداً. لذا، تفاجأ أكثر منهما، ولم يدرك أنه تكلّم.

"... ذهبت إلى..."

لكن، عندما جلس فيليكس هكذا.

"... منزل جدتي".

ونظر إلى الأسفل. لم يعد يحتمل أكثر.

"إلى منزل جدّي وجدّتي".

كانت السيارة تتوقّف ثمّ تسير، ثم تتوقّف مجدداً.

كانت قدم أبي على دوّاسة المكابح، ثم على دوّاسة الوقود، ثم على دوّاسة المكابح مجدداً، فيما كان يصيح عالياً وكأنه ينبح على المكابح التي كانت صغيرة جداً. وكان مقبض السرعة الزلق يعلق وينزلق؛ مما أفقده رشده، وأدّى إلى قيامه بحركات مشوّشة وغير متناسقة؛ كما حصل عندما جلس على المقعد الأمامي وبدأ بالقيادة من دون إحضار ڤينسنت الذي وقف وحيداً في مرأب السيارات، وعلى غرار ما كان عليه من تشوّش عندما أدرك بعد لحظة سبب صراخ ولديه الآخرين: توقّف بابا، ثم استمر بالقيادة بسرعة عالية. عندئذٍ، لم يتفوّه أحدٌ بكلمة واحدة؛ لأن التكلّم يعني المجازفة باندفاعه نحو الجانب الآخر من الطريق أو مواجهته السيارات القادمة. انتاب ليو شعور بعدم الارتياح في ذلك العصر عندما قاد والده عشرين ميلاً إلى سودرتلجي على الحوافي من دون دوالي. كما شعر بالخوف نفسه الذي انتابه في تلك الليلة التي هوت فيها سيارتهم إلى أسفل التلة واستقرت على السطح، فخال أن والده قد أسلم الروح. التزم الهدوء هذه المرة، بينما انحرفت السيارة ذهاباً وإياباً، واستدارت بين الحين والآخر؛ مما ذكر فيليكس وڤينسنت بأنه من المُجدي أن يلوذا بالصمت ويلتزما الهدوء حينما توقّف والدهم في ساحة أُخرى تُدعى فارستا وذهب إلى محل لابتياع الشراب، وكذلك عندما رجع إلى السيارة وفتح زجاجة الشراب، وأيضاً في ما تبقى من الطريق إلى مقصدهم الذي لم يعد بعيداً كثيراً.

توقّفوا الآن أخيراً، كان ليو متأكداً من ذلك.

أنزل والده زجاج النافذة، وترك الهواء يداعب وجهه فيما كان يُفرغ ما بقي من قارورته في جوفه ثم يرميها، فأحدثت دوياً عند ارتطامها باللافتة. كان نوعاً من

الدويّ الذي تردّد صداه بعيداً. فتح ليو عينيه مجدداً. كان والده قربه، ويحدّق من النافذة إلى القارورة الفارغة بين العشب الطويل. وكان فيليكس وڤينسنت ما زالا خلفه ويضغطان بإحكام على عيونهما المغمضة. وهناك- على بُعدِ خمس وعشرين ياردة حسب تقديره- صف من المنازل الصغيرة ذات الحدائق الصغيرة والنوافذ الصغيرة مع ستائر مخرّمة ونباتات موضوعة في أصص. كان البيت في الوسط تقريباً، خلف سياج من توت العُلّيق منقسم إلى ثلاثة صفوف قصيرة. وكان ليو يحبه كثيراً؛ فذلك هو منزل الجد والجدة حيث لم يصرخ عليه أحد، وحيث استطاع أن يسمع بوضوح صوت تحريك أي كرسي أو تقليب الراديو من الإذاعة العامة إلى الموسيقى الكلاسيكية، وحيث تفوح رائحة الشموع، وبقايا فتات الطعام عالقة على مناشف الأطباق.

كان هناك كيس على الأرض بين ساقَي الوالد، قرب دواسة الوقود، فأخذ والده منه قارورة أخرى، وفتحها وتناول منها عدّة رشفات.

"إذا لم ترجع إلى المنزل معنا..."

ثم تجرّع من القارورة عدّة مرات أُخرى.

"عندئذٍ أنت تعلم ما الذي ستقوم به".

وأدار مرآة الرؤية الخلفية إلى الأسفل يساراً حتى رأى من أراد رؤيته؛ فيليكس الجالس على المقعد الخلفي.

"لأن هذا... لا يستطيع ليو القيام به. هل تفهم؟ فهو كبير جداً. ولن يتمكن ڤينسنت من القيام به أيضاً لأنه صغير جداً. لذا، الأفضل أن تفعل أنت ذلك".

حدّق فيليكس إلى تينك العينين مطوّلاً بقدر ما استطاع، ثم أحنى رأسه

إلى الأسفل.

"انظر إليّ".

إذا استمرّ بالنظر إلى ممسحة الأقدام في السيارة، فلن يتمكّن من سماع ما يقوله.

"فيليكس".

استدار والده إليه، وانتظر إلى أن تحوّلت نظراته من ممسحة الأقدام في السيارة إلى مسند الظهر، ثمّ إلى مسند الرأس، وبعد ذلك إلى الوالد.

"يتعيّن عليك أن تنظر إليها؛ تماماً كما أنظر إليك الآن، وأن تطرح عليها السؤال مرّة أُخرى. عليك أن تفعل هذا دائماً لتعطي الشخص فرصة أخيرة. وبعد ذلك فيليكس... اقترب منها أكثر، وافعل ما قلته لك".

ثم فرقع الوالد بإصبعيه السبابة والوسطى. لا يستطيع أحد الفرقعة بأصابعه بصوت أعلى مما يفعله هو.

"إذا لم تفعل يا فيليكس ما قلته لك تماماً، فلن تفهم أننا ننتمي إلى بعضنا بعضاً".

ثم استدار إلى المقعد المُجاور.

"أليس كذلك يا ليو؟".

فلم يتحرّك ليو، أو يستجب.

"أصحيح يا ليو؟".

لم تكفّ عيناه عن النظر قط إلى أن أومأ ليو.

ثم تجرّع والده من قارورته عدّة مرات، وفتح باب السيارة وترجّل منها.

كان يرتدي قميصاً وسروال النجار، وكانت هناك سكين "مورا" ذات مقبض أحمر اللون تبرز من أحد جيبيه، ومسطرة مطوية تبرز من جيب آخر. انزلق حذاؤه البني فيما كان يترنّح على الطريق ملوّحاً بذراعيه لأولاده ليلحقوا به إلى الحديقة، ومروراً بشجرة الكرز المثمرة الطويلة التي رغب ليو بالتسلق إلى أعلاها واللعب بين سياجي توت العلّيق غير المورقين.

"أنا باقٍ هنا".

تمسك الوالد بِغُصَينٍ هشّ من توت العلّيق فانكسر وكان على وشك السقوط.

"وأنت اذهب".

تشبّث ڤينسنت بيد ليو، وانحنى فيليكس إلى الأمام قليلاً.

"ليو، فيليكس، ڤينسنت. ابدأوا الآن، افعلوا ما اتّفقنا عليه".

كان البيت أبيض اللون، وكانت هناك خمس درجات تؤدي إلى أعلى الرواق والباب الخشبي ذي النافذة الصغيرة والزجاج غير الشفّاف. وكان الجد قد علّق من حافة إلى أخرى لوحة معدنية رقيقة ذهبية اللون كُتب عليها "آكسلسن".

كان ذلك هو اسم الوالدة قبل الزواج. وكان صوت جرس الباب أكثر وديّة مما كان عليه جرسهم، أو جرس المدرسة الذي يخترق الجمجمة. تكرر الرنين مرتين.

لم يفتح أحد الباب. أمسك ڤينسنت بيد أخيه. لم تكن هنا. تنفّس فيليكس على رقبته نفساً مثقلاً بالأسى. لم تكن هنا!

أسرع ليو إلى أسفل الدرج، ثم لحقوا به، فلوّح الوالد بذراعيه من بين شجيرات توت العلّيق، طالباً منهم أن يعودوا ويدقّوا الجرس مجدداً.

لم يفتح أحد الباب. ثم دقّوا الجرس مجدداً، فلم يُجِب أحد. أعادوا الكرّة مرتين.

وإذ بأحدٍ يفتحُ الباب؛ إنه الجَدّ. لم تكن عيناه سعيدتين كما تكونان عادة.

"هل... ماما هنا؟".

لم ينظر الجدّ إليهم، بل كان يمعن النظر، ويفحص بدقّة ما حوله.

"أين والدكم؟".

ترجّل الوالد من السيارة.

"إنه في السيارة يا جدّي".

وأغلق الباب خلفه.

"في السيارة!".

"نريد أن نتكلم مع والدتنا".

نظر الجدّ حوله مجدداً، ثم همس قائلاً:

"ادخلوا".

"هنا، في الخارج. نريد أن... أرجوك، جدّي".

لم يفهم الجدّ حقاً؛ تماماً مثلما لم يفهموا هم. نظر إلى ليو الأكبر سناً

الذي حاول أن يقول ما طلب منه والده قوله، ونظر إلى ڤينسنت الذي يُمسِكُ بيد أخيه الكبير والذي يبدو صغيراً جداً قربه. ونظر إلى فيليكس الذي كان يقف على مسافة خلفه، محدّقاً إلى الأرض، ويداه في جيبَي معطفه.

"هنا!".

"جدّي".

في تلك اللحظة، لم يَعُد الجدّ ينظر إليهم، بل كان ينظر حوله.

"أرجوك".

"هنا في الخارج! حسناً، انتظروا لحظة".

ثم أغلق الباب بحذر، ودخل المنزل. مرّ الوقت ببطء؛ دقيقة بعد دقيقة.

تفقّد ليو عقرَبَي ساعته البشعة.

مرّت دقيقتان وكأنهما ساعتان، ثم سمعها.

كان أحدهم يتسلّق السلالم ببطء، من غرفة في الطابق السفلي الذي يتألف من غرفة إضافية كبيرة جداًليناموا هم الثلاثة فيها. عادةً، كانَ الدَرَجُ زلقاً، ويبدو مجوفاً عندما تمشي عليه.

ابتسمت الوالدة لهم بطريقة جعلتها تبدو سعيدة وخائفة في الوقت نفسه.

نظرت حولها كالجدّ، ثم قامت بخطوة إلى الخارج.

"إنه ليس هنا أمّي".

عانقتهم، واحداً تلو الآخر.

"ماما".

ركّز ليو على تكرار ما أراد منه والده قوله. إذا قاله، فلن تسمع ما هو عالق في حنجرته.

"ماذا؟".

"عودي إلى المنزل".

عندها، هزّت رأسها، فانسدلت خصلات شعرها الأشقر على جبينها وعينيها.

"لا أستطيع".

"أرجوك".

"ليس الآن. كل شيء سيكون على ما يرام لاحقاً".

"أرجوك، أرجوك، أرجوك ماما".

"ليو، أصغِ إليّ. كل شيء سيكون على ما يرام. وأنتَ ستعيشُ معي في غضون أيام، هل تفهم؟".

جلست الوالدة القرفصاء ممسكةً بليو وڤينسنت، وعانقتهما لوقتٍ طويل. لكن ليس فيليكس الذي تراجع حتى لا تصل إليه، فهو الوحيد الذي يستطيع أن يفعل هذا، لأن ليو كبير جداً وڤينسنت صغير جداً، وهو يفي بالغرض. ركض نحو والدته التي تُباعد ذراعيها، ونظر إليها، ثم بصق. بكى وبصق مجدداً.

كان لعاباً دافئاً حبسه لفترة طويلة، سال من جبينها وخديها نزولاً على رقبتها.

وقف أمامها وأغمض عينيه وهو يرتجف ويبكي. عانقته أيضاً. بصق على وجهها مرتين، ولكنها ظلت تعانقه حتى تراجع بعيداً عن اللعاب الذي سال على وجهها وذقنها. واستطاع ليو وڤينسنت أن يسمعا صوت خطوات شخص ينتعل قبقاباً راح يحدث قعقعة على الجانب الآخر من الطريق. كان يسير بالقرب من اللافتة حيث تقف السيارة وبداخلها الوالد الذي راح يحدق من النافذة المفتوحة.

قام فيليكس ببصق ما تبقى من لعابه قبل أن يسحب باب المقعد الخلفي ويقفز إلى مقعده؛ بانتظار أن يفتح ليو باب مقعد الركاب ويجلس، ويُجلِس ڤينسنت على ركبتيه.

"ماذا قالت؟".

تجرع المزيد من القارورة- لم يتمكّنوا من عَدِّ الجرعات الأخيرة- ثم تناول جرعة أخرى قبل أن ينظر حوله.

"هل قالت أيّ شيء؟".

"هي..."

كان فمه مليئاً باللعاب الذي ازداد أكثر وأكثر.

"فيليكس".

"كلا".

"ألم تقل أيّ شيء؟".

كان من الصعب بالنسبة إليه التكلّم بوجود كل هذا اللعاب في حلقه، ولكنه فعل.

"كلا".

"لا شيء!".

وهزّ رأسه.

"لكن، اللعنة، كان عليها..."

"لقد عانقتني".

وابتلع لعابه. كان هذا سهلاً.

"بعد ذلك، عانقتني أمي بشدة".

حلّ الظلام، على الأقل هو يَخالُهُ هكذا. يبدو أن الوقت لا مقياس له في كلّ مرة يستيقظ فيها. فلا الستائر ولا حاجب النور تشير إلى الوقت.

عادةً، كانوا يتركون النافذة على هذا الحال؛ لتحجب الرؤية في الطابق العلوي من مبنى مؤلف من سبعة طوابق.

خلال فصل الشتاء، أو عندما يشرف الشتاء على نهايته كحاله الآن، تكون السماء أكثر ظلاماً، وأكثر اسوداداً، ويحلو النظر إلى الضوء والنجوم والقمر المكتمل عند الاستلقاء على السرير؛ وكأنك قريب منها، وكأنك تستطيع أن تفتح النافذة وتمدّ يدك وتلمسها.

يحبّ فيليكس النظر إلى السماء، ولكنه لا يحبّ نفسه.

لم يحبّ الاستلقاء هنا في هذه اللحظة من دون أن يتمكّن من النوم، ولم يحبّ أن يتصبّب عرقاً هكذا، أو أن يتنفّس بسرعة هكذا من دون استنشاق الهواء الكافي. وأقلّ ما راق له هو كيف عانقته ذراعا والدته الغريبتان. من الصعب أن تستلقي براحة عندما تكونُ عالقاً بين تينك الذراعين. هل الأذرع تفعل ذلك؟! وهو لا يتمكّن من إبعادها حتى لو قام بضربها ثم خدشها بأظفاره. هذا ما كان عليه أن يفعله! أي الضرب والخدش والبصق في وجهها، ثم أن يخلي حلقه ليبصق مجدداً، في حين تقوم هي بمعانقته. متى يجدر بها أن تضربه! فهو يضربها الآن على ذراعيها، ويضرب نفسه. يضرب بشدة ولا يشعر بأيّ شيء إطلاقاً؛ وكأنه نائم تقريباً.

يضربها مجدداً بطريقة أعنف، ويخدش ساعدها بظفر إبهامه هذه المرة. إنه أكثر حدّة.

عندها، تفشل في الإمساك به فينطلق حرّاً، ويتسلل من سريره إلى البهو، ثمّ عتبة المطبخ، ويقف هناك، ويختلس النظر.

يجلس والده على الكرسي وقد أدار ظهره إليه. فيما يجلس ليو إلى يساره. أُنيرَت كلّ المصابيح، حتى ذلك المصباح اللامع فوق الموقد والحوض الذي يُبهِرُ العينين عند النظر إليه.

لم يكن الوالد أو ليو أو الأضواء في منتصف الليل ما بدا غريباً، وإنما ما كان على طاولة المطبخ.

ففي وسط الطاولة علبة وقود خضراء اللون مغلقة بغطاء، وإلى جانبها زجاجتا شراب فارغتان، بالقرب من قُمع بلاستيكي وولّاعة سجائر.

لم يشاهد تلك الأغراض على طاولة المطبخ من قبل قط؛ ليس في الوقت نفسه. تسلّل ليقترب أكثر، وكوعاه على العتبة، وحاول أن يسترق النظر بشكل أوضح.

كان هذا عندما نهض والده وبدأ بالسير نحوه.

قام فيليكس بإخفاء نفسه في البهو المظلم، وبقي قريباً من الجدار، حابساً أنفاسه ريثما يمرّ والده من دون أن يراه.

"ليو".

كان فيليكس يتمطّى. مطّ الجزء العلوي من جسمه، ثم رقبته. هناك، في غرفة نوم والده ووالدته، قُربَ حافّة سرير والدته، قُربَ لوحة السرير الرأسيّة، أمسك والده الوسادة بيديه فيما كان ينتزع غطاءها.

"ليو، الدولاب البلاستيكي، هل كنت تصغي؟".

أمسك والده بغطاء الوسادة ووضعه تحت أنفه، حيث طُرِّز الحرفان الأوّلان من اسم والدته في الزاوية. دفع رأسه داخلها وشمّها وتنفّس بعمق، من دون أن يلاحظ أنّ أحدهم يقبع بهدوء في الظلام ويراقبه.

"على ذلك أن يسقطَ داخل فتحة الزجاجة . يجب أن تدفعه حتى يتوقّف".

كادت قدما الوالد تدوسان على فيليكس فيما كان عائداً إلى طاولة المطبخ، ثم رفع الزجاجة، وبيّن لليو كيفية القيام بذلك بطريقة هو وحده يُتقنها.

"كنا نقوم بهذا عندما كنت صغيراً. ليس بالزجاجة، ولكن بطائر الإوَزّ. كنّا أنا وإخوتي ندفع الطعام إلى الأسفل في رقبة الطير الضيقة، ثم تصبح كبيرة ودسمة ولذيذة".

طرق فيليكس العتبة بكوعه، ممّا أدّى إلى سماع صدًى في الشقّة كلّها، فحَبَسَ أنفاسه كالسابق، وأغمض عينيه. كان على الوالد أن يستدير، ولكنه لم يفعل، بالرغم من ترداد الصدى.

"أنت لا تعرف ذلك يا ليو، لا تعرف أموراً كهذه. لكنني أعرف، وأنا أخبرك أنّ ما سأقوم به... قبل أربعة آلاف سنة... ليو، هل تسمع ما أقوله؟ كان اليهود أول من تولّى العناية بطيور الإوزّ. كانوا عبيداً. وعملوا عند فرعون مصر الذي أحبّ كبدَ الإوز، كل ما كان يريده هو الكبد الدهني... وكانوا مُجبَرين على إيجاد طريقة سريعة لإطعام طيور الإوز تلك، أليس كذلك؟ لذا، بدأوا بدفع الطعام إلى أسفل حلق الطيور. الدفع والدفع، باستعمال عصيّ طويلة جداً. هل تفهم؟ لأن ذلك الفرعون أراد المزيد والمزيد".

تردّد الصدى، وسمعه فيليكس، على الأقل داخل رأسه.

"وبعد ذلك يا ليو، كان "السبانيارد" أحد أبناء إسبانيا يعيش في مكان ما. كان يحبّ طيور الإوز، ويتكلّم معها، يُعطيها الفاكهة، الفاكهة الحقيقية من حديقته. تباركت طيور الإوز! وكان يتحدّث إليها كالزهور. لكن أفضل ما في الأمر، أصغِ الآن، كانت طيور الإوَز خاصته تبدأ بالصياح في كلّ خريف. تصيح، وتصيح، وتصيح. وعندما تتوجّه أسراب الإوَز الأُخرى إلى أفريقيا أو أي مكان آخر، تبدأ إوزّاته بالصياح أثناء دورانها على الأرض. تصيح، وتصيح، وتصيح. ثمّ تتوقف طيور الإوَز في السماء- هذا حقيقيّ يا ليو- وتطير متّجهة إلى الأسفل وتهبط وتستقرّ هناك، في جنّة الإوَز".

ارتبكت يدا الوالد فيما كان يبحث عن غطاء علبة الغازولين، ارتجف وهو ينتزعه عن فتحة الأُسطوانة، حتى استقرّت الزجاجة على حافّة القُمع البلاستيكي.

"أعطاها الحبّ؛ مثلي تماماً. جعل منها عشيرة. وبعد ذلك... بعدها... مَكَثَت هناك".

كانت رائحة الغاز واضحةً وضوح الشمس في الحال.

"أمسك بها من هنا، ليو... هكذا... قبضة محكمة على الزجاجة، بكلتا يديك".

أمسك ليو الزجاجة بكلتا يديه، بينما كان الوالد يسكب ويتفقّد بين الحين والآخر ليرى كم بقيَ منها.

"ليس أكثر من النصف. هذا مهم".

كانت العلبة الخضراء على الطاولة. قام بشمّ غطاء وسادة الوالدة مجدداً- ملأت أنفاسه المطبخَ كلّه- ثم حمله بيده ومزّقه إلى قطع، واضعاً القطع التي كانت في العرض نفسه في كدسة.

"الوقود إلى نصف الزجاجة، والقطع في العرض نفسه".

قام بثني إحدى القطع على شكل مربع، وجعل الحروف الأولى لاسم الوالدة في الوسط، ثم غمّسها في الزجاجة حتى ابتلّت بالوقود.

"عُنقُ الزجاجة ضيّق. الآن، ادفع أكثر. لم يكن هناك أيّ اعتراضٍ في جنّة الإوزّ".

دسّ الوالد قطعة القماش إلى الأسفل شيئاً فشيئاً، وتوقّف قبل أن تلامس الوقود.

كانت بتلات زهرة من القماش ملتفة حول ساق الزجاجة.

"أترى؟ تماماً، ليس إلى الأسفل. إذا قمت بذلك، فعندئذٍ تُشعِلُها..."

استخدم الوالد يديه، وأصدر صوتاً شبيهاً بدويّ انفجار.

"قُم بضربة عنيفة وسريعة. أَمسِكها بإحكام، وعندما تحترق قطعة القماش، لا تمِل الزجاجة. ارمِها إلى الأمام بقوّة كتفك وذراعك؛ مثلما تقوم باللكم".

دار الوالد حول طاولة المطبخ مرّتين، حاملاً الزجاجة بذراع مستقيمة، وبشفة سفلية متدلية، مهمهماً كما يفعل عادةً عندما يكون ثملاً وفي مكان آخر.

"لأننا... نحن... لسنا من عائلة الأكسلسن".

غسل يديه المغمّستين بالغازولين، ثم أشعل سيجارة من دون فلتر فيما كان يفتح زجاجة من الشراب.

"هل تفهم ذلك؟ لا يمكنك أبداً أن تكون من "الأكسلسن"!".

شرب بسرعة أكثر من المعتاد.

"إنه كهذا... هل تسمع يا ليو؟ كان على غرار هذا. عندما قابلت والدتك، لم أكن أريدها فعلاً. كانت جميلة حقّاً، ولكنني أخبرتها، قلت لها هذا: "لا أريدُكِ. الحبُّ ليس سوى خدعة".

كان الوالد يحمل الزجاجة المفتوحة مؤخراً في إحدى يديه والغازولين في اليد الأخرى، فيما كان يسير نحو البهو إلى جانب فيليكس، ويتوقّف أمام رف القبعات.

"هل تعلم ما قالته يا ليو؟ هل تسمعني كما قلت لك؟ قالت كلمة بكلمة... لن أخدعك أبداً يا إيڤان".

كانت السترة معلّقة على العقيفة، والحذاء على ممسحة الأرجل عند الباب.

"كلمة بكلمة! هذا فقط. ثم قلت: وكيف أضمن هذا؟ هل تعلم بماذا أجابت يا ليو؟ هل يمكنك أن تخمّن؟".

كانت سترة ليو على العقيفة التالية، فقام الوالد برميها على طاولة المطبخ حيث لا يزال ليو جالساً على كرسيه.

"قالت حرفياً: إذا خدعتك يا إيڤان- كلمة بكلمة- فيمكنك أن تقتلني".

عدّ ليو الثواني. ستّ ثوانٍ من التباطؤ المُفاجئ حتى عطّل علبة مبدل السرعة، اثنتا عشرة ثانية بين صراخ الوالد على السيارة أمامهما وقيادته البطيئة وانعطافه الذي كان أكثر حدةً مما تذكره الوالد، تسع ثوانٍ بين سماعهما بوق سيّارة أحدِهِم عدة مرات خلفهما والانعطاف السريع إلى خط يسار.

توقّفا في المكان نفسه الذي توقّفوا فيه بعد الظهر. وبالرغم من حلول الظلام، تمكّن من تمييز المدخنة الجاثمة على منزل الجدّ والجدة الذي بدا صغيراً جداً تحت أغصان شجرة الكرز، ومغموراً قليلاً بسياج مكسوّ بتوت العلّيق.

كان الكيس على حضنه. لم يكن ثقيلاً، ولكنه جعله يجلس كالحجر. كان على الزجاجة أن تكون بوضع منتصب.

كانت الرائحة أسوء جزء؛ راحت أبخرة الغازولين تتسلّل إلى أنفه، ثم إلى دماغه. لم يتعرّف على ما كان عليه مزيج "المولوتوف" من قبل.

"مهما يحدث من الآن فصاعداً ليو..."

أصبح الاهتزاز من عاداته الآن. نقله إليه والده؛ تماماً كما فعل مع والد "هانسي".

"... مهما حدث يا ليو، أريدك أن تعلم أنني أحبك".

بدأ ما يخشاه؛ فقد صار يرتجف.

"أبي".

"ماذا؟".

"هل ينبغي لنا أن نقوم بهذا؟".

لم يرفّ له جفنٌ ولو لمرّة واحدة؛ الأمر الذي قد يؤذي عينيه.

"نعم".

"لكن، ماذا..."

"سنتكلّم معها أولاً".

"... وإذا لم تشأ التكلم، فماذا سنفعل؟".

"عندئذٍ، ستكون هي التي قرّرت ما سيحصل".

فتح الوالد الباب، وهَمَّ بالصعود. كانت الخطوة الأولى منحرفة، ثم مترنحة، قبل أن يتمسّك بالمرآة الخلفية ليستعيد توازنه. كان ينتظر من ليو أن يتسلق أيضاً.

ولكنه لم يفعل.

بدلاً من ذلك، حدّق إلى ساعته ويديه البشعتين. كانت الساعة تشير إلى الواحدة وستّ عشرة دقيقة وأربع وعشرين ثانية. إنه يعلم كيف تحدث هذه الأمور، إذا اتّبع سياق الزمن وحسب، ونظر إلى الساعة، فلن يشعر بالضيق. لطالما قام بذلك عندما كان يسابق فيليكس إلى أعلى الدرج وأسفله حاملاً المنشورات بيديه؛ إنّ عَدَّ الثواني يُبعِدُ عنه الشعور بالإرهاق.

لم يتفوّه الوالد بأي كلمة، لا يجدر به ذلك. مدّ ذراعه فقط كي يصعد ليو، وأبعد الكيس قليلاً، ضاغطاً إيّاه على صدره بينما كان واقفاً. لم يتذكّر ليو خشونة يد والده؛ إذ لم يكن قد أمسك بها منذ سنين.

بدا وكأن الطريق للوصول إلى المنزل طويل. وما انفكّ والده يطلب منه أن

يتحرك بخطٍّ متعرّج. راح يتعثّر ويترنّح ويصطدم بحجرٍ كبير، وتوجّه إلى الطريق الخطأ. استمرا بالقيام بذلك في الجهة الخلفية من المنزل، عند حلول الظلام، على الممرّ بين شُجَيرات توت العُلّيق التي يَفخَرُ بها جدّه، لأنها أكبر من شجيرات توت العلّيق الأخرى، ولأنها حمراء وقديمة، بطعم أكثر حلاوة.

"بريت ماري".

ضغط والده على يده. تلاشى الصمت، لا الظلام.

"بريت ماري!".

أدار ليو ذراعه اليسرى نحو ضوء الرواق الساطع، ونظر إلى ساعته ويديه البشعتين. كانت الساعة هي الواحدة وتسع عشرة دقيقة واثنتين وخمسين ثانية. تفقّد الضوءِ الأوّل الذي أُضيءَ مجدّداً داخل المنزل. كانت غرفة نوم الجدّ والجدّة. ثم أُضيء أحدُ أنوار غرفة الجلوس. كان المصباح الأرضي ذا ظلال مزهرة تستطيع أن تديره باتجاه كلّ من الكرسي والأريكة.

"ابتعد من هنا!".

فتح الجد النافذة ونظرا إلى بعضهما.

"إنه منتصف الليل يا ليو، غادر المكان وحسب!".

ثم نظر ليو والجدّ إلى بعضهما.

"بريت ماري!".

نظر ليو بعيداً.

"اخرجي يا بريت ماري! هذا ليس مكانك!".

تساءل عمّا إذا كان الجد أيضاً ينظر بعيداً، أو عمّا إذا كان لا يزال يحاول النظر إليه.

"سأتصل بالشرطة يا إيڤان..."

"أنت! أيها "الأكسلسن" اللعين؟".

"إذا لم تغادر المكان..."

"بريت ماري ستأتي معي، ستعود إلى منزلها، إلى عائلتها".

"سأغلق النافذة الآن. وإذا لم تغادر... فسأتصل بهم. هل تسمع يا إيڤان؟ سأتصل بالشرطة".

أقفل الجدّ النافذة، وأطفأ الضوء. ترك الوالد يدَ ليو لأوّل مرّة، ورفعَ قبضة يده باتّجاه الجدّ.

"بريت ماري! لا تمكثي هناك مثل "الأكسلسن"! عودي إلى عائلتك! إلى أولادك وإلي!".

ظلّت النافذة مقفلة، والمنزل مظلماً. التقط الوالد الكيس الذي أمسك به ليو إلى صدره، وسحبه بقوّة، وأبعده عن ذراعي ليو، ثم أخرج الزجاجة منه.

"اخرجي الآن وإلّا فسأحرقك! كل شيء سيحترق!".

حمل الوالد الزجاجة وناولها إلى ليو، فتجمّدت ذراع هذا الأخير في مكانها من دون حراك.

"ليو، صوّب نحو نافذة الطابق السفلي".

ظلّت ذراعاه من دون حراك. لم يأخذ الزجاجة، ولم ينظر إلى والده، بل

حدّق إلى الأرض والعشب.

"سنرغمها على الخروج بإشعال النار. هل تفهم؟".

أخرج قداحة السجائر من جيبه الأمامي، وقرّب اللهب من فم الزجاجة؛ من القماش المغمس بالغازولين، ودفعها أكثر إلى الأسفل؛ على غرار تسمين إوزّة ذات رقبة هزيلة.

تحولت بتلات الزهور القماشية إلى اللونين الأصفر والبرتقالي.

"بريت ماري! أنتِ اتخذت هذا القرار! إنه خيارك! إنه..."

تحرّك الوالد.

كانت خطواته بطيئة؛ خطوات تتذكرها دائماً عندما تراها، حتى إن اختبأ بين أغصان شجرة الكرز المترنحة.

لكنها سريعة، كالخطوات التي لا يمكن أن تفهمها أو تتوقعها أو تمنعها. الكتف المائلة إلى الأمام، والزجاجة المُعبأة بالغازولين، والقماش المحترق؛ كلّها أشياء لا يمكنك أن تلاحقها، تماماً كالسكين الذي قطع الشعر في المطعم.

رمى الوالد الزجاجة على نافذة الغرفة السفلية حيث كانوا ينامون عادة خلال زياراتهم التي لم يُرِد أن تنقطع قطّ. دقيقة واحدة فقط استغرقها الأمر ما بين تهشّم الزجاج واشتعال النيران. كان ليو متيقناً من ذلك بسبب عَدِّهِ الثواني الواحدة تلو الأخرى. وقد أدّى اشتعال النيران إلى سماعه ذلك الصوت المخنوق لألسنة اللهب الصغيرة التي سرعان ما تنامت وانتشرت وسادَت في كلّ مكان.

لم يعد والده يصرخ بعد الآن، ولم يذهب إلى أيّ مكان. حتى إنه لم يعد يرتجف. أُضيئَت الغرفة بأكملها بطيف ضوء مختلف عن ضوء المصابيح، كان أكثر

اصفراراً. التهمت النيران الكراسي والسرير، وشيئاً آخر عجز عن رؤيته حقاً. ثم فُتِح باب الغرفة السفلية.

قام الجدّ برمي سجادّة كبيرة على ألسنة اللهب، ثم رمى واحدةً أخرى. وقامت جدّته ووالدته بحمل دلاء خضراء وزرقاء اللون لصبّ الماء على النار.

"دعنا نذهب يا ليو".

ظلوا يركضون بسرعة في الداخل من وإلى غرفة الغسيل لملء الدلاء.

"الآن".

تانك اليدان البشعتان. استغرق الأمر أربع دقائق وأربعاً وأربعين ثانية منذ أن ترجّل ليو من السيارة مخترقاً شجيرات توت العلّيق إلى حيث سقط الوالد الآن، ومنذ أن مرّوا بحبل الغسيل الذي شقّ خدّ الوالد وذقنه الآن تماماً. لم يدم الأمر طويلاً؛ فقد استمرّ لفترة قصيرة، ولم يَحدُث فيها شيءٌ يُذكَر.

أغمض ليو عينيه فيما كانا يعودان، وانحدر الطريق إلى الاتجاه الآخر. أبقى عينيه مُغمضتين طوال الطريق الذي بدا بعيداً؛ بالرغم من عِلمِه بأنه لم يكن كذلك. ما زال يشعر كما لو أنهما في طريقهما إلى الجانب الآخر من السويد.

رآها حالما رَكَنَ والده السيارة. في اللحظة التي فتح فيها عينيه مجدداً.

سيارة الشرطة.

قرب بابهم الأمامي، باللّونين الأسود والأبيض. توقّفت بشكل مائل في الجانب المرتفع، وكان من الممكن رؤيتها بشكل واضح تحت ضوء الشارع.

لم يرَ ليو سيارة شرطة على مقربة من المنزل بهذا الشكل من قبل. فعادةً، كان رجال الشرطة يتوقّفون بعيداً أو في مرأب السيارات، ثم يسيرون إلى المنزل. لكن، لم يسبق له أن رأى هذا من قبل؛ إذ كانت سيارة الشرطة تقف خارج المنزل تماماً، وكأنها تسدّ الطريق.

"كل شيء سيكون على ما يرام".

كان ليو لا يزال جالساً خلف والده.

"نحن عائلة واحدة، أليس كذلك؟ وإذا أخلصنا لبعضنا على غرار ما تفعله العائلات، فآنئذٍ سنكون على ما يرام يا ليو. هل تفهم ما أقوله لك الآن؟".

فُتِح بابا سيارة الشرطة معاً في اللحظة نفسها. كانا رجلين؛ رجلاً أكبر سناً من الوالد، شرطية أصغر سناً. لم يسبق له أن رأى العديد من الشرطيات من قبل. توجّها مباشرةً إلى السيارة، نحو الوالد الذي كان يحجب شخصاً جالساً على المقعد خلفه.

"هل أنت إيڤان دوڤنجاك؟".

كان من السهل سماعهما بوضوح، حتى لو كانت كلّ النوافذ مغلقة، ثم

طرقا على الزجاج حتى فتح الوالد النافذة.

"ماذا؟".

"ستأتي معنا".

"ما الذي تتكلّم عنه بحق الله؟".

"أنت تعلم ما نتكلّم عنه".

هزّ الوالد رأسه، وضاعف جهده للتكلم بوضوح. لم يتمتم، وحرّك شفتيه.

"لا، ليست لدي أي فكرة".

ثم استدار إلى الخلف.

"هل تعلم يا ليو؟".

فنظرا إليه.

"هل لديك أدنى فكرة عمّا يتكلمان عنه؟".

دنا الوالد منه أكثر. كانت رائحة الشراب تفوح من فمه بشكل مستفزّ؛ كرائحة الغازولين والدخان المنبعثة من كمَّي سترته.

ورأياه.

"لا بابا. لا أعرف ما يتكلّمان عنه".

أومأ الشرطي الأكبر سنّاً إلى ليو فيما كان يتكلّم.

"إيڤان، يوجد أولاد هنا".

دارت الشرطية حول السيارة، والأصفاد في يديها، وتابعت:

"لذا، تعال معنا الآن، طوعاً".

وانتظرت هناك إلى أن هزّ الوالد كتفيه استهجاناً.

"ليو".

"ماذا؟".

"اذهب إلى البيت واعتنِ بأخويْك".

"أبي، أنا..."

"افعل ما أقوله لك. اذهب إلى المنزل، واعتنِ بأخويك".

فتح الضابط الذي يمسك الأصفاد الباب، فمدّ الوالد يديه وقد جعل راحتيهما إلى الأعلى. وقف الشرطيان اللذان يرتديان الزيّ الرسمي على كلا جانبيه، فسار نحو سيارة الشرطة والمقعد الخلفي. وجلس هناك فيما كانت السيارة باللونين الأسود والأبيض تبتعد. ثم استدار، وتبادلا النظرات، ليس مطوّلاً، ولكن بما يكفي.

أدار ليو مقبض الباب بهدوء، وخلع حذاءه وتسلل إلى الداخل من دون إضاءة المصابيح. ڤينسنت مُستَلقٍ الآن في السرير رأساً على عقب كما يفعل في بعض الأحيان. تمتم بشيء ما غير مفهوم واستمرّ في النوم. لكن فيليكس استيقظ، أو ربما كان مستيقظاً من قبل.

من الصعب تفسير- أقلّه في منتصف الليل- أنّ الوالدة لن تعود إلى البيت. ثم بعد تفسير ذلك، من الصعب تفسير أن الوالد لن يعود إلى البيت أيضاً. قام ليو بذلك على أيّ حال، وفيليكس أصغى. وفي اللحظة التي كان يشرح فيها الأمر اتّصلت والدته. سألته إذا كان الجميع هناك، وعندما أجابها بأن الجميع في المنزل، قالت إنها غيّرت رأيها، وإنها عائدة إلى البيت فوراً.

أسرع إلى المطبخ، وفتح خزانة صغيرة تحت الطاولة وانتزع كيسين من الورق.

ستعود أمّي على الفور، وعندما تصل إلى هنا، يجب أن تبدو الطاولة كطاولة مطبخ.

كانت عليها علبة غازولين، وبقايا من غطاء الوسادة، وقارورتان من الشراب، وأعقاب السجائر، وعلب سكّر.

نظّف كل شيء على حدة، ووضع الكيسين تحت الحوض.

عندما يُزال غطاء الوسادة والقارورتان، وتبدو الطاولة من جديد كطاولة مطبخ، لن يحتاجوا إلى التحدّث عن الأمر مطلقاً.

مسح الطاولة مجدداً بقطعة إسفنجية، وغسل المقلاة بالماء. شمّها ثم غسلها مجدداً حتى اختفت الرائحة، وشعر بالراحة. كان متوجّهاً نحوها عندما رأى آخرين برفقتها.

" ليو".

لم تستطع الوالدة أن تقرّر إلى من تنظر. نظرت إلى كلّ منهم في وقت واحد.

"هؤلاء... هم... ضباط شرطة".

لم تطرح أي سؤال، لذلك لم يجب.

"هل تفهم؟ إنهم هنا لتفقّد شقتنا. ثم... سيجرون حديثاً بسيطاً معك".

في شقّتنا لا يوجد أحد سوانا؛ نحن فقط.

"إنني مرهق".

نعيش هنا أنا وأمي وأبي وڤينسنت وفيليكس.

"أعي ذلك يا عزيزي. لكن هذا سيستغرق وقتاً قصيراً فقط".

هذان الاثنان... لا ينتميان إلى هنا.

"ثم سيرحلان يا ليو".

جالا في كل مكان؛ في الرواق والمطبخ وغرفة ڤينسنت وغرفته وغرفة فيليكس وغرفة أمه وأبيه والمكتب وغرفة الجلوس، وحتى في الحمام والشرفة. وقاما بفتح الخزائن الصغيرة والأدراج والخزائن الكبيرة وإغلاقها، وراحا يحرّكان الأحذية وألعاب الجنود والرسوم وقدور الزهور. تفحّصا كيس الرمل المخصص للملاكمة وذا

الصناعة المنزلية، ثم كميّة الذهب على السيف الذي حُشِرَ بإهمال في غلاف مخمليّ فوق رفّ يحتوي على الأدوات.

وطوال ذاك الوقت، وقف ليو على العتبة بين الرواق والمطبخ؛ حتى عندما كانا يفتحان الخزانة الصغيرة تحت الحوض ويرفعان كيسين من الورق المقوى، وقطع القماش، وقطعة من غطاءِ الوسادة التي ما زالت تفوح منها رائحة الوالدة.

"مرحباً ليو".

حاول الشرطي الأكبر سناً أن يبتسم له.

"كما قالت والدتك، أنا أعمل كضابط شرطة، وأريد أن أتكلّم معك. ليس مطوّلاً بل لفترة قصيرة".

لم يكن ليو قد التقى ضابط شرطة بدون الزيّ الرسمي من قبل. إذ كان يرتدي معطفاً طويلاً كمعطف الوالد، ولكنه ذو لون أفتح، وكان يشير إلى طاولة المطبخ المنظفة حديثاً.

"هذا ليس بالأمر الخطير، إنها ليست غلطتك. لم يحدث شيء بسببك. سأطرح بعض الأسئلة وحسب كي أعرف ما حدث عندما خرجت مع والدك في السيارة".

سحب كرسي المطبخ، كرسي الوالد، وجلس عليه. وكانت بحوزته مفكّرة صغيرة ذات حافة لولبية وهناك قلم فوقها.

"أخبرني يا ليو، لقد جلست في السيارة، وكان والدك يقودها، إلى أين توجّه؟".

"لا أريد أن أخبرك".

"و... لماذا لا تريد أن تخبرني؟".

"لأنني لا أريد".

"ليو، إنّني أتكلّم معك".

"لأنني لا أريد".

نظر ليو إلى الأرض إلى أن غادر الشرطي المزعج وذهب إلى الرواق وعاد بسترته، سترته الشتوية، ووضعها على طاولة المطبخ اللّماعة.

"تفوح منها رائحة الدخان، هل تشمها؟".

هذه لنا.

"هناك علبة من الغازولين في الكيس الورقي، وزجاجات شراب فارغة، وخرقة قماشية ممزقة إلى قطعٍ مستطيلة".

إنها ليست لك.

"هل تعلم ما الذي يعنيه هذا كله؟".

نحن نعيش هنا.

"هل تعرف ما الذي صنعه والدك هنا؟".

ليس أنت.

"قنبلة مولوتوف. هذا هو اسمها. زجاجة مليئة بالغازولين، وعندما تقذف بعنف يتحول الغاز إلى ألسنة لهب تنتشر وتدمر وتقتل. إنها قنبلة نارية استخدمت في الحرب".

نحن عشيرة.

"رآكما جدّك هناك، أنتَ ووالدك. كلاكما كنتما تقفان بالقرب من المنزل عندما اشتعل. كما رأتكما الجدة ووالدتك وخمسة من الجيران، جميعهم شاهدوك، وشاهدوا والدك".

العشيرة دائماً تخلص لبعضها.

"رآك جدّك أيضاً تحمل كيساً. وبعد ذلك، هل رميته؟ أو أن والدك من فعل ذلك؟".

العشيرة لا يمكنها أن تتمزّق إرباً.

"يا ليو..."

مهما حدث.

"... أريدك الآن أن تصغي إلي".

في العشيرة، العشيرة الحقيقية، لا نؤذي بعضنا أبداً.

"كان من الممكن أن تقتل والدتك وجدّتك وجدك. كان من الممكن أن يلاقوا حتفهم".

في العشيرة الحقيقية، لا نَشي ببعضنا بعضاً.

"انظر إليّ يا ليو، هل تعي ما فعله والدك بالفعل؟".

في العشيرة الحقيقية، نحمي بعضنا بعضاً دائماً... دائماً... وأبداً.

"ليس عليك أن تحمي والدك، فهو الذي ارتكب الخطأ، وهو الذي عليه

أن يعتني بك".

"أنا لست عصا!".

تفوّه بذلك بشكل عفوي، حتى إنه لم يكن مستعداً لقوله.

"هل تسمع ما أقوله؟ أنا لست عصا".

"أخبرني الآن بما فعله والدك بالضبط؛ من أجل صالح والدتك وأخويك يا ليو، أخبرني".

لم يُعِر اهتماماً لبكاءِ والدته. لكن، ربّما بدأت تبكي للتوّ. إنها في مكان ما خلفه، لم يتمكّن من رؤية عينيها، ولكنه تمكّن من سماعها. لم تخشَ ما حدث أو ما قد يحدث، بل كانت خائفة عليه هو؛ فولدها يقف أمام المحقّق، ويجيب عن أسئلة لا علاقة لأيّ أحدٍ بها، لذا هي تبكي.

"أنا لست عصا لعينة يمكنك كسرها إلى نصفين!".

كان القلم على الدفتر.

كان الدفتر مُستلقياً على الطاولة حين أسرع نحوه، أبعده إلى الوراء، وبكل الخوف والغضب اللذين يجيشان في صدره، قام ابن السنوات العشر بطعن رأس القلم الرماديّ في اليد اليمنى الضخمة.

بعد ذلك، لاذَ بالفرار، فلحق به كل من محقّقٍ يئن ووالدة تحاول أن تمسكه، وكذلك المحققّ الآخر الذي كاد يصطدم به في الرواق. أقفل ليو الباب من الداخل، حيث ما زال ڤينسنت يغطّ بنوم عميق على سريره رأساً على عقب، وفيليكس جالساً على الأرض مع كومة من قطع الليغو.

"ليونارد".

سمع والدته تطرق على الباب.

"اخرج! هل تسمعني؟ عليك أن تتكلّم معهما!".

من الصعب فهم كيفية تمكّن ڤينسنت من النوم خلال هذه الجلبة.

"افتح الباب!".

وكيفية جلوس فيليكس على الأرض محاطاً بالمئات والمئات من قطع الليغو.

"ليو، افعل كما تقول والدتك. أدِر المفتاح وافتح الباب".

كان هناك صوت آخر، صوت المحقق الآخر.

"هل كان هو الفاعل؟".

همس فيليكس فيما كان يشيرُ إلى الباب.

"هل كان هو؟ هل..."

"كان هو. هو الذي صرخ وأُصيبت يده".

كان هناك المزيد من الأصوات، والمزيد من الدمدمة، ولكنه لم يسمعها. إذا قَرَّرتَ ألا تسمع شيئاً فلن تسمعه. إنه يقوم بذلك أحياناً؛ إذ يذهب إلى غرفته الخاصة ويقفل الباب. غرفته أصغر من هذه الغرفة، وبداخلها هو فقط؛ جسمه، كل شيء موجود في الداخل، ولا شيء في الخارج.

"ليو، أنت تعلم أننا نستطيع أن نفتح هذا الباب بأي حال، أليس كذلك؟ ليو، لا تريد والدتك أن نفتح الباب باستخدام القوة. لذا، افتح الباب!".

ثم استيقظ أخوه الأصغر، ذو الشعر الأشعث والعينين المرهقتين.

حمله ليو، وسار به ذهاباً وإياباً بين الباب والنافذة.

"ڤينسنت، هم لا وجود لهم".

وقف قرب الباب، والأصوات العالية في الخارج تأمره أن يفتح، أن يخرج.

"هم لا وجود لهم".

لم تعد العينان متعبتين. إنهما تراقبانه، وهو يصغي إليه.

"هل تسمع ذلك يا أخي الصغير؟".

"نعم".

"هم لا وجود لهم... وسنخترقهم".

حاول ابن السنوات الثلاث أن يفهم، ثم ابتسم.

"سنخترقهم!".

"سنخترقهم".

ما زالت الوالدة والضابطان في الخارج، وما زال الوالد يجول في طريقٍ آخر داخل سيارةٍ مع شرطيين.

سار في أرجاء الغرفة لوقتٍ طويل، كأخ أكبر يحمل أخاه الأصغر خلف بابٍ مُقفل.

وعلى الأرجح، لم يشعر من قَبل قطّ بهذا القدر من الهدوء الذي يشعر به الآن؛ برفقة فيليكس وڤينسنت. حيث سيقرّر هو وحده من يكون موجوداً ومن لا يكون.

الآن

القسم الرابع

ثلاث ساعات على متن القطار من ستوكهولم غرباً.

إنه شهر يناير، وقد تغيّرت معالم الطبيعة أثناء هذه الرحلة التي اجتاز فيها مسافة حوالي خمسائة كيلومتر. إنّ مدينة غوتنبرغ، مدينة المشاة بثيابهم الخريفية، حيث الناس يسيرون بسرعة وعيونهم متسمرة على الأرض. لقد قام ليو بالمثل، فارتدى معطفه ومشى.

اشترى قارورة مياه وشطيرة هوت دوغ مشوي من كشك مقابل مدرسة فالاندز للفنون، حيث كان يفترض به أن يغادر الجادة ويتبع مسار الترامواي ليصل إلى حديقة فازا. من هناك تصبح المسافة أقرب إلى شارع إيريك دالبرغ؛ بالنسبة لهما، لأخويه. لم يرهما قط منذ أن انتقلا إلى هنا. لم يشعر بذلك كثيراً هذا الخريف لأنه أراد ذلك، ولكنه فعل. إحساسٌ مسبق. الآن، أصبح قريباً جداً. يعيش أخواه الأصغر منه سناً في شقة هناك، وتحديداً في مبنى جميل يعود إلى العشرينيات.

قرر الابتعاد ومنحهما بعض الحرية؛ إذ بدا له كما لو أنهما أرادا تجنب رؤيته. لطالما بقوا على تواصل، ولم يدينوا بعضهم بعضاً أو يتدخلوا في شؤون بعضهم بعضاً أو يحتاجوا إلى مساعدة بعضهم بعضاً. ولكن الآن، إنهم يتحدثون مرتين أو ثلاث مرات في الشهر. ويدخلون في مناقشات مملة حول الطقس وسيارات الأجرة أو فيلم تجدر مشاهدته. لم يتحدثوا عن وقف بيع الأسلحة مطلقاً، وقد كره هذا الأمر. هكذا كانت أُمّه وأخواه يتصرفون. الناس الذين لا قواسم مشتركة بينهم يتحدثون بهذا الطريقة.

بدا العنوان صحيحاً، ورمز الباب صحيح أيضاً. وعلى لوحة عُلِّقت على الباب كُتب اسماهما على شريط لاصق يعود إلى أشخاص آخرين. الطابق الثالث،

ليند، يعيش في بلجيكا منذ سنتين.

قرع على الباب ليتأكد، فسمع صوت وطء الأقدام، وشعر أنه فيليكس حتى قبل أن يفتح الباب.

بدا شعره أطول. لطالما كان شعر فيليكس قصيراً، ولكنه بدا رائعاً. احتضن أحدهما الآخر في المدخل كما كانا يفعلان في السابق.

"هل أنتَ جائع؟".

تصاعدت رائحة الطعام. سار خلف فيليكس في رواق ضيق باتجاه المطبخ، حيث كان ڤينسنت يقف بالقرب من الثلاجة. بدا أكبر سناً، أكبر من الأشهر التي مضت، كما بدا أقوى. كان يسير ويتحرك كرجل بالغ، وبدت عيناه بارزتين أكثر. احتضان آخر. كان من الصعب تمييز ما إذا كان يفكر في المسافة أو الطقس البارد، وإذا كان هذا أمراً يتخيله.

"إذاً، لا شيء هنا يخصّك".

"كلا".

طاولة وكراسٍ لم يرها يوماً، مايكروويف ومحمصة وراديو. كلها كانت غير مألوفة بالنسبة له. وكان هنالك ملصق لسالفادور دالي على الحائط، فتساءل عمّا إذا كانا يعرفان من هو.

"كما كان يحصل حين كنّا صغاراً وكنت تستخدم أغراضي".

"الأثاث مستعمل؛ المفروشات وأدوات المطبخ. حتى إنهم تركوا لنا الشامبو. لكنّ أمي أحبته".

"قالت لي إنها أتت إلى هنا".

اليخنة في الفرن، يخنة بولونية. كان فيليكس يحضّر العشاء.

"قالت إنّ الأمور بخير معك في الجامعة. وكانت فخورة بك جداً يا ڤينسنت لأنك أنهيت السنة الأولى من دراساتك الثانوية".

كان قلقاً ولم يستطع إخفاء ذلك، ولكنه لاحظ أنّ فيليكس أدرك ذلك.

"عليك أن ترى علاماته. لقد أنجز كل الاختبارات بامتياز. ليو، إنه في الثامنة عشرة من عمره، ويستطيع- أخونا الصغير- أن يقوم بأي شيء يرغب فيه".

وغمز فيليكس ڤينسنت الذي كان يبتسم بخجل. إذاً، هكذا كانت الحال. ثم حمل الصحون والأكواب وقنينة الشراب.

الشراب لشخص نفد صبره. إنها إشارة واضحة.

"كم ستبقى هنا؟".

"يغادر القطار بعد أربع ساعات".

"أربع ساعات! اعتقدت أنك جئت إلى هنا لنتسكع معاً قليلاً".

لم ينبس ليو ببنت شفة. شقيق أصغر عنيد ومتعالٍ. كان هنا ليحسّن الأوضاع بينهم.

"عملية سرقة صغيرة وحسب. كل شيء جاهز. مصرف صغير في هيباي. في اليوم الذي يسبق الكريسمس، بضعة ملايين".

أوشكت اليخنة البولونية أن تنضج، وكان الماء على الموقد يغلي.

"إذاً، سنمتلك الكثير من المال للقيام بعملية كبيرة. وبعدها، يمكنكما أن تدرسا ما تريدانه".

"هذا ما نقوم به فعلاً".

أخذ فيليكس علبةً من السباغيتي ووضعها كلها في القدر.

"اعتقدت أنك تعلم ذلك؛ أعني أننا ندرس ما نرغب فيه".

"أنا بحاجة إليكما".

"لقد توقّفنا عن ذلك يا ليو".

قرر المحافظة على هدوئه مهما كان الثمن، إلّا أنّ هذا الهدوء لم يدم طويلاً؛ إذ ضرب الطاولة والأواني الذهبية والصحون بيده.

"هل تعتقد أنك طبيعي الآن لأنك قصدت المدرسة؟ ولأنك تجلس على مقعد خشبي خلف منضدة خشبية؟".

وسكب الشراب في الكوب حتى ملأه بالكامل.

"أنا لا أدرس لأكون طبيعياً، وإنما لأحصل على ثقافة معينة".

ارتشف ليو القليل من الشراب، وسرعان ما أدرك أنه زهيد الثمن.

"ماذا عنك يا ڤينسنت؟".

أشاح أخوه الصغير بنظره عنه.

"تباً يا ڤينسنت".

"كان الأمر أسهل. هل تفهم؟ أن يكون الشخص جزءاً من ذلك. في حال فشلت العملية".

ضحك ليو ولكن باستهزاء، وارتشف جرعةً صغيرة من الشراب.

"تفشل! ڤينسنت، لن تفشل العملية أبداً. تعال واجلس هنا".

فعل ڤينسنت ما طُلب منه، وجلس على الكرسي المقابل لليو.

"ولكن، ماذا لو فشلت؟".

"لن تفشل".

"وماذا إن انتهى بنا الأمر وراء القضبان لدى الشرطة وعرفوا بالأمر؟ أعني، ماذا إن عرفوا أنك أنتَ من فعل ذلك؟ أننا نحن من قمنا بذلك؟".

ارتشف جرعةً صغيرة أخرى. لم يكن الشراب جيداً، وكان طعمه يدلّ على ذلك بوضوح.

"هل هذا ما تقوم به وأنت جالس؟ هل تتخيل؟".

"اسمع ما يقوله!".

انفصلت جدائل السباغيتي في الماء المغلي وأصبحت رخوة، فيما حرّكها فيليكس بقوة باستعمال شوكة بلاستيكية.

"ليو، عليك أن تفهم ما يقوله لك!".

"أتعني هو أو أنت؟".

لم تطفُ السباغيتي، بل غرقت في الماء المغلي بينما كان يحركها بطريقة دائرية.

"حسنا، حسناً يا ليو. لمَ تفعل هذا؟".

"ماذا أفعل؟".

"تسرق المصارف".

"كي نستقلّ مادياً".

"لديك الأسلحة، لذا قم ببيعها. قلت إنك ستبيعها".

"أوشكت على بيعها، وقمت تماماً بما خططت له؛ فاتصلت بالشرطة، ووقفت في مكان معين للقيام بعملية التسليم، وصنعت خمسة عشر لغماً أرضياً. كان كل شيءٍ جاهزاً. وهناك خمسةٌ وعشرون مليوناً في كيس على طاولة أحد رجال الشرطة".

وصمت.

"و...؟"

"ثمّ بدأ ذلك الشرطي الغبي باستفزازي بكامل وعيه، وحاول أن يسيطر عليّ، وأن يجبرني على ارتكاب الأخطاء. كتبت تسع رسائل، فأجاب الشرطي بخمسة إعلانات شخصية. وحصل ذلك قبل أن أعلم أنهم يحاولون الإيقاع بي، وأنهم لن يدفعوا سنتاً واحداً، وأنهم يحاولون استدراجي. لذا، التزمت الصمت".

كان فيليكس يستمع، ولكنّ تعابير وجهه لم تتبدل.

"حسناً إذاً، سأسألك مجدداً. لمَ تفعل هذا؟ لمَ تسرق المصارف؟".

"لمَ أفعل ذلك؟ أنتَ فعلت ذلك أيضاً! هل أنا مخطئ يا فيليكس؟ ألم تكن هناك؟ وفي حال كنت هناك، لمَ فعلت ذلك؟".

"هذا بالتحديد ما يحاول ڤينسنت أن يفسره لك. إذ من السهل أن تكون جزءاً من العملية. وكنت سأعلم لو فشلنا بذلك. أنتَ لا تفهم سبب قلقي، ولكنني أشعر به وڤينسنت أيضاً يشعر به. أنت الشخص الوحيد الذي لا يفكر

بهذه الطريقة. فأنت تفكر... أننا لا يمكن أن نفشل".

"لأننا لن نفشل".

"قلت إننا لن نذهب للقاء والدنا مجدداً، فارتحتُ".

انسكب الماء من الوعاء في المصفاة، فغطى البخار وجه فيليكس المتوتر بنعومة.

"لكنك قمت بالأمر على أي حال، ويمكن رؤية ذلك. لقد بدأت تشبهه!".

اختفت النعومة وكأنها لم تكن.

"لا وجود لأمرٍ آخر باستثناء عملية السرقة التالية والتي تليها. لا وجود لأي شيءٍ آخر. أنتَ تعاملنا أنا وڤينسنت كما كان إيڤان يعاملنا حين قطعت علاقتك به".

"عمَّ تتحدث؟".

"أنت مثله تماماً. وأعلم بالتحديد متى حصل ذلك. في تلك اللحظة أو بعدها... حين أوشك على قتل أمي. حين قفزت على ظهره وهربت هي، فقد توقفت ونظر كلٌّ منكما إلى الآخر. أذكر تلك اللحظة بكل تفاصيلها. فأنا كنت أقف هناك، ورأيت كيف نظرتما إلى بعضكما. أنتَ سيطرت على الوضع".

"اهدأ الآن".

"وبعد ذلك، هل تذكر ما حصل تالياً؟ أنتَ لا تذكر، أليس كذلك؟ ألا تذكر أنك انتظرت ريثما غادر وعاد إلى سيارته، ومن ثمّ قمت بمسح كل الدم الذي جفّ على الدرج؟ وحين انتهيت من ذلك، عدت ونظرت إليّ وإلى ڤينسنت.

وبالتالي، أدركنا الأمر. حين دخلت من الباب، كنت أنتَ المسيطر في تلك اللحظة".

"هل أنهيت؟".

"كلا. لن أتوقف عن الكلام حتى تفهم الوضع. قلت "نستقل". وقفت هناك عند النافذة وأنت تتأمل سكوجاس وتتحدث عن عدم استسلامنا لأي حقير. إلّا أنّ العكس هو ما حصل. فقد جعلتنا سرقة المصارف أكثر اتكالاً على بعضنا بعضاً. الأمر مهم بالنسبة لك بقدر ما هو مهم لذلك الحقير. البقاء معاً. البقاء معاً. هلّا نحاول كسر العصي أيضاً".

"هل أنهيت؟".

نظر ليو إلى الوعاءين المغليين الموضوعين على الطاولة. كانا رخيصين.

"أنا لست مثل إيڤان. نعم يا فيليكس، أنت تستمر بالقول إنك تكرهه. أنتَ مهووس. أنتَ تغرق بقذاراتك مثله تماماً، وهو لا يستطيع القيام بما أقوم به".

حمل الوعاءين وسكب صلصة بنية فوق الباستا البيضاء، في صحنه وصحن فيليكس وڤينسنت.

"مرةً أخرى يا ڤينسنت. وإن كان فيليكس محقّاً..."

وضع يده على ذراع ڤينسنت.

"إذاً، يجب أن تكون جزءاً من ذلك، الآن. لو أنه... أسهل. لا تجلس هنا وتقلق بشأن اليوم الذي يسبق الكريسمس".

"كفى يا ليو، ألا ترى أنه لا يرغب في ذلك؟".

"وأنت، ماذا تعرف؟ أنا أتحدث إلى ڤينسنت الآن".

"أعلم أنه لا يرغب في ذلك، وأشعر أنه لا يريد ذلك".

"فعلاً يا فيليكس، أتشعر بذلك؟".

كانت قدر صلصة اللحم بينهم. وفجأةً، حملها فيليكس ورماها على الحائط، فتكسرت وتناثرت شظاياها في أنحاء المطبخ.

"لقد بصقت في وجه أمي ضدّ إرادتي، ولن أفعل مجدداً شيئاً لا أريده لمصلحة شخص آخر، لن أفعل ذلك أبداً".

تساقطت الباستا البولونية الساخنة على الجدران البيضاء وعلى قميص ليو الأبيض.

"أنت تتحدث عن نفسك يا فيليكس. أما أنا فأتحدث عن ڤينسنت".

كان ينظر إلى صحنه، إلى اللونين البني والأبيض. والآن، نظر ڤينسنت إلى الأعلى.

"ألن نتوقف؟".

ووضع يده على ذراع ليو وتابع:

"ألا يمكنك أن تتوقف؟".

كانت هنالك مناديل في الوعاء الخشبي في زاوية طاولة المطبخ، فحملها ليو وجعّدها قليلاً ومسح بقعة الصلصة عن قميصه.

"وماذا سنفعل؟ أنجلس على كرسي خشبي إلى منضدة خشبية وندّعي أنّ كل شيءٍ طبيعي؟".

لم يسبق لهم أن تدخلوا في أمور بعضهم بعضاً، ولم يضطرّ أحدهم إلى طلب أي شيءٍ من الآخر.

"أرجوك".

ومن ثمّ، فعل ذلك على أي حال.

"أنا أتوسل إليكما. هل سبق لي أن توسلت إليكما؟ الآن، أنا أفعل. أتوسل إليكما، أنا بحاجة إليكما. مرةً أخرى. مرةً أخيرة".

نظر إلى أخيه الأصغر الذي بدا شعره أطول من السابق، وإلى أخيه الثاني الذي كانت ملامح وجهه أكثر بروزاً.

"أرجوكما".

نظر إلى كل منهما على حدة، ولم يميز بينهما.

"فيليكس".

من دون أي جواب.

"ڤينسنت".

لا جواب.

"أرجوكما".

نظر فيليكس إلى عينيه مباشرةً، أما ڤينسنت فنظر إلى الطاولة وإلى صحنه.

ساد هدوء...

لا يشبه أي هدوءٍ آخر.

"حسناً إذاً. سأقوم بذلك بنفسي، سأقوم بالعمل بنفسي؛ إذ ليست لديّ عائلة".

أحياناً تطول الليالي كثيراً، وأحياناً أخرى نتعرق، ثم نشعر بالبرد الشديد، ثم نتعرق مجدداً، فنستيقظ كل عشر دقائق لنعود ونعيش حلماً غير منطقي يأخذنا إلى العدم.

كانت هذه الليلة واحدة من تلك الليالي. فقد حصل ذلك مجدداً؛ تماماً كما حصل طيلة الأسبوع منذ أن رفض أقرب الناس إليه مساعدته. رآهما في شقتهما في مدينة غوتنبرغ، وقد أدرك الأمر بالفعل. ست ليالٍ طويلة من الوحدة، وهو يتمدد قربه على السرير، بينه وبين أنيللي. لو أنّهما توفّيا، لما كان قد شعر بهذا الشعور، ولفهم السبب الذي يمنعهم من أن يكونوا معاً. لو أنهما قالا إنهما يكرهانه، لَما شعر بما يشعر به الآن. ولكنهما على قيد الحياة، ولا يزالان يحبانه كما يحبهما هو أيضاً. وبالرغم من ذلك، لم يكن مقدّراً لهذه العلاقات أن تستمرّ. كانوا إخوةً مقرّبين جداً، والآن أصبحوا بمنتهى البعد.

أزال ليو المنشفة المتعرقة عن ظهره، ونزل إلى المطبخ وفتح النافذة على مصراعيها؛ رغم أنّ الحرارة في الخارج بلغت ثماني درجات تحت الصفر. أخرج رأسه منها ليشعر بالهواء يدخل رئتيه. حتى إنه ارتدى البذلة الرياضية بعد منتصف الليل ليمشي لمدة ساعة بين المنازل المظلمة في أحياء الضواحي، كي يشعر بالتعب ويتمكن من النوم، ولكن من دون جدوى. استمرّ بالتعرق والحلم والاستيقاظ. وكان في كل ليلة يكرر هذه العملية، ويمشي في المنزل البارد، ويدع الصقيع يدخل إليه. لقد أزعجاه. لم يشح فيليكس بنظره، وكان مصمماً وواثقاً تماماً كما كان حين تحدث عن إيڤان. حسناً، أنا لست إيڤان الحقير. يجب أن يدرك فيليكس ذلك. ويجب أن يثق بي ڤينسنت.

كان الهواء بارداً، والطريق السريع شبه خالٍ من السيارات. كان يفكر،

فالحلّ لديه.

خلال الأيام القليلة الأخيرة، أخذ يفكر في العناصر الثلاثة المشتركة في عمليات السرقة تلك؛ أي التخطيط والتنفيذ. وأهم ما في الأمر الهروب والتحول من سارق إلى مواطن عادي.

أما العنصر الوحيد الذي لم يتغير فهو التنفيذ. فهم لم يغادروا مرةً وقد حققوا النتيجة نفسها التي توقعوها. فقد انتهى الأمر بأن أصبحت الملايين العشرة التي كانت في السيارة المصفحة مليوناً واحداً. وفي كل عملية سرقة، كانت كميات المال في السراديب والخزائن أكثر من المتوقع. أما في عملية السرقة الثانية، فقد كان مقتنعاً بأنّ غنيمتهم ستكون ثمانية ملايين كرونة على الأقل، لكنها كانت ثلاثة. وفي عملية السرقة الثالثة، انتهى الأمر بالملايين الخمسة التي أمل بها بأن تصبح مليونين فقط، وقد لُطِّخ معظمها باللون الأحمر بسبب الصباغ.

وضع يده على حافة النافذة، وجمع ندف الثلوج المتساقطة مؤخراً على راحة يده، فشعر ببرودتها بينما كانت تذوب وتتحول إلى مياه. كان لديه جدوله الخاص؛ أيام وتواريخ يعتبرها بالغة الأهمية، وكان لها معنى معين بالنسبة له. كان يبتكر جدوله الخاص؛ وهو سلسلة من عمليات السرقة التي ستؤمّن لهم أكثر من ثلاثين مليون كرونة ليتم استثمارها في الأعمال القانونية. وبالتالي، ليتم تبييض الأموال وتأمين مستقبله ومستقبل أخويه.

أنزل زجاج النافذة، ومسح يديه بواسطة منشفة المطبخ، ثم سار في الرواق باتجاه غرفة الضيوف. حصلت تسع عمليات سرقة، وذلك الشرطي برونكس لم يعرف أين هم. لذلك، في حال استمر في اختيار التاريخ نفسه، وفي التخطيط والهروب بشكلٍ صحيح، فسيحصل عاجلاً أم آجلاً على الحكم العادل ويعود في حدٍّ أقصى.

العاشر.

بلدة صغيرة خارج ستوكهولم.

اليوم الذي يسبق ليلة الكريسمس، يوم الدفع.

لن تقوم العصبة العسكرية بهذا العمل لأنها لم تعد موجودة، ولن تنجح، ولن يكتب أحد عنها مجدداً. الأشباح تختفي وتتخذ أشكالاً جديدة. وهذا ما تدرب عليه في المصرف في ريمبو. عملية سرقة تختلف عن غيرها من العمليات. فقد نفذوها وهم مرتدون سراويل الجينز والمعاطف الرقيقة، ومنتعلون أحذية فيلكرو الرياضية، والجوارب الطويلة على رؤوسهم، ومن دون إطلاق أي عيار ناري. لقد قاموا بتغيير هوياتهم وكسر النمط. وهذا ضروري في المستقبل، وسيحصل لأن أخويه الأصغر منه سناً اختارا عدم المشاركة. لذا، ومنذ تلك الفترة، لا يمكن أن ترتبط أعمال الأخ الأكبر الذي اختار الاستمرار في ذلك، بأعمال أخويه.

رفع بلاط الأرضية، وسحب الغطاء، وفتح الخزنة الأفقية، ورأى قنينة البلاك فيلفت. نزل إلى الأسفل، وأضاء المصباح المعلق فوق صفوف من الأسلحة الأوتوماتيكية.

إنها على الرف بالقرب من السترات الواقية من الرصاص؛ محفظة رياضية سوداء.

كسبوا من عملية السرقة الثالثة مليونين ومئة وسبعاً وثلاثين ألف كرونة.

تم إنفاق مئتين وسبعة وعشرين ألف كرونة على أمور مختلفة. لم يستطيعوا إنقاذ مئة وخمس وتسعين ألف كرونة من الصباغ. وبالتالي، قسموا المبلغ المتبقي في أربع رزم. وكانت كل رزمة منها تتألف من أربعمئة وثمانية وعشرين ألفاً وسبعمئة وخمسين كرونة.

تضاءلت رزمته بشكل كبير مؤخراً، وقد بقي لديه مبلغ خمسة وسبعين ألف كرونة. وبالكاد غطت الأموال أسفل الحقيبة.

فتحها وجمع عشرة آلاف كرونة في فئات متنوعة؛ وهي التي سيعطيها لأنيللي لشراء الهدايا والطعام والزينة التي أعجبتها في وقتٍ سابق؛ كتلك التي يزيّن بها جيرانهما أشجار التفاح. وأخذ عشرة آلاف كرونة لنفسه، فبقي مبلغ خمسة وخمسين ألفاً. أقفل الحقيبة، وجلس على الأرض الإسمنتية وهو يحمل شظايا إي كي فور؛ تلك التي تطايرت أثناء توهج المصباح. وكان يسمع صوت المضخة تحت قدميه.

باب الخزنة فوقه في الأعلى، وهو يؤدي إلى غرفة عادية. وإذا صعد وخرج منها، أو إذا أغلق الخزنة ولم يفتحها قط، فلا أحد سيلاحظ.

رجلاه على بلاط الفينيل، وهو بارد وباللونين الأبيض والأسود. سمع صوت وقع أقدام. إنها هي. كانت تقف هناك، وكل ما رآه هو ذلك الضوء أسفل رضفتيها.

"ليو".

"ماذا؟".

"ما الذي تفعله هنا؟".

جلست أنيللي القرفصاء. كانت ترتدي ثوب نومٍ فضفاضاً، وكانت تشعر بالبرد الشديد.

"تعال، سنعود إلى الفراش. حاول أن تأخذ قسطاً من النوم".

"خمسة عشر مليوناً".

كانت تستمع.

"هذا ما كان يفترض بنا أن نجنيه من عملية السرقة الثالثة. ولكننا لم نحصل على شيء في نهاية المطاف".

انحنت إلى الأسفل، وبدأت ساقاها العاريتان تتمايلان على سلّم خفيف وهي تنزل نحو الأسفل. لمست خدّه، وكانت يدها دافئة جداً رغم أنها تشعر بالبرد الشديد.

"ليو".

كان محاطاً بصف من الأسلحة التي وُضعت على رفوف على الجدران فبدت وكأنها أحافير ضخمة.

كان قد هدد بأن يقدم مجموعته هذه إلى نخبة المجموعات الإجرامية في السويد، مما سيزيدها بطشاً وقوةً في نشاطاتها. ولكنه امتنع عن ذلك، ولم يحفل بها كما لم يحفل بالشرطي الذي هدّده.

"ليو، أنا أحبك. أنا أكثر من يعرفك ومن يعرف بهذا الأمر".

جلست في حضنه وهي ترتجف من البرد، وراحت تفرك قدميها ببعضهما وتتجنب الاحتكاك بالأرض.

"أنا أعرف كم تهتم لأمر فيليكس وڤينسنت، وأعرف أهميتهما بالنسبة لك. أعرف ذلك. ولكنني تركت ابني من أجلنا، وأنت عليك أن تترك أخويك من أجلنا".

نظرت إليه، وعيناه قرب عينيها. التقت شخصاً رائعاً فوقعت في حبه، أما الآن فقد خسر هذا الشخص رونقه.

"أعرف أنك اعتنيت بهما، ولكن لا يجدر بك أن تلعب دور الوالد لأخويك".

قبّلته فتأملها. ربما كانت عيناه تبرقان، وقد مضت فترة طويلة على ذلك، ولكنه كان ممتناً؛ لفترة قصيرة على الأقل، وهي كانت متأكدة من ذلك.

"ما هذا؟".

"أنيللي".

"ماذا؟".

"هل تظنين أنه بإمكانك قيادة سيارة الفرار؟".

لم تسمع جيداً في البداية.

"هل تستطيعين القيام بذلك؟".

"ماذا؟".

"قيادة سيارة الفرار".

الآن، سمعته تماماً.

"أنا!".

"أنتِ".

كانت قد اعتادت أن تساعدهم في الأزياء التي يرتدونها، كما كانت تقلّهم إلى موقع السرقة. وكان يفترض بها دائماً أن تغادر الموقع إلى المنزل وتنتظر من دون أن تشارك في العملية.

والآن، يريدها بالفعل أن تكون جزءاً منها.

ستقود سيارة الهروب كما كان فيليكس يفعل.

قَبَّلَتهُ.

"أنا!".

"نعم، أنتِ. أنا جادّ. فأنت سائقة ممتازة".

تغلغلت بين ذراعيه ليحتضنها، فلامست بشرتها بشرته، وضحكت وقبّلته.

—

في الصباح الباكر، كان الظلام لا يزال مخيماً، وكانت مصابيح الشارع تعكس نورها على أرصفة الطريق بين مباني باجارموسن المؤلفة من ثلاثة طوابق والعائدة إلى الخمسينيات.

تبعها حين غادرت غرفة الأسلحة، وتوجها نحو غرفة النوم الرئيسة في الطابق الثاني. احتضنها على السرير النظيف، وأمسكت يده إلى أن استسلم للنوم. نام ثلاث ساعات، فشعر بالراحة مجدداً. استجاب جسده لأمنياته وأحلامه؛ فقد استطاع التفكير والتحرك بليونة وتقدم.

ركن سيارته بعيداً، وسار نحو شجيرات بلا أوراق باتجاه ملعب مهجور، قاصداً المبنى من الخلف. لم يرغب في أن يراه جاسبر، فهو يعرف أنه يحدّق دائماً من نافذة المطبخ في كل مرة تقف فيها سيارة هناك، مستعداً للهرب فوراً عند مجيء الشرطة.

نقر رمز الدخول المؤلف من أربعة أرقام على لوحة المفاتيح على الباب الخلفي، آملاً ألّا يكون قد تغير. وبصوت مكتوم فُتِح الباب، فتقدم إلى بيت الدرج

وهو يمسك بالباب ليغلقه.

خطط جاسبر لعملية هروبه بكل تفاصيلها. فمقابل المنزل وباتجاه مرآب السيارات، تقع محمية ناكا؛ وهي إحدى غابات ستوكهولم الوطنية الكبرى. في الغابة، وتحديداً بين صخرتين كبيرتين، كان جاسبر قد خبأ حاوية تحتوي على بنطال جينز وحذاء وملابس تحتية وسترة واقية من الرياح وسكين وأموال وجواز سفر ومسدس وبندقية بيريتا كان قد اشتراها من الولايات المتحدة منذ ثلاث سنوات وأحضرها إلى المنزل مهشّمة. لكن الآن، لم يعد يُسمح له بالهرب أو التسلح أو الاختباء. الاثنان يذكران الضربة التي طالت وجه جاسبر، والتي أوقعته على الأرض بسبب قوتها، فتمدد ونظر بكراهية وخيبة أمل وارتباك وحزن. كانت تانك العينان تبديان ذلك المزيج من الانفعالات؛ كان كحيوان على استعداد للانقضاض ولكنه لم يُقدم على شيء.

لونٌ أخضر جامح من الدهان على جدران بيت الدرج. سار بحذر نحو الباب ورنّ الجرس.

لم يسمع شيئاً. لم يسمع شيئاً هنا ولا على بيت الدرج، ولكنه كان متأكداً من أنّ لون ثقب الباب قد تغيّر وأصبح داكناً.

طرق الباب باستمرار إلى أن تحركت فتحة البريد؛ وهي فتحة ضيقة تتأرجح إلى الأعلى.

"ماذا تريد؟".

"أن نتحدث قليلاً".

"عمَّ؟".

"افتح الباب بحق الله".

ساد الصمت لفترة طويلة.

وفجأةً، فتح الباب بقوة على مصراعيه إلى أن انقطعت سلسلة الباب.

"انتبه إلى يديك".

نظر جاسبر إلى الفراغ بين الباب وإطاره وهو غير متأكد مما حصل. فتح ليو يديه، عندها، خشخشت السلسلة بينما فُتح الباب بالكامل.

بنطلون مجعّد بني وقميص بني فاتح اللون. بدا أنه حلق لحيته حديثاً، كما بدا مرتب الشعر. كانت الساعة السادسة والنصف صباحاً. في هذا الوقت، اعتاد جاسبر أن يبدو غير مرتب، وهذا ما توقعه ليو، بل توقع ما هو أكثر من ذلك من شخص كان محطماً وضائعاً، ولم يتوقع رؤية وجه مليء بالحياة والحيوية.

إلّا أنّ الشك لم يراوح مكانه، فأبقى يده اليمنى على ظهره وكأنه أراد أن يُظهر شيئاً كان يخفيه في ذراعه.

كان مستعداً للكشف عن أسنانه وللانقضاض.

تقدّم ليو إلى الأمام، ورجع جاسبر إلى الخلف ليحذره من الاقتراب منه. فقد كان قريباً منه ليتمكن من الانقضاض عليه، وفي الوقت نفسه بعيداً كي لا يتم الانقضاض عليه.

"ما من سبب لتخاف مني".

أومأ برأسه؛ وكانت هذه ردّة فعل جاسبر الوحيدة.

"جاسبر، ضع ما تحمله في يدك جانباً".

"أضعه جانباً! ليو، أنتَ وأنا".

ابتلع جاسبر لعابه، وكان حلقه جافاً.

"كل منا يعرف الكثير عن الآخر".

"ولكن، ليس عليك أن تخشاني".

"حقاً! ترسانة! تسع سرقات مصارف! المحطّة المركزيّة".

تقدّم ليو خطوة إلى الأمام. وكالسابق، قام جاسبر بخطوة طويلة ومماثلة إلى الوراء.

"ربّما أنتَ هنا لـ... تنظيف مسيرتك. ربّما قرّرتم- أنت وشقيقاك- توقيف العمليّة بالكامل. ألا تفكّر بأنّني أدرك أنّني ببساطة... قد أنتهي فارغ اليدين في تلك الحالة؟ مثل زوج من الجزمات؟".

كان ليو على وشك القيام بخطوة أخرى عندما رفع جاسبر ذراعه اليسرى.

"لا تقترب أكثر".

"أنت لا تحتاج إلى ذلك الخنجر، ضعه جانباً".

"اخلع سترتك".

وقفا هناك، كلاهما، محافظين على المسافة نفسها. إلى أن خلع ليو سترته الجلديّة ورفعها، وقلبها من الخلف إلى الأمام وإلى الخلف مجدّداً. لم يكن هناك شيء، لا شيء مخبّأ.

"اخلع حذاءك أيضاً".

انحنى ليو وخلع حذاءه، ثم رفعه، ووضعه على رفّ الأحذية بجانب جزمة سوداء لامعة تبدو جديدة. جزمة قتال عسكريّة مثل تلك التي أحرقها. لكنْ من

إصدار السنة.

"هل يمكنني الحصول على كوب من القهوة الآن؟".

"بعد أن تطوي سروالك".

ففعل ليو ذلك، ورفع يديه عالياً.

"انظر... فقط جاربان وساقان مكسوّتان بالشعر. والآن، ماذا عن القهوة؟".

الارتياب لم يختفِ. نظر إليه جاسبر بصمت، كما لو كان غير قادر على حسم قراره تماماً؛ طعناً أم خنقاً.

"تبّاً، جاسبر... لو أردتُ أن أتخلّص منك فبالتأكيد ما كنت لأفعل هذا في شقّتك. أليس كذلك؟".

وقفة قصيرة، ثمّ هزّ رأسه، وكشف ذراعه اليمنى مظهراً الخنجر الذي كان طويلاً وحادًّا؛ نوعاً من سكاكين المطبخ. اجتاز المدخل القصير للوصول إلى المطبخ، وألقى نظرة خاطفة باتّجاه غرفة الجلوس، كان المذبح قد تبدّد. القلنسوة الخضراء، صورة جاسبر في الزيّ الرسميّ خلال آخر مناورة لجهاز حراسة الغابات... فقط الطاولة كانت لا تزال هناك، وعليها زهريّة من دون أزهار، وشمعدان من دون شموع.

في المطبخ، وضع جاسبر القهوة في الفلتر، فيما جلس ليو.

"حسناً، لماذا أنتَ هنا؟".

"أردتُ فقط أن أطمئنّ عليك".

"تطمئنّ عليّ!".

ابتسم جاسبر، أو بالأحرى تكلّف الابتسام. وكان ذلك عندما رآى ليو السترة للمرّة الأولى. ففي الجهة الأخرى من الطاولة، معلقةً على كرسيّ، ومصنوعةً من القماش البنّي نفسه الذي صنع منه السروال، مع شارة على الكمّ الأيمن تغطّي نصفها طيّة عند الحاشية.

"ماذا ترتدي؟ وبالله عليك، ما هذا الشيء المعلّق هناك؟".

التفت ليو باتّجاه ظهر الكرسيّ، نحو سترة الزيّ الرسميّ التي تحمل ثلاثة أحرف لاسم شركة غير مرئيّ SEC (س ي ك). كان يعرف مسبقاً باقي الاسم، ما قد اختفى خلف الطيّة، لكنّ ما لم يفهمه هو سبب تعليق تلك السترة على كرسيّ المطبخ لدى جاسبر؟

"إنّها لي".

نظر ليو إلى السترة أوّلاً، ثمّ إلى جاسبر.

"لك؟".

"أجل. فقد طردت من وظيفتي الأخيرة، أليس كذلك؟".

"موافق... حسناً، في هذه الحالة... ماذا تفعل هناك؟".

"موافق... حسناً في هذه الحالة... ماذا تفعل أنتَ هنا؟".

أدار جاسبر ظهره إليه فيما كان يقوم بإعداد القهوة التي راحت تصدر صوت هسهسة وقرقرة. لم يكن غير متأكّد على الإطلاق.

"أنا هنا لأنّني أحتاج إليك".

استدار جاسبر بقليلٍ من السرعة.

"أتحتاج إليّ؟".

"نعم. سنسرق العاشر".

كان ذلك واضحاً جدّاً. جسمٌ يسترخي بالكامل. التهديد الذي كان موجوداً سابقاً قد اختفى، واختفت معه العدائيّة والارتياب.

سبعة أشهر من الحنين، وها هما... معاً.

"العاشر!".

"العاشر".

ومع مرور سبعة أشهر من أنين الحنين وانتظار الخروج، أسهل شيء يمكن فعله كان الابتسام ابتسامةً عريضة.

"ظننتُ أنّك لن تطلب ذلك أبداً".

وصبّ القهوة في كوبين، فكانت رائحتها قويّة.

"إذاً... سنفعل ذلك مجدّداً. ماذا تفعل هناك بحقّ الله؟".

سترة زيّ رسميّ على الكرسيّ، وكلّ الأحرف باتت مرئيّة الآن. SECURITAS (سيكوريتاس). أضخم شركة تأمين في السويد.

"إطفاء صفّارات الإنذار عندما ينصرفون، التحقّق من النوافذ المكسورة في المدارس أو وحدات التخزين، التجوّل في المناطق الصناعيّة... هذا النوع من الأشياء".

فتح الثلّاجة وأخرج علبة حليب، صبّ دفقة منها في كوب ليو.

"هل لا تزال تحبّها هكذا؟".

أخذ كل منهما رشفة، كانت صالحة للشرب إلى حدٍّ ما.

"إنهم يتحدّثون عنّا كلّ الوقت... هناك، في المكتب".

كانت ابتسامة جاسبر لا تزال عريضة، ومفعمة بالحنين.

"العصبة العسكريّة. هذا ما يتحدّثون عنه. ماذا سيكون هدفهم التالي؟ هل سيكون مصرفاً؟ أو سيّارة مصفّحة؟ أو مخزناً؟ وهناك، أجلس وأستمع".

بدا فخوراً. كان يسهل تخيّله في غرفة الاستراحة تلك، وهو يوشك على الانفجار لعدم قدرته على إخبار أحد.

"خلال أشهر قليلة، سأقود سيّارة مصفّحة. فكّرتُ في ذلك مطولاً: ماذا سأفعل أنا في حال هوجمت بهدف السرقة؟".

وأشار بإصبعه إلى السترة الرسميّة المتدلّية عن الكرسيّ بالقرب منه.

"هناك خياران. الأوّل، سأفعل ما يُطلب منّي إذا رأيتُ أنّ اللصوص يعرفون ما يفعلونه تماماً. والثاني، إذا كانوا هواةً... فسأسيطر عليهم. ليو، أستطيع أن أوقف بضعة لصوص، وأكون البطل على صفحات الجرائد، ولن يعرف أحد مطلقاً أنّه يمكن أن أكون أنا من كان مختفياً وراء ذلك القناع!".

"هناك احتمال ثالث".

"وما هو؟".

"ماذا ستفعل إذا أدركتَ أنّني اللصّ؟".

"أنت!".

"ماذا ستفعل إذا كنت الشخص الذي يسرق العربة المصفّحة؟".

"سوف... بالتأكيد، سوف أخلع ثيابي. سأنبطح على الأرض. ويمكنك أن تفعل بي ما شئت. سوف أفعل بالتحديد ما تقوله لي".

وضحك ضحكة عبّرت عن الحقيقة.

"لكنّني لم أبلغ هذه المرحلة بعد، ليس بعد على أيّ حال. أتفهم يا ليو؟ لا يزال الوقت باكراً، وأنا أحتاج إلى كسب ثقتهم، وشقّ طريقي إلى هناك، والدخول في المنظومة، ثمّ سأقود سيّارة مصفّحة".

أفرغ ليو كوبه؛ لم يفعل ذلك من قبل قط في منزل جاسبر.

"جيّد. العاشر أوّلاً، ثمّ سنخطّط لهذا. أنتَ وأنا".

منذ ساعات قليلة فقط، كان يجلس وحده في مستودع الأسلحة، والآن أصبح لديه سائق، وشخص يمكنه أن يسير وراءه داخل المصرف.

"وشقيقاك! ماذا لديهما ليقولاه عن كلّ ذلك؟".

"ليس لديهما ما يقولانه. فهما ليسا جزءاً من العمليّة".

"إذاً... فقط أنت وأنا".

"كلا، بل أكثر من ذلك. هناك السائق أيضاً".

"مَن؟".

"سنناقش ذلك لاحقاً".

"هل سنكون ثلاثة فقط؟".

"هناك شخصٌ إضافي".

—

طرقات صغيرة عرفها جيّداً محفورة في خريطة وحيدة، قادا ذهاباً وإياباً لعدّة أسابيع. فيليكس على مقعد السائق يتعلّم كلّ منعطف جديد، وكلّ حركة جديدة لدواليب السيّارة، وهو نفسه على مقعد الراكب يقارن الواقع خارج نافذته مع ذلك الذي في حضنه بمقياس 1:50،000.

حصل ذلك في ما مضى، عندما خطّطا لهروبهما، وعندما نفّذا السرقات معاً...

كان تقريباً هناك الميل الأخير عبر بلدة ذات بيوت عائليّة مستقلّة في الغالب، ومحطّة القطار، وشارع يضمّ متاجر صغيرة في وسطه الحيويّ، حيث كان الناس يلتقون ويرحلون.

بضعة أيّام... وكلّ شيء انتهى. من زيارةٍ إلى غوتنبرغ ومقاومة فيليكس وڤينسنت، إلى زيارةٍ مختلفة تماماً لجاسبر المرتعب الذي حصل على وظيفة جديدة فتحت آفاقاً أوسع.

كان قد قطع روابطه مع جاسبر الذي كذب بشأن القنبلة، ثمّ وضع بندقية محشوّة على رأس شقيقه الأصغر، والذي سمح للعنف بأن يتغلّب على ثقة ليو به ويبدّدها. أما الآن، فقد بنى روابط جديدة مع جاسبر الذي لَبِس زيّ Sec (سيكوريتاس)، ويوشك على تغيير وظيفته من التجوّل في السيّارة والتحقّق من أدوات الإنذار في المتاجر إلى قيادة سيّارة مصفّحة حاملاً أوراقاً نقديّة من المصرف المركزي.

لقد جلسا معاً إلى مائدة الطعام في المطبخ حيث وُضِعت مرّة جزمة

ملمّعة. وعندما افترقا، افترقا كصديقين لديهما هدف مشترك. في البداية، سرقة صغيرة خلال موسم الاحتفالات لتمويل السنة القادمة والتخطيط لسرقة أضخم بكثير لتنفيذها بحلول الكريسمس في السنة المقبلة. الهدف: الفرع الرئيس للمصرف المركزي. المكان: المرأب أسفل أوسع مجمّع تسوّق في ستوكهولم. الغنيمة: أربعون إلى خمسين مليوناً من النقود التي يتم إحضارها لتستخدم في التسوق للكريسمس، ثمّ إلى الخارج مجدّداً لملء ماكينات الصرّاف الآلي المستخدمة لمزيدٍ من التسوّق. قلب التجارة ونبضها الحيويّ سوف يُصابان بنوبة قلبيّة. ومع وجود جاسبر في الداخل، كلّ شيء مستحيل بات ممكناً فجأةً. وإذا كانوا يتحدّثون عن ذلك النوع من المبالغ، وعن إنهاء العمليّة، فربّما سيكون بإمكانه إقناع شقيقيه بالانضمام إليه للمرّة الأخيرة.

بعد عامٍ واحد.

أضخم سرقة في السويد على الإطلاق، ثمّ الانسحاب إلى الأبد.

أوقف السيّارة مقابل البوّابة. كانت هناك أكوام من أوراق الشجر في الحديقة في المرّة الماضية، أما الآن فلم تتبقَّ أيّ أوراق. العشب المتجمّد انسحق تحت حذائه، وبلّورات الجليد التصقت بوجنتيه، وندف الثلج دارت حوله، وهي تلمع في شمس الصباح. لم يُسمح له بالدخول في المرّة السابقة، بل قُوبِلَ خارج الباب الأمامي، حيث سلّم مغلفاً يحتوي ستّاً وثمانين ورقة نقديّة من فئة 500 كرونة، ثمّ غادر. هذه المرّة، كان الدخول أهمّ بكثير، للتحدّث في الداخل والتأكّد من عدم سماع أحد ما يقوله.

"هل والدي في الداخل؟".

وأومأ لرجلٍ يحمل جريدة تحت ذراعه، وهو على ركبتيه في الثلج بالقرب من السياج، يتفحّصها ظاهريّاً.

"ليو!".

الآن، وقف وخلع نظّارته.

"ليو... مرّ وقتٌ طويل، فأنت لا تزور أباك كثيراً".

سار ليو باتجاه مالك المنزل ستيف الذي كان يسكن في الشقّة الأوسع في الطابق العلوي. ألقيا التحيّة على بعضهما، والآن أصبح بإمكانه رؤية ما كان ستيف ينظر إليه وهو مستلقٍ هناك. عدّة ألواح خضراء كانت مكسورة إلى نصفين.

"هل هو في الداخل؟".

"ماذا؟".

"أهو في الداخل؟".

"أظنّ ذلك، فسيّارته مركونة هناك".

سيارة ستايشن ساب الصفراء نفسها، وهي الآن في شكل أسوأ مما كانت عليه من قبل. حرّك ستيف رأسه، ومدّد عنقه.

شيءٌ ما كان يثقل كاهله، وبدت حركاته وكأنّها مسيّرة من أفكاره. لا شيء كان عفويّاً، وكلّ شيء تم التعبير عنه بإيماءات وتنهّدات.

"قاد مباشرةً نحوه".

الشعور بالهمود تحوّل إلى سخط. ألقى ستيف نظرة سريعة وثاقبة على السيّارة وتنهّد، ثمّ نظر إلى السياج وتنهّد مجدّداً، ثم أشار بإصبعه إلى آثار إطار العجلة على العشب، وتحديداً بالقرب من الألواح المحطّمة.

"مباشرةً إلى داخل السياج".

"لكنْ، هل هو في المنزل الآن؟".

"إنّه في الداخل، ولكنّه لن يسمح لي بالدخول، لن يفتح لي الباب عندما سأقرع عليه".

"هذا جيّد. سأحرص على أنْ يعلم أنّني أنا من يقرع الباب بدلاً منك".

لم يكن ستيف يصغي، بل كان منشغلاً بهزّ أحد الألواح كما لو كان سنّاً متخلخلة.

"قد يكون والدك إلى حدٍّ ما... صعباً أحياناً. ولكنْه ليس سيئاً جداً. فهو يجلس هناك وحسب، ويغلق على نفسه في الداخل! وكان دائماً يسدّد الإيجار في الوقت المحدّد. أما الآن، فهو لا يفعل ذلك".

رفع اللوح أكثر قليلاً، ثمّ أسقطه بهزّة عنيفة.

"أضف إلى ذلك أنه اقترض منّي المال".

أمعن ليو النظر إلى الطابق السفلي في المبنى. كلّ النوافذ مغطّاة من الداخل، ألحفة وأغطية فوق سكك الستائر؛ الأمر أشبه بتعتيمٍ في زمن الحرب.

"متى رأيته آخر مرّة؟".

"أمس، عندما عاد من المتجر. حاولت التحدّث إليه، ولكنّه ببساطة أغلق الباب في وجهي... وأيضاً، كان يقود وهو ثمل... لقد حاولت فعلاً التحدّث إليه".

"هو لم... حسناً، ألم يقلْ شيئاً يبدو... غريباً؟".

"غريباً!".

"أجل... شيئاً ما ربما يكون مهمّاً، وربما يثقل كاهله، شيئاً لا يعلم ما إذا

كان ينبغي له التحدّث عنه... أنت تتحدّث عادة، ألا تفعل؟".

هزّ ستيڤ كتفيه.

"كلا. لا شيء. لم يقل شيئاً. الشيء الوحيد الذي قاله لي هو أنه يظن أنه يجب عليّ... وأنا أنقل كلامه حرفيّاً... أن أذهب وأنكح صبّاراً، وإذا لم أفعل- وأنا أنقل كلامه مجدّداً- فسوف يقحم منشاراً في مؤخّرتي".

اللوح الأخضر محطّم على الأرض. انتزع عصوَين حادّتين، ثمّ رفعه.

"لديّ مفتاح احتياطيّ، ولكنّني لا أجرؤ على الدخول. لا تسئ فهمي، فأنا أحبّ إيڤان. فرغم أنه يمكن أن يكون صعباً، ومزاجه لا مثيل له، ولكنّه ذكيّ ومرح أيضاً و... ليو، حاليّاً... أنا لا أتعرّف عليه، بصراحة، أنا فعلاً قلق وخائف بعض الشيء. إنّه مرعب. لم يكن هكذا من قبل، ليس بالنسبة لي على الأقلّ. لا أفهم ماذا حصل".

هزّ ليو رأسه، فهو يعرف ما حصل.

لقد حلّ والده مشاكله بالطريقة نفسها كما كان يفعل دوماً. إذ كان يشرب ويتشاجر، ولكنه لم يكن يتكلّم. وذلك القلق الذي زحف إليه، تسلّل إليه الآن مجدّداً.

"سأتولّى الأمر. بكم يدين لك؟".

وأخيراً، استرخت وضعيّة جسم ستيڤ قليلاً.

"إنه يدين لي بالإيجار، بالإضافة إلى دينه. أي ما مجموعه ثمانية آلاف".

أخرج ليو محفظته من جيبه الخلفيّ، وعدّ ستّة آلاف كرونة من فئة 500 كرونة.

"ستحصل على الألفين المتبقّيين لاحقاً هذا الأسبوع. وسأصلح السياج، هل اتّفقنا؟".

استرخى وجه ستيف الآن، وكان على وشك أخذ المال عندما سحبه ليو.

"لكنْ أريد المفتاح الاحتياطي أيضاً".

أدخل المفتاح في القفل وأداره. كانت الظلمة سائدة، ورائحة أنفاس كريهة في مكانٍ مغلق منذ فترة، أنفاس والده. أشعل النور. على الأرض أكوامٌ من الجرائد المقصوصة. الطاولة كانت مغطّاة بقسائم كينو متجعّدة، وبأوراق تبغ متجعّدة، وبصل نيء، بالإضافة إلى مقصّ، وقصاصات من الجرائد، وغراء، والكثير من زجاجات الشراب الفارغة، عدّ منها أربعين. وهناك، على الأريكة، شيء أسود في السواد، ملف أوراق أسود ثخين غارقٌ في الجلد المهترئ. ملف قصاصات. جلس وتصفّح القصاصات، صفحة تلو صفحة، وقصاصة تلو أخرى. كانت عبارة عن مقالات حول فرقة من المجرمين مسمّاة العصبة العسكريّة. صور لزجاج مكسور، ولوجهه المقنّع بالذات، وثمانية ثقوب رصاص على شبّاك أمين صندوق.

ملف قصاصات مشؤوم.

لقد أجرى والده أبحاثه. لم يكن يخمّن، بل كان يعرف. جمع والده كلّ شيء مكتوب عن أبنائه، كي يستطيع قراءته مجدّداً.

كما لو أنه... فخور.

لم يكن واثقاً ممّا إذا كان والده قد شعر بذلك من قبل. وشعر بذلك ليس فقط في صدره، بل شعر به حتّى في معدته... إنه الانزعاج. أغلق الملفّ وتوجّه إلى أحد البابين المقفلين.

لا يزال إيفان دوقنجاك ممدّداً في الظلمة، ولم يقم بأي حركة. أسرع ليو إلى

حافّة السرير، وقرّب إصبعه من فمه حتّى شعر بشيء بالكاد يشبه النفس، ثمّ مرّر يده بالكامل فوق أنفه وفمه. الصوت الخافت الصادر من حنجرته تحوّل إلى شخيرٍ غاضب. كان والده على قيد الحياة. غيّر وضعيّة نومه، ونخر وحرّك ذراعه كما لو أنه يضرب بمطرقة.

"بابا!".

أمسك ليو كتفه، وهزّه بخفّة.

"بابا!".

استدار الجسم الضخم ببطء، من دون أن يفتح عينيه.

"انهض الآن!".

استدار إيڤان برويّة، محاولاً التقاط الضوء، والواقع الذي كان مؤخّراً معتماً جدّاً وحاضناً.

"انظر إليّ! أبي!".

ثمّ فتح عينيه، على الأقلّ جزئياً.

"ليو..."

أمسك بذراع ليو الممدودة، ورفع نفسه بصعوبة، حتّى لامست رجلاه العاريتان الأرض.

"كيف بحقّ الله... دخلتَ إلى هنا؟".

"إلى أين بحقّ الله وصلتَ يا أبي؟ تتشاجر مع المالك، ثم تقود ثملاً عبر سياجه، وتشتمه وتهدّده. ماذا لو اتّصل بالشرطة؟ ماذا لو فعل ذلك ودخل رجال

الشرطة المشؤومون إلى هنا؟ هنا! أنت تتمدّد هنا مثل حصانٍ مهزوم، فيما يمرّر لهم ستيڤ المفتاح الاحتياطي، ويدخلون إلى هنا، وينظرون حولهم إلى هذه الزريبة ويجدون... هذا".

رمى الملفّ الأسود في حضن إيڤان.

"الطريق من عندك إليّ ليس بعيداً جدّاً، أليس كذلك؟ فإذا وجدوا هذا هنا، ألن... هنا، في بيت أبٍ لثلاثة أبناء! سيقولون فوراً: لنتحقّق من أمرهم".

نظر إيڤان إلى ملفّ القصاصات، ولكنه لم يرمِه، بل وضعه بحذر على السرير.

"غباؤك الملعون سوف يغرقني وفيليكس وڤينسنت! ستسلّم أبناءك بنفسك! ثمالتك السخيفة وأفكارك السخيفة سوف تهدم كلّ شيء، مجدّداً!".

أنزل الأغطية وفتح الستائر. المزيد من الضوء. أبعد إيڤان نظره، محاولاً الهروب منه.

"انظر إليّ يا أبي، واسمع جيداً ما سأقوله. لأنّني هنا كي... أعرض عليك وظيفة".

"لديّ وظيفة".

"هذا هراء. فقد أعطيتُ للتوّ ستّة آلاف كرونة لستيڤ في الخارج، وقال إنّك تدين له بأكثر من ذلك".

انتظر إلى أن توقّفت عيناه عن الغمز، وغار ضوء النهار فيهما.

"عرض عمل لأنّني رجلٌ محتاج!".

كان إيڤان لا يزال أحول العينين عندما نهض، وغادر الغرفة بصمتٍ وصعوبة.

"إذاً، أنتَ جبان. لستَ شجاعاً بما يكفي للقيام بذلك".

لحقه ليو.

"فقد احتسيت الكثير من الشراب لتجرؤ على الذهاب إلى منزل جدّتي، وترمي زجاجة المولوتوف".

"نعم. يمكن أن أكون كذلك. لكنّني لا أشي بأحد".

"لم أشِ بك!".

"أنت..."

"كان ذلك منذ عشر سنوات. وهذا... وهذا لا ينفع بعد الآن. لذا، أقلِعْ عنه".

كانت هناك أكوام من الجرائد على الأرض، وبقايا فتات طعام على الطاولة.

نموذج الوالد.

"إذا استمررتَ في القيام بهذا يا ليو، فسيصطادونك كالحيوان".

مرّر إيڤان أصابعه عبر شعره غير المرتّب، ونظر إلى ابنه.

"أتسمع ذلك يا ليو؟ لن يدَعوك تُكمل على هذا النحو إلى الأبد! هناك رجال شرطة يجولون في السيّارات، وهناك آخرون يملكون الأسلحة نفسها التي تملكها".

الصوت لم يكن ساخراً، ولا ناقداً، بل حقيقياً فقط.

"إنهم ينتظرون أن ترتكب هفوة، ثمّ... ثمّ سيطلقون عليك رصاصةً. ألا تفهم ذلك؟ لا يمكنك التغلّب عليهم... لا يمكنك".

"أنا أفعل ذلك. معك أو من دونك".

كان والده قد جلس على الأريكة المهترئة، وبدا صغيراً تقريباً.

"إذاً، هراؤك لن يوصلك إلى أيّ مكان. الشيء الوحيد الذي أريد سماعه هو نعم أم لا. هل أنتَ معي أم لا؟".

تمدّد إيڤان. أجل، فعل ذلك.

"هل تحتاج إليّ؟".

"هل أنتَ معي؟".

"هل تحتاج إليّ أم لا؟".

"نحتاج إليك".

نحتاج إليك. قال ليو ذلك. نحتاج إليك. السؤال بسيط وقد أجاب عنه.

أبناؤه الثلاثة يحتاجون إليه.

"أنا معكم".

هزّ ليو رأسه، ثمّ سحب الغطاء السميك الذي كان معلّقاً أمام نافذة المطبخ، فتراقص الغبار في الضوء المُشرِق.

"لا تحتسِ ولا قطرة واحدة منذ الآن فصاعداً".

لم يستطع أن يتذكّر متى كانت آخر مرّة غلّف فيها هديّة؛ هذا إن كان قد فعل ذلك يوماً. إذ كانت هي دائماً التي تغلّف الهدايا في وقتٍ متأخّر من الليل، فيما كان ثلاثة أبناء مترقّبون نائمين.

رفع إيڤان علبة ضخمة، زانها في يده كما لو كان يقدّرها. أونصتان لا أكثر، ورقٌ أحمر لمّاع، ثمّ شريطٌ ذهبيّ. المقصّ موضوع على الطاولة، سحب طرفه الحادّ على طول الشريط القاسي وغير المتعرّج كما كانت بريت ماري تفعل. حين كان الشريط يصبح متموجاً كانت تنسّق التموجات حول عقدة الشرائط المربوطة بإحكام. غير أنه لم ينجح الآن؛ مهما كانت الطرائق التي سحب بها المقصّ أو حاول جمع الشرائط بها. فقد تحوّلت إلى شرائط ناتئة وشائكة.

يجب وضع الملصق في الوسط، إلى جانب الشرائط الذهبيّة. ألصقه بإحكام، ثمّ استخدم قلم حبر أزرق فلم يكتب بشكل جيد، لذا استعمل عوضاً عنه قلماً أسود فكان خطه أفضل.

يوم سعيد من إيڤان

حمل العلبة من الطاولة إلى المطبخ- ليست بحجم أونصتين، بل بحجم أونصة واحدة على الأكثر- باتّجاه المدخل الضيّق، حيث وضعها على الأرض مع العلب الأخرى، بالقرب من الباب الأمامي.

علبة فارغة، هديّة فارغة بجانب هدايا أخرى فارغة.

كان على وشك العودة وتغليف علبة جديدة، ولكنّه توقّف. كان يرتعش مجدّداً، وقد وجدت الرعشة طريقها إلى جلده الجافّ. توجّب عليه أن يتجمّد في

مكانه إلى أن هدأت الرعشة قليلاً؛ إذ لم يشأ أن يروها.

قد تصبح أسوأ بحلول الليل، وأكثر سوءاً في اليوم التالي. إن تخلّص جسمه من تأثير الشراب كان أشبه بإخراج شخص آخر قد انتقل إلى داخله بالقوّة، شخص قد وجد فيه مسكنه، وأراد من دون أيّ شروط الخروج مجدّداً.

لقد ارتعش أقلّ في الصباح. وقف في حمّامه الخاصّ، ووضع أداة الحلاقة على المغسلة، ومرّر يده فوق بشرته المشدودة والمحلوقة حديثاً. قناعٌ فوق وجهه الحقيقي كان صغيراً جدّاً. هذا ما رآه في المرآة، ولهذا السبب بدت عيناه دامعتين وصغيرتين بشدّة؛ كما لو أنهما تختبئان، ولا تريدان رؤية الشعر المتجعّد الرمادي من الجانبين، والأنف الذي بدا الآن أكبر ممّا كان عليه عند قدومه إلى السويد. كان يعلم أنّ الأنوف والآذان تكبر مع التقدم في العمر.

كانت تنغرز في جسمه أكثر، طوال الوقت؛ وخزات قويّة في معدته وضلعه حيث خُيِّل إليه أنّه يوجد كبده، وقليلاً في الخلف حيث ينبغي أن تستقرّ كليته. كان قد احتسى الشراب نهاراً ومساء، منذ كم من الوقت لم تكن لديه أدنى فكرة، ولكنّه عرف أنّ الأمر سيستغرق ثلاثة أيّام على الأقلّ قبل أن تصبح أعصابه في حالة شبه طبيعية. كان يستطيع أن يتعايش مع الوخز المشؤوم. ولكنّ سرقة مصرف فيما هذا السمّ باقٍ في جسمه، وفيما الارتعاشات تتسلّل عبر جلده الجافّ، فهذا ما كان يرعبه.

كانت هناك طريقة لحل هذه المشكلة؛ وهي أن يشرب. ليس بالتحديد كمّيات كبيرة، بل فقط ما يكفي ليغادر الشيطان الموجود في الداخل ببطءٍ أكثر، ومن دون إحداث الكثير من الضجّة حوله، لطرد القلق. كأس من الشراب بين ساعة وأخرى. لم يكن أحد ليلاحظ.

لكنّه قطع وعداً. قطع وعداً لابنه الأكبر بألّا يشرب قطرة واحدة. وهكذا،

ترك أداة الحلاقة والحمّام من دون التوقّف عند الزجاجة نصف الممتلئة على لوح التقطيع. توجّه مباشرةً إلى غرفة النوم وهو يشعر بذلك الوخز في ضلعه، نحو حقيبة سفر جلديّة بنّية رثّة ذات مسكتين متماثلتين في الاهتراء، ووضّب فيها سروالَي جينز، وزوجاً من الملابس الداخلية الجديدة، وزوجاً من الجوارب، وزوجاً من القمصان، وبذلة رماديّة فاتحة. لم يكن حينها يعرف ما سيحدث لاحقاً، وكان لا يزال لا يعرف. لم يعرف إن كان سيُسمح له بالمكوث في منزل ليو. ربّما سيحتفلون بالكريسمس هنا. إيڤان، ليو، فيليكس، ڤينسنت. أوّلاً، سيسرقون مصرفاً معاً، ثمّ سيحتفلون.

مدّ يديه للتأكّد من أنّهما توقّفتا عن الارتعاش، ثم عدّل وضعية العلبة الفارغة التي تستقرّ فوق العلب الأخرى، وعاد إلى المطبخ مجدّداً، إلى الطاولة حيث ورق التغليف والشرائط والشريط اللاصق وبطاقات المعايدة.

"وهذه المرّة يا أبي، هل تعرف لمن هذه؟".

جلس ليو مقابل أنّيللي. كلٌّ كانت لديه هديّته المغلّفة أمامه.

(ي–و–م س–ع–ي–د أ_ب_ي)

بطاقة بسيطة، وقلم استخدمه ليكتب عليها ما كان يهجئه بصوتٍ عالٍ.

(م_ن ا_ب_ن_ك ل_ي_و)

علبة فارغة أصغر بكثير من تلك التي أخرجها إلى المدخل، أسقطها ليو في كيس الخيش البنّي مع باقي العلب الأصغر حجماً.

"عائلة سعيدة أبي".

علبة جديدة. المزيد من ورق التغليف.

"فِعل الأشياء التي تفعلها العائلات السعيدة، تغليف العلب والاحتفال بالكريسمس مع الأقارب. لم تكن تتوقّع ذلك، أليس كذلك؟".

يداه على الطاولة ارتعشتا، لكنْ لم يلاحظ أحدٌ ذلك. كانت كأس الماء البارد بجانبه، أمسكها وشرب، من دون أن يهدر أيّ قطرة.

لقد غادر شقّته في الطابق الأرضي في أوسمو لينتقل إلى المنزل في تومبا الذي زاره مرّة واحدة فقط من قبل، ولم يزره فعليّاً في ذلك الوقت. عندما عبر الطريق السريع المزدحم من مطعم البيتزا، وعندما أخبره بأنّه قد عرف كلّ شيء. لم يُسمح له بالدخول حينها. الآن، وصل بسيّارته، وركنها بالقرب من المدخل الضيّق؛ تماماً خارج السياج ذي الأسلاك الشائكة. لقد سار على أسفلت الفناء غير المستوي حاملاً حقيبة ملابسه، من دون أن يطلب منه أحد أن يستدير. ضغط جرس الباب الأمامي الذي عُلِّقت عليه بعض الزينة، فصدر صوت ناعم وجميل في عدّة نغمات. فتح ليو الباب، ووضع إيفان حقيبته الجلديّة على أرض المدخل، وعلّق معطفه الأسود. شعر بيد ليو على كتفه، كنوع من الترحيب. وللحظة، فكّر في معانقته، ولكنه بدّل رأيه. امرأة تدندن وقفت في الطريق. اقتربت منه مدندنة مع الأغنية التي تصدح من مكبّرات الصوت على الحائط. لم يكن يعرف أنّ ابنه يسكن مع امرأة. مدّ يده وألقى التحيّة على امرأة تُدعى أنيللي، والتي أخبرته أنّه مُرحَّب به، ثمّ أخذته في جولة في أرجاءِ منزلهما المزيّن. لكنْ، فقط عندما وصلا إلى غرفة الضيوف أدرك أنّها مشاركة في الخطّة. صار ملمّاً بكلّ ما قد حدث، وما سيحدث في اليوم التالي. كان ليو واقفاً هناك بمحاذاة الأريكة القابلة للفتح بانتظارهما. ومعاً كشفوا عن الغرفة تحت الأرض. خزنة ذات ظهر مخمليّ أسود انخفضت، وتحوّلت إلى باب، إلى مدخل. نزل إلى حيث خُبِئت الأسلحة المفقودة التي رآها فقط على شاشة التلفزيون. ولكن، لم تكن فعليّاً الأسلحة ما صُعق به– كانت بقيّتها– ولهذا السبب بقي هناك في الأسفل وقتاً طويلاً وهو يطرح الأسئلة؛ كما لو كانت من

معماريّ إلى آخر. سأل عن التصميم البارع، والغرفة المبنيّة مع خزنة مغلّفة بالخرسانة، وعن مضخّة التصريف التي تبقي مياه بحيرة قديمة بعيدة عنها؛ وكلّ ذلك تتحكّم به علبة كهربائيّة مخبّأة. مرّر أصابعه على طول الوصلات، وتفحّص الحلول الميكانيكيّة، نظر إلى ابنه وللحظة شعر بالارتياح. وليو تجاوب معه. معاً مجدّداً؛ كأب وابنه. وقد أراد أن يسأل منذ ذلك الحين. متى سيصل فيليكس وڤينسنت؟

آخر علبة فارغة في كيس الخيش. بدت الشرائط أخيراً جميلة نسبيّاً، ربّما لم تبدُ كالشجيرة الورديّة المزهرة، وإنّما ليست أيضاً كمجموعة شجيرات، بل بدت أكثر شبهاً بزهرة الليلك المتفتّحة. كان الظلام قد حلّ خارج نافذة المطبخ عندما بدأوا، لكنْ مع ومضات من الضوء من آخر زحمة سيرٍ ساعة الذروة. الآن، مرّ على انتهاء زحمة السير وقتٌ طويل، وصارت سيّارة تخترق الصمت بين الحين والآخر.

أبعدوا الكرتون والورق- طاولة مطبخ نظيفة- فيما أنزل ليو الستائر، وفتح خريطة كبيرة لدرجة أنها تدلّت من الأطراف كمفرش مائدة. حاول إيڤان أن يحلّلها، وأن يكتشف المكان الذي سيضربون فيه غداً- لم يتحدّث ليو عن الأمر بعد- لكنْ في الغالب رأى مساحات ملوّنة بالأخضر في إشارةٍ إلى الغابات، والكثير من الأصفر؛ مما كان يعني المزارع. بعد حين، رأى مساحتين رماديّتين، مساحتين مدنيّتين. واحدة في الوسط تُدعى هيباي، وأخرى إلى اليسار قليلاً وتُدعى سالا. سيتّجهون إلى إحداهما. وهما بلدتان صغيرتان سمع عنهما ولكنه لم يزرهما من قبل. قدّر أنّهما تقعان على بعد ستّين ميلاً تقريباً شمال ستوكهولم.

طاولة مطبخ مع خريطة وكرسيّين فارغين. لم يصلا بعد. لكنْ قريباً.

كان هناك من يقرع الباب.

ليس قريباً، بل الآن. أتيا الآن.

أدرك كم كان متوتّراً، وكيف حبس الهواء في صدره وبدأ قلبه ينبض

بسرعة، كما لو أنّه بعد كلّ هذه السنين قد بدّل رأيه ولم يُرِد أن يلتقيهما.

جلس هناك وبدأ يهتزّ على كرسيه، فيما قابلهما ليو عند المدخل. كان من الممكن سماع مقبض الباب وهو يتحرّك؛ تماماً كما حصل عند وصوله منذ بضع ساعات. ثمّ ضحك أحدهم، وسمع صوت تربيت أيادٍ على الأكتاف.

كانوا يعانقون بعضهم. أبنائي.

تبّاً، كم أحتاج إلى تناول الشراب.

كان هناك صوتٌ يقول شيئاً لم يستطع سماعه فعلاً، صوتٌ كان يمكن أن يكون لشخصٍ في العقد الثاني من عمره، وإنّما أعلى قليلاً ممّا كان يتوقّع، لا هو ولا ليو كانا يتحدّثان على هذا النحو.

الآن كان يقول شيئاً، وحاول إيڤان الإصغاء فعلاً. هل يمكن أن يكون فيليكس؟ أو ڤينسنت؟ سيكون هو أيضاً كبيراً الآن؟ كلّ ما كان يعرفه هو أنّه لا يملك أدنى فكرة عما أصبح عليه شكل أيٍّ منهما.

مشى باتّجاه المدخل، ولكنه رأى شخصاً آخر. ذلك لا يمكن أن يكون فيليكس! إذ ينبغي أن تكون بشرته داكنة أكثر، وأن يشبه والده أكثر. أما هذا الشاب فلم يكن يحمل أيّاً من ملامح إيڤان. ليس ڤينسنت أيضاً، أليس كذلك؟ ظنّ إيڤان أنّه سيتمكّن من التعرّف إليه، ولكنْ بشكل مبهم.

"مرحباً... أنا جاسبر".

حتّى إن اليدين لم تكونا كما توقع. فبالتأكيد، كانت أيدي أولاده أضخم. أما هاتان اليدان فكانتا رفيعتين وقد غمرتهما يداه.

"إيڤان".

"أعلم. نشأتُ في سكوغاس، وكنت أمضي الكثير من الوقت في منزلك، أتذكر؟".

هزّ إيفان رأسه.

"حسناً، أتذكّرك... تباً، لقد قصصتَ شعر أحدهم في مطعم البيتزا، ثمّ ضربتهم الواحد تلو الآخر".

الرجل الذي لم تكن يداه تنتميان إلى أيٍّ من ابنيه دخل المطبخ. كان من الواضح أنّه جاء إلى هنا من قبل، وصوته بدا مبتهجاً حين قال مرحباً أنيللي، انظري من لدينا هنا. وضحكت، لكنّها لم تكن ضحكة حقيقيّة. كان بإمكانه سماعها، كانت تضحك لأنّها ظنّت أنّه عليها ذلك.

بقي إيفان في المدخل، ولم يشأ المغادرة، ليس بعد. ربّما سيأتي المزيد من الناس. ألقى نظرة سريعة وأخيرة على الباب فيما أغلقه ليو، ثمّ حدّق إلى الخارج عبر النافذة الضيّقة عوضاً عن ذلك.

كلا. لا أحد غيره سيأتي.

"إذاً، ذاك مشارِكٌ في هذا أيضاً؟".

"إنه كذلك منذ البداية".

كانت الخريطة لا تزال ممدودة على طاولة المطبخ، وبدت فيها مناطق الغابات والحقول الخضراء والصفراء والمنطقتان المدنيّتان الرماديّتان. أخذ ليو من جيبه عملتين نقديّتين من فئة عشر كرونات ووضعهما فوق البلدة التي تُدعى هيباي.

"المصرف... هنا. وهنا، على بعد ميل... مركز الشرطة، وهو محصّن بواحد أو اثنين على الأكثر من رجال الشرطة في منتصف الأسبوع. وفي اليوم الذي يسبق

ليلة الكريسمس... سيكون الجميع في طريقهم إلى منازلهم في هذا الوقت".

ضرب ليو بإحدى العملتين على الخريطة والطاولة.

"بابا، هل تتابعني؟ ستقف هنا، خارج المصرف حيث تسهل الرؤية. كلّ شخص يقترب يجب أن يعرف أنّنا مسلّحون".

دفع العملة المذهّبة التي كانت تشير إلى مركز الشرطة باتّجاه المصرف.

"لا يجب أن يكون رجال الشرطة هناك. ولكنْ، إذا كانوا هناك فجِدْ طريقة للتدخّل. إنّها وظيفتك بابا، ليبدّلوا رأيهم. أطلق طلقة في الهواء. وإن لم يكفِ ذلك، فوجّه طلقة فوق رؤوسهم. وإن لم يكفِ ذلك، فأطلق النار بقدر ما يستدعيه الأمر على سيّارتهم. وإذا لم تتمكّن من ردعهم، فعليك أن تحمي نفسك وتحمي أنيللي التي ستكون في السيّارة. بابا، انظر إليّ! إذا اضطررت إلى إطلاق النار، فاستهدِف الجسم".

القطعتان النقديّتان باتتا الآن متّصلتين بواسطة عملة 5 كرونة فضّية أكبر بقليل وضعها ليو على الخريطة على بعد ميلٍ شمالاً، بالقرب من طريق تنفذ إلى إحدى مناطق الغابات الخضراء.

"سنغادر المصرف، وسنقود أوّل سيّارة نصادفها هنا للهروب".

نظر إيفان إلى الخريطة، وإلى يدَي ليو اللتين راحتا تشيران بالأصابع وتحرّكان العملات. ولكنّه لم يكن يولي الأمر انتباهاً. الكرسيّان فارغان... لم يأتيا.

"هل تسمعني بابا؟ سنصعد إلى السيّارة ونسير عبر الغابة... هنا. سنبتعد مسافة مئتي ياردة... إلى هنا، إلى مدخل موقف، وإلى السيّارة الثانية المحمّلة بالهدايا والطعام. من السيّارة المسروقة إلى السيّارة المستأجرة. وعندما نصبح في داخلها، سنبدّل ثيابنا بملابس أخرى، وسنبدو كأي عائلة سعيدة في طريقها إلى المنزل

للاحتفال بالكريسمس".

"نحن فقط... نحن... الأربعة!".

"إنّه فقط مصرف واحد. لا نحتاج إلى أشخاص أكثر".

"ماذا عن فيليكس وڤينسنت؟ أين هما؟".

جال بنظره عدّة مرّات بين الكرسيّين الفارغين وليو الذي لم يفعل أي شيء سوى الجلوس هناك صامتاً، ثمّ بعد حين، استنجد بذلك الرفيق جاسبر وتلك المرأة أنيللي، فلم يُجِب أيٌّ منهما. لم يحاولا حتّى.

"انظر إليّ أبي".

كان المسدّس موضوعاً في كيسٍ على الأرض، ومغلّفاً بفوطة حمّام. ليس النوع نفسه الذي كان يستخدمه خلال خدمته العسكريّة على مدى ثلاثين عاماً، ولكنّ المبدأ هو نفسه، ثمّ بدأ ليو بتفكيكه إلى أربعة أجزاء.

"أخمص. مقبض. وهنا... أبي، آليّة التشغيل، وما في داخل آليّة التشغيل... هنا، الترباس. تشدّه في حركة ربع دائريّة وتسحبه. الآن دورك، اجمعه. ومن ثمّ سنتطرّق إلى كيفيّة استخدامه".

أربع قطع أمامه على الطاولة. لم يشأ أن يلمسها أو يجمعها، فإذا فعل فستصبح سلاحاً فتّاكاً. كان يعرف ما كان أبناؤه ينوون فعله، لم يفهم العواقب جيّداً. كان هو الذي ألحق الأذى بالناس.

"بابا، يجب أن تتعرّف على هذا الشيء من الداخل والخارج؛ بالضبط مثلما علّمتني كيف أضرب باستعمال عضلات جسمي كلها، أتذكر؟ أتذكر كيف حفرت تلك اللكمة في رأسي حتّى باتت جزءاً منّي؟".

يداه متشبّثتان بسرواله، وإذا أفلتهما فسيظهر أنّه غير قادر على تثبيتهما. درسَ الأجزاء، وبعد حين التقط الترباس ووضعه في آليّة التشغيل وأداره، ولكنّه لم يتمكّن من تحريك المزلاج كما يجب. كان يستطيع الشعور بهما واقفَين حول الطاولة يراقبانه. وضعه مجدّداً وأداره، وبحث عن أجزاءٍ لتثبيته، ثمّ انتابه الشكّ فجأةً. ليس شكّهما، ليس من اللذين يراقبانه، وإنّما هو نوعٌ آخر من الشكّ أتى من الداخل، وتطلّب منه أن يلقي السلاح ويقول لهما إنّ ذلك جنون.

"بابا... كلّ قطعة في مكانها".

وضع ليو يده على يد أبيه. لم يلمسا بعضهما بهذه الطريقة منذ... نسي منذ متى.

"الأمر في غاية السهولة، كلّ قطعة في مكانها. أوّلاً... حرّكه".

حرّكه مرّةً، اثنتين، ثلاث مرات... فدخل في مكانه! كانت يداه ترتعشان تماماً، ولكنّه نجح في إخفاء ذلك.

"هذا جيّد. والآن، القطع الأخرى".

آليّة التشغيل، المقبض، الترباس... كلّ قطعة في مكانها حتّى اكتمل المسدّس.

"هل أنتَ معنا الآن بابا؟ هذا مهمّ، يجب أن تتمكّن من فعل ذلك غداً. لا أريد أن أراك وأنت تطلق رصاصة طائشة أو تصيب أحدهم عن طريق الخطأ".

أخذ ليو المسدّس من يدَي إيڤان.

"هذا هو صمّام الأمان، ومزلاج القفل يجب أن يكون دائماً على الـS . وحين يحضر رجال الشرطة بدّله إلى P. ولكن ليس A؛ فهذا سيجعله أوتوماتيكياً،

حيث يطلق عشرين طلقة خلال ثانيتين، وليست لديك أدنى فكرة عمّا قد تصيبه".

كان جاسبر واقفاً على بعد مسافة منه ينتظر. والآن، خطا إلى الأمام ورجلاه العاريتان تتنقّلان بثقل على الأرض، أخذ المسدّس من يدَي ليو، وصوّب بين طاولة المطبخ والموقد واستهدف الستائر المنخفضة.

"اسمع يا إيفان، انظر إليّ. ستُصوِّب وتزفر عندما تطلق النار، وتذكّر أن تضغط بكامل قوتك على المقبض للتصدّي للارتداد. فنحن لا نريد أن تؤذي كتفك، هل فهمت ما قلته؟".

شغّل جاسبر صمّام الأمان، وأمال رأسه قليلاً إلى الجانب.

"هل يمكنك أن تفعل كما فعلتُ؟ أرِني".

سلاحٌ أوتوماتيكي موضوعٌ بين فخذَي إيفان مثل مجذافٍ؛ لأنّ شقيّاً ما، كان هنا بدلاً من ابنيه، ووضعه هناك. والآن، ذاك الشقيّ كان يوجّه له الأوامر، ويطلب منه أن ينهض مثل أحمق ويصوِّب.

"ما كان اسمك؟ ما كان اسمك؟".

"جاسبر. وأنا..."

"هل كنت في مطعم البيتزا عندما أبرحتُ ضرباً فاشلاً آخر كان يتكلّم كثيراً أيضاً؟".

"كلا. لكن..."

"أحدهم ظنّ أنّ بإمكانه إخباري كيف يجب أن أتصرّف".

جلس إيفان وحدّق إلى الأعلى، إلى جاسبر، قبل أن يميل برأسه باتّجاه

الناحية الأخرى من الطاولة.

"كان هناك يا ليو. وهو الشخص الذي يتحدّث إليّ الآن".

لقد عرف ليو ما كان سيحصل عندما تقدّم جاسبر وأخذ المسدّس وبدأ يعطي درسه. ورأى أنّ جاسبر قد فهم الآن كيف يتوجب عليه عدم إبراز نفسه. لكنّه لم يكن متأكّداً ممّا إذا كان إيڤان قد فهم كلّياً حجم ما سيقومون به غداً.

"بابا".

"ماذا؟".

"ضعْ معطفك عليك. أريدك أن تأتي معي".

"ماذا سنفعل؟".

"سنُحضر سيّارة".

وقف إيڤان في المدخل مجدّداً، بالقرب من الهدايا. ولم يستطع أن يقرّر ما الذي استفزّه أكثر؛ أهي الأعصاب التي ترتعش من الداخل، أم الموسيقى التي لم تتوقّف قط؟

انتظر دقيقة مرتدياً معطفاً ذا قصّة غير محدّدة الخطوط، ومنتعلاً حذاءه المهلهل قليلاً، حين لوّحت له بيدها.

"هل يمكنكَ أن تصعد إلى هنا؟".

أنيللي... في غرفة الجلوس بجانب الشجرة، رآها هناك في أعلى السلّم، وهناك حبلُ مصابيح صغيرة بين يديها. الحبل الأخضر ملفوف بعناية حول الأغصان، حيث ثبّتته مصباحاً تلو الآخر.

"لقد انتعلتُ حذائي".

"لا يهمّ".

فعل كما قالت، ووقف بجانبها تماماً عندما نظرتْ إلى الشجرة لتقييمها. كان من الواضح أنّهما لم يريا الشيء نفسه. بدت راضية، ودندنت مجدّداً، وبدأت تدور حول المصابيح الفضّية. في حين أنّ كلّ ما رآه هو كان شجرةً حقيرة نُقلت من مكانها الطبيعي في الغابة إلى منصّة، ثمّ غُطِّيت بالزينة.

"هذه... حقيقيّة".

أخذت بضع هدايا كانت مجمّعة حول القاعدة؛ تحت أغصانٍ أكثر امتلاءً، ثمّ قرأتْ البطاقات.

"أغلبها لسيباستيان".

ورق التغليف هو ذاته الذي استُخدِم لتغليف العلب الفارغة، والترانيم نفسها.

"إنه ابني، وسيكون هنا ليلة الكريسمس ليحتفل معنا".

نجمة الميلاد موضوعة على حافّة النافذة. لهذا السبب نادته إلى هنا.

"لا أستطيع أن أصل إلى الأعلى".

وأعطته إيّاها.

"هل تَقدر؟".

ترنيمات خانقة... مصابيح فضّية على أغصان شجرة صنوبر. أخذ النجمة ولفّ ذيل شريطها حول رأس الشجرة.

"ممتاز! مدهش!".

بدت سعيدة جدّاً، الشجرة أصبحت جاهزة، النجمة على رأسها دلّت على ذلك.

بالنسبة له، دلّت على شجرةٍ مثقلةٍ أكثر.

"شكراً إيڤان. هلّا تساعدني في نقل تلك الهدايا في الأسفل أيضاً".

أكياس العلب الفارغة في المدخل.

"سننقلها إلى السيّارة".

أكياس الخيش خفيفة الوزن، لذا حمل واحداً في كلّ يد، ونقلهما إلى السيّارة التي استأجروها. سيارة يابانية الصنع. أرادوا أن يبدوا طبيعيّين قدر الإمكان. سارت أنيللي خلفه حاملة الكيس الثالث، وفتحت الصندوق.

"يجب وضع نصفها هنا. فهي ستكون أوّل شيء سيراه أحدهم إذا فُتح الصندوق غداً. سيكون ذلك عند الساعة الثالثة تقريباً، فيما لا يزال هناك القليل من ضوء النهار. وإذا وُضعت هنا وعلى المقعد والنافذة الخلفيّين، فسيكون من الممكن رؤيتها من الأعلى. ستبدو السيّارة ممتلئة بالهدايا، وسأكون جالسة خلف المقود. هذه كانت فكرتي".

بدت فخورة؛ تماماً كما بدت عندما راقت لها الشجرة. وضعا الهدايا كلّها دفعةً واحدة. كان الطقس بارداً وكان يرتجف، في حين لم يكن بإمكانها أن تقرّر ما إذا كان ينبغي وضع العلبة الزرقاء أو الخضراء بالقرب من تلك الذهبيّة. نقلتها من المقعد إلى النافذة الخلفيّة، ومن النافذة الخلفيّة إلى الصندوق.

"ماذا تفعلين؟".

"يجب أن تبدو جميلة".

"إنّها تبدو جميلة".

تجاوزهما ليو حاملاً حقيبة على ظهره.

"سنستقل سيّارتك بابا".

سارت السيارة على الأسفلت باتّجاه البوّابة، إلى أن رُكِنت في الخارج، وهي نصف معبّأة بالأدوات وفراشي الطلاء.

"جاسبر... هذا".

"ما به؟".

"مَن هو بحقّ الله؟".

"واحد من أقدم أصدقائي. ألم تعرفه؟".

وجد إيفان مفتاح السيّارة في الجيب الداخلي لمعطفه الأسود.

"هل تثق به؟".

"عذراً!".

"هل تثق بذلك الجنديّ المدّعي؟".

فتح باب السيّارة، وجلسا على مقعديهما، ووضع المفتاح في مشغّل المحرّك.

"هل تثق به؟".

"أجل".

"اسمع... جاسبر من نوع الرجال الذين لا يتردّدون أبداً. وهو يفعل ما أطلبه منه تماماً. وإذا حدث شيءٌ ما غير متوقّع غداً، إذا أوقفونا، وإذا اقتربوا منّا أكثر... فلن يتراجع مطلقاً".

—

راقبت أنيللي ظهرَي ليو وإيڤان من نافذة المطبخ، منتظرةً أن يستدير ليو كي تلتقي عيونهما بتلك الطريقة التي أصبحت جزءاً منها، ولكنّه لم يستدر. لاحظت مشيته المركّزة، وحركاته. فهو دائماً في الأيّام التي تسبق سرقةً ما ينغلق على ذاته؛ على عالمٍ لا يشارك فيه أحداً. لقد رأت أيضاً شيئاً آخر؛ رجلين بالطول نفسه، والبنية الجسدية نفسها، القويّة والعريضة، ولكنّها ليست ضخمة. والآن، فيما وقفا هناك كتفاً إلى كتف، بدا التشابه بينهما واضحاً، وهو شيءٌ لم يكونا يدركانه.

كانت غرفة الجلوس مظلمة جدّاً. أدخلت أنيللي سلكاً في مقبس الحائط، فشعّ فيها النور. لو جئت باكراً ودفعت مبلغاً أكبر، لحصلت على الشجرة المثاليّة. عدّلت علبتين أسفل الغصن الأكبر. كانت البطاقات قد كتبت بكلمات مسجّعة عملت عليها بجدٍّ، ولكنها لا تزال تبدو غير جيّدة بما فيه كفاية، فتساءلت عما إذا كان سيكون سعيداً. لطالما كان التركيز الشديد يبدو على وجهه عندما كان يفتح الهدايا، كما يبدو شديد الترقّب. لقد مرّ زمنٌ طويل على آخر مرّة احتفلا فيها معاً بالكريسمس. لكنْ، هذه السنة ستجد الوقت لنقله بعد أن يكونوا قد تخلصوا من سيّارة الهروب، وأخفوا المال والأسلحة. حتى إنها ستجد الوقت كي تطهو قطعة لحم مع عصير الليمون والكزبرة الطازجة والسكّر والبقدونس والخلّ، وستتركها في الثلاجة ليلة وضحاها. كما ستستخدم قشر الليمون كزينة. سيحظون باحتفال حقيقي هذه المرة، كعائلة. فقط ليو وسيباستيان وهي.

آخر الهدايا هي بوقٌ لدرّاجته الهوائيّة، وخوذة لهوكي الجليد خاصّة بحارس

المرمى والتي كانت صورة ألسنة ناريّة تزيّنها، فقد طلب واحدة مثلها. بدأت بتغليفهما على طاولة القهوة المنخفضة. ورقٌ، شريطٌ للزينة، شريطٌ لاصق، وعلبٌ لا يجب أن تكون فارغة.

"وماذا تريدين أنتِ بمناسبة الكريسمس؟".

إنه جاسبر، لم تسمعه. إذ كان يحبّ التسلّل في الأرجاء.

"ماذا تقصد؟".

"كنت أفكّر... لديّ الوقت لأصلَ إلى متجر آلنز قبل أن يقفلوا. ففي هذا الوقت من العام يفتحون حتّى التاسعة".

"ربّما هم يفعلون".

"لأنّني لا أستطيع أن أُمضي ليلة الكريسمس هنا من دون أن أهديك شيئاً".

كان الورق ممدوداً على الطاولة، وقطع الشريط اللاصق معلّقة بأطوال متساوية على حافّة الطاولة حين توقّفت فجأةً.

"ماذا قلتَ؟".

"في حال كنتُ هنا، سيكون عليّ..."

"لن تكون هنا. سنسرق مصرفاً معاً، ثمّ سيحتفل كلٌّ على حدة".

"سألني ليو... إن كنت أريد ذلك، ووافقت. إذاً، سنحتفل معاً، وستصبح العائلة أكبر".

جلس على كرسيّ فيليكس.

"كلا. كلا. لن تكون هنا".

تأرجح على الكرسي قليلاً، كما كان فيليكس يفعل دوماً.

"ظننتُ أنّ هذه المناسبة ستكون أشبه ببداية جديدة. أليس كذلك؟".

"هل سمعتَ ما قلتُه؟ لن تكون هنا".

"وأظنّ، إذا كنت أفترض جيّداً، أنّه بإمكاننا الحصول على أكثر من مليون ربّما. ثمّ... سنتابع مسارنا".

لم تُجِبْ.

"أنّيللي، ما رأيك بذلك؟".

لم تنظر إليه وهي تلصق الورق من الخارج بدلاً من الداخل، إلا أنّه لم يبدُ مستقيماً تماماً.

"ما رأيي؟ رأيي أنّك لم تفهم شيئاً. وهو أنّك لن تحتفل بأي كريسمس معنا، لأنّك لا تنتمي إلى عائلتنا. لأنّك... لأنّك لا تفهم أنّك مجرّد جنديّ لعين! مجرّد كلب يركض ليلتقط العيدان كلّما ناداه سيّده".

مزّقت الورقة ثم بدأت من جديد، إذ لم تبدُ جيّدة.

"ألا تدرك أنّك لست أخاه المشؤوم؟ أنت تجلس هناك على كرسيّ فيليكس، لكنّك لست أخاً حقيقيّاً!".

نظرتْ إلى شخصٍ كان مهيّأ ليطلق النار من مسدّس أوتوماتيكيّ في أيّ وقت. وإذا جُرح، فقد ينهض ويهاجم ويؤذي. ولكنّه اكتفى بالجلوس هناك، والنظر إلى عينيها، والتأرجح مجدّداً.

" أنيللي... لقد عرفتُ ليو قبل أن تعرفيه أنتِ منذ زمن طويل. وهو لم يدع أيّ أحد يقف في طريقه، ولن يفعل ذلك. ليو لديه إخوته، وأنت تعرفين ذلك جيّداً".

ووضع قبضة يده على صدره، وضرب عليه عدّة مرّات.

"ليو لديه إخوته".

ثمّ نهض، ومشى باتّجاه السلالم، ولكنّه توقّف في منتصف الطريق.

"ولكن، إلى حدٍّ ما... أنت محقّة".

وتوقّف عند نقطةٍ مثيرة للانتباه.

"أنا جنديّ، جنديٌّ مؤهّل. والجنديّ المؤهّل يعرف تماماً ما يريده. لذا، أنا أعرف تماماً ما سأفعله غداً. ولكن، أنتِ هل تعرفين؟".

وألقى التحيّة، وقد وضع يده على جبينه.

"لستُ الحلقة الضعيفة. فأنت التي ستقودين سيّارة الهروب. كم مصرفاً سرقتِ حتّى الآن؟ إذا أُوقفنا غداً يا أنيللي، إذا أوقفنا رجال الشرطة، وأنتِ الشخص الذي عليه أن يُنزل النافذة، الشخص الذي عليه أن يقول: آه، أيّها الضابط، هل هناك اختبار الكحول؟ إذا كان هذا هو دورك... آه، بحقّ الله".

وأكمل طريقه باتّجاه السلالم، ثمّ نزولاً إلى الطابق الأوّل وغرفة الأسلحة؛ في طريقه إلى مهمّتُه.

—

لقد قادا جنوباً عبر ظلمةٍ حالكة تحت مصابيح إنارة متناثرة، من تومبا إلى

سودرتاليا التي رحّبت بهما بدخانٍ كثيف يتصاعد من مدخنة محطّة تدفئة. من هذه المسافة في برد الليل القارس، بدوَا ككرتيَ غزل بنات منفوشتين. أوّلاً، ركنا السيّارة أمام مجمّع التسوّق الجديد الذي لا يزال مفتوحاً في هذا الوقت المتأخّر من الليل؛ قبل يومين من اليوم الكبير، ثمّ نزلا عبر ممرٍّ مخصّص للدرّاجات الهوائية يشقّ طريقه عبر منطقة سكنيّة. رفع إيڤان ياقته عالياً، ووضع يديه في جيبيَ معطفه، وهناك قشّة تخرج من فمه. كان يتجمّد من البرد، وقد لاحظ ليو ذلك. كان يتجمّد من البرد لأكثر من سبب، ولذلك اختاره ليو بدلاً من جاسبر. لقد أصبح ذلك واضحاً عندما فكّك المسدّس وجمع أجزاءه؛ كان عليه أن يواجهه قبل فوات الأوان.

أوّلاً السيّارة، ثمّ المواجهة.

منتزهٌ صغير، من النوع الذي يخبّئ فيه الأولاد أشياء عن أهاليهم بالقرب من مدخل موقف للسيّارات. إنه مكان مهجور. لا أحد فيه. لا أحد يسير برفقة قلقه الليلي أو كلبه الذي لا يكلّ.

"أشعلْ سيجارة، وإذا جاء أحدهم يجب عليك أن تطفئها".

أخرج إيڤان علبة تبغ متكتّل، وبدأ يلفّ سيجارة، فيما ذهب ليو إلى السيارة التي اختارها؛ فورد سكوربيو، ذات لون أزرق بحري، ومن طراز قديم. ستنقلهم من المصرف إلى مكان تبديل السيّارتين.

قوّم قطعة سلكية منثية إلى نصفين، وحوّلها إلى سلك طويل أنزله عبر إطار النافذة. انحنى إلى الأمام، وهزّ السلك وأداره في المكان المناسب. قام بحركة سحب واحدة، وإذ به يرفع قفل السيّارة الجانبيّ. أصبح بإمكانه الدخول. استخدم مفتاح أنابيب لرفع الغطاء عن ثقب المفتاح، ومطرقة لفكّ القفل، ومفكّ براغيّ متوسّط الحجم لتشغيل المحرّك.

انصرف وسار باتّجاه سيجارة مشتعلة.

—

قفّازان قماشيان، وخرقة للتلميع. مسح جاسبر خرطوشةً، وحشرها داخل مخزن الذخيرة، ثمّ ألحقها بأخرى، وتلتها أخرى حتّى امتلأ المخزن. كان باستطاعته مسحها، ثمّ وضعها مع باقي مخازن الذخائر. كومة من ستّين مخزن ذخيرة خالية من البصمات. كان دائماً يحمل ثمانية. ليو أراد ستّة، وإيفان سيحصل على اثنين.

ألقى ظهره على الحائط الرطب. أحبّ الجلوس وحده في الغرفة السرّية فيما باب الخزنة مفتوحاً، وحيث توجد سلالم الألومنيوم؛ مركّزاً على ما كان يتقنه أكثر من غيره، ما كان ليو يحتاج إليه، وما تعتمد عليه كلّ سرقة مصرف. فمن دون أسلحة، لن يكون هناك اعتداءٌ، ولا فوضى، ولا ثلاث دقائق من الرعب والشلل.

ثمّ سنستولي على المصرف المركزي.

فكّر في ذلك كلّ يوم. هو وليو خطّطا للمرّة المقبلة.

أربعون، وربّما خمسون مليوناً.

الجلوس هناك في الأسفل، والتفكير في العملية كانا بمثابة مهدئ له، ولكن ليس بالكامل. فالاستفزاز الذي حصل أمامه وصدّه ودوّى فيه لم يتوقّف، فقد كان هناك، ولكنّه أقلّ إصراراً. مجرّد جنديٍّ لعين. لم تكن أنيللي تعرف شيئاً عمّا كانا يخطّطان للقيام به بعد عام! ليس شيئاً سخيفاً! لستَ أخاً حقيقيّاً. كانت قنبلة موقوتة، واستطاع الشعور بذلك، وأراد أن يصرخ بذلك محذراً ليو من أنّها تعرف كلّ شيء، وأنّها تستطيع التكلّم متى شاءت وتدمير كلّ شيء! أراد أن يحذّره، ولكنه لم يستطع القيام بذلك. إذ إن الأمر سيبدو سيّئاً. من الناحية المثاليّة، كان يرغب في ضرب جبهتها بالبندقيّة والتبرير بأنّها فقدت وعيها بالكامل. إذ كانت تميل إلى الكلام بكثرة. ولكنّه لم يكن ليقترف الخطأ نفسه مجدّداً، ليس مثلما حدث مع ڤينسنت. إذ لا يمكنك تعليم شخصٍ لا يريد التعلّم. ولكنّه محقّ، ولهذا السبب هو

مَن يجلس في غرفة الأسلحة ويمحو آثار البصمات وليس ڤينسنت. وسيثبت على الأرجح أنّه محقّ بخصوص أنيللي أيضاً.

نظر إلى ساعته، يجب أن يكونا على تواصل قريباً.

صفوفٌ وصفوفٌ من الأسلحة الأوتوماتيكيّة. لم يكن هناك ما يشبه هذه الغرفة. فهناك تقبع على الرفّ العلوي، في صندوق خشبيّ ذي لون أخضر مائل إلى الرماديّ، ولا تزال غير مستعملة. لكن الآن، بما أنّهما- هو وليو- الوحيدان اللذان يعرفان كيف يحملان سلاحاً، صار الوقت مناسباً لها. رفع الغطاء، إنّها مستديرة، وناعمة كقشرة البيضة. وفي كلّ منها عُلّقت حلقة معدنيّة، ودلّت على الفرق بين الفوضى والجحيم. إنّها قنابل يدويّة. حصلوا على مثلها في تمرينهم الأخير أيضاً. سيأخذ معه ثلاثاً منها غداً؛ فقط من باب الاحتياط، ومن دون أن يقول شيئاً لليو.

رُنّ هاتفه النقال بصوت صاخب، مما يعني أن ليو وإيڤان باتا مستعدّين. جلسا في سيّارة مسروقة وتوجّها شمالاً.

أعاد جاسبر صندوق القنابل اليدويّة إلى الرفّ العلوي. حان وقتُ الذهاب، وهو ليس بحاجة إليها قبل الغد.

—

عبر ظلمة الشتاء مروراً بسودرتاليا بصمتٍ، وعيناه شاخصتان إلى الأمام، إلى أن عبرا سترانغناس وانعطفا إلى المخرج المؤدّي إلى الطريق السريع 55. عندها، ألقى ليو نظرة خاطفة على والده.

"هل يمكنك أن تقوم بذلك؟".

كان عليه أن يواجهه، ولم يكن هناك توقيتٌ أفضل من هذا. فهما وحدهما في السيّارة، عيناً بعين.

"ماذا تقصد بـ كلمة تقوم؟".

"عدم الشرب".

أراد أن يرى القوّة؛ أي ما قد رآه في السابق، القوّة اللامتناهية التي نشأ عليها، والتي لطالما عرفها وهيّأها حتّى قبل أن تتحرّر. كان الوضع أصعب الآن. لم يعد يفهم هذا الرجل أيضاً، ولم يعُد من السهل بالنسبة له معرفة ما يمكنه توقّعه من والده. لاحظ لمحة عن ذلك خلال درس السلاح، عندما تصرّف جاسبر كما لو أنه يرتدي بذّته العسكريّة أمام شخصٍ يكره البذّات العسكريّة. لكنْ لم يكن ذلك كافياً. أراد أن يعلم ما إذا كان الرجل الذي يلكم على الأنف، الرجل الذي كانت لكمته تؤثّر في الجسم بكامله لا يزال هنا.

"خارج المصرف بابا... ستكون الشخص الذي يقف هناك. وإذا أتى رجال الشرطة، فستواجههم أوّلاً. هل يمكنك أن تقوم بذلك؟".

"سأطلق النار إذا اضطررت إلى ذلك".

"أيمكنك أن تصوّب وتطلق النار؟".

"أعتقد أنّني أعرف كيف تعمل البندقيّة اللعينة!".

رفع والده صوته عالياً بالتدريج. مما جعل ليو يشعر بالاطمئنان؛ حتى الآن.

عاد الصمت ليخيّم عليهما عندما سارا عبر ريف السويد القديم، بين الشواهد القائمة الرونيّة ومقابر العصر البرونزي بين تقاطعٍ وآخر. مرّا بطريق أرنو، الجزيرة حيث كانوا يستأجرون كوخاً لتمضية الصيف على مدى بضع سنوات؛ عندما كانوا لا يزالون عائلة. ثم مرّا فوق جسر يولستا، ثمّ عبر الطريق الذي يفصل إنكوبينغ عن طريق المرور السريع رقم إي 18، والميل الأخير على الطريق السريع

70. لقد رفع والده صوته، وكان ذلك جيّداً، لكنه لم يكن كافياً، فعليه أن يندفع أكثر. هناك خطوةٌ واحدة بعد لاكتشاف ما إذا كان إيڤان الذي سيحتاج إليه غداً لا يزال في داخله.

"هل يمكنك أن تقوم بذلك؟ هل أنتَ متأكّد من الأمر يا أبي؟".

"توقّف عن ذلك".

"إذاً، ألن أضطرّ إلى إخفاء الشراب هذا المساء؟".

شدّ إيڤان قبضتَي يديه، ورأى ليو ذلك. شدّهما ووضعهما في حضنه.

"ليو، اللعنة... هل تحاول أن تعطيني الأوامر؟ هل هذا ما تظنّ أنّك تفعله؟ أتحاول أن تبدو مثل قائدٍ حقيقي؟".

" لم تُجِبْ. الزجاجة يا أبي، الزجاجة! يجب أن أعرف، هل ستفرغها؟".

"إذا كنتَ قائداً حقيقيّاً، فأين شقيقاك؟".

إنه أبٌ تعرّف إليه، على الأقلّ قليلاً.

"أبي... ألهذا السبب قبلتَ؟".

كانت هذه هي العدائيّة التي أراد أن يراها. فقد أراد أن يرى إن كانت لا تزال فيه وتخرج منه بطريقة تلقائية وفطرية. وأن يعرف إن كان بإمكان والده التحكّم بها، وإن كان قد تعلّم كيفية التركيز عليها.

"ألهذا السبب أنتَ هنا؟ ظننتَ أنّنا سنفعل هذا معاً، مثل عائلةٍ كبيرة مشؤومة... اللعنة، ألا تستوعب ذلك؟ لو كان فيليكس وڤينسنت لا يزالان معي لَما كنت قد احتجتُ على الإطلاق إلى شخصٍ مثلك يا أبي".

لم يَعُد إيڤان يحدّق أمامه مباشرة. فالعينان اللتان كانتا تختبئان للتوّ خلف أفكارٍ ضبابيّة باتتا الآن واضحتين وسوداوين، وتنظران نظرة ستتحوّل إلى قتالٍ في أيّ وقت.

ويداه، نظر ليو خصوصاً إليهما، لم تكونا ترتجفان على الإطلاق.

"حسناً، اللعنة. إذاً... لِم لا؟".

أرخى والده يديه، فلم تعودا مشدودتين. والصوت صار أكثر انخفاضاً.

"لماذا ليسا هنا؟ لماذا ليسا معك؟ مع قائدهما؟".

"ببساطة، إنهما لا يريدان أن يكونا هنا بابا".

"هل أنتم أعداء يا أبنائي؟ علّمتكم أن تتعاضدوا معاً".

إنها لا تزال في داخله، ولكنه قادر على التحكّم بها. وإذا كان قادراً على التحكّم بنفسه، فسيكون ليو أيضاً قادراً على التحكّم به.

بات أبوه قادراً على الوقوف هناك غداً.

"كلا. إنهما ببساطة لا يريدان ذلك. وعندما لا يريد أحدهم فعل شيء ما، فلا تجبره على ذلك. تعلّمتُ ذلك منذ زمنٍ طويل. إذ لا ينجح الأمر أبداً، أليس كذلك؟".

نظرا إلى بعضهما بعضاً؛ كأب وابنه. كانا هناك، في ذلك الوقت. وهنا، الآن.

"وأنا لا أجبرك أنتَ أيضاً. لذا، إذا لم تكن تريد ذلك يا أبي، فأخبرني الآن".

المخرج الأخير. ضاقت الطريق، وصارت المنعطفات تحدّ الرؤية. سبعون ميلاً. سيصلون قريباً إلى هناك.

"ليو".

تحوّلت المزارع إلى ظلمةٍ لا إطار لها خارج نافذتهما.

"ماذا؟".

"هل ستقوم فعلاً بذلك؟".

وفي الأعلى مباشرةً، بدت أنوار المباني المنخفضة وبيوت الإيجار العائليّة التي شكّلت بلدة هيباي الصغيرة.

"أقصد... هل ستفعل ذلك معهما؟ مع ذلك الجندي المدّعي المهرّج الذي يعتقد أنّه يجب علينا اجتياح روسيا، وتلك المرأة التي تعيد ترتيب العلب الفارغة على المقعد الخلفي محاولةً جعلها تبدو جميلة؟ هل يمكنها قيادة سيّارة حتّى؟ اسمع يا ليو، هل فكّرت جيّداً في الأمر؟".

"فكّرت بكلّ شيء. هناك فقط مشكلة واحدة؛ وهي أنت. فأنتَ الخطر الوحيد".

"هذا جنونٌ يا ليو!".

"لقد سرقت تسعة مصارف، لذا أعرف جيّداً ما أفعله".

للحظةٍ، كان بإمكان إيقان لمس حقيقة الوضع، فقد رآها بكلّ وضوح. أشخاص عرفوا بعضهم بعضاً جيّداً، وتشاركوا التاريخ نفسه، وجمعتهم المعرفة. أيّاً كان المسؤول، فهو يستوعب الكلّ في داخله وينتهي به الأمر في الصدارة، ولطالما كان هو ذلك الشخص. لكنْ في هذه السيّارة الملعونة التي لم تكن لهم حتّى، في

الريح الجليديّة التي كانت تتراقص عبر النافذة المفتوحة وتجعل خصلات شعره الرماديّة المتجعّدة ترفّ، كان ابنه الأكبر هو المسؤول.

"أنت تدرك حقيقة الأمر، أليس كذلك بابا؟".

كانت البلدة أصغر من تلك التي عاش فيها. وفي هذا الوقت من الليل، كانت قاتمة كلّياً؛ باستثناء الكشك عند محطّة الباصات الصغيرة، ومطعم البيتزا والكباب مقابله الذي كان يغلق الآن لفترة المساء، ومتجر الفيديو الذي سيبقى مفتوحاً لمدة ساعة إضافيّة؛ بحسب لافتة مكتوب عليها بخطّ اليد. وها هو هناك، في مبنىً مجصّص منخفض العلوّ، ومُضاء، ومحشور بين متجر للتبغ وعيادة لطبيب أسنان.

"المصرف. هناك سوف تقف غداً، بجانب تلك اللوحات الخشبيّة البنّية التي تظهر عند المدخل".

مرّا ببطء قربه.

"هل تفهم ذلك؟ هل فهمت أنّك ستقف هناك بابا، فعلاً؟ أو تعتقد أنّ الأمر... جنونٌ؟".

ثمّ تجاوزا البلدة. شارعٌ واحد فقط، مرّا أوّلاً عبر منطقة أصغر مؤلّفة من بيوت ومواقع صناعيّة، ومحاطة من الجوانب ببضعة متاجر بقالة ومبانٍ سكنيّة، ثمّ مرّا بدار عبادة بيضاء جميلة على الهضبة.

ومن ثمّ عادا إلى الطريق السريع.

سارا بضعة أميالٍ عبر غابةٍ كثيفة، ثمّ عبرا منعطفاً ضيّقاً، وبعد ذلك تابعا السير مسافة ميل واحد غرباً. على الجانب الأيمن يوجد سياجٌ مع صفّين من صناديق البريد التي تعود إلى بيوت صيفيّة معدودة. خفّف ليو السرعة، وخرج من

الطريق المرصوفة إلى طريق غير معبّدة، مروراً بإسطبلين كبيرين وجرّار يجمعها سقفٌ واحد. كانا سيتوقّفان هناك، في بقعة طبيعيّة تصلح لتكون موقفاً للسيّارات بين جذوع أشجار كثيفة ونامية. خرج من السيّارة ودخل الغابة، وعاد برزمة من أغصان التنوب مجموعةً بين ذراعيه، ثمّ ذهب وأحضر أخرى... إلى أن تمّت تغطية السيّارة بسرعة. أهمّ شيء كان الجانب الأيمن منها، والنافذة المواجهة للطريق. ثمّ بدآ يمشيان عبر الغابة السوداء.

"بالطريقة نفسها غداً. سنجتاز مسافة مئتي ياردة لنصل إلى السيّارة التالية".

أرضٌ عارية، وظلمةٌ لا تشبه إلّا الظلمة في غابةٍ كثيفة ذاب عنها الثلج، في وقتٍ متأخّر من ليل الشتاء. الضوء الوحيد البعيد فوق الأغصان كان مصدره النقاط البيضاء لنجومٍ بلا أسماء، تحيط بنصف قمر مشعّ. حاول ليو النظر إلى والده، غير أنّه سمع فقط صوت تنفّسه الثقيل فيما كان جسمه المفتقد إلى اللياقة يتوارى تحت الأغصان العنيدة. ومن دون ضوء، كان وجهه بلا ملامح.

"أبي".

ناداه حالما اجتازا المصرف.

"ماذا؟".

"قلها في هذه اللحظة".

"ماذا أقول؟!".

توقّف ليو، فتوقّف والده حالاً. غارقين في الظلام، ويبعدان عن بعضهما مسافة ذراع، ربّما كانت عيناه تلمعان، أو ربّما تخيّل ذلك فقط.

"قل ذلك لأتمكّن من مراجعة الأمر. قلها الآن، هنا... في ما بيننا. قلْ إنّك لا تقدر على فعل ذلك. يمكنني أن أستوعب الأمر، ولكنّني أريد أن أعرف الآن، وليس غداً إلى مائدة الفطور".

سمعاه... كلاهما؛ صوت إطارات تقترب من الطريق غير المعبّدة. ثمّ رأيا أضواء أماميّة تسطع عبر جذوع الشجرة. إنها السيّارة نفسها التي كانت مركونة خارج المنزل في تومبا، ومحمّلة بعلب هدايا ملوّنة وفارغة.

السؤال بسيط... ولا جواب حتّى الآن. لم ينتظر مدّة أطول، بل بدأ يسير نحو السيّارة ونحو جاسبر الذي كان خلف المقود.

"ليو".

كان يدفع الأغصان جانباً عندما أمسك به إيفان.

"ليو، انظر إليّ".

كان هناك غصنٌ ثقيل بين وجهيهما... صنوبر... أشواك.

"أنتَ، انظر إليّ".

ضغط عليه إيفان إلى الأسفل، قطعه.

"أنا والدك، ويمكنني القيام بذلك. هل تسمعني؟".

وقفا للحظة جامدين بين جذوع الشجرة الثقيلة، ونظرا إلى بعضهما بعضاً. على الأقلّ، كان من الممكن ملاحظة ملامح الوجه إذا نظرتَ عن كثبٍ كفاية.

تنفيذ المهمّة... معاً.

كان لدى إيڤان ما يلزم، وقد رأى ليو ذلك على وجهه، وسمعه في صوته. إنها القوّة التي يجب أن تكون هناك فقط عندما كان يستحيل تجنّب النزاع.

توفير الأمان عندما يكون الآخرون في وضعيّة غير آمنة.

الآن، سيقودان السيّارة باتّجاه المنزل، وسيأكلان القليل، ثمّ سينامان.

فبعد بضع ساعات من الآن فقط، سيقفون هنا مجدداً، وسيستبدلون سيّارة محمّلة بالهدايا بسيّارة تكسوها الأغصان الخضراء. من هنا ستبدأ السرقة.

طَرقة خفيفة على الباب الأمامي تكاد لا تُسمَع. ولكن، بطريقة ما، تردّد صداها عبر أرجاء المنزل، فجعلت الكلّ ينتفض ويتجمّد ويتهيّأ.

كانت أنيللي واقفة عند منضدة المطبخ، تقطّع شرائح سميكة من الخبز لتصنع الشطائر، فيما إيڤان يقطّع الخيار والطماطم إلى مكعّباتٍ لصنع السلطة؛ لإعداد وجبة ليليّة خفيفة تمنح سارقي المصارف جرعة من الطاقة. بينما جلس جاسبر في مخزن الأسلحة وقد ترك الباب مفتوحاً، وراح يزيّت كلّ معدّات الغد. أما ليو فكان جالساً على أحد كراسي غرفة الجلوس وقد مدّ خريطة على الطاولة، وراح يدرس منافذ بديلة للهروب.

تحرّكوا بسرعة، وهيّأوا أنفسهم.

لم يكن هناك سببٌ لمجيء أيٍّ كان إلى هنا، ليس الآن؛ قبل أقلّ من يوم من بدء العمليّة.

تسلّل ليو إلى غرفة النوم، ووقف قرب النافذة، ورفع طرف الستارة، ولكنّه لم يتمكّن من رؤية من كان تحت سقف المدخل الخارجي من حيث يقف هناك. نزل السلالم باتّجاه الباب الأمامي، وإذ بيدٍ قد ضغطت على الوصواص.

طرقة أخرى.

صعد جاسبر من مخزن الأسلحة حاضناً بين ذراعيه بندقيّتين أوتوماتيكيّتين. سلّم واحدة لليو الذي وضعها على رفّ القبّعات وغطّاها بسترة، فيما حمل جاسبر الأخرى ودخل المطبخ.

همس ليو قائلاً لوالده:

"اصعد إلى الطابق العلوي، وخذ أنيللي معك".

وانتظر حتّى اختفيا في أعلى السلالم، ثمّ فتح الباب.

"إذاً، هل كنت شقيّاً مؤخّراً؟".

هذان الاثنان... هنا... أمامه.

"هل كنتَ كذلك؟".

استرخى، وابتسم.

"ادخلا".

عانقهما كليهما؛ فيليكس وڤينسنت. لقد عاد شقيقاه.

"ادخلا، اللعنة!".

اقترب جاسبر من المطبخ، وبندقيّته في يده.

"أظنّ أنّ كلّ العائلة قد اجتمعت!".

نظر ڤينسنت إليه، ولكنْ ليس مطوّلاً؛ إذ إن جولة في القطار وسبطانة مسدّس مصوّبة نحو رأسه وقفتا حاجزاً بينهما.

"لستَ فرداً من العائلة".

ثمّ نزلت أنيللي من الطابق العلوي، وخلفها... إيڤان.

"ماذا يفعل... هذا هنا بحقّ الله؟".

قوبِل ليو بوجهين ضاحكين ومسترخيين عندما فتح الباب، وها هما قد اختفيا الآن. كان ڤينسنت يبذل جهداً ليتجاوز جاسبر، فيما انهار فيليكس سريعاً

من شدة الغضب.

"ما يفعله هنا أمر واضح".

"كلا، ليس كذلك!".

"هناك من غادر وانتقل إلى غوتنبيري المشؤومة، لذا كان عليه أن يحلّ مكانه. أليس كذلك؟".

كان إيڤان قد توقّف عند منتصف الدرج، وها هو الآن يكمل طريقه نزولاً.

"ولدَيّ".

واتسعت ابتسامته أكثر فأكثر بعد كلّ خطوة.

"كان الأمر كذلك... ڤينسنت، لقد أصبحت كبيراً الآن... وأنت فيليكس... هل ترى يا ليو؟ إنّهما هنا الآن!".

صار الرواق مزدحماً، وأدرك ليو أنّ هذا ما يكون عليه الأمر عندما تكون محشوراً من الجهتين. فخلفه أبوه وقد نفد صبره؛ إذ أراد أن يتقدّم من ابنيه ويلقي عليهما التحيّة، وأمامه شقيقاه الصغيران اللذان لم تكن لديهما النيّة لفعل ذلك.

"نريد التحدّث إليك؛ أنا وڤينسنت... بمفردنا".

نظر فيليكس إلى ليو، فأومأ هذا الأخير برأسه نحو الغرفة التي تحتوي على مخزن الأسلحة.

دخلوا الغرفة وأغلقوا الباب.

"أعرف ما تفكّر فيه".

"لا أفكّر في شيء".

"لكنّنا لم نبدّل رأينا يا ليو. نحن لسنا هنا لنسرق أيّ مصرف".

كان فيليكس يحمل مغلّفاً في جيب سترته الداخلي.

"خذْ. إنها سبعون ألفاً... إذا كنت بحاجةٍ إلى المال، إذا كان هذا هو السبب الذي يدفعك إلى السرقة مجدداً".

نظر ليو إلى المغلّف الأبيض، وبدت الأوراق النقدية ظاهرة من الفتحة حيث لن ينغلق بكلّ الأحوال. مرّت عدّة دقائق غريبة. لقد فتح الباب، ورأى الشخصين اللذين اشتاق إليهما أكثر من أيّ كان، رأى ما كان يريد أن يراه؛ أي التواصل.

"خذها يا ليو. هذا ما تبقّى لدينا. خذها إذا كنت بحاجة إلى المال، وانسَ أمر سرقة ذلك المصرف اللعين!".

الآن فهم.

"أتيت إلى هنا يا فيليكس مثل سانتا مشؤوم لتسلّم الهدايا".

لم يكن هناك تواصل.

"فيليكس، اللعنة! ومن ثمّ ماذا؟".

"ماذا؟!".

"السبعون ألفاً لن تكفي لأكثر من بضعة أشهر".

"بعد ذلك، إذا شئت أن نعود... إذا أردت ذلك، فسنفعل. لا تزال لدينا شركة، أليس كذلك؟ لدينا شركة بناء حقيقيّة، لذا يمكننا أن نقوم بما كنّا نقوم به

من قبل. يمكننا أن نبني بيوتاً معاً".

بقي المغلّف معلّقاً في الهواء بينهما.

"ڤينسنت".

نظر ليو إلى شقيقه الأصغر.

"هل ما زلت توافقه الرأي؟".

"لا أعرف".

"ألا تعرف؟!".

"لا أعرف!".

أدار ليو رأسه جانباً وابتسم.

"لكنّ الذي تعرفه يا ڤينسنت هو أنّك لا تطيق المكوث في المنزل، ولا القلق بهذا الشأن. لذا، إنّه وقت القرار. سنذهب إلى هناك غداً".

أسقط فيليكس المغلّف الذي لم يُرده أحد، وراقبه وهو يتهاوى على الأرض.

"إذاً، هل ستسرقون مصرفاً معاً؟ هل ستفعلون ذلك حقاً؟! أنتم... الأربعة!".

"أجل".

"ليو، هذا المغلّف لك. سأغادر الآن، فأنا لم آتِ إلى هنا بهدف سرقة مصرف، بل أتيتُ إلى هنا لأمنعك من فعل ذلك. ولا تطرح علينا هذا السؤال

مجدّداً... لا أنا، ولا ڤينسنت".

وذهب إلى الباب وفتحه، ثمّ استدار مخاطباً أخاه الأصغر:

"ڤينسنت، سأعود إلى الديار غداً صباحاً. بطاقتانا محجوزتان مسبقاً، وأنت تعرف رقم هاتفي إذا أردتَ أن تذهب معي".

"انتظر!".

نهض إيڤان عن كرسيّ المطبخ؛ كما لو أنه كان يراقب وينتظر.

غير أن فيليكس لم ينتظر.

"انتظر، أريد التحدّث إليك!".

وبالكاد استطاع الإمساك بذراع فيليكس.

"دعني أذهب، بحقّ الله!".

"أصغِ إليّ، نحن لم نرَ بعضنا بعضاً..."

"أُصغي إليك! أنت ستسرق مصرفاً مع ابنك!".

أفلت إيڤان الذراع التي كانت متشنّجة جدّاً وقال:

"فيليكس، بنيّ، أنا هنا لرؤيتك. أنت وليو وڤينسنت. ظننتُ أنّنا سوف... نعمل معاً؛ كلّنا".

"عذراً!".

كانت بضع ياردات تفصلهما عن بعضهما بعضاً، ولكنّها مسافة قريبة بما فيه الكفاية ليشمّ رائحة أنفاس والده التي كانت مختلفة؛ والتي لم تكن تفوح منها

رائحة الشراب.

"هل تعتقد أنّني قد أقبل بسرقة مصرف... معك؟! هل تعتقد حتّى أنّني أريد أن أتواجد معك في الغرفة ذاتها بعد ما أجبرتني على فعله بأمّي؟ هل تعتقد ذلك فعلاً؟ عليك اللعنة".

"عليك أن تتجاوز الأمر يوماً ما يا فيليكس. أنتَ لست غاضباً مني... بل أنتَ غاضب منه؛ من الرجل الذي عرفته حين كنت صغيراً، والذي لم يكن أكبر في السن من ليو الآن. تخطَّ الأمر، وانظر إليّ الآن، فأنا لم أعد الشخص نفسه. عليك أن تتجاوز الأمر".

"أعليّ أن... أتجاوز الأمر؟ هل يمكنك الإجابة عن سؤال واحد؟ مَن فتح الباب اللعين عندما جئتَ وهشّمت وجه أمّنا؟ هل كنتُ أنا؟ هل كان ڤينسنت؟ أم كان ليو؟ هل تذكر؟ أم أنّه يجب عليّ أن أتجاوز ذلك أيضاً؟".

وتقدّم خطوةً من والده.

"موافق، موافق! سأتنازل عن الأمر!".

ثم تنحنح وقال:

"سأتجاوز ذلك! الآن!"

صوّب نحو الأعلى بقليل هذه المرّة. ليس على الخدّ والعنق كما حصل مع والدته، ولكنّ الضربة أُنزلت عليه بالطريقة نفسها إلى حدٍّ كبير.

"ما الذي تفعلانه بحقّ الله؟".

خرج ليو من الغرفة الجانبيّة مسرعاً، وضغط بإحدى يديه على صدر أبيه، وبالأخرى على صدر شقيقه ودفعهما في اتّجاهين متعاكسين.

"غادر الآن يا فيليكس".

وقف ڤينسنت هناك بمفرده، وشاهد والده وهو يمسح لعابه بكمّ قميصه، فيما فيليكس يفتح الباب الأمامي.

"انتظر!".

أسرع إلى المدخل، وتجاوز والده، وتجاوز ليو قائلاً:

"سأرافقك".

كان إيڤان ممدّداً هناك لساعة، وربّما لساعتين، عندما أدرك فجأةً مصدر انزعاجه... إنه الرائحة. هذا ما كان يزعجه، وكان مصدرها الوسادة. نهض وقرّب الوسادة من أنفه. أجل، كانت هي. مزّق غطاء الوسادة العنيد الذي أبى أن يخضع له وشمّ رائحته، ثمّ شمّ الوسادة المهلهلة القابعة داخله. بيت الوسادة... كان متأكّداً من ذلك. الرائحة الطفيليّة التي كانت مألوفة جدّاً أعادته إلى الوراء، ففكّر بفيليكس وڤينسنت اللذين كان يجب أن يكونا هنا ولكنهما لم يتواجدا، وبليو الذي كان في الطابق العلوي، ثمّ بها. لم يفكّر بها غالباً، ولكنه في هذا المنزل شعر كما لو أنها تدندن حوله.

فاحت من غطاء الوسادة رائحة بريت ماري، ولم يعرف السبب.

هل نامت هنا هي أيضاً؟

أعادته الرائحة إلى الوراء. كان هناك. وشاية. دندنت حوله. كان يجلس مجدّداً على حافّة سرير مختلف تماماً، في زنزانة. جلس هناك أيّاماً بعدما أُلقيت زجاجة مولوتوف على منزل والدَي زوجته من جرّاء خيانة أحدهم له. وشاية. وفتح شرطيٌّ باب الحجرة وهناك ضمادة حول يده اليمنى، ثم دخل من دون استئذان راغباً في التحدّث.

التحدّث!

لم يكن إيڤان يريد التحدّث.

وعلى الرغم من ذلك، وقف ذلك الشرطيّ اللعين هناك طارحاً عليه الأسئلة، ومطالباً بالأجوبة.

- كيف أمكنك اصطحاب ابنك معك؟

- عمّ تتحدّث؟

- أتحدّث عن اصطحابك ابنك البالغ من العمر عشر سنوات معك لتحويل زوجتك إلى رماد... أمّه.

- لا أريد التحدّث إليك الآن.

- اسمع، يبدو أنّ ابنك ليو ولدٌ طيّب، لقد...

- لا أريد التحدّث إليك، لست مجبراً على ذلك. أنا قابع في زنزانة، ولكنني من يقرّر متى أريد التكلّم. لذا، غادر. اخرج من هنا!

- ليس عليك أن تتحدّث إليّ... لأنّ ابنك قد فعل. لقد أخبرنا ليو كلّ شيء. كيف صنعت القنبلة، وكيف اصطحبته في السيّارة وركنتها على الطريق، وكيف اخترقت شجيرات توت العلّيق، وكيف وقفت هناك بعيداً قبل أن ترميها على نافذة الطابق الأرضي.

- لم أرمِ أيّ قنبلة. ولم يكن ابني ليتكلّم.

- لكنّه فعل، وكلّ شيء سار بسلاسة. فعل ذلك بملء إرادته، وكانت أُمّه هناك. جلستُ إلى طاولة مطبخكم مع ابنك لمدة ساعة.

- إذاً، شرطيٌّ لعين أجبر ابني على الجلوس لمدة ساعة كي يخبر عنّي!

- أجل.

- وسار الأمر على ما يرام، أليس كذلك؟ في هذه الحالة، ماذا حصل ليدك؟ لم يكن ابني ليتكلّم. في عائلتي، لا يشي أحدنا بالآخر.

- تكلّم لأنّه كان يحتاج إلى التكلّم، ألا تفهم ذلك؟ أنتَ والده، إيڤان. لذا، من أجله، أخبرني بما حدث، كي لا يضطرّ إلى تحمّل ذلك وحده.

- اخرج من هنا! الآن!

تلك الرائحة اللعينة... لم يستطع التخلّص منها على الرغم من أنّه مزّق غطاء الوسادة إلى أجزاء، ورماها خارج النافذة. ذهب إلى الرواق، إلى البرد والظلام. الظلام في الداخل كما في الخارج. كان هناك ضوءٌ في فناء بيت الجيران، ذلك كلّ شيء. كان يتسلّل مثل طفلٍ في أرجاء بيت ابنه، وكان صوتها يطنّ ويتردد حوله؛ حتّى أصابه الدوار وانزلق وضرب وركه بالمغسلة ورجله بطاولة المطبخ. لم يشأ أن يعود إلى ذلك المكان، إلى ذلك الوقت. لم يكن يريد أن يكون ذلك خلفه، بل كان يريد أن يكون نقيّاً، من دون ماضٍ، ومن دون أيّ سبب يجعل الناس يبصقون في وجوه بعضهم بعضاً. أنتَ مصدر الخطر الوحيد. سار بجانب ليو، واقتحما معاً سيّارة الهروب، وقاداها إلى موقع تبديل السيّارتين، وإذ بابنه ينظر إليه ويتّهمه؛ حتى قبل أن يبدآ. الزجاجة يا أبي. الزجاجة! يجب أن أعرف. هل ستفرغها؟ خطرٌ! الطنين حول رأس أحدهم هو الخطر المشؤوم. الوشاية بأحدهم هي الخطر المشؤوم. لم يتناول أي قطرة منذ ثمانٍ وأربعين ساعة، وكانت يداه ترتجفان، وكان على وشك التقيّؤ عدّة مرّات، ولكنّه لم يفعل. كان يعرف أنّ هناك زجاجة شراب في الخزانة في الزاوية. وجعلته الحرارة التي شعر بها لدى تفكيره بذلك يرتجف؛ على الرغم من أنّ المنزل لم يعد بارداً؛ إذ كان الأمر يتعدّى ذلك. جلس إلى طاولة المطبخ، والآن بات يتجمّد من البرد ويحترق من الحرّ في الوقت نفسه، ولم يرتشف قطرةً واحدة، بل استلقى على الأرض، ولكمَ الهواء لأنّه كان يطنّ ويطنّ.

كان جاسبر لا يزال مستيقظاً ومغتاظاً. لم يكن السبب وسادات الأريكة غير المريحة فقط، أو الملاءات السميكة، أو النور الذي تسرّب إلى الداخل عبر الستائر المخرّمة. لم يكن ذلك ما أزعجه. إذ كان يمكنه ببساطة الاستلقاء على الأرض عارياً ومن دون غطاء إن اضطر إلى ذلك. كانت هي التي أبقته صاحياً... أنيللي؛ الحلقة الضعيفة. وكان هو الوحيد الذي رأى ذلك. فالضعف لا يظهر إلا عندما يتعرّض المرء للضغط، وهي تحت الضغط ستنهار وتتحطم كبيضة خزف... ستنسحق. عشر دقائق في غرفة الاستجواب، وستشتكي كالطفل. شعر بالأسف على ليو؛ فقد كان عالقاً معها، وليس بمقدوره التخلّص منها بسهولة. فهي ستلاحقه دوماً، وستذهب إلى الشرطة، أو ربما ستتحدّث كثيراً فقط؛ إلى صديقٍ أو شخصٍ آخر، ثمّ سيركل رجال الشرطة الباب. وإذا فعلوا، فهو يعرف ما ينتظره؛ ينتظره حكمٌ مؤبّد. القنبلة؛ إذ سيصرّ المدّعي العام على معاقبتهما لتعريضهما السلامة العامّة للخطر وستتفاقم التهمة.

إذا تكلّمتْ... فهناك حكمٌ مؤبّد.

ستشير أنيللي إليه أوّلاً، فهي لم تستلطفه يوماً، وقد شعر بذلك منذ البداية. في ذلك النادي في هاندن، كانت وحدها، وكانت تحتسي الشراب وتبدو جذّابة جدّاً. هذا ما ظنّه حينها؛ إذ بدت جميلة وطبيعيّة. تحدّثوا معاً؛ هو وأنيللي وليو. ورأى كيف ضحكت وهمست شفتاها بالقرب من أذن ليو مع كلّ كأسٍ جديدة تناولتها. شخصان في غرفة تتلاعب على جدرانها الأنوار على وقع أنغام موسيقى صاخبة، كما لو أنه لم يكن موجوداً.

رأى ذلك في عينيها. ستصبح مشكلة؛ فكّر في ذلك حينها.

كان محقّاً منذ البداية، وكان عليه تحذير ليو منها.

شعر ليو بِسكونِ يَقظَتِها منذ عدّة ساعات. كانت بشرتها العارية قريبة جدّاً من بشرته. استدارت وتقلّبت فيما الأفكار تنخر رأسها، وهي أشبه ما تكون بأسنانٍ حادّة. شبكت الملاءات تحت ذراعيها المرتجفتين، وعرف السبب؛ وهو أنها تحاول أن تتخيّل سلسلة أحداث لم تختبرها قطّ من قبل. فهي ستكون في مهمّة، وستقود سيّارة الهروب التي تُقلّ ثلاثة لصوص مقنّعين أيضاً، ينظرون بعيداً عن فريق العمل في المصرف الذي سيشغّل موظفوه جهاز الإنذار فوراً. سيفرّون من المصابيح الزرقاء الدوّارة لسيّارة تطاردهم بسرعة قصوى، سيارة تابعة للشرطة المحلّية، وربّما بعض الدوريّات من سالا أو إنكوبينغ أو أوبسالا. لم تكن فيليكس. لا أحد منهم كان مثله؛ إذ لم يكن لديها ثباته، والصبر على الانتظار خلف المقود لثلاث دقائق فيما تُفرَّغ غرفة محصّنة من النقود، والقدرة على مغادرة مسرح الجريمة بسرعةٍ لا يتمكّن معها أحدٌ من رؤية أيّ شيء ومن ملاحقتهم. وفي الوقت نفسه، ببطءٍ لا يستطيع بفضله أحدٌ أن يتفاعل أو حتّى يلاحظ أيّ شيء. من دون فيليكس، كان بحاجة إلى شخصين ليقفا خارج المصرف هذه المرّة. كانت صديقته ستقود السيارة، فيما سيواجه والده أيّ معتدٍ محتمل. وفي الداخل، سيتبادل هو وجاسبر الأدوار. إذ سيدخل ليو إلى الداخل، وسيقف خلف الزجاج، وسيفرغ الصناديق والغرفة المحصّنة، فيما سيسيطر جاسبر على الزبائن وأمناء الصندوق المنبطحين أرضاً.

شعر بمرفقها يضرب ظهره بحدة؛ تماماً بين ضلوعه. وتأرجحت ذراعها في تلك المنطقة بين النوم واليقظة، فأمسك بها بلطف مدلّكاً إيّاها، وشعر ببشرة ناعمة تحت أنامله.

" أنيللي، اسمعي، لا تفكّري بالأمر مطلقاً".

انقلبت نحوه، وشعّت عيناها في الظلمة، فقبّلها على جبينها وخدّها.

"الساعة الثالثة ستحلّ غداً؛ مهما فعلتِ أو فكّرت الآن".

"لستُ متوتّرة؛ إذا كان ذلك ما تعتقده".

"أعتقد أنّك كذلك. حاولي النوم".

"لم يدع ليو أيّ أحد يقف في طريقه، ولن يفعل ذلك. ليو لديه إخوته، وأنت تعرفين ذلك جيّداً".

همست، لكنّ كلّ كلمة كانت واضحة.

"جاسبر قال ذلك".

عيناها كانتا أشبه بضوءين كاشفين.

"وهو يعتقد... أنّه سيكون هنا بعد ذلك".

لم يغادر الضوءان وجهه.

"لكنْ، لا أظنّ ذلك. أنا لا أستطيع احتماله".

"الأمر لا يتعلّق به يا أنيللي، أليس كذلك؟ أنت لا تستلقين هنا مستديرة ومتقلّبة على السرير لهذا السبب. الأمر يتعلّق بالغد، وأفهم سبب خوفك".

سحبت جسمها إلى الأعلى واتكأت على مرفقيها.

"ألا تفهم يا ليو؟ اسمع، أنا لستُ خائفة. في الواقع، أنا سعيدة لأنّني سأرافقك غداً، ولأنّه لن يكون عليّ المكوث هنا والاستماع إلى ذلك الراديو لأكتشف ما إذا كنت لا تزال على قيد الحياة أم لا. ومن ثمّ... سيكون لطيفاً لو أنّنا لا نستضيف شقيقيك، ولا هو، بعد ذلك!".

وخزته مجدّداً، في المكان نفسه بين أضلعه؛ ليس بقوّة، وإنما بشكل متعمّد هذه المرّة.

"الشيء الوحيد الذي لا أعتقد أنّه أمر لطيف هو أن تثق بذلك المعتوه المستلقي في الخارج على الأريكة".

نظر إليها، إلى عينيها المشعّتين، والجزء العلوي من جسمها الذي يتكئ على مرفقيها، وينحني أيضاً إلى الأمام. بدت فعلاً غير خائفة.

"أنيللي، هكذا هي الأمور. سنقوم بذلك معاً غداً. ولذلك، أنا أختار أن أثق بجاسبر. مثلما أختار أن أثق بك وبوالدي؛ لأنّني مضطرّ إلى ذلك. هل اتّفقنا؟ نامي الآن".

واندفع باتّجاه حافّة السرير، ووضع رجليه على الأرض الباردة. كان يحتاج إلى بعض السكينة التي كانت معدومة هنا. غطّت الملاءات جسمها، فوقف هناك حتّى هدأت أنفاسها، ثم أغلق باب غرفة النوم خلفه بلطف ونزل السلالم. رآه على الأريكة مستيقظاً، وأمامه أربعة أسلحة أوتوماتيكيّة على طاولة القهوة.

"جاسبر، ماذا تفعل!؟".

"أنظّف الأسلحة".

"لقد نظّفتَ المسدّسات قبل ذلك. إنّها مجهّزة، وأنت بحاجةٍ إلى النوم".

كان جاسبر لا يزال مستيقظاً، وبدا واضحاً جداً أنه أراد أن يقول شيئاً ما. فقد أخفض جفنيه جزئياً كما كان يفعل دائماً.

"سيتساقط الثلج غداً؛ الكثير من الثلج".

"رأيتُ ذلك. ولكنه سيتساقط بعد الظهر؛ أي عندما سنكون في طريقنا

إلى المنزل. نَمِ الآن".

وضع جاسبر المسدّس الذي كان قد نظّفه للتوّ على الطاولة مجدّداً.

"ماذا سيحصل إذا أوقفونا يا ليو؟ وإذا حضرت الشرطة إلى هناك فجأة؟ هل فكّرتَ بذلك؟ هل فكّرت في ما إذا كانت قادرة على القيام بذلك؟".

"على القيام بذلك!".

"أنا لا أثق بها. إذا..."

"جاسبر، سنقوم بذلك معاً غداً. لذلك، أنا أختار أن أثق بها. مثلما اخترت أن أثق بك وبوالدي؛ لأنّني مضطرّ إلى ذلك. هل اتّفقنا؟ نَم الآن".

أوّلاً أنيللي، ثمّ جاسبر. حدث ذلك مرّتين خلال خمس دقائق. كان هو الشخص الذي يمسك بزمام الأمور. هكذا كان الوضع أيضاً مع فيليكس وڤينسنت، ولكنّه أكثر وضوحاً الآن. نزل ليو السلالم، وسار بمحاذاة الحائط لتجنّب إحداث الصرير، وتخطّى الدرجة في الوسط التي لطالما كانت تتذمّر بصوتٍ عالٍ، كما لو أنها مكسورة. كان الهدوء مخيّماً على غرفة الضيوف، وبدا والده غارقاً في النوم، ولكنّه أغلق الباب تحسّباً. دخل المطبخ، وتوجّه إلى الثلاجة، وتناول عصير البرتقال مباشرةً من الغالون، وقطعة لحم، ثم شرب نصف كأسٍ من الماء من الصنبور الذي كان يغصّ دائماً قبل أن يستسلم ويحرّر الماء.

أنيللي، وجاسبر، وهو... كلهم مستيقظون. فقط والده الذي كان قلقاً عليه أكثر من غيره نائم.

تناول نصف كأسٍ أخرى من الماء، ثمّ خرج إلى الرواق مجدّداً. وكان يصعد أوّل درجةٍ صارّة عندما سمع شيئاً ما خلفه. من داخل المطبخ الذي خرج منه للتوّ.

"ليو".

صمت. أليس هذا صوت أبيه؟! إذا كان كذلك، فنبرته لم تكن كعادتها.

"هل يمكنك أن تأتي إلى هنا قليلاً؟".

كان ذلك صوت أبيه، ولم يكن مختلفاً بسبب الهمس، ولا لأنّه كان أجشّ ومنخفضاً، بل كان هناك شيء آخر، نوعٌ من... الترجي والالتماس. والده- الذي لم يطلب شيئاً من أحد على الإطلاق، والذي كان يفسّر كيف يريد أن تكون الأمور، ثمّ يتوقّع أن تكون كذلك بالضبط- التمس أوّلاً من فيليكس عند الباب الأمامي، وانتهى الأمر ببصقة في وجهه، والآن ها هو يلتمس مجدّداً، وهناك شعورٌ بعدم الارتياح.

"أبي، ماذا تفعل هنا؟ عليك أن تنام".

لم يره في الظلمة؛ إذ كان متمدداً على مقعد المطبخ، بسرواله التحتيّ. بقي ليو واقفاً عند عتبة الباب، وكان بمقدوره رؤيته من هناك؛ كان جسمه يرتجف.

"اجلس هنا، بالقرب منّي يا ليو. قليلاً فقط. أريد أن أقول لك شيئاً".

دخل ليو، وجلس على حافّة أريكة المطبخ، فيما نهض إيفان. جلسا جنباً إلى جنب، فبدوا كجذعين شاحبين. الدم نفسه، والجذور نفسها. ليو الذي تخطّى سنّ العشرين بقليل كان قد بدأ رحلته للتوّ. وإيفان الذي كان يبلغ أكثر من ضعف عمر ابنه لم يعد يغامر في أيّ مكان.

"أنا..."

الساعدان الجبّاران كانا لا يزالان هناك، لكنّ البطن كان أكبر نسبيّاً، أما الصدر فمتدلٍّ قليلاً، والكتفان أضيق.

"... ربّما لم أكن منصفاً بحقّك على الدوام".

اقترب ليو أكثر، وهو يسمع.

"عندما كنت أنتَ وشقيقاك صغاراً".

"فعلتَ ما فعلته يا أبي. لا أكثر ولا أقلّ".

"لكنْ يا ليو... لم يكن ذلك منصفاً".

"توقّف عن ذلك".

"كان بإمكاني..."

"لا تهمّني هذه الأمور الآن على الإطلاق. لا أريد سماع المزيد".

"ليو، من المهمّ جدّاً بالنسبة لي أن أقول هذا. فقد كنتَ مجرّد طفل".

"مجرّد طفل!".

"مجرّد طفل يا ليو. وأعلم أنّك لم تقصد فعل ذلك".

" لم أقصد ماذا؟".

"أن تشي بي".

"أشي! هل سنعود إلى ذلك مجدّداً؟".

"كلا، لكن..."

"أصغِ إليّ الآن! للمرّة الأولى والأخيرة! أنا لم أشِ بك! هذا ليس ما نحن عليه. فنحن... نفعل العكس! حتّى لو حاول الأب قتل الأمّ؛ فكلّنا نتحمّل المسؤوليّة. ولهذا السبب- حسبما أظنّ- فتحتُ الباب، وفيليكس يدّعي أنّه هو

الذي فعل ذلك، وفينسنت يقول إنّه كان هو. إلى هذه الدرجة اللعينة نحن بعيدون عن كوننا وشاةً!".

"ليو... أنا... لا أضمر شيئاً ضدّك، ليس بعد الآن. رأيتَ ذلك بعينيك. فيليكس هو الذي... ولم أفعل شيئاً. فيليكس بصق في وجهي، ولم أرفع يداً. أن تبصق في وجه أحدهم لَهو أكبر إهانة توجّهها إليه! ولو فعل أحدٌ غيره الشيء نفسه، لكنتُ... قد جلدتُ ذاك الحقير! لكن، ليس ابني. لم أفعل ذلك".

لم يكن يدرك ذلك. لكنْ فيما كان يتحدّث، حكّ مفاصل أصابعه بيده اليمنى التي كانت متضرّرة في عدّة أماكن.

وهذا شيءٌ يحدث لها بعد ضرباتٍ متكرّرة.

"كلّ شيء سيكون على ما يرام، أليس كذلك؟ سيتفهّمني فيليكس أيضاً... عندما ننتهي من هذا يا ليو. سنصبح عائلة مجدداً".

"توقّف عن ذلك الآن! إيّاك أن تتحدث معي عن طفولتي مجدّداً".

" لم أكن منصفاً بحقّك في ذلك الوقت".

"توقّف!".

"لكنْ ليو، لِمَ لا تريد... أنا أريد..."

بدأ ليو بالسير بعيداً، إذ لم يعد يملك الطاقة للاستماع إليه.

"كان مفتوحاً!".

خيّم الصمتُ على أرجاءِ المنزل كافّة؛ نوعٌ من السكون. لكنّه لم يلاحظ ذلك إلّا الآن، فيما كان يصعد السلالم؛ عندما أدرك ما قاله والده للتوّ.

"الباب يا ليو، في ذلك الوقت، عندما كنا أنا... ووالدتك... هناك في فالون. لم يكن الباب موصداً. تمكنت من الدخول مباشرةً، وتجاوزت فيليكس وڤينسنت وأنت أيضاً".

جلس ليو على أوّل درجة، فأصدرت صريراً. لطالما فعلت ذلك.

"إذا كان هذا ما قصده فيليكس بسؤاله حينها، وما قصدتَه أنت للتوّ، ففي هذه الحال، لا أحد منكما فتح الباب. هل تسمع ذلك يا ليو؟".

كان يحرس باباً في وسطه لوحٌ زجاجي عريض وقطع خشبيّة بنّية عند كلّ من جانبيه. وكان هذا الباب يؤدّي إلى مصرف. إنه بابٌ يؤدّي إلى مصرف كان يُسرق في تلك اللحظة بالذات، وقد كان أحد سارقي المصرف.

حاول جاهداً أن يصدّق ذلك. وكان يحاول منذ عشرين ثانية. لكنّ ذلك لم يكن حقيقيّاً.

لم يكنْ خائفاً، ولا متوتّراً. لم يشعر بذلك لأنّه لم يكن ليسمح لنفسه بذلك، بل لم يكن يستطيع أن يتحمّل ذلك، لأنّ ابنه الذي مِن صلبه يركض في الأرجاء هناك مرتدياً قناعاً أسود وحاملاً سلاحه الأوتوماتيكيّ المِصليّ. كان ذلك الشعور يطارده. كان يطارده طوال اليوم، وقد رماه بعيداً من قبل. أما الآن فلم يعد يستطيع فعل ذلك. الآن، صار ذلك الشعور يطارده عن قرب، ويراقبه تماماً مثلما كان هو يراقب المصرف؛ إنه الشعور بالعار من بين كلّ المشاعر. ذلك الشعور كان نادراً بالنسبة إليه. لكنه كان واضحاً في المرّات القليلة التي شعر به فيها. كان شعوره بالعار رهيباً؛ مثلما شعر ذات مرّة حين تشبّث ابنه بظهره، بأنامله الصغيره التي راحت تحفر كتفيه، مانعاً إيّاه من صفع وجهها مجدّداً. مثل العار الرهيب الذي شعر به عندما وقف ذلك الوجه الآخر الصغير في طريقه، مجبراً إيّاه على الاستسلام وتركها تهرب على الأرض الزلقة الملطّخة بالدماء. طوال اليوم، كانت تلك الأنامل تحفر ظهره، فيما توقّفت عقارب الزمن. وقريباً، سيدرك العالم أنّهم كانوا يسرقون مصرفاً، وأنّ ابنه كان في الداخل هناك خلفه.

الساعة هي الثالثة وعشر دقائق. فُرشت الأرض بثلج بودريّ كتم الأصوات خارج قناعه الملتصق بوجهه. فقط منذ نصف ساعة، كان الأسفلت جافّاً

والمنظر رمادياً. أما الآن، فكان بإمكانه رؤية آثار أقدامهما على الثلج؛ آثار قدمَي كل منهما من السيّارة إلى المصرف. آثار قدمَي ليو- ابنه- وذلك المدعوّ جاسبر. كان من المفترض أن يظلّا في الداخل لمدة ثلاث دقائق. بقيت دقيقتان ونصف الدقيقة، وإذا استمر تساقط الثلج، فستختفي آثار أقدامهما، ستختفي تقريباً في الوقت الذي سيعودان فيه إلى السيّارة.

حمل سلاحه مصوّباً إيّاه باتّجاه الشارع والمتاجر القليلة الموجودة هناك. ألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه، فرأى ظهر جاسبر في وسط الغرفة، فيما تجاوز ابنه الأكبر نبتةً خضراء ضخمة وآلات سحب المبالغ النقديّة. وأمامه هناك، كانت أنيللي لا تزال جالسة خلف المقود، وهي ترتدي أيضاً قناعاً للتزلّج.

استيقظوا باكراً، ولم يكن مرهقاً جدّاً؛ رغم الليلة التي أمضاها على الأريكة في المطبخ مرتجفاً. لكنّه لم يكن قادراً على تناول الفطور. شرب كوباً من القهوة السوداء فقط، هذا كلّ شيء. حاول أن يشرب كوباً آخر، ولكنّه لم يكن قادراً على بلعه. كان الوقت يمضي، لكنّ جسمه بقي على حاله. لم يتكلّم مطلقاً؛ فهو نادراً ما فعل ذلك لدى جلوسه إلى مائدة الفطور. وحتّى لو حاول هذا الصباح، كان الأمر سيبدو سخيفاً. كان ليو منطوياً على ذاته، لا يتفاعل ويتفحّص لائحة المعدّات، فيما كان جاسبر يلقي نظرة أخيرة على الذخيرة والأسلحة. أما أنيللي فكانت تمرّر أصابعها على الخريطة الواسعة، وتُراجع منافذ الهروب التي قد حفظتها مسبقاً.

حمّلوا السيّارة المستأجرة. أخفوا الأسلحة تحت الهدايا في الصندوق، والملابس تحت الهدايا قرب النافذة الخلفيّة. ثمّ اجتازوا مسافة سبعين ميلاً؛ مسافة ساعةٍ تقريباً، في الطريق نفسها كما في الليلة التي سبقت، وركنوا السيّارة المستأجرة التي تحتوي على علب الهدايا الفارغة، واجتازوا المسافة القصيرة عبر الغابة الكثيفة- هذه المرّة، في وضح النهار وفي الاتّجاه المعاكس؛ وكان بوسعهم رؤية بعضهم بعضاً-

في طريقهم إلى السيّارة المسروقة والمخبّأة تحت كومة من الأغصان.

بدّلوا ملابسهم. لقد أُعطي قناعاً للتزلّج لم يكن جديداً. لا بدّ أنّ أحداً ما قد استخدمه قبله. كان بإمكانه شمّ ذلك في كلّ الأحوال، وتساءل عما إذا كان ما يرتديه قناع فيليكس أو ڤينسنت. مرّ الوقت، أمّا جسمه وعقله فتسمرّا في حالةٍ من الجمود، فيما حطّت ندف الثلج على بشرته وذابت عليها، ثمّ أُعطي مسدّساً وحقيبة خصر مع مخزنَي ذخيرة ممتلئين، ثمّ ساعةً، وهي شيء لم يستعمله يوماً. كانت قديمة، وذات سوار أحمر. تعرّف إليها، فقد كانت ذات مرّة تلفّ معصم ليو.

جلس على المقعد الخلفيّ، خلف ليو وبجانب جاسبر. مرّ الوقت ببطء حتّى صارت الساعة الثانية وخمسين دقيقة من بعد الظهر؛ إذ مضت الثواني ببطء الواحدة تلو الأخرى مثل الثلج الذي راح يتساقط خارج نوافذ السيّارة، إلى أن دخلوا البلدة الصغيرة. كلّ الأنوار كانت مطفأة ليلة أمس، أما الآن فهم في وضح النهار، ولكنّ البلدة بقيت مهجورة. دارٌ للجنازات، ومتجر خردوات، وصالون لتصفيف الشعر، وحافلة لم تكن على عجلةٍ من أمرها تقف بانتظار راكب متأخّر يركض وهو يلوّح بيده. وفي الطرف الآخر، دار العبادة البيضاء التي أشارت إلى نهاية الطريق، وبداية منفذهم.

نظر إلى ساعته مجدّداً. خمسٌ وأربعون ثانية. الآن، فيما وقف منتظراً وحاملاً مسدّساً في يده، وليو داخل الغرفة المحصّنة، تجمّد الوقت فجأةً. وما كان يختلج في داخله بات يتحرّك بسرعة الضوء؛ الشعور بالعار، والأنامل على ظهره، والرغبة في الهروب، وفي ابتلاع جرعة كبيرة من الشراب، وفي عدم النظر إلى أعين أبنائه مجدّداً، وفي عدم الوقوف حيث يقف الآن أبداً.

—

ألقى نظرة خاطفة من فوق كتفه. أبوه لا يزال هناك في الخارج، أمام الباب، ومسدّسه جاهز.

لقد تماسك؛ فعل ما كان يُتوقّع منه. هذا هو الأمر الصحيح لاختياره كي يكسب ثقته مجدداً.

ستّون ثانية.

انتظر ليو خارج غرفة محصّنة مقفلة، فيما كانت يدا المدير الفرعي المرتعشتان تحاولان وضع المفتاح في القفل. الرجل الذي كان للتوّ منبطحاً على الأرض، ووجهه إلى الأسفل، ويداه خلف رأسه كان بعمر والده، لكنّ بنيته الجسدية أنحف. جسمٌ بدا وكأنّه لم يمدَّد من قبل كما يجب، وهو ذو أنامل شبيهة بعقارب الساعة. كان على وشك أن يطلب منه أن يهدأ عندما سمع الصوت. إذ لم يُحدِث القفل المضادّ للسرقة صوتاً مماثلاً لصوت قفلٍ عاديّ، وقد فتح بصعوبة. سمع صوتاً ثقيلاً حين خرجت المكابس من هيكلها، وشُرّع الباب الثقيل كاشفاً عمّا كان موضوعاً على الرفوف في الداخل.

لقد نسي تقريباً كيف كان ذلك الشعور.

أن يدخل الغرفة، ويجبر الزبائن وفريق العمل على الانبطاح أرضاً. أن يكون سيّداً على غرفةٍ لمدة مئة وثمانين ثانية. أن يخطّط ويحسب، ثمّ أن يقف أمام غرفة محصّنة ولكنها مشرّعة، وأن يرى كلّ شيء يتمّ كما يجب.

كان قد نسي ذلك الشعور، والآن شعر به بقوّة أكبر؛ من دون فيليكس، ومن دون ڤينسنت. لكنْ مع الرجل الواقف هناك في الخارج. لم يكن الشعور نفسه كما كان من قبل. ليس معه، أو، حسناً، ربّما مرّة واحدة. لقد تمرّنا وخطّطا معاً في السابق أيضاً، وقد نجحت تلك الخطّة أيضاً، فمثلما كان من السهل لكمُ أنفٍ عندما كان أبوه واقفاً على الشرفة، كانت الحال نفسها عندما كان الأخير واقفاً في

الخارج حاليّاً.

كان وحيداً في الغرفة المحصّنة. جمع رزمات من الأوراق النقديّة الموضوعة على الرفوف، والتي كانت أكثر ممّا كان يتوقّع. عشرة آلاف ورقة من فئة 100 كرونة، وخمسون ألف ورقة من فئة 500 كرونة، ومئة ألف ورقة من فئة 1000 كرونة.

كلّ شيء كان هناك. لم يخزَّن شيء في الخزنة البارحة.

عندما أمر ليو المصرفيّ بالدخول ثمّ الجلوس، وإبقاء ظهره إلى الحائط، سمع صوته هو، ولاحظ حماسته. فالأوتار الصوتيّة ترنّ، وما دار بين عقله وقلبه لم يكن معقولاً، لم يكن يصدق أنّ ما يراه يمكن أن يكون حقيقة، وأنّه يمكن إيجاد هذا القدر الكبير من المال على رفوف مصرف صغير.

عدّل حقيبة ظهره، وفتحها حتّى باتت كفمٍ يتثاءب كلّما حشر فيها لفّة من الأوراق المصرفيّة- وليس أحزمةً ملوّنة مشؤومة- وضغطها إلى الأسفل. عدّها كلّها بسرعة. على الأقلّ ثلاثة ملايين ونصف مليون كرونة! أي أكثر من ضعف مردود السرقة، أكثر من ثلاثة أضعاف السرقة. في مصرف صغير ورديء، في قرية صغيرة ورديئة، مع أبيه الذي يقف كحارس وأنيللي التي تقود السيارة.

كان أحدهم يتحدّث عن صفّارة إنذار، امرأة تتحدّث عن سرقة مصرف في هيباي، ثمّ شخصٌ آخر كان يتحدّث- امرأة أيضاً- عن دوريّة في طريقها إلى المكان من مركز للشرطة في سالا. كانا يتحدّثان، ولكنّها لم تتأثّر بذلك. كان بإمكانها تصوّر كلّ شيء بوضوح، ومعرفة ما ينبغي فعله بالضبط. أن تكون الشرطة في طريقها إليهم لم يكن أمراً يهمّها، فقد حفظت الطريق، وتمرّنت عليها، وسارت عليها ليومين خلال الأسبوع المنصرم، بوجود ليو إلى جانبها على مقعد الرّكاب. حتّى إن الثلج الذي كان يذوب على الزجاج الأمامي وتقذفه المسّاحتان بعيداً-

الثلج نفسه الذي غطّى الطريق بالكامل- لم يكن يهمّها. وأولئك الواقفون خارج السيّارة، الذين يختبئون ويراقبون، والذين سيقدّمون شهاداتهم لاحقاً من دون أن يعرفوا مطلقاً أنّ امرأةً هي التي كانت خلف المقود، لم يتواجدوا بالنسبة لها. الشيء الوحيد الذي كان موجوداً كان محصوراً في مخطّطٍ مسبق قد رسمته مع ليو. فقط كلاهما، ولا أحد سواهما.

ربّما لهذا السبب رأت ليو أوّلاً؛ على الرغم من أنّ الثلاثة كانوا يبتعدون عن المصرف، وكان ليو يحمل حقيبةً بدت محشوّةً على كتفه.

وعندما أُغلقت أبواب السيّارة بقوّة، فعلت ما كان ينبغي لها فعله. إذ انطلقت بالسرعة الثانية، ودحرجت السيّارة فوق الرصيف، ثمّ انعطفت نحو الطريق، وزادت السرعة باتّجاه دار العبادة ذات البرج الأسود، ثمّ إلى اليمين. وعلى الفور، إلى اليمين مجدّداً حول البلدة وباتّجاه الطريق العام. تساقُط الثلج الخفيف تحوّل خلال بضع دقائق إلى عاصفة ثلجيّة، ورقائق الثلج الناعمة باتت الآن حبيباتٍ بيضاء قاسية. بيد أنّها ظلّت هادئة، فقد كانت تعرف كلّ منعطف وكلّ سرعة عليها الالتزام بها في كلّ الأوقات.

"ثلاثة ملايين!".

لقد صرخ قائلاً لها ذلك عدّة مرّات.

"أكثر من ثلاثة ملايين!".

مباشرةً وبقوّة. لم تسمع قط صوت ليو بهذه النبرة. كان ينفجر، ويصبح أجشّ تقريباً، كما كان سعيداً جدّاً. حتّى إن ضحكة جاسبر في الخلف كانت مطمْئنة. لم تأبه البتّة لكونهم أصبحوا مكشوفين أكثر، إذ كانت لا تزال تعرف كيف يجب أن تقود. عبرت بعد قليل إلى حيث صناديق البريد. حتّى إنّها شغّلت الأضواء الوامضة وقهقهت؛ سيّارة مسروقة كانت قد استُعملت للتوّ لسرقة مصرف،

وها هي... قد شغّلت الأضواء الوامضة. قهقهت عالياً فيما انعطفت إلى اليسار نحو الطريق غير المعبّدة المغطّاة بالثلج. ثمّ، بمجرّد أنّ صارت الأجواء مطمئنة، وليو سعيداً جدّاً، شغّلت الأضواء الوامضة مجدّداً عندما انعطفوا نحو طريق الغابة الضيّقة، وصادفوا أيلاً هنا وأرنباً برّياً هناك. ثمّ شغّلتها عندما انعطفت نحو الموقف الطبيعيّ بين جذوع صنوبر كثيفة وذات حلّة مختلفة. خرجوا من سيّارة مسروقة إلى عاصفة هوجاء، وبدّلوا ملابسهم مجدّداً، من زيّ السرقة إلى ثياب الكريسمس. كانوا سيركضون مسافة مئتي ياردة عبر الغابة، كما فعل ليو وإيڤان في الليلة السابقة، وكما فعلوا كلّهم منذ أقلّ من ساعة. لقد فعلوا ذلك، وهي أيضاً. قريباً ستستبدل مفكّ براغٍ في سيّارة مسروقة بمفتاحٍ في سيّارة مستأجرة ومعبّأة بهدايا الكريسمس المغلّفة بأناقة. سينتقلون من سيّارة الهروب الأولى التي لم تكن تعود إلى أحد على الإطلاق إلى سيّارة الهروب الثانية المعبّأة بهدايا تعود لعائلة سعيدة. بحثت عن يد ليو، وأمسكتها بإحكام فيما كانوا يهربون.

الكريسمس...

هنا، في رواق مكتب التحقيق التابع لشرطة المدينة، حيث رائحة الشراب والقهوة، وكعكات الكريسمس في المطبخ الصغير، وحتّى الشجيرة البلاستيكيّة القبيحة بين آلة تحضير القهوة وجهاز البيع الآلي. أحدهم بذل عناء جلب شجرة اصطناعيّة تقلّصت وبدت كالمظلّة للأشهر الأحد عشر والنصف القادمة.

بقي جون برونكس في مكتبه ولم يشارك. لم يشارك قط، ولم يحتفل بليلة الكريسمس التي اقترب موعدها؛ فتلك أمورٌ تفعلها العائلات. وهم بالكاد احتفلوا بها في ذلك الوقت. بضع مرّات فقط- ولكنْ منذ زمنٍ بعيد- جلس في وقتٍ محدّد مسبقاً داخل غرفة الزيارات، أمام كعكة دافئة على طاولة متزعزعة. لقد حمّص سام القهوة وخمّرها كما يفعل كلّ المسجونين سجناً مؤبّداً قبل أيّ زيارة، ومن دون أن

ينطق بكلمة حول ذلك، ثمّ مضغ كلاهما الكعكة الطريّة كما يحصل في أي يوم اثنين عاديّ.

نظر إلى شاشة الحاسوب مرّةً أخرى، وقرأ الأسطر القصيرة الوامضة.

إنذار.

حصلت سرقة منذ بضع دقائق فقط، في بلدة صغيرة على بعد سبعين ميلاً. كانت شرطة سالا في طريقها إليها، وكذلك شرطة أوبسالا. كان لديهما سببٌ حقيقيّ لتجنّب تناول الشراب.

تنهّد برونكس.

أكوامٌ من ملفّات التحقيقات الجارية كانت مطروحة على مكتبه.

كانت رقائق الثلج المتحوّلة تطارد الجميع في فناء كرونوبيري.

كان هناك دائماً من كان مستعدّاً لاستخدام العنف بهدف الحصول على مبتغاه. وفي يوم كهذا، كان عمله مبرّراً، إذ كان من المهمّ أن يبقى مكانه؛ على الأقلّ لفترة وجيزة.

"الإنذار".

"ما به؟".

سمع صوت كارلستروم وسط ضجيج السيّارة ذات الإطارات المزوّدة بسلاسل معدنيّة، فيما كانت تسير فوق الأسفلت.

"هل رأيته؟".

كان رئيسه قد اجتاز نصف المسافة باتّجاه منزله، ولكنّه على الأقلّ أجابه.

"جون".

"ماذا؟".

"غداً ليلة الكريسمس".

أبطأ كارلستروم، فقد سمعه، فيما ضغط أحدهم على بوق السيّارة مطوّلاً وهو يشعر بالانزعاج. أيقن جون أن السائق الذي يقود خلف كارلستروم هو المسؤول عن سماعه صوت البوق ذاك.

"و... هيباي! جون، لا أعرف حتى أين تقع. إنها في مكانٍ ما في ضواحي أوبسالا. لكنني أعرف ما تنوي فعله. لا تستخدم ما حصل كحجّة لرفض العودة إلى منزلك. هذا لا يخصّ دائرتنا".

الآن هناك عدّة أبواق. على الأقل، سمع صوت ثلاثة أبواق مختلفة. والجميع- مثل كارلستروم- متوجّهون إلى منازلهم لتمضية أمسية ممتعة.

"وجون، أصغِ إليّ حقاً. مَن الذي يسرق مصرفاً في اليوم الذي يسبق عشية الكريسمس؟ إنه شخص لا تهمه الاحتفالات".

كان هناك صوت طقطقة، وأشارت إلى تنقّل الهاتف من يدٍ إلى أخرى أو من مكان إلى آخر.

"انتظر فقط ريثما أضع نظّارتي".

سمع طقطقة مجدّداً. فتساءل جون برونكس عما إذا كان رئيسه قد توقّف أو كان يقود ببطء من دون أن يمسك بالمقود، فيما كان يتابع المستجدّات على شاشة الحاسوب في سيّارته.

وأشارت أصوات الأبواق التي باتت أكثر صخباً إلى ذلك.

"اثنتان... وصلت دوريّتان إلى المكان، وهناك أخرى في طريقها إليه. بإمكانك رؤية ذلك على شاشتك أيضاً. إنها تبعد سبعين ميلاً يا جون. دعهم يحلّون مشاكلهم الخاصّة".

جدارٌ أبيض

ظلمة كانون لم تَعُد هناك. وندف الثلج المعزولة في الغسق- التي تحوّلت في طريقهم من المصرف إلى الغابة إلى عاصفة ثلجيّة مع حبيبات بيضاء حادّة- صارت الآن شيئاً مختلفاً تماماً؛ شيئاً جنونيّاً وهجوميّاً وخارقاً، وتحوّلت إلى جدارٍ أبيض ومنيع وساحق طوّقهم، وتحوّل إلى نوع آخر من الظلمة. كان شريطا المساحتين المطّاطيان يضربان بيأسٍ على الزجاج، وكانت أنيللي تخفّف من سرعتها أكثر. كانوا قد خطّطوا للسير بسرعة تسعين ميلاً، ثم تحوّلت السرعة إلى سبعين، وهي الآن بالكاد تبلغ خمسين ميلاً في الساعة.

ركضوا في الغابة فيما كان يمسك بيدها، ثمّ انتقلوا إلى السيّارة المحمّلة بعلب الهدايا الفارغة، وغادروا الموقف بين جذوع الصنوبر الكثيفة إلى الطريق الضيّقة حيث الإسطبلات والجرّارات، ليختفوا في طريق أوسع بقليل. لم يروا شيئاً بعد ذلك؛ باستثناء لحظة وجيزة كشفت فيها المسّاحتان عن ممرّ ضيّق. وفقاً لحساباته، كان يجب أن يكونوا قد قطعوا أكثر من خمسة أميال. وافترض الآن أنّهم لم يقطعوا أكثر من ميلٍ أو ما شابه ذلك على الطريق التي بدلاً من أن تحتوي على ممرّات وخطوط كانت محاطة بجدران من الثلج.

ثمّ أبطأت أنيللي سرعتها أكثر. فقبلها، كانت هناك سيّاراتٌ أخرى تزحف إلى الأمام.

كانت هناك سيّارتان، وربّما أكثر. وتخطّيهما كان مستحيلاً. وفي كلتا المرّتين اللتين حاولت خلالهما أن تفعل ذلك، أجُبرت على التوقّف والعودة إلى خطّها؛ لأنّ الرؤية لم تكن تتجاوز مسافة بضع أقدام، والزحمة التي كانت تقترب منهم كانت تستحيل رؤيتها قبل مرورها بالقرب من نافذتهم الجانبيّة.

لكنّها بدت محافظةً على توازنها حتى الآن؛ بحركة عجلات ناعمة، وتبديل بين كبح الفرامل وتشغيل الصمّام الخانق وتغيير السرعة. كانت يد ليو تداعب خدّها، فابتسمت فيما حاولت الحفاظ على ميزانيّة السيّارة التي فقدت الميزانيّة.

عدّل مرآة الرؤية الخلفيّة من ناحيته. وكان جاسبر خلفه، منحنياً فوق صندوق الأسلحة، وهو يَعدّ مخازن الذخيرة والخراطيش. وإيڤان خلف أنيللي، قابضاً يده اليسرى في راحة يده اليمنى، فبدت مفاصل أصابعه بيضاء شاحبة، فيما سيلٌ من العرق يتصبّب من خطّ شعره نزولاً على بشرته الشاحبة، إلى أن مسحه بمنديل كان يحتفظ به دوماً في جيبه، والذي لم يكن نظيفاً تماماً.

انسحاب.

لقد قام والده بذلك من قبل؛ في كلّ مرّة كان يقرّر فيها الإقلاع عن تناول الشراب لسببٍ ما. لكن هذا لم يحصل البتّة في ظرفٍ مماثل؛ أثناء الهروب بعد سرقة مصرف.

"أبي".

كانت هناك ظلمة في السيّارة بسبب جدار الثلج المشؤوم ذاك، ولكنّه رأى أباه بوضوح. كانت عيناه تسطعان في الغسق. رأى ما في داخله، ما كان يكرهه ولم يشأ رؤيته مجدّداً؛ العينين اللتين نظرتا إلى أُمّه وهو يضربها حتّى الموت تقريباً، ثمّ وضعتاه في موقع المسؤوليّة، وقبعتا داخل السيّارة خارج الباب، بانتظار وصول الشرطة. كَره تينك العينين. أوّلاً اضرب، ثمّ انسحبْ. لم يكن هناك مغزى من

ذلك.

"ماذا؟".

"إذا نمت فسيكون ذلك أسهل عليك. فالأمر سيستغرق وقتاً أكثر ممّا يجب، لكنْ بحلول نصف ساعة سنكون في المنزل".

وفي تلك اللحظة، صادفوا ذلك الشيء.

لقد رآه في الواقع عن بعد، رأى ضوءين أماميّين بدوَا أكثر سطوعاً حين اخترقوا العاصفة الثلجيّة.

سائقٌ وحيد يرتدي بذّة رسميّة، وذو عينين شاخصتين إلى الأمام.

وهناك، على جانب السيّارة، ستّة أحرف كبيرة شبه محجوبة بسبب الثلج، ولكنها لا تزال واضحة كفايةً.

الشرطة.

لقد وصلت الشرطة إلى هنا.

"جاسبر".

"رأيتُ ذلك".

"جهّزْ سلاحك، واحرص على أن تختفي أنتَ وأبي تحت تلك الهدايا".

تجاوزتهم سيارة الشرطة، وتابعت طريقها مباشرةً إلى الأمام. وبدا أنّ الشرطي لم يلحظهم.

" أنيللي".

كانت الحقيبة موضوعة بين ساقيه على الأرض تحت علبة القفّازات.

وكانت ممتلئة بالأوراق النقديّة.

"ابتسمي، قودي وأنت مبتسمة. فنحن عائلة سعيدة".

كان الشرطي وحيداً، وكان ذا لحية وشعر قصير. في الخمسين من عمره. وكان ينظر أمامه مباشرةً، وقد أكمل طريقه باتّجاه هيباي، وما لَبِثَ أن ابتلعه الثلج بعد قليل.

استقام جاسبر وإيڤان مجدّداً، وعادت علب الهدايا إلى حضنيهما، وإلى أرضية السيارة، واللوح أسفل الزجاج الخلفيّ. كان إيڤان قد قبض يديه حتى الآن، أما الآن فقد أغمض عينيه أيضاً. وأسقط المسدّس مجدّداً. ثمّ توقّف عندها.

"إيڤان".

و"ماذا؟".

"هل أنتَ مستيقظ؟".

"أجل".

"أين مخازن ذخيرتك بحقّ الله؟".

"لا نحتاج إليها الآن".

"مخازن الذخيرة، أريد فقط التأكّد من أنّ كلّ شيء في مكانه المفترض بالضبط! هذه مهمّتي".

لم يَرُقْ لإيڤان ذلك الرجل الذي يشاركه المقعد، ولكنّه كان يتعرّق من الخارج ويرتجف من الداخل. لذا فعل كما طُلب منه، وبدأ بالبحث عن الحقيبة

الصغيرة التي كان يجب أن تكون موضوعة في حضنه.

لم تكن هناك.

"لقد... اختفت".

"ما الذي تعنيه بـ كلمة اختفت؟".

"إنّها... في السيّارة الأخرى. من المفترض أن تكون لا تزال هناك".

"هناك!".

"أجل".

"أتعني في سيّارة الهروب؟".

"أجل".

لم يكن ليو يصغي بتركيز، أمّا الآن فاستدار.

"أبي، بحقّ الله!".

"ماذا؟".

"هل حملتها؟".

"أجل".

"أفعلت ذلك من دون أن ترتدي قفازيك؟".

"أ... أظنّ ذلك. عندما وضّبتُها. عندما بدّلنا الملابس".

"استديري، أنيللي!".

انحنى جاسبر وأخفض صوته، كما لو أنّه أراد من ذلك ألّا يسمعه إيڤان وأنيللي.

"ليو؟ لا يمكننا العودة أدراجنا الآن. أنت تفهم ذلك بالتأكيد؟ لا يمكننا العودة إلى حيث كنّا. الشرطة قد وصلت إلى هناك!".

"هل يجب أن أستدير أم لا؟".

كانت أنيللي لا تزال تسيطر على السيّارة، لكنّ حركاتها كانت أكثر فجائيّة.

"هل أستدير؟".

"ليو، أنصتْ إليّ".

كان جاسبر يهمس الآن.

"أفهم أنّك لا تريد أن نترك وراءنا أيّ آثار. لكنّ الأمر لا يستحقّ العناء. لسنا مدرجين على أيٍّ من سجلّات الشرطة."

"أجل".

"لا أحد منّا يا ليو. لهذا السبب..."

"أبي".

"ما به؟".

"تلك بصماته هو. ولديه سجلٌّ إجراميّ".

الجدار الأبيض، ركض ليو إلى وسطه، وأسرع عبر الغابات، وعبر الثلج العميق باتّجاه السيارة التي تركوها للتوّ مغطاة بأغصان الصنوبر. رمى الأغصان بعيداً وفتح الباب الخلفي إلى حيث كان والده يجلس، قفز إلى الداخل وبحث على المقعد، في فتحات الأبواب، وعلى الرفّ الخلفي. لم تكن هناك. زحف إلى الداخل، ووضع يديه على مقعد السائق، والمقعد المجاور، وعلى لوحة القيادة، ثمّ على الأرضية. راحت أصابعه المغطاة بقفازيه الجلديين الرقيقين تتلمّس في الظلام السجادات المطاطية، ولكن من دون جدوى، بحث إنشاً بإنشٍ.

ما زال هناك مكانٌ واحد. تحت المقاعد. ضغط جسده إلى الأسفل، وتمدّد.

وهناك، تحت المقعد الأمامي، في الوسط كانت. الحقيبة الصغيرة. سحبها إلى الخارج، وفتحها. مخزنا ذخيرة يحملان بصمات والده الموثّقة والمسجّلة.

لم يكن لديه خيار.

في وسط عاصفة ثلجية، وعلى طريق ريفيّ، استداروا فجأةً وساروا مجدداً باتّجاه المكان الذي فرّوا منه للتوّ. نحو طريق الغابة وإلى مرأب وقوف السيارات.

كانوا ينتظرونه هناك الآن. جاسبر، وأنيللي، ووالده. ركض مجدداً، وصارت أنفاسه عميقة، وصدره يخفق وينبض ويؤلمه بينما يضخّ الدم داخل القلب وخارجه.

جلسوا بصمت. كانوا يعلمون بالطبع. فقد انتشرت سيارات الشرطة في المنطقة. اجتازوا طريق الغابة اللعينة مجدداً؛ مروراً بالحظائر، ونحو الخارج إلى طريق الريف.

لقد بدأوا الآن يقودون مجدداً في الاتّجاه الصحيح. ربّما هدأت الرياح قليلاً، وربّما استطاع أن يراها بسبب ذلك؛ عندما نظر إلى المرآة الخلفية.

سيارة الشرطة ذاتها، والشرطي ذاته الذي سيدرك عاجلاً أنّه مرّ بهذه السيارة منذ بضع دقائق؛ السيارة التي اتّخذت مساراً غريباً جداً وسط شراسة الثلوج؛ أي مباشرة بعد سرقة مصرف على بعد مجرّد بضع أميال من هنا.

يَدُ ليو على ذراع أنيللي.

"وراءنا. إنها هناك. ولكن، أكملي طريقك وقودي بشكل طبيعي".

نظر إلى المرآة الخلفية مجدداً؛ لم تكن المسافة كبيرة بينهما، ثمانون قدماً، لحظة الذروة.

"السرعة نفسها، المسافة نفسها. لا يجب أن تقترب أكثر".

لقد رأى كيف كانت تنظر إلى المرآة الخلفية أيضاً.

"ركّزي على الطريق فقط يا أنيللي. وأنتَ جاسبر، أعطني البندقية".

من الحقيبة إلى يدي جاسبر، ومن ثمّ بين المقعدين الأماميين، فأخذها ليو وتركها تستريح على فخذيه.

"ليو".

كان والده جالساً بصمت منذ أن كشف جاسبر اختفاء مخزنَي السلاح.

الآن، أمسك بمسند الرأس وسحب جسمه بأكمله إلى الأمام حتى أصبح فمه بالقرب من أُذن ليو.

"بُنَيّ".

"ماذا؟".

"ماذا ستفعل؟".

"إنهاء الخطأ الذي بدأته أنت".

كانت البندقية لا تزال على حضنه وهو يذخّرها.

"أنيللي، على بعد مئتي ياردة تقريباً هناك طريق تنعطف إلى اليمين. وهي عريضة بشكلٍ وافٍ، ومعبّدة. انعطفي هناك. وإن تَبِعَنا ذاك السافل، توقّفي عندما أقول لك".

واصل إيڤان الشدّ على مقعد ليو لكي يحافظ على توازنه.

"ليو، هل ستستخدم السلاح؟".

"أجل".

"ماذا... أنت..."

"لن يحدث شيء... إن استمرتّ بالقيادة".

شغّلت ضوء السيارة الوامض، ثم أبطأت وانعطفت نحو اليمين.

كان ليو يتنفّس ببطء كما يفعل دائماً عندما يستعدّ؛ إذ راح يأخذ نفساً عميقاً، ويدعه يهبط إلى بطنه، ويحبسه هناك، ثم يخرجه. شهيقٌ وزفيرٌ. هذا ما فعله. التنفس والتحقق من المرآة الخلفية. المخرج على بُعد خمس ياردات، عشر، خمس عشرة، ومن ثمّ انعطفت سيارة الشرطة، غير مرئية تقريباً بسبب تساقط الثلج الكثيف. هناك حيوان مفترس يلاحقهم، اتّخذ قراره.

"توقّفي".

داست أنيللي على المكابح فجأة، فانزلقت دواليب السيارة على الأرض الجليدية. أنزلت القابض، وسوّت المقود بحركات صغيرة إلى أن توقّفت السيارة، ففتح ليو الباب وغادر السيارة وهو يحمل البندقية بيديه.

—

كان جون برونكس لا يزال جالساً في مكتبه أمام شاشة الكومبيوتر والراديو، يتابع تطورات عملية سرقة مصرف حصلت على بعد سبعين ميلاً. وقد مرّ آخر زملائه قرب الباب المفتوح وهم يقهقهون بتأثير الشراب، وتمنّوا له ليلة سعيدة، فابتسم لهم وادّعى أنّه مشغول مع أنّه لم يكن كذلك. ويا جون، من الذي يسرق مصرفاً في اليوم الذي يسبق عشية الكريسمس؟ إنه شخص لا تهمه الاحتفالات. كان رئيسه يتحدّث عن سارقي المصارف، ولكن أيضاً عنه هو، وكانا هما الاثنان يعلمان ذلك. لا تستخدم هذ الأمر كعذرٍ لعدم الذهاب إلى المنزل. كانا يعلمان أنّ من لا يهتم بالاحتفالات قد يختار البقاء في العمل ورصد أيّ تقدّم قد يبدو مهمّاً.

ثلاث دوريّات شرطة اتخذت أماكنها الآن. والدورية الرابعة في طريقها إلى أبسالا. أمّا السارقون ووفقاً لأقوال الشهود- ثلاثة أو أربعة- فقد لاذوا بالفرار في سيارة ركّاب خاصة. وقد تمت رؤيتها متّجهة نحو شمالي غرب البلاد من ساحة الجريمة، في طريق فرعية، مروراً بمنطقة منازل صيفية تقع في مكانٍ ما بين هيباي وسالا.

دلّك أسفل ظهره المتألّم، ومشى على شكل دائرة بين النافذة وطاولة المكتب، وتثاءب.

فنجان من الشاي الفضّي. تحرّك الماء الساخن مروراً بحنجرته وصدره، وكالمعتاد أعاده إلى الحياة. وأخيراً، فرغ المطبخ الصغير من الاحتفالات. كان قد بدأ

يمشي باتّجاه الرواق لكي يخمّر فنجاناً آخر حين توقّف عند الباب.

أوّلاً، سمع الصفير الحادّ الصادر من راديو الاتّصال، ثمّ سمع صوت زميل متلهّفاً.

"إنني أراهم! سيارة! عدّة ركّاب!".

سيارة دورية من أبسالا، رجل شرطة منفرد.

"إنني أتبعهم!".

اقترب جون برونكس من طاولة المكتب ومن راديو الاتّصال.

على بعد بضع أقدام، أو ستّين ميلاً.

"لقد توقّفت، وأطفئ المحرّك. إنها... أنا أتوقّف!".

أبطأت السيّارة.

"أحدٌ... من مقعد الركاب المجاور للسائق... أحدٌ يخرج منها!".

كان زميله في طريقه من أبسالا باتّجاه سيارة الفرار حين استدار، ونظر حوله ولاحظها مجدداً، فتبعها في حلقة المطاردة. والآن، أصبح هو من تتمّ مطاردته.

"هناك سلاح! لديه بندقية! إنّه يصوّب... عليّ... ويطلق النار!".

—

كان الثلج يُعيقُ الرؤية، ولكنّ ليو استطاع أن يرى البذلة بوضوح. رفع البندقية، وانتظر حتى انفتح الباب من جهة السائق.

وضع إصبعه على الزناد.

انتظر، ولكنّ أحداً لم يخرج. ظلت البذلة جالسة هناك.

فأطلق النار.

أطلق النار. الطلقة الأولى على المحرّك، تلتها الثانية، فالثالثة.

إلى أن خرج الشرطيّ الوحيد من السيارة راكضاً، ورمى بنفسه على الأرض، وتدحرج إلى داخل الخندق المليء بالثلج.

أطلق أربع طلقات أُخرى؛ كلّها وجّهها إلى المحرّك. لن تتمكّن السيارة من ملاحقتهم مجدداً. أبقى عينيه على الخندق وهو يعود إلى الوراء ويجلس بالقرب من أنيللي.

"انطلقي".

لقد تغيّر الوضع؛ فاتخاذ جانب الحيطة والحذر، وتأمين التغطية، والمرور بسيارة الشرطة، ومتابعة السير نحو طريق الفرار الأساسية، كل هذه الأمور لم تعد ممكنة.

"إلى أين؟".

"إلى الأمام مباشرة".

كان ليو يعرف مكان وجودهم؛ في وسط منطقة مليئة بمنازلٍ غير مأهولة. ولكنّه لا يعرف كيف يخرج من هذا المكان. ليس بعد، ولكن قريباً. هناك دائماً منفذ للخروج.

اختفى صوت رجل الشرطة الوحيد وساد الصمت. ولكن، كان من السهل أن يفهم ما حصل، ولو تمّ ذلك من خلال الراديو الموضوع على طاولة المكتب.

انفتح باب سيارة، وخرج منها. سمع صوت خطى أرجل على الثلج، حاول الهرب. خُطى بليدة وثقيلة؛ رمى بنفسه في المخبأ.

ومن ثمّ، سمع أربع طلقات أُخرى؛ واحدة تلو الأُخرى. مبرمجة على سلسلة من الطلقات النارية.

ثمّ ساد الصمت، ثمّ سمع صفير الرياح.

هذا فقط.

"لقد انطلقوا بالسيارة".

كان على قيد الحياة. لم يتعرّض حتى للإصابة؛ صوت من دون ألم.

"مباشرة إلى الأمام".

ولكنه ما زال منخفضاً. يمكن سماع هذا، على الأرجح عند قارعة الطريق، وكان من الواضح أنّه فيما يتكلّم بدأ يستنتج ما حصل.

"لقد... ترجّل مُسرع الخطى، وبشكل نظامي وعزم. كنت متأكّداً من أنني سأموت".

وكان... ذلك ممكناً.

"عندما صوّب نحوي وأطلق النار على السيارة والمحرّك. استخدم سلاح رشاش أوتوماتيكياً من طراز أي. كاي. لقد رأيته".

حينما توقّف برونكس عند الباب، شعر بالخوف من شرّ مُرتَقَب، وغيّر اتّجاهه وعاد إلى الراديو. أسلحة عسكرية. ثلاث دقائق. وقت الإقفال. وعندما سمع صوت إطلاق النار، تبدّد القلق. إنّهم هم. كانت القوّة نفسها، وكذلك الطاقة، وحتى البهجة والفرح. إنّهم هم! خرج مسرعاً إلى الرواق مجدّداً، ولكن بالاتّجاه المُعاكس هذه المرّة؛ باتّجاه الدرج والمرأب والسيارة. أكثر من نصف عام مرّ من دون وجود أيّ إشارة إليهم. وفي ليلة، غَيَّرَ اتّصال هاتفيّ واحد وأخير جميع المقاييس، وكاد يجبرهم على الخروج. ولكنه لم يفعل. القليل من الرسائل والإعلانات في الجرائد بعد، قبل أن ينتهي فجأة كلّ اتّصال، وبدأ الشكّ يرتاب برونكس. ربّما اتّخذ القرار الخطأ، وربما أخطأ في الحكم على الأخ الأكبر. فبالرغم من المعلومات السريّة والنصائح التي استمرّت في الهطول عليهم من العموم، وبالرغم من فريق يضم الكثير من المحلّلين ورجال المباحث... لم يَحدُث أيّ تقدّم ملحوظ في المعرفة. ومع تحوّل الربيع إلى صيف، ومن ثمّ إلى خريف، بدأ يفكّر أكثر بما شعر به حين نظر إلى كارلستروم نظرة خاطفة، لم تكن هناك كلمات، ولكنه كان واضحاً، عشر سنوات من الثقة بدأت تنهار فجأة.

اليوم السابق لعشية الكريسمس. شعر كما لو أنّ سكان ستوكهولم بأكملها قد ذهبوا إلى منازلهم. فالشوارع مقفرة، والزينة في كلّ شقّة. مجرّد بضع دقائق، وها هو يمرّ فوق جسر ألفيك بسرعة عالية متوجّهاً نحو طريق "إي 18" غرباً.

"أنا برونكس".

"يمكنني سماع ذلك".

لم أكن مخطئاً. لم أُسئ الحكم على الأخ الأكبر.

"أنا في طريقي".

"لقدطلبت منك أن تذهب إلى المنزل".

كان كارلستروم محاطاً بأغاني الاحتفالات وأصوات الأطفال. تذكّر جون برونكس الكريسمس الفائت، وزيارته لذلك المنزل الجميل في ذاك الحيّ الجميل لطلب الشروع بالتحقيق بدوامٍ كامل عن مجموعةٍ جديدة من سارقي المصارف؛ في زيارة انتهت إلى مائدة العشاء مع عائلةٍ حقيقية.

مضت سنة وهو يقوم بالتحقيق والتحرّي عنهم، ولا يزال.

"أنا في السيارة، في طريقي إلى هيباي؛ مروراً برينكيباي".

"جون، اللعنة..."

"إنّهم هم".

"هم!".

"هم".

عند تقاطع روتيبرو أنير الضوء الأحمر في إشارة المرور، فاجتازها من دون توقّف. انتظر كارلستروم بصمت، ومن ثمّ أدار الهاتف نحو الغرفة، وارتفع صوت الأغاني.

"هل تسمع هذا يا جون؟".

فونوغراف قديم الطراز، إبرة تصدر خربشة وهي تخدش الفينيل.

أنا أحلم بكريسمس أبيض اللون6.

"إنها أغاني الكريسمس يا جون. اللحم المدخّن، والشراب".

"أريد فريق السوات الوطني"7.

"جون".

"أنا أعلم أنّهم هم".

"وفقاً لأقوال أحد الشهود من خارج المصرف، إنّ الرجل الذي وقف حارساً كان أكبر سنّاً من الآخرين بشكل ملحوظ، وبدا أيضاً أكثر بطئاً. كانت طريقته في الحركة متصلّبة، وثقيلة، وغير رشيقة مُقارنةً مع من كانوا داخل المصرف".

"إنّهم هم".

"ولم يكن هناك من قبل رجل مسنّ ومتورّط. أليس كذلك؟".

"لينارت".

عشر سنوات، ولم يستخدم قطّ اسم كارلستروم الصغير.

"ماذا؟".

"لم نكن يوماً قريبين بهذا القدر. زملائي في هيباي يحتاجون إلى الدعم العسكريّ. لقد أطلقوا النار على إحدى السيارات".

انتهت أخيراً أُغنية أنا أحلم بكريسمس أبيض اللون.

كانت هناك موسيقى أُخرى الآن، وكذلك مألوفة.

"جون، لا يمكنني أن أتّصل برئيسة الشرطة الليلة وأطلب منها إرسال فريق

السوات"[8].

فروستي رجل الثلج[9].

ها هو. كورس من الأطفال المبتهجين الذين يرنّمون أُغنية فرحة خاصة بالكريسمس.

"ليس في اليوم السابق لعشية الكريسمس، أو في أيّ يوم على الإطلاق إن لم تكن دائرتنا هي الإدارة المعنيّة، وإن لم يكن هناك شيء يشير إلى أنّهم يمكن أن يكونوا هُم".

—

"أنيللي، أسرعي!".

"أنا لم أقد هنا من قبل. لم نتمرّن على..."

"أسرعي، علينا أن نخرج من هنا قبل أن يُقفلوا الطرقات!".

كان الثلج يلعب ويرقص على ضوء مصابيح السيارة الأمامية، في وسط غابة مظلمة.

لقد بسط ليو الخريطة على ركبتيه، فيما البندقية ممدّدة هناك، وهو يحرّك إصبعه على طول الطريق التي يقودون عليها الآن، بينما كانت السيارة تتمايل وتترنّح بعنفٍ إلى أن اصطدمت كتفه ورأسه بالنافذة الجانبية. كان ذلك انزلاقاً تمّ تصحيحه على مهل.

"لا أعلم أين نحن، ليو، أنا..."

"تابعي القيادة وحسب".

أجل، كانت تقود، ولكنها لم تعد موجودة ذهنياً. فما زالت عند تلك اللحظة التي أُطلقت فيها سبع رصاصات على سيارة شرطة.

لقد أطلقوا النار، ومن يطلق النار يمكن أن تُطلَقَ النارُ عليه.

"عندما نمرّ بالمنازل الصيفية اللعينة تلك، هناك مخرَج إلى الطريق. على بُعدِ ميلَين من هنا. إن قمت فقط بالقيادة كما أقول لك!".

كانت تعلم ذلك، تعلم أنّ هذه الأسلحة يمكن أن تستعمل فعلاً. ولكنها لم تسمح لنفسها بأن تفكّر في الأمر.

"أنيللي".

الآن عليها أن تفكّر، لقد تمّ استعمالها.

"أنيللي، توقّفي!".

فالأسلحة يمكن أن تقتل.

"توقّفي! وأنا سأقود!".

لقد سمعته الآن. كان ليو يصرخ. لقد صرخ قائلاً لها إن عليها أن تتوقّف. هنا! في الأحراج! لماذا قد تفعل هذا؟ الآن، صرخ مجدّداً. توقّفي. نظرت إلى مرآة الرؤية الخلفية بحثاً عن سيارة الشرطة التي أطلق النار عليها وحوّلها إلى قطع فلم تتمكّن من ملاحقتهم. وبينما كان ليو يعطي جاسبر الخريطة، وإيڤان يتمتم بكلمات غير واضحة من حيث يجلس على المقعد الخلفي، اقتربوا من المنعطف وانزلق المقود من بين يديها.

"انعطفي!".

صرخوا جميعهم في الوقت نفسه.

"انعطفي، اللعنة!".

فات الأوان. ألقت بثقل جسمها كلّه على دواسة المكابح، فانزلقت السيارة التي تزن طنّاً كاملاً بما تحتويه من محرك وكلّ ما يحيط به من هيكل فولاذي متربّع على أربع دواليب، وانحدرت بلا حول ولا قوّة إلى داخل الخندق، ومن ثمّ تمايلت على الحافّة، ووقعت بينما كان الثلج يُرشَقُ بقوّة على الزجاج كما لو أنه يتنهد تنهيدة تحدٍّ.

وهنا توقّفت. كان من الصعب توضيح التأثير الحاصل داخل السيارة. كان الصمت ملموساً وأكثر واقعية. تأكّد من أنّ ما لم يكن من الممكن حدوثه قد حدث فعلاً. لم تعد هناك سيارة فرار للهروب بها.

دفع ليو الباب فاتحاً إيّاه، بينما أعاد الثلج المنجرف دفعه إلى الوراء. أدار جسمه وظهره إلى لوحة القيادة، حيث دعم جسده وركل الباب فاتحاً إياه أكثر بقليل مع كلّ ركلة. زحف إلى الخارج، ووقف في الثلج الذي يصل إلى أعلى من الركّب.

"جاسبر، أنتَ ستأخذ الأسلحة. بابا، أنت ستأخذ المال. ترجّلوا جميعكم الآن!".

خرجوا إلى العاصفة الثلجية الواحد تلو الآخر. جاسبر يُمسِك بمقبض حقيبة مليئة بالأسلحة علّقها على كتفه كحقيبة ظهر، وإيڤان مع ثلاثة ملايين ونصف المليون في حقيبة رياضية حملها بين ذراعيه. فيما خرجت أنيللي والدماء تسيل من أنفها.

"هيا، خذي هذا".

قدّم لها إيڤان منديله، فمسحت الدماء، ونظّفت نفسها بماء الثلج.

"سيباستيان! ليو..."

"هيا، تعالي".

"ما الذي سيقوله؟ ما الذي... من المفترض أن يأتي غداً إلى منزلنا".

"أنيللي، انظري إليّ. نحن ذاهبون إلى المنزل الآن".

"سيأتي غداً. سنحتفل بالكريسمس. وقد... أطلقنا النار على كائنٍ بشريّ".

لفّت معطفها الرقيق بإحكام أكثر حول جسدها، وتسلّقت للخروج من الخندق إلى الطريق، ثم وقفت هناك. بينما فتح ليو صندوق السيارة، ورمى بكلّ الهدايا الملفوفة بعناية على الثلج، وانتزع الكيس الذي يحتوي على السترات والسراويل التي تمّ استخدامها في عمليّة السرقة.

"سيزداد البرد حدة".

رمى سترة لأنيللي، التي لم تحاول حتى أن تلتقطها، وواحدة لجاسبر الذي ارتداها فوق سترته، وواحدة لإيڤان الذي أخذها ومن ثمّ رماها على الثلج لأنه لم يكن يشعر بالبرد.

"على بعد ميلين؛ إن استطعنا اجتياز الغابة والوصول إلى الطريق العام السريع من الجانب الآخر. ليس هناك شرطيّ مَحَلِيّ يمكنه تحدّي أسلحتنا، ويستلزم الأمر تسعين دقيقة للحصول على تعزيزات عسكرية هنا. المسافة... علينا أن نحافظ على المسافة".

كان الثلج يتساقط ولكنّ الجدار الأبيض لم يعد هناك، بل أصبح أشبه

بستارة ناعمة، بقطعة قماشية تتصاعد وتنتفخ بحركةٍ بطيئة ككتلة من السحاب. أصبح من الأسهل أن نرى، ومن الأسهل أن تتمّ رؤيتنا.

"أنا لا أُريد ذلك".

بدأوا بالسير داخل الحقل، باتّجاه طرف الغابة. حينها، توقّفت أنيللي وغرقت في الثلج العميق.

"ليو".

"اللعنة، أنيللي!".

"أنا لا أُريد ذلك. لم أُرِد ذلك يوماً. أُريد أن... أذهب إلى المنزل".

"انهضي في الحال!".

جلست هناك في الثلج وبَكَت.

"لقد قلت نعم لسؤالٍ لم تسأله يوماً! والآن، ها أنا... هنا".

أمسك يدها، ورفعها لتقف، ثم تركها فسقطت غارقة مجدداً.

"أنيللي!".

"أنا لا أُريد ذلك".

"لا يمكننا البقاء هنا لوقتٍ أطول!".

"لقد قلت نعم. وأنتَ لم تسألني حتى!".

لقد اتّخذت قرارها. ستجلس هنا وتنتظر.

"لقد قلتُ لك ليو!".

كان جاسبر قد عاد أدراجه.

"قلتُ لكَ إنها الحلقة الضعيفة!".

كان الحقل مفتوحاً وشاسعاً داخل ظلمة الشتاء. رجلان مسلحان بأسلحة أوتوماتيكية، وبينهما امرأة مغمورة حتى نصفها بالثلج.

"سوف تتكلّم! وستشير إلينا! لا يمكننا تركها هنا يا ليو، ليس على قيد الحياة!".

أمسك به ليو، وشدّه إليه.

"إذاً، ما الذي تنوي فعله بحقّ الله؟".

"سيمسكون بها، وستشير إلينا، الواحد تلو الآخر! وإلى أخويك أيضاً!".

"هل تريد... أن تقتلها؟ حسناً. أهذا ما تقوله؟".

"أجل".

وكان حينها قد قبّلها قبل أن يختفوا داخل الغابة، وتختفي هي داخل البياض. نظرت إليه، وشرحت له أنّها قرّرت، وأنها ستجلس هنا، وستنتظر وصولهم. ذلك غريب، ولكن أحياناً أنت تعلم حقّاً في قرارة نفسك أنها المرّة الأخيرة.

—

أزاح فيليكس طبق الحلوى وكوب الشراب نصف الممتلئ، وأحد كتب الرياضات المملّة تلك التي وزّعها ڤينسنت في كلّ مكان، ووضع الشجرة البلاستيكية الصغيرة جداً– من أصغر الأصناف– على طاولة المطبخ كنبتة منزلية. إنّها أوّل مناسبة كريسمس يحتفلان بها هما الاثنان فقط منذ... الأزل. على الأقلّ،

هذا ما فكّر به. لم يكن بإمكانه أن يتذكّر أيّ مناسبة كريسمس أخرى أمضاها من دون ليو الذي كان البكر، والذي كان موجوداً دائماً. الآن، هو ليس هنا. أو ربّما كانا هما غير موجودين. لقد انتقلا إلى هنا، إلى الجانب الآخر من السويد. استأجرا من مستأجرٍ آخر شقّة بغرفتي نوم في غوتنبورغ.

انتقلا أو هربا؛ ربّما هو هروب جغرافي، ولكن أحياناً هذا كلّ ما يتبقّى.

سوّى الشجرة البلاستيكية لكي تقف بالقرب من حافّة الطاولة بشكل مستقيم.

إنه الوهم المصطنع؛ بأنّ كلّ شيء هنا مشابه تماماً لما هو عليه في أيّ مكان آخر. لطالما كان الأمر كذلك حسب ما يتذكّر، دائماً، أكثر ممّا ينبغي. كان زائفاً، ومُرهِقاً، ومتوتِّراً، ومدمِّراً بسبب صراخ والده ومطالبه وحماقته وغبائه. شجرةٌ بلاستيكية لعينة على طاولة المطبخ، تتناسب تماماً مع ما كان عليه الكريسمس دائماً بالنسبة لهم... فهو متواضع.

كان ينبغي أن يشعر بالهدوء. أُمسية في حياة جديدة من دون ماضٍ. أخٌ صغير على بُعدِ بضع أقدام من الأريكة أمام التلفاز، يحمل جهاز تحكّم في كلٍّ من يديه، ويقلّب بين إذاعات الراديو ومحطّات التلفاز.

كان ينبغي أن يشعر بالهدوء؛ وهو الشيء الوحيد الذي لم يكن يشعر به.

"أطفئهما معاً".

"عليّ أن أعرف".

"وأنا لا أُريد أن أعرف. أطفئهما، اللعنة عليك!".

كان ڤينسنت جالساً هناك منذ الغداء، منذ ستّ ساعات. كان يشاهد

التقارير ونشرات الأخبار، والجزع يتسلّل خارجه.

"ڤينسنت".

"ماذا؟".

"أطفئهما!".

كان ڤينسنت يعلم، كان يعلم.

ليو، وجاسبر، وأنيللي، وأبوه.

سيتمكّنون من المضي قُدُماً وتخطّي الأمر. كان بإمكانه سماع ذلك في صوت ليو، وأن يراه فيه؛ في الطريقة التي يمشي بها ويتحرّك.

إنّ الرجال الذين قاموا بسرقة مصرف المدّخرات في هيباي تحت تهديد السلاح ما زالوا فارّين.

"أطفئهما!".

"لن أفعل".

"أنا لا أُريد أن أعرف. أنا هنا، اللعنة، في غوتنبرغ! ولست هناك!".

لقد قامت الشرطة بتعقّب الرجال حسب التقارير، وهي الآن تحاصر المنطقة

الحرجية والغابات حيث تقدّر أنّهم موجودون.

جلس أمام الشجرة البلاستيكية، واحتسى النصف الآخر من كأس الشراب. كان باستطاعته رؤية الجزع يتسلّل خارجاً من مسام ڤينسنت وفمه وأنفه،

وتذكّر فيليكس المرّة الوحيدة التي شمّ فيها رائحة الموت؛ عند أحد الجيران الذي يتمدّد وحيداً منذ وقت طويل وراء الأبواب المغلقة؛ كانت الرائحة مماثلة تماماً.

تحوّل قلق ڤينسنت إلى خوف ثمّ جزع، وكانت تفوح منه رائحة تقارب الموت بكلّ بساطة.

الشرطة تنصح جميع الموجودين في المنطقة بالبقاء في الداخل.

لم يعد بإمكانه تحمّل الأمر. لذا، رمى نفسه داخل غرفة الجلوس، وانتزع جهازَي التحكّم عن بُعد من يدَي ڤينسنت، وأطفأ التلفاز ومن ثمّ الراديو. وأخيراً، صمتت تلك الأصوات الجدّية. نظر ڤينسنت إليه متفاجئاً، ولكن ليس لوقت طويل، وبدلاً من ذلك أخذ الهاتف الجوّال الموجود على طاولة القهوة، وضغط على أحد الأرقام القليلة المحفوظة عليه.

"لا تتّصل!".

فات الأوان؛ فقد بدأ الاتّصال. وكان باستطاعة فيليكس رؤية ذلك على وجه ڤينسنت؛ الأمل. الأمل عندما لم يتمّ تأكيد الأمر بعد، وهو يُشبه إلى حدّ كبير رائحة الموت التي كانت تفوح منه. وطالما أنّهما لا يعلمان أنّه مات، فليس عليه أن يكون هناك. فهما الآن لا يعلمان شيئاً؛ إذ ربّما ليسوا هم من سرقوا وهربوا وأطلقوا النار. ما زال هذا احتمالاً؛ فقد يكون هناك آخرون، آخرون قاموا أيضاً باستكشاف هيباي واختاروا هذا اليوم بالتحديد. إنهما لا يعلمان، ولا يستطيعان أن يكونا واثقين تماماً، ويمكن أن... مرحباً، هنا ليو وأنيللي، لا يمكننا الردّ على الاتّصال الآن، ولكن... ومن ثمّ الرنّة الطويلة. كان ڤينسنت على وشك أن يترك رسالة، غير أنه أنهى الاتّصال.

الآن أصبحا يعرفان.

انتزع فيليكس الهاتف من يد أخيه في الحال- تماماً كما انتزع جهازَي التحكّم عن بُعد- ورماه على الحائط، فسقط قطعاً في كلّ مكان.

"لم يستطع أن يترك ذلك ويكتفي! كان عليه أن يستمرّ، حتّى بعد أن انتقلنا إلى هنا... اللعنة، ڤينسنت!".

وركل قطع الهاتف الجوّال البلاستيكية، وضرب بقبضة يده الجدران والأبواب، وكانت تفوح من ڤينسنت رائحة أسوأ بكثير الآن. ركض إلى المطبخ باتّجاه الهدايا الأربع الملقاة تحت عتبة نافذة في الزاوية، اثنتان لكلّ منهما، وتناول إحداها، وهي مستطيلة الشكل ومربّعة الزوايا، وكانت الأوراق التي غُلِّفت بها غير ملساء تماماً؛ لأنّه قام شخصياً بلفّها.

"هذه... كانت لك".

وقدّم الهدية إلى ڤينسنت الذي فتحها؛ فصارت ورقة الهدايا والشرائط مرمية على الأرض. كانت العلبة تحتوي على زجاجة من الشراب، من الصنف الممتاز. أخرج فيليكس كأسين نظيفتين وملأهما حتى حافتيهما، ثم شربا حتى فرغت الكأسان.

"لن يستسلم أبداً".

عبّأهما ڤينسنت مجدداً، وشربا مجدداً.

"هل تفهم يا فيليكس؟ كان يجب أن أكون هناك!".

بكى بهدوء أوّلاً، ومن ثمّ بشدّة.

"كان يجب أن أكون هناك يا فيليكس... اللعنة، اللعنة!".

لم تعد تفوح منه تلك الرائحة؛ فالدموع التي تبدو من دون نهاية غسلته

فأصبح نظيفاً.

"أنت تفهم هذا، أليس كذلك؟ لن يستسلم أبداً... ليس وهو على قيد الحياة".

—

الثلج يصل حتّى الرّكب، وصقيع الشتاء ينخر الأحذية والسترات والبشرة. والرياح تحوّلت مجدداً إلى عاصفة تزمهر، وتدفع، وتتحدّى.

أتّجه بخطٍّ مستقيم.

هؤلاء الأوغاد لن يقتربوا أبداً، ولن يطالبوا بالأجوبة، ولن يقرعوا باباً مغلقاً إطلاقاً.

بخطٍّ مستقيم.

واصل التقدّم. واصل التقدّم. واصل التقدّم.

ليو أوّلاً، وجاسبر في النهاية، وإيڤان بينهما. كانوا يتقدّمون إلى الأمام على خطى ليو؛ بأنفاس متوترة ومُجهَدَة، ويدان غارقتان في قعر جيبيه وقبضتاهما محكمتان، وقناع التزلج مُسدل على وجهه فوق شعره الرماديّ. عشرون دقيقة. اجتازوا منتصف الطريق للوصول هناك؛ هناك حيث تنفتح الغابة على فرجة شاسعة وممرٍّ أسهل. كانوا ينحدرون مع تعرّجات الطريق، ويكسبون الوقت، ويُبقون متعقّبيهم على مسافةٍ كبيرة منهم... إلى أن بدأ ليو الذي كان في المقدّمة يغرق سريعاً؛ حتى خصره، ثم صدره. لم تكن هناك فرجة، وإنما كان هناك جليد رقيق فوق مستنقع موحل. تسلّلت الماء المثلّجة داخل بنطاله وسترته، وسرعان ما علق حذاؤه في الوحل.

"ليو!".

اقترب إيڤان قدر المستطاع بخطىً صغيرة، ومدّ يده إلى ليو، وبدأ يسحب ويسحب. كان ابنه عالقاً. كان يثبّت جزمته على سطح الأرض الزلق، ويشدّ إلى الوراء، ثمّ انكسر الجليد. صارت إحدى رجليه داخل المياه السوداء، والأُخرى على حافّة الجليد، وهو يحاول أن يشدّه بكلّ ما أوتي من قوّة مخبّأة في أعماقه. ومن ثمّ قرّر تلّ الرمال فجأة- ما إن تمكّن من إمساكه- إرخاء قبضته.

بذلا جهداً كبيراً ليرفعا جسديهما صعوداً، وتدحرجا إلى الأرض الصلبة، ممدّدين الواحد قرب الآخر؛ إلى أن همد رويداً ذاك السعال الذي بدأ من مكان ما في أعماق رئتَي إيڤان.

"ليو، لا يمكنك مواصلة السير، ليس بهذه الحالة. فسوف تتجمّد حتى الموت".

بدرجة حرارةٍ أدنى من الجليد، ووسط رياح عاصفة، وابنه غارقٌ حتى صدره بالوحل والماء الذي سرعان ما سيتحوّل إلى جليد.

"انظر إليّ يا ليو!".

"إنهم في طريقهم إلينا! المسافة... يجب أن نحافظ على المسافة بيننا!".

لم ينظر إلى أبيه ولا إلى جاسبر عندما واصل السير.

واصل التقدّم. واصل التقدّم. واصل التقدّم.

إلى أن لحق به إيڤان وأمسك بسترته.

"هل سمعت ما قلته يا ليو؟ ألا تفهم؟! إذا استمررت بالسير فسوف تتجمّد حتى الموت! يجب أن تجفّف ملابسك، وإلّا فلن تكون المسافة التي

ستجتازها مهمة!".

أفلت ليو من قبضته، وبدأ بالسير مجدداً.

واصل التقدّم. واصل التقدّم. واصل التقدّم.

لحق به إيڤان مجدداً.

"هناك بعض المنازل الصيفية! هناك... على الضفة الأُخرى، أرأيتها؟ وهناك على مسافة أبعد بقليل داخل الغابات منزل آخر!".

"اغرب عني، اللعنة!".

"سنذهب إلى الداخل، وسنجفّف ملابسك، ومن ثمّ سنكمل الطريق".

أشار إيڤان إلى داخل الغابة.

"ومن ثمّ سنكمل سيرنا يا ليو".

لم يكن المنزل كبيراً جداً. معشّش بين الأشجار التي تحميه كما لو أنه مخبأ.

تماماً كسائر المنازل الصيفية السويدية.

"إن لم تجفّف ثيابك... في هذا الطقس يا ليو، انظر إليّ... فيمكن أن تموت".

—

ركن جون برونكس السيارة بالقرب من المستديرة الصغيرة حيث المصرف بجوار متجر البقالة. إنها بلدة صغيرة، وكان من الممكن أن تكون أوزمو أو أولاريد أو

ريمبو أو كونغسور. بضعة آلاف من السكان، وساحة البلدة المليئة بالمتاجر، والمصرف، والمكتبة، كلّها مجتمعة في بقعة صغيرة. لقد كان اختيارهم ساحة جريمتهم في هذا الاتّجاه منهجياً؛ فهم دائماً يختارون المواقع التي تكون موارد الشرطة فيها محدودة، ويسهل الدخول والخروج منها.

وما تبقى كان متشابهاً أيضاً.

الشريط المتطاير الذي يطوّق المنطقة ليشكّل مربّعاً حول واجهتَي المصرف، لكي يُبقي الناس الحشّورين بعيداً. كلّما اقترب ازداد عدد الأشخاص المرتبكين والخائفين والباكين. داخل المصرف هناك كاميرات قد أُطلقت عليها النار، وباب الأمان مفتوح على حجرة خزنة فارغة. وهناك ضابط شرطة يرتدي بذلته النظامية قد أنهى للتو استجوابه، التقاه وأشار إليه باتّجاه المخرج.

"سوف أطلب منك أن..."

"جون برونكس، شرطة المدينة، ستوكهولم".

ونظر إلى شارة انتساب مماثلة تماماً لشارته.

"برونكس".

"أجل".

"اسمي ريدان، من شرطة هيباي. أنت بعيدٌ جداً عن مقرّك".

"أعلم".

"نحن لدينا دوريات هنا من هيباي، وسالا، وأبسالا".

"أعلم هذا أيضاً. وأظنّ أنني أعلم أيضاً من تلاحقون".

قضى برونكس خمس عشرة دقيقة وهو يتحدّث إلى الزبائن، وموظّفي الصناديق الذين كانوا داخل المصرف عندما أمرهم رجلان مقنّعان بالانبطاح أرضاً. التقط خراطيش مصنّعة للأسلحة الأوتوماتيكية العسكرية السويدية، وفي شريطٍ امتدّ لثماني ثوانٍ رآهما معاً؛ ذينك الشخصين اللذين أطلق عليهما اسمَي الأخ الأكبر والجندي.

إنها المجموعة نفسها. من دون البذلات الرياضية السوداء، واثنان منهما فقط داخل المصرف. ولكن كانوا هم.

مَضَت أكثر من سنةٍ على المطاردة، ولم يكن يوماً قريباً من الحقيقة بهذا الشكل.

كان مركز الشرطة المحلية عند مدخل البلدة، وقد مرّ برونكس قربه وهو في طريقه إلى المصرف من دون أن ينتبه لوجوده. إنه مبنى متواضع يشبه منزلاً من الطين المجفّف، ولكنه مثل أكبر مركز شرطة رئيس في ستوكهولم، كان مزيّناً بالتماثيل والأكاليل، وقد كان هناك أيضاً نصف قالب من الحلوى، وبعض أكواب القهوة نصف الفارغة؛ إذ إن احتفال الكريسمس قد قاطعته عملية سرقة مصرف.

دعاه رايدن للدخول، ومرّا بغرفة التحقيق حيث كانت هناك امرأة جالسة وهي تحدّق بنظرة فارغة. كانت شقراء في العقد الثالث، وهناك غطاء على كتفيها، وكوب شرابٍ ساخن بين يديها، وهي تستمع إلى الأسئلة التي تطرحها عليها ضابطة شرطة. استمعت، ولم تُجِب في البداية. وعندما أجابت، كانت إجابتها مبهمة ومشوّشة، وكأنها تحت تأثير الصدمة.

"كيف كانت أشكالهم؟".

"لا أعلم".

"ألا تعلمين؟".

"كانوا يضعون أقنعة".

ظلّ برونكس بعيداً عن الأنظار.

"من هي؟".

حرص رايدن على أن يُدير ظهره إلى غرفة التحقيق ويُخفض صوته.

"لقد اصطحبناها من طريق موحل بالقرب من منزل صيفيّ على طريق سالا. قام السارقون بسرقة سيارتها، وكانت تركض مضطربة وسط العاصفة الثلجية، كِدنا نَدهسَها".

سرقوا سيارتها؟! هذا الفريق لم يستخدم سيارات الفرار، ولم يقم بتأمين نفسه. في حين أن أولئك اللصوص كانوا يختارون السيارات بتأنٍّ، ويضعونها حيث لا يخطر ببال المتعقّب البحث. أراد برونكس أن يعود إلى غرفة التحقيق، وأن يتحدّث معها بنفسه. سيقوم بذلك قريباً.

كانت الخريطة تغطّي القسم الأكبر من الحائط، وتظهر فيها منطقة هيباي في الوسط. أشار ضابط الشرطة المسمّى رايدن بيده التي ما زال يرتدي فيها القفاز على طول طريق من المستديرة الرمادية التي تمثّل وسط المدينة والمصرف، وينعطف على بُعدِ أميالٍ عند تقاطع طريق آخر، ومن ثمّ حرّك رؤوس أصابع يديه على طريق صغيرة نحو الجهة الغربية.

"هنا، عند حافّة الغابة. كانت تتجوّل عندما أجبروها على إيقاف السيارة، وصعدوا إليها وغادروا. كانت خائفة، وكانت الطريق زلقة. رأينا سيارتها في خندقٍ، وهي مليئة بالهدايا المتروكة. ومن السيارة، رأينا آثاراً واضحة على الثلج، آثار ثلاث أزواج من الأحذية تمتدّ بخطٍّ مستقيم داخل الغابة. يسهل تتبّعها".

"وماذا عن سيارة الفرار الأولى؟".

"ما زلنا في طور البحث".

كان برونكس لا يزال راغباً بدخول الغرفة ومقاطعة التحقيق.

"هل أجبروها على القيادة؟".

"أجل".

"سيارة مستأجرة ومليئة بالهدايا!".

"كانت متّجهة لرؤية عائلتها".

"باسم من استؤجرت السيارة؟ وماذا يوجد داخل علب الهدايا تلك؟".

فتح رايدن الباب المؤدي إلى الغرفة المجاورة، وكان أحد زملائه يحقّق مع زوجين كانا يتبضّعان ويجرّان عربة الأغراض في متجر البقالة عند المستديرة حين رُكِنَت سيارة اللصوص بالقرب من واجهة المصرف. دخل الغرفة وقاطع الحديث، ثم عاد إلى برونكس وقال له:

"سنعرف خلال عشر دقائق".

"وهناك".

واستدار جون برونكس باتّجاه غرفة التحقيق حيث تجلس المرأة وتابع:

"هل أستطيع الاستماع؟".

—

حطّم عقب المسدّس نافذة الباب الهشّة، وامتدت يد بين قطع الزجاج

الحادّة ووصلت إلى قفل الباب الداخلي وأدارته نصف دورة نحو اليسار. اصطدم الباب بالجزء الأعلى من مثلّث حاد الزوايا بينما كان ليو يفتحه ودفعته الرياح بعيداً.

مدخل بارد. من دون رياح. من دون ثلوج.

أُضيء المصباح الكهربائي على الحائط تحت رفّ القبعات.

ولكن ضوء السقف ظلّ مطفأً.

"أبي، صمّام (فيوز) الكهرباء الأساسي".

مطبخٌ بسيط، وأريكة، وطاولة طعام، وكرسيان. كان المكان مزدحماً، ولكن الغرفة تتسع لأربعة أشخاص. خزانة صغيرة وقديمة كانت مائلة بالقرب من المغسلة المنخفضة، وأبواب المرحاض من دون مقابض ولكن بقضبانٍ أقفال منزلقة. موقد حديدي على الحطب، وبالقرب منها سلّة من خشب البتولا مليئة بالجرائد القديمة وقطع الحطب وعلب الثقاب.

"جاسبر، هناك خطّ هاتف في الخارج. هلّا وجدت الرافع والهاتف".

كانت هناك غرفتان صغيرتان بالقرب من المطبخ؛ غرفة جلوس، وغرفة نوم.

بحث جاسبر في الخزائن والأدراج والسلال الصغيرة على الأرض، بينما فتح ليو الباب الحديدي الأسود لموقد حرق الخشب الذي أصدر صريراً، فرأى قصاصات ورق الجرائد، وإبراً رفيعة في القعر، وحطبتين كحشوة.

سمع صوتاً مدوّياً صادراً من الردهة. وجد والده علبة صمّام الكهرباء والصمّام الأساسي، فمرّت الكهرباء عبر الأسلاك القديمة، وأُضيئت لمبة السقف.

مباراة، مباراة طويلة. توهّجت أوراق الجرائد، وفرقعت رقائق الخشب.

"هنا يا ليو، كانت في الردهة. يمكنك أن تضع طبقتين عليه. ولكنني لم أجد أيّ حذاء".

أعطاه والده سروال عمل وسترة رياضية وجلس بالقرب من طاولة خشب السنديان القديمة. أبعد طبق إجاص الخريف المحنّط واستبدله بعلبة من أوراق السجائر الرفيعة وما بقي لديه من تبغ. ما زالت هناك لفافتان. وهو يدخّن عادة عشرين لفافة في اليوم. كان يحتاج إليها الآن أكثر من أيّ وقتٍ مضى. هذا إن لم يَقُم بفتح إحدى تلك الزجاجات الأربع التي تقف على رفٍّ من الآجرّ بين الموقد والمغسلة.

زجاجة من الشراب السويدي، وأخرى من الشراب الكندي، بالإضافة إلى زجاجة من أفريقيا الجنوبية، وأُخرى من اليونان؛ وهو شراب حلو الطعم وبنّي اللون شربه سابقاً.

"ليو، جزمتك. عليك أن تخلعها. قُم بتجفيفها قبل أن نواصل طريقنا".

"كانت لدينا تسعون دقيقة كمجموع. يمكننا أن نقضي هنا نصف الوقت فقط".

"لديك الوقت لتجفيفها، وإلّا فستتجمّد! الغرغرينا، ومن ثمّ سيقومون ببتر الأعضاء. أعرف هذا، فقد رأيته بنفسي حين عشتُ... هناك. تبدأ بأصابع رجلك، ومن ثمّ تصل إلى قدمك التي تصبح سوداء وتبدأ بالتعفّن، وبعد ذلك... يتسلّل الموت صعوداً إن لم تقم ببترها يا ليو".

"الغرغرينا!".

فعل ما قاله والده، ووضع الجزمة بالقرب من الحديد الأسود الذي كان

يزداد سخونة أكثر فأكثر، ثم استبدل ذاك البنطال الضيّق والقصير ببنطاله.

"أبي، كيف يمكنك بحقّ الله التحدّث عن الغرغرينا... الآن؟".

وضع إيڤان كل فردة من حذائه إلى جانبَي حذاء ليو، وأشعل سيجارة جديدة كان قد لفّها للتوّ، وتنشّق بعمق، ثم نفخ الدخان إلى الخارج في غيمة دوّامة، بينما التقط إحدى الزجاجات التي لم تُفتَح بعد وأدار الغطاء لنزعه.

"أبي، اللعنة! أتظنّ أنها فكرة صائبة؟".

وأعطاها إلى ليو.

"اشرب القليل منها، إن الشراب مفيد لك الآن، إذ سيعمل على ضخّ الدم في جسدك".

شرب ليو من الزجاجة مباشرة، وأحسّ بوالده يراقبه طوال الوقت. لقد كان يراقبه منذ أن وصلا إلى المنزل، أو بالأحرى، منذ أن غاص في المستنقع، أو حتى عندما نظرا إلى بعضهما بعضاً في المصرف؛ عندما عاد أدراجه إلى داخل حجرة الخزنة، فيما اتّجه والده من مكانه إلى المدخل الخارجي. وكان الأمر غريباً؛ كما لو كان يتمّ الحكم عليه، وكما لو كان ولداً وهناك راشدٌ يقيّم ويوافق.

"أبي".

"ماذا؟".

"ما الذي تنوي فعله بحقّ الله؟".

"لا شيء".

"هُراء. إذاً، لِمَ تنظر إليّ بهذا الشكل!؟".

"كيف؟".

"هكذا".

وأشاح إيڤان بنظره بعيداً عن ابنه كي لا يزعجه.

"ليو، ربّما علينا... عليك إعادة النظر".

"إعادة النظر!".

"أحياناً، ليس عليك سوى أن تتقبّل الأمر".

كان قد انتهى للتوّ من تناول الشراب وأقفل الغطاء، غير أنه أعاد نزعه مجدداً، ووضع الزجاجة على الطاولة بين التبغ ويدَي والده المرتجفتين.

"ما الذي تتحدّث عنه... بحقّ الله؟ ما الذي تقوله؟ أنا لا أستسلم أبداً يا أبي! وهل هذا... ما تبغي فعله بالتحديد؟ ألهذا السبب أردت أن تأتي إلى هذا الكوخ اللعين! إذاً، اشرب. اللعنة! اشرب!".

كانت الأدراج والخزائن قد أُغلقَت كلها بعنفٍ منذ قليل، وكان الصمت يسود منذ ذلك الحين في غرفة الجلوس وغرفة النوم؛ إلى أن وقف جاسبر في الممرّ قرب الباب حاملاً هاتفاً تحت ذراعه.

"وجدته. كان على رفٍّ في الحمام، والقابس في الزاوية بالقرب من الراديو".

كانت الجزمات مصطفّة على الموقد غير جافّة تماماً، ولكنها أكثر جفافاً ممّا كانت عليه. وكانت الزجاجة أمام والده مفتوحة، إلى أن اختارت اليدان الخشنتان والمرتعشتان إغلاق الغطاء.

في حين ذهب هو إلى غرفة الجلوس؛ إلى الزاوية حيث قابس الهاتف.

—

كان برونكس في غرفة التحقيق، يستمع إلى المرأة التي تضع غطاء على كتفيها، وتجيب عن كلّ سؤال جديد بشكل مُبهم ومشوّش. وبعد بضع دقائق اتضح الأمر؛ لم تكن مشوّشة، بل كانت تدّعي أنها كذلك. ولم تكنّ تحسن القيام بذلك بإتقان.

"لدي بعض الأسئلة، لذا أيمكنني الدخول؟".

هزّ زميله الأصغر سناً كتفيه، فاستنتج برونكس أنه يعني بذلك: افعل ما تريده، فأنا أرغب بالذهاب إلى المنزل وتناول اللحم المدخّن. جلس برونكس على الكرسي الفارغ الوحيد وعرّف بنفسه.

"برونكس، من شرطة المدينة في ستوكهولم".

كانت يدها باردة ونحيلة.

"أنيللي".

ولم تصافحه، بل أمسكت بيده فقط.

"كنت أستمعُ إليكِ منذ بعض الوقت. لقد قلتِ إنكِ كنتِ في طريقكِ لزيارة بعض الأقارب، وإنك تقودين دائماً على هذه الطريق. ثمّ فجأة رأيتهم يقفون هناك؛ أعني اللصوص المقنّعين. في وسط الطريق. وأرادوا أخذ سيارتك. أهذا صحيح؟".

"أجل".

"وهل أخافوك؟".

إنهم لا يستخدمون سيارات فرار مجهولة.

"أجل".

"أفعلوا ذلك باستعمال الأسلحة؟".

إنهم يختارونها بتأنٍّ، ويضعونها في أماكنها بأنفسهم.

"أجل".

"وأرادوا أن تصطحبيهم؟".

ولن يدعوا أبداً سائقاً بمثل هذا الضعف والخوف والتوتّر يكون مفتاحاً لخطّة هرب. إلّا إذا نجحت. إذا استطعتُ أخيراً أن أُوصِلَ الأخ الأكبر إلى نقطة اليأس، وأدفعه إلى المخاطرة، وارتكاب الأخطاء.

"أجل".

أمسك جون برونكس بيدها الباردة والخالية من الحياة مجدداً، ثم استدار وتوجّه إلى الخارج، وبدأ يبحث عن غرفة فارغة. ولكن مركز الشرطة الذي كان يبدو صغيراً من الخارج، بدا أكثر صغراً من الداخل؛ حيث إن غرفتي التحقيق المؤقتتين تحتويان على شهود، فيما المكاتب الصغيرة مكتظّة بطاقم المجنّدين. وحده المطبخ كان فارغاً. أغلق برونكس الباب لكي يتحدّث بسريّة؛ وبينما كان يُجري الاتّصال التقط بعض بقايا الرقائق من صحن وجبة خفيفة على الطاولة.

تلك الأغاني الفرحة وصلت إلى مسمعه قبل أن يضع رئيسه سماعة الهاتف على فمه.

"أهذا أنت جون؟".

"أجل".

"ما زالت عشية الكريسمس غداً".

"أنا في هيباي".

لم يقفل كارلستروم سماعة الهاتف، لم يكن هذا سبب الصمت الذي حلّ فجأة؛ إذ ما زالت الأغاني تصدح في الخلفية.

"هل تعرف كيف تحضّر الشراب بشكل ممتاز يا جون؟ شراب الكريسمس الكلاسيكي. أتعلم؟".

"ثلاث مرّات. وقت الإقفال. أسلحة عسكرية. طلقات نارية".

"تأخذ القليل من..."

"هذا ما عرفته عندما توجّهت إلى هنا".

"... زجاجتان..."

"والآن، حصلت على تسجيل الكاميرات التي أُطلقت النار عليها، وتفحّصت الرصاص فوجدت أنه يعود إلى أسلحة عسكرية، وتحدّثت مع الشهود".

"... تمزجها معاً".

"وقد... رأيتهما على شريط تسجيل المراقبة؛ أي الاثنين داخل المصرف: الأخ الأكبر، والجنديّ".

"أظنّ أنه عليك الذهاب إلى المنزل وتحضير هذا الشراب يا جون. أما إذا

لم تكن تعرف إلى أين تذهب وتحتاج إلى سببٍ ما لكي تكون جزءاً من أمرٍ ما، فلا يسعني فعل شيءٍ بهذا الشأن، ولكن يمكنني أن أنصحك بألا تستعمل خدمتك في الشرطة".

لقد عَملا معاً في الرواق نفسه؛ مشرف ومحقق، لمدّة عشر سنوات. كانا يعرفان بعضهما حقَّ المعرفة. ولكن هذا لم يحدث يوماً قط. إذ لا يتذكّر برونكس أنه قد أقدم يوماً على رفع صوته بوجه رئيسه، مطلقاً. لم يكن هذا أسلوبه للاعتراض، كما لم يكن أُسلوب كارلستون أيضاً. وعندما قام بذلك؛ أي الصراخ داخل حجرة المطبخ المغلقة، استولت الدهشة عليهما معاً.

"أنت وأنا كارلستون جلسنا بالقرب من بعضنا ونحن نشاهدهم على أشرطة تسجيل المراقبة من بين تسعة عمليات سرقة أُخرى! لقد عشت معهم لمدّة سنة كاملة! وأعلم أنهم هم! والآن كارلستون، لقد أطلقوا النار علينا؛ على الشرطة، للمرّة الأولى. إنهم تحت الضغط، إننا قريبون... وهؤلاء الناس، كما قلتُ سابقاً- يستخدمون الأسلحة كما لو كانت أدوات تجارتهم اللعينة- لذا، إذا اقتربنا أكثر من دون دعم عسكريّ... فسيتمّ دفع الثمن غالياً!".

ظلّ يصرخ إلى أن آلمته حنجرته. وكانت كلماته الأخيرة مبحوحة، وقد جرحت أوتاره الصوتية. لقد نسي أنه يشعر أيضاً.

"انتظر لحظة".

سمع برونكس كارلستون وهو يضع سماعة الهاتف، ويتوجّه على السجادة نحو الجهاز الذي يبث الموسيقى التي ارتفعت ثمّ ماتت تماماً؛ لقد أطفأها. ومن ثمّ سمعه وهو يكمل السير وصولاً إلى الدرج ويدخل مكتبه الذي يطلّ على خليج ستوكهولم.

"جون".

"ماذا؟".

"هل أنت متأكّد؟".

"أنا متأكّد. إنهم هم. وهم مسلّحون بأسلحة أوتوماتيكية قد يستعملونها؛ بل لقد استعملوها. لا أريد أن تقع شرطة هيباي وشرطة سالا في هذه الورطة. لا أُريد أن أرى زملائي قتلى. أُريد فريق السوات"[10].

كان الهدوء سائداً. لقد اختفت تلك الموسيقى المزعجة ولم يعد يسمع إلّا أنفاس كارلستون.

"سأتصل برئيس الشرطة وأطلب ما تريده".

"لقد سبق لي أن فعلتُ ذلك".

"لقد... سبق لك أن فعلتَ ذلك!".

"عندما كنت أقود في طريقي إلى هنا. لأنّ كلّ دقيقة تمرّ، تفصل بين الحياة والموت. إذاً، هم في طريقهم إلينا. أردت فقط أن تتوصّل إلى الاستنتاج نفسه. وبما أنّه ليس من الجيّد أن يتخذ محقق هذه المبادرة من دون إذن رئيسه، فقد قلت لهم إنني حصلت على الإذن".

—

ما زالت الشجرة البلاستيكية واقفة كنبتة منزل على الطاولة. وهدية ڤينسنت للكريسمس قد تمّ احتساؤها بالكامل تقريباً. بضع دقائق جهنّمية تحوّلت إلى نصف ساعة جهنّمية.

إنّ اللصوص الذين أطلقوا النار في وقت سابق اليوم داخل مصرف

في هيباي في الأراضي الغربية، ما زالوا فارّين.

كان ڤينسنت مكبوتاً، وسارحاً في أفكاره، وغارقاً على الأريكة وبيده جهازا التحكّم عن بُعد. وكان يقلّب بين نشرات أخبار التلفاز والراديو، فيما فيليكس يمشي ذهاباً وإياباً بين الستائر المُسدلة في شقّة تقلّصت، شقّة بغرفتَي نوم أصبحت صومعة زنزانة من خمس وسبعين قدماً مربّعة.

أثناء المطاردة، تمّ إطلاق النار على الشرطة من أسلحة أوتوماتيكية، وقد تمّ الاتّصال بفريق "السوات" الوطني، ووصل إلى ساحة الجريمة.

إطلاق نارٍ على الشرطة، فريق "السوات" الوطني[11].

شرب فيليكس آخر ما تبقّى في الزجاجة. صومعة، زنزانة من دون نوافذ. هذا ما كانا يشعران به. كانت هناك زجاجة أُخرى، هدية ڤينسنت الأُخرى للكريسمس. هذه المرّة، لم يسكب شيئاً منها لڤينسنت، بل فتحها وبدأ يملأ كأساً أخرى لنفسه محدّقاً إلى الكأس نصف الممتلئة؛ ما كان يجب أن تنفد بهذه السرعة. ثمّ رنّ الهاتف الأرضي.

"مرحباً".

إنه صوته.

"هذا أنا".

هل أنتم على قيد الحياة؟ هل الجميع على قيد الحياة؟

"كيف؟ فيليكس، كيف حالك؟".

إنهم يطاردونك. إنهم يطاردونكم جميعاً. من أين تتصل بحقّ الله؟

"فيليكس، هل تسمعني؟".

"أسمعك".

تشوّشَ خطُّ الهاتف أو ربما انقطع الاتصال. اتّصال أرضيّ آخر.

"لقد أردت فقط... التحدّث إليك".

"هل هو برفقتك؟".

"من؟".

"إيڤان".

"أجل".

كان هناك أحدٌ يحرّك شيئاً ما في الخلفية. ربّما إيڤان، أو جاسبر.

"الأمر يسوء جداً يا فيليكس".

"لقد أصبحوا في أماكنهم".

"إن حصل الأمر، فأنا أُريد منكما أنت وڤينسنت أن تختفيا".

"عناصر فريق السوات12. أصبحوا في أماكنهم. لقد قالوا هذا في نشرة الأخبار".

"كلا، ليسوا كذلك".

"هذا ما قيل! فريق السوات الوطني".

"هذا مستحيل. إنهم يحتاجون إلى الكثير من الوقت للوصول إلى هنا".

"هل تسمع ما أقوله يا ليو؟ لا تَقُم بأيّ عملٍ أحمق!".

"سأردّد هذا مجدّداً. إن اتخذت الأمور منحى سيئاً فيليكس، فغادِرا الشقّة، واختفيا في أيّ مكانٍ؛ لا يهمّ. ولكن، اختفيا فقط".

"لماذا علينا فعل ذلك؟".

"ليس عليكما أن تدفعا ثمن ما قمتُ به أنا".

"كلّا".

"ما الذي تعنيه بِكلّا؟".

"لن أهرب".

فهم ڤينسنت أنّه ليس اتّصالاً عادياً، فأخفض صوت الراديو والتلفاز، وأصغى السمع. كان صوت ليو مرتفعاً ويتسرّب إلى الخارج.

"لماذا عليك أن تكون عنيداً إلى هذه الدرجة فيليكس؟ اللعنة! ولو لمرّةٍ واحدة... افعل ما أطلبه منك من دون اعتراض!".

"لن أسرق المصارف مجدداً، ولن ألوذ بالفرار بعد بضع عمليات سرقة مصارف، بل سأبقى هنا مع ڤينسنت. سنبقى هنا".

كان ڤينسنت الآن واقفاً بالقرب منه، منحنياً باتّجاه الفراغ الضيّق الذي يفصل سمّاعة الهاتف عن أُذنه.

"هل تريد التحدّث مع ڤينسنت...".

لم يكن قد أنهى سؤاله بعد أو تلقّى جواباً حين انتزع ڤينسنت سمّاعة الهاتف من يده.

"ليو".

"ماذا؟".

توقّف أخوهما الأصغر هنيهة؛ ممسكاً الهاتف وقد ألصقه بفمه، ومحاولاً قول شيءٍ سبق أن قيل له مرّات عديدة.

"ليو... أنت... سنخترقهم مباشرة".

على بعد ثلاثمئة ميلٍ.

"حسناً، ليو".

وفي الغرفة نفسها.

"أجل، سنخترقهم مباشرة ڤينسنت".

وراءَ الباب الذي اختارا إقفاله.

"وڤينسنت... فيليكس لا يُصغي إليّ. لذا، عليك أنت أن تُصغي. إذا انتهى الأمر بشكلٍ سيئ، إن حصل ذلك... فعليكما أن تهتمّا بنفسيكما. هل تفهم؟ عليك أنت أن تنهي الأمر بطريقتك؛ بطريقتك الخاصّة. فمهما فعلت يا ڤينسنت، فأنتَ تفعلُ الصواب. هل تسمعني؟ مهما حصل... فما تفعله هو الصحيح، ولا يهمّ ما هو".

كانت هناك شجرة بلاستيكية صغيرة على الطاولة.

لم يَرَها من قبل. لا بدّ أنّ فيليكس قد اشتراها.

ليس هناك أحد لا يحبُّ الاحتفال بالكريسمس.

"ليو".

"ماذا؟".

"كان عليّ أن أكون هناك".

"لا، أيها الأخ الصغير... هذا غير صحيح".

—

وقف برونكس أمام الحائط حيث عُلِّقَت خريطةٌ عملاقة، وهناك علامة "X" كبيرة بالحبر الأسود على المكان حيث تقبع السيارة في الخندق؛ السيارة التي يعرف الآن أنه تمّ استئجارها باسم أنيللي إريكسون، والتي كانت تحمل علب هدايا فارغة. اللصوص الفارّون أكملوا طريقهم من هناك سيراً على الأقدام في مساحة شاسعة من الغابات يكسوها عشرون إنشاً من الثلج العميق. وحسبما يظنّ، إنهم يتقدّمون بسرعة ثلاثة أميال أو أربعة في الساعة، وليس أكثر. نظر إلى ساعة يده، وقام بالعَدّ، ورسم دائرة وعلامة "X" في وسطها، بقطر أربعة أميال. منطقة البحث لم تَعُد كبيرة جداً، ومع تعزيز القوى في بعض الأماكن ستتقلّص أكثر شيئاً فشيئاً.

"سأعود إلى الداخل. وعندما أنتهي... اتّصل بالمدّعي العام. يجب أن يتمّ توقيفها وحجزها قضائياً. لا أعلم كيفية تورطها، ولكنها متورّطة".

انتظر إلى أن تأكّد من أنّ رايدن فهم ما يقوله، ثمّ دخل غرفة التحقيق حيث تجلس المرأة التي ما زالت تدّعي أنها مشوّشة.

"أنيللي".

كانت تنظر إلى أسفل الطاولة، إلى الأرض.

"أنيللي، انظري إليّ وأنا أتحدّث معك. أُريد منك أن تخبريني بكلّ شيء.

وإن لم تفعلي، فسينتهي الأمر بشكل سيئ جداً".

"ما الذي تعنيه بكلّ شيء؟".

"كلّ ما تعرفينه عن الأشخاص في تلك السيارة. أولئك الذين سرقوا مصرفاً. أُريد أن أعرفَ أسماءهم، وإن كان باستطاعتك التواصل معهم، وكيف تمكنوا من الحصول على السلاح. أعتقد أنّ هذا أمرٌ مهمّ إذا أردت رؤيتهم مجدداً".

نظرت إليه لأوّل مرّة بشكل حقيقي، ومن دون تلك النظرة الزائفة.

"أنيللي... كيف هم مسلّحون؟".

بعد وقتٍ ليس بطويل، ولكنه طويل بما فيه الكفاية، عَلِمَت بما كان يتحدّث عنه. وعلمت بما كان باستطاعة أولئك الرجال الفارّين في الغابة القيام به.

"لكي نقوم بحمايتهم، علينا أن نعرف ما سنواجهه".

وكانت خائفة.

"أتفهمين يا أنيللي؟ علينا أن نعلم؛ في حال أردنا إلقاء القبض عليهم أحياء".

—

"انتعل حذاءك".

"ليو، اللعنة..."

"اصمت بابا! نحن نواجه بداية صعبة، وسنجتاز ذلك. جاسبر، خُذ كلّ ما يمكنك إيجاده من م وطعام".

"ولكن، فريق السوات... ليو، بُنيّ، أصغِ إليّ، عليك أن..."

"كلّا، أنتَ من سيصغي إليّ! لن يقترب أيّ نذلٍ منّي مجدداً! لا أحد!".

هَمَدَت العاصفة وسكنت الرياح، وظهر ضوء خافت من النجوم فوق الأشجار. ستكون ليلة هادئة، وسيكون تتبع مسارهم أكثر سهولة. ولكنّ التقدّم بعيداً عن منال أولئك الذين سرعان ما سيصلون إلى هنا سيكون أكثر سهولة أيضاً.

انتعل ليو جزمته، وارتدى سترته، وسترته المضادّة للرصاص، وأخذ مسدّسه.

عندها رأى شيئاً آخر، شيئاً غير واضح يشبه الشظايا التي تراها تتطاير فجأة، فتسجّلها، وتحاول جمع القطع المتناثرة معاً من دون أن تفهم.

وكان الأمر كما لو أنه قد حدث سابقاً. أحياناً يكون الأمر كذلك؛ كما لو أنّه قد سبق لك أن عشتَ تلك اللحظة.

ولكن هذه المرّة كان الأمر معاكساً.

عادةً، كان هو الذي يراقب ويستخدم الظلام لتغطية نفسه. أمّا الآن، فهناك أحدٌ ما يختبئ في الظلمة ويراقبه. أوّلاً، إلى يسار نافذة المطبخ، بدا وكأنّ هناك ظلّاً قد دبَّت فيه الحياة وراح يتّجه نحو إحدى الأشجار. ومن ثمّ- على يمين نافذة المطبخ- ظلٌّ آخر يتّجه نحو الشجرة المجاورة بوجهٍ نصف أسود؛ وجه نادراً ما تمتلكه الظلال. وأخيراً، عندما تمدّد على الأرض وزحف إلى النافذة ليتمكّن من الرؤية بوضوح، رأى هناك العديد من الظلال التي تحمل أسلحة مماثلة لسلاحه، وتتحرّك بشكل قوس حول المنزل. وإن كان فعلاً يرى كلّ هذا- هذه الأحداث التي تبدو مألوفة بشكلٍ غريب- فقد شعر وكأنّما كلّ شيء كان بطريقةٍ ما يجري في

الوقت نفسه.

"إنّهم هنا!".

استدار نحو إيڤان الذي كان يجلس على الأريكة في غرفة الجلوس، وجاسبر الذي كان يبحث في خزائن المطبخ الصغيرة عن أيّ شيء يمكن أكله ليضعه في حقيبة السلاح.

"لقد أصبحوا هنا!".

جلس إيڤان هناك كما لو أنه محتجز ومشلول، وهو مائل إلى الوراء على الكرسي، بينما ركض جاسبر إلى النافذة أوّلاً ليرى ما رآه ليو، ومن ثمّ اتجه إلى السترة المعلّقة على مسند الأريكة، وحملها إلى المطبخ، وتناول قنبلة يدوية من أحد جيوبها.

"ليس من دون قناع".

ومن ثمّ واحدة أُخرى.

"هل تفهم ذلك؟".

ثمّ واحدة أُخرى.

"هذه المجموعة، كلّ ما قمنا به، لن ينتهي الأمر هكذا. لن ينتهي بهذا الشكل".

ووضعها أمامه على طاولة المطبخ في صفّ مستقيم، تفصل بينها مسافات متساوية.

"غداً في الجرائد، لن نظهر من دون أقنعة! وعندما نظهر على الصفحة

الأولى سنكون واضعين قلنسواتنا المُسدَلة على وجوهنا! اللعنة، لن يتمكّنوا من الإشارة إلينا بأصابعهم. انظر، هناك حُثالة قومٍ سرقوا مصارف وفجّروا المحطة المركزية. يقفون هناك ويحدّقون. آه، هذه هي أشكالهم!".

ثلاث قنابل يدوية، ومن ثمّ الحقيبة التي تحتوي على مخازن الذخيرة التي أخرجها أيضاً- الواحد تلو الآخر- وصفّها بخطٍّ آخر مستقيمٍ تحت القنابل.

"قُل لي ما تريد مني فعله يا ليو وسأفعله. اللعنة، سأفعل أيّ شيء تريده. أنت تعلم هذا؛ أيّ شيء! لا يمكننا أن نموت كسارقين فاشلين، ولا يجب أن ينتهي بنا الأمر في زنزانة داخل أحد السجون اللعينة. ليو، بعد ذلك لن يبقى هناك فريق!".

ثمّ لقّم سلاحه، وصوّبه نحو ظلام الليل، جاهزاً لإطلاق النار على الظلال.

"بحقّ الله، اهدأ".

لم يعد إيڤان محجوزاً، ولم يعد منحنياً إلى الوراء، بل وقف واتّجه نحو ذخيرتهم المصفوفة.

"إن أردت أن تموت فلن تفشل في هذا الليلة. يمكنني أن أضمن لك ذلك. ولكنك لست وحدك هنا أيّها الأخرق اللعين! لذا، توقّف عن تصويب سلاحك!".

"جاسبر. اسمي جاسبر! اذهب وأغلق فمك؛ فأنت بارع في هذا، ولطالما كنت كذلك. يمكنك أن تضرب الناس على وجوههم، ولكنْ اللعنة، لا يمكنك التأكد من معدّاتك! بسبب خطئك نحن هنا الآن!".

جلس بالقرب من القنابل اليدوية وحيداً؛ تماماً بقدر ما كان وحيداً عندما قرّر إخراجهما حين كان في حجيرة تخزين الأسلحة؛ كما لو أنه كان يعرف. تلك المرأة التي لم يثق بها، وذاك الرجل الذي يغلق فمه الآن لن يقدّرا الأمر جيّداً.

"إنّهم ينتشرون الآن! ألا تفهم؟ إنهم يفعلون تماماً ما كنّا نفعله طوال سنة كاملة من دونك أيها النذل العجوز! سينتشرون لكي يشنّوا هجوماً! لذا، سأُحَرِّكُ سلاحي قدر ما أشاء. هناك أناسٌ في الخارج يضعوننا في مرصاد هدفهم! أستطيع أن أشعر بهذا. أستطيع أن أشعر بهذا! لا يمكننا رؤيتهم، ولكنني أعلم أنّهم هناك!".

جاسبر، والده... زحف ليو على الأرض وجلس بينهما.

"ليو، هل ستسمح للحارس اللعين المزيف هذا... ماذا علينا أن نفعل؟".

سمع ذاك التضرّع في صوت أبيه مجدداً، ولكن ليو لم يُجب عليه، بل استدار نحو الموقد الحطبي ودفّأ وجهه. ما زالت الحقيبة على أرض المطبخ، على بعد ذراعٍ منه. فتحها، وأدخل يده فيها، والتقط رُزمَتَين.

"هذه... بنسبة ثلاثين في المئة من القطن؛ النسيج. أكنت تعلم هذا يا أبي؟".

كدسة من فئة مئة، وأُخرى من فئة خمسمئة.

"ممّا يجعل الورقة أكثر صلابة وتيبساً، فيصعب تمزيقها أكثر. أتعلم كيف تعلّمت هذا؟".

عصرها بقوّة في يده.

"لقد غسلتها، القليل منها في الواقع. كانت ملطّخة بالصباغ. غسلتها باستعمال الأسيتون والماء، ومن ثمّ قمت بتجفيفها. جفّفت آلاف الدولارات بمجفّف الشعر. وذلك قبل أن أستنتج أنه كان يجب أن تعلّق لتجفّ".

فتح الباب الصغير المربّع على الواجهة الأمامية للموقد الحطبيّ.

النيران البرتقالية الحمراء راحت تطقطق في قعر الموقد.

"لقد تقلّصت. أتفهم هذا يا أبي؟ هذا النسيج اللعين يتقلّص، ويصبح صغير الحجم جداً، فلا يعود من الممكن استعمال هذه النقود في موزّعات الوقود. لم أكن أعلم هذا من قبل؛ أي أنّ هناك نسيجاً في الأوراق النقدية".

سمع صرير الباب المعدني؛ تماماً كما في السابق، وهو يفتحه ويرمي أوّل رزمة من الأوراق النقدية، من فئة مئة.

"ما الذي تفعله بحقّ الله؟!".

صرخ جاسبر، ولكن ليس من الغيظ بل من الدهشة.

"أعلينا الاستسلام؟ أهذا ما تعنيه... أنا لا أفهم يا ليو. اللعنة، لا يمكننا أن نتركهم يأخذوننا!".

"إذاً، انبطح على الأرض. لقد قلت ذلك بنفسك، أنت في مرمى نظرهم، في مرصاد هدفهم".

ورمى إلى الداخل الرزمة الثانية من فئة خمسمئة، فتطايرت شرارات النار متوهّجة أيضاً، ومطقطقة مع صوت الأوراق.

"ليو، من الجيّد أن تحرق تلك النقود اللعينة".

صار إيڤان الآن جالساً على الأرض أيضاً، والنار على مستوى وجهه.

"فأحياناً ليو، بُنَيّ، عليك فقط أن تتقبل الأمر".

شعر بحرارة النار القوية والعنيفة كقشرة رقيقة تلفّ جبينه وجفنيه وخدّيه وشفتيه.

"أتقبّل الأمر! لن يحصلوا على هذا المال اللعين أبداً".

وضع ليو يده في الكيس مجدداً، ثم وضع يديه الاثنتين، في العمق.

ستّ رُزَم، الآن كلّها من فئة خمسمئة فقط.

"لا المال، ولا أنا".

كان الموقد يمتلئ خلفه، والنار تتابع التهامها كلّ شيء. قناة سخامية مستطيلة شُيِّدَت لكي تلتقط طرفي القفل، حيث رمى الرُزَم وحشرها خلف الباب المفتوح، ثمّ أوصده بلسان القفل.

"لن يأخذوني. أتفهم هذا يا أبي؟ ليس أنا. لذا، يجدر بك أن تختار؛ فإما أن تلتقط سلاحك المستند على الحائط هناك، أو تزحف إلى خارج الباب. سيهتمّون بك جيداً في الخارج هناك، أنت تعلم هذا، أليس كذلك؟ كما يفعلون عادةً. منذ الآن فصاعداً، أبي... افعل ما تريده".

كانت حرارة الآلاف من الكرونات مماثلة تماماً لحرارة حطبة واحدة من الخشب. ولكن ألسنة النيران كانت تشتعل بسرعة أكبر؛ فالورق والنسيج لا يدومان بقدر الخشب اليابس.

كان هناك صمتٌ تامّ. جلس إيڤان أمام الطاولة في زاوية غرفة الجلوس، محميّاً بحائطين، ويداه ترتجفان وهو يلفّ سيجارته الوحيدة والأخيرة مع القليل من التبغ المتبقّي. فيما ليو يدفع بالمزيد من الأوراق النقدية داخل الموقد فتشتعل كالجمر قبل أن تتفحم. زحف جاسبر في جميع الاتّجاهات محاولاً اختلاس النظر من وراء جميع النوافذ، ومتتبّعاً تحركات الظلال، بينما كان يذخّر السلاح ويحوّله إلى إطلاق النار الأوتوماتيكي.

بدءاً من هذه اللحظة، كلّ واحد يفعل ما يريده.

—

لقد سبق أن رأى جون برونكس ذاك النوع من العيون.

أنتَ، أو أنا.

في مكانٍ ما في الداخل. من أعماق القلب، إلى خارج الصدر، وعبر العنق، ومن خلال العيون. إنّ القوّة الداخليّة أصبحت قوّة الفعل الخارجية.

أنتَ، أو أنا.

ولكنّ تينك العينين لم تكونا العينين نفسيها، بل كانتا ملكاً له. تانك العينان اللتان تنظران من خلف الستائر داخل هذا المنزل الريفي ذي الزخارف البيضاء، واللتان حدّقتا إلى كاميرات المراقبة قبل إطلاق النار عليها. تانك العينان اللتان رآهما برونكس الآن تنتميان إلى الجانب الآخر؛ جانبه الخاص. حتى إن عاشتا بالقوّة نفسها في مكانٍ ما في الداخل، وكانتا بشكلٍ متساوٍ جزءاً لا يتجزّأ من هذا القناع الأسود.

في الجانب الآخر...

جزمٌ عالية، وبذلات رياضية، وسترات مضادّة للرصاص، وخوذات، ونظارات واقية، وقفّازات مضادة للنار. إنه فريق السوات الوطني؛ ستّة عشر فرداً من نخبة ضبّاط الشرطة الذين انتشروا في الثلج، واحتموا وراء جذوع التنّوب السميكة، حاملين بنادق أوتوماتيكية، وبنادق قنص.

منطقة البحث أصبحت صغيرة أخيراً.

أربع مركبات من العيار الثقيل- وفقاً لطلب برونكس- قد غادرت المركز الرئيس، وبعد سبع وخمسين دقيقة سارت على طريق الريف على بُعد مجرّد أميال شمال البلدة؛ سيارات أُعيد بناؤها وتدعيمها لتصبح أشبه بدبّابات صغيرة. في تلك الأثناء، قامت وحدة "كاي 9" بتقفّي الآثار؛ بدءاً من سيارة الفرار التي كانت

الآن مستلقية في خندقٍ ومليئة بعلب الهدايا الفارغة، وعبر الحقول، وفي الغابات؛ حيث آثار الأقدام تُظهر الطريق التي سلكوها بخطوات سريعة، كما تظهر التوتّر الذي ينضح بالخوف والغضب؛ حيث إنّ واحداً أو ربّما اثنين من الفارّين وقعا في بركة الجليد. ومن هناك، لم تكن لديهم سوى بضع ياردات ليصلوا إلى المنزل المُحاصر الآن. المسار يؤدي إلى الباب الأمامي. ستّ أقدام؛ ثلاثة أزواج. وقد عرف الآن أنها تنتمي إلى والدٍ وابنه وصديق الطفولة لابنه، وأنهم مسلّحون برشاشات أوتوماتيكية سويدية مع فيضٍ من الذخيرة. فأخيراً، قالت لهم تلك المرأة التي ادّعت تعرضها للصدمة كلّ شيء، حتى إنها أخبرتهم بعدد مخازن الذخيرة التي يحملها كلّ منهم بالتحديد داخل السترات التي صنعوها بأنفسهم.

"لِكَم من الوقت بعد؛ إن كان عليك أن تقدّر؟".

ستّة عشر عنصراً من نخبة ضباط الشرطة المدرّبين خصيصاً، والذين يتمتعون بمهارات عالية. أما العنصر السابع عشر والذي كان بالقرب من برونكس فهو قائد الفرقة.

"لسنا على عجلةٍ من أمرنا".

"يقدّر مدرّب الكلب أنهم هنا منذ حوالي ثلاثين دقيقة".

"نحن ننتظر الوقت المناسب بالتحديد".

لقد توقّفت الثلوج، وخفّت قشعريرة البرد. كان جون برونكس ينظر إلى مشهدٍ يبدو كما لو أنه يظهر على بطاقة جميلة خاصة بالكريسمس. هكذا كان يبدو. كان يتمتع بالهدوء والسلام. بيت ريفيّ مُضاء، ثلج ناعم كالقطن على طول الجدول وأشجار الفاكهة، ودخان يتصاعد من قرميد الموقدة.

غير أن ما يراه لم يكن مشهداً على بطاقة تهنئة بالكريسمس.

فالضوء في الداخل على الأرجح هو ضوء المطبخ الذي أشعله السارقون المسلّحون، والذين لم يتردّدوا في طريقهم إلى هنا بإطلاق النار على الضباط الذين يتعقّبونهم، والذين على مدار عشر عمليات سرقة فائقة الخطورة قد أطلقوا النار بين الناس بشكلٍ يفوق ما فعلته أيّ عصابة من المجرمين السويديين في السابق.

لقد سبق أن حاول فريق السوات أن يتّصل بهم مرّة واحدة.

والآن، اتصل برقم الهاتف الأرضيّ الذي كان من السهل تحديد موقعه.

إذ كان باستطاعتهم سماع الهاتف وهو يرنّ في الداخل عبر تصدّعات النوافذ وشقوقها.

في محاولة لحثّ أولئك الناس في الداخل على الخروج بسرعة وطوعاً رافعين أيديهم ومستسلمين.

رنّات متكرّرة انتهت من دون أن يرفع أحدٌ سمّاعة الهاتف.

في كلتا الحالتين حصلوا على الجواب، فقد انطفأت جميع الأنوار في الوقت نفسه.

لن يستسلموا.

ثلاثة ملايين كرونة ونصف المليون هي أقلّ ممّا تعتقد؛ فهي لا تملأ حتّى كيساً من النسيج. وعندما ترمي رزمة تلوَ الأُخرى في الألسنة البرتقالية المفرقعة، تتحوّل بسرعة إلى رمادٍ بالكاد يأخذ مكاناً له.

آخر الأوراق النقدية من فئة عشرين قد احترقت للتوّ داخل المنزل المُظلِم تماماً.

ليس هناك أصغر شُعاعٍ أو وميضٍ ينبعث من داخل المطبخ، وظلّت ألسنة النيران داخل الموقد الحديديّ تلتهب.

"ليو".

كان إيڤان منبطحاً على أرضية غرفة الجلوس.

"ليو".

مرّ ابنه بالقرب من رأسه، قريباً منه جدّاً لدرجة أنه استطاع أن يمسك بجزمته.

"أنا... يجب أن نتحدّث يا ليو".

لم ينظر ليو إلى والده، بل تحرّك فقط بمحاذاة الحائط وصولاً إلى النافذة.

"أرجوك يا ليو، أصغِ إليّ".

احدودب جسمه، وتوتر وهو يفتح زجاج النافذة ويدفعه إلى الخارج، حتى وقع الثلج الذي كان على حافّة النافذة.

إنشٌ واحد من الفراغ... إنه طريقهم للخروج.

"أعرف ما سَتُقدِمُ عليه يا ليو".

وركع إيڤان على ركبتيه، ومكث هكذا وراء ابنه.

"لا تفعل هذا".

ضوءٌ خافت في الخارج. في الفناء صقيع قارس، ونجوم مبعثرة ومتناثرة، ونصف قمر شاحب يتضاءل. وعلى زجاج النافذة، كان باستطاعته رؤيتها؛ انعكاس أربع عيون. تماماً كما نظرا إلى بعضهما بعضاً في تلك الزاوية الضيقة، في أعلى مرآة مغطّاة بالرسوم الفنية، داخل المصعد.

ركض آنذاك نزولاً على الدرج، سبعة طوابق، وهو حافي القدمين، مُقتَنِعاً بأنّه قد أضاعه.

"ليو... لا تفعل هذا".

رأى انعكاس أربع عيون على صفحة المرآة. كانت واضحة تماماً بالنسبة لليو. وعلم ما رآه في اثنتين منهما؛

الارتياب.

"سيستخدمون الغاز المسيّل للدموع أبي. فهكذا يبدأون دائماً".

إنه الارتياب نفسه الذي رآه عندما وقف والده بملابسه الداخلية بالقرب من نار الخشب المشتعل، وقد تبلّل بنطاله أيضاً.

"سيفاجئوننا. إنهم يعتقدون أنّهم سيفاجئوننا. وعندها، سنقوم نحن بمفاجأتهم".

ملابس داخلية لم تعد ضيّقة، بل أصبحت فضفاضة حول رضفة الركبة، وعالقة بفخذين باهتي اللون، تقلّص العضل فيهما.

"في تلك اللحظة سنخرج. من هنا، من النافذة".

جسمٌ آخر، أكبر وأضعف من ذاك الذي كان معلّقاً في غرفة أُخرى، في حين كان يلكم ويلكم. كانت المرّة الوحيدة التي احتضنه فيها وفهم كم كان قوياً.

"عندها سنحصل على لحظة الفرار؛ تماماً كاللحظة التي تلي أوّل بضع طلقات لدى سرقة المصرف أبي، فقط عندما نعرف ويصبح بإمكاننا التصرّف، ثمّ نضرب ضربتنا".

في يوم ما، كان يتعلّق بذاك العنق، ويعانقه. لا تفعل هذا. لم يعد ذلك الجسم هو نفسه، بل أصبح مُرهقاً ومُنهكاً ومُستنزف القوى.

"ولكن، فقط في تلك اللحظة. وإن لم نتصرّف عندما نحصل على فرصتنا؛ فسيكون الأوان قد فات، ولن نخرج من هنا أبداً".

الارتياب؛ هذا ما رآه. مجرّد شخص خائر القوى يشعر بالارتياب.

"القنابل اليدوية يا أبي... عندما يصبح الغاز المسيل للدموع هنا، سنرمي في الحال اثنتين منهما إلى الخارج. إنهم لا يتوقعون ذلك. أنتَ وأنا سنخرج أوّلاً، في حين سيردعهم جاسبر بما يكفي من مخازن الذخيرة التي يحملها. وبعد ذلك، سنحتمي ونفعل بدورنا الشيء نفسه إلى أن يخرج جاسبر. لدينا الكثير من الذخيرة. هل يمكنك القيام بذلك يا أبي؟".

لم يعُد ليو مقرفصاً، ولكنه ظلّ متمركزاً بمحاذاة الحائط.

"هل يمكنك القيام بهذا؟ هل يمكننا القيام به يا أبي؟ أي أن ترقص وتطلق

النار، أن ترقص حول الدبّ. إنّه أكبر منّا، ولكن يمكننا أن ننتصر، وأن نغلبه؛ إن رقصنا وأصبنا الهدف جيداً. أليس كذلك؟".

قام إيڤان بذلك أيضاً، فقد نهض. أراد أن يمسك بكتفي ابنه، أن يمسكهما بقوّة، وأن يهزّه ويصرخ إلى أن يستمع إليه. ولكنه لم ينطق... بأي كلمة. فقط صوت ليو علا على صوته، وهذا ما سمعه كلاهما.

"إن رقصنا حولهم، فبإمكاننا أن ننتصر. إن قُمنا بشنّ غارة عندما يظنون أننا سنرفع أيدينا استسلاماً. أسدِل قناعك يا أبي، واستعد!".

"ننتصر!".

لم يحتضنه إيڤان، إذ قد ينتهي الأمر بكارثة. ولم يصرُخ، ولكنه أخيراً أصبح قادراً على الكلام، كان هذا صوته هو:

"لماذا أحرقت المال إن كنت تعتقد أنّه يمكنك الخروج من هنا والنجاة؟".

كان ابنه يقف هناك، بمحاذاة ذاك الحائط اللعين. وإن فعل ذلك أيضاً، ووقف بالقرب منه، فسيستمع إليه.

"أحقاً لا تفهم يا ليو؟! إن التقيناهم هناك في الخارج مع الأسلحة؛ فسيصبح الأمر جحيماً، وسيتحوّل إلى ظلام، وعفن. الموت يتمدّد إلى الأعلى، وأنا أتحدّث عن الغرغرينا".

وطالما أنّ ليو يستمع إليه، فلن يتمكن من الاستعداد. وإن لم يكن مستعداً، فلن يتمكّن من الإسراع نحو الخارج؛ إلى الناس الذين يحاصرونهم ويستعدّون لإطلاق النار.

"ذاك الرجل هناك، ذاك الذي يظنّ نفسه حارساً محترفاً يركض في كلّ

مكان ويتحدّث عن "الأقنعة" و"الصحفات الأولى"! ليو، كيف يمكنك بحقّ الله الإصغاء إلى تلك السخافات؟ هل يجب على فيليكس وڤينسنت أن يرياك ميتاً على الصفحات الأولى، أهذا ما تريده؟".

"ومنذ متى كنت تأبه لأمرهما؟ ضع قناعك اللعين في الحال!".

القماش الأسود على وجه ليو، لم يعد قادراً على رؤية أيّ ملامح.

"قلت لك. لن أجلس مجدداً هناك أبداً! قبالة رجال الشرطة اللعينين! أبداً! ضع قناعك الآن يا أبي! وإلّا فسأتركك هنا!".

كان ابنه في طريقه إلى الخارج... بعيداً. كان إيڤان متأكّداً من ذلك.

لم يَعُد ابنه يُصغي إليه؛ لأنه لم يَعُد هناك شيء يُقال.

وتلك القوّة، أو ما بقي منها، تلك التي كانت مخبّأة بعيداً وكصدى شخصٍ آخر في وقتٍ آخر، شخص يُدعى إيڤان وكان لديه ثلاثة أولاد... اختفت تلك القوّة الآن بالكامل، انسحبت، وقام بالشيء الوحيد الذي ما زال قادراً على القيام به؛ دفع ظهره نحو الحائط الذي من المفترض أن يحميه.

"ليو".

وغرق ببطء.

"ليو".

"أعلم أنّك... لم تشِ بي".

واشٍ.

"لطالما علمتُ ذلك".

واشٍ.

"أنا أعني ما أقوله يا ليو. أنتَ لم تشِ بي. أعلم أنّ الشرطة قد كذبت عليّ. أعلم أنّك لم تتكلّم... فقد رأيت الضمادة على يده".

قناع أسود على وجهه، وسلاح في يده.

لم يعد الأمرُ مهمّاً.

لم يعد ليو مستعدّاً للحرب مجدداً- نجح الأمر- طالما أنّه يلهيه بالاستماع، فبإمكانه إبقاؤه على قيد الحياة.

"إذاً، لماذا قلت ذلك؟".

"اعتقدت حينها أنّ ذلك أفضل".

"اعتقدت أنه... أفضل!".

"أج".

"كيف؟!! أوّلاً تسحق كلّ شيء، ثمّ تستسلم وتنتظر وصول الشرطة. ثمّ... تلومني!".

السترة على ورق الجدران، لقد كُشِطَ. كان والده الآن ينظر إليه رافعاً عينيه نحوه من موقعه على الأرض، وعنقه منحنٍ إلى الوراء.

"لقد كنت مصدر إزعاجٍ هائلاً بهذا القرف. مصدر إزعاج! الوشاية. لم يتوقّف ذلك! واعتقدت أن الأمر أَفضل... بتلك الطريقة!".

أبوه أمامه.

والآخرون في الخارج في الظلام، مستعدين في مراكزهم لشنّ هجومٍ.

وجاسبر الذي كان يزحف على الأرض وراءه حاملاً قنبلة يدوية، وضع إصبعه في المشبك، وهو يقترب من النافذة الأُخرى في غرفة الجلوس.

"ليو... إن لم نغادر الآن فسنموت!".

"انتظر".

رأى جاسبر وهو يزيح الستارة جانباً ويرفع رأسه، ليتنصّت.

"إنّني أراهم! علينا الخروج! سيقتلوننا كالكلاب!".

"اخرس!".

"الآن، يا ليو! قبل فوات الأوان!".

"جاسبر، اخرس! إنّني أتحدّث مع أبي، ألا ترى ذلك؟".

كان قد قام بتذخير سلاحه.

"أهذا أفضل؟ أبي، أفضل!!".

والآن رفعه.

"أنتَ من يجب أن أُطلق النار عليه! وليس هُم! بل أنتَ!".

أخذ ليو نفساً عميقاً، ثم أمسك فوهة البندقية بثبات، وشعر بهدوءٍ كبير، شعر بإحساس جميل في الداخل. لم يكن هناك ارتجاف، فهو لم يرتجف وكذلك والده.

عندها كُسِر الزجاج الأوّل.

لقد اختاروا المطبخ.

قنبلة غازٍ مسيل للدموع أنبوبية الشكل راحت تغزل وتتدحرج، وتثبّ وترقص وتقفز، وتنشر غيمتها البخارية من المطبخ الدافئ إلى غرفة الجلوس. كانوا هم الثلاثة يركضون نحو غرفة النوم عندما كسر الأنبوب الثاني الزجاج.

"انبطحا!".

رمى ليو نفسه أرضاً، ورمى إيڤان نفسه بالقرب منه، في حين وقف جاسبر بقناعه الأسود ذي الفتحات.

"اللعنة، انبطح جاسبر! عليك أن..."

ولكنه لم يتمكّن من سماع ما تبقى، إذ حُجِبَ صوته بثلاث طلقات نارية صادرة من مكان ما، بدا الدم أكثر احمراراً. كان لديه الوقت ليفكّر بينما سال دم جاسبر وعلق عليه.

عندها، بدأ جفناه بالانقباض والتشنّج بألم حادّ.

وتدفّقت الدموع خارج عينيه، وتوقّفت الأغشية المخاطية عن العمل.

"ارمِ سلاحك!".

كانت هناك أصوات مكتومة صادرة من أقنعة مضادة للغاز فوقه؛ أصوات تصرخ عليهم.

"اللعنة، انخفض ولا تلمس سلاحك!".

كان أعمى؛ إذ لم يستطع أن يرى. وكان لسانه يحرقه، وصدره منتفخاً كالبالون الذي يوشك على الانفجار، فتقيّأ من عمق أعماقه. دفعه أحدٌ ما أرضاً

وهو يصرخ ويكبّل يديه، فيما كَبَّل شخص آخر رجليه، وركله مرّات عدّة في جنبه. وأمسك آخر يديه. الغاز، كان يعرف كيف يعمل، لذلك أصبح كلّ شيء على الأرجح غريباً. لم يستطع التنفس، ولم يستطع التفكير، ولكن اليد التي أمسكته بدت مألوفة. فهي كبيرة وبصلابة الجلد المتيبّس الذي لطالما كان كذلك. ثمّ انهمرت الدموع التي لم تكن طبيعية. هكذا كانت الأمور بينهما دائماً. كان خدّه مضغوطاً على الأرضية، والحديد يقصّ بشرة معصميه اللذين كُبِّلا وراء ظهره.

لم يكن لديه الوقت، فقد تكلّم والده وتكلّم وتكلّم وهو يتعمّد تأخيره، ويرمي به إلى خارج التوازن، واشٍ، لم يكن لديه الوقت ليركض إلى الخارج.

فجأةً، أصبح الأمر حقيقيّاً؛ ما لم يكن حصوله ممكناً. فإلقاء القبض عليه لم يكن يوماً احتمالاً وارداً لديه.

ولكنه الآن أصبح كذلك.

صباح عشية الكريسمس، أو فجره، أو ليله المتأخّر. ليست لدى جون برونكس أدنى فكرة.

كان يعلم أنّ الظلام في الخارج، وأنّ المدينة ما زالت نائمة. جلس هناك وحيداً في مكتبه، يحدّق إلى صندوق من الورق المقوى ملفوف بشريط لاصق، فيما باب المكتب مفتوح على الرواق الصامت. لم يشعر كما يجب أن يشعر. فبالرغم من أنّ أربعة عشر شهراً من التحقيقات- النظريات، والإحباطات، والمطاردة، واليأس، والغضب، وحتى أحياناً الحقد والضغينة- قد انتهت، وعلى الرغم من أنّ الأخ الأكبر- الذي كان يستدير ويهمس قبل عملية السرقة، والذي بهدوء وصمت أطلق مئات الطلقات النارية باستعمال أسلحة أوتوماتيكية مختلفة بين الناس الذين لم يصابوا أبداً بالأذى من الخارج، ولكنهم ما زالوا متضرّرين من الداخل، يراقبونه عبر كاميرات المراقبة ويرون الفتحات في القناع الأسود- أصبح الآن جالساً على بُعد بضع مئات الياردات في قسمٍ آخر من مركز الشرطة في زنزانة في سجن كرونوبورغ... وعلى الرغم من أنّ الجندي- الذي وصفه الرجل في السيارة المدرّعة باليائس- ماهر في استخدام السلاح، وبنطاله مطويّ بدقّة تحت جزمة ملمّعة جيّداً، قد نُقِلَ إلى مستشفى كارولينسكا، وهو في قسم العناية المركّزة...

وبالرغم من أنّ الأخ الأصغر والسائق، وإثر الاستجواب الأوّلي في هيباي، قد حُدّد موقعهما في شقّة وسط غودنبرغ، واتّجه رجال الشرطة وفريق السوات إلى مكانهما في الشقّة المستأجرة، جاهزين للاقتحام... وبالرغم من أنّ الاثنين اللذين لم يظهرا مطلقاً في التحقيقات من قبل- الرجل المُسِنّ الذي انتظر للحراسة خارج المصرف، والمرأة التي ادّعَت أنها في حالة صدمة وقادت سيارة مليئة بعلب الهدايا الفارغة- قضيا أيضاً الليلة كلها كلٌّ في زنزانته المنفصلة؛ هو في سجن أبسالا

المحلّي، وهي في قسم النساء في سجن كرونوبورغ، أدنى بطابقٍ من حيث سُجِن الأخ الأكبر...

وبالرغم من أنه يعلم الآن أنّ كلّ ذلك كان متعلّقاً بعائلة واحدة...

ثلاثة إخوة، وصديق طفولة، ورفيقة، ووالد.

عائلة كاملة.

كان يجب أن يحتفل، ويضحك، ويهتف ابتهاجاً. ولكنه بالرغم من ذلك كله لم يستطع فعل ذلك. أربعة عشر شهراً... ولا شيء.

جلس يحدّق إلى صندوق من الورق المقوّى ملفوف بشريط لاصق، ولم يفهم.

ربّما ما كان يجدر به أن يتّصل بها أبداً. ربّما هذا هو السبب.

بدا الأمر صحيحاً جداً.

خرج باتّجاه السيارة المتوقّفة أمام مركز شرطة هيباي الصغير، ووجدها مغطاة بالثلج تماماً. عندها، جرّ الرفش من خلف الباب الأمامي لمركز الشرطة، وجرف ورمى بعيداً عدّة أقدام من الثلج من على السطح والنوافذ والزجاج الأمامي. رفض الاستسلام والتخلّي عن الأمر. رحلة بطيئة رجوعاً إلى الفوضى. كان قد وصل إلى إنكوبينغ للتو عندما اتّصل بها للمرّة الأولى. لم يكونا قد تحدّثا معاً منذ وقتٍ طويل. وفي الأشهر الأخيرة القليلة، رأيا بعضهما فقط في شركة زملائهما في الجهتين المقابلتين من طاولات غرف المؤتمرات المربّعة، أو تبادلا كلمة "مرحباً" خاطفة وهما يمرّان بالاتّجاه المعاكس في الرواق. اتّصل ولكنّه سرعان ما أنهى الاتصال وأعاد سمّاعة الهاتف بعد رنّة واحدة. غير أنه بعد عشر دقائق أو عشرين دقيقة اتّصل مجدّداً، وقطع الاتّصال عندما أجابت. وبعد عشرة أميال، أو خمسة عشر

ميلاً، بالقرب من جاكوبزبورغ، رنّ هاتفه أربع مرّات قبل أن تُجيب، وكان صوتها قاسياً. أما هو فظلّ صامتاً والهاتف في يده.

"جون".

لم يتحرّك.

"أعرف أنّ هذا أنت".

أمسك الهاتف، وجعله ملاصقاً لخدّه وأُذنه اليمنى.

"جون، ماذا تفعل؟".

ضغط عليه بقوّة.

"جون، أنتَ، إنّ..."

"لقد انتهى الأمر الآن".

تغيّر صوت سنا ولم يعد قاسياً بالقدر ذاته.

"لقد... انتهى الأمر الآن؟ كنت أُحاول أن أشرح لك هذا منذ وقتٍ طويل! أنا سعيدة جداً بسماع هذا، ومرتاحة لأنّك تفهم جون، أنا..."

"كلّا، أعني... أنهم قد انتهوا الآن".

"عفواً!".

"لقد قبضنا عليهم الليلة. في هيباي. إنّهم ثلاثة إخوة وصديق الطفولة. الأصغر قد بلغ الثامنة عشرة للتوّ. لا أحد منهم لديه سوابق. كنّا نطارد زمرة من الصعاليك الذين قلبوا السويد رأساً على عقب. أربعة عشر شهراً وانتهى الأمر

سنا".

بعد ذلك، ساد الصمت لفترة طويلة؛ لأنّ لا أحد منهما كان يعرف حقّاً كيف يتصرّف ليواصل الأمر. وكان من الممكن الاستماع إلى حياتين. لقد تعرّفت إلى صوت أحدٍ ما يجلس في سيارة، في طريقه إلى مكانٍ ما. أما هو فتعرّف إلى دويّ غمغمة من الأصوات الصادرة من المنزل، إلى أحدٍ محاط بالناس.

أصوات أطفال. أحدهم يبكي قليلاً، والآخر يسأل عن أمّه.

"جون".

"ألديك... هل هؤلاء أولاد؟".

"لقد أيقظتنا".

"هل لديك أولاد؟".

"إنهما اثنان؛ فتاة في الرابعة من عمرها، وصبيّ في الثانية تقريباً".

" لم تقولي أيّ شيء عن هذا الأمر يوماً".

"ولِمَ أفعل هذا؟".

بدت الهمهمة أكثر وضوحاً الآن؛ كما لو أنها أدارت الهاتف لكي يلتقط بشكل أوضح ومباشر صوت طفلين استيقظا من النوم.

"جون".

لقد قالت ذلك. قالت إنها ترغب في إنهاء الأمر؛ لأنّها تحتاج إلى ذلك.

لم يستوعب أنّ هناك مثل هذا النوع من النهايات.

"ماذا؟".

"نحن... هذه عشية الكريسمس. إنها ليلة الكريسمس. بعد بضع ساعات... عليّ أن..."

"احتفال سعيد".

"أتعلم، جون..."

"كان هذا كلّ شيء. احتفال سعيد".

ثمّ قاد السيارة إلى داخل المدينة، وانعطف تحت الثلج الذي ما زال يتساقط بكثافة. اجتاز المدفن الشماليّ ومرّ بالقرب من قبرٍ مُغطّى بالثلوج.

بالقرب من قبر شخص فكّر فيه وهو ميت أكثر ممّا فكّر فيه وهو حيّ.

قاد على طريق مدينةٍ سيستيقظ أهلها قريباً وسيبقون في الداخل في دفء العائلة، وسيتبادلون الهدايا، وصولاً إلى مركز الشرطة الفارغ؛ تماماً كما كان عندما وصل إلى هنا منذ ساعةٍ مضت.

عائلة بأكملها، وإنهاؤها للموضوع.

ذهب إلى غرفة مكتبه، وأزاح أكواماً من الملفات جانباً. قريباً سيترك ملف التحقيق طاولة مكتبه، وسيصبح أدلّة للمقاضاة في المحاكمة القادمة. أربعة آلاف صفحة من التحقيق الأوّلي في تسع عمليات سرقة مصارف، وسرقة واحدة لسيارة مدرّعة، بالإضافة إلى 221 سلاحاً أوتوماتيكياً مسروقاً، وابتزاز الشرطة للحصول على المال باللجوء إلى التهديد متفاقم الخطورة، وقنبلة انفجرت في محطة ستوكهولم المركزية. عوضاً عن ذلك شرع في تحقيق أوّلي جديد، تحقيق قابع داخل صندوق من الورق المقوى الملفوف بشريط لاصق، تمّ رزمه منذ وقتٍ طويل فتحوّل إلى كرسيّ

للزوار.

قصّ الشريط اللاصق الذي تمّ لفّه عدّة مرّات حول الصندوق، ثم فتح الأطراف، وبعد ذلك غادر الغرفة.

ذهب إلى فناء الرواق الفارغ، وإلى المطبخ الصغير، وصولاً إلى حيث توجد آخر قطرة من الشراب، وبعض بقايا فطائر خبز الزنجبيل المحلّاة الموضوعة في سلّة طعام.

عاد إلى الغرفة.

كان يمشي حول الصندوق المفتوح وهو يشعر بالاضطراب وبضيق صدر.

عائلة... نهاية.

كان سام واقفاً بين حارسين وهو يُغادر غرفة الزيارة في السجن على بعد 140 ميلاً، حين استدار نحوه وهمس: لا أُريدُ أن أراكَ مجدداً.

عندئذٍ، قرّر جون برونكس الاقتراب من الصندوق الذي كان ينتظر ليتمّ فتحه، واثنان من أطرافه واقفان؛ جناحان من الورق المقوى جاهزان للتحليق إلى مكانٍ ما. كانت الكدسة السميكة من الأوراق مغطاة بملفات فارغة وروزنامات قديمة احتفظ بها لسبب من الأسباب. إنه تحقيقٌ آخر، تحقيقٌ شكّل منذ ثمانية عشر عاماً ركيزةً وعنصراً أساسياً لمحاكمة أُخرى وعقوبة بالسجن المؤبّد... لمدى الحياة.

والآن، ها هو على طاولة مكتبه.

لقد اتّصل بسنا، ولديها ولدان. لم يعُد يعلم أين تُقيمُ والدته. والاتّصال بسام لن ينجح أيضاً؛ لأنّ الأمر يتعلّق به.

التقطه، كانت ورقة الغلاف هشّة، وفتحه على الصفحة الأولى.

قسم الدائرة الإدارية، وحدة ستوكهولم، جريمة قتل: قتل متعمّد.

جميع تلك السنوات؛ من المراهقة إلى أوائل منتصف العمر، ولم يلمسه قط.

كانت الصفحات الأولى مثلها مثل أيّ من التحقيقات الأوّلية التي عمل عليها. إذ تضمنت التقرير الابتدائي، ثمّ لائحة المدافعين، ثمّ تقريراً آخر، ثمّ لمحة سريعة عن الأشخاص المتورّطين، والنسخة المطبوعة لاتّصال الطوارئ من امرأة مصدومة وتعاني من حزن شديد عند الساعة 2:32 فجراً.

كان هناك، وكان يتضمن ثلاثاً وعشرين صفحة في الاستجواب الأساسي؛ حيث انتهت مقاربة أوجه الشبه.

مع جون برونكس البالغ من العمر ستّة عشر عاماً.

حتى إنه لم يتذكّر أنّ أحداً تكلّم معه.

ف.ل.: هل كنت تعلم بالأمر؟ بما سيقوم به شقيقك؟

ج.ب.: بماذا؟

ف.ل.: هل قال لك إنّه سَيُقدِمُ على قتل والدك؟

كان ذلك غريباً. فهو لا يتذكّر هذا مطلقاً، إلى أن سمع أجوبته الخاصّة.

كان من الممكن أن يكون هو الشرطي الذي يقوم بالاستجواب. ربّما كان موجوداً في كلّ تحقيق من التحقيقات. وربّما يكون موجوداً مجدداً غداً؛ عندما تبدأ التحقيقات مع والدٍ، وأخٍ أكبر، وأخ أوسط، وأخ صغير.

ف.ل.: ماذا عن السكين جون؟

علم تماماً ما قد يكون السؤال التالي، قبل أن يقرأه حتى. إذ كانت هذه مهمّة ضابط الشرطة؛ أي أن يبحث عن الحقيقة، وأن يرتّب مسار الأحداث.

ف.ل.: تعلم أننا وجدناه تحت سريرك؟

كان يعرف السؤال، ولكنه لم يعرف الجواب قطّ. أحياناً... تدّعي أنّه أُغميَ عليها. كلّ واحد يملك جوابه. ولكن، أستفهم أنّه يستحقّ ذلك؟ تفسيرهم الخاص لعنفهم. لو أردتُ قتلها... لفعلت. كان يعرف السؤال، ولكنه لم يعرف الجواب قطّ... لا آنذاك، ولا الآن.

ف.ل.: وأتساءل يا جون، هل أمسكت بالسكين أنتَ أيضاً؟

لقد قرأ المزيد، لقد علم أنّه هذه المرّة سيقوم بذلك فعلاً، ولكن بعد قليل عندما يعود. استجواب سام. التقرير الفنّي مع صور سرير وشراشف ملطّخة بالدماء، وسكّين ذي أسنان حادّة صغيرة خاص بتنظيف الأسماك. ووَصفٌ لتشريحِ جثّة رجلٍ بثلاثةِ ثقوبٍ في صدره إلى جانب القلب. ولكن، أوّلاً إنه بحاجة إلى زيارة شخص يعرفه، ولكنه... لم يعرفه قطّ.

لم يكن بعيداً، حتى إنه لم يحتَج إلى الذهاب للخارج. ثلاثة أبواب مقفلة في مركز الشرطة السويدية- من مكتب التحريات في مركز شرطة مدينة ستوكهولم مروراً بالإنتربول، وحماية الشهود، وقسم الطبّ الشرعي الجنائي، ووصولاً إلى المبنى الشاهق المقابل للغرب- الأجهزة الأمنية السويدية، ومجلس الشرطة الوطني، وقسم الرصد والمراقبة، سجن كرونوبرغ. لم يأتِ إلى هنا منذ الربيع الماضي، عندما حصل على المساعدة لتحليل حديثين حصلا في ساعة متأخّرة من الليل؛ فكلّما شدّدوا على ضرورة التعاون بين الأقسام المختلفة، بدا الأمر أقلّ حدوثاً.

استقلّ المصعد إلى الطابق الثامن هذه المرّة، ثم خرج وقرع باب حارس

السجن. كان الوقت منتصف الليل. لم يُعلَن عن قدومه مسبقاً، ولكن الشاب الصغير والودود في الجانب الآخر من الزجاج رفع النافذة إلى الأعلى، وشرح للمحقق برونكس بأنّه إن جلس وانتظر قليلاً فسيتمكّن قريباً من زيارة المشتبه به الذي وصل منذ بضع ساعات وهو الآن محتجز في قاعة الاعتقال الغربية.

فَعَلَ ذلك؛ جلس وانتظر.

في طريقه إلى زنزانة مقفلة، متّجه من تحقيقٍ دام ثمانية عشر عاماً.

من عائلةٍ، إلى عائلة.

عائلة!

لم تَعُد لديه أدنى فكرة.

إنّ العائلة شيءٌ قويّ؛ فهي متعاضدة ومتماسكة ومتّحدة. وبالتالي، إنها المكان حيث يصبح العنف أكثر وضوحاً، وأكثر وحشية، وحيث يتحوّل وينكفئ إلى الداخل، ضدّ نفسه، ضدّ أفراد العائلة نفسها التي يُفترض أن يحميهم هذا التعاضد والالتحام.

"برونكس".

ما من أحد ليتحدّث معه. ما من أحد ليتشارك معه.

قبل أن يفوت الأوان.

أحياناً ينتهي الأمر في المقبرة، وأحياناً ينتهي هنا.

"برونكس، مرحباً".

"ماذا؟".

"يمكنك الدخول الآن".

الأرض فارغة ومصقولة وملمّعة حديثاً، وتوهّج الأضواء الفلوريّة المشعّة كان حادّاً جدّاً، وينعكس على كلّ من يمشي عليه.

سمع صرخة من الزنزانة الأولى؛ أكانت حلماً أو رُعباً؟ فهما تبدوان متماثلتين. ثمّ مرّ قرب ثلاث زنزانات صامتة، ومن ثمّ سمع صوتاً قادماً من زنزانتين، ولكن لا صراخ، بل على الأرجح كصوت أحد يقوم بتمارين ضغط الساعدين لشدّ عضلات المعدة، وشخص يتكلّم مع نفسه في الزنزانة الأُخرى؛ كما يحصل عندما تصبح الأيام أسابيع ثم شهوراً داخل حجيرة تبلغ مساحتها خمسين قدماً مربّعة؛ من دون زيارات، ومن دون تلفاز، من دون جرائد. وهناك ساعة واحدة من الحرية لتمضيتها في باحة سجن على السطح، في حين أن الساعات الثلاث والعشرين الأخرى تمضي وراء هذا الباب الصغير المقفل هنا.

كان من السهل أن تقلب أيّامك وتحوّلها إلى نجاح.

عند منتصف المسافة تقريباً مروراً بالردهة، وتحت أحد تلك الأضواء المشعّة، زنزانة الاعتقال رقم 7.

"هل أنتَ متأكّد؟ أتفضّل أن تكون وحدك؟".

"أجل".

"يمكنك أن تحصل على جهاز إنذار إن أردت. إنّه صغير، ويَتسعُ له جيبك؛ لدواعي السلامة".

"شكراً. ليس ضرورياً، فالزيارة قصيرة".

كَشطت مفاتيح حارس السجن الجدار وهي تُدارُ مرّتين.

"لقد فُتِح، وسأتركك".

ترك جون برونكس الباب الحديدي الثقيل يتدحرج لينزلق صعوداً. بعد عامٍ كاملٍ من الملاحقة، ها هو أمامه... ها هو الرجل طويل القامة، والرياضي الأشقر. بدا أصغر سنّاً ممّا تخيّله، وكان جالساً على السرير محدّقاً إلى الحائط مباشرة، من دون أن يلتفت إلى زائره.

"مرحباً".

كالعادة، الجوّ الخانق هو ذاته؛ الجو عديم التهوئة داخل زنزانة الاعتقال.

"أنا جون برونكس. أنا من كان يحقّق في قضيتك".

ظلّ الشاب الأشقر طويل القامة يحدّق سارح النظر إلى الإسمنت الرماديّ.

"فيمَ حقّقت؟".

"في الكثير من سرقات المصارف، وفي عملية سرقة مسلّحة واسعة، وتفجير قنبلة سيتمّ اعتباره عملاً إرهابياً".

"لا أعرف ما تتحدّث عنه".

"أعتقد أنّك تعلم... أنّا كارين. وسنبدأ بمناقشة هذا معاً غداً".

"لن يقوم أحدٌ بمناقشة أيّ شيء غداً".

"لقد تحدّثت إليّ سابقاً. الناس أمثالك يفعلون هذا أحياناً؛ يتكلّمون. أعلم هذا... لكي لا تجري الأمور بشكل سيئ مع إخوتهم الصغار".

كان السجين يرتدي كنزة صوفية عليها رمز الإصلاحية، وقميصاً أبيض وبنطالاً بنيّاً. وهي ثيابٌ ارتداها أيضاً الشخص الذي كان هنا قبله.

استدار الآن؛ عينان زرقاوان، وشفتان رقيقتان.

ها هو.

"أنا لا أشي، نحن لا نشي. نحن لا نعمل بهذه الطريقة".

ثمّ استدار مجدداً محدّقاً إلى البعيد، باتّجاه حائط الإسمنت.

"يمكنك الرحيل؛ بما أنني لا أُريد ولا أحتاج إلى التحدث إليك الآن".

تريّث جون برونكس مُتباطِئاً في الجوّ الخانق، وهو يتنشّق غبار مؤسسة السجن.

"أنا أيضاً لا أُريد التحدّث إليك. فأنا لم آتِ لهذا السبب".

خرج مجدّداً، وأمسك بالباب، وانتظر في الردهة إلى أن وصل حارس السجن مع حزمة كبيرة من المفاتيح.

"أردت فقط أن أرى كيف يبدو شكلك تحت القناع، أيها الأخ الأكبر".

الوقت.

كان دائماً يعلم كَم الوقت تحديداً.

لم تعد لديه ساعة يد بسوارٍ جلدي أحمر وبني فاتح؛ إذ كانت تلك الساعة مع أبيه. ولكنه لا يحتاج إليها، ولم يحتج إليها فعلاً؛ إذ كانت الساعة تتكتك في داخله دائماً وهو يعدّ الوقت المتبقّي.

تِك. بقيت حياة أقلّ. تِك. بقيت حياة أقلّ. تِك. بقيت حياة أقلّ.

باب الزنزانة سميك. والقضبان الحديدية المشبّكة والثقيلة على نوافذ حجرة الاعتقال. منذ الآن فصاعداً، لم يعد يستطيع، لم يعد يجب أن يفعل ما كان يفعله دائماً؛ أي التفكير بالوقت. فهو مسجون. وإن كان أحدٌ هنا في الداخل يعلم تماماً كم عدد الثواني، وكم عدد الأنفاس، فلن يتمكّن من التنفّس أبداً.

من دون الأيام والمواسم لَما تمكّن أيّ نذلٍ من الوصول إليه.

لقد حاول مرّة سابقاً، ونجح الأمر. إن لم يشارك، وإن رفض التواجد مع الآخرين، فالباب المقفل سيكون مجرّد بابٍ يمرّ عبره مباشرة.

ولكانت البذلات قد انتظرت في الخارج أيضاً؛ في المنزل. في الشقّة. لقد رمى أبوه قنبلة فاحترق المنزل، وأمه ورجال الشرطة كانوا ينتظرون في الجهة الأُخرى من الباب الذي أقفله بنفسه.

فيليكس وراءه على السرير، وڤينسنت بين ذراعيه.

سنمرّ مباشرة عبرهم، مباشرة عبرهم.

سيمرّ مباشرة عبر هذا أيضاً... الباب... الشرطة... الاستجوابات. ليس عليه أن يقول أيّ شيء إلّا إذا أراد ذلك. أجل، كان محبوساً، ولكنه هو من يقرّر لنفسه ما إذا كان يريد أن يفتح فمه أو لا.

قد يكون الأمر مختلفاً قليلاً الآن. ولكنه الشيء نفسه.

كلٌّ منهم جلس وراء بابه الموصد. لم يكونوا معاً. ولكنهم سيكونون كذلك مجدداً، لاحقاً. لطالما كان الأمر هكذا دائماً.

لو لم يُفكّروا ويحسبوا الوقت.

لو كان الآن هو آنئذٍ، وآنئذٍ هو الآن.

Notes

[1←]

ـظة المترجم: ك. س. ب. 58 (KSP 58) هي أسلحة مدافع رشّاشة من طراز 58.

[2←]

ـن التحميل: هو موقف مصمّم للشاحنات التي تنقل الحمولة أو محصّلات الأموال.

[3←]

ـكيزية "go back".

[4←]

ـة: هي وحدة العملة في السويد.

[5←]

ـح رشّاش سويديّ الصنع، أي كاي 4، أوتومات كاربون.

[6←]

ـظة المترجم: أغنية إنكليزية معروفة بعنوان (أنا أحلم بكريسمس أبيض اللون)

I am dreaming"
"of a white Christmas

[7←]

"السوات" هو ما يُعرَف بالإنكليزية بال "SWAT"، وهو فريق الأسلحة والتكتيكات العالية والخاصة.

[8←]

"السوات" هو ما يُعرَف باللغة الإنكليزية بال "SWAT"، وهو فريق الأسلحة والتكتيكات العالية الخاصة المخصّص للمهمّات الصعبة.

[9←]

ـظة المترجم: أغنية إنكليزية معروفة بعنوان (فروستي رجل الثلج)
Frosty the Snowman

[10←]

"السوات" هو ما يُعرَف باللغة الإنكليزية بال "SWAT"، وهو فريق الأسلحة والتكتيكات العالية الخاصة.

[11←]

"السوات" هو ما يُعرَف باللغة الإنكليزية بال "SWAT"، وهو فريق الأسلحة والتكتيكات العالية الخاصة.

[12←]

"السوات" هو ما يُعرَف باللغة الإنكليزية بال "SWAT"، وهو فريق الأسلحة والتكتيكات العالية الخاصة.